جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلم القرآن

أثر اختلاف القراءات في التفسير

(من سورة النساء إلى سورة إبراهيم υ)

دراسة تحليلية موضوعية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:
أم أيمن بشير محمد البشير

إشراف البروفسير:
عمر يوسف حمزة

٢٠٠٥م-٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدتي العزيزة أنعم الله عليها بوافر الصحة والعافية

و إلى روح والدي العزيز رحمه الله رحمة واسعة

وادخله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقا

آمين

الطالبة

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: [أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ][1].

والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين حيث يقول: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)[2].

وعلى ذلك فإنني أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأسرة كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية، وأخص بالشكر أستاذي الفاضل والعالم الجليل البروفسير: عمر يوسف حمزة، عميد كلية أصول الدين لإشرافه على هذه الرسالة، وا إسدائه النصائح والتوجيهات السديدة والرشيدة. والتقدير البالغ لأسرة المكتبة المركزية، بجامعة أم درمان الإسلامية وفي مقدمتهم الدكتور الفاضل: محمد صالح.

وجل شكري لمن قرن الله شكرهما بشكره فقال: [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ][3]، والدتي الكريمة أنعم الله عليها بوافر الصحة والعافية.. ووالدي الكريم رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.. اللهم آمين. وشكري لإخوتي وأخواتي لما قدموه لي من دعم معنوي ومادي آثر في إخراج هذا البحث.

ومصداقا لقوله تعالى: [خِتَامُهُ مِسْكٌ][4]، فإنني في الختام أتقدم بوافر الشكر والتقدير لكل من: فضيلة الدكتور: الطاهر أحمد عبد القادر مناقشا داخليا.

وفضيلة الدكتور: السر محمد الأمين مناقشا خارجيا.

نفعنا الله بهما وبعلمهما، وشكري لكل من نصح فأفاد، وأشار فأعان.

الطالبة.

---

(1) النمل، الآية (٤٠).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، (٤/٢٥٦).

(3) لقمان، الآية (١٤).

(4) المطففين، الآية (٢٦).

مقدمة

الحمد لله الذي جمع ببديع حكمته أشتات العلوم بأوجز كتاب، وفتح بمقاليد هدايته مقفلات الفهوم لأفصح خطاب، أنزله بأبلغ معنى وأحسن نظام، وأوجز لفظ وأفصح كلام، حـُلْواً على ممر التكرار، جديدا على تقادم الأعصار، باسقا في إعجازه الذروة العليا، جامعا لمصالح الآخرة والدنيا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي بمشيئته تتصرف الأمور، وبإرادته تتقلب الدهور، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جعل كتابه خير كتاب، وصحابته أفضل أصحاب، تلقوه من فيه غضا، وواظبوا على قراءته تلاوة وعرضا، حتى أدوه إلينا خالصا مخلصا ρ وعلى جميع الآل والأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب.

وبعد:

فإن علم قراءة القرآن أقدم العلوم في الإسلام، نشأةً وعهداً، وأشرفها منزلة ومحتداً، حيث أن أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته، ثم لما اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه مسَّت الحاجة إلى علم يميز به بين الصحيح المتواتر والشاذ النادر؛ وقايةً لكلماته من التحريف، ودفعاً للخلاف بين أهل القرآن، فكان ذلك العلم علم القراءة الذي تصدّر لتدوينه الأيمة الأعلام من المتقدمين، رحمهم الله رحمة واسعة.

ومن المسلَّم به أن الله سبحانه أنزل القرآن الكريم لمقاصد عالية، وحكم سامية، وأغراض شريفة، وجعله المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن أساليب الإعجاز التي تفرد بها القرآن اختلاف قراءاته التي يؤدَّى بها تلاوة وحفظا وتجويدا، والاختلاف مع كثرته لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، مع احتفاظه بمستواه الذي عـُرف به من روعة النظم وبيان وجماله.

ولما كان تخصصي الأكاديمي في كلية أصول الدين هو التفسير وعلوم القرآن، فقد لفت نظري ظاهرة اختلاف القراءات في القرآن الكريم، وما لها من علاقة، وثيقة بتفسيره، على أن اختلاف قراءات القرآن الكريم موضع سؤال في النفس، ولذلك أحببت في هذا البحث أن أقف وأعرف أثر اختلاف القراءات في التفسير، وللاستزادة العلمية، ولأقدم للمكتبة الإسلامية شيئا يجمع ما كان مفرقا في بطون الكتب حتى يسهل على طلاب العلم تحصيله وتناوله، ومن هنا كانت أهمية البحث، ودواعي اختياره، ولولا كلمة سبقت لكان من الأفضل تسميته بـ(القراءات وأثرها في التفسير) وذلك لأن مناط البحث هو القراءات السبعة وأثرها في توجيه التفسير.

الدراسات السابقة:

تناول جمع من أئمة التفسير الحديث عن أثر اختلاف القراءات في التفسير؛ كالإمام الطبري، وأبي حيان، والألوسي، وابن عاشور، وغيرهم. وكذلك جمع من أئمة العربية والقراءات؛ كالإمام ابن زنجلة، وابن خالويه، وابن مكي..الخ.

وهناك بحث للدكتور: الجزولي الأمين المعلى تناول فيه نماذج من بعض السور للحديث عن أثر اختلاف القراءات في معاني الآيات. وبحث للدكتور: قرشي حسن طه صديق بعنوان: (أثر اختلاف القراءات في التفسير) من الأجزاء (الأول . الرابع)، دراسة تحليلية موضوعية.

وقد من الله علي بخلاصة البحوث وأقيمها، وهو بحث لفضيلة الشيخ العلامة: عمر يوسف حمزة، والذي عنوانه: (القراءات وأثرها في توجيه التفسير)، بحث قد تم نشره في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية[1]. وقد استفدت منه الاستفادة القصوى. فجزاه الله عنا كل خير.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل، الذي يعتمد على الآتي:

(١) جمع الآيات التي وقع فيها الاختلاف في قراءتها، إذا كان له أثر في التفسير، أو أثر في اللغة والإعراب.

(٢) وأشرت إلى كل نص بأرقام بين قوسين، والرقم الأول يشير إلى تسلسل النص من أول البحث إلى أخره، والرقم الثاني يشير إلى تسلسل النص من أول السورة إلى آخرها.

(٣) وعرضت الآيات عرضا تحليليا، موضحة قراءة كل إمام من الأئمة السبعة (فقط).

(٤) مستشهدة على ذلك بنظم الإمام الشاطبي رحمه الله في القراءات، وذلك في درته الغالية المسماة بـ(حرز الأماني ووجه التهاني)؛ وذلك لأن مناط البحث يقتصر على القراءات السبعية فقط.

(٥) ثم ذكرت توجيه الكلمة لغويا، كمصطلح لغوي، وتوجيه أئمة اللغة والقراءات لها، ثم وضحت المعنى العام للآية التي فيها الكلمة المختلف في قراءاتها، وأخيرا ذكرت ترجيح أئمة التفسير لهذه القراءات، موضحة الأسباب التي من أجلها رجحت القراءة على الأخرى، وفي بعض الأحيان لا أقف على ترجيح لها وإن كان قد اختلف في قراءتها.

(٦) خرجت الأحاديث من مظانها الأصلية، موضحة اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة، وفي بعض الأحيان أكتفي بذكر الجزء والباب، كما في الأحاديث المستخرجة من المستدرك للحاكم.

---

(١) وهي مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر. العدد (٣٨)، ربيع الآخر (١٤٢٠هـ)، السنة (١٤).

(٧) حرصت على أخذ المادة من مصادرها الأصلية، وفي حالة تعذر ذلك اكتفيت بنقلها من المراجع التي أخذت منها، نسبة لعدم وجودها، مثل كتاب (كنز المعاني) للجعبري.

(٨) ترجمت لكل الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، وفي حال تكرار أسمائهم لمرة ثانية لا أشير إلى أنه قد سبق ترجمتهم، وذلك لكثرة تكرارهم في طيات البحث.

(٩) كذلك قدمت ترجمة توضيحية لكل المدن، والأماكن، والألفاظ الغريبة، والأمثال، والمذاهب، والغزوات.

(٠) قمت بشرح الأبيات الشعرية في طيات البحث ونسبتها إلى قائليها، وا ٕذا تعذر ذلك اكتفيت بالإشارة إلى أنني قد نقلتها من المرجع الذي ذكرت فيه.

خطة البحث:

تشتمل على: إهداء، كلمة شكر وتقدير، مقدمة، تمهيد، بابين، وخاتمة. المقدمة ذكرت فيها: أهمية البحث، ودواعي اختياره، الدراسات السابقة التي استفدت منها. منهج البحث، يحتوي البابين على الآتي:

الباب الأول:	**القراءات القرآنية تعريف وتأريخ**
الفصل الأول:	مفهوم القراءات
الفصل الثاني:	القراء وأنواع القراءات
الفصل الثالث:	أوجه اختلاف القراءات (الأسباب والفوائد)
الباب الثاني:	**أثر اختلاف القراءات في التفسير**
الفصل الأول:	أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة النساء
الفصل الثاني:	اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة المائدة
الفصل الثالث:	أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأنعام
الفصل الرابع:	ثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأعراف
الفصل الخامس:	أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأنفال
الفصل السادس:	اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة التوبة
الفصل السابع:	اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة يونس υ
الفصل الثامن:	اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة هود υ
الفصل التاسع:	اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة يوسف υ

الفصل العاشر: اثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الرعد
الفصل الحادي عشر: ثر اختلاف القراءات في تفسير سورة إبراهيم υ

الخاتمة:

وفيها ذكرت ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات من خلال هذا البحث المتواضع، فإن أصبت فمن الله تعالى، وا ِن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله أسأله القبول والإخلاص والصدق في القول والعمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ρ.

وبعد:

فإن صلة القراءات بتفسير القرآن صلة وثيقة، ودليل ذلك عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن، حتى في كيفيات الأداء، ثم إن للقراءات حالتين:

أحدهما: لا تعلق لها بالتفسير بحال. والثانية: لها تعلق به من جهات متفاوتة.

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات؛ كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل، والتحقيق، والجهر، والهمس، والغنة، مثل: [ذَ ابِي ْ](1)، بسكون الياء وَ [عَ ذَابِي َ] بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب، مثل قوله تعالى: [حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ](2)، بفتح لام يقول وضمها(3).

ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو: تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق؛ بتلقي ذلك عن قُرّاء القرآن . من الصحابة . بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرض مهم جدا، لكنه لا علاقة له بالتفسير، لعدم تأثره في اختلاف معاني الآية.

وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات، مثل قوله تعالى: [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] و [مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ](4)، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل، كقوله تعالى: [وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ](5)، فقد قرأ نافع وابن عامر والكسائي [يَصُدُّونَ] بضم الصاد مضارع (صد، يصُد) بضم العين، بمعنى: يصدون غيرهم عن الإيمان، وقرأ الباقون

---

(1) القمر، الآية (16).

(2) البقرة، الآية (214).

(3) قرأ نافع [يَقُولُ] برفع اللام؛ على أنه ماض بالنسبة إلى زمن الإخبار، أو حال؛ باعتبار حكاية الحال الماضية، فلم تعمل فيه حتى، وقرأ الباقون [يَقُولَ] بنصب اللام. انظر: الكشف، (1/286).، كتاب السبعة، ص(181)، الحجة: ابن زنجلة، ص(131).

(4) الفاتحة، الآية (4).

(5) الزخرف، الآية (57).

بكسر الصاد، مضارع (صد، يصِد) بكسر العين، والمعنى: صدودهم في أنفسهم. وكلا المعنيين حاصل منهم.

والقراءات في هذه الجهة لها مزيدا تعلق بالتفسير؛ لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره؛ ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة، نحو قوله تعالى: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ]، وقرئ: [أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ][1]، وقوله: [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا]، مع قراءة: [الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا][2].

والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيرا للمعاني؛ إذا جزمنا أن جميع الوجوه في القراءات المشهورة، مأثورة عن النبي ρ، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما تحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه، فتكثر . من جراء ذلك . المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر . في مختلف القراءات . مجزئا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن، ولذلك فإن اختلاف القراء في اللفظ الواحد قد يكون معه اختلاف المعنى، ولم يكن حمل أحد القراءتين على الأخرى متعينا ولا مرجحا السبعية.

وإن بحثا كهذا يتناول بالدراسة والتحليل القراءات الصحيحة، وأثرها في التفسير يقتضي منهجيا توضيح معنى القراءات، لغة واصطلاحا،

وهو ما ضمنته في الباب الأول. وقد قصرت هذه الدراسة على القراءات السبعية المتواترة عن النبي ρ، واستهدفت منها الكشف عن أثر هذه القراءات في التفسير، من سورة النساء إلى سورة إبراهيم υ.

---

(1) البقرة، الآية (٤٣).

(2) الزخرف، الآية (١٩)، فقد قرأ أبو عمرو والكوفيون: [عِبَادُ] بباء موحدة مفتوحة، مع ضم الدال، جمع عبد، ويؤيد ذلك قوله تعالى: [بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ] الأنبياء (٢٦)، وقرأ الباقون: [عِنْدَ] بنون ساكنة بعد العين، مع فتح الدال، ظرف مكان، وفي ذلك دلالة على جلالة قدر الملائكة، وشرف منزلتهم، ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ] الأعراف (٢٠٦)، النشر، (٢/).

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والحمد لله الذي أنعم علي بإكمال هذا البحث المتواضع، والذي توصلت من خلاله إلى هذه النتائج:

(١) الاختلاف في القراءات ينقسم إلى قسمين: (أ) **اختلاف في الأصول:** وهو ما كثر دورانه ويرجع إلى أصل مطرد، والاختلاف فيه اختلاف وجوه النطق بالحروف والحركات؛ كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل بين الهمز والواو، وبين الهمز والياء، وبين الهمز والألف، والإبدال واواً أو ياءً أو ألفاً، والتحقيق في الهمزتين أو إسقاط إحداهما، وإثبات الياءات وحذفها. وهذا الاختلاف لا يؤدي إلى تأثير في المعنى، إلا ما ذكر عند قوله تعالى: [كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى][1]، لاختلاف عمى الدنيا عن عمى الآخرة.

وهذا الاختلاف حفظ على العربية ما لم يحفظ في غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف من مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف لهجات العرب في النطق، وهذا غرض مهم، لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في المعنى.

(ب) **الاختلاف في الفرش:** وهو ما قل دورانه، ولا يرجع إلى أصل مطرد، وهو كاختلاف القراء في حروف الكلمات، واختلافهم في الحركات الذي يختلف معه المعنى، والاختلاف من هذه الجهة له مزيد تعلق بالتفسير.

(٢) الاختلاف في ألفاظ القرآن يُكَثِّر المعاني في الآية الواحدة.

(٣) أن الوحي كان ينزل بالوجهين وأكثر؛ تكثيرا للمعاني.

(٤) جميع الوجوه في القراءات السبعية مأثورة عن النبي ρ.

(٥) اختلاف القراءات يدل على بلاغة القرآن.

(٦) اختلاف القراءات فيه تخفيف لهذه الأمة، واستجابة لرغبة نبيها ρ في التخفيف عن أمته.

(٧) الاختلاف في القراءات مع كثرته لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به، ρ.

(٨) من خصائص القراءات أنها تعضد فن التفسير بحيث لا يستغني عنها مفسر، حتى عدّ العلماء من شروط المفسر العلم بالقراءات.

(٩) اختلاف القراءات تساعد في استنباط الأحكام الفقهية وما يتفرع عليها من خلاف.

---

(1) الإسراء، الآية (٧٢).

هذا غيض من فيض، فله الحمد والمنة أن أنعم علينا بالقرآن الكريم. فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله اسأله القبول وأن يجعله خالصا له، ويفيد به كل من وقف عليه، وصلى الله على سيدنا المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالبة.

المبحث الأول
تعريف القراءات

أولاً: القراءات في اللُّغة:

القِراءات: جمع قِراءةٍ، وهي في الأصل مصدر سماعي من قَرأ يَقرأ قِراءةً وقُرآناً، واسم الفاعل منه قَارِئٌ، وجمعه قُرَّاء، ويأتي الفعل غير المهموز؛ كـ(قرى)، ولا يختلف مع الأول في معناه، قال ابن فارس[1]: «(قرى) القاف والراء والحرف المعتل: أصلٌ صحيحٌ، يدل على جمعٍ واجتماعٍ، وإذا همز هذا الباب كان هو والأول سواء».

ويطلق لفظ (قَرَأَ) ويُراد منه عدة معانٍ:

قَرَأْتُ الكتاب: قِرَاءَةً وقُرْآناً: معناه تتبَّعت كلماته نظراً، ونطقت بها.

قرأت الكتاب: قِرَاءَةً وقُرْآناً: إذا تتبعت كلماته نظراً ولم أنطق بها. وهي ما تُسمى حديثاً بالقراءة الصامتة..

وقَرَأْتُ الآية من القُرْآن: إذا نطقت بألفاظها عن نظر أو عن حفظ، فأنت قارِئٌ، والجمع قُرَّاء.

وإذا قلت: أقرأتُ فُلاناً: معناه جعلته يقرأ، فأنت مُقْرِئ.

وإذا قلت: أقرأته السَّلامَ: أي؛ أَبْلغه إيّاه[2]، وفي الحديث: (جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ)[3].

وقَارَأَهُ مُقَارَأَةً وقِرَاءً. بغير هاءٍ: شاركه القراءة.

واقْتَرَأَ القرآن والكتاب: قَرَأَهُ.

واسْتَقْرَأَهُ: طلب إليه أن يَقْرأ[4].

وأَقْرَأُ: اسم تفضيل من قَرَأَ؛ أي: أَجْود قِرَاءَةً.

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همزان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفى فيها سنة (٣٩٥هـ)، وإليها نسبته، من تصانيفه: (مقاييس اللغة) و(الصاحبي) في علم اللغة، وله شعر حسن. انظر: البداية والنهاية (٣٣٦،٣٣٥/١١).

(٢) كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السّلام ويرده، ويُقال في الأمر منه: أَقْرِئْ فُلاناً السَّلامَ. وأَقْرِئْ عليه السَّلامَ. وتعديته بعلى خطأ، فلا يُقال: أَقْرَأْهُ السَّلام: لأنه بمعنى أتل عليه، إلا إذا كان مكتوباً في ورق فتقول: أَقْرِئْهُ السَّلامَ؛ أي: أجعله يقرؤه. انظر: معجم الأخطاء الشائعة، ص(٢٠١).

(٣) نص الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لاَ نَرَى) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً، (٨١/٨)، رقم الحديث(٢٢٣).

(٤) ومن الأخطاء الشائعة أن يُقال: استقرأ الأشياء أي؛ تبيَّنها لمعرفة أحوالها وخواصّها، فالصَّواب أن تقول: اِسْتَقْرى الأَشْيَاء. انظر: معجم الأغلاط النحوية المعاصرة، ص(٥٤٧).

:ورجُلٌ قَرَّاء: أي حَسَنُ القِراءة، من قومٍ قَرَّائين، ولا يُكسَرَّ .

والقرآن: كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ρ ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، والمبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس(١).

والقرآن: القراءة، وفي التنزيل: [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ](٢)،أي: قراءته(٣):

والقراءة: المصدر، والجمع: قراءات؛ أي كيفية القراءة(٤).

ثانياً: القراءات في الاصطلاح:

ذكر عُلماء القراءات تعريفات كثيرة للقراءات في الاصطلاح، من أشهرها:

قول الزركشي(٥):« القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما» (٦).

وقول ابن الجزري(٧):«القراءات هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً (٨) لناقله»(٩). أما الدمياطي(١٠)فقد أسهب في تعريفه للقراءات فقال: «القراءات علم يُعلم منه اتفاق

---

(١) مباحث في علوم القرآن: الدكتور مناع القطان، (ط/٣)، (٢٠٠٠م)، ص(١٧).

(٢) القيامة، الآية (١٨).

(٣) فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد علي الشوكاني، (د/ط)، (١٩٨٣م)، (٣٣٨/٥).

(٤) انظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، للشيخ: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (د/ط)، (١٩٧٩م)، (٦٥/١). لسان العرب: للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (د/ط)، (د/ت)، (١٣٠.١٢٨/١). القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، (ط/٢)، (١٩٥٢م)، (١٢٥/١). ومختار الصحاح: تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (د/ط)، (د/ت)، ص(٥٢٦).

(٥) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، أحد علماء القرن الثامن، كان عالماً متبحراً، من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن، توفي سنة (٧٩٤هـ) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:(١٠٧/٤).

(٦) البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (د/ط)، (د/ت)، (٤٦٥/١).

(٧) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، الدمشقي، الشهير بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها، ومات فيها سنة (٨٣٣هـ) انظر: غاية النهاية (٢٥١.٢٤٧/٢).

(٨) معزواً: من عزا الرجل إلى أبيه عَزْواً؛ إذا انتسب، والاسم العِزْوة. لسان العرب، (٥٢/١٥).

(٩) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: للإمام محمد بن محمد بن الجزري، (د/ط)، (١٩٨٠)، ص(٣).

(١٠) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، عالم بالقراءات، ولد ونشأ بدمياط، وأخذ عن علماء القاهرة والحجاز واليمن، وأقام بدمياط، وتوفي بالمدينة حاجاً سنة(١١١٧هـ)، ودفن بالبقيع، من كتبه (اختصار السيرة الحلبية). الأعلام (٢٤٠/١).

الناقلين لكتاب الله عز وجل، واختلافهم في الحذف، والإثبات، والتحريك، والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع »[١].

والقراءة تُطلق في الاصطلاح ـ أيضاً ـ على ما يقرئه الإمام، قال الجعبري[٢]:« اعلم أن القرّاء اصطلحوا على أن يسموا (القراءة) للإمام، و(الرّواية) للآخذ منه مطلقاً، (والطّريق) للآخذ عن الراوي، فيُقال: قراءة نافع، رواية قالون، طريق أبي نشيط[٣]، ليُعلم منشأ الخلاف، فكما أن لكلّ إمام راويين، فكذلك لكل راوٍ طريقان »[٤].

وفي ضوء هذه التعريفات نخلص إلى أن القراءة: هي النُّطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي ρ أو كما نُطقت أمامه فأقرّها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي ρ فعلاً أو تقريراً، واحداً أم متعدداً.

ويعني التعريف ـ هنا ـ أن القراءة قد تأتي سماعاً لقراءة النبي ρ وفعله، أو نقلاً لقراءة قُرئت أمامه فأقرّها[٥]، وإن القراءة قد تروي لفظاً واحداً، وهو ما يُعبر عنه بالمتفق عليه بين القرّاء، وقد تروي أكثر من لفظ واحد، وهو ما يُعبّر عنه بالمختلف فيه بين القرّاء[٦].

مما سبق يتضح لنا الآتي:

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: تأليف العالم الشيخ أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء. (د/ط)، (د/ت)، ص(٥).

(٢) إبراهيم بن عمر بن خليل الجعبري السلفي، محقق حاذق ثقة كبير، شرح الشاطبية والرائية وألف التصانيف، وقرأ للسبعة على أبي الحسن علي الوجوهي، وللعشرة على المنتخب حسين بن حسن التكريتي، روى الشاطبية بالإجازة عن عبد الله بن إبراهيم الجزري، توفي سنة (٧٣٢هـ). انظر: غاية النهاية (٢١/١).

(٣) محمد بن هارون أبو جعفر الربعي، يعرف بأبي نشيط، مقرئ جليل ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن (قالون)، وروى القراءة عنه عرضاً أبو حسان أحمد بن الأشعث، وعنه انتشرت روايته عنه أداءً عن قالون، قال ابن أبي حاتم: «صدوق»، توفي سنة (٢٥٨هـ). انظر: غاية النهاية (٢٧٣.٢٧٢/٢).

(٤) نقلا عن القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف: للدكتور عبد الهادي الفضلي، (ط/٢)، (١٩٨٠م)، ص(٢٥).

(٥) منها قول عمر بن الخطاب t: «سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ρ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ρ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ρ فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»). أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة، وسورة كذا وكذا،(٣٣٤.٣٣٣/٦)، حديث رقم (٦٢). وسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٢٠٢/٢).

(٦) انظر: القراءات القرآنية، ص(٦٥.٦٤).

أولاً: إن موضوع علم القراءات هو كلمات القرآن من حيث أحوال النُّطق بها، وكيفية أدائها.

ثانياً: إن استمداد هذا العلم من النقول الصحيحة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله ρ.

ثالثاً: إن المُقرئ عالم بها أداءً، ورواها مُشافهة، فلو حفظ كتاباً امتنع إقراؤه بما فيه، إن لم يشافهه من شيوخه مشافهة. والقارئ المُبتدئ: من أفرد إلى ثلاث روايات. والقارئ المُنتهي: من نقل منها أكثرها[1].

رابعاً: القُرآن والقِراءات حقيقتان مُتغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل للإعجاز والبيان، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو في كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما[2].

خامساً: حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة، ومعناه أن لا ينقطع عدد التَّواتر فلا يتطرق إليه التَّبديل والتَّحريف، وكذا تعليمه أيضاً فرض كفاية، وتعلُّم القراءات أيضاً وتعليمها[3].

---

(١) منجد المقرئين، ص(٣).

(٢) وهو رأي الدمياطي، والذي يتضح لنا أن هذا القول على إطلاقه لا يجوز، فالقراءات السبعية متواترة، بل هي القرآن نفسه، فكما أن القرآن وحي منزل من عند الله تعالى، فإن الوحي نزل بكل وجه من الأوجه المتواترة التي يُقرأ عليها القرآن الكريم، فكما أن الوحي نزل بقوله: [نُنشِزُهَا] البقرة الآية(٢٥٩) وهي من القرآن من دون شك، فقد نزل كذلك بقراءة [نُنشِرُهَا] وهي من القرآن أيضا، فكل قراءة من القراءات المتواترة سدت مسد آية، ولكن إن كان الدمياطي رحمه الله قصد من قوله: «إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان» جميع القراءات الواردة المتواترة منها وغير المتواترة، الموافقة لخط المصحف والمخالفة له، فإن قوله غيرصحيح؛ وذلك أنّا لا نقول بقرآنية ما لم يثبت متواترا من القرآن؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، أما القراءات الأخرى المنقولة بأخبار الآحاد فهي مغايرة للقرآن، لأنّا لا نقطع بكونها قرآنا.

(٣) الإتحاف، ص(٥).

المبحث الثاني
نشأة القراءات

مما سبق اتضح لنا أن القراءة قُرآن لا تنفك قرآنيتها عنه ما دامت قد تواترت، ولقد بدأ نزول الوحي بأول كلمة في أول سورة نزلت، وهي قوله تعالى: [اقْرَأْ](١).

ولذلك . وقبل الحديث عن نشأة القراءات . لابد من القول بأن المصدر الوحيد للقراءات إنما هو الوحي النازل من السماء إلى النبي ρ الذي بلّغه بكل دقة وبكل حركة إلى أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، فكان يُقرئهم إياه كما أُنزل. فعن ابن مسعود(٢)، رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ρ: (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)(٣).

ولقد مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة، قطعتها ضمن مراحل شتى، مُتداخل بعضها في بعض، وتمثلت تلكم الأدوار التاريخية للقراءات في المراحل الآتية:

المرحلة الأولى:

تمثلت المرحلة الأولى . والتي هي بمثابة نشوء للقراءة القرآنية . في تعليم جبريل عليه السلام القرآن الكريم للنبي العظيم ρ، وذلك في بدء نزوله، وبأول آية منه: [اقْرَأْ](٤). حيث أُعربت بوضوح عن إقراء وتعليم جبريل عليه السلام القرآن الكريم للنبي ρ، بقوله تعالى: [اقْرَأْ] متلقياً بذلك الرسالة الإلاهية إلى البشرية.

المرحلة الثانية:

---

(١) جاء في صحيح البخاري في حديث بدء الوحي ما يقتضي أن أول ما نزل على النبي ρ قوله: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ثم المدثر. انظر: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ρ، حديث ورقة بن نوفل، (٥.٣/١)، حديث رقم (٣). وقد جاء ما يُعارض هذا النص، ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه: (أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ). انظر: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ρ، (٩٩/١). وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبي ρ يذكر قصة بدء الوحي، فسمع آخرها ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزل، وليس كذلك، نعم هي أول ما نزل بعد سورة (اقرأ) وفترة الوحي، كما ثبت في الصحيحين. انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٠٦/١ . ٢٠٧).

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جُمَّة، أمَّره عمر بن الخطاب على الكوفة، توفي سنة (٣٢هـ) أو في التي بعدها. تقريب التهذيب (٤٥٠/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن الكريم من غيره، (٣٣٦/٦)، حديث رقم (٧٠).

(٤) قرأ الجمهور: [اقْرَأْ] بسكون الهمزة أمراً من القراءة، وقرأ عاصم في رواية عنه بفتح الراء، وكأنه قلب الهمزة ألفاً ثم حذفها للأمر، والأمر بالقراءة يقتضي مقروءاً، فالتقدير: اقرأ ما نُزِّل عليك. فتح القدير (٤٦٨/٥).

تمثلت في تعليم النبي ρ، واقرائه المسلمين، وقراءته لمن يدعوهم إلى الإسلام، امتثالاً لقوله تعالى: [وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ[1] لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً][2][3].

وتعليم النبي ρ وإقراؤه للمسلمين وقراءته لمن يدعوهم إلى الإسلام؛ من الثبوت بمكان لا تفتقر بعد إلى استدلال، فقد ورد في هذا أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن مسعود: (أن رَسُولُ الله ρ: كَانَ يُقْرِئُهُمُ الْعَشْرَ فَلا يُجَاوِزُونَهَا إلى عشرٍ أُخْرى حتَّى يتَعَلَّمُوا مَا فِيها مِنَ الْعَمَلِ. فيعلِّمُهم القُرْآن والعَمَلَ جَمِيعاً)[4].

المرحلة الثالثة:

تمثلت في تعليم بعض المسلمين البعض آي القرآن وسوره، وإقراؤهم كذلك، وكان يقع هذا بأمر النبي ρ وإرشاده، وبقيامه بنفسه به أيضاً ، فقد جاء في حديث إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5]، (... وكان خباب بن الأرت[6]، يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب[7] يُقرئها القرآن)[8].

المرحلة الرابعة:

وهذه المرحلة كانت بوجود جماعة عُرِفوا بتعاهدهم القرآن الكريم بتلاوته، وتدارسهم آيه وسوره بينهم، وكانوا يُسمون (القرّاء).

---

(١) في قوله: [فَرَقْنَاهُ] قرأ الجمهور بالتخفيف، وقال الزجاج: «فرّقه في التنزيل ليفهمه الناس». قال أبو عبيدة: التخفيف أعجب إليّ ؛ لأن تفسيره بيّناه، وليس للتشديد معنى،إلا أنه نزل متفرقاً ». واتفقوا أيضاً على ضم الميم في [مُكْثٍ] انظر: فتح القدير (٢٦٤/١).

(٢) الإسراء، الآية (١٠٦).

(٣) قوله: [فَرَقْنَاهُ] أي: بيّناه وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحقّ والباطل، وقوله: [لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ] توضح لعلة قوله: [فَرَقْنَاهُ]؛ أي: على تطاول في المدة شيئاً بعد شيء، أو أنزلناه آية فآية وسورة سورة، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، لأنهم لو أُخذوا بجميع الفرائض في وقتٍ واحد لنفروا ولم يطيقوا. انظر: فتح القدير، (٢٦٤/٣).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره، انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٩/١).

(٥) عمر بن الخطاب بن نُفيل العدوي، أمير المؤمنين، مشهور، جمُّ المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة(٢٣هـ) وولِّي الخلافة عشر سنين ونصفاً. تقريب التهذيب (٥٤/٢).

(٦) خباب بن الأرت التميمي، أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، وكان يعذب في الله، وشهد بدراً، ثم نزل الكوفة، وتوفي بها سنة (٣٧هـ). انظر: تقريب التهذيب (٢٢١/١.٢٢٢).

(٧) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية، صحابية، من السابقات إلى الإسلام، أسلمت قبل أخيها عمر، وأخفت إسلامها عنه، فدخل عليها فسمعها تتلو آيات من القرآن فضربها وشجها، والخبر معروف في إسلام عمر، وكانت زوجة لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. انظر: الإصابة (٦٢/٨).

(٨) البداية والنهاية: للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير، (ط/١)، (١٩٦٦م)، (٧٩/٣).

وهذه المرحلة كانت بداية التَّسمية، وبدء نشوء هذا المصطلح، والدليل على ذلك ما رواه ابن عمر[١]، رضي الله عنهما: قال رسول الله ρ: (اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ[٢] مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى[٣] أَبِي حُذَيْفَةَ[٤]، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ[٥]، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[٦])[٧]. وجاء في كتاب المغازي (... وكان في الأنصار سبعون رجلاً شببة يُسمون (القُرّاء)، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة، فتدارسوا وصلّوا)[٨].

المرحلة الخامسة:

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة في رواية الحديث، وأحد العبادلة الأربعة المشهورين، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، توفي سنة (٧٣هـ) في آخرها، أو أول التي تليها. تقريب التهذيب (٤٣٥/١).

(٢) قوله: استقرئوا: اطلبوا، وجاء في فتح الباري: وإنما خصّ النبي ρ بعضهم بقوله: (استقرئوا) لاحتمال أنهم كانوا أكثر ضبطاً له، وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة، وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (١٠٢/٧).

(٣) سالم بن معقل، أبو عبد الله، مولى أبي حذيفة، من كبارهم وكبار قرائهم، فارسي الأصل، من السابقين إلى الإسلام، كان يؤم المهاجرين الأول قبل الهجرة في مسجد قباء، شهد بدراً، واستشهد في يوم اليمامة، وأوصى بأن يدفن بجانب مولاه. انظر: الإصابة (١٤.١٣/٣).

(٤) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، كان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وصلّى إلى القبلتين، كان طوالاً حسن الوجه، استشهد يوم اليمامة. انظر: الإصابة (٨٧/٧).

(٥) أبي بن كعب بن مالك الأنصاري، الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته، اختلافا كثيراً، قيل سنة (١٩هـ)، وقيل غير ذلك، تقريب التهذيب (٤٨/١).

(٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، توفي بالشام سنة (١٨هـ). تقريب التهذيب (٢٥٥/٢).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ρ، باب مناقب عبد الله بن مسعود، (١٠٤.١٠٣/٥)، رقم الحديث (٢٨٢). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، (١٤٩/٧).

(٨) وهم الذين قتلوا في غزوة (بئر معونة) التي وقعت في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مُهاجرة النبي ρ، عن أنس رضي الله عنه قال: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ وَجَدَ عَلَى سَرِيَّةٍ مَا وَجَدَ عَلَى السَّبْعِينَ الَّذِينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، كَانُوا يُدْعَوْنَ الْقُرَّاءَ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى قَتَلَتِهِمْ). أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة،(١٣٦/٢). انظر: كتاب المعازي (٣٤٧/٢).

وتتمثل هذه المرحلة في تصدِّي بعض الصحابة لحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وقيامهم بذلك، ويعد الذهبي[1] في كتابه: سبعة ممن حفظوا القرآن في حياة النبي ρ وهم: أبي ابن كعب، وعبد الله بن مسعود، أبو الدرداء عُويمر بن زيد[2]،وعثمان بن عفان[3]، وعلى بن أبي طالب[4]، وأبو موسى الأشعري[5]، وزيد بن ثابت[6]. معقباً على ذلك بقوله: «فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ρ وأخذ عنهم عرضاً [7]، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة»[8].

المرحلة السادسة:

وفيها تحولت القراءة إلى تلمذة أو رجوع إلى حفظة: أمثال الصحابة الذين تقدّم ذكر أسمائهم، أو إلى من عُرِفوا بها، للقراءة عليهم، وللأخذ منهم.

وكانت الكوفة[9] من أشهر المدن الإسلامية بعد المدينة المنورة عِنايةً بالقرآن الكريم وقراءاته، فقد شغل أهل الكوفة منذ وقت مبكر من تأسيسها بالقرآن الكريم: قراءاته وإقرائه وتفسيره،

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، رحل إلى القاهرة، وطاف كثيراً من البلدان، تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها (طبقات القراء)، (الكاشف)، في تراجم رجال الحديث، و(المستدرك على مستدرك الحاكم في الحديث)، توفي في ذي القعدة سنة (٧٤٨هـ). غاية النهاية (٧١/٢).

(٢) عُويمر بن زيد، أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ρ بلا خلاف، ولي قضاء دمشق، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: غاية النهاية(٦٠٦/١.٦٠٧).

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرة، استشهد في ذي الحجة، بعد عيد الأضحى، سنة (٣٥هـ). انظر: تقريب التهذيب (١٢/٢).

(٤) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله ρ، وزوج ابنته، من السابقين الأولين، وهو أحد العشرة، توفي في رمضان سنة (٤٠هـ)، وله (٦٣ سنة). تقريب التهذيب (٣٩/١).

(٥) عبد الله بن قيس بن مسلم بن حضّار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أمّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصِفِّين، توفي سنة (٥٠هـ) وقيل بعدها. تقريب التهذيب (٤٤١/١).

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري، أبو سعيد، وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق: «كان في الراسخين في العلم»، توفي سنة (٤٨هـ). تقريب التهذيب (٢٧٢/١).

(٧) قوله: «عرضاً» إشارة إلى أحد أنواع طرق تحمل الحديث، ويسمى أيضاً القراءة على الشيخ، وقد اشتهر بـ(العرض) وذلك لأن القارئ يعرضه على الشيخ سواء قرأ هو أم غيره وهو يسمع، وسواء قرأ من كتاب أم حفظ، وسواء كان الشيخ يحفظه أم لا، إذا كان يمسك أصله هو أو ثقة غيره، وهي رواية صحيحة بإتفاق. واختلفوا في أن القراءة على الشيخ مثل السماع من لفظه في المرتبة أو وفوقه أو دونه، فالصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ، وهو مذهب الجمهور. انظر: الخلاصة في أصول الحديث، ص(١٠١.١٠٢).

(٨) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ط/١)، (١٩٨٤م)، (٤٢/١).

(٩) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم (خد العذراء). طولها (٦٩,٥ْ)، وعرضها (٣١,٥ْ) ولقد مُصِّرت في أيام عمر بن الخطاب في سنة(١٧هـ). معجم البلدان (٤٩٠/٤.٤٩٤).

وقد وصفهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن لهم دوياً بالقرآن كدوي النحل(١). وكانت أوليات تلمذتهم على ابن مسعود الذي بعث به عمر بن الخطاب إليهم، رضي الله عنهم أجمعين. والمرحلة هذه لم تتعد النصف الأول من القرن الأول الهجري.

المرحلة السابعة:

وفي هذه المرحلة بدأت وجوه القِراءة المختلفة تأخذ طريقها في الرِّواية ومساراتها في النقل؛ فمن المهاجرين: سالم مولى أبي حذيفة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود. ومن الأنصار: أبي بن كعب، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم. والمرحلة هذه لم تتعد القرن الأول الهجري.

المرحلة الثامنة:

وتتمثل في تعيين الخليفة عثمان بن عفان مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، بعد توحيده المصاحف، وذلك ليقرأ على الناس بمصحفه. ومبعوثو عثمان بن عفان هم:

(١) عبد الله بن السائب المخزومي(٢) إلى مكة المكرمة.

(٢) أبو عبد الرحمن السُّلمي(٣) إلى الكوفة، والتي سبقه إليها ابن مسعود.

(٣) عامر بن عبد قيس(٤) إلى البصرة(٥).

(٤) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي(٦)، إلى الشام(١).

---

(١) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، د. يوسف خليف، (د/ط)، (١٩٦٨م) ص(٢٤٤).

(٢) عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، المكي، له ولأبيه صحبة، وكان قارئ أهل مكة، توفي سنة (٦٠ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١/٤١٧.٤١٨).

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربَيِّعة، أبوعبد الرحمن السلمي الكوفي، المقري، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، من الثانية، توفي بعد السبعين. تقريب التهذيب (١/٤٠٨).

(٤) عامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس العنبري، تابعي، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري، حين قدم البصرة،وعلّم أهلها القرآن، فتخرج عليه في النسك والتعبد، وهو من أقران أويس القرني، وأبي مسلم الخولاني، توفي ببيت المقدس في خلافة معاوية سنة (٥٥هـ). تهذيب التهذيب (٥/٧٧).

(٥) البصرة: هي بأرض العراق، طولها (٧٤)، وعرضها (٣١)، إنما سميت بذلك لغلظها وشدتها، وقد مُصِّرت قبل الكوفة بستة أشهر، ولقد ولد بها أبو عبد الرحمن بن أبي بكرة وهو أول مولود يولد بالبصرة، وأول من غرس النخل بها، وقال: «هذه أرض نخل»ثم غُرس النخل بعده. انظر: معجم البلدان (١/٤٣٠.٤٤١).

(٦) عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة، أبو هاشم المخزومي الشامي،أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان، أخذ القراءة عنه عرضاً عبد الله بن عامر، توفي سنة (٩١هـ). انظر: غاية النهاية (٢/٣٠٥.٣٠٦).

(٥)زيد بن ثابت، وقد عينه عثمان بن عفان أن يُقرئ في المدينة.

وكان هذا في حدود سنة ثلاثين من الهجرة، كما يذكر ابن الجزري[٢] وقد توخّى عثمان ابن عفان في اختيار هؤلاء الموفودين أن يكون مع كل مصحف قارئ تُوافق قراءته أهل ذلك المصر في الأكثر الأغلب.

وفي هذه المرحلة كان بدء التفرقة بين القِراءات المُعتبرة والقُراءات الأحادية والشّاذة[٣] وبدء دخول شرط مطابقة الرّسم في اعتداد القِراءة المُعتبرة.

المرحلة التاسعة:

وتأتي هذه المرحلة في إقبال نفر من كل مصر على المُصحف العثماني، وقِراءاته وفق ما تلقَّوه من الصحابة، عن النبي ρ.

وفي هذه المرحلة كان ما يُعرف عند القراء بالاختيار: وهو أن يعمد من كان أهلا له إلى القراءات المروية، فيختار منها ما هو الراجح عنده، ويجرد من ذلك طريقاً في القراءة على حدة[٤]. فنافع ـمثلاً ـ قرأ على سبعين من التابعين, واختار مما قرأه، ورواه عنهم ما اتفق عليه اثنان وترك ما سواه، وهكذا سائر القراء، وقد شملت هذه المرحلة النصف الثاني من القرن الأول الهجري، والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.

المرحلة العاشرة:

وهي التي يقول فيها ابن الجزري:ثم تجرد قومٌ للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمةً يُقتدى بهم ويُرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان. ولتصدِّيهم للقراءة نُسبت إليهم.

---

(١) الشام: حدها من العراق إلى العريش المتاخم للديار (المصرية)، وأما عرضها فمن جبلي طئ، إلى بحر الروم، وما بشأمة ذلك من البلاد، وبها من أمهات المدن: حلب، وحماة، وحمص، ودمشق، وبيت المقدس، سميت بذلك لكثرة قراها، وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات. انظر: معجم البلدان (٣١١.٣١٤).

(٢) النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، (د/ط)، (د/ت)، ص(٧).

(٣) وهو نتيجة لما هدف إليه عثمان بن عفان من جمع المسلمين في تلاوتهم للقرآن على القراءات المعتبرة التي وزّعها على مواضعها باختلاف المرسوم أو بتحمله لها، قال القاضي أبو بكر: «لم يقصد عثمان مقصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة عن النبي ρ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف واحد، باتفاق المهاجرين والأنصار لمَّا خشي الفتنة، باختلاف أهل العراق والشام في بعض الحروف» انظر: الانتصار، (١/٦٥).

(٤) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: الشيخ طاهر الجزائري، (د/ط)، (١٩٣٤م)، ص(٩٠).

فكان بالمدينة: أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع[١]، ثم شيبة بن نصاح[٢]، ثم نافع بن أبي نعيم. وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحُميد بن قيس الأعرج[٣]، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن[٤]. وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب[٥]، وعاصم بن أبي النّجود، وسليمان الأعمش[٦]، ثم حمزة، ثم الكسائي. وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق[٧]، وعيسى بن عمر[٨]، وأبو عمرو ابن العلاء، ثم عاصم الجحدري[٩]، ثم يعقوب الحضرمي[١٠].

---

(١) يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القاري، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم. روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، وغيره، توفي بالمدينة سنة (١٠٣هـ). انظر :غاية النهاية (٢/٣٨٣.٣٨٤).

(٢) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر، وقاضيها، ومولى أم سلمة رضي الله عنها، وهو من قراء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبي ρ، عرض على ابن عياش، عرض عليه نافع، وأبو عمرو وهو أول من ألف في الوقوف، توفي سنة (١٣٠هـ). غاية النهاية (١/٣٢٩.٣٣٠).

(٣) حُميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي، القارئ ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر، وروى القراءة عنه سفيان بن عيينة، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهما، توفي سنة (١٣٠هـ). غاية النهاية (١/٢٦٥).

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، عرض على مجاهد بن جبر، ودرباس،وسعيد بن جبير، وعرض عليه شبل بن عباد، و ابن العلاء، قال أبو عبيدة: «كان ابن محيصن من قراء مكة، وكان أعلمهم بالعربية وأقواهم عليها». توفي سنة (١٢٣هـ) بمكة. غاية النهاية (٢/١٦٧).

(٥) يحيى بن وثاب الأسدي، مولاهم الكوفي، تابعي، ثقة كبير من العباد الأعلام، روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم القرآن من عبيد بن نضلة آية آية وعرض عليه، عرض عليه سليمان الأعمش وغيره، قال ابن جبير :«كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه»، توفي سنة (١٠٣هـ). غاية النهاية (٢/٣٨٠).

(٦) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي، الإمام الجليل، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي، وعاصم بن ابي النجود، ومجاهد بن جبر وغيرهم، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حمزة الزيات. توفي في ربيع الأول سنة (١٤٨هـ). غاية النهاية (١/٣١٥.٣١٦).

(٧) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري أخذ القراءة عرضاً عن يحيى بن يَعمر ،روى القراءة عنه عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء، قال مَعْمر بن المثنى: «أول من وضع النحو أبو الأسود ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق»، توفي سنة (١٢٩هـ). غاية النهاية (١/٤١٠).

(٨) عيسى بن عمر، أبو عمر الثقفي النحوي البصري، معلم النحو، ومؤلف الجامع والإكمال في النحو، عرض القرآن على عبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري، وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً، وله اختيار في القراءات على قياس العربية. غاية النهاية (١/٦١٣).

(٩) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس، ويحيى بن يَعْمر، وروى حروفاً عن أبي بكر عن النبي ρ، قرأ عليه عرضاً أبو المنذر سلاّم بن سليمان وعيسى بن عمر الثقفي، توفي سنة (١٢٨هـ). غاية النهاية (١/٣٤٩).

(١٠) يعقوب بن إسحاق بن زيد، أبو محمد الحضرمي، مولاهم البصري، أحد القراء العشرة، أخذ القراءة عرضاً عن الطويل ومهدي بن ميمون، وروى القراءة عنه عرضاً محمد بن المتوكل الملقب بـ(رويس)، وروح بن عبد المؤمن، توفي سنة (٢٠٥هـ). غاية النهاية (٢/٣٨٦.٣٨٩).

وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي[١]، ثم يحيي بن الحارث الذماري[٢]، ثم شُريح بن زيد الحضرمي[٣]»[٤].

وهذا التخصص من هؤلاء القُرّاء وأمثالهم وفّر المادة لوضع علم القراءات وتدوينه والتأليف فيه، وقد بدأت هذه المرحلة في أواخر القرن الأول الهجري، وأوائل القرن الثاني الهجري.

المرحلة الحادية عشرة:

وهي مرحلة بدء التأليف في القراءات وتدوينها، ويختلف المؤرخون في أول من ألف فيها، فذهب الأكثر إلى أنه أبوعبيد القاسم بن سلام[٥]، وحسب ابن الجزري، أنه أبو حاتم السجستاني[٦]. وقال ابن عطية[٧] مبيناً أن أول من ألف في القراءات وتدوينها يحيى بن يَعْمر[٨]. فقال: «ألف

(١) عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي الحمصي الدمشقي، تابعي، قارئ دمشق بعد ابن عامر، ثقة، عرض القرآن على أبي الدرداء، عرض عليه بن أبي حملة، وروى عنه عبد الله بن العلاء بن زبر، قال أبو حاتم: « صالح الحديث»، توفي سنة (١٢١هـ). غاية النهاية (١/٥١٣.٥١٤).

(٢) يحيى بن الحارث بن عمرو بن سليمان، الذماري ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يعد من التابعين، أتي واثلة بن الأسقع وروى عنه وقرأ عليه، أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن عامر، وعلى نافع بن أبي نعيم، توفي سنة (١٤٥هـ). انظر: غاية النهاية (٢/٣٦٧.٣٦٨).

(٣) شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي، صاحب القراءة ومقري الشام، وله اختيار في القراءة، وروى عن الكسائي، وروى عنه ابنه حيوة، وروى أيضاً عنه قراءة الكسائي، توفي سنة (٢٠٣هـ) غاية النهاية (١/٣٢٥).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، (١/٩.٨).

(٥) القاسم بن سلاّم، بالتشديد، البغدادي، أبو عبيد، الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنف، من العاشرة، توفي سنة (٢٢٤هـ). تقريب التهذيب (٢/١١٧).

(٦) سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبو حاتم السجستاني، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض، له تصانيف كثيرة، عرض على يعقوب الحضرمي، وهو من جُلة أصحابه، وروى القراءة عنه محمد بن سليمان المعروف بالزردقي. غاية النهاية (١/٣٢٠).

(٧) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المجازي، من محارب قيس، الغرناطي، مفسر، فقيه، أندلسي عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولّي قضاء المريّة، وكان يكثر الغزوات في جيوش المسلمين، وتوفي بـ(الورقة). انظر: بغية الوعاة (٢/٧٣.٧٤).

(٨) يحيى بن يَعْمر أبو سليمان العدواني البصري تابعي جليل، عرض على ابن عمر، وابن عباس، وعلى أبي الأسود الدؤلي، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، قال البخاري في تاريخه: «أول من نقط المصاحف يحيى بن يَعْمر». غاية النهاية (٢/٣٨١).

يحيى بن يعمر، كتاباً في القراءات جمع فيه ما رُوي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألف ابن مجاهد(١)، كتابه في القراءات»(٢).

ومما يُميز هذه المرحلة أن التأليف فيها لم يقتصر على قراءات السبعة فقط، وبخاصة أن فيها ما هو سابق على جمع القراء السبعة كمؤلف يحيى بن يَعْمر، وكان بدء هذه المرحلة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري على يد يحيى بن يَعْمر.

المرحلة الثانية عشرة:

في هذه المرحلة كان تسبيع السبعة والاقتصار على جمع قراءاتهم في مؤلف خاص، وكان ذلك من قبل ابن مجاهد، في كتابه المرسوم بـ(القراءات السبعة).

والسبب في ذلك أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرين في العدد، كثيرين في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات، التي توافق المصحف، على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة فيه، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة، وحُسن الدين، وكمال العلم، قد طال عمره،و اشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم. فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً، إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر: فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة. قال مكي بن أبي طالب(٣) معللاً السبب الذي من أجله اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم فنُسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً .:«كلهم ممن اشتهرت إمامته، وطال عمره في الإقراء، وارتحال الناس إليه من البلدان» (٤).

ومن هذا التعليل وغيره ندرك أن هناك أمراً مهما دعا إلى ما قام به ابن مجاهد من تسبيعه السبعة، وهو: الحفاظ على منهج القراءات القرآنية؛ لئلا تخرج عن طريق النقل الموثوق به إلى

---

(١) أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن المجاهد، كبير العلماء بالقراءات في عصره، من أهل بغداد، وكان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطناً، جواداً، له كتاب (القراءات الكبير)، و(قراءة النبي ρ) و(كتاب الهاءات) و(كتاب الياءات). غاية النهاية (١/١٣٩.١٤٢).

(٢) مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية)، (ط/٢)، (١٩٧٢م)، ص(٢٧٥).

(٣) مكي بن أبي طالب حمُّوش، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان، طاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها، ثم سكن (قرطبة)، وخطب وأقرأ بجامعها، وتوفي فيها، له كتب كثيرة منها (مشكل إعراب القرآن). و(الإبانة في القراءات)، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: بغية الوعاة (٢/٢٩٨).

(٤) الإبانة عن معاني القراءات تأليف: مكي بن أبي طالب حَمُّوش القيسي: (د/ط)، (١٩٦٠م)، ص(٤٧.٤٨).

النقل المشكوك فيه، أو عن طريق الرِّواية والنقل عن الرسول الأعظم ρ إلى طريق الاجتهادات الشخصية[1].

وأما القياس الذي اتبعه ابن مجاهد في اختياره قراءات السبعة فهو:

(أ) أن يكون القارئ مُجمعاً على قراءته من قِبل أهل مصره.

(٢) أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة يدل على أصالة وعمق[2].

والمُلاحظ في مقياس ابن مجاهد هذا أنه منصبٌّ على تقويم شخصية القارئ بينما نجد تلميذه ابن خالويه[3] يعطينا مقياساً يُقوِّم فيه القراءة وهو:

(١) أن يكون الاختلاف في اللّفظ القرآني غير مُخالف للمصحف.

(٢) أن يكون الاختلاف في اللّفظ القرآني غير مُخالف للإعراب.

(٣) أن يكون الاختلاف في اللّفظ القرآني مما توارثته الأئمة[4].

المرحلة الثالثة عشرة:

وهي مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية وما إليها، وكان كتابا ابن مجاهد مثار الدراسات ومدارها[5]، وكان أول من ألف في الاحتجاج للقراءات السبع: أبو بكر محمد بن السَّري[6]، المعاصر لابن مجاهد، إلا أنه لم يتم كتابه، فقد صدر منه سورة الفاتحة وجزء من سورة البقرة[7].

---

(١) القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص(٣٦).

(٢) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، (ط/٢)، (١٤٠٠هـ)، ص(٤٥) و(٨٧).

(٣) الحسين بن أحمد بن خالويه، النحوي اللُّغوي، نزيل حلب، الإمام المشهور، أخذ القراءات عرضاً عن ابن مجاهد، وابن الأنباري، والنحو واللغة عن ابن دريد ونفطويه، له تصانيف كثيرة منها (البديع في القرآن الكريم)، و(حواشي البديع في القراءات)، توفي سنة (٣٧٠هـ). غاية النهاية (٢٣٧/١).

(٤) نقلا عن القراءات القر آنية: تاريخ وتعريف، (٣٩.٣٨).

(٥) وهذا ما أشار إليه المستشرق (نولدكه) بقوله:« وتبدأ مراجع القراءات الشاذة حقيقية بالرجل الذي أسس نظام القراءات السبع المشهورة (ابن مجاهد). وقد ألف إلى جانب كتاب (السبعة) كتاباً آخر اسمه (كتاب الشواذ) وقد ضاع ». نقلاً عن القراءات القرآنية، ص(٣٨).

(٦) محمد بن السَّري بن سهل، أبو بكر، ابن السراج، أحد أئمة الأدب والعربية، من أهل بغداد، كان يلثغ بالراء فيجعلها غياً، مات شاباً، وكان عارفاً بالموسيقى، من كتبه (الأصول) في النحو، وشرح (كتاب سيبويه) و(الشعر والشعراء)، توفي سنة (٣١٦هـ). بغية الوعاة (١١٠.١٠٩/١).

(٧) الحجة للقراءات السبعة: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، (ط/١)، (٢٠٠١م)، (٣٠.٢٩/١).

ثم توالت بعد ذلك التَّواليف في الاحتجاج للقراءات منها: كتاب (الحجة في علل القراءات السبع): لابن خالويه، وكتاب (الحجة في الاحتجاج للقراءات السبع): لأبي علي الفارسي[١]. وليس معنى هذا أن الاحتجاج بدأ في هذه المرحلة وإنما يعني أن الاحتجاج في هذه المرحلة صار ظاهرة من ظواهر التأليف في القراءات[٢].

المرحلة الرابعة عشره:

وفي هذه المرحلة توالت التواليف في القراءات السبع ,وكان من أهمها وأشهرها:

(١) مؤلفات أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني[٣]، أمثال (التيسير في القراءات السبع)، الذي يعده ابن الجزري من أصح كتب القراءات, وأوضح ما أُلف عن السبعة من الروايات[٤].وكتاب (جامع البيان في القراءات السبع), الذي إشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق عن الأئمة السبعة, قال فيه ابن الجزري : «كتاب جليل في هذا العلم لم يُؤلف مثله»[٥].

(٢) منظومة القاسم بن فيرة الأندلسي الشاطبي[٦]، المسماة بـ(حرز الأماني ووجه التهاني)، والمعروفة بـ(الشاطبية), وهي نظم لكتاب التيسير للداني, وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً ، وقد كانت . كما يقول ابن الجزري: «من أعظم أسباب شهرة كتاب التيسير»[٧].

ومن أشهر شروح الشاطبية:

(أ) فتح الوصيد: لعلي بن محمد السخاوي[٨]،تلميذ الناظم وصاحبه، وهو أول من شرحها، واشتهرت بسببه[٩].

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الإمام أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، روى القراءة عرضاً عن ابن مجاهد، روى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكران النهرواني، وأخذ النحو عن الزجاج ثم عن أبي بكر بن السري، وانتهت إليه رئاسة علم النحو، وقد أخذ عنه النحو أئمة كبار كابن جني. غاية النهاية (٢٠٦/١.٢٠٧).

(٢) انظر: القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص(٤٠.٤١).

(٣) عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو، مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، أخذ القراءات عرضاً عن أبي الفتح فارس بن أحمد وأكثر عنه، وعبيد بن سلمة بن حزم ومنه تعلم عامة القرآن،وروى كتاب السبعة لابن مجاهد سماعاً عن أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب لسماعه منه. غاية النهاية (٥٠٣/١.٥٠٥).

(٤) تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، للإمام المحقق: ابن الجزري، (ط/١)، (١٩٨٣م)، ص(٧).

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، (٦١/١).

(٦) القاسم بن فيرة بن خلف، كان إماماً كبيراً أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، إماماً في اللُّغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة، استوطن مصر وأقرأ بها القرآن، وبها ألف قصيدته هذه، توفي سنة(٥٩٠هـ) غاية النهاية (٢٠/١. ٢٣).

(٧) انظر: تحبير التيسير: ص(٧).

(٨) علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو الحسن الهمزاني السخاوي المقرئ المفسر النحوي اللغوي الشافعي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق، قرأ القراءات بالديار المصرية على أبي القاسم الشاطبي، وكان إماماً علامة محققاً مقرياً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها إماماً في النحو واللغة والتفسير والآداب، غاية النهاية (٥٦٨/١.٥٧١).

(٩) لطائف الإشارات، (٨٩/١).

(ب) كنز المعاني: لإبراهيم بن عمر الجعبري، وصفه القسطلاني[١] بأنه: شرحٌ عظيمٌ لم يصنّف مثله[٢].

والذي يبدو لنا أن مؤلفات الدّاني ومعاصريه من علماء القراءات في القرن الخامس الهجري، كانت الحد الفاصل في التفرقة بين القراءات الصحاح والقراءات الشواذ، وذلك لأننا نرى في مؤلفات القرن الرابع، أمثال (السبعة) لابن مجاهد، قراءات متواترة عند ابن مجاهد وتلميذه ابن خالوية شذذها رجال القرن الخامس ومن بعدهم[٣].

وفي ضوء ذلك قد نستطيع أن نعد عصر الدّاني العصر الذي استقرت فيه الحدود، بين القراءات الصحاح والقراءات الشواذ[٤].

المرحلة الخامسة عشرة:

وهي مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها، دفعاً لما علق في كثير من الأذهان من أن الأحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث الشريف: (إنّ هذا القرآن أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[٥]، هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد وعدها الصِّحاح وما عداها شواذ.

جاء في النشر: قال الرازي[٦]. بعد أن ذكر الشبهة التي من أجلها وقع العوام الأغبياء في أن أحرف هؤلاء الأئمة السبعة هي المشار إليها بقول النبي ρ: (إنّ هذا القرآن أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ

---

(١) أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، أبو العباس، من علماء الحديث، له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) و(لطائف الإشارات في علم القراءات)، توفي سنة(٩٢٣هـ). انظر: الأعلام، (١/٢٣٢).

(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات: (١/٨٩).

(٣) كقراءة ابن كثير: [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ] في الفاتحة (٧) بالنصب. وقراءته: [إِحْدَى الْكُبَرِ] المدثر (٣٥) بغير همزة [لِحْدَى]. وقراءات شواذ وردت في مختصر البديع لابن خالويه، مثل رواية البزي: [ظُلُمَاتٌ] النور(٤٠)، بالإضافة، اعتدها متواترة مقرئو القرن الخامس ومن بعدهم. القراءات القرآنية ص(٤٥).

(٤) انظر: القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف: ص(٤٤.٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، (٦/٣١٧.٣١٨)، حديث رقم (١٣). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه، (٢/٢٠٢).

(٦) عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرئ شيخ الإسلام الثقة الورع الكامل، مؤلف كتاب (جامع الوقوف) وغيره. قرأ القرآن على علي بن داؤد الداراني وغيره، وروى عنه القراءات منصور بن محمد بن الحسن شيخ أبي العلاء، توفي سنة (٤٥٤هـ). غاية النهاية (١/٣٦١.٣٦٣).

مِ ذْ هُ) .: «أن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة»[١].

والمقصود بالتفريد . هنا . إفراد قراءة واحدة بالتأليف، والتسديس: ذكر ست قراءات فقط، وهكذا...، وقد ذكر ابن الجزري جملة من هذه الكتب في قائمة مصادر كتابه[٢].

وامتدت هذه الفترة من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر، وقد اعتمد هؤلاء المؤلفون وأمثالهم في اختياراتهم القراءات التي اختاروها أن تتوافر فيها الأركان التالية:

(١) قوة وجهها في العربية.

(٢) موافقتها لرسم المصحف العثماني.

(٣) اجتماع العامة عليها.

والعامة . عندهم . ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجةٌ قوية، فوجب الاختيار، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحها سنداً وأفصحها في العربية، ويتلوهما في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي . رحمهم الله[٣].

ومن الوصف الثالث يتضح لنا التّطور الذي حدث لمقياس القراءة المتواترة منذ القرن الرابع الهجري[٤]، فبدل أن يشترط في القراءة المتواترة أن تكون مما توارثته الأئمة، اشترط فيها أن تكون مما اجتمع عليه العامة، وربما عاد هذا التطور إلى وضع القيود الضابطة والواقية أكثر، من أن تُصاب القراءة بما يخرجها عن أداء مهمتها في حفظ لفظ القرآن ونصِّه[٥].

المرحلة السادسة عشرة:

وفيها تطور المقياس الضابط للتفرقة بين القراءة الصحيحة وغيرها، مما ذكره ابن أبي طالب، أُريد به الوقاية من أن يدخل القراءة القرآنية ما ليس منها مما هو غير مسند، أو ضعيف الرواية، أو مما هو ليس بمتواتر أو مستفيض، أو مما تفرد به راوٍ واحد عن السبعة، فلا يستطاع

---

(١) انظر: النشر، (٤٣/١).

(٢) أمثال: مفردة يعقوب: لعبد الباري الصعيدي. الكفاية في القراءات الست: لهبة الله أحمد الحريري. والتذكرة في القراءات الثمان: لابن غلبون الحلبي. الجامع في القراءات العشر: لنصر بن عبد العزيز الفارسي، الروضة في القراءات الإحدى عشرة: للحسن بن محمد البغدادي. والبستان في القراءات الثلاث عشرة: لابن الجندي والكامل: ليوسف بن علي الهذلي، الذي جمع فيه خمسين قراءة من الأئمة في الف وأربعين وتسعة وخمسين طريقاً. وأخيراً إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء. انظر: النشر (٥٨/١.٩٨).

(٣) انظر: الإبانة، ص (٤٩.٥٠).

(٤)وهو الذي ذكره ابن خالويه ضمن المقياس الذي اختاره في تقويم قراءة القراء السبعة، انظر ذلك في ص( ).

(٥) انظر: القراءات القرآنية، ص(٤٨).

اعتباره قرآناً ؛ لأنه ليس بقطعي السند، وكل هذا لأن الوصف الثالث. وهو أن يكون مما توارثته الأئمة . ربما أمسى غير قادر على القيام بوظيفته من الضبط والوقاية، فطوروه إلى وصف أكثر دقة وأقدر على أداء المهمة.

والمقياس هو أن تشتمل القراءة على الشروط والأركان التالية:

(١) صحة السند.

(٢) موافقة العربية.

(٣) موافقة رسم المصحف العثماني.

وفي ضوء هذا المقياس قسّموا القراءة إلى:

(١) صحيحة: وهي ما توافرت فيها الشروط المذكورة.

(٢) غير صحيحة: وهي ما تخلف فيها ركن من الأركان الثلاثة المذكورة.

ويوقفنا ابن الجزري على عوامل وضع هذا المقياس بقوله: «ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين[١]، كثروا وتفرقوا في البلاد، وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرِّواية والدِّراية، ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلَّ الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والشاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها»[٢].

.... والحديث عن هذا المقياس، . أركان القراءة . وما لحقه من توسع في الشرطين الثاني والثالث، وما لحقه من اختلاف في الشرط الأول، ومقصود العلماء من كل ركن من هذه الأركان ستتناوله الطالبة في المبحث التالي . بإذن الله ..

---

(١) يقصد بهم مبعوثي عثمان بن عفان . رضي الله عنهم أجمعين . إلى الأمصار الخمسة. انظر ص(   ).

(٢) النشر في القراءات العشر، (٩/١).

المبحث الثالث
أركان القراءات

في المبحث السابق بيَّنت الطالبة الأدوار التاريخية للقراءات القرآنية، والتي تمثلت في نشوئها تعليماً للاوة آي القرآن الكريم وسوره، فكان القرآن يُقرأ للتعلم، ثم تطورت إلى تلاوة آيه وسوره، فكان يُقرأ لأجل التلاوة توخياً للثواب، ثم إلى حفظ القرآن كله أو بعضه عن ظهر قلب، ومن بعد إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول الأعظم ρ فمجال تخصص تجرَّد له أساتذة وتلامذة، ومنه إلى علم ذي قواعد وأصول، ومؤلفات وأبحاث، قدمته مستوياً على ساقه.

ومن خلال ذلك ظهر لنا أن القراء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة، ليميزوا به المتواتر من الشاذ، ولقد مرت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته، وأقدم مقياس وقفنا عليه . مما سبق . هو مقياس ابن مجاهد، والذي ينص على الآتي: (١)أن يكون القارئ مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره.

(٢)أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة أصالة وعمقاً[١].

ثم تلاه مقياس ابن خالويه وهو:

(١) مطابقة القراءة للرسم.

(٢) موافقة القراءة للعربية.

(٣) توارث نقل القراءة[٢].

فمقياس مكي بن أبي طالب وهو:

(١) قوة وجه القراءة في العربية.

(٢) مطابقة القراءة للرسم.

(٣) اجتماع العامة عليها[٣].

ثم مقياس الكواشي[٤]، وهو:

(١) صحة السند.

(٢) موافقة العربية.

---

(١) كتاب السبعة:ابن مجاهد، ص (٤٥).

(٢) نقلا عن القراءات القرآنية، ص(٣٩.٣٨).

(٣) الإبانة عن معاني القراءات: ص(٤٩).

(٤) أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، أبو العباس الكواشي الموصلي المفسر، عالم زاهد كبير القدر، قرأ على والده، وقدم دمشق وأخذ عن السخاوي، وسمع تفسيره والقراءات منه أبوبكر المقصاتي. غاية النهاية (١/١٥١).

(٣) مطابقة الرسم[١].

وأخيراً مقياس ابن الجزري ـ الذي استقر عليه العُرف القرائي حتى اليوم ـ وهو:

(١) موافقة العربية ولو بوجه.

(٢) مطابقة الرسم ولو احتمالاً.

(٣) صحة السند[٢].

والموازنة بين المقاييس المذكورة تهدينا إلى النتائج التالية:

أولاً: إن مقياس ابن مجاهد ينظر إلى القارئ نفسه، يُقوِّمه مباشرة، ولعله يرى أن تقويم القارئ تقويم لقراءته، بينما تنظر المقاييس التي تلته إلى القراءة وتُقوِّمها مباشرة.

ثانياً: إتفاق المقاييس الأربعة من ابن خالويه حتى ابن الجزري على اشتراط (مطابقة الرسم)، واشتراط (موافقة العربية) مع اختلاف يسير بين مكي بن أبي طالب حيث اشترط قوة الوجه في العربية، وبين ابن الجزري حيث وسّع في شرط موافقة العربية إلى ما يشمل كل الوجوه في العربية، قوية كانت أو سواها.

ولظروف التي أحاطت بالقراءات أثرٌ في هذا التطور من التضييق في دائرة شرط موافقة العربية عند مكي إلى التوسعة عند ابن الجزري، كما وسع ابن الجزري ـ أيضاً ـ في شرط مطابقة الرسم بقوله: «ولو تقديراً»؛ ويعني فيه إدخال مثل قراءة [مَالِكِ][٣] ـ بالألف ـ التي يحتملها رسم كلمة [مَلِكِ][٤]، بتقدير الألف.

ثالثاً: يبدأ الشرط الأخير عند ابن مجاهد بإجماع أهل مصر القارئ، وهو شرطٌ فيه شيءٌ من التوسعة في مقابل ما تطور إليه عند ابن أبي طالب، الذي فسّر (العامة) باتفاق أهل المدينة والكوفة، أو باتفاق أهل الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، بينما نجده عند ابن خالويه يشير إلى (صحة السند)؛ لأن توارث النقل لا يعني إلا صحة السند.

كذلك نلاحظ أن ابن مجاهد وابن أبي طالب يشيران بـ(إجماع أهل المصر أو المصرين) وبـ(اتفاق العامة) إلى (صحة السند) أيضاً؛ لأنهما التزما الرواية بتدوين القراءات في كتبهما، ولأن

(١) نقلا عن القراءات القرآنية، ص(١٢٤).

(٢) انظر: النشر، (٩/١).

(٣) الفاتحة، الآية (٤).

(٤) قراءة عاصم والكسائي [مَالِكِ] بالألف على أنه اسم فاعل من مَلَك مِلكاً ـ بالكسر ـ أي: مالك مجيء يوم الدين، وقرأ الباقون [مَلِكِ] بغير ألف، معللاً ذلك بأن [مَلِكِ] أخص بالمدح من [مَالِكِ]، وقد يكون (المالك) غير (الملك) لا العكس. انظر: كتاب السبعة، ص (١٠٤-١٠٥).

اتفاق أهل المصر أو المصرين على القراءة، وكذلك اتفاق العامة عليها، يعني الاتفاق على روايتها وبلوغ الرواية مبلغ التواتر أو الشهرة المفيدة للعلم على الأقل[١].

وبعد هذا نستطيع أن نخلص إلى النتيجة الأخيرة وهي: إن أركان القراءة المتواترة هي:

(١) صحة السند.

(٢) مطابقة الرسم.

(٣) موافقة العربية.

ولقد نظمها ابن الجزري في منظومته شعراً، فقال:

فكلُّ وافقَ جهٌ وي   كـان للرَّسـم تمـالا يـ ـوي

صحّ سناداً هو القُـآن   هـــذه الثَّلاثـــةُ الأَ ـــانِ

وحيثُا يختلّ ن بتَ   شذوذه ولـو أنَّه فـي السَّبعة[٢]

وفيما يليه توضيح لمقصودهم من كل ركن من هذه الأركان:

أولاً: صحة السند:

وهو أول الأركان المعتبرة، بل هو الذي يستهل به العلماء حديثهم عن أركان أو شروط القراءات، فابن مجاهد ـ شيخ هذه الصنعة ـ قد قال: «... والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيناً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، وأجمع الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه»[٣].

فلا يمكن اعتبار للقراءة القرآنية إلا إذا كانت قد أُخذت بطريق التَّلقي والمشافهة، وهذا ما يؤكده في موضع آخر، إذ يقول: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار»[٤].

فابن مجاهد يشترط لقبول القراءة صحة السند، وإلى ذلك ذهب جمهور العلماء المحققين[٥]، وإنما اختلفوا في مستوى صحة السند على أقوال وهي:

---

(١) انظر: القراءات القرآنية، ص(١٠٩ـ١١١).

(٢) طيبة النشر في القراءات العشر: تأليف محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري، (ط/٣)، (١٩٥٠م)، ص(٣).

(٣) انظر: كتاب السبعة، ص(٤٩).

(٤) المصدر السابق، ص(٨٧).

(٥) كابن شنبوذ، والإمام أبي الحسن البغدادي، وابن خالويه، ومكي بن أبي طالب، الكواشي، وأبي شامة، انظر: المرشد الوجيز، ص(١٨٠)، الإبانة، ص(٥١)، النشر،(٩/١).

(١) الشهرة المفيدة للعلم، وقد يعبرون عنها بـ(الاستفاضة)؛ لأن الاستفاضة تفيد القطع المطلوب في إثبات قرآنية القراءة. وهذا رأي محققي المتقدمين، أمثال أبي شامة[١]، وابن الجزري، وذلك لأن التواتر إذا حصل لا تكون بحاجة إلى الركنين الأخرين[٢].

وذهب مكي بن أبي طالب إلى الاكتفاء بالاستفاضة، غير أنه يفرق بين ما صح وجهه في العربية، ووافق لفظه رسم المصحف، فيعتبره قرآناً وقراءة. وبين ما صح وجهه في العربية إلا أن لفظه خالف رسم المصحف، فيعتبره قراءة فقط، ومثله ما وافق لفظه رسم المصحف إلا أنه لا وجه له في العربية فهو قراءة لا قرآن أيضاً[٣].

(٢) التواتر، وهذا رأي الجمهور، معللاً ذلك بأن القراءة قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر.

(٣) التواتر أو الاستفاضة: وهو رأي ابن الجزري.

(٤) إفادة العلم مطلقاً: ويعني به أن يأتي السند مفيداً للقطع سواء كان مُستفيضاً أم متواتراً، أم آحاداً، اقترنت بما يفيد القطع[٤].

ونخلص . هنا . إلى النتيجة التالية: إن جميع العلماء يشترطون في صحة سند القراءة المتواترة إفادته العلم بصدور الرِّواية عن النبي ρ فعلاً أو تقريراً. وهذا يرجع إلى عدم تفرقتهم بين القرآن والقراءة المتواترة، ولأن الفرق لا يثبت إلا بالتواتر؛ أي لابد من العلم بأن ما يُقرأ به هو قرآن[٥].

ثانياً: مطابقة الرسم:

يعني القُراء بالرسم: ما كتبت عليه مصاحف الأئمة في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وبأمره، وكان اشتراطهم هذا. والذي اعتبر عنصراً أساسياً في مقاييس القراءة المتواترة . قائماً على أساس أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أمر بتوحيد المصاحف وكتابتها

---

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة، وقيل له أبو شامة لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة. قرأ القراءات على السخاوي، وشرح الشاطبية على الشيخ شرف الدين أحمد بن سباع الفزاري. وكتب وألف وكان أوحد زمانه. توفي في سنة (٦٦٥هـ). غاية النهاية (١/٣٦٥.٣٦٦).

(٢) جاء في كتاب القراءات القرآنية . معلقاً على رأي ابن الجزري . «ويبدو لي: أن ابن الجزري فاته أن اشتراط الركنين الأخرين للوقاية . كما تقدم وكما ذكره هو أيضاً . ولاستبعاد ما من شأنه قد يؤدي إلى الفوضى والضعف في القراءات» ص(٥٠).

(٣) انظر: الإبانة عن معاني القراءات، ص(٤٨.٥٠).

(٤) ويُفهم هذا من أمثلة ما دوّنه ابن مجاهد في (السبعة) مما تفرد بروايته راوٍ واحد في طبقته أو جيله، كرواية بكار بن عبد الله بن كثير قراءة أبيه [إِحْدَى] المدثر الآية (٣٥) بلا ألف. انظر: ص(٦٥٩. ٦٦٠).

(٥) القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص(١١٤).

استهدف أن ينطوي مفهوم المصاحف على جميع الحروف التي استقر عليها نص القرآن في العرضة الأخيرة[١].

ويعني هذا أن اشتراط مطابقة المصاحف الأئمة، كان وقايةً من دخول القراءات الأحادية والشاذة في إطار القراءات المتواترة التي تجوز القراءة بها، جاء في الانتصار: «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر[٢] في جمع نفس القرآن بين لوحتين، وا إنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ρ وا إلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف واحد باتفاق المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة باختلاف أهل العراق والشام في بعض الحروف»[٣].

وقد ذهب كثيرٌ من العلماء المتأخرين إلى اعتبار هذا الشرط، وقد ذكره أبو الفرج الشنبوذي[٤] أول الشروط المعتبرة، إذ يقول: «إن كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية فالقراءة بها جائزة»[٥].

ومن هنا جوزوا القراءة بما يخالف المصحف إذا كان متواتراً، وتلقوا الحروف المتواترة المخالفة للرسم بالقبول، وبغية أن يحافظوا عليها على ما توخوه من منع تسرب القراءات غير المتواترة إلى مجال القراءات المتواترة، قاموا بإحصاء الحروف المخالفة لمرسوم المصاحف الأئمة

(١) عن *عائشة رضي الله عنها قالت: (إنا كنا أزواج النبي ρ عنده جميعاً لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي، لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ρ، فلما رآها رحب قال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى حزنها سارها الثانية فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله ρ بالسر من بيننا ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ρ سألتها عما سارك، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ρ سره، فلما توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني، قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام، (١٤٣.١٤٢/٧).

(٢) عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب القرشي التميمي أبوبكر الصديق بن أبي قحافة، خليفة رسول الله ρ، صحب النبي ρ قبل البعثة، وسبق بالإيمان به، وهاجر معه إلى المدينة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها، إلى أن توفي يوم الاثنين من سنة (١٣هـ) وهو ابن (٦٣) سنة. الإصابة (١٥٠.١٤٤/٤).

(٣) انظر: الانتصار، (٦٥/١).

(٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الفرج الشنبوذي، أستاذ من أئمة هذا الشأن، رحل ولقى الشيوخ، وأكثر وتبحر في التفسير، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مجاهد، وأبي الحسن بن شنبوذ وا إليه نسب لكثرة ملازمته له، واشتهر وطال عمره مع علمه بالتفسير، وعلل القراءات، توفي سنة (٣٨٨هـ). غاية النهاية (٥١.٥٠/٢).

(٥) نقلا عن القراءات القرآنية، ص(١٢٩).

وبالنص عليها، وبوضع وتدوين علم اختلاف مرسوم المصاحف، أو علم رسم القرآن، أو .كما يُسميه بعضهم . هجاء المصاحف.

ونصوا على وجوب تعلّم هذا العلم لمعرفة الحروف المخالفة للرسم المنصوص عليها، لمن لم يعرف القراءات المتواترة معرفةً صحيحة، ليحقق اشتراط مطابقة المصحف في القِراءة المتواترة ما قصدوا إليه من الحفاظ على القراءات المتواترة، والوقاية من تسرب غيرها إليها[١].

قال ابن الحاج[٢]: لا يجوز لأحدٍ أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة».ولعلّ أقدم من ألف في هذا الفن الإمام عبد الله بن عامر، مقرئ الشام، واسم مؤلفه: (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)[٣].

والذي يبدو أن النقط والشكل في المصاحف أتبع فيها انتهاج راوية أهل بلد المصحف وقراءتهم التي تلقونها من مبعوثي عثمان بن عفان رضي الله عنهم، ونستظهر هذا من بعض اختلاف القراء السبعة الراجع إلى اختلاف مرسوم المصاحف[٤].

وخالف في اشتراط هذا الركن ابن شنبوذ[٥] المعاصر لابن مجاهد، مُسبِّع السبعة ومشذِّذ ما سواها، فكان يرى جواز القراءة بما خالف الرسَّم ما دامت الرِّواية صحيحة النقل[٦]. وعدم التفاته إلى اشتراط موافقة الرسم؛ إنما كان لأن المصاحف العثمانية قد كُتبت على اللفظ الذي استقر عليه

---

(١) القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص(١١٥).

(٢) محمد بن محمد، ابن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي، الفاسي، نزيل مصر، فاضل، تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، له (مدخل الشرع الشريف)، توفي سنة (٧٣٧هـ). الأعلام (٣٥/٧).

(٣) ومن أشهر مؤلفات الأقدمين في هذا الفن (١) كتاب المصاحف: لعبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني.(٢) هجاء مصاحف الأمصار: لأحمد بن عمار المهدوي. (٣) المقنع: لأبي عمرو الداني (٤) النقط والشكل: للداني، وغيرها. وفي هذه الكتب وأمثالها يوقف على القراءات المتواترة المخالفة لخط المصاحف الأئمة، والتي أجمع القراء على قبولها والقراءة بها. أمثال: الوقف بالهاء على ما كتب بالتاء نحو [ٱمۡرَأَتُ] آل عمران(٣٥)، وإثبات ياء الإضافة في مواضع لم تُرسم بها وإثبات الواو في نحو [وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ]. الإسراء (١١)، وغيرها. انظر: القراءات القُرآنية ص(١١٥. ١١٦).

(٤) انظر: القراءات القرآنية، ص(١١٩).

(٥) محمد بن أحمد بن أيوب، ابن شنبوذ،أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم الجزري، ولقد كان ثقة في نفسه، صالحاً ديناً متبحراً في هذا الشأن، لكنه كان يحط على ابن مجاهد، وقد سُئل أبو طاهر بن هاشم: أي الرجلين أفضل أبو بكر بن مجاهد، أو أبو الحسن بن شنبوذ قال: «أبو بكر بن مجاهد عقله فوق علمه، وأبو الحسن علمه فوق عقله» توفي سنة (٣٢٨هـ). غاية النهاية (٥٦.٥٢/٢).

(٦) كما في قراءة [لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ] النمل(٢١) وكتابتها بالألف [لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ]. وكقراءة أبي عمرو [فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ] المنافقون (١٠) بالواو، وكتابتها بدونها [وَأَكُن]. أنظر: غيث النفع، ص(٣١٨).

في العرضة الأخيرة، كما ذكر ذلك جملة من المفسرين والمؤرخين: كما في نص الحديث: (أَنَّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه قد عارضني به العام مرتين)[1]. ويقول ابن الجزري: «فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ρ كما صرح به غير واحد من أئمة السلف»[2].

أو لعدم اقتناعه بخطة التشذيذ الذي سار عليها ابن مجاهد[3]؛ لأنه لاحظ أن في القراءات المتواترة ما يخالف الرسم اتباعاً للرواية والنقل[4].

ومن هنا . فيما يبدو . لابد من إعادة النظر في المسألة؛ لأن الرسم هو الآخر سنةٌ متبعةٌ كالقراءة، كما نص على ذلك في (غيث النفع) فنقول: «متى تعارض الرسم والقراءة المتواترة أو المشهورة . كما في الأمثلة المتقدمة . يؤخذ بالقراءة»[5].

وهذا ما نستفيده من قول ابن الحاج . السابق . وهناك مستثنيات لهذا الشرط نص عليها، فلا تجوز المخالفة فيما سواها[6].

ثالثاً: موافقة العربية:

وهو الركن الأساسي الآخر الذي اشترطوه في القراءات القرآنية المتواترة والمعني به: موافقة القراءات للقواعد والآراء النحوية المستقاة من النطق العربي الفصيح.

وقد كان العامل في اشتراطه لا يختلف عن العامل في اشتراط (مطابقة الرسم)، وذلك أن علماء القراءات رأوا أن القراءات المتواترة لا تُخالف العربية، فما من قراءة من المتواترة إلا وتلتقي مع مذهب أو رأي نحوي، بينما القراءات الشاذة جاء فيها ما يُخالف القواعد النحوية.

---

(١) انظر نص الحديث في ص(   ).

(٢) انظر:النشر، (٨/١).

(٣) ويرجع هذا . فيما يُخال إلى شئ من المنافسة لابن مجاهد . قال الذهبي: «وكان قد وقع بينه وبين ابن مجاهد على عادة الأقران، حتى كان ابن شنبوذ لايقرئ من يقرأ على ابن مجاهد، وكان يقول:«هذا العطشى . يعني ابن مجاهد . لم تغبر قدماه في هذا العلم»»، ويمضي الذهبي قائلاً: «..والرجل كان ثقةً في نفسه صالحاً ديناً مُتبحراً في هذا الشأن لكنه كان يحط على ابن مجاهد». انظر: غاية النهاية (٥٣/٢).

(٤) كما في الأمثلة السابقة. انظر ص(   ).

(٥) انظر: القراءات القُرآنية، ص(٥٨).

(٦) وهي التي سبقت الإشارة إليها في ص(   ). وزيادة على الأمثلة السابقة: اثبات الألف في [أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ] النور الآية(٣١)، وحذف الألف الثانية في [لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ] القيامة الآية (١)، في قراءة ابن كثير. وحذف الألف الأولى عند الجميع في [لَأَذْبَحَنَّهُ] النمل الآية (٢١) وغيرها. انظر: القراءات القرآنية: ص(١١٦).

ولكي أن يُخرجوا الشواذ عن مجال المتواترات، ويقوا المتواترات من تسربها إليها وضعوا هذا الشرط، كما هدفوا إلى مثله في اشتراط مطابقة الرسم،بمعني أن هذا الشرط كان شرطاً وقائياً كسابقه[١].

ولقد ابتدأ بذكره صاحب النشر، فجعله أول الشروط، وثنَّى بذكره مكي بن أبي طالب، والإمام الكواشي وجعلاه ثاني الشروط بعد صحة السند.

وقد قيَّد كل منهم هذا الشرط بقيد يختلف عن الآخر، فبينما يكتفي الكواشي بشرط موافقة القراءة للغة لأي وجه من الوجوه، نرى مكي بن أبي طالب يشترط أن يكون وجهه في العربية التي بها القرآن شائعاً، وذهب أبو الفرج الشنبوذي إلى تأييد رأي الكواشي في التساهل والاكتفاء بموافقة القراءة لأي وجه من الوجوه اللُّغوية سواء أكان الوجه فصيحاً مجمعاً عليه أم كان مختلفاً فيه، اختلافاً لا يضير مثله،وكذلك ابن خالويه أطلقه ولم يقيّده بشيء.

ثم أخيراً ابن الجزري الذي وصفه بالإطلاق فوسّع في دائرة شموله إلى كل وجه في العربية، وعليه استقر العُرف القِرائي حتى اليوم[٢].

وفي ضوئه: ندرك أيضاً أن ما وقع فيه بعض النُّحاة من مفارقات في هذا المجال لا يمس هذا الشرط من قريب أو بعيد، حتى يُدعى إلى إلغائه كما نادى به بعضهم[٣].

وفي ختام ذلك: وبالنظر إلى هذه الأركان الثلاثة نجد أنها أركان تخضع لاستقراء العلماء واستنباطهم، فمنهم من جعلها ركناً واحداً، ومنهم من جعلها ركنين مع اختلاف في تحديد الركنين، ومنهم من جعلها ثلاثة أركان، ومنهم من اكتفى بصحة السند، ومنهم من أضاف إليه الموافقة للرسم، ومنهم من أضاف الموافقة للغة.

وفي كل شرطٍ خلاف، ففي السند: من العلماء من ذهب إلى اشتراط التواتر، ومنهم من اشترط الشهرة، ومنهم من اكتفى بصحة السند ولو نقل آحاداً. وفي موافقة الرسم: منهم من اشترط الموافقة تحقيقاً، ومنهم من قبلها ولو تقديراً، ومنهم من أضاف ولو احتمالا. وفي موافقة اللغة كلام استوفيناه في موضعه.

---

(١) وهم بذلك لم يقصدوا أن يخضعوا القراءات للقواعد النحوية، وإلا لما ناقشوا بعض النحاة وردوهم فيما رفضوا من قراءات متواترة، أمثال: قراءة حمزة [وَالأَرْحَامِ] النساء (١) بالجر، وقراءة ابن عامر [قَتْلُ أَوْلادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ] الأنعام (١٣٧) بالفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المصدر. انظر: القراءات القرآنية ص(١٢١).

(٢) انظر: النشر، (٤٤/١)، غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد الجزري، (ط/١)، (١٩٣٢م)، (١٢٤/٢).

(٣) أساليب الاستفهام في القرآن: عبد العليم السيد فودة، (د/ط)، (د/ت)، ص(٣٢٩).

والذي لاشك فيه بل المجمع عليه هو صحَّة السند، بل هو الركن الوحيد الذي ينبغي أن يُقتصر عليه، والمقصود بصحة السند ليس مجرد الصحة بل التواتر؛ ذلك لأن القرآن كله متواتر لا يشك في ذلك مسلم من المسلمين، وقراءته يتعبد بتلاوتها المؤمنون، وقراءاته المختلفة لا ضير بالاكتفاء ببعضها لأنها كلها قرآن، فمثلاً قوله تعالى: [وَأَرْجُلَكُمْ][1] بفتح اللام، قرآن، و[وَأَرْجُلِكُمْ] بالكسر في نفس الموضع قرآن. فالقراءة قرآنٌ يُتعبد بتلاوتها فلابد من تواترها لإثبات قرآنيتها.

جاء في مقدمة تحقيق (حجة القراءات) لأبي زرعة[2]: «والشرط الأساسي كما يظهر للمتأمل هو الأول (أي صحة السند)، أما الثاني والثالث فالغالب أنهما أضيفا ليتكون من الثلاثة ما ينطبق تمام المطابقة على القراءات العشر المعروفة». ثم أضاف: «إن أول وأشهر من عُرف عنه اشتراط الشروط الثلاثة هو مكي بن أبي طالب الذي عاش في المائة الخامسة للهجرة مذ قال: «والقراءات الصحيحة ما صح سندها إلى رسول الله ρ، وما صح وجهها في العربية، ووافقت خط المصحف»»[3].

وشاع هذا القول بعده حتى تبعه في ذلك بعض المتأخرين ومشى عليه ابن الجزري في نشره وطيبه، أما اشتراط التواتر في السند فيدل عليه البرهان الذي ساقه النيسابوري[4] قائلاً: «القراءات السبع متواترة»[5]، ويعني بذلك أن ثبوت التّواتر بالنسبة إلى المتفق على قراءته من القرآن كثبوته بالنسبة إلى كل من المختلف في قر اءته، ولا مدخل للقارئ في ذلك إلا من حيث أن مباشرته لقراءته أكثر من مباشرته لغيرها حتى نُسبت إليه[6].

---

(١) المائدة، الآية (٦).

(٢) عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة، ابن زنجلة، عالم بالقراءات، كان قاضياً مالكياً، قرأ على أحمد بن فارس كتابه (الصاحبي)، وصنف كتباً، منها (حجة القراءات)، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، و(شرف القراء في الوقف والابتداء). انظر: الأعلام (٣/٣٢٥).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، (ط/٤)، (١٩٨٤م) ص(١٢. ١٣).

(٤) الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، نظام الدين، مفسر، له كتب منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، توفي سنة (٨٥٠هـ). انظر: بغية الوعاة، ص(٢٣٠).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، (ط/١) (١٩٦٢م)، (*).

(٦) انظر: المصدر السابق، ( ).

الفصل الثاني
التعريف بالقراء السَّبعة وأنواع القراءات

المبحث الأول: التعريف بالقراء ورواتهم

المبحث الثاني: أنواع القراءات

المبحث الأول

التعريف بالقُرّاء السَّبعة ورواتهم

اندفع المسلمون كالسَّيل يدرسون القرآن ويحفظونه متفقهين متعبدين، وكان الاعتماد على حفظ القلوب والصُّدور، كما جاء في صفة أمة الرسول ρ: (أَناجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ)(١). لذا خُصَّ القُرآن بالعناية الشَّديدة المنقطعة النَّظير، فأقام الله له أئمة ثقات من القُرَّاء، سُمّوا (قرَّاء)؛ لأنهم يقرئون القرآن ويُقرئونه، وكان من سلوكهم في الصَّدر الأول أنهم يُعتلون على المال، على حين تخضع ظهورهم وتنحني أصلابهم على أجزاء القرآن وسوره، يقضون ليلهم صلاةً وصياماً وبكاءً، فكان القارئ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يجد القوةّ على أن يختم القُرآن في ليلة، ويُغلق عليه بابه ويبكي حتى ومضت عيناه، وشعاره: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه(٢).

فقاموا ليلهم أرقاً، وتبادرت دموعهم فرقاً حتى ضنيت منهم الأبدان، وتغيَّرت منهم الألوان، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاهٍ ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة.. فاضت عبراتهم من وعيده، وشابت ذوائبهم من تحذيره.

وقد لمس النبي ρ في القرَّاء سعة ثقافتهم وأمانتهم، وإخلاصهم للدين، فاتخذ منهم دُعاةً للفكر الإسلامي، وقوّاداً للتحرير، أمثال: أُبيّ بن كعب، والمنذر بن عمرو الأنصاري(٣)، وكان القُرَّاء أعلم الناس بالعقيدة الجديدة، والفكر الإسلامي الوليد.

أما القُوّاد من (القراء) فمنهم: مصعب بن عمير(٤)، حامل لواء المهاجرين يوم بدر(٥)، ولقد تأثر النبي ρ يوم أحد(٦) لمصرعه، فوقف يتلو قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ

---

(١) لم أقف عليه ذكره ابن الجزري في النشر، (١/٦).

(٢) انظر: غاية النهاية، (١/٤٣٧-٤٣٨).

(٣) المنذر بن عمرو بن خُنيس الأنصاري، الخزرجي السَّاعدي، أحد نُقباء النَّبي ρ الاثني عشر، شهد العقبة وبدراً، واستشهد يوم بئر معونة. انظر: الإصابة، (٦/٢١٧-٢١٨).

(٤) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، من بني عبد الدّار،، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى المدينة، فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف فيها بـ(المقرئ)، وأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ. انظر: الإصابة (٦/١٢٣-١٢٤).

(٥) كانت في رمضان في السنة الثانية للهجرة عندما بلغ رسول الله ρ خبر العير المقبلة من الشام لقريش، صحبة أبي سفيان، فخرج إليها رسول الله ρ في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وكان النصر حليف المسلمين، واستشهد منهم يومئذ أربعة عشر رجلاً. انظر: زاد المعاد (٢/٨٥-٩٠).

(٦) كانت في شوال من السنة الثانية، حيث جمع أبو سفيان قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، ونزل بهم قريباً من جبل أحد بمكان يقال له (عينين)، وخرج إليه رسول الله ρ في ألف من الصحابة، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة. انظر: زاد المعاد (١/٩١-٩٢).

نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً][1]، ومنهم معاذ بن جبل، وسعد بن عبيد[2]، و عبادة بن الصامت[3]، ولقد بلغ من تكريم النبي ρ لهم عند مصارعهم يوم أحد أن أمر بتقديم أكثرهم قرآناً , ثم خاطبهم رسول الله ρ بقوله: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ρ يَشْهَدُ أَنَّكُمْ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)[4].

وعلى أطراف أسنة رماح القراء كان النصر يوم حُنين[5]، كما استمات القراء في معارك الرِّدة[6] وكانوا حملة اللِّواء فيها، ولما انكشف المسلمون قال واحد من القراء بعد أن التقط الراية في ثورة غضب: «ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ρ»، ثم حفر لنفسه حفرة في ساحة المعركة ومعه راحة المهاجرين وظل يضرب في صمود وبأس حتى استشهد، أما بقية القرَّاء فقد انسحبوا من بين بقية المسلمين وألفوا كتيبة فدائية استشهاديه وكان شعارها..(يا أصحاب سورة البقرة) يقصدون القرّاء, فصدقوا ما عاهدوا الله عليه وسحقوا الأعداء بسيوفهم المسلمة.

ومما سبق علمنا أن بداية، أو بدء نشوء مصطلح (القُرّاء) كان في المرحلة الرابعة من مراحل نشأة القراءات[7]، ولقد أجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا من كل مصر وُجّه إليها مصحف: أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحُسن الدِّراية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم.

---

(1) الأحزاب، الآية (23).

(2) سعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس الأوسي الأنصاري، أبو زيد، الملقب بـ(سعد القارئ) أحد الستة الذين قيل إنهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله ρ وهو صحابي شهد بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد كلها، وقتل يوم القادسية (16هـ) شهيداً، وهو ابن (64) سنة. الإصابة (1/395).

(3) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، توفي بالرَّملة في سنة (34هـ)، وله (72) سنة. تقريب التهذيب (1/395).

(4) كما جاء في حديث جابر بن عبد الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ρ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ). أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، (192/2)، حديث رقم (99).

(5) وتسمى غزوة أوطاس، وتسمى غزوة هوازن؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ρ، ولقد خرج رسول الله ρ إليهم ومعه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، وكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل عتاب بن أسيد على مكة أميراً، وكان النصر فيها للمسلمين. زاد المعاد (185/2.196).

(6) الردة: عدة معارك قام بها المارقون من الإسلام، واجهت الخليفة الأول أبا بكر، أهمها معركة عقرباء التي قتل فيها مُسيلمةَ. المنجد في الأعلام، ص (263).

(7) انظر ذلك في ص (   ).

ثم إن القراء الموصوفين بما ذُكر بعد ذلك تفرّقوا في البلاد، وخلفهم أمم بعد أمم، فكثر الاختلاط، وعسرُ الضبط، فوضع الأئمة لذلك ميزاناً يُرجع إليه وهو السّند والرسم والعربية، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة فهي من السَّبعة الأحرف المنصوصة في الحديث(١).

ومن هؤلاء الأئمة القراء العشرة: وهم نافع وأبو جعفر (المدنيان)، وأبو عمرو ويعقوب (البصريان)، وابن كثير (المكي)، وابن عامر (الدمشقي)، وعاصم وحمزة والكسائي (الكوفيون)، وخلف(٢) (البغدادي) ولقد نُسبت إليهم القراءة حتى قيل (قراءة فلان كذا، وقراءة فلان كذا) حتى أصبحت قراءة كل قارئ منهم ملازمة له فاتصف بها وعرف بها.

وفي هذا المبحث ستتناول الطالبة . بإذن الله تاريخ كل قارئ من القرّاء، ذاكرة لكل إمام شيوخه الذين نقل عنهم، ورواته الذين رووْا عنه, وأشهر من روى قراءته على أن منهج التَّعريف يأخذ الأئمة السبعة فقط، كما حددهم الشاطبي في قصيدته قائلا:

ز الله الخـ ـت عنـ ـأئمةً ... ـنقلوا القـن عـذ سـ ـلاً
ـم بـ ـبعـ ـة توسَّط ... العـ والعـ ـراً وكـ ـلاً
ـها شـ ... ـاسـ تنا ... ـت ... ـد الدُّ ى حتى تـ ـ ـابـ ـلا
ـوف تـ ـهم واحـ ـبعـ ـواحدٍ ... ـن ـن أصـ ـحابـ ـمثـ ـلا(٣)

ثم إن من ذكرهم من الرواة على ثلاثة أقسام: القسم الأول: من أخذ عن الإمام مباشرة وهم قالون وورش عن نافع، وشعبة وحفص عن عاصم، وأبو الحارث والدُّوري عن الكسائي. والقسم الثاني: من بينه وبين الإمام واحد وهم الدُّوري والسُّوسي عن اليزيدي عن أبي عمرو، وخلف وخلاد عن سُليم عن حمزة. والقسم الثالث: من بينه وبين الإمام أكثر من واحد وهم البزي وقنبل، وهشام وابن ذكوان، فإن بين البزي وقنبل وبين ابن كثير أكثر من واحد وبين هشام وابن ذكوان وبين ابن عامر أكثر من واحد(٤).

الإمام الأول: نَافِع المَدنيّ:

قال الشاطبي رحمه الله:

---

(١) انظر نص الحديث في ص (   ).

(٢) خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البزار الأسدي، أحد القراء العشرة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى، توفي سنة (٢٢٩هـ). انظر: غاية النهاية (١/٢٣٣،٢٣٤).

(٣) شبههم بالبدور في علو منزلتهم، وغزارة علمهم، وكثرة الانتفاع بهم، وشبه رواتهم بالشهب في الهداية والعلو والقراءة عن أئمتهم، وعلموها الناس بعدهم، فأماطت عنهم ظُلمة الجهل، وألبستهم أنوار العلم. انظر المتن، ص (م)، والوافي، ص (١٥،١٦).

(٤) انظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: عبد الفتاح الضبعي، (د/ط)، (١٩٨٢م)، ص(١٣،١٤).

فأمَّ الكر ُ سرِّ ي الط ِّيب اف ٌ ... ك ذ ، اخ مد ، ذ لاً

الون بس ثم ع ُان رشه ... تأثّلا[1]

ونافع هو ابن عبد الرحمن بن أبي غُيم، وكنيته أبو رو ُيم، وهو مولى (جعَ ْونة)[2] أحد القراء السبعة، الأعلام، ثقة صالح، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخ ُلق، فيه دعابة.

أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، منهم أبو جعفر القارئ، وشيبة ابن نصاح، ومسلم بن جندب[3] ويزيد بن رومان[4] ومحمد بن مسلم الز ُهري[5] وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج[6].

وقرأ أبو جعفر على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة[7]، وعلى ابن عباس[1] وعلى أبي هريرة[2]، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أُبي ّ بن كعب، وقرأ أبو هريرة وابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت وقرأ زيد وأُبي ّ على رسول الله ρ.

---

(١) الكريم السِّر: أي: الشريف الباطن. المجد: الشرف. التأثّل: الارتقاء إلى أعلى. انظر المتن، ص(٣)، الوافي، ص (٢٦).

(٢) جعونة بن شعوب الليثى، حليف حمزة بن عبد المطلب. غاية النهاية (٣٣٠/٢).

(٣) مسلم بن جندب أبو عبد الله الهذلي، تابعي مشهور، عرض على عبد الله بن عياش، وعرض عليه نافع، وروى عن أبي هريرة وحكيم بن حزام وابن عمر، وهو الذي أد ّب عمر بن عبد العزيز، وكان من فصحاء أهل زمانه، توفي سنة (١١٠هـ). غاية النهاية (٢٩٧/٢).

(٤) يزيد بن رومان المهدي، مولى آل الزبير، ثقة من الخامسة، وروايته عن أبي هريرة رضي الله عنه مرسلة، توفي سنة (١٣٠هـ). تقريب التهذيب (٣٦٤/٢).

(٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري المدني، أحد الأئمة الكبار، تابعي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ على أنس بن مالك، وروى عن ابن عمر حديثين، عرض عليه نافع، وروى عنه مالك بن أنس، ومعمر والأوزاعي، توفي سنة (١٢٤هـ). انظر: غاية النهاية (٢٦٢/٢.٢٦٣).

(٦) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، تابعي جليل، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس، وعبد الله بن عياش، ومعظم روايته عن أبي هريرة، روى القراءة عنه عرضاً نافع، وروى عنه الحروف أسيد بن أبي أسيد، توفي سنة (١١٧هـ). غاية النهاية (٣٨١/١).

(٧) عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، المخزومي التابعي، أخذ القراءة عرضاً عن أبي بن كعب، وسمع عمر ابن الخطاب، وروى القراءة عنه عرضاً مولاه يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، وعبد الرحمن بن هرمز، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان، وهؤلاء الخمسة شيوخ نافع، توفي سنة (٧٨هـ). انظر: غاية النهاية (٤٣٩/١.٤٤٠).

وقرأ شيبة ومسلم و ابن رومان على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وسمع شيبة القراءة من عمر بن الخطاب، وقرأ الزهري على سعيد بن المسيب[٣]، وقرأ سعيد على ابن عباس وأبي هريرة، وقرأ الأعرج على ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وقرأ ابن أبي ربيعة وابن عباس وأبو هريرة على أبي بن كعب وقرأ ابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت، وقرأ عمر وزيد وأبي على رسول الله ρ.

ومن هنا يتضح لنا إن قراءة نافع متواترة، وليس أدل على تواترها من أنه تلقاها عن سبعين من التابعين، وهي متواترة في جميع الطبقات.

وكان نافع إمام الناس في القراءة بالمدينة، انتهت إليه رياسة الإقراء بها، وأجمع الناس على قراءته واختياره بعد التابعين، تصدى للإقراء والتعليم أكثر من سبعين سنة، وكان عالماً بوجوه القراءات، متتبعاً لآثار الأئمة الماضين في بلده، قال مالك بن أنس[٤]: «قراءة أهل المدينة سنة، أي مختارة»، فقيل له: «قراءة نافع؟»، قال: «نعم».

قال الشيباني[٥]: «قال رجل ممن قرأ على نافع: «إن نافعاً كان إذا تكلم يُشمُّ من فيه رائحة المسك»، فقلت له: «يا أبا عبد الله، أتتطيب كلما قعدت تقري الناس؟»، قال: «ما أمسُّ طيباً ولا أقرب طيباً، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي ﷺ وهو يقرأ في فيَّ، فمن ذلك الوقت أشم من فيَّ هذه الرائحة» وكان زاهداً جواداً، صلى في مسجد رسول الله ρ ستين سنة.

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، بحر التفسير، وحبر الأمة، حفظ المحكم في زمن النبي ρ، ثم عرض القرآن كله على أُبّي بن كعب وزيد بن ثابت، عرض عليه القرآن مولاه درباس، وسعيد بن جبير، ويزيد ابن القعقاع، وتوفى بالطائف، وكف بصره سنة (٦٨هـ). انظر: غاية النهاية (١/٤٢٥-٤٢٦).

(٢) عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة، الصحابي الكبير، اسلم هو وأمه سنة (٧هـ)، وأخذ القرآن عرضاً عن أبي بن كعب، وعرض عليه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبو جعفر، ومناقبه وفضائله وتواضعه وعلمه أكثر من أن تُحصر، تنتهي إليه قراءة أبي جعفر ونافع، توفي سنة (٥٨هـ). غاية النهاية (١/٣٧٠).

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أبو محمد، عالم التابعيين، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، قرأ على ابن عباس وأبي هريرة، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد، وقرأ عليه عرضاً محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري، توفي سنة (٩٤هـ). انظر: غاية النهاية (١/٣٠٨).

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، أبو عبد الله الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، وصاحب المذهب، أخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبي نُعيم، وروى القراءة عنه أبو عمرو الأوزاعي ويحيى بن سعيد، وتوفي سنة (١٧٩هـ). غاية النهاية (٢/٣٥-٣٦).

(٥) سعد بن إياس أبو عمرو الشيباني، أدرك زمن النبي ρ ولم يره، عرض على ابن مسعود، عرض عليه يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النَّجود، توفي سنة (٩٦هـ)، وله (١٢٠ سنة). غاية النهاية (١/٣٠٣).

وسُئل مالك عن البسملة فقال: «سلوا عن كل علم أهله، ونافع إمام الناس في القراءة». وعن محمد بن إسحاق[1] قال: «لما حضرت نافعاً الوفاة قال له أبناؤه: أوصنا»، قال: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين».

وكان مولده في حدود سنة سبعين من الهجرة، وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة على الصحيح، وروى القراءة عنه سماعاً وعرضاً طوائف لا يأتي عليها العد من المدينة والشام ومصر وغيرها من بلاد الإسلام، وممن تلقوا عنه الإمام مالك بن أنس، وعيسى بن وردان، وأشهر الرواة عنه اثنان: قالون وورش[2]، وهاهي ترجمة كل واحد منهما:

قالون:

هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزُّرقي، مولى بني زهرة[3]، ويكنى أبو موسى ويلقب بـ (قالون)[4]، وهو قارئ المدينة ونحويها، وقد لازم نافعاً كثيراً، وهو الذي لقبه بقالون، قال: «قرأت على نافع قراءته غير مرة»، فقيل له: «كم قرأت على نافع؟»، قال: «ما لا أُحصيه كثرة، إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة».

أخذ عن نافع القراءة التي تلقاها نافع من أبي جعفر، والقراءة التي اختارها نافع، وعرض القراءة أيضاً على عيسى بن وَردان[5] وروى القراءة عنه أناس كثيرون سردهم واحداً واحداً الإمام ابن الجزري في طبقات القراء منهم محمد بن هارون أبو نَشيط.

قال أبو محمد البغدادي[1]: «كان قالون أصم شديد الصمم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه». وقال ابن أبي حاتم[2]: «كان أصم يقرئ الناس القرآن، ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة». توفي سنة (٢٢٠هـ)[3].

---

(١) محمد بن إسحاق بن محمد، أبو عبد الله الأصبهاني الحافظ الكبير، صاحب التصانيف، إمام كبير، انتهى إليه علم الحديث بالأمصار، كتب عن ألف وسبعمائة شيخ، روى القراءة عن علي بن جعفر البغدادي وغيره، وروى عنه ابنه إسحاق وأحمد بن الفضل الباطرقاني، توفي سنة (٣٩٥هـ). غاية النهاية (٢/٩٨-٩٩).

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار، (١/١٠٧-١١١)، غاية النهاية في طبقات القراء، (٢/٣٣٠-٣٣٤)، تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط/٢)، (١٩٧٥م)، (٢/٢٩٥-٢٩٦).

(٣) زهرة بن كلاب: بطن من بني مرة بن كلاب، من قريش، من العدنانية، معجم قبائل العرب (٢/٤٨٢).

(٤) قال الذهبي: «سمَّاه نافع بـ(قالون) لجودة قراءته، فإن قالون بلغة الرومية جيد»، وقال قالون: «كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين، ويقول لي: «قالون»؛ يعني جيداً بالرمية»، قال عبد الله بن علي: «إنما يكلمه بذلك؛ لأن قالون أصله من الروم، كان جد جده عبد الله منسبيِّ الروم في أيام عمر بن الخطاب فقدم به من أسره إلى عمر في المدينة، وباعه فاشتراه بعض الأنصار». غاية النهاية (١/٦١٥).

(٥) عيسى بن وَردان، أبو الحارث المدني، إمام مقرئ، وراوٍ، ومحقق ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه، توفي سنة (١٦٠هـ). غاية النهاية، (١/٦١٦).

وَرش:

هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم، مولى لآل الزبير ابن العوام[4]، وكنيته أبو سعيد، ولقبه ورْش[5]، ولد سنة (١١٠هـ) بمصر، وأصله من القيْروان[6]، ورحل إلى الإمام نافع بالمدينة فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة (١٥٥هـ).

وكان أشقراً، أزرق العينين، أبيض اللّون قصيراً، وكان إلى السمن أقرب منه إلى النحافة، انتهت إليه رياسة الإقراء بالدِّيار المصرية في زمانه، لا ينازعه فيها مُنازع مع براعته في العربية، ومعرفته بالتجويد، وكان حسَن الصوت، جيِّد القِراءة، لا يملّه سامعه، وله اختيار خالف فيه نافعاً[7].

وتوفي ورش بمصر في أيام المأمون[8]، سنة (١٩٧هـ)، عن (٨٧) سنة[9].

الإمام الثّاني: ابن كَثِير المَكِّي:

قال الشاطبي رحمه الله:

وَمَكَّةُ عَبْدُ اللهِ فِيهَا مُقَامُهُ ... هُوَ ابْنُ كَثِيرٍ كَاثِرُ الْقَوْمِ مُعْتَلا

---

(١) يونس بن محمد، أبو محمد البغدادي، المؤدب الحافظ، روى القراءة عن هارون بن موسى الأعور، وحدث عن شيبان والقاسم الحداني والليث، روى عنه القراءة أبو خيثمة زهير بن حرب، وحدث عنه أحمد بن حنبل وعبد بن حميد، توفي سنة (٢٠٨هـ). انظر: غاية النهاية (٤٠٣/٢-٤٠٨).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالري وإليها نسبته، له تصانيف منها (الجرح والتعديل)، توفي سنة (٣٢٧هـ). تذكرة الحفاظ (٢٣٤/٢).

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار، (١٥٥/١-١٥٦)، غاية النهاية، (٦١٥/١-٦١٦).

(٤) الزبير بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة (٣٦هـ)، بعد منصرفه من وقعة الجمل، تقريب التهذيب (٢٥٩/١).

(٥) قال ابن الجزري: «إن نافعاً لقبه بالورشان؛ لأنه كان على قِصره يلبس ثياباً قصاراً، وكان إذا مشى بدت رجلاه، مع اختلاف ألوانه، فكان نافع يقول: «هات يا ورشان، وأقرأ يا ورشان، وأين الورشان»، ثم خفف فقيل ورش، والورَشان طائر معروف»، وقيل إن الورش شيء يصنع من اللبن لُقِّب به لبياضه، ولزمه ذلك حتى صار لا يُعرف إلا به، وكان يقول: «أستاذي سمَّاني به». غاية النهاية (٥٠٢/١).

(٦) القيْروان: في الإقليم الثالث، طولها (٣١ْ) وعرضها (٣٠ْ)، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، وهي مدينة مُصِّرت في الإسلام في أيام معاوية. معجم البلدان (٤٢٠/٤-٤٢١)

(٧) ولقد قام ابن الباذش بإفراد باب في كتابه سماه (ما خالف به الرُّواة أئمتهم)، ولقد تناول فيه مخالفة ورش لنافع، مثال ذلك في قوله تعالى: [وَمَحْيَايَ] الأنعام (١٦٢)، فقد رواها عن إمامه بإسكان الياء. قال أبو الأزهر: «وأمرني ورش أن أنصبها مثل [مَثْوَايَ] يوسف (٢٣)، وزعم أنه أقيس في النحو». انظر: الإقناع في القراءات السبع، (٥٦٣/١-٥٦٩).

(٨) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه، وكان فصيحاً مُفوهاً، واسع العلم، محباً للعفو، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨هـ)، وتوفي سنة (٢١٨هـ). الأعلام (١٤٢/٤).

(٩) انظر: معرفة القراء الكبار، (١٥٢/١-١٥٥)، غاية النهاية (٥٠٢/١-٥٠٣).

أحمَ بزّي ومحمّ، سَ بُ قُلا[١]

وابن كثير هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هُرمز، وكنيته أبو معَبْد الدّاري[٢]، ولد بمكة سنة (٤٥هـ)، وكان فصيحاً بليغاً مفوهًاً، أبيض اللّحية، أسمر اللون، أشهل[٣] العينين، يخضب بالحنَّاء، عليه السّكينة والوقار.

وهو أحد القرَّاء السَّبعة، وتابعي جليل، لقي من الصحابة بمكة: عبد الله بن الزبير[٤]، وأبا أيوب الأنصاري[٥]، وأنس بن مالك[٦]، ومجاهد بن جبر[٧]، ودِرْباس[٨] مولى ابن عباس، وروى عنهم.

أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر، ودرباس مولى ابن عباس، قال الأصمعي[٩]: «قلت لأبي عمرو: «قرأت على ابن كثير؟»، قال: «نعم، ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مُجاهد».

وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مُجاهد، قال ابن مُجاهد: «لم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكّة حتى مات سنة (١٢٠هـ)»، ونقل الإمام الشافعي[١٠]، قراءة ابن كثير وأثنى عليها، وقال: «قِراءتنا قِراءة عبد الله بن كثير، وعليها وجدت أهلُ مكَّة».

---

(١) قوله: «مُقامه» موضع الإقامة، كاثر القوم معتلى: أي غالب القوم اعتلاءً بعلمه وفضله، وفي قوله: «على سند» أي: بواسطة سند؛ أي رواة بين ابن كثير وراوييه. انظر: المتن، ص (٣)، الوافي، ص(١٧).

(٢) لقب بـ(الداري)؛ لأنه كان عطاراً، والعطار تسميه العرب دارياً نسبة إلى دارين موضع بالبحرين، يُجلب منه الطيب. غاية النهاية (١/٤٤٣).

(٣) الشُّهْلة في العين: أن يشوب سوادها زُرقة، يقال: عينٌ شَهْلاء، ورجلٌ أشهل العينين بيِّن الشَّهل. لسان العرب (١١/٣٧٣).

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوّام، القرشي الأسدي، وأبو خُبيب، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة، من المهاجرين وولّي الخلافة تسع سنين، قتل في ذي الحجة سنة (٧٣هـ). تقريب التهذيب (١/٤١٥).

(٥) خالد بن زيد بن كُليب الأنصاري، أبو أيوب، من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي ρ حين قدم المدينة عليه، توفي غازياً بالرُّوم، سنة (٥٠هـ) وقيل بعدها. تقريب التهذيب (١/٢١٣).

(٦) أنس بن مالك بن النَّضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ρ خدمهُ عشر سنين، صحابي مشهور، توفي سنة (٩٣هـ) وقد جاوز المائة. تقريب التهذيب (١/٨٤).

(٧) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المخزومي، مولاهم، المكّي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، توفي سنة إحدى، أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة. تقريب التهذيب (٢/٢٢٩).

(٨) درباس المكّي مولى عبد الله بن عباس، عرض على مولاه ابن عباس، وروى القراءة عنه عبد الله بن كثير، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن، وزمعة بن صالح المكيون. غاية النهاية (١/٢٨٠).

(٩) عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي الباهلي البصري، إمام اللغة، وأحد الأعلام فيها، وفي العربية، والشعر، والأدب، وأنواع العلم، روى القراءة عن نافع، وأبي عمرو، وروى حروفاً عن الكسائي، توفي سنة (٢١٦هـ)، عن (٩١ سنة). غاية النهاية (١/٤٧٠).

(١٠) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبيد بن عبد العزيز بن هاشم بن المطَّلب المطَّلبي، أبو عبدالله الشافعي، المكّي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، توفي سنة (٢٠٤هـ)، وله (٥٤ سنة). تقريب التهذيب (٢/١٤٣).

روى عنه القراءة جماعة من بينهم: سفيان بن عينية[١]، أبو عمرو بن العلاء، وعيسى ابن عمر، وأشهر من روى قراءته البزِّي وقُنْبل[٢]، وهاك ترجمة كل منهما.

البَزِّي:

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزَّة[٣]، وكنيته أبو الحسن، ولد سنة (١٧٠هـ) بمكة، وهو أكبر من روى قِراءة ابن كثير، رواها عن عكرمة بن سليمان[٤]، عن إسماعيل بن عبد الله القُسط[٥]، وعن شبل بن عبَّاد[٦] عن ابن كثير، ولم ينفرد البزِّي برواية قراءة ابن كثير، بل رواها معه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب، لكنه كان أشهر الرواة وأميزهم وأعدلهم، وهو أستاذ محقق ضابط مُتقن للقراءة، ثقة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكَّة، وكان مؤذن المسجد الحرام، وإمامه أربعين سنة.

قرأ عليه كثيرون منهم: محمد بن عبد الرحمن الشهير بقُنبل، وهو الرَّاوي الثَّاني لقراءة ابن كثير، وتوفي البزِّي بمكة سنة (٢٠٥هـ) عن ثمانين سنة[٧].

قُنْبل:

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي المكِّي، وكنيته أبو عمرو، ولقبه قُنبل[١]، شيخ القراء بالحجاز، ولد سنة (١٩٥هـ).

---

(١) سفيان بن عينية بن أبي عمران ميمون أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي الأعور الإمام المشهور، عرض القرآن على حُميد بن قيس الأعْرج، وعبد الله بن كثير، وروى القراءة عنه سلاَّم بن سليمان، توفي أول يوم في رجب سنة(١٩٨هـ). غاية النهاية(٣٠٨/١).

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار، (٨٨،٨٦/١)، غاية النهاية (٤٤٥،٤٤٣/١)، تقريب التهذيب (٤٤٢/١).

(٣) قال الأهوازي: «أبو بَزَّة الذي يُنسب إليه البزِّي اسمه بشار فارسي، من أهل همذان أسلم على يد السائب ابن أبي السائب المخزومي، والبَزَّة: الشِّدة، قال ابن الجزري: وفيه لغة أن البَزَّة من قولهم بزَّه بزة؛ إذا سلبه مرَّة». غاية النهاية (١١٩/١).

(٤) عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر أبو القاسم المكِّي، عرض على شبل، وإسماعيل القُسط، كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه، وقد تفرد عنه البَزِّي بحديث التكبير من الضحى، أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: «على شرط الشيخين»، بقي إلى قبيل المائتين. غاية النهاية (٥١٥/١).

(٥) إسماعيل بن عبد الله بن قُسطنطين، أبو إسحاق المخزومي مولاهم المكي المعروف بالقُسط، مقري مكة، قرأ على ابن كثير، وعلى صاحبيه شبل بن عباد ومعروف بن مشكان، وأقرأ الناس زماناً، وكان ثقة ضابطاً، قرأ عليه محمد بن إدريس الشافعي، وغيره. وتوفي سنة (١٧٠هـ). غاية النهاية (١٦٦،١٦٥/١).

(٦) شبل بن عباد أبو داود المكِّي، مقري مكَّة، ثقة ضابط، هو من أجل أصحاب ابن كثير، عرض على ابن محيصن، وابن كثير، وهو الذي خلفه في القراءة، روى القراءة عنه عرضاً إسماعيل القُسط، وابنه داود بن شبل، وعكرمة بن سليمان، بقي إلى قريب سنة (١٦٠هـ). انظر: غاية النهاية (٣٢٤،٣٢٣/١).

(٧) انظر: معرفة القراء الكبار، (١٧٨،١٧٣/١)، غاية النهاية، (١٢٠،١١٩/١).

أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد بن عون النَّبَّال[2] وأحمد البزِّي، وعلى أبي الإخريط وهب بن واضح[3] وشبل بن عباد، ومعروف بن مِشْكان[4] عن ابن كثير.

وكان قنبل إماماً في القراءة، متقناً ضابطاً، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالحجاز، وهو من أجل من روى قراءة ابن كثير وأوثقهم، وقُدِّم البزِّي عليه؛ لأنه أعلى سنداً منه، إذ هو مذكور فيمن تلقَّى عنهم قنبل. قال عبد الله القصَّاع[5]: «وكان على الشُّرطة بمكَّة؛ لأنه كان لا يليها إلا رجلٌ من أهل الفضل والخير والصَّلاح، ليكون لما يأتيه من الحدود والأحكام على صواب، فولّوها لقنبل، لعلمه وفضله عندهم». قال الذهبي: «إن ذلك كان في وسط عُمره فحمدت سيرته ثم إنه طعن في السن، وشاخ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين». توفي سنة (٢٩١هـ). وعن (٩٦ سنة)[6].

الإمَام الثَّالِثْ: أَبو عَمرْو بن العَلاَء:

قال الشاطبي رحمه الله:

وأمَّا الإمام ... **بو عمرٍو** البصري فوالِـ... العلا
... ضَ ... لى يحيى اليَ...بدِ ... صبح بالعَ...ب ... فُت ... لَّلا
... عُ ... **الدُّرِي** صالِحهم أبو ... هو **سُّوسيٌّ** ... نه ... قبلا[7]

---

(١) قال ابن الجزري: «اختلف في سبب تلقُّبه قنبلاً فقيل اسمه، وقيل لأنه من بيت بمكة يُقال لهم القنابلة، وقيل لاستعماله دواء يُقال له قنبيل معروف عند الصيادلة لداء كان به فلما أكثر منه عُرِف به، وحُذفت الياء تخفيفاً». غاية النهاية (١٦٦/١).

(٢) أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمر بن صبح بن عون أبو الحسن النَّبَّال المكي، المعروف بالقواس، إمام مكة في القراءة، قرأ على وهب بن واضح، قرأ عليه قُنبل، وعبد الله بن جبير الهاشمي، والبزِّي أيضاً في قول الداني، توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر: غاية النهاية (٢٣/١، ٢٤).

(٣) وهب بن واضح أبو الإخريط، المكي، مقري أهل مكة، أخذ القراءة عرضاً عن إسماعيل القُسط، ثم شبل ابن عباد، ومعروف بن مشكان، روى القراءة عنه عرضاً أحمد بن محمد القواس، وأحمد بن محمد البزِّي، توفي سنة (١٩٠هـ). انظر: غاية النهاية (٣٦١/١).

(٤) معروف بن مشكان أبو الوليد المكي، مُقْرِي مكة مع شبل، وهو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى في السفن لطرد الحبشة من اليمن، أخذ القراءة عرضاً عن ابن كثير، وهو أحد الذين خلفوه في القيام بها، روى عنه القراءة عرضاً إسماعيل القُسط، ووهب بن واضح، توفي سنة (١٦٥هـ). غاية النهاية (٣٠٣/٢، ٣٠٤).

(٥) محمد بن إسرائيل بن أبي بكر أبو عبد الله السِّلمي الدمشقي المعروف بالقصَّاع، أستاذ كبير عارف، اعتنى بهذا العلم أتمّ عناية، ورحل إلى الديّار المصرية فقرأ بالكثير على الكمال الضرير، وولِّي مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية، وألَّف كتاب الإستبصار والمُغني، توفي سنة (٦٧١هـ). غاية النهاية (١٠٠/٢).

(٦) انظر: معرفة القراء الكبار، (٢٣٠/١)، غاية النهاية، (١٦٥/٢، ١٦٦).

(٧) المازني: نسبة لبني مازن، والصَّريح: الخالص النسب، الإفاضة: الإفراغ، والسَّيب: العطاء، والمراد به هنا العلم. والفُرات: العذب وجمع بينهما للتأكيد، والمُعلل: الذي يسقي مرة بعد أخرى. وقوله: «أفاض على يحيى

فأبو عمرو هو زبَّان بن العلاء بن عمَّار بن العُريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جَلهمة، ينتهي نسبه إلى عدنان، وهو الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري، أحد القراء السَّبعة، ولد بمكة سنة (٧٠هـ)، ونشأ بالبصرة، وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج[1]، فقرأ بمكة والمدينة، وقرأ بالكوفة، والبصرة على جماعات كثيرة، فليس في القراء السَّبعة أكثر شيوخاً منه، سمع من أنس بن مالك، وغيره من الصَّحابة، فلذلك عُدّ من التَّابعين ويُوثقه أهل الحديث ويصفونه: بأنه صدوق.

وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري[2]، وعلى أبي جعفر، وحميد بن قَيس الأعرج، وأبي العالية[3]، ويزيد بن رُومان، وشيبة بن نَصاح، وعاصم بن أبي النَّجود، وعبد الله بن كثير، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعطاء بن أبي رباح[4]، وعكرمة بن خالد المخزومي[5]، وعكرمة[6] مولى

اليزيذي سيبه» أي: أفاض أبو عمرو سيبه، الذي هو العلم، على يحيى اليزيدي، فأصبح يحيى ببركة إفاضة أبي عمرو العلم عليه معللاً ريَّان من العلم، ويحيى هذا هو السند المتوسط بين أبي عمرو وراوييه، انظر: المتن، ص (٣)، الوافي، ص (١٨).

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان، وأمره بقتل عبد الله بن الزبير فقتله، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف،وكان سفاكاً سفاحاً، توفي سنة (٩٥هـ). انظر: الأعلام (٦٨/٢).

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، إمام زمانه علماً وعملاً، قرأ على حطَّان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أُبيّ وزيد وعمر، وروى عنه عمرو بن العلاء، ويونس بن عُبيد، وعاصم الجحدري، ومناقبه جليلة، وأخباره طويلة، وتوفي سنة (١١٠هـ). انظر: غاية النهاية (٢٣٥/١).

(٣) رُفيع بن مهران أبو العالية الرِّياحي، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي ρ بسنتين، ودخل على أبي بكر، وصلىَّ خلف عمر بن الخطاب، أخذ القرآن عرضاً عن أبيٍّ بن كعب، وزيد بن ثابت وابن عباس، وقرأ عليه الحبحاب والحسن بن الربيع والأعمش وأبو عمرو، توفي سنة (٩٦هـ). غاية النهاية (٢٨٤/١،٢٨٥).

(٤) عطاء بن أبي رباح بن أسلم أبو محمد القُرشي، مولاهم المكّي أحد الأعلام، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى القراءة عن أبي هريرة، عرض عليه أبو عمرو، قال ابن معين: «حجَّ سبعين سنة، وعاش مائة سنة». مات سنة (١٥هـ) وقيل (١٤هـ). غاية النهاية (٥١٣/١).

(٥) عكرمة بن خالد بن العَاص، أبو خالد المخزومي المكي، تابعي ثقة جليل حُجَّة، روى القِراءة عرضاً عن ابن عباس وابن عمر، عرض عليه أبو عمرو بن العَلاء، توفي سنة (١٥هـ). غاية النهاية (١٥١/١).

(٦) عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله المفسِّر، وردت الرِّواية عنه في حروف القرآن، روى عن مولاه وأبي هريرة وابن عمر، عرض عليه أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة (١٠٦هـ). غاية النهاية (٥١٥/١).

ابن عبَّاس، ومُجاهد بن جَبر، ومحمد بن مُحيصن، ويحيى بن يَعْمر، ونصر بن عاصم[١]، وسعيد بن جبير[٢].

وكان أبو عمرو لجلالته لا يُسأل عن اسمه، وكان من أشراف العرب ووجوهها، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية، وأيَّام العرب والشعر، مع الصِّدق والثقة والأمانة والزُّهد والدين، قال ابن كثير [٣]: «كان أبو عمرو علامة زمانه في القراءات والنَّحو والفقه، ومن كبار العُلماء العَاملين».

وروى عنه القراءة عرضاً وسماعاً أناسٌ لا يحصون كثرة، منهم: يونس بن حبيب[٤]، وسيبويه[٥]، وأخذا عنه النَّحو أيضاً، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة، منهم: أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى[٦]، والأصمعي، وغيرهما، وتوفي في سنة (١٥٤هـ)، وأشهر من روى قراءته حفص الدُّوري والسُّوسي[٧]، وهاهي ترجمتهما.

حَفْص الدُّوري:

هو حفص بن عمر بن عبْد العَزيز بن صُهبان بن عَدي بن صَهْبان الدُّوري[٨] الأزدي البغدادي، النَّحوي، المُقري، الضرير، راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي، وكنيته أبو عمر، ولد سنة (١٥٠هـ) في الدُّور.

---

(١) نصر بن عاصم اللّيثي، البصري النحوي تابعي، سمع من مالك بن الحويرث، وأبو بكرة الثقفي، عرض القرآن على أبي الأسود، روى القراءة عنه عرضاً أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، وقال النَّسائي وغيره: «ثقة». توفي سنة (٩٠هـ). غاية النهاية (٢/٣٣٦).

(٢) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ)، ولم يكمل الخمسين. تقريب التهذيب (١/٢٩٢).

(٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، وكان إمطاً في الحديث واللُّغة والتفسير، من مؤلفاته (البداية والنهاية) و(تفسير القرآن العظيم)، تلميذ ابن تيمية، توفي سنة (٧٧٤هـ). البداية والنهاية (١٤/٣٢٤).

(٤) يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضِّبي مولاهم البصري النَّحوي، روى القراءة عرضاً عن أبو عمرو، وعن حمَّاد بن سلمة، روى القراءة عنه ابنه حَرْمى، توفي سنة (١٨٥هـ)، غاية النهاية (٢/٤٠٦).

(٥) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر سيبويه الفارسي ثم البصري إمام النحو, روى القراءة عن أبي عمرو ابن العلاء, وروى القراءة عنه أبو عمر الجرمي والله أعلم, توفى سنة (١٨٠هـ). غاية النهاية(١/٦٠٢).

(٦) معْمَر بن المُثَّنى التيَّمي، أبو عبيدة النَّحوي، من أئمة العلم بالأدب واللُّغة، كان إبَاضِياً شعوبياً، من حُفّاظ الحديث، له (نقائض جرير والفرزدق). توفي سنة (٢٠٩هـ). انظر: بغية الوعاة (٢/٢٩٤،٢٩٦).

(٧) انظر: معرفة القراء الكبار، (١/١٠٠،١٠٥)، غاية النهاية (١/٢٨٨،٢٩٢).

(٨) قال ابن الجزري: «نسب إلى الدُّور، موضع ببغداد، ومحلة بالجانب الشرقي منها». انظر: غاية النهاية (١/٢٥٥).

أخذ القراءة عن إسماعيل بن جعفر[١] عن نافع،وقرأ على نافع أيضاً، وقرأ على يعقوب بن جعفر[٢] عن ابن جماز[٣]،وقرأ على سُليم[٤] عن حمزة، وعلى محمد بن سعدان[٥] عن حمزة، وقرأ على الكِسائي، وعلى يحيى بن المُبارك اليَزيدي[٦].

وهو ثقةٌ كبيرٌ ضابط، وكان إمام القُرَّاء في عصره، وشيخ النَّاس خصوصاً أهل العراق في زمانه، وقرأ بسائر الحروف متواترها وصحيحها وشاذّها،وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وقصده النَّاس من الآفاق لعلو سنده وسِعة علمه، ومن مصنفاته: (ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن)، (أحكام القرآن والسُّنن)، (فضائل القرآن)، و(أجزاء القرآن).

وروى عنه بعض الأحاديث ابن ماجة[٧] في سننه، وأبو حاتم، وقال: «صدوق»، وطال عمره في القراءة والإقراء، والأخذ والتَّلقين، وانتفع النَّاس بعلمه في سائر الآفاق، حتى توفي في شوال سنة (٢٤٦هـ)[٨].

الدُّوسي:

---

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، مولاهم، أبو إسحاق المدني، جليل ثقة، وقرأ على شيبة بن نصاح ثم على نافع، روى عنه القراءة عرضاً وسماعاً الكسائي وقتيبة بن مِهران وأبوعبيد القاسم بن سلاَّم والدُّوري، توفي ببغداد سنة (١٨٠هـ). غاية النهاية (١/١٦٣).

(٢) يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني،روى القراءة عرضاً عن ابن جمَّاز، ونافع، وروى القراءة عنه عرضاً أبو عمر الدُّوري، والكسائي، وحمزة بن القاسم ومحمد بن سعدان. غاية النهاية (٢/٣٨٩.٣٩٠).

(٣) سليمان بن مسلم بن جمَّاز أبو الربيع الزُّهري مولاهم المدني، مقري جليل ضابط، عرض على أبي جعفر، وشيبة، ثم عرض على نافع، وعرض عليه إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مِهران، توفي بعد سنة (١٧٠هـ). غاية النهاية (١/٣١٥).

(٤) سُليم بن منصور بن عمَّار البصري، روى القراءة عن حمزة، وهو عنه مشهور في أصحابه، روى القراءة عنه محمد بن عبد الرحمن الدَّهقان والحسن بن محمَّد بن الحارثي. غاية النهاية (١/٣١٩).

(٥) محمد بن سعدان، أبو جعفر، الضَّرير الكوفي النَّحوي، إمام كامل، مؤلف الجامع والمجرد، وغيرهما، وله اختيار لم يُخالف فيه المشهور، ثقة عدل، أخذ القِراءة عرضاً عن سليم عن حمزة، وعن يحيى بن المبارك، وحدث عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، توفي يوم الأحد من سنة (٢٣١هـ). غاية النهاية (٢/١٤٣).

(٦) يحيى بن المبارك بن المغيرة،الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقري ثقة علاَّمة كبير، عُرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي،فكان يؤدب ولده، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو، وعن حمزة. توفي سنة (٢٠٢هـ). انظر: غاية النهاية (٢/٣٧٥.٣٧٧).

(٧) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والرَّي، وصنَّف كتابه (سنن ابن ماجة)وهو أحد الكتب السِّتة المعُتمدة، وله (تفسير القرآن)، وكتاب (في تاريخ قزوين). تهذيب التقريب (٩/٥٣٠).

(٨)انظر: معرفة القُراء (١/١٩١.١٩٢)، غاية النهاية، (١/٢٥٥.٢٥٧)، تقريب التهذيب (١/١٨٧).

هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود السُّوسي[١] وكنيته أبو شُعيب، مقرئ ضابط محرر ثقة أخذ القراءة عرضاً وسماعاً على أبي محمد يحيى بن المُبارك اليزيدي، وهو من أجلِّ أصحابه وأكبرهم.

وروى عنه القراءة عرضاً وسماعاً ابنه مُحمد[٢]، وأحمد بن سعيد النَّسائي الحافظ[٣] وآخرون. توفي بالرَّقة سنة (٢٦١هـ)، وقد قارب التسعين[٤].

الإمام الرَّابِع: عبد الله بن عَامِر الشَّامي:

قال الشَّاطبي رحمه الله:

وأَمَّا دِمَشقُ الشَّام دَارُ ابْنِ عَامِرٍ فَتِلْكَ بِعَبْدِ اللهِ طَابَتْ مُحَلَّلا
هِشَامٌ وعبدُ اللهِ وَهْوَ انْتِسَابُهُ لِذَكْوَانَ بِالإسنادِ عَنْهُ تَنَقَّلا[٥]

الإمام المُشار إليه في الأبيات أعلاه هو عبد الله بن عامر بن يَزيد بن تَميم بن ربيعة بن عامر اليحصُبي[٦] بضم الصاد وكسرها، وكنيته أبو عمران، ولد سنة (٢١هـ).

أسنُّ القرَّاء السَّبعة وأعلاهم سنداً، وهو إمام أهل الشَّام في القراءة، والذي انتهت إليه مَشْيخة الإقراء بها، قرأ على أبي هاشم المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة المخزومي، بلا خلاف عند المحققين، وعلى أبي الدَّرداء عويمر بن زيد بن قيس، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان، وقرأ أبو الدَّرداء وعُثمان على رسول الله ρ.

وقد ثبت سماعه القرآن والحديث عن جماعة من الصَّحابة، منهم النعمان بن بشير[٧]، وفَضالة بن عُبيد[١]، فهو من التابعين، ولقد وُلِّي القضاء بدمشق بعد بلال بن أبي الدَّرداء[٢]، وكان

---

(١) نسبة إلى (سوس) مدينة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام، ومعنى السُّوس الحُسن والنَّزه والطِّيب واللُّطف. معجم البلدان (٢٨٠/١، ٢٨١).

(٢) محمد بن صالح بن زياد أبو المعصوم بن أبي شُعيب السُّوسي، مقري حاذق، وهو ممن خلف والده في القيام بالقِراءة، ولزم ما قرأ عليه، قرأ عليه أبو الحسن بن شنبوذ. غاية النهاية (١٥٥/٢).

(٣) أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي، الحافظ الكبير، روى الحروف عنه محمد بن أحمد بن قطن الطَّحاوي، توفي في صفر سنة (٣٠٣هـ) بالرَّملة. غاية النهاية (٦١/١).

(٤) انظر: معرفة القراء، (١٩٣/١)، غاية النهاية، (٣٣٢/١، ٣٣٣)، تقريب التهذيب، (٣٦٠/١).

(٥) نقل هشام وابن ذكوان القراءة عن ابن عامر، ولكن بواسطة بينهما وبينه، وهو ما أشار إليه بقوله: «بالإسناد». انظر: المتن، ص(٣)، الوافي، ص(١٩).

(٦) نسبة إلى يحصُب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود عليه السَّلام. غاية النهاية (٤٢٤/١).

(٧) النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، له ولأبويه صُحبة، ثم سكن الشام، ثم ولِّي إمرة الكوفة، ثم قُتل بحمص سنة (٦٥هـ)، وله (٦٤) سنة. تقريب التهذيب (٣٠٣/٢).

إمام الجامع بدمشق، وهو الذي كان ناظراً على عمارته حتى فرغ، وأمّ المُسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في عهد عمر بن عبد العزيز[3] وقبله وبعده، فكان عمر يأتَمّ به وهو أمير المؤمنين، وناهيك بذلك منقبة.

ولجلالته في العلم والإتقان جمع له الخليفة بين القضاء والإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق، ودمشق يومئذ دار الخلافة ومحط رحال العُلماء والتّابعين، فأجمع النّاس على قراءته وعلى تلقّيها بالقبول وهم الصدر الأول، وأفاضل المُسلمين.

روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن الحارث الذّماري، وهو الذي خلفه في القيام بها والإقراء لها، توفّي بدمشق سنة (١١٨هـ)، وأشهر من روى قراءته هشام وابن ذكوان[4]، وستأتي ترجمتها، بإذن الله.

هِشَام:

هو هشام بن عمّار بن نُصير بن ميسَرة السّلمي الدّمشقي، وكنيته أبو الدَّرداء، ولد سنة (١٥٣هـ) إمام أهل دمشق وخطيبهم ومُقرئهم ومُحدّثهم ومُفتيهم، مع الثقة والضبط والعدالة.

قرأ على عِراك المُرّي[5]، وأيّوب بن تميم[6] وغيرهما، عن يحيى الذّماري عن عبد الله بن عامر بسنده إلى رسول الله ρ، وكان فصيحاً علامة واسع العلم والرّواية والدّراية، وقد رُزق كبر السّن وصحة العقْل والرّأي فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث.

وروى عنه الحديث البخاري[1] في صحيحة، وأبو داود[2]، والنّسائي، وابن ماجة في سننهم، وروى عنه القِراءة أبو عبيد القاسم بن سلاّم وغيره، توفي سنة (٢٤٥هـ)[3].

---

(١) فضَالة بن عُبيد بن نافذ، ابن قيس، الأنصاري، أول ما شهد أحد، ثم نزل دمشق، وَوُلّي قضاءها، وتوفي سنة (٥٨هـ)، وقيل قبلها. تقريب التهذيب (١٠٩/٢).

(٢) بلال بن أبي الدَّرداء الأنصاري، قاضي دمشق، ثقة، من الثّانية، توفي سنة (٩٣هـ). تقريب التهذيب (١٠٩/١).

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أمير المُؤمنين، أمُّه أم عاصم بنت عمر عاصم بن عمر بن الخطاب، ولّي إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير، وولّي الخلافة بعده، فعُدّ من الخلفاء الراشدين، توفي سنة (١٠١هـ)، وله أربعون سنة، وخلافته سنتان ونصف. تقريب التهذيب (٦٠.٥٩/٢).

(٤) انظر: معرفة القراء، (٨٦.٨٢/١)، غاية النهاية، (٤٢٥.٤٢٣/١)، تقريب التهذيب، (٤٢٥/١).

(٥) عِراك بن خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح بن جشم، أبو الضحاك المُرّي الدّمشقي، شيخ أهل دمشق في عصره، أخذ القِراءة عرضاً عن يحيى بن الحارث الذّماري وعن أبيه، وهو أحد الذين خلفوا الذّماري في القراءة بالشام، توفي قبل سنة (٢٠٠هـ). غاية النهاية (٥١١/١).

(٦) أيوب بن تميم بن سُليمان بن أيوب أبو سُليمان التميمي الدّمشقي ضابط مشهور، قرأ على يحيى الذّماري، وهو الذي خلفه في القراءة بدمشق، توفي سنة (١٩٨هـ)، وله (٩٩) سنة. غاية النهاية (١٧٢/١).

ابن ذَكْوان

هو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان بن عمرو، وكنيته أبو محمَّد القُرَشي الفِهري الدِّمشقي، الإمام الأستاذ المشهير الراوي الثِّقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، ولد سنة (١٧٣هـ).

أخذ القراءة عرضاً على أيُّوب بن تميم، قال أبو عمرو: «وقرأ على الكسائي حين قدم الشَّام»، وقال ابن ذكوان: أقمت عند الكِسائي سبعة أشهر، وقرأت عليه القرآن غير مرة». انتهت إليه مَشْيخة الإقراء بدمشق بعد هشام، قال أبو زُرعة الدِّمشقي[٤]: «لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشَّام ولا بمصر ولا بخُراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي مِنْه»، وألَّف كتاب: (أقسام القُرآن وجوابها)، وكتاب (ما يجب على قارئ القُرآن عند حركة لِسانه).

روى عنه القراءة ابنه أحمد[٥] وأبو زُرعة الدَّمشقي وآخرون، توفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة (٢٤٢هـ)[٦].

الإِمَام الخَامِس: عَاصِم بن أَبي النَّجود الكُوفيّ:

قال الشَّاطبي رحمه الله:

وبِكوفـةِ غَـرَّاءِ منهُم ثلاثـة ... أذاعُوا فقد ضاعت شذاً وقَرنفلا

فأمَّا أبو بَكْرٍ وعاصِمٌ اسْمُه ... **فشُعْبَةُ** راوِيه المُبرِّز أفْضَلا

وذاكَ ابنُ عيَّاشٍ **أبو بكرٍ** الرِّضا ... وحَفْصٌ وبالإتقانِ كان مُفضَّلا[٧]

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجَعْفي، أبو عبد الله البُخاري، جَبل الحفظ، وإمام الدُّنيا، ثقة من الحادية عشرة، مات سنة (٢٥٦هـ) من شوال، وله (٦٢) سنة. تقريب التهذيب (٢/١٤٤).

(٢) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد الأزدي، السِّجستاني، أبو داود، ثقة حافظ، مصنِّف السُّنن وغيرها، من كبار العلماء من الحادية عشرة، توفي سنة (٢٧٥هـ). تقريب التهذيب (١/٣٢١).

(٣) انظر: معرفة القراء، (١/١٩٥.١٩٨)، غاية النهاية، (٢/٣٥٤.٣٥٦)، تقريب التهذيب، (٢/٣٢٠).

(٤) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النَّصري، أبو زُرعة الدِّمشقي، ثقة حافظ مصنف، من الحادية عشرة، توفي سنة (٢٨١هـ). تقريب التهذيب (١/٤٩٣).

(٥) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بِشر بن ذكوان الدِّمشقي أبو عبيدة، أخذ عن أبيه، ولم يشتهر في المتصدرين كاشتهار غيره من أصحاب أبيه. غاية النهاية (١/٧١).

(٦) انظر: معرفة القراء، (١/١٩٨.٢٠١)، غاية النهاية، (١/٤٠٤.٤٠٥)، تقريب التهذيب، (١/٤٠١).

(٧) وُصِفت الكوفة بـ(الغَرّاء) لما فيها من كثرة العلماء، أذاعوا: نشروا العلم بين النَّاس. ضاعت: فاحت رائحة العلْم بها، والشَّذا: العود أو المِسْك، والقَرَنفل: معروف. والمبرِّز: هو الذي فاق أقرانه. انظر: المتن، ص (٣)، الوافي، ص (١٩).

هو عاصم بن بهدلة أبي النَّجود[1]، وكنيته أبو بكر، وهو أسدي كوفي، وأحد القُرَّاء السَّبعة، وتابعي جليل، فقد حدَّث عن أبي رِمثة رفاعة التميمي[2]، والحارث بن حسَّان البكري[3]، وكان لهما صُحبة.

أخذ القِراءة عَرْضاً عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة السلَّمي الضَّرير، وعلى أبي مريم زِرِّ بن حُبَيْش بن حُباشة الأسدي[4]، وعلى أبي عَمرو سعد بن إياس الشَّيباني، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود، وقرأ زِر والسَّلمي أيضاً على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وقرأ السَّلمي أيضاً على أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وقرأ ابن مَسْعود وعُثمان وعَلي وأبيّ وزيد على رسول الله ρ.

وعاصم هو الإمام الذي انتهت إليه مَشْيخة الإقراء بالكوفة، بعد أبي عبد الرحمن السَّلمي، ورحل إليه النَّاس لِلْقراءة من شتى الآفاق، جمع بين الفَصاحة والتَّجويد والإتْقان والتحرير، وكان أحسن النَّاس صوتاً بالقُرآن، قال شعبة: لا أحصي ما سمعت أبا إسحاق السَّبيعي[5] يقول: «ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النَّجُود». وكان عالماً بالسُّنة لُغوياً نحوياً فقيهاً.

وقال عبد الله بن أحمد بن حَنْبل[6]: «سألت أبي[7] عن عاصم بن بَهْدلة، فقال: «رجل صالح خَيِّر ثقة»، فسألته أيُّ القِراءة أحبُّ إليك؟، قال: قِراءة أهل المدينة فإن لم تكن فقراءة عاصم»»، ووثقه أبو زُرعة، وقال أبو حاتم: «محلّه الصدق»، وحديثه مخرج في الكتب الستة[1].

---

(١) قال ابن الجزري: «بهدلة اسم أمه، ولذلك قيل له عاصم بن بَهْدلة». غاية النهاية (٣٤٧/١).

(٢) أبو رِمثة. بكسر أوله وسكون الميم بعدها مثلثة، البَلَوي، وقيل اسمه رفاعة بن يثرب، صحابي، قال ابن سعد: «توفي بإفريقيا». تقريب التهذيب، (٤٢٣/٢).

(٣) الحارث بن حسَّان البَكْري، ويُقال اسمه حُريث، صحابيٌّ له وِفادة، ونزل البادية، وكان يقدم الكوفة. تقريب التهذيب (١٤٠/١).

(٤) زِر بن حُبَيش بن حُباشة أبو مريم الأسدي الكوفي، أحد الأعْلام، عرض على ابن مسعود وعُثمان بن عفَّان وعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. قال عاصم: «ما رأيت أقرأ من زِر، وكان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية»، توفي سنة (٨٢هـ). غاية النهاية (٢٩٤/١).

(٥) عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد أبو إسحاق السَّبيعي الهمداني الكُوفي الإمام الكبير، أخذ القراءة عرضاً عن الحارث الهَمداني، وأبي عبد الرحمن السَّلمي، وغيرهما، ورأى من الصَّحابة علي وابن عباس وابن عمر وغيرهم، أخذ عنه القِراءة عرضاً حمزة الزَّيَّات، توفي سنة (١٣٢هـ). غاية النهاية (٦٠٢/١).

(٦) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حَنْبل، أبو عبد الرحمن البغدادي، الثّقة الشَّهير ابن الإمام الكبير، روى القِراءة عن أبي موسى الهروي عن عباس بن الفاضل عن خارجة عن نافع، وعن أبيه أحمد بن حنبل، روى القِراءة عنه ابن مجاهد، توفي سنة (٢٩٠هـ). غاية النهاية (٤٠٨/١).

(٧) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشَّيباني، أحد أعلام الأمَّة وأزهد الأئمة، أخذ القِراءة عرضاً عن يحيى بن آدم، وعبيد بن عقيب، وروى القِراءة عنه ابنه عبد الله، توفي سنة (٢٤١هـ). غاية النهاية (١١٢/١).

وقال أبو بكر بن عيَّاش: «دخلت على عاصم وقد احتضر فجعلت أسمعه يردِّد هذه الآية [ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ][2] يحققها كأنه في الصَّلاة، فعلمت أن القراءة منه سَجيَّة[3]».

روى القراءة عنه خلقٌ كثير منهم: حفص بن سُليمان، وأبو بكر شُعبة بن عيَّاش، وهما أشهر الرواة عنه، وسُليمان بن مِهران الأعمش، وروى عنه حروفاً من القرآن أبو عمرو بن العَلاء، وحمزة الزَّيَّات، والخليل بن أحْمد[4]، تُوفِّي آخر سنة (١٢٧هـ) بالكوفة[5] وها هي ترجمة راوييه حفص وشعبة.

شُعْبَة

هو شُعبة بن عيَّاش بن سالم الحنَّاط النَّهشلي الكوفي، وكنيته أبو بكر، ولد سنة (٩٥هـ).

عرض القرآن على عاصم أكثر من مرَّة، وعلى عطاء بن السائب[6]، وأسْلم المِنْقري[7] وعَمَّر طويلاً، إلا أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين.

وكان إماماً كبيراً عالِماً عامِلاً، حجة، من كبار أهل السُّنة، وكان يقول: «من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، زنديق، عدو لله، لا نجالسه، ولا نكلمه»[1].

---

(١) ونص الحديث: عن عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن ابن ام مكتوم، أنه سأل النبي ρ فقال: {يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لا يُلائِمُنِي فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي قَالَ هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ قَالَ نَعَمْ قَالَ لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً}، أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، (١٥١/١).

(٢) الأنعام، الآية (٦٢).

(٣) السَّجية: الطَّبيعة والخُلق، من غير تكلَّف. لسان العرب (٣٧٢/١٤).

(٤) الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، ويُقال الفرهودي الأزدي البَصْري النَّحوي، الإمام المشهور صاحب (العروض)، وكتاب (العين) وغير ذلك، وهو أوَّل من سُمِّي أحمد بعد النبي ρ، روى الحروف عن عاصم وابن كثير، توفي سنة (١٧٠هـ). غاية النهاية (٢٧٥/١).

(٥) انظر: معرفة القراء الكبار، (٨٨/١-٩٤)، غاية النِّهاية، (٣٤٦/١-٣٤٩)، تقريب التهذيب، (٣٨٣/١).

(٦) عطاء بن السَّائب أبو زيد الثَّقفي الكوفي أحد الأعلام، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عبد الرحمن السَّلمي، روى عنه شُعبة بن الحجاج، وأبوبكر بن عيَّاش، وجعفر بن سُليمان، ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، توفي سنة (١٣٠هـ). غاية النهاية (٥١٣/١).

(٧) أسلم المِنْقري يُكنى أبا سعيد، ثقة، توفي سنة (١٤٢هـ)، وهو من السَّادسة. تقريب التهذيب (٦٤/١).

عرض عليه القرآن أبو يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى[2]، وسَهْل بن شُعيب[3] وغيرهما، ولما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها: «ما يبكيك؟، أنظري إلى تلك الزّاوية فقد ختمت فيها القرآن ثمان عشرة ألف ختمة»، توفي في جمادى الأولى سنة (١٩٣هـ)[4].

حَفْص

هو حَفْص بن سُليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي البزّار[5]، وكنيته أبو عُمَر، ولد سنة (٩٠هـ)، أخذ القراءة عرضاً وتَلْقيناً عن عاصم، وكان ربيبه، ابن زوجته.

قال الدّاني: وهو الذي أخذ قراءة عاصم على النّاس تِلاوة، ونزل بغداد فأَقْرأ بها، وجاور بمكّة، فأقرأ أيضاً بها، وأقرأ النّاس دهراً، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى عليٍّ رضي الله عنه.

وقال أبو هشام الرِّفاعي[6]: «كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، فكان مرجَّحاً على شُعبة بضبط الحروف»، وقال الذهبي: «هو في القراءة ثقة ثَبْت ضابط». وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً أناس كثيرون، وتوفّي سنة (١٨٠هـ)[7].

الإمام السَّادِس: حَمْزَة الكُوفِيُّ:

قال الشاطبي رحمه الله:

وَحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ ... إِمَاماً صَبُوراً لِلْقُرَانِ مُرَتِّلا
رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وَخَلاَّدٌ الَّذِي ... رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتْقَناً وَمُحَصَّلا[8]

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحَبْر أبو عمارة الكوفي التميمي مولاهم[1]، أحد القراء السَّبعة، ولد سنة (٨٠هـ) وأدرك الصَّحابة بالسِّن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، فيكون من التابعين.

---

(١) وهذا قول الجهمية والمعتزلة، فقد قالوا: إنه مخلوق من مخلوقات الله، وليس من صفاته. ومن الجهمية من صرّح بنفي الكلام عن الله، ومنهم من أقرّ به وقال: إنه مخلوق. ومذهب أهل السُّنة: أنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. انظر: معجم ألفاظ العقيدة، ص (٣٥٢.٣٥٣).

(٢) يعقوب بن محمد بن خليفة، أبو يوسف الأعشى التَّميمي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً عن شعبة، وهو أجل أصحابه، روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً أحمد بن جبير، وتوفي سنة (٢٠٠هـ). غاية النهاية (٢/٣٩٠).

(٣) سهل بن شُعيب الكوفي، عرض على عاصم بن أبي النَّجود وعلى أبي بكر بن عيَّاش، روى القراءة عنه عبد الله بن حرملة بن عمرو. غاية النهاية (١/٣١٩).

(٤) انظر: معرفة القراء، (١/١٣٤.١٣٨)، غاية النهاية، (١/٣٢٥.٣٢٧).

(٥) نسبة لبيع البزّ، أي: الثياب، وحرفته البِزَازة. لسان العرب (٥/٣١٢).

(٦) محمد بن يزيد بن رِفاعة بن سماعة، أبو هشام الرِّفاعي الكوفي القاضي، إمام مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن سليم، وروى الحروف سماعاً من الأعشى، وعن الكسائي، وروى عنه مسلم في صحيحة والترمذي وابن ماجة في كتابيهما، توفي في سنة (٢٤٨هـ). غاية النهاية (٢/٢٨٠.٢٨١).

(٧) انظر: معرفة القراء، (١/١٤٠.١٤١)، غاية النِّهاية، (١/٢٥٤.٢٥٥)، تقريب التهذيب، (١/١٨٦).

(٨) قوله: «ما أزكاه» من الزّكاء: الطُّهر. والتّورع: الخشية والتُّقى وترك الشُّبهات. ثم ذكر راوياه اللذين رويا عنه بواسطة سُليم بن عيسى؛ لأنهما قرءا عليه، وقرأ هو على حمزة. المتن، ص(٤.٣)، الوافي، ص(٢٠).

أخذ القراءة عرضاً عن سُليمان الأعمش، على أبي حمزة حُمران بن أَعْيَن[2]، وعلى أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَيْلى[3]، وعلى طلحة بن مُصَرِّف[4]، وعلى أبي عبد الله جعفر الصَّادق بن محمد الباقر[5].

كان حمزة إمام النَّاس في القراءة بالكوفة، بعد عاصم والأعمش، وكان ثقِة حُجة قيماً بكتاب الله تعالى، بصيراً بالفرائض، عارفاً بالعربية، حافظاً للحديث، قال أبو حنيفة[6]: «لحمزة شيئان، غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما؛ القرآن والفرائض». وكان شيخه الأعمش إذا رآه أقبل يقول: «هذا حَبْر القرآن».

كان خاشعاً متضرعاً، مثلاً يُحتذى في الصِّدق والوَرع، والعبادة والتَّنسك والزهد في الدنيا، ولا يأخذ على تعليم القرآن أجراً[7]، وكان يقول لمن يُبالغ في المدّ وتحقيق الهمز: «لا تفعل، أما

---

(١) يُعرف (بالزَّيات) لأنه كان يجلب الزَّيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجبن والجوز منها إلى الكوفة. غاية النهاية (١/٢٦٣).

(٢) حُمران بن أَعْيَن أبو حمزة الكوفي مُقري كبير، أخذ القراءة عرضاً عن عُبيد بن نضيلة، ويحيى بن وثَّاب، وروى القراءة عنه عرضاً حمزة، وكان ثبتاً في القراءة، توفي (١٣٠هـ). غاية النهاية (١/٢٦١).

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي القاضي، أحد الأعلام، أخذ القِراءة عرضاً عن أخيه عيسى والشَّعبي والأعمش، وروى القِراءة عنه حمزة، والكسائي وروى عنه شُعبة والسُّفيانان ووكيع، وخلق، توفي سنة (١٤٨هـ). غاية النهاية (٢/١٦٥).

(٤) طلحة بن مُصَرِّف بن عمرو بن كعب أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الهمداني اليامي الكوفي، تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القِراءة عن إبراهيم بن يزيد النخعي، والأعمش، ويحيى بن وثاب، توفي سنة (١١٢هـ)، وكانوا يسمونه سيِّد القُراء. غاية النهاية (١/٣٤٣).

(٥) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السِّبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق، سادس الأئمة الأثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، ولُقِّب بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب قط، كان صدّاحاً بالحق، توفي بالمدينة سنة (١٤٨هـ). وفيات الأعيان (١/١٠٥).

(٦) النعمان بن ثابت بن زُوطا الإمام أبو حنيفة الكوفي، فقيه العِراق والمعظَّم في الآفاق، مولى بني تيم الله ابن ثعلبة، روى القراءة عرضاً عن الأعمش وعاصم وعبد الرحمن بن أبي ليْلى، ورأى أنس بن مالك، وحدّث عن عطاء والأَعْرج ونافع مولى ابن عمر وعكرمة، توفي سنة (١٥٠هـ). غاية النهاية (٢/٣٤٢).

(٧) قال ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ)، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، (٧/٢٤١)، قال ابن حجر: «هذا طرف من حديث وصله البخاري في كتاب الطب، وقد استدل به الجمهور في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وخالف الحنفية فمنعوه في التَّعليم وأجازوه في الرقى كالدواء، قالوا: لأن تعليم القرآن عبادة والأجر فيه على الله، وهو القياس، إلا أنهم أجازوه فيها لهذا الخبر»، وقال الشعبي: «لا يشترط المعلّم، إلا أن يُعطى شيئاً فليقبله» انظر: فتح الباري (٤/٤٥٢،٤٥٨).

علمت أن ما كان فوق البَياض فهو بَرص ٌ ، وما كان فوق الجُعُودة فهو قططٌ[1]، وما كان فوق القِراءة فلَيْس بِقراَءة».

وروى عنه القراءة أُناس لا يحصيهم العَدّ، منهم: سليم بن عيسى[2]، وهو أضبط أصحابه، وعلي بن حمزة الكسائي، وهو أجل أصحابه، ويحيى بن المبارك اليزيدي، توفي سنة (١٥٦هـ) بحلوان عن (٧٦سنة). وأشهر من روى قراءته خلف وخلاد[3]، وهاك ترجمتهما.

خلَفٍ:

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي البزارّ، وكنيته أبو مُحَمّد، ولد سنة (١٥٠هـ)، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، واختار لنفسه قِراءة، فكان أحد القراء العشرة.

أخذ القراءة عرضاً عن سُليم بن عيسى عن حمزة، وحَمّاد بن زيد[4] وعن أبي زيد سَعيد بن أَوس الأنصاري[5] عن المفضّل الضّبي[6] وكان ثقة كبيراً زاهداً عالماً عابداً، وقد تتبع ابن الجزري اختياره فلم يره يخرج عن قراءة الكوفيين بل ولا عن قراءة حمزة والكسائي وشعبة إلا في وَحَرَر قوله: [وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ][7] فقرأ كحفص[8]، وتوفي خلف في جمادى الآخرة سنة (٢٢٩هـ) ببغداد[9].

خلاّد:

---

[1]) يُقال: جَعد الشّعْر جُعُودةً، إذا كان فيه إلتواء وتقبُّض فهو خلاف المسترسل، وشعر قطّ وقطط إذا كان شديد الجُعودة مع القِصر. انظر: لسان العرب (١٢١/٣) و(٣٨٠/٧).

(٢) سلُيم بن عيسى بن سُليم بن عامر، أبو عيسى الحنفي، المقرئ، عرض القرآن على حمزة، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة، وروى عنه خلاد، توفي سنة (١٨٩هـ). غاية النهاية، (٣١٩.٣١٨/١).

(٣) انظر معرفة القراء، (١١٨.١١١/١)، غاية النهاية، (٢٦٣.٢٦١/١)، تقريب التهذيب، (١٩٩/١).

(٤) حماد بن زيد بن درهم، الإمام العلم، أبو إسماعيل البصري، روى الحروف عن عاصم بن أبي النّجود وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء، توفي سنة (١٧٩هـ). غاية النهاية (٢٥٨/١).

(٥) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري النحوي، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، روى القراءة عنه خلف بن هشام، كان من جُلة أصحاب أبي عمرو وكبرائهم، ومن أعيان أهل اللغة والنحو والشعر، توفي سنة (٢١٥هـ). غاية النهاية (٣٠٥/١).

(٦) المفضل بن محمد بن يعلى، الكوفي، إمام مُقرئ، نحوي إخباري موثق، أخذ القراءة عن عاصم والأعمش، روى القراءة عنه الكسائي وسعيد بن أوس، توفي سنة (١٦٨هـ). غاية النهاية (٣٠٧/٢).

(٧) الأنبياء، الآية (٩٥).

(٨) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص [وَحَرَامٌ] بالألف، وقرأ حمزة والكسائي [وَحِرْمٌ] بكسر الحاء بغير ألف. كتاب السبعة، ص (٤٣١).

(٩) انظر: معرفة القراء، (١/ ٢١٠.٢٠٨)، غاية النهاية، (٢٧٤.٢٧٢/١)، تقريب التهذيب، (٢٢٦/١).

هو خلادّ بن خالد الشّيباني الصيَّرفيُّ الكُوفي وكنيته أبو عيسى، ولد سنة (١١٩هـ) أخذ القراءة عرضاً عن سُليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم.

روى القراءة عن حسين بن علي الجعُفْيّ(١) عن أبي بكر بن عيّاش، وعن أبي بكر نفسه عن عاصم، وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي(٢) وخلاّد إمام في القراءة ثقة، عارف محقق، أستاذ مجوّد، ضابط، متقن، توفي في سنة (٢٢٠هـ)(٣).

الإمام السابع: الكِسَائيّ الكُوفيّ:

قال الشّاطبي رحمه الله:

وأمَّا عَليٌّ الكِسائيُّ نعتُه ... لما كانَ في الإحرام به ... بلا
... ى ... عنه ... الحارِ ... رّ ... ا ... دَس هُو الدُّوري وفي الذِّ ... قد خَلا(٤)

فالكسائيّ هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن بهمن بن فيروز مولى بني أسد، وهو من أهل الكوفة، وكنيته أبو الحسن ولقبه الكِسائي.

أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده، وعن محمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمداني(٥)، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش، وعن إسماعيل بن جعفر، وعن زائدة بن قدامة(٦).

وكان الكسائي إمام النّاس في القراءة في زمانه، وأعلمهم بها، وأضبطهم لها، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد الإمام حمزة. قال ابن مجاهد: «اختار الكسائي من قراءة حمزة ومن قراءة

---

(١) الحسين بن علي بن فتح، الإمام الحبر أبو عبد الله الجُعفي، مولاهم الكوفي الزاهد، أحد الأعلام، قرأ على حمزة، وروى القراءة عن ابن عياش و ابن العلاء، وقال أحمد بن حنبل: «ما رأيت أفضل من حسين الجعفي». توفي في سنة (٢٠٣هـ) عن (٨٤) سنة. غاية النهاية (٢٤٧/١).

(٢) محمد بن الحسن بن أبي سارة، إمام مشهور، روى الحروف عن أبي عمرو، وله اختيار في القراءة، روى عنه، واختيار في الوقوف، وروى عنه الكسائي وخلاد. غاية النهاية (١١٧.١١٦/٢).

(٣) انظر: معرفة القراء، (٢١٠/١)، غاية النهاية، (٢٧٥.٢٧٤/١).

(٤) سُئِل الكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: «لأنني أحرمت في كساء» وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: «لما كان في الإحرام فيه تسربلا» ثم أشار إلى راوييه الليث بن خالد، والدوري الذي تقدمت ترجمته عند الكلام على أبي عمرو بقوله: «وفي الذكر قد خلا». انظر: المتن، ص (٤)، الوافي، ص (٢١.٢٠).

(٥) عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني، الكوفي القارئ الأعمى، مقرئ الكوفة بعد حمزة، عرض على عاصم، وطلحة بن مصرف والأعمش، وعرض عليه الكسائي وخارجه بن مصعب وغيرهما، قال سفيان الثوري: «أدركت الكوفة وما بها أحد أقرأ من عيسى الهمداني»، توفي سنة (١٥٦هـ). غاية النهاية (٦١٣.٦١٢/١).

(٦) زائدة بن قُدامة أبو الصَّلت الثقفي، عرض القراءة على الأعمش، وعرض عليه الكسائي، وكان ثقة حجة كبيراً، صاحب مسند، توفي بالروم غازياً سنة (١٦١هـ). غاية النهاية (٢٨٨/١).

غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره».

وكان النَّاس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم،وينقِّطون مصاحفهم من قراءته، قال أبو بكر ابن الأنباري[١]: «اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم النَّاس بالنحو، وأوحدهم في الغَريب، وأوحدالناس في القرآن، فكانوا يُكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القُرآن من أوله إلى أخره، وهم يسمعون ويضْبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ». وقال الشَّافعي: «من أراد أن يتبحَّر في النحو فهو عِيَال على الكِسائي» فقد كان إماماً في النحو واللغة.

وروى عنه القراءة عرضاً وسماعاً أناس لا يُحصى عددهم منهم: أحمد بن جُبير[٢] والليَّث بن خالد، وحفص بن عمر الدوري، وأبو عبيد القاسم بن سلامَّ، وروى عنه الحروف يعقوب بن إسحاق الحضرمي.

وتوفي الكسائي رحمه الله سنة (١٨٩هـ) عن (٧٠ عاماً)، صحبة هارون الرشيد[٣] بقرية رَنْبَوَيْه[٤] من أعمال الريّ متوجهين إلى خُراسان[٥]، ومات معه في المكان المذكور محمد بن الحسن[٦]، صاحب الإمام أبو حنيفة. فقال الرشيد: «دفنا الفقه والنحو بالريّ».

وللكسائي مؤلفات في القراءات والنحو؛ منها كتاب (معاني القرآن)، (القراءات)، (النَّوادر)، (النحو) (الهجاء) (مقطوع القرآن وموصوله)، (المصادر)، (الحروف)، (الهاءات)، و(أشعار). وأشهر من روى عنه قراءته الليث بن خالد وحفص الدوري[٧] وها هي ترجمتهما.

اللَّيْث:

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد، الإمام الكبير، والأستاذ الشهير، روى القراءة عن أبيه، وروى القراءة عنه ابن خالويه، والدارقطني، وأبو مسلم محمد بن أحمد شيخ الداني، كان ثقة صدوقاً، توفي سنة (٣٢٨هـ). غاية النهاية (٢٣١،٢٣٠/٢).

(٢) أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر، أبو جعفر الكوفي، نزيل أنطاكية، كان أصله من خراسان، كان من أئمة اللغة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، توفي سنة(٢٥٨هـ). انظر: غاية النهاية (٤٣،٤٢/١).

(٣) هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي)، ابن محمد المنصوري العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، أزدهرت الدولة في أيامه، وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، شجاعاً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً، توفي سنة (١٩٣هـ)، البداية والنهاية (٢١٣/١٠).

(٤) رَنْبَوَيْه: هي قرية قرب الريّ، مات بها الكسائي، ومحمد بن الحسن الشيباني، معجم البلدان (٧٣/٣).

(٥) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق: أزاذ، أرتصبه، جوين، وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طاخستان وغزنه وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور، وهراة ومرو. انظر: معجم البلدان (٣٥٤،٣٥٠/٢).

(٦) محمد بن الحسين بن فَرْقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله، إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبو حنيفة، نشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة، وغلب عليه مذهبه وعُرف به، وانتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة، ثم عزله، توفي سنة (١٨٩هـ). البداية والنهاية (٢٠٢/١٠).

(٧) انظر: معرفة القراء، (١٢٨،١٢٠)، غاية النهاية، (٥٤٠،٥٣٥/١).

هو اللَّيث بن خالد أبو الحارث البغدادي، ثقة معروف حَاذِق ضابط، عرض على الكِسائي، وهو من جُلّة أصحابه، روى الحروف عن حمزة بن القاسم الأَحول[1] وعن اليَزيدي.

وهو ثقة ضَابط للقِراءة، محقِّق لها، قال أبو عمرو الداني: «كان الليث من جُلَّة أصحاب الكسائي» تُوفي اللّيث سنة (٢٤٠هـ)[2].

حَفْص:

تقدم الكلام عنه في ترجمة الإمام أبي عمرو بن العلاء البصري[3]؛ لأنه روى عنه وعن الكسائي.

---

(١) حمزة بن القاسم أبو عمارة الأحول الأزدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن حمزة الزيات، والزبير بن عامر عن نافع، وأبي بكر عن عاصم، وروى القراءة عنه أبو عمر الدوري، وأبو الحارث، اللّيث ابن خالد، وعبد الرحمن بن واقد. غاية النهاية (٢٦٤/١).

(٢) انظر: معرفة القراء، (٢١١/١)، غاية النهاية، (٣٤/٢).

(٣) نظر: ترجمته في ص(   ).

المبحث الثاني
أنواع القراءات

كثرت الوجوه المتواترة عن رسول الله ρ في القراءة، وتفرق الصحابة في الأمصار، كل يُقرئ أهل مصره بما سمع على لهجته، وتعارف الناس هذه الوجوه واللهجات، ولم ينكر أحدٌ على أخيه قراءته، حتى إذا امتد الزمان قليلاً وكثُر الآخذون عن الصَّحابة، وقع بين أتباعهم شيءٌ من خلاف وا إنكار، خشي الأجلاء من الصحابة مغبته مع الزمن، فحملوا الخليفة الثالث عثمان بن عفان على معالجة الأمر ففعل، وكان من رأيه المُبارك كتابة مصحف يجتمع عليه قراء الصحابة وكتبة الوحي، وهم كثيرون متوافرون، حتى إذا وقع خلاف بينهم كتبوه على لغة قريش، وكذلك كان، فقد استعار عثمان من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر[1] المصحف الذي كان جمعه زيد بن ثابت بتكليف من الخليفة الأول بناءً على رأي عمر بن الخطاب الذي هاله أن استحر القتل يوم اليمامة[2] بالقراء، ففزع إلى أبي بكر ليجمع الصُّحف واللِّخاف[3] والعسُب[4]، التي كتب عليها القرآن، إلى ما في صدور الرجال منه، فيودع ذلك كله بجمع من قراء الصحابة مصحفاً واحداً، حتى لا يَضيع من القرآن شيء، فأرسلت السيدة حفصة المصحف، فأمر عثمان زيد بن ثابت، و عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص[5]، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[6]، لينسخوا المصحف في المصاحف، وقال للرهط من قريش: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أُنزل بلسانهم» حتى إذا نُسخ المصحف رد عثمان المصحف إلى

---

(١) حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين تزوجها النبي ρ بعد خُنيس بن حذافة، سنة (٣هـ)، توفيت سنة (٤٥هـ). تقريب التهذيب (٢/٥٩٤).

(٢) كانت سنة(١١هـ) وذلك لما قدم خالد بن الوليد من البطاح أمره أبو بكر بالمسير إلى مسيلمة، فكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، واقتتل الناس فيها قتلا شديدا، وقد قتل من المسلمين يومئذ أكثر من ألف، وقتل من المشركين نحو عشرين ألف. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (٤/٧٩،٨٣).

(٣) اللِّخاف: جمع لَخْفة وهي حجارة بيضٌ رقاق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٤٤).

(٤) العسُب: جريدة من النخل، وهي السَّعفة ممَّا لا ينبت عليه الخوص. النهاية (٣/٢٣٤).

(٥) سعيد بن العاص بن أمية الأموي، قتل أبوه ببدر، وكان لسعيد عند موت النبي ρ تسع سنين، وذُكر في الصحابة، وولِّي إمرة الكوفة لعثمان، وإمرة المدينة لمعاوية، توفي سنة (٥٨هـ). تقريب التهذيب (١/٢٩٩).

(٦) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو محمد، المدني، له رؤية، كان من كبار ثقات التابعين، توفي سنة (٤٣هـ). تقريب التهذيب (١/٤٧٦).

حفصة، وأرسل إلى كل أفق مصحفاً مما نسخوا، وأمر بكل ما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يُحرق[(١)].

قال ابن الجزري: «وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى، ومما كان مأذوناً فيه توسعةً عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن، وجُردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل[(٢)]، ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ρ، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ρ كما صرح به غير واحد من أئمة السَّلف»[(٣)].

وبذلك قضى عثمان بن عفان رضي الله عنه على احتمالات الفرقة في الأجيال القادمة، وترك الناس قراءات كثيرة صحيحة لا يحتملها الرسم العثماني[(٤)]؛ إيثاراً للعافية ووحدة للكلمة، فكان من ذلك بعد التيسير الأول، من تقريب بين اللهجات، وبقي الرسم العثماني ضابطاً لما اتفق عليه منها، كما كان خُطوة واسعة نحو التوحيد، ثم تكفلت الأعصار المتعاقبة بالباقي.

وهكذا مضت المائة الأولى للهجرة، إلى أن نشأت ناشئة لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمة الثقات وإنما اكتفت بما ينطبق على الرسم، فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفاقاً لبدعتهم، ولما كثر الاختلاف بفعل هؤلاء أجمع رأي المسلمين على أن يتفقوا على

---

(١) نص الحديث الذي رواه أنس بن مالك بقوله: {أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق}، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، (٣١٦،٣١٥/٦)، حديث رقم (٩).

(٢) الطريقة التي اتبعها كتبة الخليفة عثمان في توزيع القراءات على المصاحف الأئمة كانت كما يلي:

(أ) إذا كانت صورة الكلمة لا تحتمل أكثر من قراءة واحدة، وثبتت قراءتها بصورة أخرى فرّقوا في كتابتها، فكتبوها في مصحف وفق قراءة، وفي آخر وفق أخرى، وذلك مثل {قَالَ مُوسَى} القصص (٣٧) التي كُتبت في مصحف مكة بلا واو، وفي سواه من المصاحف بالواو {وَقَالَ مُوسَى}.

(ب) إذا كانت صورة الكلمة تحتمل القراءات المُختلفة بسبب عدم وجود النقط والشكل كتبوها بصورة واحدة في جميع المصاحف مثل {فَتَبَيَّنُوا} الحجرات (٦) و {فَتَثَبَّتُوا}. القراءات القرآنية، ص (١١٨،١١٦).

(٣) انظر: النشر، (٨،٧/١).

(٤) كما في مصحف ابن مسعود، وكبعض قراءات أبيّ، وبقي علم هذه القراءات عند المختصين.

قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا من كل مصر وُجِّه إليه مصحف، أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدارية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم[1]، وكانت وجوه قراءتهم ينظمها ضابط صاغه علماء القراءات في شروط ثلاثة:

(١) صحَّة السند بالقراءة إلى رسول الله ρ، متواترة من أول السند إلى آخره.

(٢) مُوافقة القراءة رسم المصحف العثماني.

(٣) موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله[2].

وفي ضوء هذا المقياس قسمت القراءات القراءات القرآنية إلى قسمين: المتواترة والشاذة.

القسم الأول: القراءة المتواترة:

وهي كما عرفها ابن الجزري بقوله: «هي كل قراءة وافقت العربية مُطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة، المقطوع بها»[3].

وبتطبيق هذا الضابط عُرفت القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن الكريم، ووجب على النّاس قَبولها، سواء كانت عن الأئمة السَّبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين[4].

والذي جمع . في زماننا . هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع النّاس على تلقيها بالقَبول[5]، قال ابن عابدين[6]: «القرآن الذي تجوز به الصلاة بالاتفاق هو المضبوط في مصاحف الأئمة التي بعث بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار، وهو الذي أجمع عليه الأئمة العشرة، وهذا هو المتواتر جُملةً وتفصيلاً، فما فوق السَّبعة إلى العشرة غير شاذ، وإنما الشاذ ما وراء العشرة، وهو الصحيح»[7].

القسم الثاني: القراءة الشاذة:

---

(١) الإتحاف، ص(٦).

(٢) سبق الحديث عن هذه الأركان الثلاثة في ص(   ).

(٣) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص(١٥).

(٤) النشر، (٩/١).

(٥) المصدر السابق.

(٦) محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، ابن عابدين الدمشقي، فقيه الدِّيار الشامية وإمام الحنفيه في عصره، مولده ووفاته في دمشق، له (ردّ المُحتار على الدّر المختار) يُعرف بحاشية ابن عابدين، وغيره، توفي سنة (١٢٥٢هـ). الأعلام (٤٢/٦).

(٧) حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار: للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين، (ط/٢)، (١٩٦٦م)، (٤٨٦/١).

القراءة الشاذة في مفهوم العلماء: ما اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة. قال ابن الجزري: «هي ما وافقت العربية، وصح سندها، وخالفت الرَّسم»[١]، غير أن جمهور القراء يعتبرون الشاذ ما كان غير متواتر، فالآحاد عندهم في حكم الشاذ، وهي القراءة التي اختل فيها ركنها الرَّكين، وهو التواتر، وهذا الركن يعدالركن الأهم، والمعوَّل عليه في اعتبار قرآنية الرواية.

ومن هذا النَّوع أيضاً الروايات التي ينقلها الأئمة الأربعة وهم: ابن مُحيصن، يحيى اليزيدي، الحسن البصري، والأعمش، إذ أن هذه الروايات لم تنقل بالتواتر[٢].

لذا فإن هناك أنواعاً أخرى تعد قراءة شاذة من باب أولى، من مثل ما ورد آحاداً وصح سنده، ولكنه خالف رسم المصحف أو خالف قواعد العربية، أو لم يشتهر الاشتهار الذي اشترطه مكي وابن الجزري[٣]؛ ومثال هذا النوع ما أخرجه الحاكم[٤] عن أبي بكرة[٥] رضي الله عنه: (أنَّ النَّبيَّ ρ قرأ: [مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَارِفَ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ][٦])، وكذلك ما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أنَّ النَّبيَّ ρ قرأ: [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ][٧]).

ومن صور الشاذ أيضاً ما لم يصح إسناده، ومن ذلك قراءة: [مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ][٨] بصيغة الماضي ونصب [يَوْمِ]، وكذلك قوله: [إِيَّاكَ يُعْبَدُ][٩] ببنائه للمجهول[١٠].

وصورة أخرى للشاذ؛ وهو الموضوع الكذب المختلق المصنوع على النبي ρ، مثال ذلك: القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي[١] التي نسبها إلى أبي حنيفة، كقراءة: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ][٢] برفع اسم الجلالة ونصب العلماء[٣].

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص (١٦).

(٢) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة القرآن: تأليف عبد الفتاح القاضي (د/ط)، (د/ت)، ص (١٠.١١).

(٣) سبق الحديث عنه في ص(   ).

(٤) محمد بن عبد الله بن حمدويه، النيسابوري، الشهير بالحاكم، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث و فيه، مولده ووفاته في نيسابور، وأخذ عن نحو ألفي شيخ، صنف كتب كثيرة، توفي سنة (٤٠٥هـ). غاية النهاية (١٨٤/٢).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكرة نُفيع بن الحارث الثقفي، ثقة، من الثانية، توفي سنة (٩٦هـ). تقريب التهذيب (٤٧٤/١).

(٦) الرحمن، الآية (٧٦)، وأصل الآية هو: [مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ].

(٧) السجدة، الآية (١٧)، وأصل الآية هو: [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ].

(٨)الفاتحة، الآية (٤)، وأصل الآية هو: [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ].

(٩) الفاتحة، الآية (٥)، وأصل الآية هو: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ].

(١٠) وهي في قراءة الحسن البصري بالياء من تحت ومضمومة، مبنياً للمفعول، استعار ضمير النصب للرفع والتفت، إذ الأصل: (أنت تعبد). الإتحاف، ص(١٢٢).

ومن أنواع القراءة الشاذة أيضاً القراءات التفسيرية، و هي التي سيقت على سبيل التوضيح والتفسير[4]، مثل قراءة سعد بن أبي وقاص[5] [وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ][6]، وقراءة ابن عباس [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ][7] وغيرها[8].

وقد كانوا يدخلون هذا النوع في التفسير؛ لأنهم محققون لما تلقَّوه عن النبي ρ، وهم الذين حضروا التنزيل، وهم أولى الناس بتأويله. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها، كقراءة عائشة[9] وحفصة رضي الله عنهما [والصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ][10] وقراءة ابن مسعود: [فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا][11] وقراءة جابر[12]: [فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ][13]، فهذه الحروف؛ أي كيفية أداء الكلمات القرآنية، وما شاكلها قد

---

(١) محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل، أبو الفضل الخزاعي الجرجاني، مؤلف كتاب (المنتهى في الخمسة عشر)، إمام حاذق مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن سعيد المطوعي وغيره، توفي سنة (٤٠٨هـ)، غاية النهاية (١٠٩/٢-١١٠).

(٢) فاطر، الآية (٢٨)، أصلها قوله تعالى: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] بنصب لفظ الجلالة ورفع [الْعُلَمَاءُ].

(٣) التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها: صابر حسن أبو سليمان، (ط/١)، (١٩٩٤م)، ص(أ).

(٤) وتشبه من أنواع الحديث المُدرج عند المحدثين وهو ما تُزاد فيه لفظة في متن الحديث، أو سنده من كلام الراوي، فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث، فيرويها كذلك، وهو محرم إذا كان المدرِج متعمداً، إلا أن يكون على سبيل التفسير والتوضيح، فلا بأس به، والأولى أن ينص الراوي على الكلمات التي أدرجها. انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص(٦٩-٧٣).

(٥) مالك بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، توفي بالعقيق، سنة (٥٥هـ) وهو آخر العشرة، وفاةً. تقريب التهذيب (٢٩٠/٢).

(٦) النساء، الآية (١٢)، وأصلها قوله تعالى: [وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ].

(٧) البقرة، الآية (١٩٨)، وأصلها قوله تعالى: [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ].

(٨) انظر: الإتقان في علوم القرآن: تأليف جلال الدين السيوطي، (د/ط)، (د/ت)، (٧٧/١)، الإبانة عن معاني القراءات، ص (٧٥-٨٩).

(٩) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ρ، إلا خديجة، ففيها خلاف شهير، توفيت سنة، (٥٣هـ). تقريب التهذيب (٦٠٦/٢).

(١٠) البقرة، الآية (٢٣٨)، وأصلها قوله تعالى: [حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى].

(١١) المائدة، الآية(٣٨)، وأصلها قوله تعالى: [فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا].

(١٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشر غزوة، وتوفي بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين. تقريب التهذيب (١٢٢/١).

(١٣) النور، الآية (٣٣)، وأصلها قوله تعالى: [فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ].

صارت مُفسرة للقرآن، وقد كان يُروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيُستحسن، فكيف إذا رُوي عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة، فهو أكثر من التفسير وأقوى، فأدنى ما يُستنبط؛ أي: يُستخرج من القراءة الشاذة من هذه الحروف صحة التأويل؛ أي: التفسير»[1].

والجمهور على أن القراءات السبع متواترة، وأن غير المتواترة المشهورة لا يجوز القراءة به في الصلاة ولا في غيرها. قال النووي[2]: «لا تجوز القراءة في الصلاة ولا في غيرها بالقراءة الشاذة؛ لأنها ليست قرآنًا فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والقراءة الشاذة ليست متواترة، ومن قال غيره فغالط، أو جاهل، فلو خالف وقرأ بالشاذ أُنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ»[3].

وقد اتفقوا على تأديب ابن شنبوذ واستتابته[4] على قراءته وإقرائه بالشاذ، ونقل ابن عبد البَر[5] إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يجوز أن يُصلى خلف من يقرأ بها. وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلا تُسمى شاذة بل مكذوبة يُكفر متعمّدها.

وللتّفرقة بين المتواتر والشّاذ من القِراءات، كما يذكر ابن الجزري لابد من معرفة مَناهج مُؤلّفي القراءات:

(١) من أقام تأليفه على أساس من الاختيار الذي يَعتمد بدوره على اشتراط وجود أركان القراءة المتواترة فيما يختاره، وتلقى الناس كتابه بالقَبول، يُعدّ نقله متواتراً؛ وذلك مثل كتاب السبعة لابن مجاهد، وكتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وكتاب التبصرة لابن أبي طالب، وحرز أبي القاسم الشّاطبي، ونَشر ابن الجزري وتقريبه، وتحبير التيسير له، وغيرها.

---

(١) نقلاً عن الإتقان في علوم القرآن: (٨٢/١).

(٢) يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، مُحي الدين، علامة بالفقه والحديث، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً، من كتبه (تهذيب الأسماء واللغات)، (منهاج الطالبين) وغيرهما، توفي سنة (٦٧٦هـ). طبقات الشافعية، (١٦٥/٥).

(٣) كتاب المجموع شرح المهذب: زكريا مُحي الدين بن شرف النووي، (د/ط)، (د/ت)، (٣٥٨/٣، ٣٥٩).

(٤) قال ابن الجزري: «والذي أُنكر على ابن شنبوذ حين عُقد له المجلس بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة، وبحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة، وكُتب عليه به المحضر واستتيب عنه بعد اعترافه، مثل: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وأصلها قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة (٩)، ومثل: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا﴾، وأصلها قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف (٧٩)، ومثل: ﴿كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ﴾ وأصلها قوله: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعة (٥)، وغيرها». انظر: غاية النهاية، (٣٩٧/٢، ٤٠١).

(٥) يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، من كتبه (الدر في اختصار المغازي والسير)، توفي سنة (٤٦٣هـ). وفيات الأعيان، (٣٤٨/٢).

(٢)ومن أقام تَأليفه على أساس من جَمع ما يصل إليه دونما اشتراط توافر ما ينقله على الأركان فلا يُعدَّ ما ينقله متواتراً ،وذلك مثل: أبو معشر الطَّبري[١] في جامعه، وأبو القاسم الهذلي[٢] في كامله، وغيرهما.

.. وخلاصة القول: إن نقل هذه الشواذ من العلماء تم لفوائد تتعلق بعلم العربية، لا للقراءة بها،.. هذا طريق من استقام سبيله[٣].

---

(١) عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي، أبو معشر الطبري، شيخ أهل مكة، إمام عارف محقق، ثقة صالح، ألف كتاب (التلخيص في القراءات الثمان) وغيره، توفي بمكة سنة (٤٧٨هـ). غاية النهاية (٤٠١/١).

(٢) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد، أبو القاسم الهذلي، الأستاذ الكبير الرحال، طاف البلاد في طلب القراءات، وبلغ عدد شيوخه (١٢٢) شيخاً، توفي سنة (٤٦٥هـ). غاية النهاية، (٤٠١.٣٩٧/٢).

(٣) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص (١٩.١٨).

الفصل الثالث
اختلاف القراءات وأسبابه

المبحث الأول: أوجه اختلاف القراءات

المبحث الثاني: أسباب اختلاف القراءات

المبحث الثالث: فائدة اختلاف القراءات

المبحث الأول
أَوْجه اِختلاف القِراءات

لقد ثبت بما لا يقبل الرّيب في السُّنة الصّحيحة والمُتواترة: أنَّ القرآن نزل على سَبعة أحرف، كلها كافٍ شافٍ، يقرأ بها من علمها. وأنَّ هذه الأحرف كانت تُتلقى مشافهة من الرّسول ρ وأنَّ كلّ صحابي كان حريصاً على ما يتلقّاه. كما ثبت أنَّ هذه الأحرف إنما تعني اختلافاً في الألفاظ، وأنَّ بعض الصَّحابة كان يتلقى ما لم يكن قد تلقّاه غيره، مع إتحادهم في اللَّهجة والموطن، فعمر بن الخطاب ينكر على هشام بن حكيم[١]، حينما سمعه يقرأ سورة الفرقان[٢]، وكلاهما قرشي، إلا أن عمر بن الخطاب كان أسبق إسلاماً، إذ هشام رضي الله عنه من مسلمة الفتح[٣]، وسورة الفرقان مكية باتفاق[٤].

وهذا الاختلاف يفسِّر لنا تفسيراً جليًّا، المعنى الذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرف، ويبيِّن بياناً لا مجال لِريب فيه أنَّ هذه الأحرف كلَّها من عند الله سبحانه، وأنَّها لم تنزل دفعة واحدة[٥]، فعمر بن الخطاب تعلَّم هذه السُّورة من النَّبي ρ حين نزولها في مكة قبل الهجرة، وهشام بن حكيم تعلَّمها من النَّبي ρ بعد فتح مكة.

---

(١) هشام بن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد القرشي، الأسدي صحابي ابن صحابي، مات قبل أبيه ووهم من زعم أنه استشهد بأجْنادين. تقريب التهذيب (٣١٨/٢) .

(٢) سبق ذكر نص الحديث في ص (٥).

(٣) خرج رسول الله ρ لهذا الفتح الأعظم في كتائب الإسلام وجنود الرحمن سنة ثمان, لعشر مضين من رمضان, واستخلف على المدينة أبارُهم كلثوم بن حصين الغفاري، وكان السَّبب في ذاك أن استعدت بنو بكر على خزاعة، وبمساعدة من قريش، وعندما استنجدت خزاعة برسول الله ρ, خرج رسول الله ρ لنصرتها ومعه عشرة آلاف. فلما نزل رسول الله ρ مَرَّ الظَّهران نزله عشاء, ثم إنه استأمن قريشاً وذلك ببعث أبو سفيان إليهم قائلاً: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن », ودخل رسول الله ρ المسجد واستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت وفي يده قوس جعل يطعن به الأصنام حتى تساقطت جميعها, وعفا عن قريش قائلاً: « اذهبوا فأنتم الطلقاء ». زاد المعاد (١٦٠/٢، ١٦٧).

(٤) للعلماء في معنى المكّي والمدني: ثلاثة اصطلاحات، أشهرها: أن المكّي ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بمكة. وهذا التقّسيم لوحظ فيه زمن النّزول، وهو تقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط حاصر مُطرد لا يختلف، بخلاف سابقيه، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر فيهم. مناهل العرفان (١٨٧/١).

(٥) والدليل على هذا قوله تعالى: [وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ] الإسراء (١٠٦), ولتنجيمه فوائد كثيرة منها تثبيت فؤاد النبي ρ وتقوية قلبه، ومنها التدرج في تربية هذه الأمة النّاشئة علماً وعملاً، وكذلك مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، فكلما جَدَّ منهم جديد نزل من القرآن ما يُناسبه، وكذلك الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ρ ولا كلام مخلوق سواه. انظر: مناهل العرفان (٥٢/١، ٦٢).

وقد اختلف العلماء في المُراد من هذه الأحرف السَّبعة، اختلافاً كثيراً، وذهبوا فيه مذاهباً شتى، إلا أن هناك قولين يظهر أنهما أشهر هذه الأَقوال الكثيرة؛ وذلك لأن أكثر الأئمة وجماهير العلماء لا تخرج أقوالهم عن هذين القولين؛ ولأن أكثر الأقوال إمّا أن تكون قريبة منهما، وإمَّا أن تكون مردودة؛ لأنها تتحدث عن اختلافات لا تعلُّق لها بالألفاظ، والقولان هما:

الأول: قول الطَّبري[١]: الأحرف السَّبعة التي أنزل الله بها القرآن هُنَّ لُغات سبع في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليَّ، وقصدي، ونحوي، وقُربي، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ، بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن؛ وذلك بمنزلة قولك أقبل وهلم وتعال، وقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾[٢]»[٣]. وقد رُوي هذا القول عن سُفيان بن عُيينة، وابن وَهب[٤]، والطَّحاوي[٥]، والعِز بن عبد السَّلام[٦].

الثاني: أنَّ هذه الأَحرف لَيْست لُغات؛ إنَّما هي أوجه في اختلاف بعض الكلمات، وهذا رأي السَّواد الأعظم من الأئمة والعُلماء. ومن أبرز أصحاب هذا القول أبو الفضل الرّازي، وابن قُتيبة[٧]، ومكّي بن أبي طالب، وأبو بكر البَاقِلاّني[٨]، وابن الجزري[٩].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد في آمل بطبرستان، واستوطن بغداد ، له (جامع البيان في تفسير القرآن) و(أخبار الرسل والملوك) وغيرهما, وهو من ثقات المؤرخين، وكان مجتهداً في أحكام الدين، لا يقلد أحداً, توفي سنة (٣١٠هـ). طبقات الشافعية (١٩٧،١٧٦/٣).

(٢) يس, الآية (٤٩)، وأما الآية [إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً]، قال ابن منظور: «والصَّيْحة: الصَّيحة. يُقال: زَقَا الدِّيك زَقْواً؛ إذا صاح، وكذلك الصّبي إذا اشتد بُكاؤه». لسان العرب: (٣٥٨،٣٥٧/١٤).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (د/ط)، (١٩٨٤م)، (٢٥/١).

(٤) فضل الله بن محمد بن وهب أبو القاسم الأنصاري القُرطبي مقري مصدر، أخذ القراءات عن محمد بن شُريح صاحب (الكافي)، وقد تصدّر للإقراء بمسجد قُرطبة، توفي سنة (٤٢٤هـ).غاية النهاية (١٢/٢).

(٥) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطَّحاوي، أبو جعفر، فقيه, انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وتفقه على مذهب الشَّافعي، ثم تحول حنفياً، من كتبه (شرح معاني الآثار) في الحديث، و(مناقب أبي حنيفة). توفي بالقاهرة سنة (٣٢١هـ). البداية والنهاية (١٧٤/١١).

(٦) عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي، عز الدين الملقب بسُلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رُتبة الاجتهاد، تَّولىَّ الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي (بدمشق), ثم الخطابة بالجامع الأموي، من كتبه (التفسير الكبير)، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ). طبقات السبكي (٨٠/٥).

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينُوري، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم وُلّي قضاء الدَّينور مدة، فنُسب إليها، من كتبه (تأويل مختلف الحديث) و(مشكل القرآن) وغيرهما، توفي ببغداد سنة (٢٧٦هـ). وفيات الأعيان (٢٥١/١).

(٨) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرِّياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد وكان جيِّد الاستنباط، سريع الجواب، من كتبه (إعجاز القرآن)، و(مناقب الأئمة), توفي سنة (٤٠٣هـ). وفيات الأعيان (٤٨١/١).

(٩) انظر: البرهان في علوم القرآن، (٢٢٠/١).

وهذه الأوجه السَّبعة تنحصر في الآتي:

أولاً: الاختلاف في حركات الكلمة بلا تغيُّر في معنى الكلمة وصُورتها، نحو قوله: [وَيَضِيقُ صَدْرِي][1]، حيث قُرئت برفع [يَضِيقُ] ونصبها[2]، ونحو قوله: [وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ][3]، حيث قُرئت بضم الباء وإسكان الخاء وبفتحهما[4].

ثانياً: الاختلاف في حركات الكلمة مع تغيُّر المعنى وبقاء الصُّورة، نحو قوله: [وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا][5]، فقد قرئ بتخفيف الفعل ورفع [زَكَرِيَّا]، وقرئ بتشديد الفعل ونصب [زَكَرِيَّا][6].

ثالثاً: الاختلاف في حروف الكلمة مع تغيّر معنى الكلمة وبقاء صورتها، نحو قوله: [وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا][7]، حيث قُرئت [نُنشِزُهَا] بالزاي المعجمة، وقرئ [نُنشِرُهَا] بالرَّاء المهملة[8].

رابعاً: الاختلاف في الحروف مع تغيُّر الصُّورة وبقاء المعنى، نحو قوله: [إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً][9]، حيث قُرئت [إِلَّا زَقْيَةً][10]، ونحو قوله: [وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً][11]، بالسِّين المُهملة وبالصاد [بَصْطَةً] بالصاد المهملة[12].

خامساً: الاختلاف في الحروف مع تغيُّر المعنى وتغير الصُّورة، نحو قوله: [وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ][13]، حيث قُرئ بالحاء المُهملة، وقرئ [وَطَلْعٍ] بالعين المُهملة[14].

---

(١) الشعراء, الآية (١٣).

(٢) قرأ يعقوب بنصب القاف وقرأ الباقون بالرفع. النشر (٢/٣٣٥).

(٣) النساء, الآية (٣٧).

(٤) قرأ الأخوان وخلف بفتح الباء والخاء، والباقون بالضم والسكون، كالحُزْن والحَزَن. الإتحاف ,ص(١٩٠).

(٥) آل عمران, الآية (٣٧).

(٦) قرأ الكوفيون بتشديد الفاء في [وَكَفَّلَهَا] وقرأ الباقون [وَكَفَلَهَا] بتخفيفها, وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص [زَكَرِيَّا] بالقصر من غير همز في جميع القرآن، وقرأ الباقون [زَكَرِيَّاء] بالمد والهمز، إلا أن أبا بكر نصبه هنا بعد [وَكَفَّلَهَا] على أنه مفعول ثانٍ لـ[كَفَّلَهَا] ورفعه الباقون ممن خفف. النشر (٢/٢٣٩).

(٧) البقرة, الآية (٢٥٩).

(٨) قرأ ابن عامر والكوفيون [نُنشِزُهَا] بالزاي، وقرأ الباقون [نُنشِرُهَا] بالراء. النشر (٢/٢٣١).

(٩) يس, الآية (٤٩).

(١٠) قرأها ابن مسعود وعبد الرحمن بن الأسود [إلا زَقْيَةً]، وقرأ أبو جعفر ومعاذ بن الحارث [إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ] بالرفع. انظر: المحتسب (٢/٢٠٦).

(١١) الأعراف, الآية (٦٩).

(١٢) قرأ [بَسْطَةً] بالسين الدوري عن أبي عمرو وهشام وخلف عن حمزة وكذارويس وخلف، والباقون بالصاد. قال أبو حاتم: «وهما لغتان». الإتحاف، ص(١٦٠).

(١٣) الواقعة, الآية (٢٩).

(١٤) قال محمد بن مَعْمر المقرئ البغدادي: «قراءة [وَطَلْعٍ] بالعين شاذة لا يثبت بها القرآن، وتُخالف رسم المصحف الإمام». فضائل القرآن: ابن كثير, ص(٤٤).

سادساً: الاختلاف في التقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ](1)، حيث قرئت [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ](2)، ونحو قوله: [فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ](3)، الذي قُرئ [فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ](4).

سابعاً: الاختلاف في الزِّيادة والنُّقصان، نحو قوله: [وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ](5)، الذي قُرئ [وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ](6)، ونحو قوله: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ](7) الذي قُرئ [إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ](8)(9).

ويلحق ابن الجزري الاختلاف في الأصول القرائية(10)، بالوجه الأول قائلاً: «وأما نحو اختلاف الإظهار، والإدغام، والرَّوم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل، مما يعبر بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللَّفظ والمعنى؛ لأن هذه الصِّفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولئن فُرض فيكون من الأوَّل» (11).

ويُعقِّب ابن قُتيبة على وجوهه بقوله: «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى، نزل به الرُّوح الأمين على رسوله ρ وذلك أنَّه كان يُعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن، فيُحدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء، ويَنسخ ما يشاء، ويُيَسِّر على عباده ما يشاء، فكان من تيسيره أن أمره أن يُقرئ كلَّ قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم»(12).

---

(1) ق, الآية (19).

(2) وقرأ بها سعيد بن جبير وطلحة، وقد رُويت عن أبي بكر رضي الله عنه عند خروج نَفْسه. أنظر: المحتسب: ابن جني، (2/283.284).

(3) النحل, الآية (112).

(4) وهي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب. انظر: البحر المحيط، (5/554).

(5) يس, الآية (35).

(6) وهي قراءة الأخوين وشعبة. انظر: التيسير، ص(184).

(7) لقمان, الآية (26).

(8) لم أقف على اسم قارئها، وقد ذكرها ابن الجزري في النشر، انظر: (1/28).

(9) انظر: تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ط/3)، (1981م)، ص(36.38), فضائل القرآن: ابن كثير الدمشقي، (د/ط)، (د/ت)، ص(41.45), القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة، (د/ط)، (1984م)، ص(13.20), النشر, (1/26.27)..

(10) الأصول: مسائل علم القراءات التي لها قاعدة معينة تندرج فيها الجزئيات, مثل الإدغام, والمد, والإمالة, ونحوها, وقد يخالف بعض القراء القاعدة في كلمات يسيرة. مقدمات في علم القراءات، ص(127).

(11) النشر, (1/26.27).

(12) انظر: تأويل مشكل القرآن, ص(38.39).

.. ولا ريب أنَّ هذين القولين . السَّابقين . وإن كانا يختلفان من حيث النتَّائج، فإنهما متفقان من حيث الجوهر، فليس فيهما ما يمس قُدسيِّة القرآن، وقراءاته المتواترة، فكلاهما يثبت نزول القرآن على سبعة أحرف، وأصحابهما متَّفقون على أن القرآن الكريم محفوظ من التغيير والتَّبديل، وأن القراءات المُتواترة لا يجوز لأحد أن يحوم حولها بشُبهة ريب ولا شائبة شك.

ولقد طرح ابن الجزري سُؤالاً مفاده على كم معنا تشتمل هذه الأحرف السَّبعة؟ وأجاب قائلاً: «فإنَّ معانيها من حيث وُقوعها وتكرارها شاذاً وصحيحاً لا تكاد تنضبط من حيث التعداد بل يرجع ذلك كله إلى معنيين:

أحدهما: ما اختلف لفظه واتفق معناه، سواء كان الاختلاف اختلاف كل أو جزء نحو: (﴿أَرْشِدْنَا﴾ و﴿أَرْشِدْنَا﴾)، و(﴿الْعِهْنِ﴾ و﴿الصُّوفِ﴾)، و(﴿زَقْيَةً﴾ و﴿صَيْحَةً﴾)، و(﴿خُطُوَاتِ﴾ و﴿خُطْوَاتِ﴾)، و(﴿هُزُواً﴾ و﴿هُزْءاً﴾ و﴿هُزُؤاً﴾)، كما في مثل الحديث: هلم، وتعال، وأقبل.

وثانيهما: ما اختلف لفظه ومعناه نحو: (﴿قَالَ رَبِّ﴾ و﴿قُلْ رَبِّ﴾)، و(﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ و﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾)، و(﴿يَخْدَعُونَ﴾ و﴿يُخَادِعُونَ﴾)، و(﴿يَكْذِبُونَ﴾ و﴿يُكَذِّبُونَ﴾)، و(﴿كُذِّبُوا﴾ و﴿كَذَبُوا﴾)، و(﴿لِتَزُولَ﴾ و﴿لَتَزُولُ﴾)».

وبقى ما اتحد لفظه ومعناه مما يتنوع صفة النطق به كالمدات وتخفيف الهمزات والإظهار والإدغام والروم والإشمام، ونحو ذلك، مما يُعبر عنه القراء بالأصول، فهذا عندنا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى؛ لأن هذه الصِّفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً [1]».

---

(١) انظر: النشر، (١/٣٠).

المبحث الثاني
أسباب اختلاف القراءات

تبيِّن لنا مما سبق أن النصَّ القرآني قد أُحيط بعناية شديدة منقطعة النَّظير، وذلك بأن أقام الله عز وجل له أئمة ثقات من القراء، تجردوا له، وبذلوا أنفسهم في سبيله، وتلقوه من صاحب الرسالة ρ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم، فقد ثبت أن رسول الله ρ كان يستمع إليهم وهم يقرءون عليه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ρ: (اقْرَأْ عَلَيَّ) قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)[1].

ومن خلال هذا النصِّ نلمح توثيق النصِّ القرآني؛ لأنَّ النبي ρ كان يستمع إلى قراءة أصحابه رضي الله عنهم، وهناك توثيق آخر ظهر فيما رواه أبو سعيد الخدري[2]، أن رسول الله ρ قال: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ)[3] وذلك مبالغة منه ρ في شدَّة الحفاظ على النَّص القرآني.

لذلك كان القرآن هو النصَّ العربي الصَّحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطُّرق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسَّكنات فلم يتوفَّر لنصٍّ ما توفَّر للقرآن الكريم من تواتر للروايات، وعِناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً[4]، بل لم تَعرف البشرية كتاباً أُحيط بالعناية وأكتنف بالرعاية، فحوفظ على تراكيبه وكلماته وحروفه وحركاته وكيفيَّة ترتيله بلهجاته، مع إتقان متناه في التَّلقي والتَّلقين، ودِقَّة بالغة في الأخذ والأداء مثل الكتاب العزيز.

والقرآن الكريم المعجز وإن نزل بلغة أدبية إلاَّ أنه أُبيح في قِراءته أن يخرج عن تلك اللُّغة النَّموذجية تيسيراً على العرب، وجمعاً لكلمتهم، وكما يسَّر الله على النَّاس في الدِّين حين أجاز لهم على لسان رسوله الكريم ρ أن يأخذوا باختلاف العُلماء من أصحابه رضي الله عنهم في فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وزكاتهم وحجِّهم وطلاقهم وعِتقهم وسائر أمورهم، يسَّر عليهم كذلك في قراءات القرآن، حيث تقرؤه كل قبيلة بلهجتها.

ولقد اختلف العلماء في أسباب اختلاف القراءات على أقوال هي:

أولاً: اختلاف قراءة النبي ρ:

---

(1) سبق تخريجه في ص( ).

(2) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخُدري، له ولأبيه صُحبة، استصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، وتوفي بالمدينة سنة (٦٥هـ). تقريب التهذيب (٢٨٩/١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق, باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (٢٢٩/٨).

(٤) في أصول النحو: سعيد الأفغاني، (ط/٣)، (١٩٦٤م)، ص(٢٨).

من المعلوم أن النَّبي ρ لم يلتزم عند تعليمه القُرآن للمسلمين لفظاً واحداً، فعن أبي بن كعب قال: قرأتُ آيةً وقرأ ابنُ مسعودٍ خلافَها، قراءةَ أُبيٍّ، فقلتُ: مَن أقرأكها؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ρ، فقلتُ: والله لقد أقرأنيها رسولُ الله ρ كذا وكذا، قال أُبيٌّ: فما تخلَّج في نفسي من الإسلام ما تخلَّج يومئذٍ، فأتيتُ النَّبيَّ ρ فقلتُ: يا رسولَ الله، ألم تُقرئني آيةَ كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فإنَّ هذا يدَّعي أنَّك أقرأته كذا وكذا، فضرب بيده في صدري فذهب ذاك فما وجدتُ منه شيئاً بعدُ، ثمَّ قال رسولُ الله ρ: (أتاني جبريلُ وميكائيلُ، فقال جبريلُ: اقرأ القرآن على حرفٍ، فقال ميكائيلُ: استزِدْه، قال: اقرأه على حرفين، قال: استزِدْه، حتَّى بلغ سبعةَ أحرفٍ، قال: كُلٌّ شافٍ كافٍ)[1].

ثانياً: اختلاف تقرير النّبي ρ لقراءة المسلمين:

كان من تيسير الله أن أمر رسوله ρ بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهُذَلي[2] يقرأ: [عتَّى حِينٍ][3]، يريد: [حتَّى حِينٍ]؛ لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي[4] يقرأ: [تِعلَمُون][5]، و[تِسوَدُّ وُجُوهٌ][6]، والتميمي[7] يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: [وإذا قِيلَ لَهُمْ][8]، بإشمام الضم مع الكسر، و[رُدَّتْ إِلَيْنَا][9]، بإشمام الكسر مع الضم، و[مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا][10] بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يَطُوع به كل لسان. قال ابن قتيبة: «ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً، لأشتد ذلك عليه، وعظمت المِحْنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طَويلة، وتذليل للّسان، وقطع

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/١١٤).

(٢) الهُذَلي بضم الهاء وفتح الذال: هذه النسبة إلى هذيل؛ وهي قبيلة يقال لها هذيل بن مدركة بن إلياس، وهي قرية على ستة فراسخ من مكة على طريق الحاج، من الصحابة أسامة الهُذَلي، له صحبة ورواية عن النبي ρ حدث عنه ابنه أبي المليح عامر ابن أسامة. انظر: الأنساب للسمعاني، (٥/٦٣١،٦٣٢).

(٣) يوسف, الآية (٣٥).

(٤) الأَسدي بفتح الألف والسين المهملة هذه النسبة إلى أسد، وهو اسم عدة من القبائل، منهم: أسد بن عبد العزى، وا إلى أسد بن خزيمة، من الصحابة: أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد. الأنساب، (١/١٤٢،١٤٥).

(٥) البقرة, الآية (٢٢).

(٦) آل عمران, الآية (١٠٦).

(٧) التَّميمي بفتح التاء المنقوطة هذه النسبة إلى تميم، والمنتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين، وسمعان بطن من تميم أيضاً، وثم تميم آخر؛ وهو تميم بن مرة. انظر: الأنساب، (١/٥٠٢،٥٠٤).

(٨) البقرة, الآية (١١).

(٩) يوسف, الآية (٦٥).

(١٠) يوسف, الآية (١١).

للعادة، فأراد الله برحمته ولُطفه، أن يجعل لهم مـ ُ تَّسعاً في اللُّغات، ومـ ُ تصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين»(١).

ثالثاً: اختلاف النِّزول:

ذهب إلى هذا القول صاحب كتاب المباني في مقدمته، حيث يقول: «والوجه الثالث من القراءات: هو ما اختلف باختلاف النِّزول بما كان يعرض رسول الله ρ القرآن على جبريل في كل شهر رمضان، وذلك بعدما هاجر إلى المدينة، فكان أصحاب رسول الله ρ يتلقفون منه حروف كل عـ َرض، فمنهم من يقرأ على حرف، ومنهم من يقرأ على آخر، إلى أن لطف الله عز وجل بهم، فجمعهم على آخر العرض، أو على ما تأخَّر من عـ َرضين أو ثلاثة، حتى لم يقع في ذلك اختلاف إلاَّ في أحرف قليلة، وألفاظٍ متقاربة، والذي وقع من اختلاف حروف الهجاءات. فيما أجمعوا عليه فر َّقها أصحاب رسول الله ρعلى المصاحف حين انتسخوها لئلاَّ تذهب»(٢).

ولهذه العلَّة اختلفت مصاحف أهل الشام وأهل العراق وأهل الحجاز في أحرف معدودة(٣)، ويعضـ ّده ما ر ُ وي في قصة عمر بن الخطاب وهشام بن حكم رضي الله عنهما، حيث جاء فيها قوله ρ: (كَذَٰلِكَ أُنْز ِلَت ْ)(٤) مما يدلَّ على أن اختلاف القِراءة فيها، بسبب تعدَّد النِّزول(٥).

رابعاً: اختلاف الرِّواية عن الصحابة رضوان الله عليهم:

وهو مذهب جمهور المـ ُقرئين، وسبب اختلاف القِراءات السَّبع وغيرها، كما قال ابن أبي هاشم(٦): إنَّ الجهات التي وجِّهت إليها المصاحف كان بها من حـ َمل منه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النّقط والشّكل.

فثبت أهل كلٍّ ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصَّحابة، بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يُخالف الخط، امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصّحابة لما رأوا في ذلك من

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن: ص (٣٩-٤٠).

(٢) انظر: مقدمتان في علوم القرآن، ص (١٧٠-١٧١).

(٣) انظر: الأمثلة على ذلك في ص(   ) هامش (   ).

(٤) انظر: نص الحديث في ص (   ).

(٥) القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص (٩٣-٩٤).

(٦) عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي البزاز, الأستاذ الكبير, الإمام النَّحوي, العلم الثِّقة, مؤلف كتاب (البيان والفصل)، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مجاهد، كان حسن الهيئة, ضيِّق الخلق، وكان من جلة أصحاب ابن مجاهد، توفي سنة (٣٤٩هـ). انظر: غاية النهاية (١/٤٧٥-٤٧٧).

طلاالقرآن، فمن ثَمَّ نشأ الاختلاف بين قُرّاء الأمصار مع كونهم مُتمسِّكين بحرف واحد من السَّبعة[1].

والصَّحابة بدورهم كانوا قد تلقّوه سماعاً من في رسول الله ρ، وكان ما تلقّوه مُختلفاً، يقول الزُرقاني[2]: «ثم إنّ الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله ρ، فمنهم من أَخذ القُرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرّقوا في البلاد، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التّابعين عن التّابعين، وهلمّ جرا، حتى وصل الأمر على هذا النّحو إلى الأئمة القرّاء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضْبطونها ويعْنون بها وبنشرها»[3].

ويشير ابن مجاهد ـ أيضاً ـ إلى هذا الاختلاف في كتاب السَّبعة فيقول: «ورويت الآثار بالاختلاف عن الصَّحابة والتّابعين توسعة ورحمة للمُسلمين»[4]، والذي يدل عليه دلالة واضحة أن أسانيد القُراء السَّبعة تَتْصل بالصَّحابة، فالنبي ρ.

خامساً: اختلاف اللُّغات (أو اللَّهجات):

إن مبدأ اختلاف اللغات في القرآن الكريم أول من ذهب إليه ابن قتيبة ـ كما ذكرنا سابقاً[5] ـ وذهب أبو شامة مذهبه، حيث يقول: «القرآن العربي فيه جميع لُغات العرب، لأنه أُنزل عليهم كافَّة، وأُبيح لهم أن يقرءوه على لُغاتهم المُختلفة، فاختلفت القراءات فيه لذلك»[6]. ويدل على ذلك ما رواه الضحاك[7]، عن ابن عباس: (إنَّ الله تعالى أنزل هَذَا القُرْآن بلغة كل حَيّ من أحياء العرب)[8].

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، (ط/٢)، (١٩٥٣م)، ص(٩١).

(٢) محمد بن عبد العظيم الزّرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن), وبحث مطبوع في الدعوة والإرشاد, توفي بالقاهرة (١٣٦٧هـ). الأعلام (٦/٢١٠).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني، (ط/٣)، (١٣٧٢هـ)، (١/٤٠٦).

(٤) كتاب السبعة، ص(٤٥).

(٥) راجع قوله في اختلاف تقرير النبي ρ، ص(   ).

(٦) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدّمشقي، (د/ط)، (١٣٤٩هـ)، ص(٤٧٨).

(٧) الضحاك بن مُزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجوّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه، حدَّث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين , وحديثه في السنن لافي الصحيحين، توفي في سنة (١٠٢هـ).انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٥٩٨.٦٠٠).

(٨) لم أقف عليه.

وهذا النوع من الاختلاف داخل ضمن تقرير النَّبي ρ وإمضائه لقراءات المُسلمين، كما أُلمح إليه في بعض النصوص المنقولة[1] والمُلاحظ هنا أن جميع العوامل المذكورة يُرجع أصحابها القِراءات على اختلافها إلى الرسول ρ فعلاً أو تقريراً، وإلى أنَّها كانت من أسباب التَّيسير والتَّوسعة على الأُمَّة الإسلامية رحمةً بها، ولعلَّ الحديث الشريف: (أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)[2] يُشير إلى ذلك، وبخاصة في رواية أحمد بن حنبل عن حُذَيْفَة: (لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ρ جِبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ[3] فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالشَّيْخُ الْفَانِي الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)[4][5].

.. ومن كل هذا نخلص إلى أن القراءات القُرآنية ترجع في اختلافها إلى سببين رئيسين هما:

السبب الأول: تعدّد النّزول: ويدخل فيه قراءة النبي ρ، وبعض من تقرير النّبي ρ، وكثير من المرويّ عن الصَّحابة رضوان الله عليهم عن النَّبي ρ.

السبب الثاني: تعدّد اللّهجات: ويدخل فيه القليل من فعل النّبي ρ، والكثير من تقريره ρ[6].

ومما ذكرنا سابقاً نؤكد أن هذا التعدد في القراءات كان تيسيراً وتوسعة على الأمة الإسلامية، وهي الأمة المرحومة.

---

(١) انظر الأمثلة على ذلك، ص(   ).

(٢) سبق تخريجه في ص (   ).

(٣) لم أقف على ترجمة تعريفية لها.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (٤٠٠/٥).

(٥) فضائل القرآن: ابن كثير، ص(٤٢).

(٦) انظر: القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، ص(١٠٢.١٠١).

المبحث الثالث
فائدة اختلاف القراءات

لم يجعل الله عزَّ وجل على عباده حرجاً في دينهم، ولا ضيَّق عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لُغات من أُنزل عليهم القرآن مختلفة، وصاحب كل لغة لا يقدر على تطويع لسانه إلى لغة أخرى، إلاّ بعد تكلُّف ومَئونة شديدة، فيسَّر الله عليهم بأن أنزل كتابه على سبع لُغات متفرقات في القرآن بمعانٍ متفقةٍ ومختلفةٍ، ليقرأ كل قوم على لُغتهم، على ما يسهُل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم. فقوم جَرت عادتهُم بالهمز، وقومٌ بالتخفيف، وقومٌ بالفَتح، وقوم بالإمالة.

وكذلك الإعراب واختلافه في لُغاتهم، والحركات واختلافها في لُغاتهم وغير ذلك، فتفصَّح كلٌّ قوم، وقرؤوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قَرُب منهم، وكان في ذلك رفقٌ عظيم بهم، وتيسيرٌ كثيرٌ لهم[1].

ومن الأحاديث السَّابقة وضح لنا أنَّ النبَّي ρ أدرك أن الأُمَّة العربية لا تستطيع أن تقرأ كتاب الله عز وجل إذا نزل بلغة واحدة، لأنَّ لُغة العرب لهجات مختلفة، فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التَّكليف بمالا يُستطاع[2].

وكذلك وضح لنا من الأحاديث السَّابقة أن هذا التيسير والتَّوسعة في قراءة القُرآن على هذه الحروف إنَّما كان بعد الهجرة، وبعد أن دخلت القبائل المختلفة الدِّين الجديد، فكان من التيَّسير عليهم قراءته على هذه الحروف، ومما يشهد على أن التَّيسير كان في هذا الوقت أن جبريل عليه السلام لقي النبي ρ وهو عند أضاة بني غفار[3] فقال له: (إنَّ اللهَ يأمُركَ أنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)[4].

يقول الزرقاني: إن النَّاظر في هذه الأحاديث الشريفة، وما شاكلها، يستطيع أن يُقيم منها شواهد بارزة، تكون منارات هدىً، ومصادر إشعاع ونور، ترشده إلى ما عسى أن يكون هو

---

(١) انظر: الإبانة، ص(٤٣،٤٢).

(٢) النشر، (٢٢/١).

(٣) أضاة بني غفار: غدير قريب من مكة في طريق المدينة. معجم البلدان، (٣٤/١).

(٤) نص الحديث: (أَنَّ النَّبِيَّ ρ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى حَرْفٍ قَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (١٢٨،١٢٧/٥).

الحقُّ والعِنوان في بيان الأحرف السّبعة، كما يستطيع أن يأخذ منها موازين ومقاييس يُحاكم إليها كل ما شجر من هذا الخلاف البعيد، في هذا الموضوع الدقيق»[1].

وهاهي أبرز الفوائد وأشهرها وأقربها إلى الذّهن:

أولاً: التَّسهيل والتَّخفيف على الأُمّة، كما قال الرسُّول ρ لجبريل: (إنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ)[2] ولو كُلِّف هؤلاء بلُغة واحدة لشقَّ عليهم ذلك، فاقتضى الدِّين أن تتنوع القِراءات، وإلى ذلك أشار النَّبي ρ حيث قال لأحد المختلفين: (هَكَذَا أُنْزِلَتْ)، وفي الحديث الآخر: (أَصَبْتَ) والثالث: (هَكَذَا أُنْزِلَتْ)، مُصَوِّباً قراءة كلٍّ، وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حقٌّ وصواب.

ثانياً: بيان حكم مجمع عليه مثل قراءة سعد بن أبي وقاص: [وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ][3]، فهذه القراءة تبيِّن أنَّ المراد بالأخوة هنا هم الأخوة للأم[4] دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمرٌ مجمع عليه، وفي القراءة المشهورة: [وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ].

ثالثاً: ومنها كذلك ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة: [أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ][5]، بزيادة [مُؤْمِنَةٍ][6]، وذلك في كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي، ولم يشترطه أبو حنيفة[7].

---

(١) انظر: مناهل العرفان، (١/١٣٨).

(٢) سبق ذكر الحديث في ص(   ).

(٣) والآية: [وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ] النساء(١٢), وهي قراءة سعد بن أبي وقاص، سبق الإشارة إليها في ص(   ).

(٤) أحوال الأخ لأم والأخت لأم (أولاد الأخياف) لهم ثلاث حالات: الأولى: السدس: للواحد منهم، ذكراً كان أو أنثى, والدليل عليه الآية والمُراد منه أولاد الأم إجماعاً، ويدل عليه القراءة أعلاه. الثانية: الثلث: للاثنين فصاعداً ذكوراً وإناثاً والدليل قوله تعالى: [فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ]. الثالث: حجبهم: يسقطون مع وجود الفر ع الوارث ووجود الأصل الوارث المذكر بالاتفاق، لأنهم من قبيل الكلالة، بشرط عدم الولد والوالد. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته (١٠/٧٧٥٢.٧٧٧١).

(٥) المائدة, الآية (٨٩).

(٦) لم أقف على اسم قارئه.

(٧) اشترط المالكية والشافعية الحنابلة: أن تكون الرقبة مؤمنة، كما تشترط في كفارة الفطر في رمضان، وفي كفارة الظهار، وسبب الاختلاف بين الحنفية والجمهور في اشتراط الإيمان في الرقبة: هو اختلافهم في مسألة أصولية وهي هل يُحمل المطلق على المقيد في الأمور التي تتفق أحكامها وتختلف أسبابها ككفارة اليمين وكفارة القتل الخطأ، فقد ورد النص القرآني في كفارة اليمين مُطلقاً بدون تقييد بشرط الإيمان وهو [مُؤْمِنَةٍ]، وورد النص مقيداً بشرط الإيمان في كفارة القتل الخطأ وهو: [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] النساء (٩٢), فقال الجمهور يُحمل المطلق على المقيد، فيُشترط الإيمان في كفارة اليمين حملاً على اشتراطه في كفارة القتل الخطأ،

رابعاً: ومنها الجمع بين حكمين مختلفين، كقوله: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ] [1]، يقرأ [يَطَّهَّرْنَ] بالتخفيف أو بالتشديد[2]، فينبغي الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها، وتطهر بالاغتسال[3].

خامساً: ومنها اختلاف حكمين شرعيين، كقراءة: [وَأَرْجُلَكُمْ] [4]، بالكسر أو الفتح[5] فالخفض يقتضي فرض الغَسل، وقد بين النبي ρ ذلك فجعل المسح لمن يلبس الخُف، والغَسل لغيره[6].

سادساً: ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدّلالة؛ إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، بل كلّه يصدق بعضه بعضاً، على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلاّ آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق رسول الله ρ [7].

سابعاً: ومنها أنّها تكشف عن فروق المعاني، ولمح دقائقها، ورقائقها، في السِّياق القُرآني، ومن ذلك قراءة علىّ بن أبي طالب، وأبي رجاء العُطاردي[1]، وابن يَعْمر، وثابت وغيرهم: [قَدْ شَغَفَهَا]

لأنهما يشتركان في ستر الذنب، كما حمل قوله تعالى: [وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ] البقرة (٢٨٢) على المقيد في قوله: [وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ] الطلاق (٢). وقال الحنفية: لا يحُمل المطلق على المقيد، وإنما يجب أن يبقى اللفظ في كفارة اليمين على إطلاقه، ويُعمل بكل نص على حدة. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته (٢٥٨٤/٤).

(١) البقرة, الآية (٢٢٢).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: [يَطَّهَّرْنَ] بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون: [يَطْهُرْنَ] مخففاً. انظر: الإتحاف, ص(١٥٧).

(٣) مجموع القراءتين يحكم بأمرين، أحدهما: إن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض، وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها . أيضاً . إلا إذا بالغت في الطُهر، وذلك بالاغتسال. فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء. وهو مذهب الشافعي ومن وافقه أيضاً: انظر الفقه الإسلامي وأدلته (٢٤١/١)، (٥١٩/١.٥٢٠), (٦٢٩/١).

(٤) المائدة, الآية (٦).

(٥) قرأ بالنصب نافع وابن عامر ويعقوب، وقرأ الباقون بالخفض. انظر: الإتحاف, ص(١٩٨).

(٦) المسح على الخفين: معناه شرعاً: إصابة اليد المبتلة بالماء (البلّة) لخف مخصوص، في موضع مخصوص، وفي زمن مخصوص، والخف شرعاً: السّاتر للكعبين فأكثر من جلد ونحوه، والموضع المخصوص: ظاهر الخفين لا باطنهما. والزمن المخصوص: هو يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمُسافر، وهو جائز في المذاهب الأربعة في السفر والحضر، للرجال والنساء، تيسيراً على المسلمين. الدر المختار (٢٤٠/١.٢٤٥), بداية المجتهد (١٧/١).

(٧) ومعنى هذا إن القرآن يعجز إذا قُرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قُرئ بهذه القراءة الثانية، ويُعجز أيضاً إذا قُرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرّاً، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف. مناهل العرفان (١٤٢/١).

حُبًّا](٢)، وقراءة الجماعة: [قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا] بالغين المعجمة(٣)، فالأولى كما يرى ابن جني(٤)، أن حبّه وصل إلى قلبها فكاد يُحرقه لحدّته. والثانية: أنه فرق شغاف قلبها حتى وصل إليه(٥)، فالفرق كما ترى دقيق ورقيق بينهما، وإن كان المآل واحد.

ثامناً: دفع توهُّم ما ليس مُراداً، كقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ](٦)، قرئ: [فَامْضُوا](٧)، فالقراءة الأولى يُتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، والقراءة الثانية رفعت هذا التَّوهم؛ لأنَّ المُضيّ ليس من مدلوله السُّرعة(٨).

تاسعاً: بيان لفظ مُبهمٍ على البعض، نحو قوله: [وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ](٩)، قرئ كَـ[الصُّوفِ](١٠) بيَّنت القراءة الثانية أنَّ [الْعِهْنِ] هو الصُّوف.

عاشراً: تجلية عقيدة ضلَّ فيها بعض النَّاس، نحو قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها: [وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا](١١)، جاءت القراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ [مُلْكًا]، وجاءت

---

(١) عمران بن مِلْحان التَّميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ρ حدث عن عمر وعلى وغيرهما، وتلقّن القرآن على أبي موسى الأشعري، ثم عرضه على ابن عباس وكان خيِّراً تلاءً لكتاب الله، توفي سنة (١٠٥هـ). سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٤.٢٥٧).

(٢) أصل الآية قوله عز وجل: [قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا] يوسف (٣٠).

(٣) قرأ بالعين المهملة: [شَعَفَهَا] الحسن وابن محيصن، قيل: الشَّعف الجنون، وقيل من: شَعَفَ البعير، إذا هناه بالقطران فأحرقه، والجمهور بالغين العجمة، أي حرق شغاف قلبها. الإتحاف، ص (٢٦٤).

(٤) أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي، كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الموصلي، لزم أبا علي الفارسي دهراً، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد، وتخرّج به الكبار، وقرأ على المتنبي (ديوانه) وشرحه، وله مجلد في شرح بيت لعضد الدولة، توفي سنة(٣٩٢هـ). سير أعلام النبلاء (١٧/١٧.١٩).

(٥) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبي الفتح عثمان بن جنِّي، (د/ط)، (١٩٦٦م)، (٣٣٩/١).

(٦) الجمعة, الآية (٩).

(٧) قال ابن جنِّي: «ذلك قراءة علي وعمر وابن مسعود وابن عباس وأبيّ وابن عمر وابن الزبير وأبي العالية والسُّلمي ومسروق وطاوس وسالم بن عبد الله وطلحة بخلاف: [فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ] بينما قراءة العامة: [فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ]» انظر: المحتسب (٣٢١/٢.٣٢٢).

(٨) انظر: المحتسب ، (٣٢١/٢.٣٢٢).

(٩) القارعة, الآية (٥).

(١٠) وهي قراءة ابن مسعود وابن جبير وابن شنبوذ، وتحمل هذه القراءة على التفسير. انظر: معاني القرآن، الفراء، (٢٨٦/٣.٢٨٧).

(١١) الإنسان, الآية (٢٠).

بكسر الميم وفتح اللام[لِكًا](١)، فرفعت هذه القراءة الأخيرة نقاب الحق عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة(٢).(٣).

حادي عشر: ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز(٤).

ولم يزل العلماء يستنبطون من كل حرف يقرأ به قارئ معنىً لا يوجد في قراءة آخر، ذلك المعنى، يقول شهاب الدين القسطلاني: «فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، وحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط»(٥).

والاختلاف مع كثرته وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آيةٌ بالغة وبرهانٌ قاطعٌ على صدق من جاء به، وهو سيدنا محمد ρ.

---

(١) وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: غرائب القرآن، (١٢٦/٢٩).

(٢) رؤية العباد لربهم يوم القيامة ثابتة بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، قال تعالى: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ] القيامة (٢٢). وعن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ρ إذ نظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب))، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: [وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب] طه (١٣٠)، (٢٤٦/٦). والأحاديث الدالة على رؤية المؤمنين لله تعالى متواترة تلقتها الأمة بالقبول، إلاّ من نفى وعطّل الله عن صفاته كالجهمية. انظر: معجم ألفاظ العقيدة، ص(١٩٦).

(٣) انظر: (٥٤،٥٢/١)، الإتقان في علوم القرآن، (٨٢/١)، مناهل العرفان، (١٤٤،١٤٢/١).

(٤) وذلك لأن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. مناهل العرفان، (١٤٢/١).

(٥) لطائف الإشارات، (١٧١/١).

الفصل الأول
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة النساء

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة النساء؛ وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق. وجاء في تفسير الجلالين أن سورة النساء مدنية، وآياتها (١٧٦)، وهي نزلت بعد سورة الممتحنة[١]. وترتيبها في المصحف الرابعة. وعدد كلماتها (٣٧٤٥) كلمة.

وقال القرطبي[٢]: «سورة النساء مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، في عثمان بن طلحة الحجبي[٣]، وهي قوله: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا][٤][٥]، وفي الصحيح عن عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: (مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ)[٦]، تعني قد بنا بها، ولا خلاف بين العلماء أن النبي ρ إنما بنا بعائشة رضي الله عنها بالمدينة، ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية، لاشك فيها»[٧].

وجوه مناسبتها بسورة آل عمران:

ختمت السورة السابقة بالأمر بالتقوى في قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] وهو خطاب للمؤمنين، فناسب أن يوجه الخطاب في مفتتح هذه السورة لجميع الناس بالأمر بالتقوى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً]؛ ليتناسب مع قوله في أواخر السورة السابقة: [فَاسْتَجَابَ

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، د. عبد الله شحاته، (٧٣/١)، (ط/٤)، (١٩٨٨م). تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلَّى، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (د/ط)، (د/ت)، ص(٩٧).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب، وتوفي فيها سنة (٦٧١هـ)، كان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف. الأعلام (٣٢٢/٥).

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار، العبدري الحجبي، صحابي شهير، توفي سنة (٤٢هـ). انظر: تقريب التهذيب، (١٠/٢).

(٤) الآية (٥٨).

(٥) سبب النزول: قال ابن جريج: «ذلك خطاب للنبي ρ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه عثمان بن أبي طلحة ومن ابن عمه شيبة بن عثمان وكانا كافرين وقت فتح مكة، فطلبه العباس بن عبد المطلب τ لتتضاف له السدانة إلى السقاية، فدخل رسول الله ρ الكعبة فكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج مقام إبراهيم υ، ونزل جبريل بهذه الآية. قال عمر بن الخطاب: «وخرج رسول الله ρ وهو يقرأ هذه الآية، وما كنت سمعتها قبل منه، فدعا عثمان وشيبة فقال: «خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»»». الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٦/٥).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تفسير سورة النساء، (٣١٩.٣١٨/٦).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/٥).

[فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ] فكأنه يقول: أثبتكم على أعمالكم الصالحة جميعا ذكورا وإناثا؛ لأنكم جميعكم مأمورون بالتقوى، وترجعون في أصل نشأتكم إلى آدم وحواء[١].

قال السيوطي[٢]، رحمه الله: «وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: تشابه الأطراف»[٣].

على أن هناك أوجه أخرى لاعتلاقهابآل عمران، من ذلك: أن آل عمران ذُكر فيها قصة غزوة أحد، مستوفاة، وذُكر في هذه السورة ذيلها، وهو قوله تعالى: [فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ][٤]، فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أحد، كما في الحديث[٥]، ومن ذلك: أن في آل عمران ذُكرت الغزوة التي بعد أحد، بقوله تعالى: [الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ][٦]، وأشير إليها هنا بقوله: [وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ][٧].

وبهذين الوجهين عُرف أن تأخير النساء عن آل عمران، أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود؛ لأن المذكور هنا ذَيَّل ما في آل عمران، ولاحقه وتابعه، فكانت بالتأخير أنسب.

ومن الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء: اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بإنزال الكتاب، وفي الافتتاح بـ[الم] وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة، كيونس وتواليها، ومريم وطه، والطواسين، و[الم] العنكبوت وتواليها، والحواميم، وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور[٨].

---

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن: لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، (د/ط)، (د/ت)، ص(٢٩.٢٨).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو (٦٠٠) مصنف، منها (الإتقان في علوم القرآن) و(تفسير الجلالين) وغيرهما، توفي سنة (٩١١هـ). انظر: الأعلام، (٣٠٢.١٠١/٣).

(٣) انظر: أسرار ترتيب القرآن: للمحافظ جلال الدين السيوطي، (ط/٢)، (١٩٧٨م) ص(٩٠).

(٤) النساء الآية (٨٨).

(٥) نص الحديث عن زيد بن ثابت: (رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ρ مِنْ أُحُدٍ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فَرِيقٌ يَقُولُ: اقْتُلْهُمْ، وَفَرِيقٌ يَقُولُ: لاَ، فَنَزَلَتْ: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) وَقَالَ: إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الْخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ)، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٢١٧/٥).

(٦) آل عمران، الآية (١٧٢).

(٧) آل عمران، الآية (١٠٤).

(٨) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٣.٩٠).

وقد عنيت سورة النساء ببيان أحكام النساء واليتامى والأموال والمواريث والقتال، وتحدثت عن أهل الكتاب وعن المنافقين وعن فضل الهجرة ووزر المتأخرين عنها، وحثت على التضامن والتكامل والتراحم، وبينت حكم المحرمات من النساء، كما حثت على التوبة ودعت إليها كوسيلة للتطهر، ودليل إلى تكامل الشخصية، واستعادة الثقة بالنفس، والشعور بالأمن والاطمئنان[١].

(١/١) الاختلاف في [وَالْأَرْحَامَ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] الآية (١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في نصب الميم وكسرها من قوله عز وجل: [وَالْأَرْحَامَ] فقرأ حمزة وحده: [وَالْأَرْحَامِ] خفضاً، وقرأ الباقون [وَالْأَرْحَامَ] نصباً[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وكوفيهم تَسَّاءَلُونَ[٣] مُخَفَّفاً   وحمزة والأرحامَ بالخفضِ جمّلا[٤].

ثانياً: توجيه القراءات:

الأَرْحام: جمع رحم، وهي أسباب القرابة، وأصلها الرَّحِمُ: التي هي منبت الولد[٥] ويُطلق في الفرائض[٦] على الأقارب من جهة النِّساء، يُقال: ذَوو رَحِمٍ، مَحْرمٍ، ومُحَرَّم، وهي من لا يحلُّ نكاحه؛ كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة. قال الجوهري: «الرَّحِمُ: بالفتح القرابة، والرِّحْمُ: بالكسر مثله»[٧].

قوله: [وَالْأَرْحَامَ] يقرأ بالنصب، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور، كما تقول: مررت بزيدٍ وعمراً، تعطفه على موضع (بزيد)؛ لأنه مفعول به في موضع نصب، وانضُعِّف الفعل فتعدّى بحرف، والتقدير: الذي تعظّمونه والأرحام؛ لأن الحلف به تعظيم له.

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٧٣).

(٢) انظر: كتاب التيسير في القراءات السبع: تأليف: الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ط/٢)، (١٩٨٤م)، ص(١٨). كتاب السبعة، ص(٢٢٦)، النشر، (١٤٧/٢)، الإتحاف، ص(١٨٥.١٨٦).

(٣) قوله: [تَسَاءَلُونَ] يُقرأ بالتخفيف والتشديد، فالحجة لمن خفف: أنه أراد تتساءلون، فاسقط إحدى التاءين تخفيفاً، والحجة لمن شدد: أنه أسكن التاء الثانية وأدغمها في السين للمقاربة، فلزمه التشديد لذلك. انظر: كتاب السبعة، ص(٢٢٦). الحجة: ابن خالويه ص(١١٨).

(٤) متن الشاطبية، ص(٢٤٢).

(٥) انظر: لسان العرب، (٢٣٢/١٢)، مختار الصحاح، ص(٢٣٨).

(٦) الفرائض في الشرع: علم يُعرف به كيفية قسمة التركة على مستحقيها. انظر: طلبة الطلبة، ص(١٧٠).

(٧) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: نجم الدين حفص النسفي، (ط/١)، (١٩٨٦م)، ص(٣٤٤).

والآخر: أن يكون معطوفاً على اسم [اللَّهَ] تعالى، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وهو من عطف الخاص على العام، إذ المعنى: اتقوا مخالفته، وقطع الأرحام مندرجٌ فيها، فنبّه سبحانه وتعالى بذلك، وبقرنها باسمه تعالى دليل على أن صلتها بمكان منه(١).

ويُقرأ أيضاً: [الأَرْحَامِ] بالجرّ، والحجة في ذلك أنه عطفه على الضمير المجرور بالباء في [بِهِ] على مذهب الكوفيين، أو أُعيد الجار، وحُذف للعلم به، وجُرَّ على القسم تعظيماً للأرحام حثاً على صلتها، وجوابه [اللَّهَ] الخ. قال ابن خالويه: «إن الكوفيين عند ما أجازوا الخفض احتجوا للقارئ بأنه أضمر الخافض، واستدلوا بأن العجّاج(٢) كان إذا قيل له: «كيف تجدك؟» . يقول: خيرٍ عافاك الله»، يريد: بخير».

وعلى ذلك يكون معنى قوله: [اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ]، أي: اتقوه في الأرحام أن تقطعوها(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

افتتح الله عز وجلّ سورة النساء بخطاب الناس جميعاً ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مُنبهاً لهم على قدرته ووحدانيته، فقال: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ] أي: خافوا الله الذي أنشأكم من أصلٍ واحد، وهو نفس أبيكم آدم، [وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا] أي: خلق من النَّفس الواحدة زوجها، ويعني بالزوج: الثاني لها، وهي حواء، وقوله: [وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً] يعني: نشر من تلك النَّفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التناسل والتوالد، رجالاً كثيراً، ونساءً كثيرات، وترك التصريح به استغناءً بالوصف الأول، وفي ذلك إيجاز(٤).

---

(١) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي: (٦١/٢)، الإتحاف، ص(١٨٥)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: للإمام محب الدين أبي البقاء عبد الله العكبري، (د/ط)، (د/ت)، ص(٩٣). كتاب مشكل إعراب القُرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، (ط/٢)، (د/ت)، (١٧٦/١، ١٧٧).

(٢) عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجاج: راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، وكان لا يهجو، توفي نحو (٩٠هـ). انظر: الأعلام (٨٦/٤، ٨٧).

(٣) انظر: الإتحاف، ص(١٨٥)، الحجة في القراءات السبع: للإمام ابن خالويه، (ط/٥)، (١٩٩٠م)، ص(١١٩).

(٤) الإيجاز هو أداءُ المعاني الكثيرة بألفاظ يسيرة، مع الوفاء بالمعنى المُراد، وهو نوعان: (١) إيجاز القِصَر: وهو ما لا يكون فيه لفظٌ محذوف؛ كقوله تعالى: [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ] البقرة، (١٧٩). (٢) إيجاز الحذف: وهو ما كان بحذف كلمة أو أكثر، كالمضاف أو المضاف إليه، أو الموصوف، أو جواب الشرط، أو القسم، أو الجملة التّامة، أو الجمل المتعددة، أو غير ذلك ممّا تدلّ عليه القرائن؛ مثال ذلك قوله: [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا] يوسف (٨٢). هنا حذف المضاف، والتقدير: أهل القرية. انظر: جواهر البلاغة ص(٢٢٢، ٢٢٦).

ثم كرر سبحانه الأمر بالتقوى، تأكيداً وتنبيهاً لنفوس المأمورين، فقال: [وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ] أي: خافوا الله الذي يُناشد بعضكم بعضاً به، حيث يقول: أسألك بالله، وأنشدك بالله.

قوله: [وَالْأَرْحَامَ] قال الإمام الدامغاني[1]: الأرحام: مفردها رَحِم، وهي على وجهين: فوجه منها: الرَّحِم: القرابة، كقوله تعالى: «[وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ]»، أي: واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، عطفاً على [وَالْأَرْحَامَ] في إعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره. وأما من قرأ بالكسر فقال: [وَالْأَرْحَامِ] معناه: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام،فعُطفت بظاهر على مكنى مخفوض.

ولقد نبّه سبحانه وتعالى على صلة الرَّحِم، حيث قرنها باسمه الجليل، على أنّ صلتها بمكان منه، كما قال في قوله عز وجل: [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا][2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»[3]، اتفقت الملة على أن صلة الرّحم واجبة، وأن قطيعتها مُحرّمة، وقد صحّ أنّ النّبي ρ قال لأسماء[4]، وقد سألته: أَأَصِلُ أُمِّي؟ (صِلِي أُمَّكِ)[5]، فأمرها بصلتها وهي كافرة، فلتأكيدها دخل الفضل في صلة الكافرة.

ثم إنه تعالى ختم هذه الآية بما يكون كالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فقال: [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] الرَّقيب: هو المُراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك، ومن هذا صفته فإنه يجب أن يُخاف ويُرجى، فبين تعالى أنه يعلم السِّر وأخفى، وأنه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذراً خائفاً فيما يأتي ويترك[6].

---

(1) محمد بن علي بن محمد بن حسن، أبو عبد الله الدامغاني، شيخ الحنفية في زمانه، يُنعت بقاضي القضاة، بقي في القضاء نحو ثلاثين سنة. وطالت أيامه وانتشر ذكره، توفي سنة (٤٧٨هـ). الأعلام (٢٧٦/٦).

(٢) الإسراء، الآية (٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٧/٨).

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش، صحابية، من الفضليات، آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير، وكانت فصيحة حاضرة القلب واللُّب، وسُميت بذات النطاقين، لها (٥٦) حديثاً، توفيت سنة (٧٣هـ). الإصابة (٤٨٦/٧.٤٨٨).

(٥) نص الحديث عن أسماء قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ρ مَعَ ابْنِهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ρ فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ). أخرجه البخاري في كتاب الآداب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، (٦/٧)، حديث رقم(١٠٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ط/١)، (١٩٩٢م)، (٥٦٥/٣.٥٧٠). فتح القدير، (٤١٧/١.٤١٩). الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (د/ط)، (١٩٦٥م)، (٨/٥.١)، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا

رابعاً: ترجيح القراءات:

اختلف أئمة النحو في توجيه قراءة الجر، فأما البصريون فقالوا: هي لحن لا تجوز القراءة بها، وأما الكوفيون فقالوا: هي قراءة قبيحة. قال سيبويه في توجيه هذا القبح:«إن المضمر بمنزلة التنوين، والتنوين لا يُعطف عليه». وقال الزجاج: «يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض، إلاّ بإعادة الخافض، كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾»وجوّز سيبويه ذلك في ضرورة الشّعر وأنشد:

أَكُرُّ على الكَتيبةِ لا أُبالي أَحَتْفي كانَ فيها أَمْ سِواها[1].

حيث عطف (سِواها) على الضمير المجرور في (فِيها) ولم يُعد الجار[2]. وقال المبرد[3]:«لو صلَّيت خلف إمامٍ يقرأ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ بالجر، لأخذت نعلي ومضيت».

أما الكوفيون فقالوا: هو قبيح، ولم يزيدوا على هذا، ولم يذكروا علّة قبحه.

وعلّل أبوعلي الفارسي رفضه لهذه القراءة بقوله:«هو ضعيفٌ في القياس، وقليلٌ في الاستعمال، وما كان كذلك فتركُ الأخذ به أحسن»[4].

ويقول ابن أبي طالب مؤكداً ضعف هذه القراءة:«قراءة حمزة قبيحة عند البصريين، قليلة في الاستعمال، بعيدة في القياس؛ لأن المضمر في ﴿بِهِ﴾ عِوضٌ من التنوين، ولأن المضمر المخفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان، يَحسُن في أحدهما ما يَحسُن في الآخر، ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر، فكما لا يجوز: واتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام، فكذلك لا يَحسُن: تساءلون به والأرحامِ، فإن أعدت الخافض حَسُن»[5].

ويضيف ابن عطية تعليلاً آخراً، فيقول:«ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان: أحدهما: إن ذكر الأرحام مما يُتساءل به، لا معنى له في الحضّ على تقوى الله تعالى، ولا فائدة

القرآن الكريم: لقاضي القضاة الإمام: أبي السعود محمد بن محمد العِمادي (د/ط)، (د/ت)، (١٤٨/٢) التفسير الكبير: للإمام الفخر الرازي، (د/ط)، (د/ت)، (١٦٦.١٥٧/٩).

(١) قائله العباس بن مرداس السلمي. انظر: الإنصاف (٤٦٤/٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، (د/ط)، (١٩٦٣م)، (٦٩٣.٦٩٢/٢).

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، من كتبه (الكامل)، (المقتضب)، توفي سنة (٢٨٦هـ). بغية الوعاة ص(١١٦).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٦٥.٦٢/٢).

(٥) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمؤلفه: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ط/٤)، (١٩٨٧م)، (٣٧٦.٣٧٥/١).

فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يُتساءلون بها، وهذا تفريق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنّما الفصاحة في أن تكون في ذكر الأرحام فائدة مستقلة.

والوجه الثاني: إن في ذكرها على ذلك تقدير التَّساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يردّ ذلك في قوله ρ: (فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ)[1]»[2].

ومن المفسرين الذين ردُّوا هذه القراءة الإمام الطبري، فيقول موضحا علة رفضه لهذه القراءة: «إن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكنًّى في حال الخفض، إلا في ضرورة الشعر»[3].

ويذكر الزمخشري[4] علة أخرى فيقول رافضاً لهذه القراءة: «لأنّ الضمير المتصل متَّصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: (مررت به وزيد)، شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يُجز، ووجب تكرير العامل كقولك: مررت به وبزيد». ثم يقول: «ألا ترى إلى صحة قولك: رأيتك وزيداً، لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرّر»[5].

وقد صوّب الإمام ابن زنجلة القراءتين معاً، وقال مؤكداً على صواب قراءة [وَالْأَرْحَامِ] بالخفض: «من قرأ [وَالْأَرْحَامِ]، فالمعنى: تساءلون به وبالأرحام. وقال أهل التفسير: وهو قوله: أسألك بالله وبالرحم»، ثم يقول: «وقد أنكروا هذا وليس بمنكر، لأنّ الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي ρ وأنكروا أيضاً أن الظاهر لا يُعطف على المضمر المجرور إلا بإظهار الخافض، وليس بمنكر، وإنما المنكر أن يُعطف على الظاهر المضمر الذي لم يجر له ذكر فتقول: مررت به وزيد، وليس هذا بحَسن، فأما أن يتقدم للهاء ذكر فهو حسنُ، وذلك كقولك: (عمرو مررت به وزيدٍ)، فكذلك الهاء في قوله: [تَسَاءَلُونَ بِهِ] وتقدم ذكرها، وهو قوله: [اتَّقُوا اللَّهَ]» [6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب السُّؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، (٢١٤/٩)، حديث رقم (٣٠).

(٢) تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، (ط/٢)، (١٩٨٣م)، (١٥٨/٣).

(٣) انظر، تفسير الطبري، (٥٦٩/٣-٥٧٠).

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور فيها زمناً، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي فيها سنة (٥٣٨). الأعلام (١٧٨/٧).

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (الطبعة الأخيرة)، (١٩٦٦م)، (٤٩٣/١).

(٦) الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٠).

ويقول أبو حيان(١) دافعاً عن قراءة حمزة المتواترة عن النبي ρ مشنِّعاً على من ردّها أو خطّأها بقوله: «وأما قول ابن عطية: «ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان» فجسارةٌ قبيحةٌ منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه، إذ عمد إلى قراءةٍ متواترة عن النبي ρ، قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من فيّ رسول الله ρ بغير وساطة: عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت، وأقرأ الصحابة أُبي بن كعب، عمد إلى ردِّها بشيء خطر له في ذهنه»، ثم أطال الثناء على حمزة، حيث نعته بأنه صالحٌ ورعٌ ثقةٌ في الحديث، لم يقرأ حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر، وقد قدّمه الناس في زمانه للإمامة بهم، وتتلمذ له خلقٌ كثير.

ثم بيَّن أنّ العُمدة في الأحكام النقل، ليس التعبّد لمذهب بصري أو كوفي حيث قال: «ولسنا مُتعبدين بقول نُحاة البصرة، ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حُكْمٍ ثبت بنقل الكوفيين، وإنما يَعرف ذلك من له استبحار في علم العربية، لا أصحاب الكنانيس(٢) المُشتغلون بضروب من العلوم، الآخذون عن الصُّحف دون الشيوخ». ثم قال: «وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه، لئلا يطَّلع غَمْر(٣) على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة، فيَسيءُ ظناً بها وبقارئها، فيُقارب أن يقع في الكُفر بالطعن في ذلك»(٤).

وقال الإمام الرازي(٥). مدافعاً عن هذه القراءة أيضاً . «واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوهاً قوية في دفع الرِّوايات في اللُّغات، وذلك لأن حمزة أحد القرّاء السبعة، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ρ وذلك يُوجب القطع بصحة هذه اللُّغة»، ثم يقول: «والقياس يتضاءل عند السَّماع، لاسيما بهذه الأَقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت»(٦).

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، تنقل في البلاد إلى أن أقام بالقاهرة، توفي بها سنة (٧٤٥هـ). واشتهرت تصانيفه في حياته وقُرئت عليه. بغية الوعاة، ص(١٢١).

(٢) جمع كُنَاسة: وهي ما كُسِح من البيت من التراب فألقي بعضه على بعض. لسان العرب، (١٩٧/٦).

(٣) الغَمْر: من لم يجرب الأمور. لسان العرب، (٣٠/٥).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، (١٥٩/٣).

(٥) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المنقول والمعقول وعلوم الأوائل، أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته، من تصانيفه (معالم أصول الدين)، وتوفي في هراة، سنة(٦٠٦هـ). الأعلام (٣١٣/٦).

(٦) التفسير الكبير: (١٦٣/٩.١٦٤).

وكذلك الإمام أبو نصر القُشيري[1] قد ردَّ ما قاله القادحون في قراءة الجر، فقال: «ومثلُ هذا الكلام مردودٌ عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القُراء ثبتت عن النبي ρ، تواتراً يعرفه أهل الصنعة، فمن ردّ ذلك فقد ردّ على النبي ρ، واستقبحَ ما قرأ به، وهذا مقام محذورٌ، ولا يقلّد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تُتلقى من النبي ρ، ولا يشك أحدٌ في فصاحته، أما ما ذُكر من الحديث ففيه نظرٌ؛ لأنه قال لأبي العُشَراء[2]: «وأبيك لَوْ طَعنْتَ فَخذَها لأَجْزأَ عَنْك»[3]، ثم إن النهي إنما جاء في الحَلف بغير الله، وهذا توسُّلٌ إلى الغير بحق الرَّحم فلا نهي فيه»[4].

وقد صوَّب الإمام القرطبي القراءتين معاً، وقال مدافعاً عن قراءة من قرأ بالخفض: «إنه لا يبعد أن يكون قوله: [وَالأَرْحَامِ] . بالخفض . من قبيل قوله: [وَالطُّورِ]، [وَالنَّجْمِ]، [وَالتِّينِ]، فيكون سبحانه أقسم بها، كما أقسم بمخلوقاته، الدالة على وحدانيته وقدرته، تأكيداً لها حتى قرنها بنفسه، ولله أن يُقسم بما شاء، ويمنع ما شاء، فلا يبعد أن يكون قسماً، والعرب تُقسم بالرَّحم»، ثم يقول: «وقال ابن الدهان[5]: «والكوفي يُجيز عطف الظاهر على المجرور ولا يمنع منه، ومنه قوله: فاذهب فما بك والأيام من عجب[6]». وعلى هذا حمل بعضهم قوله: [وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ][7] فعطف على الكاف والميم»[8]. هذا والله أعلم.

ورجّح ابن أبي طالب قراءة النصب، قائلاً: «هو الاختيار؛ لأنه الأصل، وهو المُستعمل، وعليه تقوم الحجة، وهو قياس، وعليه كل القراء»[9]، وقال أبو منصور[1]: «القراءة بالنصب قراءة جيدة»[2].

---

(١) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر، واعظ، من علماء نيسابور، علت له شهرة كأبيه، از بغداد في طريقه، ووعظ بها، كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات، توفي سنة (٥١٤). الأعلام (٣٤٦/٣).

(٢) أبو العُشَراء الدارمي، لأبيه صحبة، واختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل أسامة بن مالك بن قهطم، وقيل اسمه بلز، وقد ذكره بعضهم في الصحابة ولا يصح. انظر: أُسد الغابة (٢٥٦،٢٥٤/٥).

(٣) ذكره البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصيد والذبائح، باب ما جاء في زكاة ما لا يقدر على ذبحه إلا برمي أو سلاح، (٢٤٦/٩).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٥).

(٥) سعيد بن المبارك بن عليّ الأنصاري، أبو محمد، المعروف بابن الدهان، عالم باللغة والأدب، تصانيفه كثيرة، من تصانيفه (الأضداد) و(تفسير القرآن)، توفي سنة (٥٦٩هـ). وفيات الأعيان (٢٠٩/١).

(٦) عجز بيت صدره: فَاليَومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وتَشْتِمنا. انظر: شواهد الإيضاح، ص(١٣٥).

(٧) الحجر، الآية (٢٠).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥،٤/٥).

(٩) الكشف، (٣٧٦/١).

(٢/٢) الاختلاف في [قِيَاماً] من قوله عز وجل: [وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا] الآية (٥).

أولاً: أوجه إختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله جل وعز [قِيَاماً], فقرأ نافع وابن عامر [قِيَماً] بغير ألف هنا[٣], وقرأ الباقون [قِيَاماً] بالألف[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وقَصْرُ قِيَاماً عَمَّ يَصْلَوْنَ ضُمَّ كَمْ صَفَا نَافِعٌ بالرفْعِ واحِدَةٌ جَلا[٥].

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله عز وجل [قِيَاماً] هو من قِوام الأمر بالكسر: نظامه وعِماده، قال أبو عبيدة: «يُقال: هو قِوامُ أهل بيته، وقيام أهل بيته، وهو الذي يُقيم شأنهم. وقِوام الأمر: أيضاً مِلاكه الذي يقوم به، قال لبيد[٦]:

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبوعَةٌ خُذِلَتْ، وَهادِيَةُ الصِّوارِ قِوامُها.

قال: وقد يفتح»[٧].

حُجَّة من قرأ [قِيَاماً] بالألف؛ أنه مصدر قام، والياء بدل من الواو، وأُبدلت منها لمَّا أُعلت في الفعل، وكانت قبلها كسرة، والتقدير: التي جعل الله لكم سبب قيام أبدانكم؛ أي بقائها. وأضاف أبو منصور قائلاً: «إن من قرأ [قِيَاماً] فهو من قول العرب: هذا قِوامُ الأَمر؛ أي مِلاكه» [٨].

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، عنى بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، من كتبه (غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء)، توفي سنة (٣٧٠هـ). الأعلام (٣١١/٥).

(٢) كتاب معاني القراءات، الإمام: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ط/١)، (١٩٩٩م)، ص(١١٩).

(٣) بينما قرأ نافع في قوله تعالى: [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ] المائدة (٩٧) [قِيَمًا] بغير ألف، وقرأ الباقون [قِيَاما] بألف. انظر: كتاب السبعة ص(٢٤٨).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤)، كتاب السبعة، ص(٢٢٦)، النشر، (٢٤٧/٢). الإتحاف، ص(١٨٦).

(٥) يقصد الناظم بلفظ (عَمَّ) نافع وابن عامر، انظر: المتن، ص(٤٧). الوافي، ص(٢٤٢).

(٦) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ρ ويُعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، وهو أحد أصحاب المعلقات، توفي سنة (٤١هـ). الأعلام (٢٤٠/٥).

(٧) انظر: لسان العرب، (٤٩٩/١٢). مختار الصحاح، ص(٥٥٨).

(٨) انظر: إملاء ما من به الرحمن، ص(٩٤). الكشف، (٣٧٧/١)، الإتحاف، ص(١٨٦)، معاني القراءات، ص(١١٩).

ومن قرأ [قِيَماً] بغير ألف، فقال فيه: «ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مصدرٌ مثل الحِوَل والعِوَض، وكان القياس أن تثبت الواو لتحصنها بتوسُّطها، كما صحت في الحِوَل والعِوَض، ولكن أبدلوها ياءً، حملاً على قيام وعلى اعتلالها في الفعل. والثاني: أن يكون الأصل (قياماً) فحذفت الألف كما حذفت في (خِيَم)[1] والوجه الثالث: أنها جمع (قيمة) كدِيمة ودِيَمٌ[2].

والمعنى: أن الأموال كالقيم للناس، إذ كان بقاؤها بها»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لمَّا أمر الله تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم في قوله: [وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ][4] وإيصال الصَّدقات إلى الزوجات، بيَّن سبحانه أن السَّفيه وغير البالغ لا يجوز دفعُ ماله إليه، فقال: [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ] والخطاب إلى الأولياء. ولقد اختلف العلماء في هؤلاء [السُّفَهَاء] الذين نهى الله جلّ ثناؤه عباده أن يُؤْتوهم أموالهم في عِدَّة أقوال: والصَّواب منها: إن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ] فلم يُخصص سفيهاً دون سفيه، فغير جائز لأحدٍ أن يؤتي سفيهاً ماله، صبياً صغيراً كان، أورجلاً كبيراً كان، أو أنثى.

والسَّفيه الذي لا يجوز لوليّه أن يُؤتِّيه ماله: هو المستحقُّ الحَجر بتضييعه ماله وفساده وإفساده وسوءُ تدبيره ذلك، وذلك بدلالة قوله تعالى في الآية التي تتلوها: [وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا][5].

قال القرطبي: «وفي الآية دليل على جواز الحَجر على السفيه، وهو رأي الجمهور؛ لأمر الله عز وجل بذلك، في هذه الآية، وفي قوله: [فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا][6]، أثبت الوِلاية على السَّفيه، كما أثبتها على الضَّعيف، وكان معنى الضَّعيف راجعاً إلى الصغير، ومعنى السَّفيه إلى الكبير؛ لأن السَّفه اسم ذمٍّ، ولا يُذم الإنسان على ما لم يكتسبه، والقلم مرفوع عن غير البالغ، فالذمَّ والحَرج منفيان عنه».

---

(١) الخِيمُ: السَّجية والطَّبيعة والخُلُق والسَّجِيّة. لسان العرب، (١٢/١٩٤).

(٢) الدِّيمة: المطرُ الذي ليس فيه رَعْد ولا برق. لسان العرب (١٢/٢١٩).

(٣) أنظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١١٩). الإتحاف، ص(١٨٦)، إملاء ما من به الرحمن، ص(٩٤).

(٤) النساء، الآية(٢).

(٥) النساء، الآية (٦).

(٦) البقرة، الآية (٢٨٢).

وفي قوله تعالى: [لَكُمْ] يقول أبو السعود[1]: «إنما أُضيفت إليهم، وهي لليتامى لا نظراً إلى كونها تحت ولايتهم، بل تنزيلاً لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء، فكأن أموالهم عين أموالهم، لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي، مُبالغة في حملهم على المحافظة عليها، وذلك كما في قوله تعالى: [وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ][2] أي لا يقتل بعضكم بعضاً، حيث عبّر عن بني نوعهم (بأنفسهم) مُبالغة في زجرهم عن قتلهم، فكأن قتلهم قتل أنفسهم» ثم يقول: «وقد أيّد ذلك حيث عبّر عن جعلها مناطاً لمعاش أصحابها بجعلها مناطاً لمعاش الأولياء، فقال: [الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا]».

وفي الآية نهيٌ صريحٌ عن إيتاء السُّفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم فتقومون بها قياماً، ثم قال تعالى: [وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا]. قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما نهى عن إيتاء المال السفيه، أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء: أولها: قوله: [وَارْزُقُوهُمْ] ومعناه: وأنفقوا عليهم، ومعنى الرِّزق من العباد هو الإجراء الموظّف لوقت معلوم، يقال: فلان رزق عياله؛ أي أجرى عليهم[3]. وثانيها قوله: [وَاكْسُوهُمْ] من أموالكم. وثالثها قوله: [وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا] إنما أمر الله تعالى بذلك؛ لأن القول الجميل يؤثر في القلب فيُزيل السفه، أما خلاف القول المعروف فإنه يزيد السفيه سفهاً ونقصاناً».

قال ابن جريج[4]: «المعنى: أي عِدوهم وعداً حسناً، قولوا لهم: إن رشدتم دفعنا إليكم أموالكم. ويقول الأب لابنه: مالي سيصير إليك، وأنت إن شاء الله صاحبه، ونحو ذلك». وهذا فيه إرشادٌ إلى حُسن الخلق مع الأهل والأولاد أو مع الأيتام المكفولين[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(1) محمد بن محمد بن مصطفى العِمادي، المولى أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء التُّرك المستعربين، درس ودرّس في بلاد متعددة، كان حاضر الذّهن سريع البديهة، كان مُهيباً حظياً عند السلطان، يؤخذ عليه الميل الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم، توفي سنة (٩٨٢هـ). الأعلام (٧/٥٩).

(٢) النساء، الآية(٢٩).

(٣) قال الرازي: «إنما قال: [فيها] ولم يقل (منها)؛ لئلا يكون ذلك أمراً، بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم بأن يتجروا فيها، ويثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال» التفسير الكبير (٩/١٨٦).

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، فقيه الحرم المكي، وهو أو من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الأصل، من موالي قريش، توفي سنة (١٥٠هـ). الأعلام (٤/١٦٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٥٨٦/٣-٥٩٣)، فتح القدير، (٤٢٥/١-٤٢٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٧/٥-٣٣)، تفسير أبي السعود، (١٤٤/٢-١٤٥). التفسير الكبير، (٩/١٨٧).

صوّب القراءتين معاً كل من ابن زنجلة وأبي منصور والقرطبي، واستدلوا بقول الكسائي والفرّاء: «بأن قياماً وقواماً وقيماً: ثلاث لغات، والمعنى واحد؛ وهو ما يُقيم شأن النَّاس ويعيشهم»، وانتصب عندهما على المصدر[1].

ويعترض ابن أبي طالب على قول من قال إنَّ [قِيَمًا] مصدر فيقول: «لو كان جمع (قيمة) لصار معناه: ديناً مُعادلاً بغيره، وهذا لا يصح؛ لأن الإسلام لا يعدله شيء، وإنما إعتل لأنه أتبع فعله فاعله»[2].

ويقول الطبري مرجحاً قراءة من قرأ (قياماً) بالألف: «والقراءة التي نختارها في [قِيَمًا] بالألف؛ لأنها القراءة المعروفة في قرأة أمصار الإسلام، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد، وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك؛ لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ واتفقت في المعاني فأعجبها إلينا ما كان أظهر، وأشهر في قرأة أمصار الإسلام»[3].

(٣/٣) الاختلاف في [وَسَيَصْلَوْنَ] من قوله عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا] الآية (١٠).

أولاً: أوجه إختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله عز وجل: [وَسَيَصْلَوْنَ]، فقرأ ابن عامر وعاصم[4]: [وَسَيُصْلَوْنَ] بضم الياء، وقرأ الباقون: [وَسَيَصْلَوْنَ] بفتح الياء[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمة الله:

وقَصْرُ قياماً عمّ يَصْلَوْنَ ضُمَّ كَمْ صَفَا نافِعٌ بالرفع واحدةٌ جلا[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله: [يَصْلَوْنَ]: من صَلَيْتَ، ومن ذلك قولهم: صَلَيْتَ اللَّحْمَ. بالتخفيف. أي شويته، وفي الحديث: عن أبي هريرة: (أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ)[7] أي: مَشْوية.

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩١). معاني القراءات، ص(١٢٠). الجامع لأحكام القرآن، (٣١/٥).

(٢) الكشف، (٣٧٦/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٥٩١/٣).

(٤) أي شعبة، وكذلك قوله: [تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً] الغاشية (٤) بالضم، أما حفص فرُوي عنه بالفتح في الآيتين، وكذلك قوله: [وَيَصْلَى سَعِيرًا] الإنشقاق (١٢)، انظر: كتاب السبعة، ص(٦٨١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤). كتاب السبعة، ص(٢٢٧)، النشر، (٢٤٧/٢). الإتحاف، ص(١٨٦).

(٦) عني الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كَمْ» ابن عامر، وبحرف (الصاد) من قوله: «صَفَا» شعبة راوي عاصم. انظر: المتن، ص(٤٧)، الوافي، ص(٢٤٢).

(٧) نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ). أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ρ وأصحابه يأكلون، (١٣٤/٧)، حديث رقم (٤٠).

والصِّلاء: بالمد والكسر: الشِّواء؛ لأنه يُصْلى بالنار. فأمّا إذا أحرقته وأبقيته في النار، قلت: صَلَّيته. بالتشديد. وأَصْلَيتُه. قال الشاعر:

ألا يا أَسْلمي ياهِنْدُ، هِنْدُ بني بَدْرٍ تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى فُؤادَكِ بالجَمْرِ[1].

وجه من قرأ: [يُصْلَوْنَ] بضم الياء: أنه جعله فعل لما يُسَمَّ فاعله، على معنى: يأمر الله من يُصليهم سعيراً، فلم يضف الفعل إليهم في الحقيقة، إنما أُقيموا مقام من له الفعل في الحقيقة. وزاد ابن زنجلة. على ذلك. قائلاً: «إن حجة من قرأ بالضم قوله عز وجل: [سَأُصْلِيهِ سَقَرَ][2]»[3].

ومن قرأ بالفتح فحجته أنّه جعله فعلاً لهم، ودليله قوله عز وجل: [إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ][4]، وقوله: [جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا][5]. قال أبو منصور: «من قرأ: [يَصْلَوْنَ]؛ أي يُقاسون حراً، من صَليت النار أصلاها، إذا قاسيتُ حَرَّها»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

[إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا] استئناف يتضمَّن النَّهيُ عن ظلم الأيتام من الأولياء والأوصياء. قال الرازي: «أكد سبحانه الوعيد في أكل مال اليتيم ظلماً، وقد كثر الوعيد في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يفعل ذلك، كقوله: [وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا][7] وقوله: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا][8]، ثم ذكر سبحانه بعدها هذه الآية مُفردة في وعيد من يأكل أموالهم، وذلك كلّه رحمةً من الله تعالى باليتامى؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم واستحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته، وكثرة عفوه وفضله؛ لأن اليتامى لمّا بلغوا من الضَّعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى».

---

(١) أراد أنه قتل قومها، فأحرق فؤداها بالحزن عليهم. انظر: لسان العرب، (١٤/٤٦٧)، مختار الصحاح، ص(٣٦٨.٣٦٩).

(٢) المدثر، الآية (٢٦).

(٣) انظر: الكشف، (١/٣٧٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩١).

(٤) الصافات، الآية (١٦٣).

(٥) إبراهيم، الآية (٢٩).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٠). كتاب معاني القراءات، ص(١٢٠).

(٧) النساء، الآية (٢).

(٨) النساء، الآية (٩).

وقد نزلت هذه الآية في رجلٍ من غطفان[1] يُقال له مَرثَد بن زيد[2] وَلِيَ مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية[3].

قال القرطبي: «ولهذا قال الجمهور: إن المُراد الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبح لهم من مال اليتيم» وسُمي أخذ المال على كل وجوهه (أكلاً)؛ وذلك لما كان المقصود هو الأكل، وبه أكثر إتلاف الأشياء[4]، وخص (البطون) بالذكر؛ لتبيين نقصهم، والتَّشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق، وسُمي المأكول (مالاً) بما يَؤول إليه، كقوله تعالى: [إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا][5] أي عنباً ».

قوله: [سَعِيراً] السَّعير: هو الجمر المشتعل، وإنما قال: [سَعِيراً]؛ لأن المُراد نار من النيران مُبهمة لا يُعرف غاية شدتها إلا الله تعالى. روى أبو سعيد الخدري قال: (حدثنا النَّبي ρ عن ليلة أُسري به قال: (رأيتُ قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل[6]، وقد وُكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار يخرج من أسافلهم، فقلتُ: يا جبريل من هؤلاء؟). فقال: (هُم الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلْماً))[7]، فدل الكتاب والسنة على أن أكل مال اليتيم من الكبائر.

قال الرازي: «في الآية دليل على أن مال اليتيم قد يُؤكل غير ظلم، وإلا لم يكن لهذا التَّخصيص فائدة، والدليل على ذلك قوله تعالى: [وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ][8] فدلّت الآية على جواز أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه، على وجه الاستقراض منه، فأما على غير ذلك الوجه، فغير جائز له أكله»، وقال الطبري: «لا معنى لقول من قال: إنما عنى بـ[الْمَعْرُوفِ] في هذا الموضع، أكل والي اليتيم من مال اليتيم، لقيامه عليه

(١) غطفان بن سعيد، بطن عظيم، متسع، كثير الشعوب، والأفخاذ، من قيس بن غيلان، من العدنانية، وقد حاربهم الرسول ρ في غزوة الخندق، وهي الأحزاب، وكانوا ألوفاً، ثم ارتدوا بعد وفاته ρ، فحاربهم أبو بكر فقتلهم شر قتله، انظر: معجم قبائل العرب (٣/٨٨٨-٨٨٩).

(٢) مَرثد بن زيد الغطفاني، ذكره ابن فتحون في ذيل الاستيعاب: انظر: الإصابة (٦/٦٧-٦٨).

(٣) انظر: أسباب النزول: للواحدي، (ط/٤)، (١٩٩٨م)، ص(١٢١).

(٤) قال الرازي: «إنما ذكر الأكل وأراد به كل التصرفات المتلفة، لوجوه: أحدها: أن عامة مال اليتيم في ذلك الوقت هو الأنعام التي يُؤكل لحومها ويُشرب ألبانها، فخرج الكلام على عادتهم. وثانيها: أنه جرت العادة فيمن أنفق ماله في وجوه مراداته خيراً كانت أو شراً، أنه يُقال: إنه أكل ماله. وثالثها: أن الأكل هو المعظم فيما يُبتغى من التصرفات». انظر: التفسير الكبير (١/٢٠١).

(٥) يوسف، الآية (٣٦).

(٦) جمع: شُفْر، وشُفْر العين: هو ما ينبت عليه الشعر، وأصلُ منبت الشعر في الجفن. لسان (٤/٤١٨).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) النساء، الآية(٦).

على وجه الاعتياض[1] على عمله وسعيه، وذلك لأنّ لوالي اليتيم أن يُؤاجر نفسه منه للقيام بأموره، إذا كان مُحتاجاً إلى ذلك، كما يستأجر له غيره من الأُجراء، وكما يشتري له من يُعينه، غنياً لوالي أو فقيراً »[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب جميع المفسرين القراءتين معاً، إذ هما مشهورتان فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ، قال أبو زيد[3]: يُقال صَلِيَ الرجلُ النارَ يَصلاها صَلاً وصِلاءً: وهما واحدٌ. وأصلاه الله حَرَّ النار إصلاءً؛ وهو صالي النار من قوم صالين وصُلى». وقال الفراء: الصَّلي: اسم الوقود، وهو الصِّلاء، إذا كُسرت مُدّت، إذا فُتحت قُصرت»[4].

أما الطبري فيرجح قراءة الفتح قائلاً:«والفتح بذلك أولى من الضم، لإجماع جميع القرأة على فتح الياء من قوله: [لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى][5]، وفي قوله: [إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ][6] على أنّ الفتح بها أولى من الضم»[7].

(٤/٤) الاختلاف في [وَاحِدَةً] من قوله عز وجل: [يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] الآية (١١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [وَاحِدَةً]، فقرأ نافع: [وَاحِدَةٌ] بالرفع، وقرأ الباقون: [وَاحِدَةً] بالنصب[8].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) العِوَض: البَدَل، والعَوْض مصدر قولك: عاضَه عَوْضاً وعِياضاً ومَعُوضةً. لسان العرب (١٩٢/٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٠٢/٣) و(٦١٥/٣.٦١٦)، فتح القدير: (٤٢٩/١)، الجامع، (٥٣/٥.٥٤)، تفسير أبي السعود، (١٤٨/٢)، التفسير الكبير، (٢٠٠/٩.٢٠٢).

(٣) الإمام العلامة، حجة العرب، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله ρ، أبي زيد الأنصاري، النحو ي، صاحب التصانيف، قال أبو حاتم: «صدوق»، ويقال: أنه كان يحفظ ثلثي اللغة، توفي سنة (٢١٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٤٩٤/٩.٤٩٦).

(٤) انظر: التفسير الكبير، (٢٠٢/٩).

(٥) الليل، الآية (١٥).

(٦) الصافات، الآية (١٦٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٦١٦/٣).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤) كتاب السَّبعة، ص(٢٢٧) النشر، (٢٤/٢.٢٤٨). الإتحاف، ص(١٨٧).

وقرأ (واحدةٌ) بالرفع نافعٌ ... واحدةً جَلا(١).

ثانياً: توجيه القراءات:

حجة نافع في قراءته [وَاحِدَةٌ] بالضم؛ أنه جعل (كان) تامة، بمعنى حدث، ووقع، ويقوي ذلك أنه لما كان القضاء في إرث الواحدة لا في نفسها، وجب أن يكون التَّقدير: فإن وقع أو حدث إرث واحدة، أو حكم واحدة، ونحوه. وقد كان يلزم الرفع في [نِسَاءً] في قوله: [إِنْ كُنَّ نِسَاءً] إلا أنه جمع بين المذهبين والمعنيين، فأضمر الاسم مع [نِسَاءً]، وترك الإضمار مع واحدة، والقياس واحد. وزاد ابن زنجلة قائلاً: «حجة نافع أنه جعل (كان) كما في قوله: [وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ](٢) أي وقع ذو عسرة»(٣).

أما الباقون فحجتهم أنهم جعلوا (كان) هي النّاقصة التي تحتاج إلى خبر، الدّاخلة على الابتداء والخبر، فأضمر اسمها فيها، ونصبوا [وَاحِدَةً] على الخبر، ووفَّق في ذلك بين آخر الكلام وأوله؛ لأن الآخر قسيم الأول، فجرى على لفظه وحكمه؛ لأنه تعالى ذكر جماعة البنات وحكمهن في ميراثهن، ثم ذكر حكم الواحدة في ميراثها فجرت الواحدة في الإعراب مجرى الجماعة؛ لأن قبل كل واحد منهما (كان)، والتقدير: فإن كان المتروكات نساءً، وإن كانت المتروكات واحدة، وإن أُضمرت الوارثات والوارثة، فالمعنى واحد(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [يُوصِيكُمُ اللَّهُ] شروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله: [لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا](٥) وهذه الآية ركن من أركان الدين، وعُمدة من عُمد الأحكام، وأمٌّ من أمهات الآيات؛ لاشتمالها على ما يهم من علم الفرائض.

وسبب نزول هذه الآية أن امرأة سعد بن الربيع(٦) قالت: «يا رسول الله، إن سعداً هلك وترك بنتين وأخاه، فعمد أخاه فقبض ما ترك سعد وإنما تُنكح النِّساء على أموالهن»، فلم يجبها

---

(١) جَلا: بمعنى كشف ويُلاحظ أن (الجيم) ليست رمزاً لورش، لتصريحه باسم نافع، وورش أحد راوييه، انظر: المتن، ص(٤٧)، الوافي ص(٢٤٢).

(٢) البقرة، الآية (٢٨٠).

(٣) انظر: الكشف، (٣٧٨/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٢)

(٤) انظر: الكشف، (٣٧٨/١).

(٥) النساء، الآية (٧).

(٦) سعد بن الربيع بن عمرو، من بنى الحارث بن الخزرج، صحابي، من كبارهم، كان أحد النقباء يوم العقبة، وشهد موقعة بدر، واستشهد يوم أحد. انظر: الإصابة (٥٩.٥٨/٣).

في مجلسه ذلك، ثم جاءته فقالت: «يا رسول الله: ابنتا سعد؟» فقال رسول الله ρ:«أدع لي أخاه»، فجاء، فقال له: ادفع إلى ابنتيه الثلثين، وإلى امرأته الثُّمن، ولك ما بقى»[1].

ومعنى قوله: [يُوصِيكُمُ اللَّهُ] أي يعهد إليكم في بيان ميراثهن. وقد اختلف العلماء هل يدخل أولاد الأولاد أم لا؟ فقالت الشافعيه[2]: «قوله: [يُوصِيكُمُ اللَّهُ] حقيقةً في أولاد الصُّلب، فأما ولد الابن فإنما يدخل فيه بطريق المجاز». وقالت الحنفية[3]: «إنه يدخل فيه إن لم يكن له ولد صُلب».

قال ابن المنذر[4]: «كان الذي يجب على ظاهر الآية أن يكون الميراث لجميع الأولاد، المؤمن منهم والكافر، فلما ثبت عن رسول الله ρ أنه قال: (لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ)[5] عُلم أن الله أراد بعض الأولاد دون بعض، فلا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، على ظاهر الحديث. وكذلك يدخل القاتل عمداً لأبيه أو جده أو أخيه أو عمه بالسّنة كما في قوله ρ: (الْقَاتِلُ لا يَرِثُ)[6]». وأنه لا يرث من مال من قتله، ولا من دِيَته شيئاً، فإن قتله خطأً فلا ميراث له من الدِّيَة[7].

قال القرطبي:«ولما قال تعالى: [فِي أَوْلَادِكُمْ] دخل فيهم الأسير في أيدي الكفار، فإنه يرث ما دام تُعلم حياته على الإسلام، وبه قال كافة أهل العلم، فأما إذا لم تُعلم حياته فحُكمه

---

(١) انظر: أسباب النزول: للواحدي، ص(١٢١.١٢٢).

(٢) هؤلاء أتباع مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة، ومدرسته تتوسط مدرستي الحديث والرأي، وهو أول من ابتدع علم الأصول، وأول ما صنفه في أصول الفقه كتاب (الرسالة)، وكان أول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه. انظر: موسوعة الفرق والجماعات، ص(٢٥٤.٢٥٦).

(٣) هم أتباع مذهب الإمام أبوحنيفة النعمان، فقيه العراق وإمام الأئمة، وهم يُؤصلون مذهبهم على كتاب الله وسنه نبيه ρ فإن لم يجدوا أخذوا بقول الصحابة، ويكاد يكون المذهب الحنفي أشهر المذاهب الأربعة. انظر: موسوعة الفرق والجماعات، ص(١٩٩.٢٠١).

(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر، فقيه مجتهد، من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة، من تصانيفه: (المبسوط)، توفي سنة (٣١٩هـ). طبقات الشافعية (١٢٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم فإذ أسلم قبل أن يُقسم الميراث فلا ميراث له، (٢٧٩/٨).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض، باب ميراث القاتل، (٩١٣/٢)، الحديث رواية أبو هريرة.

(٧) فعن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ρ قام يوم فتح مكة فقال: (الْمَرْأَةُ تَرِثُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا وَمَالِهِ وَهُوَ يَرِثُ مِنْ دِيَتِهَا وَمَالِهَا مَا لَمْ يَقْتُلْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض باب ميراث القاتل، (٩١٤/٢).

حكم المفقود[1] ويدخل فيه الخُنثى[2]. ولقد أجمع العلماء على أنه يُورث من حيث يبول، فإن بال منهما فمن حيث سبق، فإن خرج البول منهما من غير سبق أحدهما فله نصيب الذكر ونصف الأنثى. وقال الشافعي: «يعطى أقل النصيبين» وهو نصيب الأنثى».

قال الشوكاني: «هذه الآية ناسخة لما كان في صدر الإسلام من الموارثة بالحِلف والهجرة والمُعاقدة، ولقد نسخها قوله تعالى: [وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ]»[3].

وقوله تعالى: [لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] جملة مُستأنفة لبيان الوصية في الأولاد، فلابد من تقدير ضمير يرجع إليهم: يُوصيكم الله في أولادكم للذكر منهم مثل حظّ الأنثيين. والمُراد حال اجتماع الذكور والإناث، وأما حال الإنفراد، فللذكر جميع الميراث، وللأنثى النصف، وللاثنتين فصاعداً الثلثان. قوله: [فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ] أي: فإن كان المتروكات أكثر في العدد من اثنتين، فلبناته الثلث من ما ترك بعده من ميراثه، دون سائر ورثته، إذا لم يكن الوالد خلّف ولداً ذكراً معهن.

قال الشوكاني: «وظاهر النظم القرآني أن الثلثين فريضة الثلاث من البنات فصاعداً، ولم يُسم للاثنتين فريضة، ولهذا اختلف أهل العلم في فريضتهما، فذهب الجمهور إلى أنّ لهما إذا انفردتا عن البنين الثُّلثين. واحتجوا بالقياس على الأختين، فإن الله سبحانه قال في شأنهما: [فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ][4] فألحقوا البنتين بالأختين في استحقاقهما الثلثين، كما ألحقوا الأخوات إذا زدن على اثنين بالبنات في الاشتراك في الثّلثين». واستدل القرطبي بالحديث الصحيح المروي في سبب النزول على أن للبنتين الثلثين.

وقوله: [وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ] أي وإن كانت المولودة واحدة ليس معها أخ ولا أخت فلها النصف مما ترك. ثم يقول سبحانه مبيناً ميراث الأبوين: [وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ] فقد فرض الله تعالى لكل واحدٍ من الأبوين مع الولد السُّدس، وأبهم الولد فكان الذكر والأنثى فيه سواء، فإن مات رجل وترك ابناً وأبوين، فلأبويه لكل واحد

---

(١) والمفقود هو الغائب الذي انقطع خبره، ولا يدرى حياته من موته، والحكم في ميراثه: أنه حي في حق ماله، فلا يرث منه أحد. وميت في مال غيره، فلا يرث من أحد؛ وذلك لأن الأصل ثبوت حياته ما لم يظهر خلافه، فاعتبر حيا استصحابا لحاله، واستصحاب الحال حجة تدفع الاستحقاق، ولذلك فلا يستحق أحد في ميراثه؛ لاعتباره حيا، ولا يستحق هو في ميراث غيره، ويوقف حاله حتى يصح موته، أو يمضي عليه مدة لا يحيا إلى مثلها مثله، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحد رأيين للحنفية. انظر: الموسوعة الفقهية، (٣/٦٨.٧٠).

(٢) قال الجرجاني: الخُنْثى في اللغة: من الخَنَث، وهو اللّين. وفي الشريعة: شخص له آلتا الرجال والنساء، أوليس له شيء منهما أصلاً». انظر: التعريفات، ص(٩١).

(٣) النساء، الآية، (٣٣).

(٤) النساء، الآية (١٧٦).

منهما السُّدس، وما بقى فللابن، فإن ترك ابنة وأبوين فللابنة النصف، وللأبوين السُّدسان، وما بقي فلأقرب عَصَبة[1]؛ وهو الأب لقوله ρ: (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَلأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)[2]. فاجتمع للأب الاستحقاق بجهتين: التَّعصيب والفرض[3].

وقوله تعالى: [فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ] أخبر جلّ ذكره أن الأبوين إذا ورثاه أن للأم الثلث، ودلّ بقوله: [وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ] وإخباره أن للأم الثلث؛ أن الباقي وهو الثلثان للأب فقوله: [فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ] الإخوة يحجبون الأم عن الثُّلث إلى السُّدس، وهذا هو حجب النُّقصان[4] وسواء كان الإخوة أشقاء، أو للأب أو للأم، ولا سهم لهم. ولقد أجمع أهل على أن أخوين فصاعداً ذكراناً كانوا أو إناثاً من أب وأم، أو من أب أو من أم، يحجبون الأم عن الثُّلث إلى السدس، إلا ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الاثنين من الإخوة في حكم الواحد، ولا يحجب الأم أقلّ من ثلاث[5].

رابعاً: ترجيع القراءات:

رجح أبو علي قراءة النصب قائلاً:«الاختيار ما عليه الجماعة [وَاحِدَةً] بالنصب؛ لأن التي قبلها لها خبرٌ منصوب، وذلك قوله: [فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ] أي: وإن كانت المتروكة واحدة، كما أن الضمير في الأول، تقديره: وإن كن المتروكات أو الوارثات نساء»[6].

وأضاف ابن أبي طالب على ذلك بقوله: «إن من نصب [وَاحِدَةً] وفَّق في ذلك بين آخر الكلام وأوله، ألا ترى أنّ أوله: [فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً] فنصب، وأضمر في (كان) اسمها، فلما أجمع على النَّصب في [نِسَاءً] أجرى [وَاحِدَةً] على ذلك؛ لأن الآخر قسيم الأول، فجرى على لفظه

---

(1) العُصبة بالضم: جماعة متعَصّبَة، أي مُتعاضدة. وأنواعها:(١) العصبة بنفسه: هي كل ذكر لا يدخل في نسبته إلى الميت أنثى. (٢) العَصبة بغيره: هي النسوة اللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بإخوتهن. (٣) والعَصبه مع غيره:هي كل أنثى تصير عَصبة مع أنثى أخرى: كالأخت مع البنت. انظر: التعريفات ص(١٣١). التوقيف على مهمات التعريف، ص(٢٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفرائض، باب الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر، (٥/٥٩).

(٣) قال الشوكاني: «وقد اختلف العلماء في الجد، هل هو بمنزلة الأب فتسقط به الأخوة أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أن الجد يُسقط بني الإخوة، وأجمع العلماء على أن الجد لا يرث مع الأب شيئاً، وأجمع العلماء على أن للجدة السدس إذا لم يكن للميت أم، وأجمعوا على أنها ساقطة مع وجود الأم، وأجمعوا على أن الأب لا يُسقط الجدة أم الأم» فتح القدير (٤٣٢،٤٣٣/١).

(4) الحَجْب في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: منع شخص مُعين عن ميراثه، إما كله أو بعضه بوجود شخص آخر، ويُسمى الأول حجب حرمان، والثاني حجب نقصان. انظر: التعريفات: ص(٧٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٦١٥،٦٢٢/١)، فتح القدير، (٤٣١،٤٣٣/١). الجامع لأحكام القرآن، (٥٥،٧٣/٥). تفسير أبي السعود (١٤٩،١٥٠/٢)، التفسير الكبير، (٢٠٣،٢١٦/٩).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٦٩/٢).

وحكمه، لأنه تعالى ذكر جماعة البنات وحكمهن في ميراثهن، ثم ذكر حكم الواحدة في ميراثها، فجرت الواحدة في الإعراب مجرى الجماعة؛ لأن قبل كل واحد منهما (كان)، والتقدير: فإن كان المتروكات نساءً وإن كانت المتروكة واحدة. وإن أُضمرت الوارثات والوارثة فالمعنى واحد». ثم يقول مبيناً ترجيحه لقراءة النصب: «والنصب الاختيار، ليألف آخر الكلام بأوله، وعليه جماعة القراء»(١).

وساق ابن زنجلة قول الزجاج مستشهداً به على اختياره لهذه القراءة قائلاً: «قال الزجاج: «فالنصب أجود؛ لأن قوله في أولها: [فَإِن كُنَّ نِسَاءً] قد بيّن أن المعنى: كان الأولاد نساءً، وكذلك المولودة واحدة»»، ثم قال: «لذلك اخترنا النصب»(٢).

وهو رأي أبي منصور أيضاً، واختيار جمهور المفسرين مثل القرطبي الذي قال: « قال النحاس: « وهذه قراءة حسنة»»، والزمخشري حيث علق . بعد توجيهه لكلتا القراءتين قائلاً: «القراءة بالنصب أوفق»(٣).

(٥/٥) الاختلاف في قوله [يُوصِي] من قوله عز وجل: [يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ] الآيتان (١٢،١١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر الصّاد وفتحها من قوله عز وجل: [يُوصِي]، فقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: [يُوصَى] بفتح الصاد في الحرفين، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة

---

(١) الكشف، (٣٧٨/٢).

(٢) الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٢).

(٣) انظر: كتاب معاني القرآن، ص (١٢٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٦٤/٥). الكشاف/ (٥٠٦/١)، التفسير الكبير، ص(٢١٢،٢١١/٩).

والكسائي: [يُوصِي] بكسر الصاد فيهما، وقال حفصٌ عن عاصم: «الأولى [يُوصِي] بالكسر، والثانية [يُوصَى] بالفتح»[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويُوصَى بفتْح الصَّاد صَحَّ كَمَا دَنَا ووافَق حَفْصٌ فِي الأخِيرِ مُجَمَّلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الوَصِية ما أوصيتَ به، وسُميت وصية لاتصالها بأمر الميت، والاسم: الوَصاة، والوَصاية، والوِصايةُ. وتَواصى القومُ: أوصى بعضهم بعضاً، وفي الحديث: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ»[3]، والوَصيُّ: الذي يُوصِي والذي يُوصَى له[4]، وهو من الأضداد[5].

قوله عز وجل: [يُوصِي] قُرأ بفتح الصاد وكسرها، فمن قرأ [يُوصَى] بفتح الصاد، حجته أنه لما كان هذا الحكم ليس يُراد به واحد بعينه، إنما هو شائع في جميع الخلق، أجراه على ما لم يُسمَّ فاعله، فأخبر به عن غير معين، وزاد أبو علي على ذلك بقوله: «إنه في المعنى يؤول إلى [يُوصَى]، ألا ترى أن الموصي هو الميت، وكأن الذي حَسَّن ذلك أنه ليس لميتٍ معين، إنما هو شائعٌ في الجميع»[6].

ومن قرأ [يُوصِي] بكسر الصاد على إضمار الفاعل؛ أي يوصي بها الميت، فحُجته: أنه ذكره في صدر القصة وهو قوله: [وَلِأَبَوَيْهِ] أي: ولأبوي الميت، وقوله: [إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ] وقوله: [وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ]، فقد جرى ذكر الميت، وكذلك قال: [مِمَّا تَرَكَ] يعنى الميت، بمعنى أنه أضاف الفعل إليه؛ لأنه هو الموصي، كأنه قال: من بعد وصيه يوصِّي الميت بها، ففيه تخصيص للمذكور الميت[7]. وقال ابن أبي طالب: «أما قراءة حفص فإنه جمع بين اللغتين، وأتبع ما قرأ به على إمامه»[8].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤)، كتاب السبعة، ص(٢٢٨)، النشر (٢/٢٤٨)، الإتحاف، ص(١٨٧).

(٢) أشار الناظم إلى أبي بكر بالحرف (ص) ولابن عامر بالحرف (ك)، ولابن كثير بالحرف (د)، ومعنى قوله: «مُجَمَّلا» حال من حفص؛ أي كسر في الأول وفتح في الثاني ناقلاً هذا عن الأئمة، انظر: المتن ص(٤٧)، والوافي: ص(٢٤٣.٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (٧/٤٦)، حديث رقم (١١٦).

(٤) انظر: لسان العرب، (١٥/٣٩٤)، مختار الصحاح، ص(٧٢٦.٧٢٥).

(٥) الأضدَّاد: المقصود بها هي: الكلمة تؤدِّي اللفظة الواحدة بمعنيين مختلفين، تُنبئ كل لفظة عن المعنى الذي تحتها وتدل عليه، وتوضِّح تأويله، انظر: الأضداد في اللغة، ص(أ).

(٦) انظر: الكشف، (١/٣٨٠). الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٧١).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٢). الكشف، (١/٣٨٠).

(٨) الكشف، (١/٣٨٠).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في النص السابق تبين لنا . من خلال شرح الآية . كيفية ميراث الأولاد، وكيفية ميراث الأبوين،ومن ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله: [مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ] أي أن هذه الأنصبة إنما تُدفع إلى هؤلاء إذا فضل عن الوصيّة والدّين؛ وذلك لأن أول ما يُخرج من التركة الدَّين، حتى لو استغرق الدّين كل مال اليتيم لم يكن للورثة فيه حق، فأما إذ لم يكن دين، أو كان، إلا أنه قضى وفضل بعده شيء، فإن أوصى الميت بوصية، أُخرجت الوصية من ثلث ما فضل، ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله سبحانه.

واختلف في وجه تقديم الوصيّة على الدين، مع كونه مُقدماً عليها بالإجماع، والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أنه يبدأ بالدّين قبل الوصية، قال القرطبي: «فالجواب من أوجه خمسة: الأول: إنما قصد تقديم هذين الفعلين على الميراث ولم يقصد ترتيبهما في أنفسهما؛ فلذلك تقدمت الوصية في اللفظ. جواب ثاني: لما كانت الوصية أقل لزوماً من الدّين قدّمها اهتماماً بها، كما قال: [لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً](1). جواب ثالث: قدّمها لكثرة وجودها ووقوعها فصارت كاللازم لكل ميت مع نص الشرع عليها، وأخّر الدَّين لشذوذه، فإنه قد يكون وقد لا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بُدّ منه، وعطف بالذي قد يقع أحياناً ويقوي هذا: العطف بـ[أَوْ] ولو كان الدَّين راتباً لكان العطف بالواو. جواب رابع: إنما قدّمت الوصية إذ هي حظ مساكين وضعفاء، وأُخر الدَّين إذ هو حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان وله فيه مقال. جواب خامس: لما كانت الوصية يُنشئها من قِبَل نفسه قدّمها، والدَّين ثابت مؤدّى ذكره أو لم يذكره».

وهذه الوصية مقيدة بقوله: [غَيْرَ مُضَارٍّ] أي: غير مُدخل الضرر على الورثة؛ أي لا ينبغي أن يُوصي بدين ليس عليه ليُضر بالورثة، ولا يُقر بدين، فالإضرار راجع إلى الوصية والدّين، أما رجوعه إلى الوصية فبأن يزيد على الثُّلث أو يوصي لوارث، فإن زاد فإنه يردّ، إلاّ أن يُجيزه الورثة؛ لأن المنع لحقوقهم لا لحق الله تعالى، وإن أوصى لوارث فإنه يرجع ميراثاً، وذلك لإجماع العلماء على أن الوصية لوارثٍ لا تجوز.

وأما رجوعه إلى الدَّين فبالإقرار في حالة لا يجوز له فيها، كما لو أقرّ في مرضه لوارثه، أو لصديق مُلاطف له، فإن ذلك لا يجوز قال الشوكاني: «وهذا القيد؛ أي عدم الإضرار، هو قيدٌ لجميع ما تقدم من الوصية والدَّين»، وقال أبو السعود: «وتخصيص القيد بهذا المقام، لما أن الورثة مظنّة لتفريط الميت في حقهم».

ثم خاطب سبحانه الورثة بقوله: [آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا] أي لا تدرون أيُّهم قريب لكم نفعه في الدعاء لكم، والصدقة عنكم، كما في الحديث الصحيح: (إِذَا مَاتَ

(1) الكهف، الآية (49).

انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: ... أو ولد صالح يدعو له)[1] ثم قال سبحانه: [فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] والمعنى: أن قسمة الله لهذه المواريث أولى من القسمة التي تميل إليها طباعكم؛ لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فيكون عالماً بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما هو الأصلح والأحسن[2]، وهذا نظير قوله: [إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ][3] وهذا وعيد[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو عبيد وأبو حاتم قراءة [يُوصِي] بالكسر، وعللا ذلك بقولهما: «لأنه جرى ذكر الميت قبل ذلك» وقال الأخفش: «وتصديق ذلك قوله: [يُوصِينَ] و[تُوصُونَ]»[5].

ووافقهم الطبري قائلاً: «أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: [مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا] على مذهب ما قد سُمي فاعله؛ لأن الآية كلها خبر عمن قد سُمي فاعله، ألا ترى أنه يقول: [وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ] فكذلك الذي هو أولى بقوله: [يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ] أن يكون خبراً عمن قد سُمي فاعله؛ لأن تأويل الكلام: ولأبويه لكلّ واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد من بعد وصية يُوصِي بها أو دين يُقضى منه»[6]. ويقول الرازي: «قراءة الكسر هي الاختيار؛ بدليل قوله: [إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ]»[7].

أما أبو علي الفارسي فيرجح قراءة [يُوصَى] بالفتح، ويقول: «وحجة من قال: [يُوصَى] بالفتح أنه في المعنى يؤول إلى يوصي، ألا ترى أن الموصِّي هو الميت»، ثم يقول مؤكداً «وكأن الذي حسَّن ذلك أنه ليس لميت معين، إنّما هو شائع في الجميع، فلذلك حَسُنَ [يُوصَى]»[8].

---

(١) نص الحديث كما رواه أبو هريرة عن رسول الله ρ قال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٥/٧٣).

(٢) ولقد طرح الرازي سؤالا مفاده: لم جُعل خاتمة الآية الأولى: [فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ] وخاتمه الآية الثانية: [وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ] فقال: «والجواب: أن لفظ الفرض أقوى وآكد من لفظ الوصية، فختم شرح ميراث الأولاد بذكر الفريضة، وختم شرح ميراث الكلالة بالوصية، ليدل بذلك على أن الكل وإن كان واجب الرِّعاية إلا أن القسم الأول وهو رعاية حال الأولاد أولى» التفسير الكبير (٩/٢٢٦).

(٣) البقرة، الآية (٣٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/٦٢٢.٦٣١) فتح القدير، (١/٤٣٣.٤٣٥) والجامع لأحكام القرآن، (٥/٧٣.٨١). تفسر أبي السعود، (٢/١٥٠.١٥٣). التفسير الكبير، (٩/٢١٦.٢١٧).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٧٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٣/٦٢٣).

(٧) انظر: التفسير الكبير، (٩/٢١٧).

(٨) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٧١).

(٦/٦) الاختلاف في [يُدْخِلْهُ] من قوله عز وجل: [تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ] الآيتان (١٤،١٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ]، [يُدْخِلْهُ نَارًا][1]، فقرأ نافع وابن عامر: [نُدْخِلْهُ] بالنون في الحرفين، وقرأ الباقون: [يُدْخِلْهُ] بالياء في الحرفين[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَنُدْخِلْهُ نُونٌ مَعَ طَلَاقٍ وَفَوْقُ مَعْ نُكَفِّرْ نُعَذِّبْ مَعْهُ فِي الْفَتْحِ إِذْ كَلَا[3].

ثانياً: توجيه القراءات:

الدُّخول: نقيض الخُروج، يُقال: دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولاً، وتَدَخَّلَ ودَخَلَ به، ويُقال: دَخَلْتُ البيت، والصحيح فيه أن يُقال: دَخَلْتُ إلى البيت[4].

حجة من قرأ: [يُدْخِلْهُ] بالياء؛ لأن ذكر اسم الله عز وجل قد تقدم، فحمل الكلام على الغيبة، ليأتلف الكلام على نظام واحد[5].

ومن قرأ: [نُدْخِلْهُ] بالنون؛ فحجته أنه أخرج الكلام على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، بعد لفظ الغيبة، وذلك مستعمل كثير، قال الله جل ذكره: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ][6] فجرى الكلام على لفظ الغيبة، ثم قال: [أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي]، فرجع بالكلام إلى الإخبار من الله نفسه، فكذلك هذا. وأضاف ابن خالويه على ذلك قائلاً: «إن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: [حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ][7]، ولم يقل بكم»[1].

---

(١) ونظيره في الفتح قوله: [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا] الآية (١٧)، وفي التغابن قوله: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا] الآية (٩)، وفي الطلاق قوله: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا] الآية (١١) انظر: الكشف: (٣٨٠/١)

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤)، كتاب السبعة، ص(٢٨٨)، النشر، (٢٤٨/٢)، الإتحاف، ص(١٨٧).

(٣) عنى الناظم بقوله: «وَفَوق» السورة التي فوق سورة (الطلاق) وهي سورة التغابن، وفي قوله: «إذ» حرف الهمزة يعني به نافع، وحرف (الكاف) في قوله: «كَلا» يعني به ابن عامر، و(كلا) فعل ماض بمعنى حفظ. انظر: المتن ص(٤٧)، الوافي، ص(٢٤٣).

(٤) انظر: لسان العرب، (٢٣٩/١١)، مختار الصحاح، ص(٢٠٠).

(٥) انظر: الشكف، (٣٨١/١) الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٠) الحجة: أبو علي الفارسي، (٧١/٢).

(٦) العنكبوت، الآية (٢٣).

(٧) يونس، الآية (٢٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآيات السابقة سهام المواريث، ذكر الوعد والوعيد، ترغيباً في الطاعة، وترهيباً عن المعصية، فقال: [تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ] أي: هذه القسمة التي قسّم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم، فصولٌ فصَّل بها لكم بين طاعته ومعصيته، وحدودٌ لكم تنتهون إليها فلا تتعدّوها، ليعلم منكم أهل طاعته، من أهل معصيته، فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم، وفيما نهاكم عنه منها.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عمَّا أعدّ لكل فريق، فقال لفريق أهل طاعته في ذلك: [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] في قسمة المواريث فيُقرّ بها، ويعمل بها كما أمر الله تعالى: [يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] يعنى بساتين تجري من تحت غروسها وأشجارها الأنهار، [خَالِدِينَ فِيهَا] باقين فيها أبداً، لا يموتون فيها ولا يفنون ولا يخرجون منها، [وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] أي ذلك الفلاح العظيم.

ثم بين سبحانه جزاء أهل معصيته فقال: [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] يريد في قِسمة المواريث فلم يقسمها ولم يعمل بها [وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ] ويتجاوز فصول طاعته التي جعلها الله تعالى فاصلة بينها وبين معصيته، إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثتهم وغير ذلك من حدوده، [يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا] يقول: باقياً فيها أبداً لا يموت، ولا يخرج منها أبداً، [وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ] يعنى: وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مُبهم، لا يعرف كنهه، وهو العذاب الرُّوحاني كما يُؤذن به وصفه.

قال القرطبي: «والعِصيان إن أُريد به الكفر فالخلود على بابه، وإن أُريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مُستعار لمدة ما».

ولعلّ إيثار الإفراد في قوله: [خَالِدًا فِيهَا] نظراً إلى ظاهر اللّفظ، واختيار الجمع في قوله: [خَالِدِينَ فِيهَا] نظراً إلى المعنى، للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأُنس، كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً قائلاً: «كلاهما حسنٌ، فمن قرأ: [يُدْخِلْهُ] بالياء؛ فلأن ذكر اسم الله عز وجل قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة، ومن قرأ: [نُدْخِلْهُ] بالنون؛ فالمعنى فيه كالمعنى في الياء، ويُقوي ذلك قوله تعالى: [بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ](٣) ثم قال: [سَنُلْقِي](١)»(٢). وقد

---

(١) انظر: الكشف، (٣٨١/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢١،١٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٣٣،٦٣١/٣)، فتح القدير، (٤٣٦،٤٣٥/١)، الجامع لإحكام القرآن، (٨٢،٨١/٥) تفسير أبي السعود، (١٥٤،١٥٣/٢) التفسير الكبير، (٢٢٩،٢٢٧/٩).

(٣) آل عمران، الآية (١٥٠).

ذهب مذهبه أبو منصور الأزهري حيث قال: «من قرأ [نُدْخِلْهُ] أو [يُدْخِلْهُ] فالفعل لله عز وجل»(٣) وقال الرازي بتصويب القراءتين أيضاً(٤).

أما ابن أبي طالب فقد رجح قراءة من قرأ [يُدْخِلْهُ] بالياء قائلاً: «وحجة من قرأ بالياء أنه ردّ الكلام على أوله، فلما أتى أوله بلفظ الغيبة في قوله: [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] يقال: [يُدْخِلْهُ]، [وَيَتَعَدَّ]، بلفظ الغيبة، ليأتلف الكلام على نظام واحد»، ثم يقول: «هو الاختيار؛ لأن أكثر القراء عليه، ولأنه أليق لسياق الكلام»(٥).

ويذكر ابن زنجلة دليلاً آخراً على صحة قراءة [يُدْخِلْهُ] فقال: «ولو كان بالنون لكان الأَولى: (ومن يطعنا ندخله)، فلما كان [يُطِعْ] قال: [يُدْخِلْهُ] على معنى يدخله الله»(٦).

(٧/٧) الاختلاف في [كَرْهًا] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] الآية (١٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الكاف وضمها من قوله عز وجل: [كَرْهًا](٧)، فقرأ حمزة والكسائي: [كُرْهًا] بضم الكاف، وقرأ الباقون: [كَرْهًا] بالفتح(٨).

وشاهد ذلك قوله الشاطبي رحمه الله:

وضَمَّ هنا كَرْهاً وعند بَراءَةٍ شِهابٌ وفي الأحقاف ثُبِّتَ مَعْقِلاً(١).

---

(١) آل عمران، الآية (١٥١).

(٢) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٧١/٢).

(٣) انظر: كتاب معاني القرآن، ص(١٢١).

(٤) انظر: التفسير الكبير، (٢٢٧/٩).

(٥) انظر: الكشف، (٣٨١/١).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٣).

(٧) قوله تعالى: [كَرْهًا] ورد في أربعة مواضع، هنا في النساء، وفي التوبة قوله: [قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ] الآية (٥٣). والأحقاف في موضعين وردا جميعاً في قوله: [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا] الآية (١٥)، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الكاف فيهن كلهن، وقرأ حمزة والكسائي بضم الكاف فيهن كلهن، وقرأ عاصم وابن عامر بفتح الكاف في النساء والتوبة، وقرآ الأحقاف بالضم. انظر: كتاب السبعة، ص(٢٢٩).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٤)، كتاب السبعة، ص(٢٢٩)، النشر، (٢٤٨/٢)، الإتحاف، ص(١٨٨).

ثانياً: توجيه القراءات:

الكُرْه بالضم: المشقَّة، وبالفتح: الإكْراه. يُقال: قام على كُرْهٍ؛ أي على مشقَّةٍ، وأقامه فلانٌ على كَرْهٍ؛ أي: أكرهه على القيام(٢).

قال الزجاج: «كل ما في القرآن من الكُرْه بالضم، فالفتح فيه جائز، إلا في قوله: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ](٣)»، قال: «ومعنى كراهيتهم القتال أنهم كرهوه على جنس غلظه عليهم ومشقته، لا أن المؤمنين يكرهون فرض الله؛ لأن الله تعالى لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح».

قوله عز وجل: [كَرْهًا] مصدر في موضع الحال من المفعول، وفيه الضم والفتح، فمن قرأ [كَرْهًا] بالفتح؛ أي: إجباراً أي أكره عليه صاحبه، وقال أبو عمرو: «الكَره بالفتح: ما كرهته».

من قرأ [كُرْهًا]. بالضم. أي بمشقة، جعله من فعل الإنسان نفسه، وقال أبو عمرو: «ذلك الكره بالضم ما استكرهتم عليه»، ويحتج على ذلك بقوله عز وجل: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ](٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن وصف سبحانه التوبة(٥) عاد إلى أحكام النساء، واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النِّساء بأنواع كثيرة من الإيذاء، ويظلمونهن بضروب من الظُلم، فالله تعالى نهاهم عنها في هذه الآيات.

النوع الأول: قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا] والخطاب للأولياء، ومعنى الآية يتضح بمعرفة سبب نزولها، فعن ابن عباس في قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا] قال: (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته من وليِّ نفسها

---

(١) عنى الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شهابٌ» حمزة والكسائي، وعنى بحرف (الثاء) من قوله: «ثُبِّت» عاصم وحمزة والكسائي، وهم الكوفيون، وحرف الميم من قوله: «معقلاً» ابن ذكوان، والمعقل: الحصن الذي يلجأ إليه. انظر: المتن، ص(٤٨). الوافي، ص(٢٤٤).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٣/٥٣٤،٥٣٥)، مختار الصحاح، ص(١٦٥،٥٦٩).

(٣) البقرة، الآية (٩).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٦٥،١٩٦). الكشف، (١/٣٨١،٣٨٢) إملاء ما من به الرحمن ص(٩٧).

(٥) في قوله تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] النساء، الآية (١٧).

مْ زَوَّجَهَا أَوْ زَوَّجُوهَا وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ)(1). فالمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه في جاهليتهم، وألا تُجعل النساء كالمال يُورث كما يُورث المال.

النَّوع الثاني: من الأشياء التي نهى الله عنها مما يتعلَّق بالنساء، قوله تعالى: [وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ] اختلف المفسرون في من هو المُخاطب في قوله: [وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ] فأكثر المُفسرين على أن المُخاطب هم أزواج النساء، واستدلوا على ذلك بقوله: [إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ] فإذا أتت بفاحشة فليس للولي حبسها، حتى يذهب بمالها إجماعاً من الأُمَّة، وإنما ذلك للزوج.

والعَضل: الحبس والتَّضييق، وإنما نُهوا عن ذلك؛ لأن الرجل منهم قد كان يَكره زوجته ويُريد مُفارقتها، فكان يُسيء العشرة معها، ويُضيِّق عليها حتى تفتدي منه نفسها بمهرها. فكأنه تعالى قال: لا يحل لكم التزوج بهن بالإكراه، وكذلك لا يحل لكم بعد التزوج العضل والحبس لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من الصَّداق؛ بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه منهن(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب القراءتين معاً أبو علي الفارسي, قائلاً: «الكُره والكَره؛ لغتان، كقولهم: الفَقْر والفُقْر، والضَّعْف والضُّعف، فمن قرأ الجميع بالضم فقد أصاب، وكذلك لو قرأ قارئ جميع ذلك بالفتح، وكذلك إن قرأ بعض ذلك بالفتح، وبعضه بالضم، كل ذلك مستقيم»(3).

وحكى الرازي وأبو حيان أن الكسائي والأخفش قد صوَّبا القراءتين معاً، باعتبار أنهما لغتان بمعنى واحد. وقال الشوكاني: «يجوز الضَّمُّ في معنى الفتح، فيكونان لغتين، يُقال: كَرِهت الشَّيء كَرْهاً وكَرْهاً وكَرَاهةً وكَرَاهيةً وأكْرهته عليه إكْراهاً»(4).

(8/8) الاختلاف في [مُبَيِّنَةٍ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] الآية (19).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر الياء وفتحها من قوله عز وجل: [مُبَيِّنَةٍ](1)، فقرأ بن كثير وشعبة: [مُبَيَّنَةٍ] بالفتح، وقرأ الباقون: [مُبَيِّنَةٍ] بكسر الياء(2).

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب: [لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا]، (2/230.231)، حديث رقم (2089).

(2) انظر: تفسير الطبري، (3/646.651)، فتح القدير، (1/440.441). الجامع لأحكام القرآن، (5/94.95). تفسير أبي السعود، (2/157.158). التفسير الكبير، (10/10.11). فتح القدير، (1/216).

(3) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي (2/74).

(4) انظر: التفسير الكبير، (10/10)، تفسير البحر المحيط، (3/202). فتح القدير، (1/216).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الكلِّ فافْتَح يَاءَ مُبَيِّنَةٍ دنا صَحِيحاً وكسرُ الجمعِ كم شرفاً علا[3].

ثانياً: توجيه القراءات:

البَيَان: ما بُيِّن به الشيء من الدَّلالة وغيرها، وبَانَ الشَّيء بياناً، فهو بَيِّنٌ. وبَانَ الشَّيء واستَبانَ وتبيّن وأبان وبيّن بمعنى واحد، وفي المثل: (قد بَينَ الصُّبحُ لذي عينين)[4] أي تبين[5].

من قرأ [مُبَيَّنَةٍ] بفتح الياء على ما لم يُسم فاعله، أي يُبين، أي من يُبينها من يقوم فيها ويُنكرها.

ومن قرأ [مُبَيِّنَةٍ] بكسر الياء، ففيها وجهان: أنها هي الفاعلة؛ أي أضاف الفعل إلى الفاحشة، لأنها تُبين عن نفسها، أنها فاحشة يقبح فعلها. والثاني: أنه من اللازم يُقال: بان الشيء وأَبان وتبيَّن واستبان وبيَّن بمعنى واحد. قال ابن زنجلة: «اعلم أنك إذا كسرتها جعلتها فاعلة؛ أي: هي التي تُبيِّن على صاحبها فعلها، وإذا فتحتها جعلتها مفعولاً بها، والفاعل محذوف، وكان التقدير . والله أعلم . هو بيَّنها فهي مُبيِّنة»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في النص السابق بينت الطالبة أن الله سبحانه حذّر المؤمنين من عضل نسائهم ضراراً منهم لهن، وهم لصحبتهن كارهون، وهن لهم طائعات، وذلك ليذهبوا ببعض ما آتوهن من صدقاتهن، ثم يقول سبحانه: [إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ] أي: في هذه الحالة جاز لكم مخالعتهن ببعض ما آتيتموهن.

قال الطبري: «اختلف أهل التأويل في معنى (الفاحشة) التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع، وأولى ما قيل في تأويل قوله: [إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ] أنه معنيٌّ به كل (فاحشة) من بَذَاءٍ باللسان على زوجها، وأذىً له، وزناً بفرجها، وذلك أن الله عز وجل عمّم بقوله: [إِلَّا أَن

---

(1) وقوله تعالى: [مُبَيِّنَاتٍ] النور الآيتان (34) و(46) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وشعبة بالفتح فيهما جميعاً، على ما لم يُسم فاعله، أي: يُبينها الله أنها آيات. وقرأهما الباقون: [مُبَيِّنَاتٍ] بالكسر، أضافوا العَضْل إلى الآيات، أي تُبيِّن الآيات عن نفسها أنها آيات لإعجازها. انظر: كتاب الكشف، (383/1).

(2) انظر: كتاب التيسير، ص(95)، كتاب السبعة، ص(229.230)، النشر، ص(248/2.249)، الإتحاف ص(188).

(3) عنى الناظم بحرف (الدال) من قوله: «دَنا» ابن كثير، وبحرف (الصاد) من قوله: «صَحيحاً» أبو بكر، وحرف (الكاف) من قوله: «كم» ابن عامر، وحرف (الشين) من قوله: «شَرفاً» حمزة والكسائي، وأخيراً حرف (لعين) من قوله: «عَلا» حفص. انظر: المتن، ص(48)، الوافي، ص(244).

(4) بَيَّن: هنا بمعنى تبيَّن، يُضرب للأمر يظهر كُل الظُهور. انظر: مجمع الأمثال، (99/2).

(5) انظر: لسان العرب، (67/13)، مختار الصحاح، ص(72).

(6) انظر: الكشف، (383/1.384)، إملاء ما من به الرحمن، ص(97)، الحجة: ابن زنجلة، ص(196).

أْتِين َ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فاحشة مُثبتة ظاهرة، فكل زوجٍ أتت زوجته بفاحشة من الفواحش التي هي زناً أو نشوزاً، فله عَضْلها على ما بَيَّن الله في كتابه، والتضييق عليها حتى تفتدي منه، بأيّ معاني الفواحش أتت، بعد أنْ تكون ظاهرةً مبينةً، بظاهر كتاب الله تبارك، وصحة الخبر على رسول الله ρ».

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ هو النوع الثالث من التكاليف المتعلقة بأحوال النساء، والخطاب للجميع، إذ لكلٍّ أحدٍ عِشْرةٍ زوجاً كان أووليا، ولكنّ المُراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وهو مثل قوله تعالى: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾[1] وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يَعْبِس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون مُنطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً، ولا مُظهراً ميلاً إلى غيرها. والعُشْرة: المُخالطة والمُمازحة.

قال القرطبي: «أمر الله سبحانه بحُسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أُدْمَة[2] ما بينهم، وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس، وأهنأ للعيش، وهذا واجبٌ على الزوج ولا يلزمه في القضاء»[3].

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وهو عِلّة للجزاء، أُقيمت مقامه للإيذان بقوة استلزامها إياه، كأنه قيل: فإن كرهتموهن لدمامةٍ أو سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة، ولا نشوز فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل فيما تكرهونه خيراً كثيراً، من ولد يرزقكم منهن، أو عطفكم عليهن بعد كراهيتكم لهن[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً قائلاً: «المُبيَّن والمُبيِّن واحدٌ، وكذلك قوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾[5] فالله به فهو مُبَيِّنٌ للمهديِّ، كما أن البيان للناس مُبَيِّنٌ لهم»[6].

ووافقه الطبري قائلاً: «هما قراءتان مُستفيضتان في قرأة أمصار الإسلام، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ في قراءته الصّواب؛ لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهي ظاهرة بيِّنة، وإذا

---

(١) البقرة، الآية (٢٢٩).

(٢) الأُدْمة: الأُلفة والاتفاق. لسان العرب، (١٢/٨).

(٣) ولقد استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على أن المرأة إذا كانت لا يكفيها خادم واحد، أن عليه أن يخدمها قدر كفايتها، كابنة الخليفة والملك وشبههما، ممن لا يكفها خادم واحد، وأن ذلك هو المُعاشرة بالمعروف. انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٩٧.٩٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٣/٦٥١.٦٥٥)، فتح القدير، (١/٤٤١)، الجامع لأحكام القرآن، (٥/٩٧.٩٨). تفسير أبي السعود، (٢/١٥٨)، التفسير الكبير، (١٠/١٢).

(٥) آل عمران، الآية (١٣٨).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٧٤.٧٥).

ظهرت فبإظهار صاحبها إياها ظهرت، فلا تكون ظاهرة بيِّنة إلا وهي مُبيَّنة، ولا مُبيَّنة إلا وهي مُبيِّنة، فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صواباً»[1].

(٩/٩) الاختلاف في [أُحِلَّ] من قوله عز وجل: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] الآية (٢٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وضمها من قوله عز وجل: [أُحِلَّ]، فقرأ حمزة والكسائي شعبة: [أُحِلَّ] بضم الهمزة وكسر الحاء، وقرأ الباقون: [أَحَلَّ] بفتح الهمزة والحاء[2].

وشاهد ذلك قول الشاطب رحمه الله:

وَضَمٌّ وَكَسْرٌ فِي أُحِلَّ صِحَابُهُ ... وُجُوهٌ وَفِي أُحْصِنَّ عَنْ نَفَرٍ الْعُلَا[3].

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن منظور: «الحَلال والحِلال والحَليل: نقيض الحرام. ويُقال: هذا لك حلٌّ وحَلالٌ، كما يُقال لضده: حِرْمٌ وحرامٌ؛ أي: مُحَرَّم. ويُقال: أَحلَلْتُ له الشَّيء: جعلته له حلالاً. واستَحلّ الشَّيء: عَدّه حلالاً، أو سأله أن يُحلّه له»[4].

قوله عز وجل: [وَأَحَلَّ لَكُمْ] فعل ماض، يقرأ بفتح الهمزة والحاء، والحجة في ذلك أنه بين الفعل للفاعل، وهو الله سبحانه لا إله إلاّ هو، وعطفه على ما قبله، مما أُضيف الفعل فيه إلى الله جلّ ذكره في قوله: [كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ] لأن معناه كتب الله كتاباً عليكم وأحل لكم؛ لأن ذلك أقرب إلى ذكر الله تعالى:

وكذلك يُقرأ [أُحِلَّ] بضم الألف وكسر الحاء، على ما لم يُسم فاعله، وحجته أن ابتداء التحريم في الآية الأولى أُجري على ترك تسمية الفاعل، وهو قوله: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ][5] وما ذُكِر بعدهن، فأُجري التحليل عُقَيب التحريم، وعلى لفظه، ليكون لفظ التحريم والتحليل على

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦٥٤/٤).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٥)، كتاب السبعة، ص(٣٢١.٣٢٠)، النشر، (٢٤٩/٢)، الإتحاف، (١٨٩.١٨٨).

(٣) عنى الناظم بقوله: «صِحَاب» حمزة والكسائي وحفص. انظر المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٥).

(٤) انظر: لسان العرب، (١٦٧/١١)، مختار الصحّاح، ص(١٥١.١٥٠).

(٥) النساء، الآية (٢٣).

لفظ واحد، فكأنه قال: حُرِّم عليكم كذا، وأُحِلَّ لكم كذا. قال أبو علي الفارسي: «وفي ذلك مُراعاة مُشاكلة ما بعد بما قبل»[١].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

الآيات التي سبق ذكرها نصَّ سبحانه وتعالى ما يَحِلُ من النساء وما يَحْرُم، كما ذكر تحريم حليلة الأب، فحرَّم سبعاً من النسب، وستاً من رضاع وصهر، وألحقت السنة المتواترة سابعة، وذلك الجمع بين المرأة وعمتها، ونصَّ عليه بالإجماع[٢]. ثم عطف سبحانه على المحرَّمات والمذكورات قبلُ بقوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ] وأصل التَّحصن التَّمنع، والمُراد بالمُحصنات هنا ذوات الأزواج، وقوله: [إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ] منهن، إما بسبيٍ، فإنها تحل ولو كانت ذات زوجٍ، أو بشراءٍ فإنها تحل ولو كانت مزوجة، وينفسخ النِّكاح الذي كان عليها بخروجها عن مِلك سيدها، الذي هو زوجها، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب.

وسبب نزول هذه الآية ما رواه أبو سعيد الخدري: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ[٣] فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ρ تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ]»[٤].

ثم إنه سبحانه ختم ذكر المحرمات بقوله: [كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ]، أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً، وفرضه فرضاً، ثُمَّ قال سبحانه: [وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ.] أحل: من (حَلَل)، وهذا يقتضي ألا يحرُم من النِّساء إلا ما ذُكر، وليس كذلك، فإن الله تعالى قد حرَّم على لسان نبيه ρ من لم يذكر في الآية، قال تعالى: [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا][٥] وبيَّن

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٧/٢)، إملاء ما من به الرحمن، (١٢٢).

(٢) السَّبع المحرمات من النسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. والمحرمات بالصِّهر والإرضاع: الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والربائب وحلائل الأبناء والجمع بين الأختين، فهؤلاء ست. والسابعة منكوحات الآباء والثامنة الجمع بين المرأة وعمتها. قال الطحاوي: «وكل هذا من المُحكم المتفق عليه، وغير جائز نكاح واحدة منهن بالإجماع، إلا أمهات النساء اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن، فإن جمهور السلف ذهبوا إلى أن لأم تحرم بالعقد على الابنة، ولا تحرم الابنة إلا بالدخول بالأم، وهذا قول جميع أئمة الفتوى في الأمصار»، انظر: الجامع، (١٠٦،١٠٥/٥).

(٣) وادي في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي ρ، ويومئذ قال النبي ρ: (حَمِيَ الوَطِيس)، وذلك حين استعرت الحرب، وهو ρ أول من قاله، وقيل: يجوز أن يكون منقولا من جمع وطيس؛ وهو التنور. انظر: معجم البلدان، (٢٨١/١).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب جواز وطء المسبيَّة بعد الاستبراء وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي، (١٧٠/٤).

(٥) الحشر, الآية (٧).

الرازي هذه الأصناف بقوله: «ودلَّ الدليل على تحريم أصناف أخر سوى هؤلاء المذكورين ونحن نذكرها:

الصِّنف الأول: لا يجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، قال النبيρ: (لا تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا)[١].

الصِّنف الثاني: المُطلَّقة ثلاثة لا تحل، قال الله تعالى: [فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ][٢].

الصِّنف الثالث: تحريم نِكاح المُتعة, ودليله قوله تعالى: [وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ][٣].

الصِّنف الرابع: من كان في نكاحه حرَّة لم يُجز له أن يتزوج الأمة، وهذا بالاتفاق، ودليله قوله: [وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ][٤].

الصِّنف الخامس: يحرم عليه التَّزوج بالخامسة، ودليله قوله تعالى: [مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ][٥].

الصِّنف السادس: المُلاعنة, ودليله كما جاء في السنن: (مَضَتِ السُّنَّةُ بَعْدُ فِي المُتَلَاعِنَيْنِ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا)[٦]».

[أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ] قوله: أي حرَّم عليكم ما حرَّم وأحلَّ لكم ما أحلَّ؛ لأجل أن تبتغوا بأموالكم النِّساء اللاتي أحلهن الله لكم، ولا تبتغوا بها الحرام فتذهب, حال كونكم [مُحْصِنِينَ] أي مُتعففين عن الزِّنا [غَيْرَ مُسَافِحِينَ] أي غير زانين. قال الشوكاني: «فكأنه سبحانه أمرهم بأن يطلبوا بأموالهم النِّساء على وجه النِّكاح، لا على وجه السِّفاح، وأراد سبحانه بالأموال المذكورة ما يدفعونه في مهور الحرائر وأثمان الإماء».

قوله: [فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً] الاستمتاع: التَّلذُّذ، والأُجور: المُهور، وقد اختلف أهل العلم في معنى الآية، فقال الجمهور: «المُراد بهذه الآية نكاح المُتعة الذي كان في صدر الإسلام، ويُؤيد ذلك قراءة أُبيِّ وابن عباس وسعيد بن جبير: [فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ]» ثم نهى عنها النبي ρ كما صحَّ ذلك في حديث علي بن أبي طالب

---

(١) أخرجه ومسلم في كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، (٤/١٣٥،١٣٦).

(٢) البقرة, الآية (٢٣٠).

(٣) البقرة, الآية (٢٢٨).

(٤) النساء, الآية (٢٥).

(٥) النساء, الآية (٣).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في اللعان، (٢/٢٧٤،٢٧٥).

نَهى النَّبِيُّ ρ عَنِ الْمُتْعَةِ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ زَمَنَ خَيْبَرَ [1])[2]، قال القرطبي: سائر العلماء والفقهاء من الصَّحابة والتَّابيعن والسَّلف الصَّالحين على أنَّ هذه الآية منسوخة، وأنَّ المُتعة حرام»[3].

قوله: [فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً] أي: أنَّ إيتائهن أجورهن ومهورهن فريضة لازمة وواجبة, ثم قال تعالى: [وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ] المعنى التَّراضي في زيادة مدة المُتعة أو نقصانها, أو زيادة ما دفعه إليها, أي مُقابل الاستمتاع بها أو نقصانه.

ثم إنَّه تعالى لمَّا ذكر في هذه الآية أنواعاً كثيرةً من التَّكاليف والتَّحريم والإحلال، بيَّن أنَّه [عَلِيمًا] بجميع المعلومات, لا يخفى عليه منها خافية أصلاً, و[حَكِيمًا] لا يُشرِّع الأحكام إلا على وفق الحكمة, وذلك يُوجب التَّسليم لأوامره, والانقياد لأحكامه، والله أعلم[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب أبو منصور القراءتين معاً، قائلاً: «الله المُحلُّ لعباده وحده, وهو المُحرِّم الحرام»[5].وسار على مذهبه الإمام الطبري، قائلاً: «والذي نقول في ذلك أنَّهما قراءتان معروفتان مُستفيضتان في قرأة الإسلام, غير مُختلفتي المعنى، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ الحقَّ»[6].

أمَّا ابن أبي طالب فقد رجَّح قراءة من قرأ بالفتح, وقال: «الاختيار فتح الهمزة, لقرب اسم الجلالة جَّل ذكره، وبعده [حُرِّمَتْ], ولأنَّ عليه أهل الحرمين وأكثر القرَّاء»[7].

(١٠/١٠) الاختلاف في [الْمُحْصَنَاتِ] من قوله عزَّ وجلَّ: [وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

---

(١) كانت في السنة السابعة، قال ابن إسحاق: «انصرف رسول الله ρ عام الحديبية, فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله عز وجل فيها خيبر بقوله: [وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ] الفتح (٢٠)، واستخلف علي المدينة سباع بن عرفطة, وفتح الله خيبر على يد رسول الله ρ وغنم, وفيها سبي رسول الله ρ صفية بنت حيي بن أخطب، وعرض عليها الإسلام فأسلمت, فاصطفاها لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها» انظر: زاد المعاد (١٣٧.١٣٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح: باب نهي رسول الله ρ عن نكاح المتعة آخراً, (٢١/٧), حديث رقم (٥١).

(٣) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه: للإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ط/١)، (١٩٨٦م)، ص(٢٢٣.٢٢١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٧.٣/٤). فتح القدير، (٤٥٠.٤٤٨/١). الجامع لأحكام القرآن، (١٣٥.١٢٠/٥). تفسير أبي السعود (١٦٥.١٦٣/٢).التفسير الكبير, (٥٤.٣٨/١٠).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٢٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/٤).

(٧) الكشف، (٣٨٥/١).

بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] الآية (٢٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الصّاد وكسرها من قوله عز وجل: [الْمُحْصَنَاتِ]، فقرأ الكسائي بكسر الصّاد في لفظ [مُحْصِنَاتٍ] سواء كان مجرداً في التعريف نحو [مُحْصِنَاتٍ] أم كان معرفاً نحو [الْمُحْصِنَاتِ] وقرأ الباقون بفتح الصّاد في جميع القرآن(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله.

وفي مُحْصَنَاتٍ فاكسِرِ الصّادَ راوياً ... وفي المحصنَاتِ اكسِرْ لهُ غيرَ أوَّلا(٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

قال الزّجاج: «الإحصَان: إحصَان الفرج، وهو إعفافه، والمرأة تكون مُحْصَنة بالإسلام والعفاف والحُرِّية والتَّزويج، يُقال: أَحْصَنَتْ المرأة: فهي مُحْصَنَة ومُحْصِنة, وكذلك الرَّجل». قال ثعلب(٣): «كل امرأة عفيفة مُحْصَنَةٌ ومُحصِنةٌ، وكل امرأةٍ متزوّجة محصَنة بالفتح لا غيره»(٤).

قوله عز وجل: [مُحْصَنَاتٍ] أو [الْمُحْصَنَاتُ] جمع المُحصنة، مؤنث المُحصن، اسم مفعول من أَحصن الرُّباعي، وزنه (مُفعل), بضم الميم وفتح العين.

ولقد ذهب الكسائي إلى أنّ المُحْصِنات المُسلمات العَفَايف هنّ أَحصنّ أنفسهن بالإسلام والعفاف، وحجته في فتح الحرف الأول, وهو قوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ] وكسر ما عداها: أن المعنى فيه غير موجود فيما عداه؛ وذلك أن [الْمُحْصَنَاتُ] هاهنا هنّ ذوات الأزواج اللاتي أحصنهن أزواجهن, سوى مِلك اليمين اللاتي كان لهن الأزواج, فكنّ محصَنات بهم، فأحلّهن بعد استبرائهن بالحيض,فأما سِوى هذا الحرف فإن المُراد فيه: أنهن أحصن أنفسهن بالعفاف والحرية

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٥) كتاب السبعة، ص(٢٣٠). النشر، (٢/٢٤٩). الإتحاف، ص(١٨٨).

(٢) عنى الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رَاويا» الكسائي. انظر: المتن، ص(٤٨). الوافي، ص(٢٤٥).

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني, أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة, كان راوية للشعر، محدّثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللّهجة، ثقة حجة, توفي سنة (٢٩٠هـ)، من كتبه (قواعد الشعر). انظر: بغية الوعاة ص(١٧٢).

(٤) وقال ابن الأعرابي: «كلام العرب كله على (أَفْعَل) فهو (مُفْعِل), إلا ثلاثة أحرف: (أَحْصَن) فهو (مُحْصَنٌ) و(أَلْفَج) فهو (مُلْفَجٌ) و(أَسْهَب) في كلامه فهو (مُسْهَب)». وزاد ابن سيده: (أَسْهَم) فهو (مُسْهَمٌ) انظر: لسان العرب، (١٢/٣٠٨).

وقوله: [إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ](1) أي: العفائف والحرائر، وقوله: [وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا](2)

ويُراد به العفاف, أو بالتزويج، قوله: [فَإِذَا أُحْصِنَّ](3)أي: تزوَّجن. أو بالإسلام؛ نحو قوله: [أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ](4)فهنّ أحصنَّ أنفسهنّ بعفاف أو بإسلام(5).

وأما من قرأ [الْمُحْصَنَاتِ] بالفتح, فحجته أنه أجرى الفعل على ما لم يُسمّ فاعله، بمعنى أنه جعله مفعولاً بهن، وذلك لأن أزواجهن أحصنوهن, أو إسلامهن أحصنهن فهن مُحصَنات بذلك(6).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما بيّن سبحانه . في الآية السابقة . ما يحلُّ من النّساء وما يحرم، بيّن في هذه الآية من تحل من النّساء متى تحل؟! وعلى أيّ وجه تحل؟! فقال: [وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً] نبه سبحانه على تخفيف في النكاح, وهو نكاح الأمة لمن لم يجد الطّول, واختلف العلماء في معنى [طَوْلاً] على ثلاثة أقوال: الأول: الغِنى الفضل والمال والسَّعة: والمراد هاهنا القُدرة على المهر, في قول أكثر أهل العلم. والقول الثاني: الجَلَد والصَّبر، ومعنى الآية عندهم أنّ من كان يهوي أمةً حتى صار لذلك لا يستطيع أن يتزوّج غيرها, فإنّ له أن يتزوجها إذا لم يملك نفسه, وخاف أن يبغي بها، وإن كان يجد سَعَة في المال لنكاح حرّة. القول الثالث: الطَّول: المرأة الحرّة، من كان تحته حرة لم يحل له أن ينكح الأمة، ومن لم يكن تحته حرة جاز له أن يتزوج أمة ولو كان غنياً.

قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب، قول من قال: الطّول في هذا الموضع، السّعة والغنى من المال، لإجماع الجميع على أن الله تبارك وتعالى لم يحرّم شيئاً من الأشياء سِوى نِكاح الإماء لواجد الطّول إلى الحرّة، فأحل ما حرم من ذلك عند غلبة المحرِّم عليه له، لقضاء لذَّة، فإذا كان ذلك فإن مثله في التحريم نكاح الإماء لواجد الطول، لا يُحلُّ له من أجل غلبة هوى عنده فيها، لأن ذلك ليس بضرورة ترفع برخصة».

والمُراد بالمُحصنات في قوله: [الْمُحْصَنَاتِ] هن الحرائر، ويدلّ عليه أنه تعالى أثبت عند تعذر نكاح المُحصنات نكاح الإماء، فلا بدّ وأن يكون المُراد من المُحصنات من يكون كالضدِّ للإماء، والوجه في تسمية الحرائر بـ[الْمُحْصَنَاتِ] على قراءة من قرأ بفتح الصاد: أنهن

---

(1) النور, الآية (5).

(2) الأنبياء, الآية (91).

(3) النساء, الآية (24).

(4) النساء, الآية (25).

(5) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(196.197). الكشف، ص(1/384).

(6) انظر الحجة: ابن خالويه، ص(122) الحجة: ابن زنجلة، ص(197). الكشف، (1/384).

أُحصن بحريتهن عن الأحوال التي تقدم عليها الإماء، فإن الظاهر أن الأمة تكون خرّاجة ولاّجة مُمتهنة مبتذلة، والحرّة مَصُونة مُحصنة من هذه النقصانات. وأما على قراءة من قرأ بكسر الصاد؛ فالمعنى أنهن أحصنّ أنفسهن بحريتهن.

قوله تعالى: [مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ] يدل على تقييد نكاح الأمة بما إذا كانت مُؤمنة، فلا يجوز التزوج بالأمة الكتابية، سواء كان الزّوج حُراً أو عبداً، هذا قول مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: «يجوز التّزوج بالأمة الكتابية». ثم قال: [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ] أي: أن الله عليم ببواطن الأمور، ولكم ظواهرها، وكلكم بنو آدم وأكرمكم عند الله اتقاكم، فلا تستنكفوا من التزوج بالإماء عند الضرورة والمقصود من قوله: [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] توطئة نفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الأمة، وتُعيِّره وتُسميه الهَجين، فلما جاء الشّرع بجواز نكاحها علموا أن ذلك التّهجين لا معنى له، وإنما انحطت الأمة فلم يجز للحرّ التزوج بها إلا عند الضرورة، لأنه تسبّب إلى ارقاق الولد، وإن الأمة لا تفرغ للزوج على الدوام؛ لأنها مشغولة بخدمة المَوْلى.

ثم إنه تعالى وضح كيفية هذا النكاح فقال: [فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ] أي: بولاية أربابهن المالكين وإذنهم[1] قال أبو السعود: «وفي اشتراط إذن الموالي دون مُباشرتهم للعقد إشعار بجواز مباشرتهن له». ثم قال سبحانه: [وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] أي: أدُّوا إليهن مهورهن بما هو معروف في الشّرع، وقد استدل بهذا من قال: إن الأَمة أحق بمهرها من سيِّدها، وإليه ذهب مالك، وذهب الجمهور إلى أنّ المهر للسَّيد، وإنما أضافها إليهن؛ لأن التّأدية إليهن تأدية إلى سيِّدهن لكونهن ماله. وقد احتج الجمهور على ذلك بالنّص والقياس: أما النّص فقوله تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ][2] وهذا يَنفي كون المملوك مالكاً لشيء أصلاً. وأما القياس فهو: إن المهر وجب عِوضاً عن منافع البضع، وتلك المنافع مملوكة للسَّيد، وهو الذي أباحها للزّوج بقيد النكاح، فوجب أن يكون هو المُستحق لبدلها.

وقد وضع سبحانه شروطاً لصحة هذا النكاح فقال: [مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ] أي: أنكحوهن حال كونهن عفائف عن الزنى غير مُجاهرات به، ولا مُتخذات

---

(١) قال القرطبي: «وهذا بإجماع من المسلمين، وكذلك العبد المملوك لا أمر له، وبدنه كله مُستغرق، لكن الفرق بينهما أن العبد إذا تزوّج بغير إذن سيده فإن أجازه السَّيد جاز، هذا مذهب مالك، والأَمة إذا تزوجت بغير إذن أهلها فُسخ ولم يُجز بإجازة السيد؛ لأن نقصان الأنوثة في الأمة يمنع من انعقاد النكاح». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤١/٥).

(٢) النحل، الآية (٧٥).

أصدقاء على الفاحشة، وعن أبي زيد: «(الفاحشة) المُجاهرة بالزِّنى. و(ذات الخِدن) هي التي تزني سراً»[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً، قائلاً: «والصّواب عندنا من القول في ذلك، أنّهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، مع اتفاق ذلك في المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصواب» ثم يستثني قائلاً: «إلا في الحرف من سورة النساء، وهو قوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ]، فإني لا استجيز الكسر في صاده لاتفاق قرأة الأمصار على فتحها، ولو كانت القراءة بكسرها مُستفيضة استفاضتها بفتحها، كان صواباً القراءه بها كذلك، لما ذكرنا في تصرُّف (الإحصان) في المعاني التي بيَّناها، فيكون معنى ذلك لو كُسر: والعفائف من النساء حرامٌ عليكم، إلا ما ملكت أيمانكم، بمعنى أنهنّ أحصنّ أنفسهنّ بالعفة»[٢].

وأضاف ابن أبي طالب على ذلك بقوله: «إنما خصوا [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ] بالفتح، لأنه نزل في ذوات الأزواج، حرّم الله وطأهنّ، واستثنى ملك اليمين من السَّبايا، فلمن سباهنّ وطؤُهن بعد الإستبراء، وإن كنّ ذوات أزواج في بلدهنّ، وهو الاختيار، لأن الجماعة عليه»[٣].

وقال أبو علي الفارسي: «قال سيبويه: قالوا: المرأة حَصَنُت حُصْناً، فهي حَصَانٌ، كجَبُنت جُبْناً وهي جَبَانٌ» فقالوا: «حِصْناً، كما قالوا عِلْماً»»[٤].

(١١/١١) الاختلاف في [أُحْصِنَّ] من قوله عزّ وجلّ: [فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] الآية (٢٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وضمِّها وفتح الصاد وكسرها من قوله عز وجل: [أُحْصِنَّ] فقرأ حمزة والكسائي وعاصم: [أَحْصَنَّ] بفتح الألف والصاد، وقرأ الباقون: [أُحْصِنَّ] بضم الألف وكسر الصاد[٥].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٣.١٧/٤). فتح القدير، (٤٥١.٤٥٠/١) الجامع لأحكام القرآن، (١٤٣.١٣٦/٥). تفسير أبي السعود، (١٦٧.١٦٦/٢)، التفسير الكبير، (٦٣.٥٥/١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠.١٩/٤).

(٣) الكشف، (٣٨٤/١).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٥/٢).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٥)، كتاب السبعة، ص(٢٣١)، النشر (٢٤٩/٢). الإتحاف، ص(١٨٩).

وضـَمُّ كسر ً في أُحصن حـ َابهُ ُ و ُجوهٌ وفي حَصْـ نَّعَن ْنفَر ٍ علا لا (١).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه القراءة لُغوياً في النص السابق(٢). قوله [أَحْصِـ نَّ] فعل ماض، ويـُقرأ بفتح الهمزة والصاد مبنياً للفاعل، والحجة في ذلك: أنه أسند الفعل إليهن على معنى: فإذا أسلمن، أو إذا عففن، أو إذا أحصن أنفسهن بالتزويج، فالحد لازمٌ لهن، إذا زنين في الوجوه الثلاثة(٣). ويـُقرأ أيضاً . بضم الهمزة وكسر الصاد، والحجة في ذلك أنه أضاف الفعل إلى الأزواج، أو إلى الأولياء، فجرى على ما لم يـُسم فاعله، وقُمن مقام الفاعل لحذفه، وهن الإماء، فإذا أحصنهن الأزواج بالتَّزويج، أو فإذا أحصنهن الأولياء بالنكاح فزنين، فعليهنَّ نصف ما على الحرائر المـُسلمات، اللواتي لم يتزوجن من الحد، إذا زنين، وذلك خمسون جلدة، بعد التزويج لا غير. وقال ابن زنجلة: «وذلك نظير [مُحْصَـ نَـ ات ٍ] بالفتح بمعنى أنهن مفعولات»(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في بداية الآية الرُّخصة لمن لم يجد الطَّول في زواج الحـُر ُة، وبين كيفية الزَّواج من الأَمة، وضَّح هنا حكمها إذا أتت بالفاحشة حال كونها مـُحصـَنة، فقال: [فَإِذَا أُحْصِـ نَّ]، أحد معاني (الإحصان): الإسلام. والآخر منها: التزويج، ثم قال: [فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ]؛ أي: إذا فعلنَّ فاحشة وهي الزِّنا؛ فثابتٌ عليهن شرعاً نصف ما على الأبكار الحـَرائر؛ لأن الثَّيب عليها الرَّجم، والرَّجم لا يتبعَّض.

لم يبيِّن هنا هذا العذاب الذي على المـُحصنات، الذي نصَّفه على الإماء، ولكنه بيَّن في موضع آخر أنه جلد مائة بقوله: [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ](٥)؛ فيـُعلم منه أن على الأمة الزَّانية خمسين جلدة»(٦) ثم يقول: «هذه الآية مخصِّصة لآية النور، لأنه لا يتعارض عام وخاص»(٧).

---

(١) عنى الناظم بحرف (العين) في كملة (عن) حفص، وبكلمة (نفر) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وعنى بحرف (الهمزة) من كلمة (العلا) نافع، وهم الذين قرؤوا بضم الهمزة وكسر الصاد, وعـُلم هذا من العطف على (وأحل). انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٥).

(٢) انظر ذلك ص().

(٣) انظر: الإتحاف، ص(١٨٩). والكشف، (١/٣٨٥).

(٤) انظر: الإتحاف، ص(١٨٩). الكشف، (١/٣٨٦.٣٨٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٨).

(٥) النور، الآية (٢).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (د/ط) (د/ت)، (١/٣٨٩.٣٨٨).

(٧) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الجكني الشنقيطي، (د/ط) (د/ت)، ص(٧٩).

والفائدة في نقصان حدّهن: أنهن أَضعف من الحرائر، وأنهن لا يَصِلْن إلى مُرادهن كما تصل الحرائر، وكذلك لأنّ العقوبة تجب قدر النِّعمة، فالإماء لما كانت نعمتهنّ أقلّ فعقوبتهم أقلّ[1]. وذكر في الآية حد الإماء خاصّة، ولم يذكر حد العبيد، ولكن حدّ العبيد والإماء سواء خمسون جلدة في الزنى، وفي القذف وشرب الخمر أربعون؛ لأن حد الأمة إنما نقص لنقصان الرقّ، فدخل الذّكور من العبيد في ذلك بعلّة المملوكيّة.

ولقد بينت السنة الصحيحة على أن غير المحصَنة من الإماء لا فرق بينها وبين المُحصنة، والحكمة في التعبير بخصوص المحصَنة دفع توهم أنها تُرجم كالحرة، فقد سأل أبوهريرة وزيد بن خالد[2] رضي الله عنهما النبي ρ عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ فقال: (فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ بِيعُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ)[3].

ثم قال: [ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ] بمعنى أن رُخصة نِكاح الأَمة أُبيحت لمن خاف الوقوع في العنَت، الذي يُؤدي إليه غلبة الشَهوة، والعنَت: هو الفُجور، وأصله الضّرر والفساد[4].

وقوله: [وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ]: أي إن الصّبر على العُزْبة خير من نِكاح الأمة، لأنه يفضي إلى إرقاق الولد، والغضّ من النفس والصبر على مكارم الأخلاق أَولى من البذالة. ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] وهذا كالمؤكد لما ذكره من الأَوْلى ترك هذا النكاح، يعنى: أنه وإن حصل ما يَقضي المنع من هذا الكلام، إلا أنه تعالى أباحه لكم لاحتياجكم إليه، فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة، والله أعلم[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً، قائلاً: «والصّواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في أمصار الإسلام فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب»، ثم قال مُدافعاً عن قوله: «فإن ظن ظانٌّ أن ما قلنا في ذلك غير جائز، إذ كانتا مختلفتي المعنى، وإنما تجوز القراءة بالوجهين فيما اتفقت عليه المعاني، فقد أغفل؛ وذلك أن معنيي ذلك وإن

---

(١) قال القرطبي: «ألا ترى أن الله تعالى قال في أزواج النبي ρ: [مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ] الأحزاب (٣٠)، فلما كانت نعمتهن أكثر جَعل عقوبتهن أشد» انظر، الجامع لأحكام القرآن (١٤٦/٥).

(٢) زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي مشهور، توفي بالكوفة، سنة (٦٨هـ)، وله خمس وثمانون سنة, تقريب التهذيب (٢٧٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب إذا زنت الأمة، (٣٠٧،٣٠٦/٨)، رقم الحديث (٣٠).

(٤) وهي بلغة هذيل: انظر: تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار: أبي محمد مكي بن أبي طالب، (ط/١)، (١٩٨٨م)، ص(١٤٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٩،٢٥/٤)، فتح القدير، (٤٥٢،٤٥٠/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٤٧،١٤٣/٥). تفسير أبي السعود، (١٦٨،١٦٧/٢). التفسير الكبير، (٦٥،٦٣/١٠).

اختلفا، فغير دافع أحدهما صاحبه؛ لأن الله أوجب على الأَمة ذات الإسلام وغير ذات الإسلام على لسان رسوله ρ الحد» ثم استدل بحديث أبو هريرة وزيد بن خالد السابق[١]. وقال: «فلم يُخصص بذلك ذوات زوج منهن ولا غير ذات زوج، فالحدود واجبةٌ على موالي الإماء إقامتها عليهن، إذا فَجرن بكتاب الله وأمر رسوله ρ»[٢].

ويقول أبو منصور مُبيِّناً أوجه الإحصان والأَمة إذا زُوِّجت جاز أن يُقال: قد أحصنت؛ لأن تزويجها قد أحصنها، وكذلك: إذا أُعتقت فهي محصنة لأن عتقها قد عفَّها، وإذا أسلمت؛ لأن إسلامها قد أحصنها»[٣].

أما ابن أبي طالب فقد رجح قراءة من قرأ [أَحْصَنَّ] بالفتح، وقال: «ولولا إجماع أهل الحرمين، مع غيرهم على الضمّ لكان الاختيار فتح الهمزة، لصحَّة معناه في الحكم»[٤] وهو ما ذهب إليه ابن زنجلة، فقال في ترجيحه بين القراءتين: «وإذا قُرئ ذلك على ما لم يُسم فاعله، كان وجوب الحدّ في ظاهر اللفظ على المملوكة ذات الزوج دون الأَيِّم، وفي إجماع الجميع على وجوب الحدّ على المملوكة ذات الزوج، دليلٌ على صحَّة فتحة الألف»[٥].

وقال أبو حيان مرجحاً قراءة الفتح: «ويُقوي حمله مبنياً للفاعل على هذا المعنى، أي: أحصنَّ أنفسهن بالتزويج، وجواب [فَإِذَا] الشرط هو قوله: [فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ] فالفاء في فَإِنْ [أَتَيْنَ] هي فاء الجواب، لا فاء العطف، ولذلك ترتب الثاني وجوابه على وجود الأول؛ لأن الجواب مترتب على الشرط في الوجود، وهو نظير: (إن دخلت الدار فإن كلمت زيداً فأنت طالق) لا يقع الطلاق إلا إذا دخلت الدار ثم كلمت زيداً ثانياً، ولو أسقطت الفاء من الشرط الثاني لكان له حكم غير هذا»[٦].

ومن المُلاحظ أن الرازي اكتفى بتوجيه القراءتين، ولم يرجِّح قراءة على الأخرى، ولكنه أورد حجة في من طعن في قراءة الفتح فقال: «إنه تعالى وصف الإماء بالإيمان في قوله: [مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ] ومن البعيد أن يُقال: فتياتكم المؤمنات، ثم يُقال: فإذا آمن، فإن حالهن كذا وكذا»، ثم يقول: «ويمكن أن يُجاب عنه بأنه تعالى ذكر حكمين: الأول: حال نِكاح الإماء،

(١) انظر النص في الصفحة السابقة.

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤/٢٣).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص(١٢٥).

(٤) الكشف، ص(١/٣٨٥.٣٨٦).

(٥) الحجة: ابن زنجلة، ص(١٩٨).

(٦) انظر: تفسير البحر المحيط، (٣/٢٢٤).

فاعتبر الإيمان فيهن بقوله: [الْمُؤْمِنَاتِ]. والثاني: حكم ما يجب عليهن عند إقدامهن على الفاحشة، فذكر حال إيمانهن في هذا الحكم، وهو قوله: [أُحْصِنَّ]»(١).

(١٢/١٢) الاختلاف في: [تِجَارَةً] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا] الآية (٢٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرَّفع والنصب من قوله عز وجل: [تِجَارَةً](٢)، فقرأ حمزة والكسائي وعاصم: [تِجَارَةً] نصباً وقرأ الباقون: [تِجَارَةٌ] رفعاً(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

تجارةً انصِبْ رفعَهُ في النِّسا ثوى وحاضرةً معها هنا عاصمٌ تلا(٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

التِّجارة: هي بمعنى باع وشرى، يُقال: تَجَرَ يَتْجُرُ، تَجْراً وتِجارةً، وكذلك: اتَّجَرَ وهو افتَعَلَ. قال الجوهري: «العرب تُسمي بائع الخمر تاجراً، يخصُّونه من بين التجار، ومنه حديث أبي ذر رضي الله عنه: (كُنَّا نَتَحَدَّث أنَّ التَّاجِرَ فَاجِرٌ)(٥)».

قوله عز وجل: [تِجَارَةً]، يُقرأ بالرفع والنصب، فحجة من قرأ بالرفع في ذلك أنه: جعل (كان) تامة، بمعنى وقع وحدث، فرفع بها، واستغنى عن الخبر، على معنى: إلا أن تحدث تجارةً، أو تقع تجارةٌ والعرب تقول: كان أمرٌ؛ أي: حدث ووقع(٦).

ومن نصب: [تِجَارَةً] احتمل ضربين: أحدهما: إلا أن تكون التجارة تجارة. والآخر: إلا أن تكون الأموالُ ذوات تجارةٍ، فتحذف المضاف، وتُقيمُ المضاف إليه مقامه، والملاحظ أن الاستثناء على القراءتين استثناء منقطع(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: التفسير الكبير، (٦٤/١٠).

(٢) وفي قوله: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ] البقرة الآية (٢٨٢) قرأ عاصم وحده بالنصب، وقرأ الباقون: [تِجَارَةٌ] بالرفع. انظر: الحجة: ابن خالويه ص(١٠٣).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٩٥)، كتاب السبعة، ص(٢٣١)، النشر، (٢٤٩/٢). الإتحاف، ص(١٨٩).

(٤) أشار الناظم بحرف (الثاء) في قوله «ثوى» إلى الكوفيين. انظر: المتن ص(٤٣)، الوافي، ص(٢٩).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: الكشف، (٣٨٦/١). الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٨/٢).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، ص(٧٨/٢).

شرع سبحانه في بيان بعض الحُرمات المُتعلقة بالأموال والأنفس، إثر بيان الحُرمات المتعلقة بالأبضاع, وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه؛ لإظهار كمال العناية بمضمونه، فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: صدَّقوا الله ورسوله ρ ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ وقد خصَّ سبحانه الأكل هاهنا بالذكر، وإن كانت سائر التَّصرفات الواقعة على الوجه الباطل محرَّمة، لما أنَّ المقصود الأعظم من الأموال: الأكل، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾[1] والمُراد بالباطل ما يُخالف الشَّرع، كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الرِّبا وغير ذلك، مما لم يُبحه الشَّرع، أي: لا يأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعي. قال الرازي: «قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل تحته أكل مال الغير بالباطل، وأكل مال نفسه بالباطل؛ لأن قوله: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ يدخل فيه القسمان معاً، كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2] يدل على النَّهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه بالباطل، أما أكل مال نفسه بالباطل فهو إنفاقه في معاصي الله، وأما أكل مال غيره بالباطل فقد عدَّدناه».

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ استثناء منقطع، على معنى: ولكن تجارة عن تراض، والتِّجارة هي البيع والشراء. وخصَّ سبحانه ﴿التِّجَارَةَ﴾ بالذِّكر عن غيرها كالهبة، والصدقة، والوصية؛ لأن غالب التصرف في الأموال بها، ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالباً[3]، قوله: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ أي: عن رضىً، إلا أنها جاءت من المُفاعلة، إذ التجارة من اثنين. واختلف العلماء في ﴿التَّرَاضِ﴾ على أقوال: منها قول أحمد بن حنبل: «هما بالخيار أبداً ما لم يتفرقا بأبدانهما، وسواء قالا اخترنا أم لم يقولاه، حتى يفترقا بأبدانهما من مكانهما» وهو قول الشافعي أيضاً، قال القرطبي: «وهو الصحيح في هذا الباب للأحاديث الواردة في ذلك»[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أجمع أهل التَّأويل على أن المُراد بهذه الآية النَّهي عن أن يقتل الناس بعضهم بعضاً، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصدٍ منه للقتل، في الحرص على الدنيا وطلب المال، بأن يحمل نفسه على الغرر[5] المُؤدي إلى التَّلف، وإنما قال: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ لأن النبي ρ قال: (المُؤمنون كَجَسَدٍ وَاحِدٍ)[6]؛ لأن العرب تقول: قُتلنا وربِّ الكعبة، إذا قُتل بعضهم؛ لأن قَتل

---

(١) النساء، الآية (١٠).

(٢) النساء، الآية (٢٩).

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري، (ط/١)، (١٩٨٣م) ص(١١٤).

(٤) مثل ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ρ قال: (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، (١٣٥/٣)، حديث رقم (٦٢).

(٥) الغَرَر: بالفتح: الخطر، وهو من الغَرُّ. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص(٢٥١).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره، انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٢٧/١٦).

بعضهم يجري مجرى قتلهم، وقد احتج عمرو بن العاص[١] بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد حين اجتنب في غزوة ذات السلاسل[٢] خوفاً على نفسه، فقال: (إن اغتسلتُ هلكت، فتيممتُ ثم صليتُ بأصحابي الصبح، فذكرتُ ذلك للنبي ρ فقال: يا عمرو صليتَ بأصحابك وأنت جنب، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلتُ إني سمعتُ الله يقول: [وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا] فضحك رسول الله ρ ولم يقل شيئاً)[٣].

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا] وهو تعليل للنهي بطريقة الاستئناف، أي مُبالغاً في الرَّحمة والرَّأفة، ولذلك نهاكم عمَّا نهى، فإن في ذلك رحمة عظيمة لكم، بالزجر عن المعاصي، وللذين هم في معرض التَعرض لهم بحفظ أموالهم وأنفسهم[٤].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب الطبري القراءتين معاً، قائلاً: «وكلتا القراءتين عندنا صواب، جائزة القراءة بها، لاستفاضتهما في قرأة الأمصار، مع تقارب معانيهما» ثم يستثني قائلاً: «غير إن الأمر وإن كان كذلك، فإنَّ قراءة ذلك بالنصب، أعجب إليَّ من قراءته بالرفع؛ لقوة النَّصب من وجهين: أحدهما: أن في (تكن) ذكر من الأموال. والآخر: أنه لو لم يجعل فيها ذكرٌ منها، ثم أفردت بـ(التجارة) وهي نكرة كان فصيحاً في كلام العرب النَّصب، إذ كانت مبنيةً على اسم وخبر. فإذا لم يظهر معها إلاَّ نكرة واحدة نصبوا ورفعوا»[٥].

وهو اختيار ابن أبي طالب أيضاً، إذ يقول: «ولو لا إجماع الحرميين على الرفع وغيرهم، لكان الاختيار النصب، لمُطابقة آخر الكلام مع أوله»[٦]. بينما يرجح الواحدي قراءة الرفع، قائلاً: «والاختيار الرَّفع؛ لأن من نصب أضمر (التجارة) فقال: تقديره إلا أن تكون التجارةُ تجارةً، والإضمار قبل الذكر ليس بقوي، وإن كان جائزاً»[٧].

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي ؓ الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وهو الذي فتحها، توفي سنة نيف وأربعين. تقريب التهذيب (٧٢/٢).

(٢) كانت في جمادي الآخرة سنة ثمان هجرية، وقد بلغ رسول الله ρ أن جمعاً من قُضاعة قد تجمعوا يُريدون أن يدنو إلى أطراف المدينة، فدعا رسول الله ρ عمرو بن العاص، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فارساً، وكان النصر فيها حليف المسلمين. انظر: زاد المعاد، (١٥٧/٢-١٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجُنُب البرد أيتيمم، (٩٢/١)، حديث رقم (٣٣٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٣٣/٤-٣٨). فتح القدير، (٤٥٦/١-٤٥٧). الجامع لأحكام القرآن، (١٥٠/٥-١٥٧). تفسير أبي السعود (١٦٩/٢-١٧٠). التفسير الكبير، (٦٩/١٠-٧٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٣٤/٤).

(٦) الكشف، (٣٨٦/١).

(٧) التفسير الكبير، (٧٠/١٠).

(١٣/١٣) الاختلاف في قوله: [نُكَفِّرْ .نُدْخِلْكُم] من قوله عز وجل: [إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا] الآية (٣١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون في قوله عز وجل: [نُكَفِّرْ .نُدْخِلْكُم]، فقرأ عاصم وحده: [يُكَفِّرْ .يُدْخِلْكُم] بالياء معاً، وقرأ الباقون: [نُكَفِّرْ .نُدْخِلْكُم] بالنون[١].

ثانياً: توجيه القراءات:

التَّكفير في المعاصي: كالإحباط في الثَّواب، والاسم: الكفّارة. جاء في التهذيب: وسُميت الكفّارات كفّارات؛ لأنها تكفِّر الذنوب، أي تسترها. مثل: كفّارة الظِهار، والقتل الخطأ[٢]. وقد بينها الله تعالى في كتابه وأمر بها عباده[٣].

أما مصطلح (الدخول) فقد تناولته الطالبة في النص رقم (٦/٦)[٤].

قوله عز وجل: [يُكَفِّرْ .يُدْخِلْكُم] قال أبو علي الفارسي: «من قرأ بالياء فلأن ذكر الله تعالى قد تقدَّم في قوله: [إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا][٥]. ومن قال: [نُكَفِّرْ .نُدْخِلْكُم] بالنون فالمعنى معنى الياء، ومثل ذلك قوله: [بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ][٦]، ثم قال: [سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ][٧]»[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

ولما قدَّم الله سبحانه الوعيد بقوله: [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا][٩] أتبع ذلك بتفصيل ما يتعلَّق به، فذكر هذه الآية، فقال: [إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ] حيث أنه سبحانه لمَّا نهى عن آثام هي كبائر، ووعد

---

(١) انظر: الإتحاف، ص(١٨٩) الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٩.٧٨/٢).

(٢) الظهار: هو أن يُشبه الرجل زوجته بأمه مُحرمة عليه على التأبيد ، أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه كالبطن، وكفارته كما دلّ القرآن والسنة أنواع ثلاثة: عتق رقبة سالمة من العيوب، صيام شهرين متتابعين، إطعام ستين مسكيناً، يوماً واحد، وهي واجبة على الترتيب. والقتل الخطأ: هو ألا يقصد به الضرب ولا القتل، ولا قصاص في الخطأ وشبهه باتفاق الفقهاء، وإنما له عقوبتان: أصلية وهي الدِّية والكفَّارة. وتبعية وهي الحرمان من الميراث والوصية. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته (٧١٥٩.٧١٢٣/٥) و (٥٧٣٦.٥٧٣٤/٧).

(٣) انظر: لسان العرب، (٤٨/٥)، مختار الصّحاح، ص(٥٧٤)

(٤) انظر ذلك في ص( ).

(٥) النساء، الآية (٢٩).

(٦) آل عمران، الآية (١٥٠).

(٧) آل عمران، الآية (١٥١).

(٨) الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٩/٢).

(٩) النساء، الآية (٣٠).

على اجتنابها التّخفيف من الصغائر،ودلّ هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر؛ وعلى هذا جماعة أهل التأويل، وجماعة الفقهاء.

فهذه الصغائر تُكَفَّر باجتناب الكبائر، قطعاً بوعده الصِدق وقوله الحقّ، إلاّ أنه لا يجب عليه ذلك، ونظير الكلام في هذا يوضحه قوله تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ][1] فالله تعالى يغفر الصَّغائر باجتناب الكبائر، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب، وهي إقامة الفرائض. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)[2].

فقد تعاضد الكتاب وصحيح السنة بتكفير الصَّغائر قطعاً، كالنظرة وشبيهها، وقد اختلف النَّاس في تعداد الكبائر وحصرها لاختلاف الآثار فيها، قال القرطبي: «والذي أقول: إنه جاءت فيها أحاديث كثيرة صِحاح وحِسان، لم يُقصد بها الحصر، وكان بعضها أكبر من بعض، بالنسبة إلى ما يكثر ضرره، فالشِّرك أكبر ذلك كله، وهو الذي لا يُغفر لنص الله تعالى على ذلك، وبعده اليأس من رحمة الله؛ لأن فيه تكذيب القرآن، إذ يقول وقوله الحق: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ][3] وهو يقول: لا يُغفر له، فقد حَجَّر واسعاً، هذا إذا كان مُعتقداً لذلك، ولذلك قال تعالى: [إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ][4] وبعده القنوط، قال تعالى: [وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ][5]. وبعده الأمن من مكر الله، فيسترسل في المعاصي ويتّكل على رحمة الله من غير عمل، قال الله تعالى: [أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ][6]، وقال تعالى: [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ][7] وبعده القتل؛ لأن فيه إذهاب النفُوس، وإعدام الوجود. واللِّواط فيه قطع النسل. والزِّنى فيه اختلاط الأنساب بالمياه. والخمر؛ لأن فيه ذهاب للعقل الذي هو مَناط التكليف. وترك الصلاة والآذان، لأن فيه ترك إظهار شعائر الإسلام. وشهادة الزُّور فيها استباحة الدماء والفروج والأموال، إلى غير ذلك، مما هو بيِّن الضَّرر، فكل ذنب عظَّم الشَّرع التوعُّد عليه بالعقاب وشدده، أو عَظُم ضرره في الوجود ـ كما ذكرنا ـ فهو كبيرة، وما عداه صغيرة».

---

(١) النساء، الآية (١٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر، (١/١٤٤).

(٣) الأعراف، الآية (١٥٦)

(٤) يوسف، الآية (٨٧).

(٥) الحجر، الآية (٥٦).

(٦) الأعراف، الآية (٩٩).

(٧) فصلت، الآية (٢٣).

وقوله: [نُكَفِّرْ عَنْكُمْ] قُرِئت بنون العظمة على طريقة الالتفات، وقُرِئت بالياء بالإسناد إليه تعالى، والتكفير إحاطة المُستحق من العقاب بثوابٍ أزيد، أو بتوبة؛ أي نغفر لكم [سَيِّئَاتِكُمْ] صغائركم ونمحها عنكم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب الإمام أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «المعنى في الياء والنون واحد، والفعل لله هو المكفِّر للسَّيئات، لا شريك له»(٢) واكتفى أبو علي الفارسي بتوجيه القراءتين، ولكنه ساق اختيار أبو الحسن واستحسانه للقراءة بالنون(٣).

(١٤/١٤) الاختلاف في [مُدْخَلًا] من قوله عز وجل: [إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا] الآية (٣١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الميم وفتحها من قوله عز وجل: [مُدْخَلًا] (٤)، فقرأ نافع وشعبة: [مَدْخَلًا] بفتح الميم، وقرأ الباقون: [مُدْخَلًا] بضم الميم(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مَعَ الحجِّ ضمُّوا مَدْخلاً خُصَّهُ وَسَلْ فَسَلْ حرَّكُوا بالنَّقْلِ راشِدُهُ دَلا(٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن المنظور: «المَدْخل بالفتح: الدُّخول، وموضع الدُّخول أيضاً، تقول: دَخَلْت مَدْخلاً حسناً، والمُدْخلُ الضم: الإدخال، والمفعول من أَدْخَله، تقول: أَدْخَلْته مُدخل صدق».

وفي حديث الحسن قال: كان يُقال: (إن من النِّفاق اختلاف المَدْخل والمَخْرَج واختلاف السِّر والعَلانية)(٧) بالاختلاف المَدْخلُ والمَخْرج، سوء الطَّريقة وسوء السِّيرة(٨).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٧٨.٣٩/٤)، فتح القدير، (٤٥٨.٤٥٧/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٦١.١٥٨/٥). تفسير أبي السعود، (١٧١/٢)، التفسير الكبير، (٧٩.٧٣/١٠).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٢٥).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٨/٢).

(٤) ولم يختلف القراء في قوله: [مُدْخَلَ صِدْقٍ] و[مُخْرَجَ صِدْقٍ] الإسراء الآية (٨٠) أنهما بضم الميم، لتقدم قوله: [أَدْخِلْنِي]. انظر: النشر، (٢٤٩/٢).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٥)، النشر، (٢٤٩/٢)، الإتحاف، ص(١٨٩).

(٦) عنى الناظم بحرف (الخاء) في كلمة (خصه) القراء السبعة ما عدا نافعاً، فقد قرأ هنا وفي الحج في قوله: [لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ] الآية (٥٩) بفتح الميم في الموضعين وفي قوله: «خصه»إشارة إلى قَصر الحُكم على هذين الموضعين دون موضع الإسراء. انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: لسان العرب، (٢٤٠/١١).

من قرأ قوله عز وجل: [مَدْخَلاً] بفتح الميم، فله معنيان: أحدهما: مصدر دَخَلَ مَدْخلاً؛ أي فدخول ومدخل، مصدران للثلاثي، بمعنى واحد، ودليله قوله تعالى: [وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا][1] ولم يقل (إنباتاً)، على تقدير فنبتم نباتاً.

والمعنى الثاني: موضع الدخول: أي: يُدخلكم مكاناً، فيتعدَّى إليه بـ[يُدْخِلْكُمْ] على المفعول به، ويجوز أن يكون المدخل اسماً، كأنه وُضِع موضع الإدخال[2].

وأما من قرأ [مُدْخَلاً] بضم الميم فله معنيان: أحدهما: اسم مصدر من الرُّباعي كاسم المفعول، والمدخول فيه حينئذ محذوف؛ أي: ويُدخِلكم الجنة إدخالاً، ودليله قوله تعالى: [وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ][3]. والثاني: اسم مكان؛ أي يدُخِلكم مكاناً كريماً؛ فنصبه إما على الظرف، وعليه سيبويه. أو أنه مفعول به، وعليه الأخفش. وهذا كل مكان بعد (دخل) [4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بيَّن سبحانه في بداية الآية كيفية تكفير الصغائر ومَحْوها، وما يترتب على ذلك من تكفير السيئات، قال: [وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا] أي في الآخرة، قال الرازي: «إن مجرَّد الاجتناب عن الكبائر لا يوجب دخول الجنة، بل لا بد معه من الطَّاعات، فالتقدير: إن أتيتم بجميع الواجبات واجتنبتم عن جميع الكبائر، كفرنا عنكم بقية السيئات، وأدخلناكم الجنة، فهذا أحد ما يوجب الدخول في الجنة، ومن المعلوم أن عدم السبب الواحد لا يوجب عدم المُسبب، بل ههنا سبباً آخر، هو السبب الأصلي القوي، وهو فضل الله وكرمه ورحمته، كما قال: [قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا][5]»، وقوله: [كَرِيمًا] أي: حسناً[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجَّح الطبري قراءة من قرأ [مُدْخَلا] بالضم، معللاً ذلك بقوله: «لأن ما كان من الفعل بناؤه على أربعة في (فَعَلَ)، فالمصدر فيه (مُفْعَل). وإن (أَدْخَل) و(دَحْرَج)، (فَعَلَ) منه على أربعة، فـ(المُدْخل) مصدره أولى من (مَفعل)، مع أن ذلك أفصح في كلام العرب في مصادر ما جاء على (أفعل)، كما يُقال: (أقام بمكانٍ فطاب له المُقام)، إذا أُريد به الإقامة، وأقام في موضعه

(1) نوح، الآية (١٧).

(2) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٢٥.١٢٦)، الحجة: ابن نجلة، ص(١٩٩)، الكشف، (٣٨٦/١.٣٨٧).

(3) الإسراء، الآية (٨٠).

(4) انظر: الإتحاف، ص(١٨٩). والحجة: ابن خالويه، ص(١٢٢).

(5) يونس، الآية (٥٨).

(6) انظر: تفسير الطبري، (٤٨/٤.٤٩)، فتح القدير، (٤٥٨/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٦١/٥.١٦٢)، تفسير أبي السعود، (١٧١/٢)، التفسير الكبير، (٧٩/١٠).

فهو في مَقامٍ واسع، كما قال تعالى: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ](1) من (قَام يقوم)»، ثم يقدم دليلاً آخر على صحة اختياره فيقول: «ولو أُريد به الإقامة، لقرئ (إن المتقين في مُقامٍ أمين)، كما قرئ: [وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ](2) بمعنى (الإدخال) و(الإخراج)، ولم يبلُغنا عن أحدٍ أنه قرأ (مَدخل صدق) ولا (مَخرج صدق) بفتح الميم»(3).

واكتفى أبو علي الفارسي وابن أبي طالب بترجيح القراءتين فقط، ولم يرجِّحا أي قراءة منهما، ولكنهما استحسنا كون [مُدْخَلا] في حال المُراد منه: المكان، واستبعدا أن يكون مصدراً، وذلك لأن المكان وُصِف بالكريم، وهو كقوله تعالى: [كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ](4) فوُصِف المكان بالكريم، فلذلك يكون قوله: [مُدْخَلا] يُراد به المكان مثل (المقام)(5).

(١٥/١٥) الاختلاف في [عَقَدَتْ] من قوله عز وجل: [وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] الآية (٣٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [عَقَدَتْ]، فقرأ الكوفيون: [عَقَدَتْ] بغير ألف، وقرأ الباقون: [عَاقَدَتْ] بالألف(6).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي عَاقَدَتْ قَصْرٌ ثَوَى ومَعَ الحَديدِ فَتْحُ سُكونِ البُخْلِ والضَّمِّ شَمْلَلا(7).

ثانياً: توجيه القراءات:

المُعاقدة: المُعاهدة والميثاق، والجمع عُقُود، وهي أوكد العُهُود، يُقال: عَهِدْتُ إلى فلانٍ في كذا وكذا، أي: أَلزمته ذلك، فإذا قلت: عَاقَدته أو عَقَدت عليه؛ أي: أَلزمته ذلك باستيثاق.

والعقيد: الحليف(8).

---

(١) الدخان، الآية (٥١).

(٢) الإسراء، الآية (٨٠).

(٣) تفسير الطبري، (٤٨/٤).

(٤) الدخان، الآيتان (٢٦،٢٥).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٧٩/٢)، والكشف، (٣٨٦/١، ٨٧).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦). كتاب السبعة، ص(٢٣٣)، النشر، (٢٤٩/٢)، الإتحاف، ص(١٨٩).

(٧) عنى الناظم بحرف (الثاء) في قوله: «ثوى» عاصم وحمزة والكسائي، وقوله: «قَصْرٌ» أي بحذف الألف بعد العين، فتكون قراءة الباقين [عَاقَدَتْ] بإثبات الألف، انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٦).

(٨) انظر: لسان العرب، (٢٩٦/٣، ٢٩٧)، مختار الصحاح، ص(٤٤٥).

قوله عز وجل: [عَقَدَتْ] موضعها ثلاثة أوجه: أحدها: هو معطوف على [مَوَالِيَ]، أي: وجعلنا الذين عاقدت وارثاً، وكان ذلك، ونُسخ، فعلى هذا يكون قوله: [فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ] توكيداً. والثاني: موضعه نُصب بفعل محذوف فسره المذكور؛ أي: وآتوا الذين عاقدت. والثالث: هو رفع بالابتداء [فَآتُوهُمْ] الخبر[1].

والحجة لمن قرأ [عَاقَدَتْ] بالألف، أنه أجرى على ظاهر اللفظ من فاعلين؛ لأن كل واحد من المُتحالفين كفَّر يميناً عند المُحالفة على الآخر، فهو من باب المُفاعلة، والتقدير: والذين عاقدت أيمانكم أيمانهم، ثم حذف المفعول لدلالة المعنى عليه، وهذا مما جرى الكلام فيه على غير من هو له، فجعل الأيمان هي العاقدة، والمعنى: أن العاقد هو الحالف.

وأضاف ابن خالويه قائلاً: «من قرأ بالألف فحجته أنه جعله من المُعاقدة، وهي المُخالطة في الجاهلية، أنه يُواليه ويرثه، ويقوم بثأره، فأُمروا بالوفاء لهم، ثم نُسخ ذلك بآية المواريث[2]»[3].

ومن قرأ [عَقَدَتْ] بغير ألف، حملوا الكلام على اللفظ: لفظ الأيمان؛ لأن الفعل لم يُسند إلى أصحاب الأيمان في اللفظ، إنما أسند إلى الأيمان. جاء في الكشف: والحجة في ذلك أنه أضاف الفعل إلى الأيمان، والمُراد إضافة الفعل إلى المُخاطبين المُتحالفين في المعنى، دون من خالفهم، وفيه حذف مفعول، والتقدير: والذي عقدت أيمانُكم حلفهم، ثم حُذف. ولما أسند الفعل إلى الأيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المُفاعلة؛ لأن يمين القوم الآخرين لا فعل لها.

فالكلام في هذه القراءة محمول على اللّفظ: لفظ الأيمان، دون أصحاب الأيمان، وهو في القراءة الأولى محمول على أصحاب الأيمان، وهم فريقان كل واحد حالفٌ، محلوفٌ له، فحُمل على المُفاعلة، وهو من باب المُعاقدة بالأيمان[4].

ثانياً المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ] جملة مبتدأة، مقررة لمضمون ما قبلها[5] فقد بيَّن فيها سبحانه أن لكل إنسان ورثة وموالي، فلينتفع كل واحد بما قسم الله له في الميراث، ولا يتمنى مال غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) قال: وَرَثَةً، (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْمُهَاجِرِيُّ

---

(١) إملاء ما من به الرحمن، ص(١٠٠).

(٢) وهو قول ابن عباس. انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص(٢٢٦.٢٢٧).

(٣) انظر: الكشف، (٣٨٨/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٣).

(٤) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٠/٢)، الكشف، (٣٨٩/١).

(٥) وهي قوله تعالى: [وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ] الآية (٣٢)

ر الي‍مَدُ‍بُونَاجَ ذَوِي ر َ حـ مخهُ ولَّقَالأُالدَّ تِي آخذبَيَ لنَهِيُمُّ ْ فولمَآكلُلَزِّ لجنَتعْ لَ[ـا مـ و َ الـي َ [قال َ ذ نَسْبِينخَ تْهـ وَالقَ [الَّت ْ أَيْ مـ َ انُ كُ م ْ)][1].

وقيل العكس، كما روى ابن جرير، وذهب الجمهور إلى أن الناسخ التَّقولين: [ع َ قَ دَ تَ ْ أَيْ م َ انُ كُمْ]حقَوله: أُوا[عَلْوُطْلأَهُمْ ْ أو ْ لَى بِبَعْ ضٍ][2] وقوله: كُ[لٍّ] مفعول ثانٍ لجعل [ـا] قُدم عليه لتأكيد الشُّمول ودفع توهم تعلُّق الجُعْل بالبعض دون البعض كقوله: لِكُلٍّ عَ[لْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا][3][4] أي: ولكل تركة جعلنا ورثة مُتفاوتة في الدرجة يلونها، ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم، المَنوط بما بينهم وبين المورِّث من العلاقة. قال القرطبي: «(كل) في كلام العرب: معناها الإحاطة والعموم، فإذا جاءت مفردة فلابُد أن يكون في الكلام حذف عند جميع النحويين، حتى إن بعضهم أجاز (مررت بكلّ)، مثل (قبل وبعد)».

وقوله: [مَوَالِيَ] الموالي: لفظ مشترك يطلق على وجوه والمقصود به في هذه الآية العصبة، لقوله ﷺ: (الْفَرَائِضَ... فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)[5].

○ التَّقولين تَعالى: [قَدَتْ أَيْمَانُكُمْ] المراد بهم موالي المُوالاة، كان الرجل من أهل الجاهلية يعاقد الرجل: أي يُحالفه فيستحق من ميراثه نصيباً، ثم ثبت في صدر الإسلام بهذه الآية، ثم نُسخ بقوله: [وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ]، وإسناد العقد إلى الأيمان: لأن العقاد هو المُماسحة بها عند العقد، والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم، فحذف المعهود وأُقيم المضاف إليه مقامه.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] أي: قد شهد معاقدتكم إياهم، وهو عز وجل يُحب الوفاء، وهذا فيه وعد ووعيد[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب الأزهري القراءتين معاً قائلاً: «هما لغتان، عقَدَ يعقِد، وعاقَدَ يُعاقد، وقد قرأ بهما القرَّاء، وفيها لغة ثلاث: فعن أبي زيد قال: قُرئ: [عَاقَدَتْ] بالألف، و[عَقَدَتْ] بالتخفيف، و[عَقَّدَتْ] بتشديد القاف[7]» والمعنى في جميعها التوكيد لليمين»[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب ذوي الأرحام، (٢٧٤/٨)، حديث رقم (٢٤).

(٢) الأنفال، لآية (٧٥).

(٣) المائدة، الآية (٤٨).

(٤) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص(٢٢٦.٢٢٧).

(٥) سبق تخريجه في ص(   ).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٥٢/٤.٥٩)، فتح القدير، (٤٦٠/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٦٥/٥.١٦٨) تفسير أبي السعود، (١٧٢/٢.١٧٣). التفسير الكبير، (٨٤/١٠.٨٧).

(٧) وهي في قراءة المطوعي، بقصد التكرير. انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص(٤٠).

ووافقه الطبري في تصويب القراءتين معاً، قائلاً: «إنهما قراءتان معروفتان، مُستفيضتان في قرأة أمصار الإسلام، بمعنى واحد»[٢].

بينما رجَّح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ [عَاقَدَتْ] بالألف، معللاً ذلك بقوله: «الذِّكرُ الذي يعود من الصِّلة إلى الموصول ينبغي أن يكون ضميراً منصوباً، فالتَّقدير: والذين عاقدتهم أيمانكم، فجعل الأيمان في اللفظ هي المُعاقدة، والمعنى: على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان. والمعنى: والذين عاقدت حلفهم أيمانكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه»، ثم يقول: «فعاقدت أشبه بهذا المعنى؛ لأن لكل نفرٍ من المُعاقدين يميناً على المُحالفة»[٣].

وهو اختيار ابن أبي طالب أيضاً، حيث يقول: «والقراءة بالألف أقوى في نفسي؛ لأن المقصود بالآية أصحاب الأيمان، لأن لا فعل يُنسب إليها حقيقة، فبابه المُفاعلة، مع أن الأكثر من القراء عليه»[٤].

ووافقهما الرازي في اختيار هذه القراءة، معللاً ذلك بقوله: «لدلالة المُفاعلة على عقد الحلف من الفريقين»[٥].

(١٦/١٦) الاختلاف في [الْجُنُبِ] من قوله عز وجل: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا] الآية (٣٦).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قراءة قوله: [الْجُنُبِ] من قوله: [وَالْجَارِ الْجُنُبِ]، فقرأ عاصم وحده: [الْجَنْبِ] بفتح الجيم وإسكان النون، وقرأ الباقون: [الْجُنُبِ] بضمتين[٦].

ثانياً: توجيه القراءات:

الجَنْبُ والجَنْبةُ والجَانب: شِقُّ الإنسان وغيره، تقول: قعدت إلى جَنْبِ فلان وإلى جانبه، بمعنى، والجمع جُنُوبٌ وجَوانِبُ وجَنائِبُ. قال ابن منظور: «والأخيرة نادرة».

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات: ص(١٢٦).

(٢) تفسير الطبري، (٥٣/٤).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٠/٢).

(٤) الكشف، (٣٨٩/١).

(٥) التفسير الكبير، (٨٤/٩).

(٦) انظر: كتاب السبعة، ص(٢٣٣).

تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ](١) أي: على ما فرَّطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه، وهو توحيد الله والإقرار بنبوَّة رسوله ρ(٢).

قوله عز وجل: [وَالْجَارِ الْجُنُبِ] نعت للجار مجرور، وهو اسم لشق الإنسان وغيره، وزنه (فُعْل) بفتح فسكون، وقرأ بضمتين، مثل: ناقةٌ سُجُحٌ (٣)(٤) ويُقرأ بفتح الجيم وسكون النون، وهو وصفٌ أيضاً وهو المُجانب، مثل قولك: رجلٌ عدلٌ. قال أبو علي الفارسي: « في قراءة عاصم [وَالْجَارِ الْجَنْبِ] تحتمل معنيين: أحدهما: أن يُريد النَّاحية، فإذا أراد هذا، فالمعنى: ذي الجنب، فحذف المضاف؛ لأن المعنى مفهومٌ، والمعنى هو: ذي ناحية ليس هو الآن بها، أي: هو غريبٌ عنها. والآخر: أن يكون وصفاً، مثل: ضَرْبٍ، وفَسْلٍ (٥)، فهذا وصفٌ يجري على الموصوف، كما أن [الْجُنُبِ]، كذلك وهو في معناه».

وقال أبو منصور: الجار الجُنُب: الذي ليس بينك وبينه قرابة، ويُقال للقريب الذي تؤمِّنه وتُجاره: جيرةٌ جُنُبٌ أيضاً »(٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

أجمع العلماء على أن هذه الآية من المُحكم المتفق عليه، ليس فيها شيءٌ منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب. قوله: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] كلامٌ مبتدأ مسوق لبيان الأحكام المُتعلقة بحقوق الوالدين والأقارب ونحوهم، إثر بيان الأحكام المُتعلقة بحقوق الأزواج، صدَّر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين، بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع.

فالآية أصلٌ في خلوص الأعمال لله تعالى، وتصفيتها من شوائب الريَّاء و غيره، والعبادة: عبارة عن كل فعلٍ وتركٍ يُؤتى به لمجرد أمر الله تعالى بذلك، وهذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب وجميع أعمال الجوارح، ثم قال: [وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] وذلك لأنه تعالى لما أمر بالعبادة بقوله: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ] أمر بالإخلاص في العبادة بقوله: [وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] لأن من عبد مع الله غيره، كان مشركاً، ولا يكون مُخلصاً، ولهذا قال: [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

---

(١) الزمر، الآية (٥٦).

(٢) انظر: لسان العرب، (٢٧٥/١)، مختار الصحاح، ص(١١٢).

(٣) انظر: إملاء ما من به الرحمن، (١٠١/١)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، (٢٧/٥).

(٤) أي سهلة طويلة قليلة اللحم. لسان العرب، (٤٧٥/٢).

(٥) الفَسْل: الرَّذْل النذْل، الذي لا مروءة له ولا جَلَد، وقال أبو عمرو: الفِسْل: بالكسر، الرَّجل الأحمق، والجمع أفْسُل، وفُسُول، وفِسال، وفُسْل». قال سيبويه: «والأكثر فيه فِعال». انظر: لسان العرب، (٥١٩/١١).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٨١/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٢٦.١٢٧).

الدِّين َ و[(١) قال تعالى: [وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا]وهنا حذف، على تقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، قال العُلماء: فأحق النَّاس بعد الخالق المنَّان بالشكر والإحسان، والتزام البرّ والطَّاعة له والإذعان، من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته، وشكره بشكره وهما الوالدان، فقال تعالى: [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ](٢).

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى قرن إلزام بر الوالدين بعبادته وتوحيده في مواضع: أحدها في هذه الآية. وثانيها: في قوله تعالى: [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا](٣) وثالثها: قوله: [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ](٤)، وكفى بهذا دلالةً على تعظيم حقهما ووجوب برهما والإحسان إليهما. ومما يدلُّ على وجوب البر إليهما قوله: [فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا](٥) وقوله: [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا](٦). وقال في الوالدين الكافرين: [وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا]»(٧).

وقوله: [وَبِذِي الْقُرْبَى] هو أمرٌ بصلة الرَّحم، كما ذكر في أول السورة بقوله: [وَالْأَرْحَامَ] أي: بصاحب القرابة من أخٍ أو عمٍّ أو خالٍ أو نحو ذلك. قوله: [وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ] من الأجانب، والمعنى: وأحسنوا بذي القربى، إلى آخر ما هو مذكور في هذه الآية. قوله: [وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ] أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقِّه، والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه ρ والدَّليل على ذلك: أنَّ الله أكَّد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: [وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى] أي: القريب جُواره. وقوله: [وَالْجَارِ الْجُنُبِ] أي: المُجانب، وهو مُقابل للجار ذي القربى، والمرُاد من يَصدق عليه مسمَّى الجِوار مع كون داره بعيدة. وفي ذلك دليلٌ على تعميم الجيران بالإحسان إليهم سواءٌ كانت الديار متقاربة أو مُتباعدة، وعلى أن الجار حرمة مَرعية مأمور بها.

وقد اختلف أهل العلم في المقدار الذي يصدُق عليه مسمَّى الجِوار، ويثبت لصاحبه الحق، قال الشوكاني: «لم يأت في الشَّرع ما يُفيد أن الجار هو الذي بينه وبين جار مقدار كذا،

---

(١) البينة، الآية (٥).
(٢) لقمان، الآية (١٤).
(٣) الإسراء، الآية (٢٣).
(٤) لقمان، الآية (١٤).
(٥) الإسراء، الآية (٢٣).
(٦) الأحقاف، الآية (١٥).
(٧) لقمان، الآية (١٥).

ولا ورد في لغة العرب ما يفيد ذلك، بل المراد بالجار في اللغة: المجاور، ويطلق على معانٍ؛ منها: الجانب البعيد، كقوله تعالى: [فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ][1] أي: عن بُعد».

ومن إكرام الجار ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)[2]. فحض عليه السلام على مكارم الأخلاق، لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة، فإن الجار قد يتأذى بقُتار[3] قِدر جاره، وربما تكون له ذريّة فتهيج من ضعفائهم الشّهوة، ويعظُم على القائم عليهم الألم والشّهوة، لاسيما إن كان القائم ضعيفاً أو أرملة.

والنوع التاسع من أنواع الأخلاق الحسنة التي ذُكرت في هذه الآية قوله: [وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ] أي: الرّفيق في أمرٍ حسن؛ كتعلُّم وتصرُّف وصناعة وسفر ونحوها. قال القرطبي: «للسفر مروءة وللحضر مروءة، فأما المروءة في السفر فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. وأما المروءة في الحضر فالإدمان إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الأخوان في الله عز وجل».

قوله: [وَابْنِ السَّبِيلِ] هو المسافر الذي انقطع عن بلده، ومن الإحسان إليه: إعطاؤه، وإرفاقه، وهدايته، ورشده.

والنوع الأخير من جملة هذه الأنواع العشرة المذكورة في هذه الآية قوله: [وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ] أي: وأحسنوا إلى ما ملكت أيمانكم إحساناً، وهم العبيد والإماء.

ثم ختم سبحانه هذه الأصناف بقوله: [إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا]، فقد نفى الله سبحانه وتعالى محبته ورضاه عمن هذه صفته؛ أي لا يُظهر عليه آثار نعمه في الآخرة، وفي هذا ضربٌ من التوعُّد. والمُختال: ذو الخُيلاء؛ أي الكِبْر. والفخور: الذي يُعدِّد مناقبه تكبْراً، والفخر: البذخ والتطاول، وخص سبحانه هاتين الصفتين بالذِّكر هنا؛ لأنهما تحملان صاحبهما على الأنفة من القريب الفقير والجار الفقير، وغيرهم مما ذكر في هذه الآية، فيضيع أمر الإحسان إليهم[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) القصص، الآية (١١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، (٨/٣٧).

(٣) القُتار: بضم القاف: ريح القِدر والشِواء ونحوهما. لسان العرب، (٥/٧١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٤/٨٠-٨٧)، فتح القدير، (١/٤٦٤-٤٦٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٥/١٨٠-١٩٢). تفسير أبي السعود، (٢/١٧٥-١٧٨)، التفسير الكبير، (١٠/٩٤-٩٧).

صوب أبو علي الفارسي القراءتين معاً ، قائلاً: «ومعنى اللفظتين واحد، وهو أنه مُجانب لأقاربه، متباعدٌ عنهم»(1).

(17/17) الاختلاف في [حَسَنَةً] من قوله عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (40).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [حَسَنَةً]، فقرأ الحرميان: [حَسَنَةٌ] بالرفع، وقرأ الباقون: [حَسَنَةً] نصباً(2).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي حَسَنَةٌ حِرْمِيُّ رَفْعٍ وضَمُّهُمْ ... تَسَوَّى نَمَا حَقّاً وعَمَّ ثَقِّلا(3)

ثانياً: توجيه القراءات:

الحسَنَة: ضد السَّيِّئة، والجمع حسنات ولا يُكَسَّر. والمحاسن في الأعمال: ضد المَساوي، ومن ذلك قوله: [إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ](4) أي: الذين يُحسنون التّأويل(5)، ويُقال: إنّه كان ينصُر الضعيف ويعُين المظلوم ويَعود المريض، فذلك إحسانه(6).

وجه من قرأ قوله: [حَسَنَةٌ] بالرفع أنه جعل (تك)(7) مكتفية، كأن معناها: إن تقع [حَسَنَةٌ]. وقال ابن أبي طالب: إنها جعلا (كان) تامة غير مُحتاجة إلى خبر، بمعنى: حدث ووقع، وذلك كما في قوله: [وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ](8) أي: وقع ذو عُسرة»(9).

---

(1) الحجة: أبو علي الفارسي، (2/81).

(2) انظر: كتاب التيسير، ص(96)، كتاب السبعة، ص(233)، النشر، (2/249)، الإتحاف، ص(190).

(3) قول الناظم: «حرمي رفع» مقلوب، والأصل (رفع حرمي) وهما نافع وابن كثير. انظر: المتن، ص(148)، الوافي، ص(246).

(4) يوسف، الآية (36).

(5) انظر: فتح القدير، (3/26).

(6) انظر: لسان العرب، (13/116)، مختار الصحاح، ص(136).

(7) قال العكبري: «حذفت نون (تكن) لكثرة استعمال هذه الكلمة، وشبه النون لغنتها وسكونها بالواو، فإن تحركت لم تحذف نحو قوله: [وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا] النساء (38) وقوله: [لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ] البينة (1)» انظر: إملاء ما من به الرحمن، (1/102).

(8) البقرة، الآية (280).

(9) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(127) الكشف، (1/389)، الحجة: ابن زنجلة، ص(203).

ومن قرأ [حَسَنَةً] بالنصب، جعل (كان) ناقصة، تحتاج إلى خبر، فأضمر فيها اسمها، ونصب [حَسَنَةً] على خبر (كان)، قال البناء: «إنها أتت حملاً على المعنى، أي: زنة ذرة، أو لإضافته إلى مؤنث على معنى: إن تك الفعلة حَسَنَةً»[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية تتعلق بقوله تعالى: [وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ][2]. فكأنه قال: فإن الله لا يظلم من هذه حاله مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها، فرغَّب بذلك في الإيمان والطاعة.

وقد اشتملت هذه الآية على الوعد بأمورٍ ثلاثة: الأول: قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ][3] أي: لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرة، بل يُجازيهم بها ويُثيبهم عليها، والذَّرة: النَّملة الحمراء، وهي أصغر النمل. المُراد من الكلام إن الله تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً، كما قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا][4]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)[5].

والنوع الثاني: من الأمور التي اشتملت عليها هذه الآية قوله تعالى: [وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا] أي: يُكثر ثوابها.

والنوع الثالث: قوله: [وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا]، أي: يُعط صاحبها من عنده على نهج التَّفضل زائداً على ما وعده في مقابلة العمل عطاءً جزيلاً. قال الرازي: «و(لَدُن) بمعنى (عند)، إلا أن (لَدُن) أكثر تمكيناً. يقول الرجل: عندي مال، إذا كان ماله ببلد آخر، ولا يُقال: لدي مال ولا لَدُنِّي، إلا ما كان حاضراً». وسمَّى سبحانه هذا العطاء [أَجْرًا] لكونه تابعاً للأجر مزيداً عليه[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(1) انظر: الكشف، (390.389/1)، الإتحاف، ص(190).

(2) النساء، الآية (39).

(3) النساء، الآية (40).

(4) يونس، الآية (44).

(5) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسنته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، (135/8).

(6) انظر: تفسير الطبري،(94.91/4)، فتح القدير، (467/1)، الجامع لأحكام القرآن، (197.195/5)، تفسير أبي السعود، (178.177/2)، التفسير الكبير، (105.101/10).

حَسَّن أبو علي الفارسي قراءة النصب، قائلاً: «النصب حَسَنٌ، لتقدم قوله: [مِثْقَالَ ذَرَّةٍ]، فالتقدير: وإن تكن الحسنة مثقال ذرةٍ يُضاعفها، كما قال: [مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا][1]»[2]. ووافقه ابن أبي طالب في ترجيح قراءة النصب[3].

(١٨/١٨) الاختلاف في [يُضَاعِفْهَا] من قوله عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (٤٠).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها، والتخفيف والتشديد من قوله عز وجل: [يُضَاعِفْهَا].

فقرأ الابنان: [يُضَعِّفْهَا] مشددة العين بغير ألف[4]، وقرأ الباقون: [يُضَاعِفْهَا] خفيفة بالألف[5].

والشاهد في ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يُضَاعِفَهُ ارْفَعْ فِي الحَدِيدِ وَهَاهُنَا سَمَا شُكْرُهُ وَالعَيْنُ فِي الكُلِّ ثُقِّلا

كَمَا دَارَ وَاقْصُرْ مَعْ مُضَعَّفَةٍ وَقُلْ عَسَيْتُمْ بِكَسْرِ السِّينِ حَيْثُ أتَى انْجَلا[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

الضِّعف: حرف من الأضداد، يكون ضعف الشّيء مثله، ويكون مِثليه[7]. ويُقال: ضعّف الشيء؛ أي: أطبق بعضه على بعض وثناه، فصار كأنه ضِعْفٌ. وفي قوله تعالى: [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ][8] أي: يُجعل الواحد ثلاثة، أي يُعذب ثلاثة أعذبة[9].

---

(١) الأنعام، الآية (١٦٠).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٢/٢).

(٣) الكشف، (٣٨٩/١-٣٩٠).

(٤) واختلفا في قوله تعالى: [مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً] البقرة (٢٤٥)، فقرأ ابن كثير: [فَيُضَعِّفُهُ] بالرفع والتشديد، وقرأ ابن عامر: [فَيُضَعِّفَهُ] بالنصب والتشديد، وقرأ عاصم: [فَيُضَاعِفَهُ] بالنصب والألف، وقرأ الباقون: [فَيُضَاعِفُهُ] بالألف والرفع. انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٣٩).

(٥) انظر: كتاب السبعة، ص(٢٣٣)، النشر، (٢٤٩/٢)، الإتحاف، ص(١٩٠).

(٦) يقصد بذلك قوله: [فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً] البقرة (٢٤٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وحمزة، فتكون قراءة الابنان بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وذلك في كل فعل مضارع مشتق من المضارعة سواء بنى للفعل كما في قوله: [وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ] البقرة (٢٦١)، أم للمفعول كما في قوله: [يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ] هود(٢٠)، وسواء اقترن بالضمير كما في قوله: [وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا] النساء(٤٠)، أم تجرد عنه نحو قوله: [وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ] البقرة (٢٦١). وأشار الناظم إلى هذا العموم بقوله: «دَارَ»؛ أي حيث وقع وعلى أية صورة نزلت. انظر: المتن، ص(٤١-٤٢)، الوافي، ص(١٥٢).

(٧) انظر: الأضداد في اللغة، ص(١١٣-١١٤).

(٨) الأحزاب، الآية (٣٠).

(٩) انظر: فتح القدير، (٢٧٦/٤).

وجائزٌ في كلام العرب أن تقول: هذا ضِعْفه؛ أي: مثلاه وثلاثة أمثاله؛ لأن الضِّعف في الأصل زيادةٌ غير محصورة، ألا ترى قوله تعالى: [فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا][1] لم يُرد به مثلاً ولا مثلين، وإنما أراد بالضِّعف الأضعاف.

قال ابن منظور: «وأولى الأشياء به أن نجعله عشرة أمثاله، لقوله سبحانه: [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا][2] فأقل الضعْف محصور وهو المِثْل، وأكثره غير محصور»[3].

يقول تعالى: [فَيُضَاعِفَهُ]: يُضاعف: مضارع مجزوم جواب الشَّرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، و(الهاء) ضمير مفعول به[4]. وجه من قرأ بالتشديد في قوله عز وجل: [فَيُضَاعِفَهُ] كما في قراءة الابنان؛ إن المعنى فيها تكرير الفعل وزيادة الضعْف على الواحد، إلى ما لا نهاية له.

ووجه من خفف فقال: [فَيُضَاعِفَهُ] أن (ضاعف) أكثر من (ضعَّف)، لقوله: [أَضْعَافًا كَثِيرَةً][5] وقوله: [عَشْرُ أَمْثَالِهَا][6]. وزاد ابن زنجلة قائلاً: «إن من خفف فقال: [فَيُضَاعِفَهُ] فذلك لأن أمر الله أسرع من تكرير الفعل، إنما هو (كن فكان)»[7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق.

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، وذلك باعتبار أنهما لغتان، والمعنى فيهما واحد، واستدل بقول سيبويه: «تجيء فاعَلْتُ لا تُريد به عمل اثنين، ولكنّهم بنوا الفعل كما بنوه على فَعّل، وذلك قولهم: ناولْتُه، وعاقبْتُه، وعافاه الله، وسافَرت»، ثم يقول أبو علي: «ونحو ذلك ضاعفتُ، وضعَّفتُ، ونَعَّمتُ، وناعَمْتُ، فدلَّ هذا على أنه لغتان، فبأيهما قرأت كان حسناً»[8].

ووافقه ابن زنجلة قائلاً: «هما لغتان، أضعفْتُ الشيءَ وضعّفته، كما يُقال: كَرّمت وأكْرمت»[9].

ويوافقهما القرطبي بقوله: «هما لغتان، معناهما التكثير»[10].

---

(١) سبأ، الآية (٣٧).

(٢) الأنعام، الآية (١٦٠)

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٠٥.٢٠٤/٩)، مختار الصحاح، ص(٣٨١).

(٤) انظر: الجدول في إعراب القرآن، (٣٣/٥).

(٥) البقرة، الآية (٢٤٥).

(٦) الأنعام، الآية (١٦٠).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٣٩)، الحجة: ابن خالويه، ص(٩٨).

(٨) الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٣.٨٢/٢).

(٩) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٣).

(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٩٥/٥).

أما الطبري فيرى أنهما مختلفان في المعنى ويقول: «.. وأما قوله: [فَيُضَاعِفَهُ] فإنه جاء بالألف، ولم يقل: [فَيُضَعِّفَهُ]؛ لأنه أُريد به في قول بعض أهل العربية: يُضاعفها أضعافاً كثيرة، ولو أُريد به في قوله: ضُعِّف ذلك ضعفين، لقيل: [فَيُضَعِّفَهُ] بالتشديد»[1]. وهو رأي أبو عبيدة. أيضاً. حيث يقول: (ضَاعَفَ) يقتضي مراراً كثيرة، (ضَعَّفَ) يقتضي مرتين»[2].

ويرد عليهما أبو حيّان معترضاً على قولهما، قائلاً: «كلام العرب يقتضي عكس هذا؛ لأن المُضاعفة تقتضي زيادة المثل، فإذا شدّدت اقتضت البنية التكثير فوق مرتين، إلى أقصى ما يزيد من العدد»[3].

(١٩/١٩) الاختلاف في: [تُسَوَّى] من قوله عزّ وجلّ: [يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا] الآية (٤٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح التاء من قوله عز وجل: [تُسَوَّى] والتشديد وضمّها والتخفيف فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو: [تُسَوَّى] مضمومة التاء خفيفة السين، وقرأ نافع وابن عامر: [تَسَّوَّى] مفتوحة التاء مشددة السين، وقرأ حمزة والكسائي: [تَسَوَّى] مفتوحة التاء خفيفة السين، والواو مُمالة مُشددة في كل القرآن[4].

والشاهد في ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي تسوى ... نما حق وضمهم ... تسوى ... حقاً وعم مثقلا[5].

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن منظور: «يُقال: مكانٌ سَوِيٌّ وسِيٌّ: مُستوٍ. وأرضٌ سِيٌّ وسَوَاءٌ: أي مُسْتوية. واستوت به الأرض وتسوَّت وسُوِّيت عليه؛ كله بمعنى: هلك فيها».

قال ابن مكي الصقلّي[6]: لا يُقال: أرض مستويَّة، بالتشديد، فهذا لحنٌ، أُخذ عن عامة المشرق، بل الصّواب: مستوية، بالتخفيف[7]، ومن ذلك قوله: [تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ]»[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٩٣/٤).

(٢) مجاز في القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، (د/ط)، (د/ت)، (٤٥/١).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، (٢٥١/٣).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٤)، النشر، (٢٥٠.٢٤٩/٢)، الإتحاف، ص(١٩٠).

(٥) عنى الناظم رحمه الله بحرف (النون) في قوله: «نما» عاصم، وبكلمة (حق) في كلمة (حقا) ابن كثير وأبو عمرو، وبكلمة (عمّ) نافع وابن عامر. انظر: المتن، ص(٢٤٦).

(٦) عمر بن خلف بن مكي الصقلي، أبو حفص، قاضٍ، لغوي، محدث، ولي قضاء تونس وخطابتها، وكانت خطبه من إنشائه، وصنف (تثقيف اللسان)، توفي سنة (٥٠١هـ). بغية الوعاة، (١١٨/٢).

(٧) انظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان: ابن مكي الصَّقلِّي، (د/ط)، (١٩٦٦م)، ص(١٦٣).

وجه من قرأ [تَسَّوَّى] مفتوحة التاء مشددة السين، أنه بنى الفعل على (يتَفعَّل)، فأسنده إلى [الأَرْضُ] فارتفعت بفعلها، وأصله (تتسوّى)، ثم أدغم التاء . وهي الثانية . في السين.

قال ابن زنجلة: أي يودّون لو صاروا تُراباً، فكانوا سواءً هم والأرض، وفي الكلام اتساع، وذلك لأنه لما عُلم المعنى، اتسع فيه فقُلِّم الذي ليس له المعنى مقام الفاعل إذ لا يُشكل. وهو مثل قولهم: فلقم فاهُ الحجر[2]، ونحوه»[3].

ومن قرأ [تُسَوَّى] مضمومة التاء خفيفة السين، جعله فعلاً لم يُسم فاعله، من التسوية، مثل قوله: [بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ][4] أي: صفحةً واحدةً، لا تُفصل بعضها عن بعض، فردّها كما كانت مع لطافتها وصغرها[5]. وهو بذلك أقام [الأَرْضُ] مقام الفاعل؛ على معنى: لو يجعلون والأرض سواء؛ أي: تُراباً، كما فعل بالبهائم، ودليله قوله: [وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا][6].

وأما من قرأ [تَسَوَّى] مفتوحة التاء خفيفة السين، فحجته أنه حذف إحدى التاءين استخفافاً، لأنها كما اعتلت بالإدغام اعتلت بالحذف، وحسُن ذلك، لئلا يتوالى شُددان؛ وهما السين والواو، وفي ذلك ثقل[7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

[يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ] استئناف لبيان حال الكفار التي أُشير إلى شدتها وفظاعتها بقوله: [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا][8] ويعنى سبحانه بذلك: يوم نجئ من كل أمة بشهيد، ونجيءُ بك على أمتك يا محمد شهيداً، يومئذٍ يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ﷺ [لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ].

---

(1) النساء، الآية (42).

(2) يضرب للمجيب بجوابٍ مسكت. انظر: موسوعة أمثال العرب، (15/3).

(3) انظر: الكشف، (390/1.391)، الحجة: ابن زنجلة، ص(204).

(4) القيامة: الآية (4).

(5) انظر: فتح القدير، (336/5).

(6) النبأ، الآية (40).

(7) انظر: الكشف، (391/1)، الحجة: أبو علي الفارسي، (83/2)، الحجة: ابن زنجلة، ص(402).

(8) النبأ، الآية (41).

قال أبو يحيى الأنصاري[١]: «على القراءات الثلاث: معناه أنهم يتمنون أن يستووا بالأرض، فيكونوا تراباً مثلها، على أظهر الأقوال، ويوضّح هذا المعنى قوله تعالى: [يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا][٢] وذلك لعظم هول ذلك اليوم»[٣].

ثم قال سبحانه: [وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا] وهو عطف على [الَّذِينَ كَفَرُوا..] أي: ولا يقدرون على كتمانه، لأن جوارحهم تشهد عليهم[٤].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور جميع القراءات قائلاً: «المعنى في جميع هذه الوجوه، أن أهل النار يودُّون أن لو تُركوا تراباً، ولم يُبعثوا من القبور أحياء، ويُقال: تسوَّت به الأرض واستوت به الأرض؛ إذا دُفن في بطنها»[٥].

ووافقه الطبري في تصويبها جميعاً، وقال: «وكل هذه القراءات مُتقاربات المعنى، وبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ؛ لأن من تمنى منهم أن يكون يومئذٍ تُراباً، إنما يتمنى أن يكون كذلك بتكوين الله إياه كذلك، وكذلك من تمنى أن يكون الله جعله كذلك فقد تمنى أن يكون تُراباً». ثم يقول مرجحاً قراءة [تَسَوَّى] بفتح التاء وتخفيف السين: على أن الأمر وإن كان كذلك، فأعجبُ القراءة إليَّ في ذلك [لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ] بفتح التاء وتخفيف السين، كراهية الجمع بين تشديدين في حرف واحد، وللتوفيق في المعنى بين ذلك وبين قوله: [يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا][٦]، فأخبر الله جل ثناؤه أنهم يتمنون أن كانوا تراباً, ولم يُخبر عنهم أنهم قالوا: [يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا]، فكذلك قوله: [لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ] فيسوُّوا هم». ثم يقول: وهي أعجبُ إلي؛ ليُوافق ذلك المعنى الذي أخبر عنهم بقوله: [يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا][٧]»[٨].

بينما يرجح أبو علي الفارسي وابن أبي طالب قراءة [تَسَّوَّى] مفتوحة التاء مشددة السين، وقال أبو علي معللاً ترجيحه: «وفي هذا الوجه اتساع؛ لأن الفعل مسندٌ إلى [الْأَرْضُ]، وليس

---

(١) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، المصري الشافعي، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، نشأ فقيراً معدماً، له تصانيف كثيرة منها (تحفة البارئ على صحيح البخاري)، توفي سنة (٩٢٦هـ). انظر: الأعلام، (٣/٤٦.٤٧).

(٢) النبأ، الآية (٤٠).

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(١١٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٤/٩٥.٩٧)، وفتح القدير، (١/٤٦٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٥/١٩٨.١٩٩). تفسير أبي السعود، (٢/١٧٨.١٧٩). التفسير الكبير، (١٠/١٠٥.١٠٦).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٢٨).

(٦) النبأ، الآية (٤٠).

(٧) النبأ، الآية (٤٠).

(٨) انظر: تفسير الطبري، (٤/٩٦).

المُراد: ودُّوا لو تصير الأرض مثلهم، وإنما المعنى: ودُّوا لو يصيرون يتسوَّون بها، لا تتسوَّى هي بهم، وجاز ذلك؛ لأنه لا يُلْبِس»(١). وقال ابن أبي طالب: «والقراءة بالتشديد وفتح التاء أولى؛ لأنه الأصل، وعليه أهل المدينة»(٢) وهذا رأي الرازي أيضاً(٣).

(٢٠/٢٠) الاختلاف في [لَامَسْتُمُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا] الآية **(٤٣)**.

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله سبحانه: [لَامَسْتُمُ]، فقرأ حمزة والكسائي [لَمَسْتُمُ] بغير ألف، وقرأ الباقون [لَامَسْتُمُ] بالألف(٤).

وشاهد ذلك قوله الشاطبي رحمه الله:

وَلامَسْتُمُ اقْصُرْ تَحْتَهَا وَبِهَا شَفَا ... وَرَفْعُ قَلِيلٌ مِنْهُمُ النَّصْبَ كُلِّلاَ(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

اللَّمس: الجسُّ؛ أي اللَّمس باليد(٦) لَمَسَه يلمُسه لمساً ولامَسَه. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «اللَّمس والمَسّ والمُلامسة: كناية عن الجِماع». ومما يدل على صحة قوله قول العرب في المرأة تزنُّ بالفجور: هي لا ترُدُّ يدَ لامسٍ». كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: غَرِّبْهَا، قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَتْبَعَهَا نَفْسِي، قَالَ: فَاسْتَمْتِعْ بِهَا)(٧).

---

(١) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٣/٢).

(٢) الكشف، (٣٩١/١)

(٣) انظر: التفسير الكبير، (١٠٦/١٠).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٤)، النشر، (٢٥٠/٢) الإتحاف، ص(١٩١).

(٥) عنى الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شفا» حمزة والكسائي، وقوله: «تحتها» يعني السورة التي تليها، وهي المائدة. وبقوله: «اقصر» أي: بحذف الألف بعد اللام. انظر: المتن، ص(٤٨). الوافي ص(٢٤٦).

(٦) والحسُّ: أيضا حِس الخبر، ومنه التَّجسس، يُقال: تجسَّست الخبر وتحسَّسته، وكلها بمعنىً واحد، وقيل: التَّجسس بالجيم: أن يطلبه لغيره؛ أي: البحث عن العورات، وبالحاء: أن يطلبه لنفسه وهو الاستماع. والجاسوس: صاحب سر الشر، والنَّاموس. صاحب سر الخير. انظر: لسان العرب، (٣٨/٦).

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، (٢٠٠/٢)، حديث رقم (٢٠٤٩).

وقال ابن الأعرابي[1]: «الفرق بين اللمس والملامسة: أن اللمس قد يكون مس الشيء بالشيء، ويكون معرفة الشيء، وإن لم يكن ثم مس لجوهر على جوهر. والملامسة أكثر ما جاءت من اثنين»[2].

قوله عز وجل: [لَامَسْتُمُ] معطوف على ما تقدم في الآية، فمن قرأ [لَمَسْتُمُ] بغير ألف فحجته أنه أضاف الفعل والخطاب للرجال دون النساء على معنى: مس بعض الجسد بعض الجسد، ومس اليد الجسد، فجرى الفعل من واحد. وأضاف أبو علي الفارسي قائلاً: «إن هذا المعنى جاء في التنزيل في غير موضع على (فَعَلْتُم)، ومن ذلك قوله: [يَمْسَسْنِي بَشَرٌ][3]، ولم يقل (يماسسني)، وكذلك قوله: [نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ][4] ولم يقل: (ناكحتم)»[5].

وأما من قرأ [لَامَسْتُمُ] بالألف، فقد جعل الفعل من اثنين، وجعله من الجماع، فجرى على المفاعلة؛ لأن الجماع لا يكون إلا من اثنين. قال ابن خالويه: «ودليله أن فعل الاثنين لم يأت عن فصحاء العرب إلا (فاعلت)، (والمفاعلة)، وأوضح الأدلة على ذلك قولهم: جامعت المرأة، ولم يسمع منهم (جمعت)» [6].

ثانياً: المعنى العام للآية:

لما نهى الله سبحانه المسلمين فيما سلف عن الإشراك به تعالى، بقوله: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا][7]، نهى سبحانه هنا عما يؤدي إليه من حيث لا يحتسبون فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ]. وإنما جعل الخطاب خاصاً بالمؤمنين؛ لأنهم كانوا يقيمون الصلاة وقد أخذوا من الخمر، وأتلفت عليهم أذهانهم فخصوا بهذا الخطاب، إذ كان الكفار لا يفعلونها صحاة ولا سكارى.

وقد جاء في سبب نزولها أن عبد الرحمن بن عوف[8] صنع طعاماً، ودعا أُناساً من أصحاب رسول الله ρ فطعموا وشربوا، وحضرت صلاة المغرب، فتقدم بعض القوم فصلى

---

(1) محمد بن زياد، أبو عبد الله، من اللغويين الرواة لأشعار القبائل، سمع من المفضل الضبي، وأخذ عن الكسائي وابن السكيت وثعلبة، وأخذ عنه الأصمعي، له (النوادر)، و(معاني الشعر)، و(تاريخ القبائل)، توفي سنة (٢٣١هـ). انظر: بغية الوعاة، (١/١٠٥-١٠٦).

(٢) انظر: لسان العرب، (٦/٢٠٩)، مختار الصحاح، ص(٦٠٤).

(٣) آل عمران، الآية (٤٧).

(٤) الأحزاب، الآية (٤٩).

(٥) انظر: الكشف، (١/٣٩١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٨٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٤).

(٦) انظر: الكشف، (١/٣٩٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٤).

(٧) النساء، الآية (٣٦).

(٨) عبد الرحمن بن عوف بن عبد مناف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي، الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه مشهورة، وتوفي سنة (٣٢هـ). تقريب التهذيب، (١/٤٩٤).

المغربُ فقرأ: (يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ونحن نعبد ما تعبدون) ولم يكملها، فأنزل الله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ..][(١)].

والجمهور من العلماء وجماعة الفقهاء على أن المرُاد بالسُّكر سُكر الخمر. قوله: [حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ]،هذا غاية النهي عن قُربان الصلاة في حال السُّكر: أي: حتى يزول عنكم أثر السُّكر،وتعلموا ما تقولونه، فإن السُّكران لا يعلم ما يقوله[(٢)].

وتصدير الكلام بحرفي النداء والتنبيه للمُبالغة في حملهم على العمل بموجب النّهي، وتوجيه النّهي إلى قربان الصلاة مع أن المرُاد هو النّهي عن إقامتها للمُبالغة في ذلك، قال عكرمة[(٣)]: «إن قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى] نسخه قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ][(٤)]»،يُريد أنه كان أبيح لهم أن يؤخِّروا الصلاة في حال السّكر حتى يزول السُّكر، إذ كانت الخمر غير محرّمة، ثم نُسخ ذلك، فأُمروا بالصلاة على كل حال، ونُسخ شُرب المُسكر بقوله: [فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ][(٥)]. وبقوله: [فَاجْتَنِبُوهُ][(٦)]فنَسخ ما فُهم من الخطاب بتحريم الخمر في قوله: [فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ] وهذا قول أكثر العلماء[(٧)].

ثم قال: [وَلا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ] عطف على قوله: [وَأَنْتُمْ سُكَارَى] فإنه في حيِّز النصب، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكُارى ولا جنباً. والجنُب: من أصابته الجَنابة، يستوي فيه المذُكر والمُؤنث، والواحد والجمع، لجريانه مجرى المصدر، قوله: [إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ] استثناء مفرغ[(٨)]، أي: لا تقربوها في حالٍ من الأحوال، إلاّ في حال عبور السبيل، والمُراد به هنا السفر،

---

(١) انظر: أسباب النزول: للواحدي، ص(١٢٧).

(٢) قال الدكتور وهبة الزحيلي: وقد تمسّك بهذا من قال: إن طلاق السُكران لا يقع؛ لأنه إذا لم يعلم ما يقوله انتفى القصد، وبه قال عثمان بن عفان وابن عباس وطاوس وعطاء، وهو قول أحمد بن حنبل في رواية عنه اختارها جماعة من الحنابلة، إلا أن المالكية قالوا في الطلاق: لو سكر سُكراً حراماً صحَّ طلاقه، إلا أن لا يُميز فلا طلاق عليه؛ لأنه صار كالمجنون». انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، (٢٩٧٣/٤).

(٣) أبو عبد الله القرشي العلامة، الحافظ، المفسر، البربري الأصل، حدث عن ابن عباس وعائشة وغيرهم، قال الأصمعي: «مات كثُيِّر عزة وعكرمة في يوم واحد، سنة (١٠٥هـ)». انظر: سير اعلام، (٣٦.١٢/٥).

(٤) المائدة، الآية (٦).

(٥) المائدة، الآية (٩١).

(٦) المائدة، الآية (٩٠).

(٧) انظر: الإيضاح لناسخ والقرآن ومنسوخه، ص(٢٢٩).

(٨) وهو الذي لا يُذكر فيه المستثنى منه، وحينئذٍ يكون المستثنى على حسب ما يقتضيه العامل الذي قبله في التَّركيب، كما لو كانت (إلا) غير موجودة، نحو (لا يقعُ في السُّوء إلاّ فاعله)، وشرطه كون الكلام منفياً كما مُثل، أو واقعاً بعد نهي نحو قوله: [وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ] النساء (١٧١)، أو الاستفهام الإنكاري نحو قوله: [فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ] الأحقاف (٣٥). انظر: معجم القواعد العربيه، ص(٧٧.٧٦).

قوله تعالى: [حَتَّى تَغْتَسِلُوا] غاية النَّهي عن قُربان الصلاة حال الجنابة. قوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى] وهذه آية التيمم نزلت في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أصابته جنابة وهو جريح، فرُخص له في أن يتيمم، ثم صارت الآية عامة في الناس(١). وهي شروع في تفصيل ما أُجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المُستثنى من الأعذار، والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حُكم الترخيص، للإشعار بأنه العذر الغالب المُنبئ عن الضَّرورة التي عليها يدور أمر الرُّخصة، فكأنه قيل: ولا جُنباً إلا مضطرِّين والمُراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مُطلقاً، سواء كان ذلك بتعذُّر الوصول إليه، أو بتعذُّر استعماله، قوله: [أَوْ عَلَى سَفَرٍ] عطف على [مَرْضَى]، أي: وإن كنتم على سفرٍ طال أو قَصُر وإيراده صريحاً مع سبق ذكره بطريق الاستثناء؛ لبناء الحكم الشرعي عليه، وبيان كيفيته، وتقديم المرض عليه للإيذان بأصالته واستقلاله بأحكامٍ لا توجد في غيره، كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه. قوله: [أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ] وهو المكان الغائر المطمئن، والمجئ منه كناية عن الحدث؛ لأن المُعتاد أن من يُريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس، ثم سمِّي الحدث بهذا الاسم تسميةً للشيء باسم مكانه(٢).

قوله: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] اللَّمس: يكون باليد، وقد أُتسع فيه، فأُوقع على غيره(٣)، ومما جاء يُراد به مسّ اليد قوله:

ولا تلْمس الأفْعى يداك تُريدُها ودعْها إذا ما غيّبتْها سفاتُها(٤)

واختلف الصحابة في قوله: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] على قولين: أحدهما: إن المُراد به الجِماع، وهو قول ابن عباس وقول أبي حنيفة؛ لأن اللَّمس باليد لا ينقض الطَّهارة. والثاني: إن المُراد باللَّمس هنا التقاء البشرتين، سواءٌ كان بجماع أو غيره، وهو قول ابن مسعود وقول الشافعي، وعند المالكية والحنابلة بالتقاء بشرتي الرجل والمرأة في حال اللّذة أو الشهوة(٥).

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٢٠١/٥).

(٢) تفسير المشكل، ص(١٤٣).

(٣) قال أبو علي الفارسي: «ومما جاء يُراد به اللّمس بغير الجارحة قوله: [وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا] الجن (٨)، وتأويله: عالجنا غيب السماء ورُمناه لنسترقه فنلقيه إلى الكهنة ونُخبرهم به. ولما كان اللّمس قد يكون غير المباشرة بالجارحة قال: [وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] الأنعام (٧)، فخصص باليد لئلا يلتبس بالوجه الآخر؛ كما قال: [وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ] النساء (٢٣)، لما كان الابن قد يكون مُتبنىً به من غير الصّلب، وقد كان يُنسب المُتبنى به إلى المُتبني». انظر: الحجة، (٨٤/٤-٨٥).

(٤) البيت للأعشى في ديوانه، ص(١٣٥)، والسَّفى: التراب، وخص ابن الأعرابي به التراب المخرج من البئر أو القبر. انظر: لسان العرب، (٣٨٩/١٤).

(٥) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، (٤٢٧/١).

وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى هذه الأسباب الأربعة قال: [فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً]، والأسباب التي لا يجد المُسافر معها الماء هي: إما عدمه جملة أو عدم بعضه، وإما أن يخاف فوات الرفيق، أو على الرَّحل بسبب طلبه، أو يخاف لصوصاً أو سباعاً، أو فوات الوقت، أو عطشاً على نفسه أو على غيره، وكذلك لطبيخ يطبخه لمصلحة بدنه، فإذا كان أحد هذه الأسباب تيمم وصلّى. ويترتب عدمه للمريض بألا يجد من يناوله، أو يخاف ضرره. ويترتب أيضاً عدمه للصحيح الحاضر بالغلاء الذي يعمُّ جميع الأصناف، أو بأن يُسجن أو يُربط، ففي هذه الحالات [فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا] والتيمّم مما خُصَّت به هذه الأمة توسعةً عليها[١]، وذلك بسبب القلادة كما ورد في سبب نزولها عن عائشة رضي الله عنها قالت: (هَلَكَتْ قِلَادَةٌ لِأَسْمَاءَ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ρ فِي طَلَبِهَا رِجَالًا فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ وَلَيْسُوا عَلَى وُضُوءٍ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَصَلَّوْا وَهُمْ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَعْنِي آيَةَ التَّيَمُّمِ)[٢] والصَّعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، وإنما سُمي صعيداً لأنه نهاية ما يُصعد إليه من الأرض، وجمع الصعيد: صُعُدات. وقوله: [طَيِّبًا] معناه: طاهراً.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا][٣] وهو محمول عند كثير من المفسرين على الوجه واليدين إلى الكوعين؛ لأن من كان من عادته أن يعفو عن المذُنبين، فبأن يُرخص للعاجزين كان أولى[٤].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب ابن أبي طلب القراءتين معاً، باعتبار أن (لَمَسْتُمُ) الفعل جرى فيها من واحد، وفي (لامَسْتُمُ) الفعل فيها من اثنين، ويوجِّهها آخراً (لامَسْتُمُ) فقال: «ويجوز أن يكون (لامَسْتُمُ) من واحد كـ(عاقبتُ اللِّص)، فلذلك تتفق القراءتان»[٥] ووافقه الطبري بقوله: «هما قراءتان مُتقاربتان المعنى؛ لأنه لا يكون الرجل لامساً امرأته إلا وهي لامِسته، فاللَّمس في ذلك يدل على معنى

---

(١) نص الحديث كما أخرجه مسلم عن حذيفة τ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ρ: (فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدْ الْمَاءَ). انظر: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٦٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ]، (٩١/٦)، حديث رقم (١٠٥).

(٣) قال أبو زكريا: «زاد في المائدة عليه [مِنْهُ] الآية (٦)؛ لأن المذكور ثَمّ جميع واجبات الوضوء والتيمم، فحسن البيان والزِّيادة، بخلاف ما هنا، فحسُن التَّرك». انظر: فتح الرحمن، (١١٤.١١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١١٨.٩٧/٤)، فتح القدير، (٤٧٢.٤٦٨/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٤١.٢٠٠/٥)، تفسير أبي السعود، (١٨١.١٧٩/٢)، التفسير الكبير، (١١٤.١٠٧/١٠).

(٥) الكشف، (٣٩٢.٣٩١/١).

(اللِّماس) و(اللِّمَاس) على (اللَّمس) من كل واحد منهما صاحبه. فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيبٌ، لاتفاق معنييهما»[1].

وهو ما يراه أبو حيان أيضاً قال: «و(فاعَل) هنا موافق فعل المجرّد، نحو: جاوزت الشَّيء وجزته، وليست لأقسام الفاعلية والمفعولية لفظاً، والاشتراك فيها معنىً» ثم قال: «وقد حملها الشافعي على ذلك في أظهر قوليه، فقال: الملموس كاللامس في نقض الطَّهارة»[2]»[3].

أما أبو علي الفارسي فلم يرجِّح أي قراءة منهما، بل اكتفى بسرد الأوجه اللفظية لمعنى (اللَّمس)، والمُراد منه، وثم ذكر اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الآية فقال: «اختلف الصحابة في هذه الآية على قولين: فحمله حاملون على اللَّمس باليد، وآخرون بالجِماع» ثم قال: «ولم يحملها أحدٌ على الأمرين جميعاً، فحَمْله عليهما خروجٌ من إجماعهم، وأخذٌ بقولٍ قد أجمعوا على رفضه»[4] وهو بقوله هذا كأنه يرفض أن تكون القراءتان متفقتان.

وعند ابن زنجلة [لامَسْتُمُ] بالألف، أي: جامعتم، ثم ساق قول علي بن أبي طالب في تفسير قوله [أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ] أي: جامعتم ولكن الله يُكَنِّي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [لامَسْتُمُ] هو الغَشيان والجِماع» ثم قال: «إن الله كريمٌ يُكَنِّي عن الرَّفث والمُلامسة والمُباشرة والتَّغشِّي والإفضاء، وهو الجِماع»[5].

(٢١/٢١) الاختلاف في [قَلِيلٌ] من قوله عز وجل: [وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا] الآية (٦٦).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [قَلِيلٌ] فقرأ ابن عامر [قَلِيلاً] بالنصب، وقرأ الباقون [قَلِيلٌ] بالرفع[6].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَلاَ مَسْتُمُ اقْصُرْ تَحْتَهَا وبها شَفا ... ورفعُ قليلٌ منهم النَّصْبُ كُلِّلا[7]

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١١٠/٤).

(٢) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته: للأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي، (ط/٤)، (١٩٩٧م)، (٤٢٧/١).

(٣) التفسير الكبير، (٢٥٨/٣).

(٤) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٥٨٤/٢).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٦،٢٠٥).

(٦) انظر: كتاب التيسير: ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٥). النشر، (٢٥٠/٢) الإتحاف، ص(١٩٢).

(٧) عنى الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كللا». ابن عامر، ومعنى (كللا) النصب، جعل النصب له كالإكليل في الحسن والزينة. انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٦).

القِلَّةُ: خلاف الكثرة، يُقال: قَلَّلَه وأَقَلَّه: جعله قليلاً. وأَقَلَّ: أتى بقليل. وتَقَلَّل الشيءَ واستقلّه وتقالّه: إذا رآه قليلاً. وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «جاء ثلاثةُ رهطٍ[1] إلى بيوت أزواج النبي ρ يسألون عن عبادة النبي ρ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها»[2] أي: استقلُّوها، وهو تفاعل من القِلَّة. وقال ابن الأثير[3]: «لفظ (قليل) يُستعمل في نفي أصل الشيء كقوله تعالى: [قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ][4]»[5].

قوله عز وجل: [إِلَّا قَلِيلٌ] تفرد ابن عامر بنصبه على الاستثناء، وعلى الإتباع لمصاحف أهل الشام، فإنها في مصاحفهم بالألف، فأجرى النَّفي مجرى الإيجاب في الاستثناء؛ لأن الكلام بينهما يتم من دون المُستثنيين، قال ابن زنجلة: «والعرب تنصب في النفي والإيجاب، فتقول في الإيجاب: سرتُ بالقوم إلا زيداً، ومررتُ بالقومِ إلا زيداً، ورأيتُ القومَ إلا زيداً. وتقول في النفي: ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، فترفع على البدل من (أحد)، كأنه يصح وضعه مكانه، أن تقول: ما جاءني إلا زيدٌ. وقد يجوز أن تقول: ما جاءني أحدٌ إلا زيداً، فلا تجعله بدلاً، ولكن تجعله استثناءً منقطعاً؛ أي استثنى زيداً، فعلى هذا قوله: [قَلِيلاً] أي: استثنى قليلاً. أو [إِلَّا قَلِيلٌ] على البدل من الواو، والمعنى: ما فعله إلا قليلٌ منهم».

وقال الفراء: «إنما نصب لأنه أراد: ما فعلوه إلا قليلاً؛ لأن (إلا) عنده مركبة من (إنْ) و(لا)، كما كانت (لو لا). مركبة من (لو) و(لا)». وقال أبو منصور: «من رفع فعلى تكريرِ الفعل، كأنه قال: ما فعلوه ما فعله إلا قليلٌ منهم»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية متّصلة بما تقدم من أمر المنافقين، وترغيبهم في الإخلاص وترك النِّفاق، ففي الآية السابقة لهذه الآية قال تعالى: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] الآية (٦٥).

---

(١) الرَّهط: هم عشيرة الرجل وأهله، والرَّهط من الرجال ما دون العشرة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أَرْهُط وأَرْهاط، وأَراهِط جمع الجمع. النهاية في غريب الحديث، (٢/٢٨٢.٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٧/١)، حديث رقم (١).

(٣) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني، المنشئ كتاب (المثل السائر في أدب لكاتب والشاعر)، نشأ بالموصل، وحفظ القرآن، وأقبل على النحو واللغة والشعر والأخبار، توفي سنة (١٣٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٧/٧٢.٧٣).

(٤) الحاقة، الآية (٤١).

(٥) انظر: لسان العرب، (١١/٥٦٣.٥٦٤)، مختار الصحاح، ص(٥٤٩).

(٦) انظر: الكشف، (١/٣٩٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٦.٢٠٧)، كتاب معاني القراءات، ص(١٢٨).

وسبب نزولها: إن عبد الله بن الزبير خاصم رجلاً من الأنصار في شَرِيج[1] من الحرَّة[2]، فاختصما إلى النبي ρ، فقال النبي ρ للزبير: «اسْقِ يا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ρ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ[3]، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»[4]. ثم خرجا فمرّا على المقداد بن الأسود[5] فقال: «لمن القضاء؟»، فقال الأنصاري: «قضى لابن عمته»، ولوى شدقه[6]، ففطن يهودي كان مع المقداد فقال: «قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم، وايم الله لو أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال: «اقتلوا أنفسكم»، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا، حتى رضي عنا». فقال ثابت بن قيس[7]: «أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها». فقال رسول الله ρ: «والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً، الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي»، فنزلت في ذلك: [وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ][8][9]، فـ(لو) حرف امتناع، و(أن) مصدرية أو تفسيريه؛ لأن [كَتَبْنَا] في معنى (أمرنا). والمعنى أن الله سبحانه لو كتب القتل والخروج من الدّيار على هؤلاء الموجودين من اليهود ما فعله إلا القليل منهم، أو لو كتب ذلك على المسلمين ما فعلوه إلا القليل منهم، وهم المخلصون من المؤمنين.

[وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] أي: لو أنهم فعلوا ما كلّفوا به وأُمروا به من متابعة الرسول ρ، وطاعته، والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهراً وباطناً وسُميت أوامر الله ونواهيه

---

(1) الشَّرجة: مسيل الماء من الحرّة إلى السّهل، والشَّرْج جنسٌ لها، والشِّراج جمعها. النهاية (٢/٤٥٦).

(2) الحرّة: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سودٌ كثيرة. معجم البلدان، (١/٣٦٥).

(3) الجِدْر: أصل الحائط. وقال ابن منظور: كل شيء تَحَدْرُ من علوٍ إلى سُفْلٍ». انظر: لسان العرب، (٤/١٧٢).

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: [حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ]، (٦/٩٢،٩١)، حديث رقم (١٠٧).

(5) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، حالف أبوه كندة، وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، صحابي مشهور، لم يثبت أنه كان ببدرٍ فارساً غيره، توفي سنة (٣٣هـ). تقريب التهذيب (٢/٢٧٢).

(6) المتشدِّق: المستهزئ بالناس، يلوي شدقه بهم وعليهم. النهاية (٢/٤٥٦).

(7) ثابت بن قيس بن شماس، خطيب الأنصار، ومن كبارهم، بشره النبي ρ بالجنة، واستشهد باليمامة، ونُفِّذت وصيته بمنامٍ رآه خالد بن الوليد بمكان الدرع، وأوصاه أن يأخذه وأن يسلمه لأبي بكر، وأن يطلب منه عتق عبيده عنه، وأن يبيع الدِّرع والأثاث ليؤدِّي بذلك دينه. تقريب التهذيب (١/١١٦،١١٧).

(8) النساء، الآية (٦٦).

(9) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(١٣٥،١٣٦).

مواعظ؛ لاقترانهما بالوعد أو الوعيد، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، وما كان كذلك فإنه يُسمَّى وعظاً. ثم أنه تعالى بين أنهم لو التزموا هذه التكاليف لحصلت لهم أنواع من المنافع: فالنوع الأول: قوله تعالى: [لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ] في الدنيا والآخرة. والنوع الثاني: قوله: [وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا]؛ لإقدامهم على الحق فلا يضطربون في أمر دينهم. النوع الثالث: قوله تعالى: [وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا]، [إذًا] جواب لسؤال مُقدر، كأنه قيل: ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت، فقيل: هو أن نؤتيهم من لدنا أجراً عظيماً. النوع الرابع: قوله: [وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] لا عوج فيه، ليصلوا إلى الخير الذي يناله من امتثل ما أُمر به، وانقاد لمن يدعوه إلى الحق[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

القراءة بالرفع [قَلِيلٌ] أجود عند جميع النحويين، قال أبو علي الفارسي: «الوجه في قولهم: (ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ) الرفع، وهو الأكثر والأشيع في الاستعمال، والأقيس، فقوّته من جهة القياس إن معنى: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، وما أتاني إلا زيدٌ واحدٌ، فكما اتفقوا على: ما أتاني إلا زيدٌ على الرفع، وكان: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، بمنزلته ومعناه» وأضاف: «ومما يُقوي ذلك أنهم في الكلام وأكثر الاستعمال يقولون: ما جاءني إلا امرأة، فيُذكّرون حملاً على المعنى، ولا يُؤنِّثون ذلك إلا في الشعر: قال:

برى النَّحْزُ والأجرالُ ما في غُروضِها ... فما بَقِيَتْ إلاّ الضُّلوعُ الجراشعُ[2]

فكما أجروه على المعنى في قوله، فلم يلحقوا الفعلَ علامة التأنيث: كذلك أجروه عليه في نحو: ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، فرفعوا الاسم الواقع بعد حرف الاستثناء»[3].

ويضيف ابن أبي طالب تعليلاً آخر لترجيح قراءة الرفع فيقول: لأن الثاني يُغني عن الأول، تقول: ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، وتقول: ما جاءني إلا زيدٌ فدل على الأول، ويُغني عنه من غير نقص في معناه، فاختير فيه (الرفع) مع ذكر (أحدٌ)؛ إذ لا يجوز فيه غير الرفع، مع حذف (أحد)». ثم يذكر علة أخرى فيقول: «وهو الاختيار؛ لأن أكثر المصاحف لا ألف فيها في (قليل)، ولأن عليه بُني الإعراب، وهو الأصل في الإعراب، وعليه جماعة القراء»[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٦٣/٤-١٦٤)، فتح القدير، (٤٨٥/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٧٠/٥). تفسير أبي السعود، (١٩٧/٢-١٩٨)، التفسير الكبير، (١٦٦/١٠-١٦٩).

(٢) البيت لذي الرِّمة في ديوانه، ص (٢٩٦)، والأَجْرال: الجمع جَرَل: المكان الصُّلْب الغَليظ الشَّديد من ذلك. والأَجْراز: الجمع جَرَز: الأرض التي لم يصبها مطر. الجُراشِع: الجمع جُشْع: العظيم الصَّدر، قال الجوهري: «من الإبل فخصص». الغُروض: الجمع غَرْض: حِزام الرَّحْل. انظر: لسان العرب. (١٠٨/١١)، (٣١٧/٥)، (٤٧/٨)، (١٩٣/٧).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٦/٢-٨٧).

(٤) الكشف، (٣٩٢/١).

ويقول ابن زنجلة: «واعلم أن الاختيار في الاستثناء، إذا كان منفياً وكان ما بعد (إلا) من جنس ما قبلها، فالرفع أولى على البدل، كقولك: ما في الدارِ أحدٌ إلا زيدٌ، والنصب جائز، فتقول: ما في الدارِ أحدٌ إلا زيداً وإذا كان ما بعد (إلا) ليس من جنس ما قبله، فالنصب أولى؛ كقولك: في الدارِ أحدٌ إلا حماراً، فنصبه على الاستثناء؛ لأن الحمار لا يكون من جنس الإنسان»(١)، وهو ما ذهب إليه أبو منصور أيضاً، فقال: «الرفع في [قَلِيلٌ]؛ لأن الأول منفي، والثاني مثبت، والاختيار الرفع في الاستثناء مع الجحد»(٢).

وقال الطبري: «وذلك إن معنى الكلام: ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعله إلا قليلٌ منهم، فقيل: (ما فعلوه) على الخبر عن الذين مضى ذكرهم في قوله: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ](٣) ثم استثنى (القليل) فرفع بالمعنى الذي ذكرنا، إذ كان الفعل منفياً عنه»(٤).

وساق أبو حيان دليلاً آخر على اختياره قراءة الرفع: فقال: «ونصَّ النَّحويون على أنَّ الاختيار في مثل هذا التركيب إتباع ما بعد (إلا) لما قبلها في الإعراب على طريقة البدل أو العطف، باعتبار مذهب البصريين، الذين قالوا برفع [قَلِيلٌ]، على البدل من الواو في (فعلوه)، وعلى العطف على الضمير على قول الكوفيين»(٥).

ثم إن الطبري مع ترجيحه لقراءة الرفع إلا إنه لا يُخطئ قراءة النصب، قال: «وهي في مصاحف أهل الشام [مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلاً] وإذا قُرئ كذلك فلا مَرْزِئة(٦) على قارئه في إعرابه، لأنه المعروف في كلام العرب، إذ كان الفعل مشغولاً بما فيه كنايةُ من قد جرى ذكره، ثم استثنى منهم (القليل)»(٧).

(٢٢/٢٢) الاختلاف في قوله: [كَأَن لَّمْ تَكُنْ] من قوله عز وجل: [وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً] الآية (٧٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تَكُنْ] فقرأ ابن كثير وعاصم: [تَكُنْ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَكُنْ] بالياء(٨).

(١) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٧).
(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٢٨).
(٣) النساء، الآية (٦٠).
(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٦٤/٤).
(٥) تفسير البحر المحيط، (٢٨٥/٣).
(٦) المَرْزِئَةُ والرَّزِيَّةُ: المُصِيبة، والجمع: أَرْزَاءٌ ورَزَايا. انظر: لسان العرب، (٨٦/١).
(٧) انظر: تفسير الطبري، (١٦٤/٤).
(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٥)، النشر، (٢٥٠/٢)، الإتحاف، ص(١٩٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ولَمْ يَكُ عَنْ دَارِمٍ دَارِمُهُ مَطْلُونٍ غيرُ شُبْهُدْ دِنا إدغامُ بِتَيَّ فِي حِرَّ لا[1]

ثانياً: توجيه القراءات:

الكَوْنُ: الحدَثُ ، قال الفراء: «العرب تقول في ذوات الياء مما يشبه حِ سُتْ وَرْتُ[2]: طِرْتُ طَيْرُورة، وحِدْتُ حَيدودة فيما لا يحصى من هذا الضرب، فأما ذوات الواو مثل قُلْتُ ورُضْتُ[3]؛ فإنهم لا يقولون ذلك، وقد أتى عنهم في أربعة أحرف: منها الكينونة من كُنت، والدَّيمومة من دُمْت، والهيعوعة من الهُواع[4]، والسَّيدودة من سُدْت. وكان ينبغي أن يكون كوْنُونة، ولكنها لما قَلَّت في مصادر الواو وكثرت في مصادر الياء ألحقوها بالذي هو أكثر مجيئاً منها، إذ كانت الواو والياء متقاربتي المخرج».

وفي قوله عز وجل: [تَكُ شَيْئًا][5]، [تَكُ] أصله (يكن)، فلما دخلت عليه [لَمْ] جزمتها، فالتقى ساكنان فحذفت الواو، فبقي (لم يكن)، فلما كثر استعماله حذفوا النون تخفيفاً، فإذا تحركت أثبتوها، قالوا: لَمْ يَكُنِ الرَّجل[6].

قوله عز وجل: [تَكُنْ] قرأ [يَكُنْ] بالتاء، تأنيث المودّة، وحُمل على ظاهر اللفظ، فأنّث الفعل لتأنيث لفظ المودّة، ودليله قوله تعالى: [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ][7][8].

وحجة من قرأ [يَكُنْ] بالياء، فلأنه لما فصل بين الاسم والفعل بفاصل، صار الفاصل كالعِوَض من التأنيث، بمعنى إنه أقام الفاصل مقام علامة التأنيث، وزاد ابن خالويه قائلاً: «أو إن تأنيثه ليس بحقيقي، أو إن المودّة بمعنى الود ، كما إن الموعظة بمعنى الوعظ، قال عز

---

(١) عنى الناظم رحمه الله بحرف (العين) في قوله: «عن» حفصاً، وبحرف (الدال) في قوله: «دارم» ابن كثير: انظر: المتن، ص(٤٨)، والوافي، ص(٢٤٦).

(٢) الحَيْد: ما شَخَصَ من نواحي الشَّيء، وجمعه أَحْياد وحُيود، وحَادَ عن الشَّيء حَيدودةً: مال عنه وعدل. انظر: لسان العرب، (٣/١٥٨-١٥٩).

(٣) هي من قولهم: راض الدَّابة يَروضها رَوْضاً ورِياضةً: إذا وطّأها وذلّلها أو علّمها السير. انظر: لسان العرب، (٧/١٦٤-١٦٥).

(٤) الهُواع: التَّقَيُّؤ بلا كُلْفة. والهُواعةُ: ما هاعَ به. انظر: لسان العرب، (٨/٣٧٧-٣٧٨).

(٥) مريم، الآية (٩).

(٦) انظر: لسان العرب، (١٣/٣٦٣-٣٦٤)، مختار الصحاح، ص(٥٨٣-٥٨٤).

(٧) البقرة، الآية (٤٨).

(٨) انظر: الكشف، (١/٣٩٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٨).

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ] [1]» وقال أبو منصور: «من قرأ بالياء كأن المودّة أُريد بها الود، فذُكِّر فعلها»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

حكى سبحانه في الآية السابقة عن المنافق وسروره وقت نكبة المسلمين، فقال: [وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا][3]، ثم حكى سبحانه عن حزن المُنافق عند دولة المسلمين بسبب أنه فاتته الغنيمة، فقال: [وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ] أيّ فضل كائن من الله تعالى[4]، ثم إنه سبحانه قبل أن يذكر هذا الكلام بتمامه ألقى في البين قوله: [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ] والمُراد التَّعجب، كأنه تعالى يقول انظروا إلى ما يقولُ هذا المنافق، كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبينه مودة ولا مُخالطة أصلاً وقوله: [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ] جملة مُعترضة بين الفعل الذي هو [لَيَقُولَنَّ] وبين مفعوله وهو: [يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا] لئلا يُفهم من مطلع كلامه أن تمنِّيه لمعيَّة المؤمنين لنصرتهم ومُظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البيْن من المودة، بل هو الحرص على المال كما ينطق به آخره، وليس إثبات المودة في البيْن بطريق التحقيق بل بطريق التهكم، أي أن قول المنافق: [يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ] على وجه الحسد، أو الأسف على فوات الغنيمة مع الشك في الجزاء من الله[5].

ويزيد الآية توضيحاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الواحدي القراءتين معاً: قائلاً: «وكلتا القراءتين قد جاء به التنزيل قال: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ][1]. وقال في آية أخرى: [فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ][2]

---

(١) البقرة، الآية (٢٧٥).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٢٨).

(٣) النساء، الآية (٧٢).

(٤) قال أبو السعود: «نسبة إصابة الفضل إلى جناب الله تعالى، دون إصابة المصيبة من العادات الشَّريفة التَّنزيلية، كما في قوله: [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] الشعراء (٨٠)». انظر: تفسير أبي السعود؛ (٢٠٠/٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (١٧٠.١٩٦/٤)، فتح القدير، (٤٨٧.٤٨٦/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٧٧.٢٧٦/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٠١.٢٠٠/٢)، التفسير الكبير، (١٨٠.١٧٨/١٠).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، (٢٦٦.٢٦٥/١). حديث رقم(٤٩).

فالتأنيث هو الأصل، والتذكير يحسن، إذا كان التأنيث غير حقيقي، سيما إذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل»[3].

ويوافقه أبو علي الفارسي في الرأي، ويقول: «كلا الأمرين قد جاء به التنزيل، فمن قرأ بالتاء: فلأن الفاعل المسند إليه الفعل مؤنث في اللفظ.ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث ليس بحقيقي» ثم يقول: «وحسن التذكير الفصل الواقع بين الفعل والفاعل، ومثل التذكير قوله: [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ][4]، وقوله: [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ] اعتراض بين المفعول وفعله، وكمال الآية قوله: [يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا] في موضع نصب، كقوله: [إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا]، في موضع نصب بقوله: [وَلَئِنْ] ،واتصاله بقوله: [قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا]. [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ]، أي لا يعاضدكم على قتال عدوكم، ولا يرعى الذمام الذي بينكم[5]».

وقال ابن أبي طالب في توجيهه لقراءة الياء: «وعلة من قرأه بياء أنه ذكر لأربع علل: الأولى: إنه لما فرق بين المؤنث وفعله، قام التفريق مقام التأنيث، وحسن التذكير. والثانية: إنه لما كان تأنيث الشفاعة غير حقيقي، إذ لا ذكر لها من لفظها ذكر؛ لأن التذكير هو الأصل، والتأنيث داخل عليه أبداً. والثالثة: إنه لما كان الشفاعة والشفيع بمعنى واحد، حمل التذكير على الشفيع. والرابعة: أن ابن مسعود وابن عباس قالا: إذا اختلفتم في الياء والتاء فاجعلوها ياءً»، ويقول ابن مسعود: «ذكّروا القرآن، وإذا اختلفتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء، فإنه أكثر ما جاء القرآن في هذا النوع أتى مذكراً بإجماع القراء قال تعالى: [قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ][6]، وقال: [فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ][7]، وهو كثير، أتى على التذكير إجماع، فكان حمل هذا على ما أجمعوا عليه»،ثم يضيف حجة ثالثة قائلاً: «ويقوي التذكير إجماع القراء على تذكير الفعل مع ملاصقته للمؤنث في قوله:

---

(1) يونس، الآية (57).

(2) البقرة، الآية (275)

(3) انظر: التفسيرالكبير، (179/10).

(4) هود، الآية (67)

(5) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (88/2).

(6) آل عمران، الآية (13).

(7) الأنعام، الآية (157).

وقال نسوة][1]، وقوله: [وإن كان طائفة][2]، فإذا جاء التذكير بغير حائل فهو مع الحائل أجود وأقوى»[3].

(٢٣/٢٣) الاختلاف في [تُظْلَمُونَ] من قوله عز وجل: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا] الآية (٧٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تُظْلَمُونَ][4]، فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: [يُظْلَمُونَ] بالياء، وقرأ الباقون: [تُظْلَمُونَ] بالتاء[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ولم يكُ عن دارمٍ تُظلمون غيبُ شُهْدٍ دنا إدغامُ بيَّتَ في حُلا [6].

ثانياً: توجيه القراءات:

الظلمُ: وضعُ الشَّيء في غير موضعه، ومن أمثال العرب في الشَّبه: (من أشْبه أباه فما ظَلم)[7] أي ما وضع الشبه في غير موضعه.

وأصل الظُّلم الجور ومُجاوزة الحدّ، ومنه حديث الوضوء: (فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظَلَمَ)[8]؛ أي أساء الأدب بتركه السُّنة والتّأدُّب بأدب الشّرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء[9].

يقال: ظَلَمه يَظْلِمُه ظَلْماً وظُلْماً ومَظلمة، فالظَّلمُ بالفتح مصدرٌ حقيقي، والظُّلم بالضم: الاسم يقوم مقام المصدر، وهو ظالمٌ ومظلوم[1].

---

(١) يوسف، الآية (٣٠).

(٢) الأعراف، الآية (٨٧).

(٣) انظر: الكشف، (٢٣٨/١، ٢٣٩).

(٤) ولم يختلفوا في قوله: [يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا] النساء (٤٩)، إنه بالياء؛ لأجل إن قوله: [مَنْ يَشَاءُ] للغيب فرد عليه. انظر: كتاب السبعة، ص(٣٥).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٥)، النشر، (٢٥٠/٢)، الإتحاف، ص(١٩٢).

(٦) عنى الناظم رحمه الله بحرف (الشّين) في قوله: «شهد»حمزة والكسائي، وعنى بحرف (الدّال) في قوله: «دنا» ابن كثير، وهم الذين قرؤوا بالياء. انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٧).

(٧) انظر: كتاب أشهر الأمثال: للشيخ طاهر بن العلامة صالح الجزائري، (د/ط)، (١٩١٩م)، ص(٥٩).

(٨) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثا، (١٣٣/١).

(٩) انظر: فتح البارئ بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (د/ط)،(د/ت)،(٢٦١/١).

قد اختلف في قراءة [يُظْلَمُونَ] بالياء والتاء، فمن قرأ [يُظْلَمُونَ] بالياء؛ لأن الكلام جرى قبل ذلك بلفظ الخبر عنهم، فقال تعالى: [الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ] بمعنى أنهم ردُّوه على لفظ الغيبة. وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى فقال: «الحجة لمن قرأ بالياء قوله: [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى] ولم يقل (خير لكم)[2]».

ومن قرأ بالتاء فكأنه ضمّ إليهم في الخطاب النبي ρ والمسلمين فغُلّب الخطاب على الغيبة، والمعنى: لكم أيها المسلمون ما تفعلون من خير يوفّ إليكم، ويُجازى من أُمِرَ بالقتال فتثبّط عنه، بعد أن كان كُتِب عليه، واستدلوا بقوله عز وجل: [أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ][3] فالتاء جامعة للخطاب والغيبة، يُريد بذلك: أنتم وهم[4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ] تعجيب لرسول الله ρ من إحجامهم عن القتال، مع إنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه، حرّاصاً عليه بحيث كادوا يُباشرونه، كما يُنبئ عنه الأمر بكف الأذى، فإن ذلك مُشعر بكونهم بصدد بسطها إلى العدو بحيث يكادون يسطون بهم، وروي في سبب نزولها أنّ جماعةً من أصحاب رسول الله ρ منهم عبد الرحمن ابن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون[5] وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم، كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذىً شديداً، فيشكون ذلك إلى النبي ρ ويقولون: «يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء»، ويقول لهم النبي ρ: «كفوا أيديكم»، أي: أمسكوها عن قتال المشركين وحربهم فإني لم أؤمر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله ρ إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المُشركين كرهه بعضهم، وشق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[6].

قوله: [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ] أي؛ أدّوا الصلاة التي فرضها الله عليكم بحدودها، وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيراً لأبدانكم وأموالكم[7] وبناءُ القول

---

(1) انظر: لسان العرب، (١٢/٣٧٣)، مختار الصحاح، ص(٤٠٥).

(2) انظر: الكشف، (١/٣٩٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٨).

(3) النساء، الآية (٧٨).

(4) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٨٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٠٨).

(5) قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي القرشي، صحابي، والٍ، من مهاجري الحبشة، شهد بدراً وأحداً والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله ρ، واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة، توفي سنة (٣٦هـ). سير أعلام النبلاء، (١/١٦١).

(6) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(١٣٧).

(7) قال الرازي: «دلت الآية على إن إيجاب الصَّلاة والزَّكاة كان مُقدماً على الجهاد، وهذا هو التَّرتيب المطابق لما في العقول، ولأن الصَّلاة عبارة عن التَّعظيم لأمر الله، والزَّكاة عبارة عن الشَّفقة على خلق الله، ولا شك أنهما مقدمان على الجهاد». أنظر: التفسير الكبير، (١٠/١٨٥).

للمجهول مع أن القائل هو النبي ρ، للإيذان بكون ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى؛ ولأن المقصود بالذات والمُعتبر في التعجيب، إنما هو كمال رغبتهم في القتال، وكونهم بحيث احتاجوا إلى النهي.

وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مُستمرين على تلك الحالة، فلما هاجروا مع النبي ρ إلى المدينة وأُمِروا بالقتال في وقعة بدر، كرهه بعضهم وشقّ ذلك عليه، لكن لا شكّاً في الدين ولا رغبةً عنه، بل نفوراً عن الأخطار بالأرواح وخوفاً من الموت، بموجب الجبلّة البشرية. وذلك قول تعالى: [فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ] الخ وهو عطف على قوله: [كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ]، وعليه يدور أمر التعجيب، كأنه قيل: ألم تر إلى الذين كانوا حِرّاصاً على القتال فلما كُتب عليهم كرهه بعضهم.

قوله: [إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ] جواب لـ[لَمَّا] على أن [فَرِيقٌ] مبتدأ، و[مِنْهُمْ] متعلق بمحذوف وقع صفه له، و[يَخْشَوْنَ] خبره، وتصديره بـ[إِذَا] المفاجأة، لبيان مسارعتهم إلى الخشية، وآثر ذي أثير من غير تلعثم وتردد.

ولعل توجيه التعجب إلى الكلّ مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى. وقوله تعالى: [كَخَشْيَةِ اللَّهِ] أي يخشونهم مشبّهين لأهل خشية الله تعالى، فخشية الله على ما طُبع عليه البشر من المخافة لا على المُخالفة، وقوله: [أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً] أي عندهم وفي اعتقادهم، ولما فاجأ فريق منهم خشية الناس [قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا] أي هلا أخرتنا؛ يريدون المهْلة إلى وقتٍ آخر قريب، من الوقت الذي فُرض عليهم فيه القتال، فأمره سبحانه بأن يُجيب عليهم فيقول: [قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ] سريعُ الفناء لا يدوم لصاحبه [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى] أي ثواب الآخرة خير لكم من هذا المتاع القليل، وإنما قيل [لِمَنِ اتَّقَى] حثاً لهم على اتقاء العصيان والإخلاص بمواجب التّكليف. ثم قال سبحانه: [وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا] أي لا يُنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه. والفتيل: ما في شق النواة من الخيط[١]، يضرب به المثل في القلّة والحقارة[٢].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «التاء للخطاب والياء للغيبة، وكلتا القراءتين جيدة»[٣]. أما أبو علي الفارسي فقد رجح قراءة [تُظْلَمُونَ] بالتاء، معللاً ذلك بقوله: «من قرأ بالتاء فكأنه ضم إليهم في الخطاب النبي ρ والمسلمين، فغلّب الخطاب على الغيبة»

---

(١) انظر: غريب القرآن، ص(٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٧٥.١٧٣/٤)، فتح القدير، (٤٨٩.٤٨٨/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٢.٢٨١/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٠٤.٢٠٣/٢)، التفسير الكبير، (١٨٧.١٨٤/١٠).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص(١٣١).

ثم يذكر دليلاً آخر لصحة ترجيحه، فيقول: «ويؤكد الفتح قوله: [قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ] وما في [قُلْ] من الخطاب»(١). وزاد ابن أبي طالب على ذلك بقوله: «ومخاطبة النبي ρ خطاب لأمته، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ](٢)» ثم يقول: «وهو الاختيار؛ لأن الأكثر من القراء عليه، ولإجماع نافع وابن عامر وعاصم وأبي عمرو عليه»(٣). وهو اختيار الإمام الرازي أيضاً(٤).

(٢٤/٢٤) الاختلاف في: [فَتَبَيَّنُوا] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] الآية (٩٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التاء والنون من قوله عز وجل: [فَتَبَيَّنُوا]، فقرأ حمزة والكسائي: [فَتَثَبَّتوا] بالثاء(٥)، وقرأ الباقون: [فَتَبَيَّنُوا] بالتاء والنون(٦).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

و فيها وتحت الفتح قُلْ فتَثَبَّتوا من الثَّبْتِ والغيرُ البيَانَ تبدَّلا(٧).

ثانياً: توجيه القراءات:

البيَان: ما بُيِّن به الشيء من الدّلالة وغيرها. ومن ذلك قولهم: بان الشيء بياناً؛ أي اتضح؛ فهو بيّنٌ، والجمع: أَبْيِناء، قال ابن منظور: «التِّبيان: مصدر، وهو شاذ؛ لأن المصادر إنما تجئ على تَفْعَال بفتح التاء، مثال: التَّذكار، والتَّكرار، ولم يجئ بالكسر إلا حرفان، وهما التِّبيان، والتِّلقاء»، وقال الكسائي: «التَّبيين: التّثبُّت في الأمر والتأني فيه، ويُقال: تثبَّت في الأمر

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٨/٢).

(٢) الطلاق، الآية (١).

(٣) الكشف، (٣٩٣/١).

(٤) التفسير الكبير، (١٨٦/١٠).

(٥) وكذلك في قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا] الحجرات (٦)، قرآ: [فَتَثَبَّتوا]، وقرأ الباقون بالياء والنون. كتاب السبعة، ص(٢٣٦).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٦)، النشر، (٢٥١/٢)، الإتحاف، ص(١٩٣).

(٧) أشار الناظم في البيت السابق لهذا البيت بكلمة (شاع) فحرف (الشين) منها يعنى به حمزة والكسائي، وقوله: «تحت الفتح» أي سورة الحجرات، وقوله: «والغير البيان تبدلا» أي وضعوا البيان فكان التثبت فقرؤوا: [فَتَبَيَّنُوا]. انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٨).

والرَّأي، واستثبت: تأنَّى فيه ولم يعجل. ويُقال: استثْبت في أمره: إذا شاور وفحص عنه». قال ابن منظور: «والمعنيان متقاربان»(١).

قوله عز وجل: [فَتَبَيَّنُوا] فيه قراءتين أولهما: بالياء من (البيان)، والحجة في ذلك: أن التبيَّن ليس وراءه شيءٌ، وقد يكون (تبيَّنت) أشد من (تثبَّتُّ)؛ لأن كل من تبيَّن أمراً فليس يتبينه إلاّ بعد تثبت، ظهر له ذلك الأمر أو لم يظهر له، لابد من التثبُّت مع التبيُّن، وقد جاء عن النبي ρ: (إلا أن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا)(٢). وجاء في الكشف أنه لما كان معنى الآية افحصوا عن أمر من لقيتموه، واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى تتبيَّن لكم حقيقة ما هو عليه من الدين، حُمل على التبيين(٣).

والقراءة الثانية: [فَتَثَبَّتُوا] بالثاء، والحجة في ذلك هو خِلاف الإقدام، والمُراد التأني، وخلاف التقدم، والتثبت أشد اختصاصاً بهذا الموضع، وذلك لأن معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني وترك الإقدام على القتل، دون تثبُّت وتبيُّن، ومما يُؤكد ذلك قوله: [وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا](٤) أي: أشد وقفاً لهم عما وُعظوا بأن لا يقْدموا عليه، وقولهم: تثبّت في أمرك، ولا يكاد يُقال في هذا المعنى تبين(٥).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

المقصود من هذه الآية المُبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبُّت فيه لئلا يسفكوا دماً حراماً بتأويل ضعيف، وقد بين سبحانه حكُم القتل بقسميه، وأن ما يُتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ ثم شرع في التحذير عما يؤدِّي إليه من قلّة المُبالاة في الأمور فقال: [ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] أي: سافرتم في الغزو، وقد استعار(٦) سبحانه (الضرّب) للسعي في قتال الأعداء، واستعار (السَّبيل) لدين الله، ولما في [إِذَا] من معنى الشرط صدَّر قوله تعالى: [فَتَبَيَّنُوا] بالفاء، أي: فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبّر ورويَّة وقُرئ: [فَتَثَبَّتُوا] أي: اطلبوا ثباته.

---

(١) انظر: لسان العرب، (٦٨.٦٧/١٣)، مختار الصحاح، ص(٧٢)، و(٨٢.٨١).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر، باب (   ).

(٣) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٩/٢)، الكشف، (٣٩٥.٣٩٤/١).

(٤) النساء، الآية (٦٦).

(٥) انظر: الكشف، (٣٩٤/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٨٩/٢).

(٦) الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، ولكنها أبلغ منه، كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة: رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة، فحذفت لفظ (رجلاً)، وحذفت الأداة، وحذفت وجه التشبيه (الشجاعة)، وأعضده بقرينة (المدرسة)، لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً. انظر: جواهر البلاغة، ص(٣٠٤.٣٠٣).

وا نخص سبحانه السفر بالأمر بالتبين، مع إن التبين والتثبت في أمر القتال واجبان حضراً وسفراً بلا خلاف، لأن الحادثة التي هي سبب نزول الآية كانت في السفر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لحق أناس من المسلمين رجلاً معه غنيمة له، فقال: (السلام عليكم)، فقتلوه و أخذوا غنيمته، فنزلت الآية: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا]»(1).

قوله: [وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا] عما هو نتيجة لترك المأمور به، وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين، وقُرِئ [السَّلَمَ] أي: لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد(2)، والمُراد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يُستدل به على إسلامه، ويقولوا: إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقيةً.

والاقتصار على ذكر تحية الإسلام . في القراءة الأولى . مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة، كما في سبب النزول للمُبالغة في النهي والزجر، والتنبيه على كمال ظهور خطئهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المُكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها، فكيف وهي مقرونة بهما.

قوله: [تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] أي تبتغون أخذ ماله، ويسمى متاع الدنيا: عرضاً؛ لأنه عارض زائل غير ثابت، وقوله: [فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ] تعليلٌ للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضِّمني، كأنه قيل: لا تبتغوا ماله، فعند الله مغانم كثيرة يُغنمكموها، فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه, ثم مَنَّ سبحانه عليهم بقوله: [كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ] أي: كنتم كفاراً، فحقنت دماؤكم، لما تكلّمتم بكلمة الشهادة، وكذلك كنتم من قبل، تخفون إيمانكم عن قومكم خوفاً على أنفسكم، حتى منّ الله عليكم بإعزاز دينه، فأظهرتم الإيمان وأعلنتم به.

وكرّر الأمر بالتبيين، فقال للمرة الثانية: [فَتَبَيَّنُوا] للتأكيد عليهم لكونه واجباً، لا فُسحة فيه ولا رُخصة، ثم قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] وهذا تحذير عن مُخالفة أمر الله، أي: احفظوا أنفسكم، وجنِّبوها الزّلل المُوبق لكم(3).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الإمام أبو منصور القراءتين معاً، قائلاً: «التثبّت والتبيّن، بمعنى واحد»، قال الفراء: «تقول العرب للرّجل لا تعجل بإقامة حتى تتبيّن وحتى تتثْبت»(4).

---

(1) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(١٤٢).

(2) وهي بلغة قريش. انظر: اللغات في القرآن، ص(٢٢).

(3) انظر: تفسير الطبري، (٢٢٩.٢٢٣/٤)، فتح القدير، (٥٠٢.٥٠١/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٤١.٣٣٦/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٢٠.٢١٨/٢)، التفسير الكبير، (٦.٢/١١).

(4) كتاب معاني القراءات، ص(١٣٢).

وهو اختيار الطبري أيضاً، حيث يقول: «والقول عندنا في ذلك إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ، لأن (المتثبت) متبين، و(المتبين) متثبت، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك»(١). وهو رأي الزمخشري أيضاً، باعتبار إنهما من التفعُّل بمعنى الاستفعال(٢). وكذلك أبو حيان يرى إنهما متفقتان فيقول: «كلاهما (تفعّل) بمعنى (استفعل) التي للطلّب؛ أي: اطلبوا ثبات الأمر وبيانه، ولا تقدموا من غير رويّة وإيضاح»(٣).

في حين يرى أبو عبيدة إنهما متقاربان، ويوافقه ابن عطية قائلاً: «والصحيح ما قال أبو عبيدة لأن تبيّن الرجل لا يقتضي إن الشيء بان، بل يقتضي مُحاولة للتبيين، كما أن تثبّت يقتضي مُحاولة للتبيين، فهما سواء»(٤).

ويقول الرازي: «والمعنيان مُتقاربان، فمن رجح التثبت، قال إنه خلاف الإقدام، والمُراد في الآية التأني وترك العجلة، ومن رجح التبيين قال المقصود من التثبت التبيين، فكان التبيين أبلغ وأكمل»(٥). وهو بذلك كأنه يرجح القراءة بالياء.

وهو ما يراه ابن أبي طالب فيقول: «الاختيار القراءة بالياء لعموم لفظها، ولأن أكثر القراء عليه، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيدة»(٦) وقال القرطبي: «فتبيّنوا في هذا أوكد، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين»(٧).

ومن الملاحظ أن أبو علي الفارسي، لم يرجح أي قراءة، بل كان يؤكد على كل قراءة بعد توجيهها، فمثلاً يقول: «من قال: [فَتَثَبَّتوا] بالثاء فإن التثبت هو خلاف الإقدام، والمُراد التأني»، ثم يقول: «و التثبت أشد اختصاصاً بهذا الموضع، ومما يبين ذلك قوله: [وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً](٨) أي: أشد وقفاً لهم عما وُعظوا به بأن لا يُقدموا عليه». ويمضي فيقول في توجيه القراءة الثانية [فَتَبَيَّنُوا] بالتاء: «حجته إن التبيّن ليس وراءه شيء وقد يكون تبيّنت أشد من تثبت، والدليل على ذلك قوله ρ: (التبيّن من الله، والعجلة من الشّيطان)(٩) فمُقابلة التبيّن بالعجلة دلالة على تقارب التثبّت

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٢٧/٤).
(٢) انظر: الكشاف، (٥٥٤/١).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، (٣٢٨/٣).
(٤) المصدر السابق.
(٥) انظر: التفسير الكبير، (٢/١١).
(٦) الكشف، (٣٩٥/١).
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٨/٥).
(٨) النساء، الآية (٦٦).
(٩) سبق تخريجه في ص(   ).

والتبيُّن»، ثم يقول: فالتبيُّن على هذا أولى من التثبُّت»[1]، وهو بذلك كأنه يصوِّب القراءتين معاً.

(٢٥/٢٥) الاختلاف في [السَّلَامَ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] الآية (٩٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [السَّلَامَ] فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وعاصم: [السَّلَامَ] بالألف، وقرأ الباقون: [السَّلَمَ] بفتح اللام بغير ألف، وعن أبان[2] عن عاصم [السِّلْمَ] بالكسر وتسكين اللام[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَعَمَّ فَتًى قَصْرُ السَّلَامِ مُؤَخَّرًا ... وَغَيْرُ أُولِي بِالرَّفْعِ فِي حَقِّ نَهْشَلَا[4].

ثانياً: توجيه القراءات:

السَّلام: التَّحية، ومن ذلك حديث التسليم: (لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى، وَلَكِنْ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ)[5] قال ابن برِّي[6]: «هذه إشارة إلى ما جرت به عادتهم في المراثي، كانوا يُقدِّمون ضمير الميت على الدُّعاء له، وإنما فعلوا ذلك لأن المُسلِّم على القوم يتوقَّع الجواب، وأن يُقال له: عليك السلام، فلما كان الميت لا يُتوقع منه جواب، جعلوا السلام عليه كالجواب». قال ابن منظور معقباً: «هذا في الدعاء بالخير والمدح، أما الشر فيُقدم الضمير كما في قوله: [عَلَيْكَ لَعْنَتِي][7] وكقوله: [عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ][1]».

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٩٥/١).

(٢) أبان بن تغلب الربعي، أبو سعد الكوفي النحوي، قرأ على عاصم وأبي عمرو الشيباني والأعمش، توفي سنة (١٤١هـ). غاية النهاية (٤/١).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٦)، النشر، (٢٥١/٢)، الإتحاف، ص(١٩٣).

(٤) عنى الناظم بكلمة (عمّ) نافع وابن عامر، وبحرف (الفاء) في كلمة (فتى) حمزة، وقيّده بقوله: «مؤخرا» ليُخرج الموضعين قبله، وهما قوله: [وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ] النساء (٩٠)، وقوله: [وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ] النساء (٩١)، إذ لا خلاف في قصرهما، وكذلك: [وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ] النحل (٨٧). انظر: المتن، ص(٤٨) الوافي، ص(١٨٣).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، (٣٥/٤).

(٦) عبد الله بن برِّيٍّ بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري، أبو محمد، ابن أبي الوحش، من علماء العربية النابهين، وُلِّي رياسة الديوان المصري، له (شرح شواهد الإيضاح) وحواش على صحاح الجوهري وتوفي سنة (٥٨٢هـ) بمصر. بغية الوعاة، ص(٢٧٨).

(٧) ص، الآية (٧٨).

ويُقال: السلام عليكم، وسلامٌ عليكم، وسَلامٌ . بحذف عليكم .، ولم يرد في القرآن إلا منكَّراً، كقوله تعالى: [سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ][(٢)] فأما في تشهد الصلاة، فيُقال فيه معرّفاً ومُنكّراً [(٣)].

والسَّلَم: الاستسلام وإلقاء المقادة إلى إرادة المسلمين وأخذه سَلَماً: أسره من غير حرب[(٤)]، قوله [السَّلَامَ] قرئ [السَّلَم] بفتح السين وحذف الألف: على معنى الاستسلام والانقياد، ومنه قوله عزوجل: [وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ][(٥)] أي: استسلموا لأمره ولما يُراد منهم، ولم يكن لهم من ذلك محيصٌ [(٦)]، فالمعنى على هذه القراءة: لا تقولوا لمن استسلم إليكم وانقاد، لست مسلماً فتقتلوه، حتى تتبينوا أمره[(٧)].

وأما من قال: [السِّلْم] بكسر السين وحذف الألف، قال أبو علي الفارسي:«الإسلام، مصدر أسلم أي صار (سِلْماً)، وخرج عن أن يكون (حرباً)، قال الشاعر:

فإن السِّلْمَ زائدةٌ نَوالاً وإن نَوَى المحُاربِ لا تَؤُوبُ [(٨)]»

فالمُسالم: خلاف المُحارب، وقال تعالى: [ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً][(٩)] والسِّلْم: الصُّلح، وقد يُفتح فيُقال: السَّلْمُ : ومنه قوله تعالى: [وَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ][(١٠)] أي: لا تدعوا إلى الصُّلح والمسالمة، ولكن قاوموهم وقاتلوهم، تَعَلْوا عليهم وتَعْلوا كلمتكم[(١١)].

وأما من قرأ [السَّلَامَ] فحجته احتملت ضربين: أحدهما: أن يكون السّلام الذي هو تحية المسلمين، أي لا تقولوا لمن حيّاكم هذه التحية، إنما قالها تعوّذاً, فتقدموا عليه بالسيف، ولكن كفّوا عنه، وأقبلوا منه ما أظهره من ذلك، وارفعوا عنه السّيف. ودليله أن المقتول قال لهم: (السلام عليكم)، فقتلوه وأخذوا سلبه، فأعلم الله: إن من حق من ألقى السّلام أن يتبيّنوا أمره.

---

(١) الفتح، الآية (٦).

(٢) الرعد، الآية (٢٤).

(٣) صيغة التشهد عند المالكية والحنابلة والحنفية: (السلام عليك أيها النَّبي ورحمة الله وبركاته، السَّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، أما الشافعية فقد قالوا: (سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين). انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، (٨٥٥،٨٥٤/٢).

(٤) انظر: لسان العرب، (٢٩٥،٢٨٩/١٢)، مختار الصحاح، ص(٣١١).

(٥) النحل، الآية (٧٨)

(٦) انظر: فتح القدير، (١٨٧/٣).

(٧) انظر: الكشف، (٣٩٥/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩١/٢)، إملاء ما من به الرحمن، (١٠٧/١).

(٨) هو لرجل من دوس، انظر: شرح شواهد الإيضاح، ص(٥٠٠).

(٩) البقرة، الآية (٢٠٨).

(١٠) محمد، الآية (٣٥).

(١١) فتح القدير، (٤١/٥).

والآخر: أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن اعتزلوكم، وكفّوا أيديهم عنكم، ولم يقاتلوكم: لست مؤمناً. وحكى الأخفش[1] قال: أنا سَلامٌ: أي مُعتزلٌ عنكم، لا نخالطكم، ومنه قوله: [إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا][2] لم يُخبر عنهم أنهم حيّوهم، إنما معناها: قالوا براءة منكم لا نخالطكم[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيح ذلك في النص السابق[4].

رابعاً ترجيح القراءات:

صوب القرطبي جميع القراءات، موافقاً بذلك قول البخاري[5]: «السَّلْم والسِّلْم والسَّلام واحد»، ثم قال: «وقرئ بها كلها»[6]. وقال الشوكاني: «السَّلم والسَّلام معناهما واحد»[7]، وقال الزمخشري «السَّلم والسَّلام، وهما الاستسلام»[8].

بينما نجد إن ابن أبي طالب قد رجح قراءة [السَّلامَ] بالألف قائلاً: «الألف أحبّ إليّ؛ لأن أكثر القرّاء عليه، ولأنه أبين في المعنى، وقد رُوي في ما قال لهم الرجل الذي قتلوه، ونزلت هذه الآية بسببه، إنه قال لهم: «أني مسلم» وروى أنه شهد أن لا إله إلا الله، فلم يُصدقوه، وقتلوه، وروي أنه قال لهم: «السَّلام عليكم»، فاتهموه وقتلوه، وهذا كله يدل على السَّلام»[9] وهو اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام. أيضاً[10].

واختار الطبري قراءة [السَّلْم] بفتح السين بغير ألف، ويصوبها قائلاً: «والصّواب من القراءة في ذلك عندنا: [لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ] بمعنى: من استسلم لكم، مذعناً لله بالتوحيد، مقراً لكم بملتكم»، ويعلل اختياره هذا بقوله: «وإنما اخترنا ذلك، لاختلاف الرواية في ذلك، وكل هذه المعاني يجمعه [السَّلَم]؛ لأن المُسلِّم مستسلم، والمُحيّ بتحية الإسلام مستسلم، والمُشهد شهادة الحق مستسلم

---

(١) هارون بن موسى بن شريك أبو عبد الله، الأخفش الدمشقي، مقرئ، ثقة، نحوي، شيخ القراء بدمشق، أخذ القراءة عرضاً وسماعاًعن ابن ذكوان، وقرأ باختيار أبي عبيد القاسم بن سلام، وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان، توفي سنة (٢٩٢هـ). انظر: غاية النهاية، (٢/٢٤٧-٢٤٨).

(٢) الفرقان، الآية (٦٣).

(٣) فتح القدير، (٤/٨٥).

(٤) انظر: ص( ).

(٥) محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ρ، صاحب (الجامع الصحيح)، ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خَرْتنك فتوفي فيها سنة (٢٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (١٢/٣٩١-٣٩٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٣٣٨).

(٧) انظر: فتح القدير، (١/٥٠١).

(٨) انظر: الكشاف، (١/٥٥٤).

(٩) الكشف، (١/٣٩٥-٣٩٦).

(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥/٣٣٨).

لأهل الإسلام، فمعنى [السَّلْم] جامع جميع المعاني التي رُويت في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه هذه الآية» ثم يقول: «وليس ذلك في [السَّلام]؛ لأن (السلام) لا وجه له في هذا الموضع إلا التّحية، فلذلك وصفنا [السَّلْم] بالصواب»(1).

(٢٦/٢٦) الاختلاف في [غَيْرُ] من قوله تعالى: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (٩٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في رفع الراء ونصبها من قوله عز وجل: [غَيْرُ]، فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابن كثير: [غَيْرَ] بالنصب، وقرأ الباقون: [غَيْرُ] برفع الراء(2).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَعَمَّ فَتىً قَصْرُ السَّلاَمَ مُؤَخَّراً ... وغَيْرُ أُولِي بالرَّفْعِ في حَقِّ نَهْشَلا(3).

ثانياً: توجيه القراءات:

غَيْرُ: هي من حروف المعاني، تكون نعتاً(4)، وتكون بمعنى لا النافية فتُنصب على الحال، كقوله [فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ](5)(6) وقيل: غير بمعنى سوى(7)، والجمع أغيار. وهي كلمة يُوصف بها ويُستثنى، فإن وُصفت بها اتبعتها بإعراب ما قبلها، مثل قوله: [نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ](8) وإن استثنيت بها أعربتها بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد (إلا) كقولك: جاء

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٢٨،٢٢٧/٤).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٧)، النشر، (٢٥١/٢)، الإتحاف، ص(١٩٣).

(٣) اشار الناظم بحرف (الفاء) في (في) إلى حمزة، وبكلمة (حتى) إلى ابن كثير وأبو عمرو، وبحرف (النون) من كلمة (نشهلا) إلى عاصم. ونهشل اسم قبيلة. انظر: المتن، ص (٤٨)، الوافي، ص (٢٤٨).

(٤) هو التابع المقصود بالاشتقاق وضعاً مثل (مررتُ برجلٍ كريم)، أو تأويلاً مثل (رأيت غلاماً ذا مالٍ) أي: صاحب مال، والذي يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه، أو فيما له تعلق فيه. انظر: معجم القواعد العربية، ص(٥١٥،٥٠٦).

(٥) البقرة، الآية (١٧٣).

(٦) في هذه الحالة تعترض بين الخافض والمخفوض، نحو: (حضر بلا كتابٍ) وهي بمعنى (غيرِ) مجرورة بالياء وما بعدها مضاف إليه، وهذا عند الكوفيين. انظر: معجم القواعد العربية، ص(٣٦٦).

(٧) الشائع في مذهب ابن مالك ومن تبعه: أن (سوى) كـ(غير) معنىً وإعراباً، فتخرج عن النصب إلى الرفع والجر، والفرق بين (سوى) (غير) في ثلاثة أمور: أحدها: إعرابها، على رأي جمهور البصريين. والثاني: أن المستثنى بـ(غير) قد يحذف إذا فهم المعنى نحو (ليس غيرُ). الثالث: أن (سوى) تقع صلةً للموصول في فصيح الكلام بخلاف (غير)، نحو (جاء الذي سِواك). وهذا دليل الجمهور على أنها من الظروف اللازمة. انظر: معجم القواعد العربية ص(٢٦٣).

(٨) فاطر، الآية (٣٧).

القومُ غيرَ زيدٍ، بالنصب، وكقولك: وما جاءني أحدٌ غيرُ زيد، بالنصب والرفع، وذلك لأن أصل (غير) صفة، والاستثناء عارض[١].

قال الزجاج: «من قرأ [غَيْرُ] بالرفع، فمن جهتين: إحداهما: أن يكون [غَيْرُ] صفة للقاعدين، وإن كان أصلها أن تكون صفة للنكرة[٢]، المعنى: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: لا يستوي القاعدون الأصحاء والمُجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين. وجاء في الكشف: أن [غَيْرُ] في هذا كالتي في قوله: [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ][٣] فأتت [غَيْرُ] صفة (للذين) إذ لا يُقصد بهم قصد أشخاص بأعيانهم، فاللفظ لفظ المعرفة، والمعنى معنى النكرة، فلذلك وُصفوا بـ[غَيْرُ]، وهي لا تكون إلا صفة النكرة.

والجهة الثانية: يجوز أن يكون [غَيْرُ] رفعاً على الاستثناء؛ المعنى: لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولو الضرر، فإنهم يساوون المجاهدين؛ لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر». وقال أبو منصور: «من رفع [غَيْرُ] فعلى أنه نعت للقاعدين»[٤].

وحجة من نصب [غَيْرَ] جعله استثناءً من القاعدين، بمعنى (إلاّ) فأعربها إعراب الاسم بعد (إلا)، والمعنى: لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر، قال الزجاج: «ويجوز أن تكون [غَيْرَ] منصوبة على الحال: لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون. كما تقول: جاءني زيدٌ غيرَ مريض؛ أي: جاءني زيدٌ صحيحاً». وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلاً: «حجتهم في ذلك أن الأخبار تظاهرت بأن هذه الآية لما نزلت شكا ابن أم مكتوم[٥] إلى رسول الله ρ عجزه عن الجهاد في سبيل الله، فاستثنى الله أهل الضرر عن القاعدين، وأنزل: [غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ]»[٦].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في هذه الآية التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد، من غير عُذر، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه، وهو وإن كان معلوماً لكن أراد سبحانه بهذا

---

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري، (ط/٥)، (١٩٧٩م)، ص(٢٠٩-٢١٣)، ومعجم القواعد العربية في النحو والصرف: عبد الغني الدقر، (ط/١)، (١٩٨٦م)، ص(٣١٥-٣١٧).

(٢) قال جمال الدين الأنصاري: «يريد أن (غيراً) لا تتعرّف بإضافتها إلى المعرفة، فيُقال: (هذا رجلٌ غير الذي زارك)»، انظر: مغنى اللبيب، ص(٢١٠).

(٣) الفاتحة، الآية (٧).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٠)، الكشف، (٣٩٦/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٢).

(٥) عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصمّ، من السابقين المُهاجرين، وكان ضريراً، مؤذناً لرسول الله ρ مع بلال، هاجر بعد وقعة بدر بيسير، وقد كان النبي ρ يستخلفه على المدينة واستشهد يوم القادسية. انظر: سير أعلام النبلاء، (٣٦٠/١-٣٦٥).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٠). الكشف، ص(٣٩٦/١).

الإخبار تنشيط المجاهدين ليرغبوا، وتبكيت القاعدين ليأنفوا، ثم قال: [غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ]، الضَّرر: المرض أو العاهة، من عمى أو عرجٍ أو زمانةٍ أو نحوها، وفي معناها: العجز عن الأُهْبة، عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنت إلى جنب رسول الله ρ فغشيته السكينة، فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اكتب» فكتبت: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ]، فقال ابن أم مكتوم، وكان أعمى: «يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين» فغشيته السكينة كذلك ثم سُرِّي عنه فقال: «اكتب: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ]»»(١).

وقوله: [وَالْمُجَاهِدُونَ] إيرادهم بهذا العنوان دون الخروج المُقابل لوصف المعطوف عليه، وكذا تقييد المُجاهدة بكونها في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، لمدحهم بذلك، والإشعار بعلّة استحقاقهم لعلوِّ المرتبة، مع ما فيه من حسُن موقع السبيل في مُقابلة القُعود، وتقديم القاعدين في الذكر والإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبيء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم.

ثم قال سبحانه: [فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً] وهو استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما إجمالاً ببيان كيفيته وكميته. وتنكير [دَرَجَةً] وتنوينها: للتفخيم. وقوله: [وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى] أي: كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعده الله الحسنى، أي: المثوبة، وهي الجنة. قال الجكني: «يؤخذ من قوله في هذه الآية: [وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى] أن الجهاد فرض كفاية، لا فرض عين؛ لأن القاعدين لو تركوا فرضاً لما ناسب ذلك وعده الصادق لهم بالحسنى، وهي الجنة والثواب الجزيل»(٢).

وقد ختم سبحانه الآية بقوله: [وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا] والمعنى: فضّل الله لمجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر أجراً عظيماً.

ومن الملاحظ أن الله سبحانه ذكر في هذه الآية أنه فضّل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجراً عظيماً، ولم يتعرّض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض ولكنه بيّن ذلك في موضع آخر بقوله: [لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ](٣)(١).

---

(١) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(١٤٥).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٣٩٩/١).

(٣) الحديد، الآية (١٠).

وقد بين النبي ρ: أن من خلفه العذر، إذا كانت نيّته صالحة يحصل ثواب المجاهد، عن أنس أن رسول الله ρ قال: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة [غَيْرَ] بالنصب، قائلاً: «القراءة بالنصب أحب إليّ، وهو اختيار أبو عبيدة»، ثم يعلل قائلاً: «فلو كان صفة لم يكن النزول في قوله: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ]، وهذه الآية إلا في وقت واحد، فلما نزل [أُولِي الضَّرَرِ] في وقت بعد وقت نزول [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ] عُلم أنه استثناء إذ لو كان صفة لنزل مع القاعدين في وقت واحد، وقد ثبت إنهما نزلا في وقتين»[3].

وهو اختيار الطبري أيضاً، حيث يقول: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا: [غَيْرَ] بالنصب؛ لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله: [غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ] نزل بعد قوله: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ] استثناءً من قوله: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ]»[4].

ولم يتطرق أبو علي الفارسي إلى ترجيح أي قراءة منهما، ولكنه ذكر أن أبا الحسن[5] قال: «وبها نقرأ»، يقصد قراءة النصب[6].

بينما نجد أن الرازي يرجح القراءة بالرفع، ويقول: «وقال آخرون، القراءة بالرفع أولى؛ لأن الأصل في كلمة [غَيْرُ] أن تكون صفة، ثم إنها وإن كانت صفة فالمقصود والمطلوب من الاستثناء حاصل منها، لأنها في كلتا الحالتين أخرجت أولي الضرر من تلك المفضولية»، ثم يعقب قائلاً: «وإذا كان هذا المقصود على كلا التقديرين، وكان الأصل في كلمة [غَيْرُ] أن تكون صفة، كانت القراءة بالرفع أولى»[7].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٣٣.٢٢٩/٤)، فتح القدير، (٥٠٣/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٤.٣٤١/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٢١/٢)، التفسير الكبير، (١٠.٦/١١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الجهاد، (١٣٥/٣).

(٣) الكشف، (٣٩٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٢٩/٤).

(٥) روح بن عبد المؤمن، الهذلي، أبو الحسن البصري، المقرئ، صدوق، توفي سنة (٣٣هـ). تقريب التهذيب، (٢٥٣/١).

(٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٢/٢).

(٧) انظر: التفسير الكبير، (٧/١١).

(٢٧/٢٧) الاختلاف في قوله: [نُؤْتِيهِ] من قوله عز وجل: [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (١١٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [نُؤْتِيهِ]، فقرأ أبو عمرو وحمزة: [يُؤْتِيهِ] بالياء، وقرأ الباقون: [نُؤْتِيهِ] بالنون[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَنُؤْتِيهِ بِالْيَا فِي حِمَاهُ وَضَمُّ يَدْ خُلُونَ وَفَتْحُ الضَّمِّ حَقٌّ صِرَى حَلا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

الإيتاء: الإعطاء، ويقال: تأتى لي إيتاء وآتاه إيتاء؛ أي أعطاه. ويقال: لفلان أتو؛ أي عطاء. ورجل ميتاء: أي مجاز معطاء. وآتاه: جازاه. قال الجوهري: «آتاه: أتى به، ومنه قوله تعالى: [آتِنَا غَدَاءَنَا][٣] أي ائتنا به»[٤].

من قرأ: [نُؤْتِيهِ] بالنون، أنه أجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، وحجتهم قوله قبله في آية: [وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا][٥] فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه. وزاد ابن أبي طالب: «ذلك بمنزلة قوله: [سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ][٦] بعد قوله: [بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ] وهو إجماع»[٧].

ومن قرأ: [يُؤْتِيهِ] بالياء، أي: فسوف يؤتيه الله، وهو من إخبار رسول الله ρ عن الله عز وجل، والحجة في ذلك؛ لأنه قرب من ذكر الله، وهو قوله: [مَرْضَاةِ اللَّهِ]، فجعلا الفعل بعده على لفظ ما تقدمه؛ ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في هذه الآية ما تفاوض به بني أُبيرق[١] من التدبير، وذكروه للنبي ρ، وكانوا ثلاثة إخوة بشر وبشير ومبشر، وأسير بن عروة[٢]، ابن عم لهم، نقبوا مشربة[٣]، لرفاعة

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٧)، النشر، (٢٥٢،٢٥١/٢) الإتحاف، ص(١٩٤).

(٢) أشار الناظم بحرف (الفاء) في (في) إلى حمزة، وحرف (الحاء) في كلمة (حماه) إلى أبو عمرو. انظر: المتن، ص(٤٨)، الوافي، ص(٢٤٨).

(٣) الكهف، الآية (٦٢).

(٤) انظر: لسان العرب، (١٧/١٤)، مختار الصحاح، ص(٥).

(٥) النساء، الآية (٧٤).

(٦) آل عمران، الآية (١٥١).

(٧) انظر: الكشف، (٣٩٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٢٦/٢).

(٨) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٢٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١١).

بن زيد(٤) في الليل، وسرقوا أدراعاً له وطعاماً، فعُثر على ذلك، فجاء ابن أخي رفاعة، واسمه قتادة بن النعمان(٥)، يشكوهم إلى النبي ρ، فجاء أسير بن عروة إلى النبي ρ، فقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ إِسْلامٍ وَصَلاحٍ يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلا ثَبَتٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: عَمَدْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلامٌ وَصَلاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَلا بَيِّنَةٍ، قَالَ: فَرَجَعْتُ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ ρ فِي ذَلِكَ، فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ρ، فَقَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) بَنِي أُبَيْرِقٍ (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ) مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ) إِلَى قَوْلِهِ (غَفُورًا رَحِيمًا))(٦).

النَّجوى: السِّر بين الاثنين، وهي مصدر وقد سُمي به الجماعة، قال تعالى: [إِذْ هُمْ نَجْوَى](٧) وهذه الآية وإن نزلت في مناجاة قوم ذلك السارق مع بعض إلا أنها في المعنى عامة، والمراد لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث، إلا ما كان من أعمال الخير(٨)، ثم أنه تعالى قد ذكر من أعمال الخير ثلاثة أنواع: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس. وإنما ذكر سبحانه هذه الأقسام الثلاثة؛ وذلك لأن عمل الخير إما أن

(١) بطن من الأنصار من الأزد، من القحطانية، ذكرهم ابن عبد البر في الاستيعاب، ولم يُبين هل هم من الأوس أو من الخزرج. انظر: معجم قبائل العرب، ص(٤/١).

(٢) أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم الأنصاري، من بني أبيرق، وعن محمود بن لبيب قال: «كان أسير بن عروة رجلاً منطقياً ظريفاً بليغاً حلواً، وكان مسلم فأتهم بالنفاق»، وقال ابن إسحاق: «نزلت فيه قوله: [لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ] النساء (١١٣)». انظر: الاستيعاب، (١٨٢/١. ١٩٠).

(٣) المشربة: بالفتح والضم هي الغرفة. انظر: لسان العرب، (٤٩١/١).

(٤) رفاعة بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وهو ظفر بن الخزرج، عم قتادة بن النعمان، وهو الذي سرق سلاحه وطعامه بني أبيرق. انظر: الاستيعاب، (٧٨/١. ٧٩).

(٥) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري، الظفري، صحابي، شهد بدراً، وهو أخو سعيد لأمه، توفي سنة (٢٣هـ). تقريب التهذيب (١٢٣/٢).

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في سورة النساء، (٢٢٨/٥. ٢٣٨).

(٧) الإسراء، الآية (٤٧).

(٨) قال الجكني: «وقد بين سبحانه في موضع آخر أن هذه المُناجاة من الشيطان ليحزن به المؤمنين، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] المجادلة الآيات (٩. ١٠)». انظر: أضواء البيان (٤٧٥/١).

يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة؛ أما إيصال الخير: فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية، وهو إعطاء المال، وأشار إليه بقوله: [إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ]، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعها عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: [أَوْ مَعْرُوفٍ]، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله: [أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ]، ولم يبين سبحانه هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أو لا؟ ولكنه أشار في مواضع أخر أن المراد الناس المرغب في الإصلاح بينهم هنا المسلمون، كقوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ](١)، وقوله: [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ](٢)، فتخصيصه المؤمنين بالذكر يدل على أن غيرهم ليس كذلك، كما هو ظاهر.

ولقد ثبت من الآية أن مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية، والدليل على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كُلُّ كَلامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ، إِلا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ)(٣).

ثم رغب سبحانه في هذه الخيرات فقال: [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ]، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للإيذان ببعد منزلتها، ورفعة شأنها، وقوله: [ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ] علة للفعل، والتقييد به؛ لأن الأعمال بالنيات، وأن من فعل خيراً لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان، وقوله: [فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ] بنون العظمة على الالتفات، وقرئ بالياء، وقوله: [أَجْرًا عَظِيمًا] يقصر عنه الوصف(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور القراءتين معاً، قائلاً: «النون والياء معناهما واحد، الله يؤتيه الأجر، لا شريك له» (٥).

بينما نجد إن ابن أبي طالب قد رجح قراءة النون قائلاً: «هو إجماع»(٦). وهو ما يراه أبو حيان أيضاً، فيقول: «وهو أبلغ من إسناده إلى ضمير الغائب»(٧).

واكتفى أبو علي الفارسي بتوجيه كل قراءة على حدة، ولم يتطرق إلى ترجيح أي قراءة(٨).

---

(١) الحجرات، الآية (١٠).

(٢) الأنفال، الآية (١).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب منه، حديث رقم (٢٣٣٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٧٦/٤)، فتح القدير، (٥١٤/١.٥١٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٢/٥.٣٨٥)، تفسير أبي السعود، (٢٣٢/٢)، التفسير الكبير، (٤٠/١١.٤٢).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٣٣).

(٦) الكشف، (٣٩٧/١).

(٧) انظر: تفسير البحر المحيط، (٣٤٩/٣).

(٨) الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٣/٢).

(٢٨/٢٨) الاختلاف في [يَدْخُلُونَ] من قوله عز وجل: [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا] الآية (١٢٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الياء وفتحها من قوله عز وجل: [يَدْخُلُونَ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة: [يُدْخَلُونَ] بضم الياء[١]، وقرأ الباقون: [يَدْخُلُونَ] بفتح الياء[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيُؤْتيه باليْا فِي حَماهُ وَضَمُّ يَدْ خُلُونَ وَفَتْحُ الضَّمِّ حَقٌّ صرىً حَلا [٣].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه لفظ (الإدخال) لغوياً في النص رقم (٦/٦)[٤]. من قرأ قوله عز وجل: [يُدْخَلُونَ] بضم الياء قرأ على ما لم يسمى فاعله، طابق بذلك بين لفظي الفعلين، وهما: [يُدْخَلُونَ] [يُظْلَمُونَ] بمعنى أنهم أضافوا الفعل إلى غيرهم؛ لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله جلّ ذكره إياها، فهم مفعولون في المعنى، وأضاف ابن زنجلة قائلاً: «أي يُدخلهم، كقوله: [وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ][٥]»[٦].

ومن قرأ: [يَدْخُلُونَ] بفتح الياء وضم الخاء، أضاف الفعل إلى الداخلين بأمر الله عز وجل لهم، أي جعلهم مفعولين، وذلك لأن من أذن له الله في دخول الجنة كان هو الداخل. قال ابن خالويه: «وخالف بين الفعلين: [يَدْخُلُونَ] [يُظْلَمُونَ]؛ لأن الدخول إليهم، وترك الظلم ليس إليهم».

وذكر ابن زنجلة أنهم احتجوا بقوله: [ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ][٧] وقوله: [ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ][٨]، فكان أمر الله إياهم أن يدخلوها، دليلاً على إسناد الفعل إليهم[٩].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) وكذلك في قوله: [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا] مريم (٦٠) وفي قوله: [وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ] غافر (٤٠). انظر: المتن، ص(٤٨)، شرح الشاطبية، ص(١٨٤).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٨.٢٣٧)، النشر، (٢٥٢/٢)، الإتحاف، ص(١٩٤).

(٣) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبو عمرو، وحرف (الصاد) في كلمة (صرى) إلى أبي بكر والصِّرى: الماء المجتمع، وحَلا معناها: عذب. انظر: المتن، ص(٤٨)، والوافي، ص(٢٤٩.٢٤٨).

(٤) انظر ذلك في ص( ).

(٥) ابراهيم، الآية (٢٣).

(٦) انظر: الكشف، (٣٩٧/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٢).

(٧)الحجر، الآية (٤٦).

(٨) النحل، الآية (٣٢).

(٩) انظر: الكشف، (٣٩٨.٣٩٧/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٣)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٢٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٣.٢١٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٣/٢).

لمّا نزل قوله تعالى: [مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ](1)، قال أهل الكتاب للمسلمين: (نحن وأنتم سواء)، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: [وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا](2)(3).

وقوله: [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ] أي بعضها، حال كونه [مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى] حال، وكونه [وَهُوَ مُؤْمِنٌ]، وسر شرط الإيمان؛ لأن المشركين أدلوا بخدمة الكعبة وإطعام الحجيج وقرى الأضياف، وأهل الكتاب بسبقهم، وقولهم: [نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ](4)، فبين تعالى أن الأعمال الحسنة لا تُقبل من غير إيمان.

وقوله: [فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ] و[أُولَئِكَ] إشارة إلى العمل المتّصف بالإيمان، وكذلك [وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا] أي لا يُنقصون شيئاً حقيراً من ثواب أعمالهم، والنقّير: نقرة في ظهر النّواة منها تنبت النخلة، والمعنى: أنهم لا يُنقصون قدر منبت النواة(5).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلاً: «فالقراءتان متداخلتان؛ لأنهم إذا أُمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يُدخلهم الله إيّاها، فهم داخلون مُدْخلون»(6)، ووافقه الرازي بقوله: «وكلاهما حسن»، ثم يرجح قائلاً: «والأول أحسن، إشارة إلى [يَدْخُلُونَ]، لأنه أفخم ويدلّ على مُثيبٍ أدخلهم الجنة»(7) ويوافقه اليزيدي(8) قائلاً: «إذا كان بعد [يُدْخَلُونَ] ما يؤكد مثل [يُظْلَمُونَ] فالضم أولى؛ لأن الأخرى توكيد الأولى، وإذا لم يكن معها ذلك فالياء مفتوحة، مثل قوله: [جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا](9)»(10).

---

(١) النساء، الآية (١٢٣).

(٢) النساء، الآية (١٢٣).

(٣) النساء، الآية (١٢٥).

(٤) المائدة، الآية (١٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٤/٢٩٥،٢٩٦)، فتح القدير، (١/٥١٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٥/ ٣٩٩)، تفسير أبي السعود، (٢/٢٣٦)، التفسير الكبير، (١١/٥٥،٥٦).

(٦) الكشف، (١/٣٩٨).

(٧) التفسير الكبير، (١١/٥٥).

(٨) محمد بن يحيى بن المبارك، المعروف باليزيدي، كان ثقة علامة، فصيحاً متواضعاً، إماماً في اللغة والأداب حتى قيل أملى عشرة آلاف من صدره عن أبي عمرو خاصة، غير ما أخذه عن الخليل وغيره، توفي سنة (٢٠٢هـ). غاية النهاية، (٢/٢٧٧).

(٩) الرعد، الآية (٢٣).

(١٠) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٢،٢١٣).

(٢٩/٢٩) الاختلاف في ﴿يُصْلِحَا﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآية (١٢٨).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الياء والتخفيف، وفتحها والتشديد من قوله عز وجل: ﴿يُصْلِحَا﴾، فقرأ الكوفيون: ﴿يُصْلِحَا﴾ بضم الياء والتخفيف من غير ألف، وقرأ الباقون: ﴿يَصَّالَحَا﴾ بفتح الياء والتشديد وبألف بعد الصاد[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويَصَّالَحا فاضمُمْ وسَكِّن مخفِّفاً ... مع القصرِ واكسِرْ لامَهُ ثابتاً تَلا[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

الصُّلح: بالضم: تَصالح القوم فيما بينهم. والصُّلح: السِّلم. ومن ذلك قولهم: قد اصطلحُوا وصالحُوا واصَّلحُوا وتَصالحُوا واصَّالحوا، مشدَّدة الصَّاد، قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد. والصِّلاح بكسر الصاد: مصدر المُصالحة، والعرب تؤنِّثها، والاسم الصُّلح يُذكر ويُؤنث، قال بشر بن أبي حازم[3]:

يَسُومُونَ الصِّلاحَ بذاتِ كهفٍ ... وما فيها لهم سَلَعٌ وقَارُ.

فقوله (ما فيها) أي: وما في المُصالحة، ولذلك أنَّث الصِّلاح[4].

حجة الكوفيون أن العرب إذا جاءت مع (الصُّلح) بـ(بين) قالت: أصلح القومُ بينهم، وأصلح الرجلانِ بينهما، فقالوا: أصلحوا، كما قال سبحانه: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[5] وإذا لم تأت بـ(بين)، قالوا: تصالح القومُ وتصالحَ الرَّجلانِ، بمعنى: أنهم جعلوه هنا مستقبل (أصلح)؛ لأن الإصلاح من المصلح بين المتنازعين مستعمل في (أصلح) بدليل قوله: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. وقال أبو منصور: «معنى قوله: ﴿يَصَّالَحَا﴾: إصلاحهما الأمر بينهما كما يُقال: أصلحت ما بين القوم»[6].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٨)، النشر، (٢٥٢/٢)، الإتحاف، ص(١٩٤.١٩٥).

(٢) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثابتاً» إلى الكوفيين، انظر: المتن، ص(٤٩)، الوافي، ص(٢٤٩).

(٣) بشر بن أبي حازم، عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، له قصائد في الفخر والحماسة جيدة، توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، سنة (٢٢ق هـ)، له (ديوان شعر). الأعلام، (٥٤/٢).

(٤) انظر: لسان العرب، (٥١٧/٢)، مختار الصحاح، ص(٣٦٧).

(٥) الحجرات، الآية (١٠).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٣)، الكشف، (٣٩٨/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٣).

ومن قرأ [يَصَّالَحَا] بفتح الياء والتشديد وبألف بعد الصاد، فوجهه أنه لما رأى الفعل من اثنين من زوجة وزوج، وهما مذكوران في أول الكلام، أتي الفعل من باب المفاعلة التي تثبت للاثنين، فجاء على تصالح الرجلان يتصالحان، ثم أدغمت الياء في الصاد. قال ابن زنجلة: «ومما يؤيد ذلك أن المعروف في كلام العرب إذا كان بين اثنين مشاجرة أن يقولوا: (تصالح القومُ فهم يتصالحون)، ولا يكادون يقولون: (أصلح القومُ فهم مصلحون)»[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يفتيهم به في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة، فقال سبحانه: [وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا] أي: إن توقعت ما تخاف من زوجها، إما تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها، كراهة لها ومنعاً لحقوقها، [أَوْ إِعْرَاضًا] بأن يقلَّ محادثتها، ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والأسباب.

ونزلت هذه الآية بسبب سودة بنت زمعة[2] رضي الله عنها فعن ابن عباس، قال: (خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ، فَنَزَلَتْ: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ] فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ)[3]. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها في قوله: [وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا] قَالَتْ: (الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ المَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا فَتَقُولُ أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ)[4].

[فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] في قوله: [أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا] وقرئ: [يَصَّالَحَا]، والتعرض لنفي الجناح عنهما مع أنه ليس من جانبها الأخذ الذي هو مظنة للجناح لبيان أنّ هذا الصُّلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ. قال القرطبي: «ومن هذا أن أنواع الصُّلح كلها مباحة في هذه النازلة؛ بأن يُعطى الزوج على أن تصبر هي، أو تعطي هي على أن يؤثر ويتمسَّك بالعصمة، أو يقع الصُّلح على الصبر والأثرة من غير عطاء، فهذا كله مباح. وقد يجوز أن تصالح إحداهن صاحبتها عن يومها بشيء تعطيها، ولكن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز، إلا بإذن المفضولة ورضاها».

---

(١) انظر: الكشف، (٣٩٨/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٤).

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس، من قريش، إحدى أزواج النبي ﷺ، كانت في الجاهلية زوجة لسكران بن عمرو ابن عبد شمس، وأسلمت ثم أسلم زوجها، وهاجرا إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عادا إلى مكة، فتوفي زوجها، فتزوجها النبي ﷺ بعد خديجة، وتوفيت سنة (٥٤هـ). انظر: الإصابة، (٧٢٠/٧-٧٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ( ).

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب: [وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا]، (٩٧/٦-٩٨)، حديث رقم (١٢٣).

وثم قال تعالى: [وَالصُّلْحُ خَيْرٌ] والصُّلح: لفظ عام مطلق، يقتضي أن الصُّلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف، خيراً على الإطلاق، و[خَيْرٌ] أي: خير من الفرقة، فإن التّمادي على الخلاف والشّحناء والمبّاغضة هي قواعد الشر، والجملة: اعتراض مقرّر لما قبله، وكذا قوله تعالى: [وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ][1]، إخبار منه سبحانه بأن الشّح في كل واحد منهما، بل في كل الأنفس الإنسانية كائن، وأنه جُعل كأنه حاضر لها، لا يغيب عنها بحال من الأحوال، وأن ذلك بحكم الجبلّة والطّبيعة، فالرجل يشحّ بما يلزمهُ للمرأة من حسن العُشرة، وحسن النفقة ونحوها، والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها. وشح الأنفس: بخلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه.

ثم ختم سبحانه الآية بشرط، فقال: [تُحْسِنُوا] في العشرة [تَتَّقُوا] النشوز والإعراض، وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما، وتصبروا على ذلك مُراعاة لحقوق الصحبة، ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن. وهذا خطاب للأزواج من حيث أن للزوج أن يشح ولا يحسن؛ أي: إن تحسنوا وتتقوا في عشرة النساء بإقامتكم عليهن مع كراهيتكم لصحبتهن واتقاء ظلمهن فهو أفضل لكم. ثم إن جواب هذا الشرط هو قوله: [بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] فيُجازيكم يا معشر الأزواج بما تستحقونه[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

القراءة الراجحة هي قراءة [يَصَّالَحَا] قال أبو علي الفارسي في توجيهه لهذه القراءة: «إن الأعرف في استعمال هذا النحو: تصالحا»[3]، وقال مكي: « ومما يبين ذلك أن سيبويه زعم أن هارون قال: المعروف في كلام العرب، التّصالح بعد التّنازع، و[يَصَّالَحَا] أولى به من (الإصلاح)، وهو مروي عن علي وابن عباس وعائشة وغيرهم، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد الطبري»، ثم يقول: وهو أحب إليّ »[4].

ويعلل الطبري ترجيحه لهذه القراءة فيقول: لأن (التّصالح) في هذه الموضع أشهر وأوضح معنى، وأفصح وأكثر على ألسن العرب من (الإصلاح)، و(الإصلاح) في خلاف (الإفساد) أشهر منه في معنى (التّصالح)». ثم يوضح علة أخرى فيقول: «فإن ظن ظان أن في

---

(١) النساء، الآية (١٢٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣١٢.٣٠٤/٤)، فتح القدير، (٥٢١/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٠٧.٤٠٣/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٤٠.٢٣٩/٢). التفسير الكبير، (٦٧.٦٤/١١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٤/٢).

(٤) الكشف، (٣٩٩.٣٩٨/١).

قوله: [صُلْحًا] دلالة على أن قراءة من قرأ ذلك: [يُصْلِحَا]، بضم الياء أولى بالصواب، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن؛ وذلك لأن (الصلح) اسم وليس فعل، فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله: [يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا]»(1).

وهو رأي الشوكاني .أيضاً . ويعلل ذلك بقوله: «لأن قاعدة العرب أن الفعل إذا كان بين اثنين فصاعداً؛ قيل تصالح الرجلان أو القوم، لا أصلح»(2)، ويقول الرازي: «وهو الاختيار عند الأكثرين، وهو أليق بهذا الموضع»(3).

(٣٠/٣٠) الاختلاف في: [تَلْوُوا] من قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] الآية (١٣٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إسقاط الواو وإثباتها، وضم اللام وإسكانها من قوله عز وجل: [تَلْوُوا]، فقرأ حمزة وابن عامر: [تَلُوا] بواو واحدة واللام مضمومة، وقرأ الباقون: [تَلْوُوا] بواوين الأولى مضمومة واللام ساكنة(4).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَتَلْوُوا بِحَذْفِ الْوَاوِ الْأُولَى وَلَامَهُ فَضُمَّ سُكُونًا لَسْتَ فِيهِ مُجَهَّلَا(5).

ثانياً: توجيه القراءات:

الإمالة: الإعْرَاض عن الشَّيْء يُقَال: لَوَى الرَّجُل برأسه ولَوَى رأسه: أمال وأعرض. وأَلْوَى برأسه ولَوَى برأسه: أماله من جانب إلى جانب.

وفي حديث ابن عباس: «أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ(6)... إِنَّهُ لَوَّى ذَنَبَهُ»، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ)(2)، قال ابن الأثير: «يُقَال: لَوَى رأسه وذَنَبَه وعِطْفَه عنك: إذا ثناه وصرفه،

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣٠٩/٤).

(٢) انظر: فتح القدير، (٥٢١/١).

(٣) انظر: التفسير الكبير، (٦٦/١١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٩.٢٣٨)، النشر، (٢٥٢/٢)، الإتحاف، ص(١٩٥).

(٥) عنى الناظم بحرف (اللام) من قوله: «لست» هشام، وبحرف (الفاء) من (فيه) حمزة، وحرف (الميم) من كلمة (مجهلا) ابن ذكوان، وابن ذكوان وهشام هما راويا ابن عامر. ويؤخذ من قوله: (الأولى) ان الواو ثابتة باتفاق القراء. انظر: المتن، ص(٤٩)، الوافي، ص(٢٤٩).

(٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، ومتعبداً، ناسكاً، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة (٦٥هـ). وهو أول من صكَّ الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم. توفي سنة (٨٦هـ). انظر: الأعلام (١٦٥/٤).

ويُروى بالتشديد للمبالغة؛ وهو مثلٌ لترك المكارم والروغان عن المعروف وإيلاء الجميل». قال: «ويجوز أن يكون كناية عن التأخير والتخلف؛ لأنه قال في مقابلته: (ابْنُ عَبَّاسٍ أَبَرَزَ يَمْشِي الْقُدَمِيَّةَ)»[٣].

حجة من قرأ قوله عز وجل: [تَلْوُوا] أنه جعله فعلاً من لَوَى يَلْوِي، يقال: لَوَيْتُ فلاناً حقَّه ليَّا؛ إذا دافعْته ومطَلْته؛ وأصله (تَلْوِيوا) فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين، ثم ضمُّت الواو الأولى لمجاورة الثانية، وسقطت النون علامةً للجزم. وقال أبو منصور: «وهذه القراءة أشبه بما جاء في التفسير؛ لأنه جاء فيه إن لوى الحاكم في قضيته أو أعرض فإن الله خبير بذلك». وعن مجاهد: «إن هذا الخطاب من الله عز وجل للشهداء لا للحكام»[٤].

وحجة من قال: [تَلُوا] بواو واحدة واللام مضمومة: أنه جعله من: وَلِيَ يَلِي؛ وأصله أن يكون (تلووا)، فأبدل من الواو المضمومة همزة، فصارت (تلووا) بإسكان اللام، ثم طُرحت الهمزة وطُرحت حركتها على اللام، فصارت [تَلُوا][٥].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه تلك الأحكام السابقة عقَّبها سبحانه بالأمر بالقيام بأداء حقوق الله تعالى، وبالشهادة لإحياء حقوق الله، فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ] أي مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد، وقوله: [شُهَدَاءَ لِلَّهِ] أي: بالحق تقيمون شهاداتكم لذات الله، ولوجهه ولمرضاته وثوابه[٦].

وقوله: [وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ] متعلق بـ[شُهَدَاءَ]. هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس، وأن هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق فيُقر بها لأهلها، فذلك قيامه بالشهادة على نفسه. وهذا أدبٌ من الله عز وجل لعباده المؤمنين، وقوله: [أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ] شهادته على والديه بأن

---

(١) أي أنه تقدم في الشرف والفضل على أصحابه. النهاية في غريب الحديث، (٢٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: [ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا] التوبة (٤٠)، (١٢٨،١٢٧/٦). حديث رقم (١٨٥)، رواية أبو مليكة رضي الله عنهما.

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٦٥،٢٦٤/١٥)، مختار الصحاح، ص(٦٤١).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٦)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٥)، الكشف، ص(٤٠٠)، إملاء ما من به الرحمن، (١١١/١).

(٥) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٣٤)، الكشف، (٣٩٩/١)، إملاء ما من به الرحمن، (١١١/١) .

(٦) قال أبو زكريا: «قوله تعالى: [قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ]، أخَّر [لِلَّهِ] عن قوله: [بِالْقِسْطِ] هنا، اهتماماً بطلب القسط؛ أي العدل، وعكس في المائدة في قوله تعالى: [قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ] (٨)؛ لأن [لِلَّهِ] فيها متعَلّقٌ بقوّامين، لكون الآية ثَمَّ في الولاة بدليل قوله بعد: [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا] المائدة (٣)، أي كونوا أيها الوُلاة قوامين في أحكامكم لله لا للنفع». انظر: فتح الرحمن، ص(١٢٦،١٢٥).

يشهد عليهما بحق للغير، وكذلك الشهادة على الأقربين، وذكر الوالدين لوجوب برّهما وكونهما أحب الخلق إليه، ثم ذكر الأقربين، لأنهم مظنة المودة والتّعصب، فإذا شهدوا على هؤلاء بما عليهم فالأجنبي من النّاس أحرى أن يشهدوا عليه. قال القرطبي: «لا خلاف بين أهل العلم في صحة أحكام هذه الآية وإن شهادة الولد على الوالدين قاضية، ولا يمنع ذلك من برّهما، بل من برّهما أن يشهد عليهما ويخلّصهما من الباطل، وهو قوله: [قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا][(١)]».

وقوله: [إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا] أي إن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا تكتموا الشهادة، إما لطلب رضا الغني، أو التّرحم على الفقير، فالله أولى بأمورهما ومصالحهما، ولو لا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها. قال الرازي: «وكان من حق الكلام أن يُقال: فالله أولى به، لأن قوله: [إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا] في معنى إن يكن أحد هذين، إلا أنه بنى الضمير على الرجوع إلى المعنى دون اللفظ، أي: الله أولى بالفقير والغني».

وقوله: [فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا] هذا نهيٌ، أي: مخافة أن تعدلوا عن الحق، فإن إتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه أن يُخاف ويحذر. ثم قال: [وَإِنْ تَلْوُوا] من الليّ في الشهادة والميل إلى أحد الخصمين. يُقال: لويتُ فلاناً حقّه: إذا دفعته عنه، والمرادُ ليّ الألسن عن شهادة الحقّ ميلاً إلى المشهود عليه.

وختم سبحانه الآية بقوله: [بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] أي بما تعملون من الليّ والإعراض، أو من كل عمل، وفي هذا وعيد شديد لمن لم يأت بالشّهادة كما تجب عليه، ووعد بالإحسان للمطيعين[(٢)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءاتين معاً، قائلاً: «ويُحتمل أن تكون القراءة بضم اللام كالقراءة بإسكانها، وذلك أن أصله (تلووا) فاستثقلت الضمة على الواو، وبعدها واوٌ أخرى، وأُلقيت الحركة على اللام، وحُذفت إحدى الواوين لالتقاء الساكنين، فهو في القراءة، كالقراءة بإسكان اللام وواوين» ويضع احتمالاً آخر فيقول: «وقيل: إنما أبدل من الواو المضمومة همزة، ثم خففها بإلقاء حركتها على اللام، فصارت (تلوا) وأصلها (تلووا)»، ويقول: «فتتفق القراءاتان على هذا التقدير».

ثم يقول في توجيه القراءة الثانية: «فقد فُهم في هذا أيضاً معنى القراءة بواو واحدة، من: وليَ، فكلتا القراءتين فيه، أو تُعْرِضُوا بمعنى ما قبله، فكرّر للتأكيد ولاختلاف اللفظ»، ثم يؤكد

---

(١) التحريم، الآية (٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٤.٣١٩/٤)، فتح القدير، (٥٢٤.٥٢٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤١٤.٤١٠/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٤٢/٢)، التفسير الكبير، (٧٤/١١).

على تصويبه لكلتا القراءتين قائلاً: «وقد ذكرنا أنه يُحتمل أن تكون القراءتان بمعنى واحد من الليّ»[1].

ويقول القرطبي: القراءة بضم اللام تفيد معنيين: الولاية والإعراض، والقراءة بواوين تفيد معنى واحد وهو الإعراض»، ثم يقول: «وزعم بعض النحويين أن من قرأ [تَلُوا] فقد لحن، لأنه؛ لا معنى للولاية هاهنا»[2].

ويرد عليهم أبو حيان قائلاً: لا معنى للولاية هنا، وهذا لا يجوز؛ لأنها قراءة مُتواترة في السبع، ولها معنىً صحيحٌ وتخريجٌ حسن»[3]. وعلى هذا رجحها أبو علي الفارسي قائلاً: «إن [تَلُوا] في هذا الموضع حَسَنٌ؛ لأنّ ولاية الشيء إقبالٌ عليه، وخلاف الإعراض عنه، فالمعنى: إن تقبلوا أو تعرضوا، فلا تلُوا، فإن الله كان بما تعملون خبيراً، فيجازي المحسنُ المقبلُ بإحسانه، والمسيئ المعرض بإعراضه، وتركه الإقبال على ما يلزمه أن يُقبل عليه». ويقول: «ولو قُرئت [تَلْوُوا] لكان كالتكرير؛ لأن الليّ مثل الإعراض، ألا ترى أن قوله: [رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ][4]، إنما هو إعراض منهم وترك انقياد للحق، وكذلك [لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ][5]؛ إنما هو انحراف، وأخذٌ فيما لا ينبغي أن يأخذوا فيه، فإن كان كذلك كان كالتّكرير، وإذا قلنا [تَلُوا] فقد ذُكر الإعراض وخلافه»[6].

بينما نجد أن الطبري قد رجح قراءة [تَلْوُوا] بواوين، ويقول: «فالصواب من القراءة الذي لا يصلح غيره، أن يُقرأ به عندنا: [وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا] بمعنى: الليّ، الذي هو مَطَل، فيكون تأويل الكلام: وإن تدفعوا القيام بالشَّهادة على وجهها لمن لزمكم القيام بها، فتغيِّروها وتبدلوا، أو تُعرضوا عنها فتتركوا القيام بها، كما يلوي الرّجل دين الرّجل فيُدافعه بأدائه إليه على ما وجب عليه له مَطَلاً له، كما قال الأعشى:

يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهارَ وأَقْتَضِي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعاس الرُّقدا[7]»[8]

(٣١/٣١) الاختلاف في [نَزَّلَ] [أَنزَلَ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] الآية (١٣٦).

أولاً: أوجه إختلاف القراءات:

---

(١) انظر: الكشف، (٣٩٩/١-٤٠٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤١٤/٥).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، (٣٧١/٣).

(٤) المنافقون، الآية (٥).

(٥) النساء، الآية (٤٦).

(٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٥/٢).

(٧) ديوان الأعشى، ص(١٣٥).

(٨) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٤/٤).

اختلفوا في فتح النون والألف وضمّها من قوله عز وجل: [نَزَّلَ] [أَنزَلَ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: [نُزِّلَ] و[أُنزِلَ] مضمومتين، وقرأ الباقون: [نَزَّلَ] [أَنزَلَ] مفتوحتين(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ونُزِّلَ فتحُ الضمِّ والكسرِ حِصنُهُ ... وأُنزِلَ عنهم عاصمٌ بعدُ نُزِّلا(٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن منظور: «نزّله وأنزله ونزّله، بمعنى» وكان أبو عمرو يفرّق بين نزّلت وأنزلت، ولم يذكر وجه الفرق. أما أبو الحسن فقال: «لا فرق عندي بين (نزّلت) و(أنزلت)؛ إلا صيغة التكثير في (نزّلت)، كما في قراءة ابن مسعود: [وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلا](٣). أنزل: كنزّل». وقال ابن جني: «إن المضاف والمضاف إليه عندهم وفي كثير من تنزيلاتهم كالاسم الواحد، إنما جمع [تَنزِيلا] هنا؛ لأنه أراد للمضاف والمضاف إليه تنزيلات في وجوه كثيرة، منزلة الاسم الواحد، فكنّى بالتنزيلات عن الوجوه المختلفة، ألا ترى أن المصدر لا وجه له إلا تشعُّب الأنواع وكثرتها»(٤).

من قرأ قوله عز وجل: [نُزِّلَ] و[أُنزِلَ] على ما لم يُسمّ فاعله فحجته قوله تعالى: [لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ](٥) وقوله: [تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ](٦). فأُضيف المصدر إلى المفعول به، والكتاب على هذا مُنزّل، وفي قوله: [وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ](٧)، وأشباه ذلك(٨).

من قرأ [نَزَّلَ] [أَنزَلَ] بفتح النون والألف، ردّه إلى اسم الله جلّ ذكره الذي قبله، وهو قوله: [آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ]، ففي [نَزَّلَ] [أَنزَلَ] ضمير اسم الله جلّ ذكره، والمعنى: قد نزّل الله في كتابه، أو أنزله. واستدلّ بقوله: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ](٩) وقوله: [وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ](١)، فأضاف الإنزال إلى نفسه، فجرى هذا على ذلك(٢).

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص(٢٣٩)، النشر، (٢/٢٥٢.٢٥٣)، الإتحاف، ص(١٩٥).

(٢) أشار الناظم بكلمة (حصن) من قوله: «حِصنُه» إلى الكوفيين ونافع. انظر: المتن، ص(٤٩)، الوافي، ص(٢٤٩).

(٣) الفرقان، الآية (٢٥).

(٤) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (٢/١٢٠.١٢٢).

(٥) النحل، الآية (٤٤).

(٦) الزمر، الآية (١).

(٧) الأنعام، الآية (١١٤).

(٨) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٩٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٦.٢١٧).

(٩) الحجر، الآية (٩).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية متصّلة بالآية التي قبلها، وذلك لأنّ الإنسان لا يكون قائماً بالقسط إلا إذا كان راسخ القدم في الإيمان بالأشياء المذكورة في هذه الآية، وكذلك عندما بيّن سبحانه الأحكام الكثيرة في هذه السورة ذكر عُقيبها آية الأمر بالإيمان فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] والمعنى: يا أيها الذين صدّقوا أقيموا على تصديقكم وأثبتوا عليه، وهذا خطاب لكافّة المسلمين. قال: [وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ] أي: القرآن، وقوله: [وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ] أي كل كتاب أنزل على النبيين.

ثم حذر سبحانه من الكفر بخمسة أشياء؛ وهي مجموعة في قوله: [وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] عن المقصد، بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه، وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر؛ لما أن بالكفر بأحدهما لا يتحقّق الإيمان أصلاً، وجمع الكتب والرسل؛ لما أن الكُفر بكتاب أو برسول كُفر بالكل. وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلاً عليه. وتقديم الملائكة والكتب على الرسل؛ لأنهم وسايط بين الله عز وجل وبين الرّسل في إنزال الكتب[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلاً: «والقراءتان متداخلتان حسنتان؛ لأنه في كل واحدة ردّ آخر الكلام على أوله، وانتظام بعضه ببعض»[4]. وهو رأي الطبري أيضاً، حيث يقول: «وهما مُتقاربتا المعنى» ثم يستثني قائلاً: «إلا أنّ الفتح أحبّ إليّ من الضم؛ لأن ذكر الله قد جرى قبل ذلك في قوله: [آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ]»[5].

ويقول الرازي: «كلاهما حسنٌ، إلا أن الضمّ أفخم، كما في قوله: [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ][6]»[7].

(٣٢/٣٢) الاختلاف في [نَزَّلَ] من قوله عز وجل: [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا] الآية (١٤٠).

---

(١) النحل، الآية (٤٤).

(٢) انظر: الكشف، (٤٠٠/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٦/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٥.٣٢٤/٤)، فتح القدير، (٥٢٤/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٤١٥/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٤٣.٢٤٢/٢)، التفسير الكبير، (٧٧.٧٤/١١).

(٤) الكشف، (٤٠٠/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٩/٤).

(٦) هود، الآية (٤٤).

(٧) انظر: التفسير الكبير، (٧٦/١١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الفتح والضم من قوله عز وجل: [نَزَّلَ]، فقرأ عاصم وحده: [نَزَّلَ] بفتح النون، وقرأ الباقون: [نُزِّلَ] بالضم[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ونُزِّلَ فَتْحُ الضَّمِّ والكَسْرِ حِصْنُهُ   وَنَزَّلَ عَنْهُمْ عَاصِمٌ بَعْدُ نُزِّلا[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه لفظ (الإنزال) لغوياً في النص رقم السابق[3]. قراءة عاصم على معنى: وقد نزّل الله عليكم. وحجته في ذلك: أنه نسقٌ على ذكر الله قبل الآية[4].

قال ابن زنجلة: «والحجة في قراءة الباقين: [نُزِّلَ] بضم النون وكسر الزاي، جعلوه خبراً مُستأنفاً، والمعنى: نزل عليكم المنع من مجالستهم عند سماعكم الكفر بالآيات والاستهزاء بها»[5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

[وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ] الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محقق ومنافق؛ لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل ما أنزل الله. وقد قرئ: [نُزِّلَ] مبنياً للمفعول من التنزيل والإنزال.

قوله: [فِي الْكِتَابِ] أي: القرآن، [أَنْ] هي المخففة، وقوله: [إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ] أي: إذا سمعتم الكفر والاستهزاء بآيات الله، وأوقع السمّاع على الآيات، والمُراد سماع الكفر والاستهزاء. وهذا المُنزل الذي أحال عليه هنا، هو المذكور في قوله: [وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]، وهذا يقتضي الإنزجار عن مجُالستهم في تلك الحالة القبيحة، فكيف بمُ والاتهم والاعتزاز بهم.

وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها، وتهويل أمر الكُفر بها، أي نزّل عليكم في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفوراً بها ومستهزأً بها.

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص(٢٣٩)، النشر، (٢/٢٥٣)، الإتحاف، ص(١٩٥).

(٢) قوله: «عاصم بعد نزلا» معناه أن عاصماً قرأ: [نَزَّلَ]، بفتح النون والزاي، وقرأ غيره بضم النون وكسر الزاي، انظر: المتن، ص(١٤٩)، الوافي، ص(٢٤٩).

(٣) انظر ذلك في ص( ).

(٤) انظر: الكشف، (١/٤٠٠-٤٠١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢١٧).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة ص(٢١٧)، الإتحاف، ص(١٩٥)، إملاء ما من به الرحمن، (١/١١١).

والمراد بالإعراض إظهار المُخالفة بالقيام عن مُجالستهم، لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط. وقوله: [فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ] لم يبين فيه حكم إذا ما نسوا النهي حتى قعدوا معهم، ولكنه بيّنه في آية أخرى بقوله: [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ](١).

ثم قال: [إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ] تعليلٌ للنّهي، أي: إنكم إن فعلتم ذلك ولم تنتهوا فأنتم مثلهم في الكفر، فدلّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب الكفر، إذا ظهر منهم كفر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعله، والرضا بالكفر كُفر. وهذه الآية محكمة عند جميع أهل العلم، وعن الضحاك: «دخل في هذه الآية كل مُحدث في الدِّين مُبتدع إلى يوم القيامة».

ثم إنه تعالى حقق كون المُنافقين مثل الكافرين في الكفر، فقال: [إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا] يُريد كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا، فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة. وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين. وأراد [جَامِعُ] بالتنوين؛ لأنه بعد ما جمعهم، ولكن حذف التّنوين استخفافاً من اللفظ، وهو مراد في الحقيقة(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القرائتين معاً، قائلاً: «والمعنى واحد»(٣)، ويرجح ابن أبي طالب قراءة الضم قائلاً: «وضمُّ النون أحب إليّ؛ للإجماع على ذلك»(٤).

ويقول الطبري مصوباً كلتا القراءتين: «وليس في هذه القراءات الثلاث(٥) وجه يبعد معناه مما يحتمله الكلام». ثم يقول موافقاً ابن أبي طالب في ترجيح قراءة الضم: «غير أن الذي اختار القراءة به، قراءة من قرأ: [نُزِّلَ] بضم النون وتشديد الزاي، على وجه ما لم يسم فاعله؛ لأن معنى الكلام فيه التقديم على ما وصفت قبل، على أن معنى الكلام: [الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ] [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ]، وقوله: [إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]، وقوله: [أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ]، فإن العزة لله

---

(١) الأنعام، الآية (٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٩.٣٢٨/٤)، فتح القدير، (٥٢٧.٥٢٦/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٤١٨.٤١٧/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٤٥.٢٤٤/٢)، التفسير الكبير، (٨٢.٨١/١١).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص(١٣٤).

(٤) الكشف، (٤٠١/١).

(٥) والقراءة الثالثة هي: [نَزَلَ] بفتح النون وتخفيف الزاي، وهي في قراءة بعض المكيين، والمعنى: وقد جاءكم من الله أن إذا سمعتم. انظر: تفسير الطبري، (٣٢٩/٤).

جَمِيعًا][1]، يعنى التأخير، فلذلك كان ضمُّ النون من قوله: [نُزِّلَ] أصوب عندنا في هذا الموضع»[2].

(٣٣/٣٣) الاختلاف في [نُؤْتِيهِمْ] من قوله عز وجل: [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] الآية (١٥٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [نُؤْتِيهِمْ]، فقرأ عاصم في رواية حفص: [يُؤْتِيهِمْ] بالياء[3]، وفي رواية أبي بكر: [نُؤْتِيهِمْ] بالنون، وكذلك قرأ الباقون[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وياَ سوفَ نُؤْتِيهِمْ عزيزٌ وَحَمْزَةٌ سيُؤْتِيهِمْ في الدَّرْكِ كُوفٍ تحمَّلا[5]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه لفظ (الإيتاء) لغوياً في النص (٢٧/٢٧)[6]. في قراءة عاصم: [يُؤْتِيهِمْ] بالياء، إخباراً عن الله عز وجل، ودليله قوله عز وجل: [آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ] وزاد أبو علي الفارسي حجة أخرى وهي قوله: [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا][7].

وأما من قرأ: [نُؤْتِيهِمْ] بالنون، فحجته قوله: [وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ][8] وقوله: [فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ][9]. فتكون القراءة على معنى: نحن نُؤْتِيهِم[10].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما فرغ سبحانه من ذكر المُشركين والمُنافقين والكفار من أهل الكتاب، أعقب هذه الآيات بذكر الوعيد بقوله: [أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا][11]، ثم أردف ذلك بذكر الوعد فقال: [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ] أي: على الوجه الذي بُيِّن في قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا

---

(١) النساء، الآية (١٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣٢٩/٤).

(٣) قال ابن مجاهد: «ولم يكن يقرأ بالياء في هذه السورة غير هذا الحرف». انظر: كتاب السبعة، ص (٢٤٠).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص(٢٤٠)، النشر، (٢٥٣/٢)، الإتحاف، ص(١٩٥).

(٥) أشار الناظم بحرف (العين) في قوله: «عزيز» إلى حفص. انظر: المتن، ص(٤٩). الوافي، ص(٢٥٠).

(٦) انظر: ص( ).

(٧) النساء، الآية (١٤٦).

(٨) العنكبوت، الآية (٢٧).

(٩) الحديد، الآية (٢٧).

(١٠) انظر: الحجة: ابن زنجلة، (٢١٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٧/٢).

(١١) النساء، الآية (١٥١).

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ...﴾[الآية](1). ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين، كما فعله الكفرة. قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ المنعوتون بالنّعوت الجليلة المذكورة ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ الموعودة لهم، وتصديره بـ﴿سَوْفَ﴾ لتأكيد الوعد، والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تراخى، وقرئ: ﴿نُؤْتِيهِمْ﴾، بنون العظمة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ المراد أنه وعدهم بالثّواب، ثم أخبرهم بعد ذلك بأنه يتجاوز عن سيِّئاتهم ويعفو عنها ويغفرها(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور القراءتين معاً، باعتبار أن المعنى فيهما واحد، ويعلِّل ذلك بقوله: «الله المؤتي الأجر، لا شريك له»(3) وهو ما ذهب إليه أبو حيان أيضاً، قال: «القراءتين كلتاهما متواترة، هكذا نزلت وهكذا أُنزلت»(4).

ولم يرجح أبو علي الفارسي وابن أبي طالب أي قراءة، بل اكتفى كل واحد منهما بتوجيه كل من القراءتين. وكذلك الطبري والقرطبي والرازي والزمخشري(5).

(٣٤/٣٤) الاختلاف في ﴿لَا تَعْدُوا﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الآية (١٥٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح العين وتسكينها وتشديد الدال وتخفيفها من قوله عز وجل: ﴿لَا تَعْدُوا﴾، فقرأ نافع وحده: ﴿لَا تَعْدُّوا﴾ بسكون العين وتشديد الدال، وروى ورش عنه ﴿لَا تَعَدُّوا﴾ بفتح العين وتشديد الدال، وقرأ الباقون: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ خفيفة ساكنة العين(6).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

بالإسْكَانِ تَعْدُوا سَكِّنُوهُ وَخَفِّفُوا ... خُصُوصاً وَأَخْفَى الْعَيْنَ قَالُونُ مُسْهِلا(1).

---

(١) النساء، الآية (١٣٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٢٤٥/٤)، فتح القدير، (٥٣٢/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٦)، تفسير أبي السعود، (٢٤٩/٢)، التفسير الكبير، (٩٤.٩٣/١١).

(٣)كتاب معاني القراءات، ص(١٣٥).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود، (٢٤٩/٢).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٧/٢)، الكشف، (٤٠١/١).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص(٢٤٠)، النشر، (٢٥٣/٢)، الإتحاف، ص(١٩٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

التَّعَدِّي: الظُّلم، وأصله تجاوز الشيء إلى غيره، أو تجاوز الحدِّ من الشيء، يُقال: عَدَّيته فتعدَّى، أي تجاوز. وقد قالت العرب: عدى فلانٌ عن الحق، واعْتدى فوق الحقِّ؛ كأن معناه: جاز عن الحق إلى الظلم. ويُقال: عدَّى عن الأمر: جازه عن غيره وتركه. وفي الحديث: (المُعْتَدِي في الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا)[2] وهو أن يعطيها غير مستحقها. وقوله: [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ][3] سماه اعتداءً؛ لأنه مجازاة اعتداء، فسُمي بمثل اسمه؛ لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية.

والعرب تقول: ظلمني فلانٌ فظلمته: أي جازيته بظلمه، لا وجه للظلم أكثر من هذا، والأول ظلم والثاني جزاء ليس بظلم، وإن وافق اللَّفظُ اللَّفظ[4].

قوله عز وجل: [لَا تَعْدُوا] قرئ [لَا تَعْدُّوا] بإسكان العين وتشديد الدال، والحجة في ذلك: أنه أسكن وهو يُريد الحركة، وأدغم في الدال فصار [لَا تَعْدُّوا]، وذلك من لغة (عبد قيس)[5]؛ لأنهم يقولون (اسل زيد) فيُدخلون ألف الوصل على متحرك؛ لأنهم يريدون فيه الإسكان. وقال أبو علي الفارسي: «دليله قوله عز وجل: [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ][6] فجاء في هذه القصة بعينها: (افتعلوا)، وقال عز وجل: [وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ][7] فعلى ذلك أسكن نافع وهو ينوي الحركة»[8].

وأما رواية ورش [لَا تَعَدُّوا] بفتح العين وتشديد الدال، فالأصل فيها (تعتدوا) نقل حركة التاء إلى العين، وأدغم التاء في الدال، فالتشديد لذلك، وأصله (تفتعلوا)، من الاعتداء، يُقال: أعدى يعدِّي عدَّاء، الأصل فيها اعتدى يعتدي اعتداء. قال ابن زنجلة: «وذلك مثل: يَهَدِّي»[9].

---

(1) عنى الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خصوصاً» القراء السبعة ماعدا نافعاً، ومعنى (مُسْهِلاً): راكباً السهل، انظر: المتن، ص(4)، الوافي، ص(250).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في المعتدي في الصدقة، حديث رقم (585).

(3) البقرة، الآية (194).

(4) انظر: لسان العرب، (15/32.34)، مختار الصحاح، ص(419).

(5) قبيلة عظيمة تنتسب إلى عبد قيس بن أقصى بن دُعْمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان. انظر: معجم قبائل العرب، (2/726).

(6) البقرة، الآية (65).

(7) البقرة، الآية (190).

(8) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(128)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/98).

(9) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(128)، كتاب معاني القراءات، ص(135)، الحجة: ابن زنجلة، ص(218).

والحجة لمن أسكن وخفف فقال: [لَا تَعْدُوا]، أنه أراد: لا تفعلوا من العدوان، وأصله (تعتدووا) بواوين؛ لأنه عدا يعدو، ثم أُعل فصار (تعدوا)، مثل قولك: (لا تدعوا، ولا تعدوا) إذا نهيت جماعة، وشاهده قوله عز وجل: [إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ][1]، وقوله: [فَأُولَئِكَ هُمُ] فكل هذا من عدا يعدو، فهو شاهدٌ للإسكان في الآية[3].

ثلثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية متصلة بالآية التي قبلها، وهما توضحان جهالات اليهود، فإنهم قالوا: إن كنت رسولاً يا محمد من عند الله، فأتنا بكتاب من السماء جملة، كما جاء موسى بالألواح. وكما طلبوا من موسى عليه السلام أن يُريهم الله عز وجل، وهذا كان على لسان آبائهم في أيام موسى عليه السلام، وهم النقباء السبعون، كل ذلك ليس على سبيل الاسترشاد،

بل لمحض العناد، ولم يكتفوا بذلك، بل ضمُّوا إليه عبادة العجل. وهذا دلالةٌ واضحة على كمال جهالاتهم وإصرارهم على كفرهم، وبُعدهم عن الحق والدِّين.

ثم حكى سبحانه سائر جهالاتهم وإصرارهم على أباطيلهم، فقال: [وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ] أي بسبب نقضهم الميثاق الذي أُخذ منهم؛ وهو العمل بما في التوراة. [الطُّورَ]: الجبل[4]، قال القرطبي: «أمر الله الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين، طوله فرسخ في مثله، فجُعل عليهم مثل الظُّلَّة، وأُتوا ببحر من خلفهم، ونار من قِبَل وجوههم، وقيل لهم خذوا الألواح وعليكم الميثاق ألاّ تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، فسجدوا توبةً لله، وأخذوا الميثاق». قوله: [وَقُلْنَا لَهُمُ] هذا على لسان موسى عليه السَّلام، والطُّور مُطلٌّ عليهم. قوله: [ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا] الباب الذي أُمِروا بدخوله هو باب في بيت المقدس، يُعرف اليوم بـ(باب حِطّة)، و[سُجَّدًا]: مُتطامنين خاضعين، لا على هيئة مُعيَّنة.

وقوله: [وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ] أي: لا تظلموا باصطياد الحيتان في يوم السَّبت، ولم يُبين سبحانه في هذه الآية هل امتثلوا هذا الأمر فتركوا العدوان في السَّبت أو لا، ولكنه بيَّن في مواضع أُخر أنهم لم يمتثلوا، وأنهم اعتدوا في السَّبت، كقوله تعالى: [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ][5]، وقوله: [وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ][6]، وقد زعم ابن رومان أن الرجل منهم كان يأخذ خيطاً ويضع فيه وَهْقة[2]، ويلقيها

---

(١) الأعراف، الآية (١٦٣).

(٢) المؤمنون، الآية (٧).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٨)، الكشف، (٤٠٢/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩٨/٢).

(٤) تفسير المشكل، ص(٥٢).

(٥) البقرة، الآية (٦٥).

(٦) الأعراف، الآية (١٦٣).

في ذنب الحوت، وفي الطرف الآخر من الخيط وَتِد، ويتركه كذلك إلى الأحد، ثم تطرّق الناس حتى رأوا من صنع لا يُبتلى، حتى كَثُر صيد الحوت، ومُشي به في الأسواق، وأعلن الفَسَقَة بصيده، فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنَّهي واعتزلت، وقسمت القرية بجدار، فأصبح النَّاهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المُعتدين أحد، فقالوا: إن للناس شأناً، فعَلَوْا على الجدار فنظروا، فإذا هم قِردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القِردة أنسابها من الإنس، ولا يعرف الإنس أنسابهم من القِردة، فجعلت القِردة تأتي نسيبها من الإنس، فتشمّ ثيابه، وتبكي، فيقول: ألم ننهكم، فتقول برأسها: نعم.

قال قتادة: «صار الشُّبان قِردة، والشُّيوخ خنازير(٣)، فما نجا إلا الذين نَهَوْا، وهلك سائرهم».

ثم قال سبحانه: [وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا] يعني: عهداً مُؤكداً شديداً، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم الله عنه، مما ذُكِر في هذه الآية، ومما في التوراة(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب وأبو منصور قراءة [تَعْدُوا] ساكنة العين خفيفة الدال، قائلاً: «هو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه»(٥)، وهو رأي أبو منصور أيضاً(٦). بينما اكتفى القرطبي والطبري والرازي بذكر القراءتين وتوجيههما فقط(٧).

(٣٥/٣٥) الاختلاف في [سَنُؤْتِيهِمْ] من قوله عز وجل: [لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (١٦٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [سَنُؤْتِيهِمْ]، فقرأ حمزة وحده: [سَيُؤْتِيهِمْ] بالياء، وقرأ الباقون: [سَنُؤْتِيهِمْ] بالنون(١).

---

(١) لم أقف على ترجمة له.

(٢) الوَهَق، بالتحريك: الحبل في طرفيه أنشوطة، تُطرح في عُنق الدَّابة أو الإنسان، حتى تؤخذ، والجمع أَوْهَاق. انظر: لسان العرب، (٣٨٦،٣٨٥/١٠).

(٣) قال القرطبي: «اختلف العلماء في الممسوخ هل يَنْسِل؟ فقال الجمهور: لا ينسل، وإن القِردة والخنازير وغيرهما كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل؛ لأنهم قد أصابهم السُّخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤٤١،٤٤٠/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٣٤٨/٤)، فتح القدير (٥٣٣/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٤٠/١)، تفسير أبي السعود، (٢٥٠/٢)، التفسير الكبير، (٩٦،٩٥/١١)، أضواء البيان، (٤٩٢/١).

(٥) الكشف، (٤٢/١).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص(١٣٥).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧/٦)، تفسير الطبري، (٣٤٨/٤)، التفسير الكبير، (٩٦/١١)، تفسير البحر المحيط، (٣٨٨/٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وياَ سوفَ نؤُتيهمْ عزيزٌ وحمزَةٌ سيؤُتيهمْ في الدَّركِ كُوفٍ تحَّملا [٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه لفظ (الإيتاء) لغوياً في النص (٢٧/٢٧)[٣]. الحجة في قراءة حمزة [سَيُؤْتِيهِمْ] و[سَيُؤْتِيهِمْ] في النساء[٤]، فقوله عز وجل: [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا]، وكقوله: [وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ][٥] أي: أنه أجراها على لفظ الغيبة، لتقدُّم ذكر اسم الله جل ذكره[٦].

وأما في قراءة الباقين [نُؤْتِيهِمْ] فهي على الإخبار من الله عز وجل عن نفسه جلَّ ذكره؛ أي نحن سنؤُتيهم[٧].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذا من الله جلَّ ثناؤه استثناء، استثنى من أهل الكتاب من اليهود الذين وَصَفَ صفتهم في هذه الآيات التي مضت من قوله: [يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ] ثم قال جلَّ ثناؤه لعباده مبيناً لمن قد هداه لدينه منهم، ووفَّقه لرشده: ما كل أهل الكتاب صفتهم الصِّفة التي وصفت لكم، [لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ] أي: لكن الثَّابتون في العلم منهم المُتقنون المُستبصرون فيه، غير التَّابعين للظن كأولئك الجهلة.

والرَّاسخ: هو المبُالغ في علم الكتاب، أو من المُهاجرين أو من الأنصار أو من الجميع، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «قوله: [لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ] نزلت في عبد الله بن سلام[٨]، وأُسيد وثَعلبة ابناَ سَعْية[٩]، حيثُ فارقوا اليهود وأسلموا»[١٠] والمُؤمنون [وَالْمُؤْمِنُونَ] إما من

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص(٢٤٠)، النشر، (٢/٢٥٣)، الإتحاف، ص(١٩٥).

(٢) انظر: المتن، ص(٤٩).

(٣) انظر ذلك في ص( ).

(٤) النساء، الآية (١٤٦).

(٥) آل عمران، الآية (٥٧).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٩٧)، الكشف، (٢/٤٠١).

(٧) انظر: الكشف، (١/٤٠١).

(٨) عبد الله بن سلام بالتخفيف، الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بنى الخزرج، قيل كان اسمه الحُصين، فسماه النبي ρ عبد الله، مشهور، له أحاديث وفضل، توفي بالمدينة سنة (٤٣هـ). تقريب التهذيب، (١/٤٢٢)

(٩) أسيد بن سعية القرظي؛ أحد من أسلم من اليهود، عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو: أن شيخا من بني قريظة حدثه أن إسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد إنما كان عن حديث الهيِّبان، فذكر قصته بطولها؛ وأنه كان يعلمهم بقدوم النبي ρ قبل الإسلام، فلما كان الليلة التي في صبحها فتح قريظة قال لهم هؤلاء الثلاثة: يا معشر يهود إنه والله لرَّجل الذي كان وصف لنا ابن الهيِّبان فاتقوا الله واتبعوه، فأبوا عليهم، فنزل الثلاثة إلى النبي ρ فأسلموا. انظر: الإصابة، (١/٤٨).

(١٠) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٤/١٦).

آمن من أهل الكتاب، أو من المهاجرين والأنصار أو من الجميع، وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من المؤمنين مبيِّنة لكيفية إيمانهم، أي فهم لذلك من علمهم ورسوخهم، يؤمنون بما أُنزل إليك من الكتاب، وبما أُنزل من قبلك ومن سائر الكُتب، فعلمهم بأحكام الله هذه أول صفاتهم.

ثم بيِّن سبحانه صفتهم الثانية وهي عملهم بتلك الأحكام، فقال: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وخصّهما بالذكر لكونهما أشرف الطّاعات؛ لأن الصَّلاة أشرف الطاعات البدنية، والزكاة أشرف الطّاعات المالية، ولما شرح كونهم عالمين بأحكام الله، وعاملين بها، شرح بعد ذلك كونهم عالمين بالله، وأشرف المعارف العلم بالمبدأ والمعاد، فالعلم بالمبدأ هو المُراد بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ والعلم بالمعاد هو المُراد من قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إن المُراد بالكُل مؤمنو أهل الكتاب، وُصِفوا أولاً بالرُسوخ في العلم، ثم بالإيمان بكتب الله، وأنهم يقيمون الصَّلاة، ويؤتون الزّكاة، ويؤمنون بالله واليوم الأخر.

وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارةً إليهم باعتبار اتصافهم بما عُدِّد من الصِّفات الجميلة، وما فيه من معنى البُعد والالتفات للإشعار بعلوِّ درجتهم، وبُعد منزلتهم في الفضل، وهو مبتدأ، وقوله: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ خبره، والجُملة خبر للمبتدأ الذي هو ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾، وما عُطِف عليه، والسين لتأكيد الوعد، وتنكير الأجر للتعظيم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب قراءة ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قائلاً: «القراءة بالنون أحبّ إليّ؛ لأن أكثر القرّاء على ذلك، ولأنه أفخم وأعظم، وبه قرأ ابن عباس والأعرج(٢)»(٣).

(٣٦/٣٦) الاختلاف في ﴿زَبُورًا﴾ من قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾. الآية (١٦٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الزّاي وضمها من قوله عز وجل: ﴿زَبُورًا﴾، فقرأ حمزة وحده: ﴿زُبُورًا﴾ بضم الزاي، حيث وقعت(١)، وقرأ الباقون: ﴿زَبُورًا﴾ مفتوحة(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣٦٦.٣٦٣/٤)، فتح القدير، (٥٣٧/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٥.١٣/٦)، تفسير أبي السعود، (٢٥٤.٢٥٣/٢)، التفسير الكبير، (١٠٧.١٠٥/١١).

(٢) عبد الرحمن بن هُرمز، أبو داود، من موالي بني هاشم، عُرف بالأعرج، حافظ قارئ، من أهل المدينة، أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، وهو أول من برز في القرآن والسنة، وكان خبيراً بأنساب العرب، وافر العلم، ثقة توفي سنة (١١٧هـ). طبقات القراءة، (٢٢٨/١).

(٣) الكشف، (٣١٧/١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الأنبياء ضم الزبور وههنا زبوراً وفي الإسراء لحمزة أسجلا[3]

ثانياً: توجيه القراءات:

الزِّبْر بالكسر: الكتاب. والجمع: زُبُور، كقِدْر وقُدُور. والزَّبر بالفتح: الكتابة، يُقال: زَبَر الكتاب يَزْبُرُه زَبْراً: كتبه.

وفي لغة هذيل: الذَّبر، بالذال المعجمة: الكتابة، يُقال: ذَبَر الكتاب يَذْبِرُه ويَذْبُرُه ذَبْراً وذَبَّره: كلاهما: كتبه. وعند الأصمعي: أي قرأه قِراءةً خفيفةً.

وقال ابن مكي الصقلي: «زَبَرْت الكتاب، بالزاي: كتبته، وذَبَرْته، بالذال المعجمة: قرأته»، ويُوافقه ابن منظور بقوله: «الزَّبر في الأصل: القِراءة، وكتابٌ ذَبْرٌ: أي سَهْلُ القراءة».

أما أبو عبيدة فلم يُفرِّق بينهما فقال: «زَبَرْت الكتاب وذَبَرْته: كتبته، قد غلب إطلاق لفظ الزبور على صحف داود عليه السلام، وكل كتاب زَبُوراً»[4].

حجة من قرأ قوله عز وجل: [زَبُورًا] بفتح الزاي، أنه من المعروف أن داود عليه السلام، أوتي كتاباً اسمه الزَّبور، كالتَّوراة والإنجيل والقرآن، فهو كتابٌ واحد لكل نبيٍّ، فيُقال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، عليهم الصلاة والسلام، بمعنى أن الآثار قد جاءت بهذا. وقال ابن خالويه: «حجة من قرأ بفتح الزاي أنه أراد واحداً مفرداً»[5].

أما قراءة حمزة [زُبُورًا] بضم الزاي، فالقول فيها على وجهين: أحدهما: أن يكون جمع زَبْرٍ، فأوقع على المزبور اسم الزَّبْر؛ كقولهم: نَسيجُ اليَمن؛ أي: منسوج، كما سُمِّي المَكتوب الكتاب، ثم جُمع الزَّبر على زُبُور، وجمعه لوقوعه موقع الأسماء التي ليست بمصادر، كما جمع الكتاب على كتب، لما استعمل استعمال الأسماء فقالوا: زُبُورٌ. والآخر: أن يكون جمع زبوراً بحذف الزيادة على زُبور؛ كما قالوا: ظريفٌ وظروف، ونحو ذلك مما جُمع بحذف الزيادة؛ كأنه

---

(1) وذلك في قوله تعالى: [وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا] الإسراء (55)، وقوله: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] الأنبياء (105)، وقرأ الباقون بفتحهما. انظر: كتاب السبعة، ص(240).

(2) انظر: كتاب التيسير، ص(98)، كتاب السبعة، ص(240)، النشر، (253/12)، الإتحاف، ص(196).

(3) المتن، ص(49).

(4) انظر: لسان العرب، (302/4)، و(315/4)، مختار الصحاح، ص(220) و(267).

(5) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(128).

في التقدير: وءاتينا داود كتباً وصحفاً، كما قال: [صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى][(١)]، وكما قال: [فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ][(٢)]، فمعناه: كتباً مزبورة[(٣)].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن حكى سبحانه أنَّ اليهود سألوا النبي ρ أن يُنزِّل عليهم كتاباً من السماء، ذكر سبحانه أنهم لا يطلبون ذلك لأجل الاسترشاد، ولكن لأجل العِناد واللّجاج، وحكى أنواعاً كثيرة من فضائحهم وقبائحهم، وامتد الكلام إلى هذا المقام، شرع الآن في الجواب عن تلك الشُّبهة فقال: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ] إنما بُدئ بذكر نوح عليه السلام؛ لأنه أول البشر، وأول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشَّرائع والأحكام، وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته، وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، منهم سُكَين وعُدي بن زيد[(٤)]، قالوا للنبي ρ: ما أوحى الله إلى أحدٍ من بعد موسى» فكذَّبهم الله»[(٥)]، وقوله: [وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ] هذا يتناول جميع الأنبياء، ثم قال: [وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ] أي كما أوحينا إلى إبراهيم، وخصَّ سبحانه أقواماً بالذكر تشريفاً لهم، وهم أولاد يعقوب عليهم السلام، ثم قال: [وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ] وقدَّم عيسى عليه السلام على قومٍ كانوا قبله؛ لأن الواو لا تقتضي الترتيب، وأيضاً فيه تخصيص لعيسى عليه السلام رداً على اليهود، وفي هذه الآية تنبيه على قدر سيدنا ونبينا محمد ρ وشرفه، حيث قدَّمه في الذِّكر على أنبيائه عليهم الصَّلاة والسلام، ومثله قوله: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ][(٦)].

وخُصُّوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين؛ تشريفاً لهم، وإظهاراً لفضلهم، كما في قوله تعالى: [مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ][(٧)]، وتصريحاً بمن ينتمي إليهم اليهود من الأنبياء. وتكرير الفعل لمزيد التقدير، والإيحاء، والتنبيه على أنهم طائفة خاصَّة مُستقلّة بنوعٍ مخصوص من الوحي[(٨)].

---

(١) الأعلى، الآية (١٩).

(٢) عبس، الآية (١٣).

(٣) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٠٠/٢)، الكشف، (٤٠٢/١-٤٠٣).

(٤) الأعلام، (٢٢٠/٤).

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (١٥/٦).

(٦) الأحزاب، الآية (٧).

(٧) البقرة، الآية (٩٨).

(٨) قال الرازي: «أعلم أن الأنبياء المذكورين في هذه الآية سوى موسى عليه السلام اثنا عشر، ولم يُذكر موسى عليه السلام معهم، وذلك لأن اليهود قالوا: إن كنت يا محمد نبياً فأتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة، كما أوتى موسى عليه السلام بالتوراة دفعة واحدة. فالله تعالى أجاب عن هذه الشبهة بأن هؤلاء الأنبياء الاثني عشر

ثم ختم سبحانه ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله تعالى: [وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا] والزَّبور: هو كتاب داود عليه السلام، وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم من الأحكام، وإنما هي حِكَم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ [زَبُورًا] بفتح الزاي، ويُعلل ذلك بقوله: «لأنه اسم لكتاب واحد، وهو الاختيار؛ لصحة معناه، ولأن عليه الجماعة»[2].

وهو ما ذهب إليه الطبري أيضاً، فقال: «وأولى القراءتين في ذلك بالصَّواب عندنا، قراءة من قرأ [وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا] بفتح الزاي، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود عليه السلام، كما سمي الكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام (التوراة)، والذي أوتيه عيسى عليه السلام (الإنجيل)، والذي أوتيه محمد ρ (الفرقان)؛ لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتى داود عليه السلام، وإنما تقول العرب (زبور داود)، وبذلك تعرف كتبه سائر الأمم»[3]. وأضاف الرازي قائلاً: «وهي أولى؛ لأنها أشهر، والقراءة بها أكثر»[4].

عليهم الصلاة والسلام كلهم كانوا أنبياء ورسلاً، مع أن واحداً منهم ما أوتي كتاباً مثل التوراة دفعة واحدة، وإذا كان المقصود من تعديد هؤلاء الأنبياء هذا المعنى لم يجز ذكر موسى عليه السلام معهم». انظر: التفسير الكبير، (١١/١٠٨-١٠٩).

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤/٣٦٦-٣٦٧)، فتح القدير، (١/٥٣٧-٥٣٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٦/١٥-١٧)، تفسير أبي السعود، (٢/٢٥٤-٢٥٥)، التفسير الكبير، (١١/١٠٧-١٠٩).

(٢) الكشف، (١/٤٠٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٤/٣٦٧).

(٤) أنظر: التفسير الكبير، (١١/١٠٩).

الفصل الثاني
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة المائدة

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة المائدة ترتيبها في المصحف (٥)، وآياتها (١٢٠) وعدد كلماتها (٢٨٠٤)[١]. من أواخر ما نزل من السور بالمدينة، فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تَقْرَأُ ... نَعَمْ قَالَتْ فَإِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)[٢].

وقد نزلت بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية، في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

والمُتأمل يرى أن السورة قد امتد نزول آياتها خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياة الرسول ρ بالمدينة، فقد ابتدأ نزولها في السنة السابعة للهجرة، وفيها آية نزلت في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة قبل وفاة النبي ρ بثمانين يوماً، وهي قوله تعالى: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا][٣]، وبذلك تكون هذه الآية نزلت بعرفة.

قال القرطبي: «وفي هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما أنزل عام الفتح، وهو قوله: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى][٤]، وكل ما أنزل من القرآن بعد هجرة النبي ρ فهو مدني سواء نزل بالمدينة، أو في سفر من الأسفار، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة»[٥].

قال الشعبي[٦]: «لم ينسخ في هذه السورة إلا قوله: [وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ] الآية (٢)[٧]، وقال أبو ميسرة[٨]: «المائدة من آخر ما نزل، ليس فيها منسوخ، وفيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها، وهي قوله: [وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ]، وقوله: [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ]، وقوله: [وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ]، وقوله: [وَطَعَامُ الَّذِينَ

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٩٩).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار، (١٨٨/٦).

(٣) الآية (٣).

(٤) الآية (٨).

(٥) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، (٩٨/١). الجامع لأحكام القرآن، (٣٠/٦).

(٦) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، هو من رجال الحديث الثقات، إستقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيها، توفي سنة (١٠٣هـ). انظر: الأعلام، (٢٥١/٣).

(٧) انظر: فتح القدير، (٣/٢)، تفسير ابن كثير، (٢٧،٢٦/٥).

(٨) عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة، الهمذاني الكوفي، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، وحدث عنه الشعبي، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد. انظر: سير أعلام النبلاء، (١٣٦،١٣٥/٤).

أُوتُواْ الْكِتَابَ]، وقوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ]، وتمام الطهارة [إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ]، وقوله: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا]، وقوله: [لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ]، وقوله: [مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ]، وقوله: [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ]، هذه ثمان عشرة فريضة».

وأضاف القرطبي قائلا: «وفريضة تاسعة عشرة وهي قوله: [وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً] ليس للآذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة، أما ما جاء في سورة الجمعة، فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات»[١].

وقد سميت سورة المائدة بهذا الاسم؛ لأنها السورة الوحيدة التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يسألها ربه، وذلك في قوله تعالى: [إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ][٢]»[٣].

وجوه مناسبتها بسورة النساء:

جاء في حاشية تفسير الجلالين: «وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها؛ أنه حيث وعدنا الله بالبيان، كراهة وقوع الضلال منا، تمم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكاما لم تكن في غيرها»[٤]، وهي الأحكام التي ذكرها أبو ميسرة . سابقا . وغير ذلك من الداخل في عموم قوله: [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا][٥]، فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة الأمر بالوفاء بالعقود، فكأنه قيل في هذه السورة: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ][٦]،التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت، فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط.

وأضاف السيوطي وجهاً آخر قائلا: «ثم إن هاتين السورتين في التقديم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران، فتلكما في تقرير الأصول من الوحدانية، والكتاب، والنبوة، وهاتان في تقرير الفروع الحكمية».

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٠.٣١).

(٢) الآيتان (١٢.١٣).

(٣) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٩٩).

(٤) تفسير الجلالين، (٢/٣٦).

(٥) النساء، الآية (٥٨).

(٦) الآية (١).

وقد ختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك[1]، وافتتحت النساء ببدء الخلق وختمت المائدة بالبعث والجزاء[2]، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المتبدأ إلى المنتهى[3].

(١/٣٧) الاختلاف في [شَنَآنُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] الآية (٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح النون وإسكانها من قوله عز وجل: [شَنَآنُ]، في الموضعين، فقرأ نافع وابن عامر وشعبة: [شَنْآنُ] ساكنة النون، وقرأ الباقون: [شَنَآنُ] متحركة النون، ومعهم حفص وورش وقالون[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وسَكِّنْ مَعاً شَنْآنُ صَحّاً كِلَاهُمَا ... وفي كسرِ أن صَدُّوكُمُ حامِدٌ دلا[5]

ثانياً: توجيه القراءات:

الشَّنَاءَةُ: البغْض، ومن ذلك: شَنِئَ الشَّيءَ، وشَنَأَه: أبغضه. يُقال: رجلٌ شَنَائِيَةُ وشَنْآنُ، والأنثى شَنْآنة، وشَنْأَى: أي مُبغِضٌ سَيِّئُ الخُلق. ويقال: شُنِئَ الرجل فهو مَشْنوءٌ: إذا كان مُبْغَضاً، وإن كان جميلاً.

ويقال: رَجُلٌ شَنْأَةٌ، مَفْعَلٌ، بالفتح: قبيحُ الوجه، أو قبيحُ المنظر، الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. وقال أبو عبيدة: الشَّنْآء، بالمد: الذي يُبغضه النَّاس»، وقال الكسائي: الشَّنْآء، بالمد: الذي يُبْغِضُ النّاس». وفي الحديث: (شَنْآنُ مِن طُول)[6].

---

(١) قال تعالى في ختام المائدة قوله: [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] الآية (١٢٠) وفي أول النساء: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ] الآية (١). وهو دليل القدرة.

(٢) بدء الخلق في أول النساء قوله: [خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ] الآية (١) والمنتهي في ختام المائدة قوله: [هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ] الآية (١١٩).

(٣) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٥-٩٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٨)، كتاب السبعة، ص (٢٤٢)، النشر، (٢٥٣/٢-٢٥٤)، الإتحاف، ص (١٩٧-١٩٨).

(٥) عنى الناظم بحرف (الصَّاد) من قوله: «صحا» شعبة، وحرف (الكاف) من قوله: «كلاهما» ابن عامر، وقوله: «كلاهما» يعنى الموضعين في سورة المائدة. انظر: المتن، ص (٤٩)، الوافي، ص (٢٥٠).

(٦) لم أقف عليه.

ويُقال: تشانَؤُوا؛ أي تباغضوا، وفي التنزيل: [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ][1]، قال الفراء: «قال الله تعالى لنبيه ﷺ: إن شانئك؛ أي مُبغضك، وعدوَّك هو الأبتر»[2].

قوله جل وعز: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ] الواو حرف عطف, و(لا) ناهية جازمة، [يَجْرِمَنَّكُمْ] فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ[لا]، والكاف مفعوله الأول، و[شَنَآنُ] فاعلٌ مرفوع، وهو مصدر شَنَأ يَشْنَأُ، باب فَرِحَ، وزنه فَعَلان، بفتحتين، وإذا سكنت النُّون أصبح صفة مشبهه[3].

والجمهور على فتح النون الأولى من [شَنَآنُ]، والحجة في ذلك: أنه أتى به على ما تأتي أمثاله من المصادر المزيد فيها، كقولك: الضَّرَبان، والهملان، فمعنى الآية: لا يُكسبنكم بُغض قومٍ الاعتداء. وقال مكي: «وكذلك تحتمل القراءة بفتح النون، أن يكون اسماً كالوَرَسان[4]»[5].

ومن قرأ: [شَنْآنُ] بإسكان النون الأولى، فحجته أنه بنى المصدر على أصله قبل دخول الألف والنُّون عليه، وذلك مثل: الضَّبَّان، والهمَلان. وقال أبو منصور: «إن [شَنْآنُ] بإسكان النون الأولى، هو نعتٌ، كأنه قال: لا يَحملنكم بغيض قومٍ، ولا يَكسبنكم مبغض قومٍ»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن حرَّم سبحانه الصَّيد على المُحرم في الآية السابقة[7]، أكد ذلك بالنَّهي في هذه الآية مُخالفة تكاليف الله تعالى بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ]، وهذا خطاب للمؤمنين حقاً، أي: لا تتعدوا حدود الله في أمرٍ من الأمور، والشَّعائر: جمع شعيرة، على وزن فَعِيلة، والشَّعيرة: البدَنَة تُهدى، وإشعارها أن يُجزُّ سنامها حتى يسيل منه الدم، فيُعلم أنها هديٌ، قال القرطبي: اختلف العلماء في إشعار الهَدي، فأجازه الجمهور، ثم اختلفوا في أيِّ جانب يكون، فقال الشافعي وأحمد: «يكون في الجانب الأيمن»، وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دعا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الأَيْمَنِ)[8]».

---

(١) الكوثر، الآية (٣).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٠٢.١٠١/١)، مختار الصحاح، ص(٣٤٨).

(٣) انظر: إملاء العكبري، (١١٦/١)، الجدول في إعراب القرآن، (٢٣٠.٢٢٨/٦).

(٤) الوَرَسان: من الوَرْس، شيء أصفر مثل اللَّطخ يخرج على الرِّمْثِ بين آخر الصيف وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لوَّنَه. وفي التهذيب: الوَرْس: صِبْغ. والتَّوريس: مثله. لسان العرب، (٢٥٤/٦).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢١٩)، الكشف، (٤٠٤/١).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٢٩.١٢٨)، الكشف، (٤٠٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢١٩)، كتاب معاني القراءات، ص (١٣٨).

(٧) وهي قوله: [أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ] المائدة (١).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام، (٥٨.٥٧/٤).

والإشعار: الإعلام من طريق الإحساس، فقد استعار الشَّعيرة وهي العلامة للمُتعبدات التي تعبَّد الله بها العباد من الحلال والحرام، وإضافتها إلى الله عز وجل لتشريفها، وتهويل الخطب في إحلالها وإحلالها أن يُتهاون بحرمتها، ويُحال بينها وبين الناس المتنسكين بها.

الثاني: قوله: [وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ] أي: لا تحلوا الشَّهر الحرام بالقتال فيه، ولا للغارة، ولا تبدِّلوها، فإن استبدالها استحلال، وذلك ما كانوا يفعلونه من النَّسيء، وكذلك قوله: [وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ] أي: لا تستحلوها، وهو على حذف مضاف؛ أي ولا ذوات القلائد، جمع قلادة، فنهي سبحانه عن استحلال الهدي جُملةً بأن يأخذوه على صاحبه، أو يحولوا بينه وبين المكان الذي يُهدى إليه. ثم ذكر المقلَّد منه تأكيداً، ومُبالغةً في التنبيه على الحرمة في التقليد وإحلالها بأن تؤخذ غصباً، قال الشوكاني: «وعطف الهدي على الشعائر مع دخولها تحتها، لقصد التنبيه على مزيد خصوصيته، والتَّشديد في شأنه، وعطف القلائد على الهدي لزيادة التَّوصية بالهدي». وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأنَّها أشرف الهدي، كقوله: [مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ][(١)].

قال الجمهور: الهدَي عامٌ في جميع ما يُتقرب به من الذبائح والصدقات، وأما القلائد فهي كل ما عُلق على أسنمة الهدايا وأعناقها، علامة أنه لله سبحانه من نعلٍ وغيره، وهي سنة إبراهيمية بقيت في الجاهلية وأقرها الإسلام، وهي سُنة البقر والغنم، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً إِلَى الْبَيْتِ غَنَمًا فَقَلَّدَهَا)[(٢)].

الثالث: قوله: [وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ] أي: ولا تحلُّوا قوماً قاصدين زيارته بأن تصدوهم عن ذلك بأي وجهٍ كان، والنهي عامٌ في الشهر الحرام وغيره، ولكنه خص الشهر الحرام بالذكر تعظيماً وتفضيلاً. بقوله: [يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا] أي يبتغون الفضل والأرباح في التجارة، ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنهم. وهذه الآية نزلت عام الفتح فنُسخ ذلك كله بعد عامٍ، سنة تسع، إذ حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ونودي الناس بسورة براءة[(٣)].

الرابع: قوله: [وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا] هذه الآية متعلقة بقوله: [غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ][(٤)]، والأمر للإباحة بعد الحظر، يعني لما كان المانع من حل الاصطياد هو الإحرام، وجب أن يزول المنع، ثم قال: [وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا] أي لا يحملنكم بُغض قوم على الاعتداء عليهم، أولا يكسبنكم بغضهم اعتداءكم للحق إلى الباطل، قوله: أَنْ

---

(١) البقرة، الآية (٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم لمن لا يريد الذهاب بنفسه واستحباب تقليده وفتل القلائد وإن باعثه لا يصير محرماً ولا يحرم عليه شيء بذلك، (٤/٩٠).

(٣) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص (٢٥٧ . ٢٥٨).

(٤) المائدة، الآية (١).

[صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] أي: لأن صدوكم عن زيارة البيت الحرام والطَّواف به للعمرة عام الحديبية(١). قال ابن زيد: «صدَّ المُسلمين عن البيت عام الحديبية مَرَّ بهم ناسٌ من المشركين يريدون العمرة، فقال المسلمون: نصُدُّهم كما صدُّنا أصحابهم، فنزلت هذه الآية»(٢).

قال مجاهد: «الآية مخصوصة، محكمة، غير منسوخة»(٣). وقد لعن رسول الله ρ من قتل بِذَحْلٍ(٤) كان في الجاهلية(٥)، ثم إنه سبحانه لما نهاهم عن الاعتداء أمرهم بالتَّعاون على البر والتقوى، فقال: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى] أي: ليُعن بعضكم بعضاً على ذلك، وهو يشمل كلَّ أمرٍ يصدق عليه أنه من البرِّ والتقوى كائناً ما كان، قال الماوردي(٦): «ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبرِّ وقرنه بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته، وعمَّت نعمته».

ثم نهاهم سبحانه عن التعاون على الإثم والعدوان، فقال: [وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]، والإثم: كل فعلٍ أو قولٍ يُوجب إثم فاعله أو قائله، والعدوان: التعدّي على النَّاس بما فيه ظلم، فلا يبقى نوع من أنواع المُوجبات للإثم، ولا نوع من أنواع الظُّلم للناس الذين من جملتهم النفس، إلا وهو داخل تحت هذا النهي، لصدق هذين النَّوعين على كل ما يوجد فيه معناهما.

ثم أمر سبحانه عباده بالتقوى، قائلاً: [وَاتَّقُوا اللَّهَ] وتوعد كلَّ من خالف ما أُمر به فتركه، أو خالف ما نُهي عنه ففعله بقوله: [إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] وإظهار الاسم الجليل لمامر مراراً من إدخال الرَّوعة، وتربية المهابة، وتقوية استقلال الجملة(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) وكان هذا في سنة (٦هـ) من ذي القعدة، وكان مع النبي ρ ألف وخمسمائة، وقد نحروا في هذا العام سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، وفيها وضعت شروط أتفق عليها الطرفان. انظر: زاد المعاد (١٢٦.١٢٢/٢).

(٢) أسباب النزول: الواحدي، ص (١٥٥).

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن، ص (٢٦٠).

(٤) الذَّحْل: الثَّأر، وجمعه أذْحال وذُحول. لسان العرب، (٢٥٦/١١).

(٥) قال النبي ρ: (إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مَنْ قَتَلَ فِيهَا، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَ بِذَحْلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسند المدنيين، (١٢٦/٥).

(٦) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قُضاة عصره، صاحب التَّصانيف الكثيرة النافعة، وَلِيَ القضاء في بلدان كثيرة، كان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، من كتبه (أدب الدنيا والدين)، توفي سنة (٤٥٠هـ). الأعلام (٣٢٧/٤).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٤٠٦.٣٩٢/٤)، فتح القدير، (٧.٥/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٧.٣٧/٦)، تفسير أبي السعود، (٥.٣/٢)، التفسير الكبير، (١٣٢.١٢٨/١١).

رجح ابن أبي طالب القراءة بفتح النون، قائلاً: «والأكثر في فتح النَّون في كلام العرب أن يكون مصدراً، نحو: النَز َوان(1) والغليان، والغشيان، فمعنى الآية: لا ي ُكسبنكم ب ُغض قوم الاعتداء، فأما من أسكن فلأن هذا البناء قد جاء في الصِّفات؛ نحو غ َضبان، وس ُكْران » ثم يقول: «وحكى أبو زيد: رجل شَنْآن وامرأة شَن ْأى، فإن حملته على هذا دون المصدر فقد أقمت الصِّفة مقام الموصوف، وإنما المعنى على المصدر؛ لأن المعنى: لا يحملنكم ب ُغ ْض قوم على أن تعتدوا، فإن حملته على الصِّفة كان التقدير: لا يحملنكم بغيض قوم» ثم يؤكد قائلاً: «والمعنى على الأول»(٢).

وقال أبو علي الفارسي: «وأما من حرك فقال: شَنَ[آن ُ] فإن هذا البناء في المصادر التي معناها التقلُّب والتزعزع كثير ٌ ، والصِّفة دونه في الكثرة، فإذا كثر في الاستعمال، واستقام في المعنى، وعض ّده التفسير، لم يكن عنه مذهب ٌ إلى ما لم تجتمع فيه هذه الخلال»(٣).

وأضاف ابن زنجلة قائلاً: «القراءة بالفتح هي الاختيار؛ لأن المصادر مما أوله مفتوح جاء أكثرها محر ّكاً، مثل غلى غلياناً، وضرب ضرباناً، والإسكان قليل». ثم قال: «وإنما يجئ في المضموم والمكسور مثل: ش ُكْران وك ُفْران وح ِرمان»(٤).

وهو اختيار الطبري أيضاً، ويعلل ذلك بقوله: «لشائع تأويل أهل التأويل على أن معناه: ب ُغض قوم، وتوجيههم ذلك إلى معنى المصدر دون معنى الاسم»(٥). وساق الرازي علة أخرى لترجيح قراءة الفتح، فقال: «والفتح أجود؛ لكثرة نظائرها في المصادر. وأما بالسكون فقد جاء في الأكثر وصفاً»، ويقول: قال الواحدي: ومما جاء مصدراً قولهم: لويته حقه ل ِي ّاناً »(٦).

(٢/٣٨) الاختلاف في [أَنْ] من قوله عز وجل: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] الآية (٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

---

(1) النَّزو: الو َثَب َان، ومنه ن َز ْو التَّيس، ولا ي ُقال إلا للشاء والد ّواب ّ والبقر في معنى الس ّفاد. لسان العرب، (٣٢١.٣١٩/١٥).

(٢) الكشف، (٤٠٤/١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (١١١/٢).

(٤) الحجة: ابن زنجلة ، ص(٢٢٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٤٠٣/٤).

(٦) انظر: التفسير الكبير، (١٣١/١١).

اختلفوا في فتح الألف وكسرها من قوله: [أَن] ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [إِن] مكسورة الألف، وقرأ الباقون: [أَن] مفتوحة الألف[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وسكّن معاً شنآن صحّاً كلاهما ... وفي كسر أن صدوكم حامد دلا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله عز وجل: [أَن] يقرأ بفتح الهمزة وهي مصدرية، على تقدير: ولا يجرمنكم شنآن قوم لأن صدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وموضعه النصب؛ أي: لا يكسبنكم بُغض قوم الاعتداء، والحجة في ذلك: أن الصدّ وقع من الكفار، وسورة المائدة في آخر ما أُنزل من القرآن[٣]، وقد صحت الأخبار عن جماعة من الصحابة أنّ نزول هذه السورة كان بعد فتح مكة، ولم يكن حينئذ بناحية مكة أحد من المشركين يُخاف أن يصد المؤمنين عن المسجد الحرام، فيقال: ولا يحملنكم، إن صدوكم عن المسجد الحرام، بغضكم إياهم أن تعتدوا عليهم، فلما كان كذلك دلّ على أن القوم إنما نُهوا عن الاعتداء على المشركين لصدٍّ كان قد سلف[٤].

ومن قرأ بكسر الهمزة فحجته في ذلك أنه جعله أمراً منتظراً، تقديره: إن وقع صدٌّ فيما يُستقبل فلا يكسبنكم الاعتداء، بمعنى أنه جعل [إِن] حرف شرط، وجعل الماضي بعدها بمعنى المُضارع، أي إن الصد منتظرٌ وقوعه، وجاء في الكشف: يجوز أن الصدّ قد مضى، مع كسر [إِن] على معنى: لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء، إن صدوكم، كما جرى فيما مضى من الصدّ، فتحقيقه: إن عادوا إلى الصدّ الذي أكسبكم البُغض لهم. فيكون الشرط مستقبلاً على بـ(أن)، وهو مثال لأمرٍ قد مضى؛ لأن معناه: إن وقع مثل الصد الذي مضى فلا يَكسبنكم بغض قوم الاعتداء. والتفسير والأخبار على أنه أمرٌ قد كان صدٌّ قد وقع. و استدلوا بقول الفرزدق:[٥]

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (٩٨)، كتاب السبعة، (ص٢٤٢)، النشر، (٢٥٤/٢)، الإتحاف، ص (١٩٨).

(٢) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حامد» إلى ابي عمرو، وبحرف (الدال) إلى ابن كثير، انظر: المتن، ص (٤٩)، الوافي، ص (٢٥٠).

(٣) كما في مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) انظر: باقي مسند الأنصار، (١٨٨/٦). وعلق الصابوني على ذلك بقوله: آخريتها باعتبار ما نزل فيها من حلال وحرام، ولم يُنسخ منها شيء، وهي لم تنزل دفعة واحدة فالآخرية فيها باعتبار البعض الذي تم به النزول لا آخرية جميع السورة». التبيان في علوم القرآن، (٤٨/٢).

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن، (١١٦/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٩)، الكشف، (٤٠٥/١).

(٥) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدّارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان شريفاً في قومه, عزيز الجانب، ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه توفي في بادية البصرة سنة (١١٠هـ). الأعلام (٩٣/٨).

أَتَغْضَبُ إِنْ أُذُنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ أَبِي حَازِمِ (١)

أنشده بكسر (إن) والذي بعدها أمرٌ قد كان ووقع، ولكنه على معنى المثال، على معنى: أتغضبُ إن وقع مثلُ حزِّ أذني قتيبة(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(٣).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الفتح قائلاً: «والفتح الاختيار؛ لأن عليه أتى التفسير أن الأمرَ قد مضى، وهو ظاهر اللفظ، ولأن أكثر القراء عليه»(٤). وقال أبو علي الفارسي: «وأما قول من فتح فبيِّنٌ لا مؤونة فيه، وهو أنه مفعولٌ له، التقدير: ولا يجرمنكم شنآن قومٍ لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، فـ(أن) الثانية في موضع نصبٍ، لأنه المفعول الثاني، والأول منصوب؛ لأنه مفعول له»(٥).

وقال القرطبي: «الفتح واجباً؛ لأن قوله تعالى: [لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ..] إلخ الآية يدلّ على أن مكة كانت في أيديهم وأنهم لا ينهون عن هذا إلا وهم قادرون على الصدّ عن البيت الحرام، فوجب من هذا فتح [أَنْ] لأنه لما مضى»(٦). وساق الشوكاني قول النحاس، مؤكداً على ترجيح قراءة الفتح فقال: «قال النحاس: وأما [إِنْ صَدُّوكُمْ] بكسر [إِنْ] فالعلماء الجلة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها لأشياء منها: أن الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، وكان المشركون صدوا المسلمين عام الحديبية سنة ستٍ، فالصد كان قبل الآية، وإذا قُرئ بكسر لم يُجز أن يكون إلا بعده، وإن فتحت كان للماضي، فوجب على هذا ألا يجوز [إِنْ صَدُّوكُمْ] إلا بالفتح»، ثم يعلق الشوكاني قائلاً: «وما أحسن هذا الكلام»(٧).

بينما نجد الطبري قد صوّب القراءتين معاً، قائلاً: «والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان معروفتان مشهورتان في قرأة الأمصار، صحيحٌ كل واحد منهما، وذلك أن النبي ρ صُدّ عن البيت هو وأصحابه يوم الحديبية، وأنزلت عليه سورة المائدة بعد ذلك، فمن قرأ بفتح الألف، فمعناه: لا يحملنكم بغض قوم أيها الناس، من أجل أن صدوكم يوم الحديبية عن المسجد

---

(١) انظر: فهرس شواهد سيبويه، ص(١٤٢).

(٢) انظر: إملاء العكبري، (١/١١٦)، كتاب معاني القراءات، ص (١٣٩)، الحجة: ابن زنجلة، (٢٢٠).

(٣) انظر ذلك ص (   ).

(٤) الكشف، (١/٤٠٥).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١١٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٦/٤٦).

(٧) فتح القدير، (٢/٧).

الحرام أن تعتدوا عليهم. ومن قرأ بكسر الألف فمعناه: لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام إن أردتم دخوله؛ لأن الذين حاربوا رسول الله ρ وأصحابه، من قريش يوم فتح مكة، قد حاولوا صدّهم عن المسجد الحرام، فتقدَّم الله إلى المؤمنين بالنهي عن الاعتداء عليهم، إن هم صدوهم عن المسجد الحرام، قبل أن يكون ذلك من الصادين»، ثم يقول: «غير أن الأمر وإن كان كما وصفت، فإن قراءة ذلك بفتح الألف أبينُ معنىً؛ لأن هذه الآية لا تدافُع بين أهل العلم في أنها نزلت بعد يوم الحديبية، وإذ كان ذلك كذلك، فالصدُّ قد تقدم من المشركين، فنهى الله المؤمنين عن الاعتداء على الصادّين من أجل صدّهم إياهم عن المسجد الحرام»[1].

ويعترض أبو حيان على من رفض وردّ قراءة الكسر فيقول: «وهذا الإنكار منهم لهذه القراءة صعب جداً، فإنها قراءة متواترة، إذ هي في السبعة، والمعنى معها صحيحٌ، والتقدير: إن وقع صدٌّ في المستقبل مثل ذلك الصد، الذي كان زمن الحديبية، وهذا النهي تشريع في المستقبل، وليس نزول هذه الآية مُجمعاً عليه، بل ذكر اليزيدي أنها نزلت قبل أن يصدّوهم، فعلى هذا القول يكون الشرط واضحاً»، ثم يعلق على القراءة الثانية قائلاً: «وهي قراءة واضحة؛ أي شنآنُ قوم من أجل أن صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام، والاعتداء الانتقام منهم بإلحاق المكروه بهم»[2].

(٣/٣٩) الاختلاف في [الْمُحْصَنَاتُ] من قوله عز وجل: [الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] الآية (٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الصاد وكسرها من قوله عز وجل: [الْمُحْصَنَاتُ]، فقرأ الكسائي: [الْمُحْصِنَاتُ] بكسر الصاد، وقرأ الباقون: [الْمُحْصَنَاتُ] بالفتح[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي مُحصَنَاتٍ فاكسرِ الصّادَ راويا وفي المحصنَاتِ اكسرْ لهُ غيرَ أوَّلا[4]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيهها لغوياً في النص رقم (١٠/١٠)[1] الْقوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ..] الواو إستئنافية أو عاطفة، و[الْمُحْصَنَاتُ] مبتدأ خبره محذوف عليه ما قبله، أي: حلٌّ لكم، و[مِنَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٠٤/٤.٤٠٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير، (٤٢٢/٣).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٥)، كتاب السبعة، ص (٢٣٠)، النشر، ص(٢٤٩/٢)، الإتحاف، ص(١٨٨).

(٤) سبق شرحه في ص(   ).

الْمُؤْمِنَاتِ] متعلقان بمحذوف حال من [الْمُحْصَنَاتُ]، و[مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] عطف على ما تقدم، و[لَكُمْ] متعلقان بمحذوف حال(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

أخبر سبحانه في الآية السابقة أنه أحل للمؤمنين الطيبات بقوله: [إِذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ] فكان المقصود من ذكره الإخبار عن هذا الحُكم، ثم أعاد ذكره في هذه الآية، والغرض منه أنه لما ذكر في قوله: [الْيَوْمَ ... وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي]، فبيَّن سبحانه أنه كما أكمل الدِّين وأتمَّ النِّعمة في كل ما يتعلق بالدين، فكذلك أتم النِّعمة في كل ما يتعلق بالدنيا، ومنها إحلال الطيبات، والغرض من الإعادة، رعاية هذه النُّكتة.

ثم قال: [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ] والطعام اسمٌ لما يؤكل، والذبائح منه، و[الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] هم اليهود والنصارى، وهم الذين أوتوا التوراة والإنجيل، وأُنزل عليهم، فهؤلاء طعامهم حلالٌ لكم أكله دون ذبائح سائر أهل الشِّرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعبدة الأوثان والأصنام، وفي المقابل قال: [وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ] أي: وطعام المسلمين حلالٌ لأهل الكتاب، قال القرطبي: «وهذا دليلٌ على أنهم مُخاطبون بتفاصيل شرعنا؛ أي إذا اشتروا منا اللّحم يحل لهم اللحم، ويحل لنا الثّمن المأخوذ منهم».

ثم قال سبحانه: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ] أي وأحل لكم أيها المؤمنين المحصنات من المؤمنات، وهن الحرائر منهن أن تنكحوهن. وتخصيصهن بالذّكر هنا للبعث على ما هو الأَولى، ولا ينفي ما عداهن، فإن نكاح الإماء المسلمات صحيحٌ بالاتفاق، وأيضاً نكاح غير العفائف منهن، وكذلك المحصنات توطئة وتمهيدا لقوله: [الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] والمُراد بهن الحرائر دون الإماء، هكذا قال الجمهور. ثم قوله: [آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] أي: إذا أعطيتم من نكحتم من محصناتكم ومحصناتهم مهور هن، قال الرازي: «تقييد التّحليل بإيتاء الأجور يدلُّ على تأكد وجوبها، وأن من تزوج امرأة وعزم على أن لا يُعطيها صداقها كان في صورة الزاني، وتسمية المهر بالأجر يدل على أن الصداق لا يتقدر، كما أن أقل الأجر لا يتقدر في الإجارات»، وكما شرط سبحانه في النساء أن يكن مُحصنات، شرط سبحانه في الرجال العفة، وعدم المجاهرة بالزنا، وعدم اتخاذ أخدان، فقال: [مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ]، ثم قال: [وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ] أي: من ينكر شرائع الإسلام، التي من جملتها ما بُنِّيَ هنا من الأحكام المُتعلقة بالحل أو الحرمة ويمتنع عن قبولها، قوله: [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ] أي: بطل عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك، وقوله: [وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]

---

(١) انظر ص(   ).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، (٢/٤١٦).

أي: وهو في الآخرة من الهالكين، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد ρ، وعملهم بغير طاعة الله[(1)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (10/10)[(2)].

(40/4) الاختلاف في [وَأَرْجُلَكُمْ] من قوله عزَّ وجلَّ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] الآية (6).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في نصب اللام وخفضها من قوله عزَّ وجلَّ: [وَأَرْجُلَكُمْ]، فقرأ نافع وابن عامر والكسائي: [وَأَرْجُلَكُمْ] نصباً، وقرأ الباقون: [وَأَرْجُلِكُمْ] خفضاً[(3)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأرجلكم بالنصب عمَّ رضاً علا ... مع القصر شدِّد ياء قاسيةً شفا[(4)]

ثانياً: توجيه القراءات:

الرِّجْلُ: قَدَمُ الإنسان وغيره، والجمع: أرجُل. قال سيبويه: «لا نعلمه كسّر على غير ذلك»، وقال ابن جني: «استغنوا فيه بجمع القلة عن جمع الكثرة» وفي المثل: (لا تمش برجل من أبى)[(5)]، ورجُلٌ أرجَلُ: عظيم الرِّجل، ورجِل يرجَل رَجَلاً: أصاب رجله. ويُقال الرُّجلة: أن يشكو رجله[(6)].

قوله عزَّ وجلَّ: [وَأَرْجُلِكُمْ] يقرأ بالخفض عطفاً على الرؤوس، في قوله تعالى: [وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ]، وحجتهم في ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (الوضوء غسلتان

---

(1) انظر: تفسير الطبري، (4/440-450)، فتح القدير، (2/14-15)، الجامع لأحكام القرآن، (6/75-80)، تفسير أبي السعود، (3/8-9)، التفسير الكبير، (11/145-149).

(2) انظر ص (   ).

(3) انظر: كتاب التيسير، ص (98)، كتاب السبعة، ص (242-243)، النشر، (2/254)، الإتحاف، ص(198).

(4) قصد الناظم بلفظ (عمّ) نافع وابن عامر، وبحرف (الراء) من قوله: «رضا» الكسائي، وبحرف (العين) من قوله: «علا» حفص الأسدي. وهم الذين قرؤوا بنصب اللام، ومن الملاحظ أن عاصماً له قراءتين بالجر والنصب. انظر: المتن، ص (49)، الوافي، (251).

(5) أي: لا تستعن بمن لا تطيب نفسه بمعونتك. انظر: موسوعة أمثال العرب، (5/70).

(6) انظر: لسان العرب، (11/267)، مختار الصحاح، ص(235).

ومسحتان)[1]، وقال الشعبي[2]: نزل جبريل بالمسح، ألا ترى أنه أهمل ما كان مسحاً، ومسح ما كان غسلاً في التيمم».

وأضاف أبو علي قائلاً: «الحجة لمن خفض أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغُسل، والآخر: الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن تُحمل على الأقرب منهما دون الأبعد، وذلك كقوله: [وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا][3]، فأعمل [ظَنَنتُمْ] في [أَنْ] لقربها منها، ولم يعمل [ظَنُّوا]، ولو أعمل [ظَنُّوا] في [أَنْ] لوجب أن يقال: كما ظننتموه، فالعامل في [أَنْ] [ظَنَنتُمْ]، دون [ظَنُّوا] لقربها»[4].

وقرأ [وَأَرْجُلَكُمْ] بالنصب، والحجة في ذلك: أنه ردّه بالواو على أول الكلام؛ لأنه عطف محدوداً على محدود، لأن ما أوجب الله غسله فقد حصره بحدّ، وما أوجب مسحه أهمله بغير حدٍّ. وقال أبو منصور: من قرأ بالنصب أخّر، ومعناه التقديم، بمعنى أنها معطوفة على الوجوه والأيدي، فأوجبوا الغَسل عليهما» ويوافقه ابن زنجلة قائلاً: «وفي القرآن من هذا التقديم والتأخير كثير، كقوله: [الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ][5]، ثم قال: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ]، وعطف [وَالْمُحْصَنَاتُ] على [الطَّيِّبَاتُ]» ثم يقول: «فكذلك ذلك في قوله: [وَأَرْجُلَكُمْ] عطف بها على الوجوه والأيدي على ما أخبرتك به من التقديم والتأخير»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هنا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم، بعد بيان ما يتعلق بدنياهم، فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ]، ولقد اختلف أهل العلم في هذا الأمر عند إرادة القيام إلى الصلاة، على أقوال، أصحها أن معناه إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر الصلاة، فاغسلوا وجوهكم بالماء، وأيديكم إلى المرافق، ودليل ذلك ما رواه بريدة[7]: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (٣٥٨/٦).

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد أبو عمرو الشعبي الكوفي، الإمام الكبير،المشهور، مناقبه وعلمه وحفظه أشهر من أن تذكر، توفي سنة (١٠٥هـ)، وله (٧٧) سنة. غاية النهاية (٣٥٠/١).

(٣) الجن، الآية (٧).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٢٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١١٢/٢).

(٥) المائدة، الآية (٥).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (٢١٩)، كتاب معاني القراءات، ص(١٣٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢١).

(٧) بريدة بن الحُصَيب، أبو سهل الأسلمي صحابي، أسلم قبل بدر، توفي سنة (٦٣هـ). تقريب التهذيب (٩٦/١).

تَ صَمنْ تَعا اُنصَق الِ تَعَ تَ ه ُ ي َ ا ع َم َ ر ُ) [(١)]، فتقرر بهذا أن الوضوء لا يجب إلا على المُحدث وبه قال جمهور أهل العلم، وهو الحق.

ذكر [فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ] قوله: سبحانه أربعة أعضاء: الوجه وفرضه الغَسل، واليدين كذلك. والرأس، وفرضه المسح اتفاقاً. واختلف في الرجلين: فمن قرأ بالنصب، جعل العامل [اغْسِلُوا]، وبنى على أن الفرض في الرجلين الغَسل دون المسح، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبي ρ، واللازم من قوله في غير ما حديث، وقد رأى قوماً يتوضئون وأعقابهم تلوح، فنادى بأعلى صوته: (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) [(٢)]. ثم إن الله حدّهما فقال: [إِلَى الْكَعْبَيْنِ]، كما قال في اليدين: [إِلَى الْمَرَافِقِ]، ودل على وجوب غسلهما والله أعلم. ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء، على معنى: إن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غَسلهما، وجعلوا [وَأَرْجُلِكُمْ] عطفاً على [بِرُءُوسِكُمْ] فخفضوها لذلك.

قال القرطبي: «ألفاظ الآية تقتضي الموالاة بين الأعضاء، وهي إتباع المتوضئين الفعل الفعل إلى آخره من غير تراخٍ بين أبعاضه، ولا فصل بفعل ليس منه، وتتضمن الآية أيضاً الترتيب وقد اختلف فيه [(٣)]، والأولى وجوبه، ودلت الآية أيضاً على المسح على الخُفين». وبقي من فرائض الوضوء النية والتَّسمية، ولم يُذكرا في هذه الآية، بل وردت بهما السنة [(٤)].

وبعد أن بين سبحانه كيفية الطهارة الصُغرى، ذكر بعدها كيفية الطهارة الكبرى فقال: [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا] أي فاغتسلوا بالماء، وقد ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما إلى أن الجنب لا يتيمم البتة، بل يدع الصلاة حتى يجد الماء، استدلالاً بهذه الآية، وذهب

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، (١٦٠/١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غَسل الرجلين بكمالهما، (١٤٧/١، ١٤٨).

(٣) الترتيب في أعمال الوضوء فرض عند الشافعية والحنابلة؛ لأنها وردت في الآية مرتبة، لأن إدخال الممسوح (أي الرأس) بين المغسولات (أي الأيدي والأرجل) قرينة على أنه أريد به الترتيب، وذهب الحنفية والمالكية إلى عدم وجوب الترتيب في الوضوء، بل هو سنة عندهم؛ لأن الله تعالى أمر بغسل الأعضاء وعطف بعضها على بعض بواو الجمع، وهي لا تقتضي الترتيب، والترتيب إنما يكون في عضوين مختلفين، فإن كانا في حكم العضو الواحد لم يجب، ولهذا لا يجب الترتيب بين اليمنى واليسرى في الوضوء اتفاقا، ولكن يُسن؛ لأن النبي ρ كان يحب التيامن. انظر: الموسوعة الفقهية، (١٦٤/١١).

(٤) حديث النية كما في قوله ρ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، (٢/١). وحديث التسمية كما في قوله ρ: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ) أخرجه أحمد في باقي مسند المكثرين، (٢٥٩/٢).

الجمهور إلى وجوب التيمم للجنابة مع عدم الماء، وهذه الآية هي للواجد على أن التَّطهر هو أعمّ من الحاصل بالماء، أو بما هو عِوض عنه مع عدمه وهو التُّراب، وقد صح عن عمر وابن مسعود أنهما رجعا إلى ما عليه الناس، وأن الجنب يتيمم، وحديث عمران بن حصين[1] في ذلك: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا مُعْتَزِلًا لَمْ يُصَلِّ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ: يَا فُلَانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ)[2].

وقوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ][3]. طرح ابن جرير سؤالاً مفاده:

فإن قال قائل: وما وجه تكرير قوله: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] إن كان معنى (اللمس) الجماع، وقد مضى ذكر الواجب عليه بقوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا]؟!

قال: «قيل: وجه تكرير ذلك أن المعنى الذي ألزمه تعالى ذكره من فرضه بقوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا] غير المعنى الذي ألزمه بقوله: [أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] وذلك أنه بيّن حكمه في قوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا] إذا كان له السبيل إلى الماء الذي يطهّره، ففرض عليه الاغتسال به، ثم بَيّن حُكمه إذا أعوزه الماء فلم يجد إليه السبيل، وهو مُسافر غير مريض مقيم، فأعلمه أن التيمم بالصعيد له حينئذٍ الطُّهور». وقال أبو السعود: «ولعل التكرير ليتصل الكلام في أنواع الطّهارة».

قوله سبحانه: [مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ] أي ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين، [وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] بما فرض عليكم من الوضوء من الأحداث، والغُسل من الجنابة، والتيمم عند عدم الماء، فتنظّفوا وتطهَّروا بذلك أجسامكم من الذنوب. وقوله: [وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ] أي بالتَّرخيص لكم في التيمم عند عدم الماء، أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرفكم بها الثّواب، وقوله: [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) عمران بن حُصَين بن عبيد بن خلف الخُزاعي، أبو نُجيد، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، توفي سنة (٥٢هـ) بالبصرة. تقريب التهذيب (٨٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب الصعيد من الطّيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، (١٥٥.١٥٢/١) حديث رقم (١٠).

(٣) سبق شرحها باستفاضة في النص رقم (٢٠/٢٠)، انظر ص ( )

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٤٨٠.٤٥٠/٤)، فتح القدير، (١٩.١٦/٢), الجامع لأحكام القرآن, (١٠٨.٨٠/٦), تفسير ابي السعود, (١١.١٠/٣). التفسير الكبير, (١١/ ١٧٨.١٤٩).

رجح أبو منصور الأزهري قراءة النصب قائلاً: «من قرأ بالنصب، عطفه على قوله: [فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ] أُخِّر ومعناه التقديم، وهي أجود القراءتين لموافقتها الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ في غَسل الرِّجلين»[1].

وقال ابن زنجلة: «والصَّواب من القول ما عليه فقهاء الأمصار: أن الغَسل هو الواجب نحو الرِّجلين، ويجوز أن يكون قوله: [وَأَرْجُلَكُمْ]، بالخفض حُملت على العامل الأقرب للجِوار، وهي في المعنى للأول، كما يقال: (هذا جحر ضبٍّ خربٍ) فيُحمل على الأقرب، وهو في المعنى للأول». ثم يقول: «وقال الله: وقد يُعطف بالاسم على الاسم، ومعناه يختلف، كما قال: [يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ] ثم قال: [وَحُورٌ عِينٌ][2]، وهن لا يُطاف بهن على أزواجهن»[3].

ويوافقهما ابن أبي طالب في ترجيح قراءة النصب، ويسوق حجةً أخرى فيقول: «وحجة من نصب أنه عطفه على الوجوه والأيدي، وكان ذلك أولى عنده، لما ثبت في السُّنة والإجماع على غَسْل الأرجل، فعطف على ما عمل فيه الغَسل، وقوّى ذلك أنه لما كانت الأرجل مجرورة في الآية كان عطفها على ما هو محدود مثلها، أولى من عطفها على غير مجرور». ثم يقول: «وأيضاً فإن الخفض يقع فيه إشكال، من إيجاب المسح أو الغَسل، وعطفه على الوجوه ونصبه ليخرجه من الإشكال، وليحقق الغَسل الذي أُريد به، وهو الفرض، وهو الاختيار، للإجماع على الغَسل، ولزوال الإشكال»[4].

أما الطبري فقد صوّب القراءتين معاً، قائلاً: «فإن كان المسح الذي وصفنا: من عموم الرِّجلين بالماء، وخصوص بعضهما به، وكان صحيحاً بالأدلة الدالة على أن مُراد الله في مسحهما العموم، وكان لعمومهما بذلك معنى (الغَسل) و(المسح) فبيِّنٌ صوابُ قرأة القراءتين جميعاً، أعني النصب في الأرجل والخفض؛ لأن في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما، وفي إمرار اليد، وما قام مقام اليد عليهما مسحهما» ثم يستثني قائلاً: «غير أن ذلك وإن كانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً، فأعجب القراءتين إليّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً، لما وصفت من جمع (المسح) المعنيين اللذين وصفت، ولأنه بعد قوله: [وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ]،

---

(١) كتاب معاني القراءات, ص (١٣٩).

(٢) الواقعة، الآيات (٢٢.١٧).

(٣) الحجة: ابن زنجلة, ص (٢٢٣).

(٤) الكشف, (٤٠٧/١)

فالعطف به على (الرؤوس)، مع قربه منه أولى من العطف به على (الأيدي)، وقد حيل بينه وبينها بقوله: [وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ]».

وهو بذلك كأنه يُخيِّر بين المسح والغَسل. ثم يطرح سؤالاً مفاده: ما هو الدّليل على أن المراد بالمسح في الرِّجلين العموم دون أن يكون خصوصاً، نظير قولك في المسح بالرأس؟ قال: «الدليل على ذلك بظاهر الأخبار عن رسول الله ρ أنه قال: (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ وَبُطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ)[1] ولو كان مسح بعض القدم مُجزئاً من عمومها بذلك، لما كان لها الويل بترك ما تُرك مسحه منها بالماء بعد أن يُمسح بعضها، وفي وجوب الويل لعقب تارك غَسل عَقِبه في وضوئه، أوضح الدّليل على وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء، وصحة ما قلنا في ذلك وفساد ما خالفه»[2].

(٥/٤١) الاختلاف في [لَامَسْتُمُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] الآية (٦).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [لَامَسْتُمُ]، فقرأ حمزة والكسائي: [لَمَسْتُمُ] بغير ألف، وقرأ الباقون: [لَامَسْتُمُ] بالألف[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

*ولامستم أقصر تحتها وبها شفا ورفع قليل منهم النصب كللا[4].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيهها لغوياً في النص رقم (٢٠/٢١)[5]. كقوله: [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ]. الواو عاطفة، [إِنْ] شرطية، و[كُنْتُمْ] فعل الشرط والتاء اسمها، و[مَرْضَى] خبرها، [أَوْ] حرف عطف، و[عَلَى سَفَرٍ] متعلقان بمحذوف خبر ثانٍ لـ[كُنْتُمْ]، [جَاءَ] عطف على [كُنْتُمْ]، [أَحَدٌ] فاعل جاء، [أَحَدٌ]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء ويل للأعقاب من النار، حديث رقم (٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤٧٢.٤٧١/٤).

(٣) انظر: كتاب التيسير, ص (٩٦), كتاب السبعة, ص (٢٣٤)، النشر، (٢٥٠/٢)، الإتحاف, ص (١٩).

(٤) سبق شرحه في النص رقم (٢٠/٢٠). انظر: ص ( ).

(٥) انظر ذلك ص ( ).

[مِنْكُمْ] متعلقان بمحذوف صفة لـ[أَحَدٌ]، و[مِنَ الْغَائِطِ] متعلقان بـ[جَاءَ]، و[أَوْ] حرف عطف، و[لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ]، عطف على ما تقدم[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق.

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق الإشارة إليه في النص رقم (٢٠/٢٠)[2].

(٦/٤٢) الاختلاف في [شَنَآنُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] الآية (٨).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح النون وإسكانها من قوله: [شَنَآنُ]، فقرأ ابن عامر وعاصم ونافع: [شَنْآنُ] ساكنة النون، وقرأ الباقون: [شَنَآنُ] متحركة النون، ومعهم حفص وورش وقالون[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وسَكِّنْ مَعاً شَنْآنُ صَحًّا كِلاهُمَا ... وفي كسرِ أن صدُّوكُمُ حامدٌ دلا[4].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيهها لغوياً ونحوياً في النص رقم (١/٣٧)[5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] شروع في بيان الشرائع المُتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم، إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم، وقوله: [كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ] أي مقيمين لأوامره، مُمتثلين بها، معظمين لها، راعين لحقوقها، وصيغة المبالغة في [قَوَّامِينَ] تفيد أنهم مأمورين بأن يقوموا بها أتمّ قيام، وقوله: [شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ] أي بالعدل، ثم قال: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا] أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل وكتم الشهادة، وهذا نهي منه سبحانه عقّبه بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً فقال: [اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى] وهو تعليلٌ للأمر، أي أقرب لأن تتقوا الله، أو لأن تتقوا النار.

ثم ذكر سبحانه الكلام الذي يكون وعداً مع المُطيعين ووعيداً للمذنبين فقال: [وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] أي أنه سبحانه عالمٌ بجميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم[1].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، (٤٢٠/٢).

(٢) انظر ذلك ص( ).

(٣) انظر: كتاب التيسير, ص (٩٨), كتاب السبعة, ص (٢٤٢)، النشر، (٢/ ٢٥٤،٢٥٣)، الإتحاف, ص (١٩٨،١٩٧)

(٤) سبق شرحه في النص رقم (١/٣٧)

(٥) انظر ص ( ).

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق الإشارة إليه في النص رقم (١/٣٧)(٢).

(٧/٤٣) الاختلاف في [قَاسِيَةً] من قوله عز وجل: [فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] الآية (١٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل [قَاسِيَةً]، فقرأ حمزة والكسائي [قَسِيَّةً] بغير ألف مشددة الياء، وقرأ الباقون [قَاسِيَةً] بألف مخففة الياء(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مَعَ القَصْرِ شَدِّدْ يَاءَ قَاسِيَةً شَفَا ... وأَرجُلَكُمْ بالنَّصْبِ عَمَّ رِضاً عَلا(٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

قَسْوَةٌ: الصَّلابَةُ في كل شيء، مصدر قَسا القَلْبُ يَقْسُو قَسْوَةً وقَساءً، وتأويل القَسْوة في القلب: ذهاب اللِّين والرَّحمة والخشوع منه، قَسا قَلْبُه قَسْوَةً وقَساوةً وقَساءً، بالفتح والمد: هو غِلظ القلب وشدَّته. وأقساه الذَّنب، ويقال: الذَّنب مقْساةٌ للقلب(٥).

وقوله عز وجل: [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً]، [جَعَلْنَا] عطف على [لَعَنَّاهُمْ] [قُلُوبَهُمْ] مفعول به أول [قَاسِيَةً] مفعول به ثان منصوب، وهو مؤنَّث (قاس)، اسم فاعل من قسا يقسو، وزنه (فاعل)، وفي (قاسٍ) إعلال بالقلب وبالحذف، أصله (قاسِو) بكر السين، قلبت الواو ياءً لمجيئها بعد كسر فأصبح (قاسي)، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين بالتنوين، فأصبح (قاسٍ)(٦).

من قرأ بإثبات الألف فحجته: أن [قَاسِيَةً] أصلها (قاسِوَةٌ)؛ لأنه من القسوة، فانقلبت الواو ياءً لكسرة السين. وأضاف ابن أبي طالب حجة أخرى، فقال: «حجة من قرأ [قَاسِيَةً] أنه بناه على (فاعلة) قياساً على قوله: [لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ](٧)، وقوله: [فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ](٨)»، ثم يقول: «(فَعَل) إنما يأتي اسم الفاعل منه على (فاعل)، في أكثر

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٨٣.٤٨٢/٤) ، فتح القدير، (٢٠.١٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١١٠.١٠٩/٦). تفسير أبي السعود، (١٢/٣)، التفسير الكبير، (١٨١.١٨٠/١١).

(٢) انظر ذلك في ص (   ).

(٣) انظر: كتاب التيسير, ص (٩٩), كتاب السبعة, ص (٢٤٣), النشر,(٢٥٤/٢)، الإتحاف, ص (١٩٨).

(٤) عنى الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شفا» حمزة والكسائي. انظر: المتن, ص(٤٩), الوافي, ص(٢٥٠).

(٥) انظر: لسان العرب, (١٨١.١٨٠/١٥)، مختار الصحاح, ص (٥٣٥).

(٦) انظر: إملاء العكبري, (١١٨/١)، الجدول في إعراب القرآن, (٢٥٤.٢٥٢/٦)، إعراب القرآن، (٤٣٠/٢).

(٧) الزمر، الآية (٢٢)

(٨) الحديد، الآية (١٦)

كلام العرب، وأيضاً فإن (فَعِيلاً) و(فاعلاً) أخوان، نحو: رحيم وراحم، وعليم وعالم، لكن في (فعيل) معنى التكثير والمبالغة، (وفاعل) أكثر في الكلام من (فعيل)»(١).

ومن قرأ بإسقاط الألف فحجته أن أصلها: (قَسِيوَة)، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن قلبوا الواو ياءً، وأدغموها، فالتشديد لذلك. وقال أبو علي الفارسي: «أن من قرأ [قَسِيَّةً] على وزن (فعيلة): أنه جعله ك(فاعلٌ) و(فعيلٌ)، مثل: عالمٌ وعليمٌ، (فعليم) أبلغ من (عالم)».

وجاء في الكشف: أن من قرأ [قَسِيَّةً] على وزن (فعيلة)؛ لأن (فعيلة) أبلغ في الذَّم والمدح من (فاعلة)، فكان وصف قلوب من حرَّف كلام الله، ومال عن الحق، بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

[فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ]، الباء سببية، و[ما] زائدة للتوكيد، أي: فبنقضهم ميثاقهم، وذلك بتكذيبهم الرُّسل، وقتلهم الأنبياء، وبكتمانهم صفة محمد ρ، فبسبب ذلك [لَعَنَّاهُمْ] أي: طردناهم وأبعدناهم، [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً]، أي: صلبة لا تعي خيراً ولا تعقله، والقاسية والعاتية بمعنى واحد، وقوله: [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ] استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم، فإنه لا مرتبة أعظم مما يصحِّح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل، والافتراء عليه، وذلك بأن يتأولون الكلام على غير تأويله، ثم يلقونه إلى العوام، وهذا في صفة محمد ρ، وآية الرجم(٣).

[وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ] أي: نسوا عهد الله الذي أخذه الأنبياء عليهم، من الإيمان بمحمد ρ، وبيان نعته، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قد يَنْسَى المرءُ بعضَ العلمِ بالمعصية)(٤). وتلا هذه الآية.

[وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ] أي: ولا تزال يا محمد تقف على خائنة [مِّنْهُمْ] والخائنة: الخيانة، والمعنى: أن الغدر والخيانة عادة مستمرَّة لهم ولأسلافهم، بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتمونها، فلا تزال ترى ذلك منهم، [إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ] لم يخونوا، فهو استثناء متصل من

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٩)، الكشف، (٤٠٨/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢٤).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٩)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١١٣/٢)، الكشف، (٤٠٧/١).

(٣) عن جابر بن عبد الله: أن النبي ρ قال لليهود: (ائتوني بأعلم رجلين منكم) فأتوه بابني صوريا فنشدهما: كيف تجدان أمر هذين في التوراة؟ قالا: نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما، قال: فما يمنعكما أن ترجموهما؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا رسول الله ρ بالشهود، فجاءوا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة، فأمر رسول الله ρ برجمهما) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، (٦٠٠/٤.٦٠١)، حديث رقم (٤٤٥٢).

(٤) لم أقف عليه.

الهاء والميم في اللفظتين الكريمتين [مِنْهُمْ]، وهم الذين آمنوا، كعبد الله بن سلام، وأصحابه. قوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ أمرٌ منه سبحانه إلى النبي محمد ρ، بالعفو عن هؤلاء القوم الذين همُّوا أن يبسطوا إليه أيديهم من اليهود.

قال قتادة(١): «هي منسوخة بقوله تعالى: [قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ](٢)»(٣)، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] تعليلٌ للأمر، وحثٌّ على الامتثال به، وتنبيهٌ على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، بقوله: «القاسية والقسية بمعنى واحد، وهي القلوب التي قست وغلظت واستمرت على المعاصي، وكلُّ شيء يبس وذهب رقته فقد قسا، ومنه قيل للدراهم التي قد مرنت فطال عليها الدَّهر: قسيَّة»(٥). وهو رأي ابن زنجلة والقرطبي كذلك، فكلاهما يرى أنهما لغتان بمعنىً واحد(٦).

أما ابن أبي طالب فيقول: «إنهما متقاربتان في المعنى»، ويرجح القراءة بإثبات الألف، ثم يعلل ذلك بقوله: «لأن الأكثر عليه، وهو المُستعمل»(٧).

بينما يرجح الطبري القراءة الثانية، ويقول: «وأعجب القراءتين إليَّ في ذلك، قراءة من قرأ [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً] بإسقاط الألف، على (فعيلة)؛ لأنها أبلغ في ذم القوم من [قَاسِيَةً]»(٨).

ويسوق القرطبي رأياً موافقاً لرأي الطبري فيقول: «قال النحاس: أولى ما فيه أن تكون [قَسِيَّةً] بمعنى [قَاسِيَةً] إلاّ أن فعيلة أبلغ من فاعلة»، ويعقب القرطبي قائلاً: «(فالمعنى: جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الإيمان والتوفيق لطاعتي؛ لأن القوم لم يُوصفوا بشيء من الإيمان فتكون قلوبهم موصوفة بأن إيمانها خالطه كفر؛ كالدراهم القسيَّة التي خالطها غش»(٩).

(٨/٤٤) الاختلاف في [يَحْزُنْكَ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

---

(١) قتادة بن دعامة بن عُزيز: أبو الخطاب السَّدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، توفي سنة (١١٨). تذكرة الحفاظ (١/١١٥).

(٢) التوبة، الآية (٢٩).

(٣) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخة, ص (٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري, (٤/٤٩٥.٤٩٨)، فتح القدير,(٢/٢١.٢٢), الجامع لأحكام القرآن, (٦/١١٤.١١٦), تفسير أبي السعود, (٣/١٦)، التفسير الكبير،(١١/١٨٦.١٨٨).

(٥) كتاب معاني القراءات, ص (١٤٠).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢٤), الجامع لأحكام القرآن, (٦/١١٥).

(٧) الكشف، (١/٤٠٨).

(٨) انظر: تفسير الطبري, (٤/٤٩٦).

(٩)الجامع لأحكام القرآن, (٦/١١٥).

لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] الآية (٤١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضم الزاي، وضم الياء وكسر الزاي من قوله: [يَحْزُنْكَ]، فقرأ نافع وحده: [يُحْزِنْكَ] بضم الياء وكسر الزاي[1]، وقرأ الباقون: [يَحْزُنْكَ] بفتح الياء وكسر الزاي[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإنَّ اكْسِرُوا رِفْقاً ويُحْزِنُ غَيْرَ الـ ... أنْبِياءِ بِضَمٍّ واكْسِرِ الضَّمَّ أَحْفَلا[3].

ثانياً: توجيه القراءات:

الحُزْنُ والحَزَنُ: نقيضُ الفَرَح، وهو خِلافُ السُّرور، والجمع: أَحْزَانٌ، ولا يُكسَّر على غير ذلك، قال الليث[4]: للعرب في الحُزْن لغتان: إذا فتحوا ثقَّلوا، وإذا ضمُّوا خفَّفوا؛ يُقال: أصابه حَزَنٌ شديد، وحُزْنٌ شديد». وقال أبو عمرو: «وفي استعمال الفعل منه لغتان: تقول: حَزَنَني يَحْزُنُني حُزْناً فأنا مَحْزُون، ويقولون: أَحْزَنَني فأنا مُحْزَنٌ وهو مُحْزِنٌ».

وقال ابن منظور: «وأما الفعل اللازم فإنه يُقال فيه: حَزِنَ يَحْزَنُ حَزَناً لا غير، ويقال: حَزَنَه، لغة قريش، وأَحْزَنَه، لغة تميم، وقُرئ بهما»[5].

الحجة في قراءة نافع: [يُحْزِنْكَ] بضم الياء وكسر الزاي، من أَحْزَنْتُ الرَّجُلَ، إذا جعلته حزيناً فضُمَّت الياء في المستقبل، لأنه رباعي. وأضاف ابن زنجلة: أن الحجَّة لنافع: قول العرب: هذا أمرٌ مُحْزِنٌ.

ووجه قراءة الباقين: [يَحْزُنْكَ] من حَزَنَ الرَّجُلَ يَحْزُنُ، ثلاثياً. قال أبو علي الفارسي في توجيهه لكلتا القراءتين: قال سيبويه تقول: حَزَنَهُ: جعل فيه حُزْناً، وأوصل الحُزْن إليه، وإذا قال: أحزَنته: فقد تعرَّض لحزن. وإذا حَزَنْتُه: فيم يتعرَّض لحُزْنه. وحكى أبو زيد: أفْتَنَ الرَّجل، بصيغة مالم يُسمى فاعله، وزعم الخليل أنك حيثُ قلت: حَزَنْتُه لم تُرد أن تقول: جعلته حزيناً،

---

(١) وكذلك في قوله: [لِيُحْزِنَ] المجادلة (١٠)، وقوله: [لَيُحْزِنُنِي] يوسف (١٣)، بضم الياء وكسر الزاي في كل القرآن، إلا في سورة الأنبياء في قوله: [لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ] (١٠٣)، فإنه فتح الياء وضم الزاي, وقرأ الباقون جميع ذلك بفتح لياء وضم الزاي في كل القرآن. انظر: كتاب السبعة, ص(٢١٩).

(٢) انظر: كتاب التيسير, ص (٩٢.٩١), كتاب السبعة, ص (٢١٩), النشر,(٢/٢٤٤), الإتحاف، ص(١٨٢).

(٣) عنى الناظم بحرف (الألف) من قوله: «أحفلا» نافع, وقوله: «أحفلا» منصوب على الحال من فاعل, وقوله: «اكسر» أي: حال كونك حافلا بهذه القراءة عاملاً على نشرها, انظر: المتن, ص(٤٦). الوافي, ص (٢٤٠).

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، قال عنه ابن بكير: «كان الليث عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة». توفي سنة (١٧٥هـ) سير أعلام النبلاء، (١٣٦/٨).

(٥) انظر: لسان العرب, (١١٢.١١١/١٣), مختار الصحاح, ص(١٣٤).

كما أنَّك حين قلت: خَلتُه، أردت: جعلته خلاً، ولكنك أردت أن تقول: جعلتُ فيه حُزْناً، فقلت حَزَنْتُه، كما قلت: كحلتُهُ؛ أي جعلت فيه كحلاً، ودهنتُهُ: جعلتُ فيه دُهناً، فجئت بفَعَلْتُهُ على حِدَه. ولم تُرِدْ بفَعَلْتُهُ هنا تغيير قوله: حَزِنَ، ولو أردت ذلك لقلت أحْزنتُهُ.

وقال بعض العرب: أَحْزَنت الرَّجل: أراد جعلته حَزيناً، فغيّر فَعَلَ»، ثم يعلق أبو علي الفارسي بعد ذلك قائلاً: «فهذا الذي حكاه عن بعض العرب حجة نافع في قراءته»[١].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لمَّا بيَّن سبحانه بعض التكاليف والشرائع، وكان قد علم من بعض الناس كونهم مُتسارعين إلى الكفر، صبَّر رسوله ρ على تحمُّل ذلك، وأمره بأن لا يحزن لأجل ذلك، فقال: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ] ومما يُلاحظ أنه سبحانه خاطب محمداً ρ بقوله: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] في مواضع كثيرة، وما خاطبه بقوله: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ] إلا في موضعين، أحدهما: هنا، والثاني: قوله: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ][٢]، وهذا الخطاب لا شك خطاب تشريف وتعظيم بما يوجب عدم الحُزْن.

واختلف في سبب نزولها على أقوال، قال القرطبي: «أصحها قول من قال: إنها نزلت في زنى اليهوديين، وقصة الرجم، عن جابر بن عبد الله أن النبي ρ قال لليهود: (ائْتُونِي بِأَعْلَمِ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ فَأَتَوْهُ بِابْنَيْ صُورِيَا[٣] فَنَشَدَهُمَا كَيْفَ تَجِدَانِ أَمْرَ هَذَيْنِ فِي التَّوْرَاةِ قَالاَ نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ إِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةٌ أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحُلَةِ رُجِمَا قَالَ فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا قَالاَ ذَهَبَ سُلْطَانُنَا فَكَرِهْنَا الْقَتْلَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ρ بِالشُّهُودِ فَجَاءُوا بِأَرْبَعَةٍ فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحُلَةِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ρ بِرَجْمِهِمَا)[٤].

وفي الآية النهي له ρ عن التأثر لمُسارعة الكفرة في كفرهم تأثراً بليغاً، لأن الله سبحانه قد وعد في غير موطن بالنَّصر عليهم، والمُسارعة إلى الشيء: الوقوع فيه بسرعة، والمُراد هنا وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة. قوله: [قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ] هم المنافقون، [وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ] أي: لم يضمروا في قلوبهم الإيمان كما نطقت به ألسنتهم. ثم بين سبحانه الطائفة الثانية من المُسارعين في الكفر، فقال: [الَّذِينَ هَادُوا] يعني يهود المدينة، ويكون هنا تمام الكلام. ثم ابتدأ فقال: [سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ] أي هم سمَّاعون الكذب، وسمعهم الكذب: سمعهم قول أحبارهم أنَّ حكم الزاني المُحصن في التوراة: التَّحميم والجلد. وقوله:

---

(١) انظر: الكشف، (١/٣٦٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١١٦)، الإتحاف، ص(١٨٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٨١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٥٠).

(٢) المائدة، الآية (٦٧).

(٣) لم أقف على ترجمة لهما.

(٤) سبق تخريجه في ص(   ).

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ] أي يسمعون لأهل الزِّنى الذين أرادوا الاحتكام إلى رسول الله ρ، وهو القوم الآخرون الذين لم يكونوا أتوا رسول الله ρ وكانوا متصدِّين على أن يأتوه.

قال سفيان بن عيينة: «إن الله ذكر الجاسوس في القرآن، وقوله: [قَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ]، ولم يعرض النبي ρ لهم مع علمه بهم؛ لأنه لم يكن حينئذ تقررت الأحكام، ولا تمكّن الإسلام». وقوله: [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ] أي: يتأولونه على غير تأويله، بعد أن فهموه عنك، وعرفوا مواضعه التي أرادها الله عز وجل، وبين أحكامه، فقالوا: شرعه ترك الرَّجم، وجعلهم بدل رجم المُحصن جلد أربعين، تغييراً لحكم الله عز وجل، وقوله: [يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا] أي: إن أوتيتم من جهة محمد هذا الكلام الذي حرَّفناه فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره فاحذروا، من قبوله والعمل به.

وبعد أن شرح سبحانه فضائح اليهود قال: [وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] أي: ومن يرد الله ضلاله في الدنيا وعقوبته في الآخرة فلن تنفعه. ثم أكَّد سبحانه هذا فقال: [أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ]، أي لم يرد تطهيرها من أرجاس الكُفر والنِّفاق كما طهَّر قلوب المؤمنين، وقوله: [لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ] بظهور نفاق المنافقين، وبضرب الجزية على الكافرين، وظهور تحريفهم، وكتمهم لما أنزل الله في التوراة. وقوله: [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] أي: مع الخزي الدنيوي خلود في النَّار[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلاً: «القراءتان متساويتان»، ثم يرجح قائلاً: «وما عليه الجماعة من فتح الياء وضم الزاي، أحبّ إليّ؛ لأنها اللغة الفاشية المستعملة المُجمع عليها»[2]. وقال ابن زنجلة: «هما لغتان، يقال: يَحزُن وأحزن، والاختيار حزن، لقولهم: (محزون) ولا يقال: (مُحزن)[3]».

ويوافقهما أبو منصور قائلاً: «اللغة الجيدة: [لَا يَحْزُنْكَ] بفتح الياء، وبها قرأ أكثر القُرَّاء»، ثم يعلق على قراءة نافع فيقول: «قراءة نافع أحزن يُحزن، فهو لغة صحيحة، غير أن حَزَن يَحْزُن أفشى وأكثر»[4].

ويسوق القرطبي قول اليزيدي في تصويبه لكلتا القراءتين، فيقول: «قال اليزيدي: حَزَنه لغة قريش، وأحزَنه لغة تميم، وقد قُرئ بهما». ثم يقول القرطبي: «واحْتَزَنَ وتحَزَّن بمعنى»[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥٧٨.٥٧٢/٤)، فتح القدير، (٤١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٨٢.١٧٦/٦)، تفسير أبي السعود، (٣٨.٣٦/٣)، التفسير الكبير، (٢٣٤.٢٣١/١١).

(٢) الكشف، (٣٦٥/١)

(٣) الحجة: ابن زنجلة, ص(١٨١).

(٤) كتاب معاني القراءات, ص(١١٣).

(٩/٤٥) الاختلاف في [النَّفْسَ] و[الْعَيْنَ] و[الأَنفَ] و[الأُذُنَ] و[السِّنَّ] و[الْجُرُوحَ] من قوله تعالى: [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] الآية (٤٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ]، فقرأ الكسائي برفع الخمسة، ونصبهن الباقون، غير [الْجُرُوحَ] نصبه نافع وعاصم وحمزة، ورفعه الباقون، ولا خلاف بين القراء في نصب لفظ [النَّفْسَ] المجرد من الباء؛ لأنه اسم [أَنَّ] وهو ينصب اتفاقا(٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الكلماتِ عمَّ نهى تفي ... وكيفَ أتى أُذْنٌ به نافِعٌ تَلا

ونُكْرًا دنا والعينَ فارْفَعْ وعطفَها ... رضًى والجروحَ ارفعْ رضًى نفرٍ ملا(٣).

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: العَيْن: حاسة البصر والرؤية، أنثى، تكون للإنسان وغيره من الحيوان، والجمع: أَعْيانٌ وأَعْيُنٌ، وأَعْيُناتٌ، الأخيرة جمع الجمع، والكثير: عُيُونٌ، وتصغير العين: عُيَيْنَة، ومنه قيل: ذو العُيَيْنَتَيْنِ؛ الجاسوس.

ثانياً: الأنف: المَنْخِر، والجمع آنُفٌ وآنافٌ وأُنُوفٌ. وأنشد ابن الإعرابي:

بيضُ الوُجُوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... في كُلِّ نائبةٍ عِزازُ الآنُفِ.

ويقال: رجلٌ أُنافِيٌّ: عظيم الأنف. والأَنُوفُ: المرأة الطَّيِّبةُ ريحِ الأَنف.

ثالثاً: الأُذْنُ والأُذُنُ: يخفَّف ويثقَّل، من الحواس، أنثى، والجمع آذانٌ لا يُكسَّر على غير ذلك، وتصغيرها أُذَيْنَة. قال ابن بَرِّي: يقال: رجلٌ أُذُنٌ وامرأةٌ أُذُنٌ، فأُذُنٌ، للأنثى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨١/٦).

(٢) انظر: كتاب التيسير, ص(٩٩)، كتاب السبعة, ص(٢٤٤), النشر، (٢٥٤/٢)، الإتحاف, ص(٢٠٠).

(٣) يقول الناظم أن نافعاً قرأ لفظ [الأُذْنَ] بإسكان ضم الذال كيف أتى, سواءً كان هذا اللفظ معرفاً، نحو [وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ]، أم منكراً نحو [هُوَ أُذُنٌ] التوبة (٦١)، أم مضافاً نحو [قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ] التوبة(٦١)، وسواء كان مفرداً كهذه الأمثلة, أم مثنى نحو [كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا] لقمان (٧)، وقرأ غيره بضم الذال في الجميع. وعنى بحرف (الراء) من قوله: «رضى» الكسائي, وبكلمة «نفر» ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر, وبحرف (الميم) من (ملأ) ابن ذكوان. وملا: بتخفيف الهمزه بمعنى أشراف: انظر: المتن، ص (٤٩) الوافي، ص(٢٥١.٢٥٢).

وللواحد وللجمع في ذلك سواء. إذا كان يسمع مقال كل أحد، وإنما سموهما العُضْو تهويلاً وتشنيعاً. يقال: رَجُلٌ أُذُنٌ وآذَنٌ: عظيمُ الأُذُنَيْن طويلهما، وكذلك هو من الإبل والغنم.

رابعاً: السِّنُّ: واحدة الأسنان، أنثى والجمع أَسْنان، والأَسِنَّة: جمع الأَسْنان، وتصغيرها: سُنَيْنَةٌ، وتُجمع أَسُنّاً وأَسْناناً.

خامساً: الجَرْحُ: الفعل، جَرَحَهُ جَرْحاً: أثّر فيه بالسلاح، وجَرَّحه: أكثر ذلك فيه. والاسم: الجُرْح بالضم. والجمع: أَجْراح وجُرُوحٌ وجِراحٌ [(١)].

قوله عز وجل: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، [أَنَّ] حرف مشبه بالفعل، [النَّفْسَ] اسم [أَنَّ] منصوب، [بِالنَّفْسِ] جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر [أَنَّ]؛ أي: إن النفس مأخوذة بالنفس، و[و] عاطفة في المواضع الخمسة، وقوله: [الْعَيْنَ] و[الأَنفَ] و[الأُذُنَ] و[السِّنَّ] و[الْجُرُوحَ] أسماء معطوفة على [النَّفْس]، اسم أنّ منصوبة مثله، [بِالْعَيْنِ] جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر معطوف على خبر [أَنَّ] ومثله [بِالْعَيْنِ] و[بِالأَنفِ] و[بِالأُذُنِ] و[بِالسِّنِّ]. وقوله: [قِصَاصٌ] خبر معطوف على الخبر المحذوف المتعلق به [النَّفْسِ]، مرفوع[(٢)].

حجة من قرأ بالرفع، إنه جعل قوله: [وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ] ابتداء، وعطف عليه ما بعدها من الأسماء، وجعل قوله: [قِصَاصٌ] الابتداء، فهو عطف جملة على جملة. وزاد ابن أبي طالب قائلاً: «ويجوز أن يكون عطف على معنى الكلام؛ لأن معنى الكلام: وكتبنا عليهم فيها: أي: قلنا لهم: النفس بالنفس، فعطف بالمعنى على الابتداء والخبر، كما أنّه لمّا كان المعنى في قوله: يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ[(٣)]، يمنحون كأساً من معين: حَمَلَ حوراً عيناً على ذلك، كأنه قال: يُمنحون كأساً، ويمنحون حوراً عيناً، ويجوز أن يكون عطف [وَالْعَيْنَ] على المضمر المرفوع، الذي في [النَّفْسِ][(٤)]».

وحجة من نصب [الْعَيْنَ] وما بعدها: أنّ العينَ بالعين، فأضمر [أَنَّ]، نسقٌ على قوله: [النَّفْسَ بِالنَّفْسِ]، وهذا مذهب الأخفش وسيبويه. وحجة أخرى وهي: أنه عطف ذلك

---

(١) انظر: لسان العرب، (٣٠/١٣)، (١٣،١٢/٩)، (١١/١٣)، (٢٢١،٢٢٠/١٣)، (٤٢٢/٢)، ومختار الصحاح، ص(٤٦٦)، (٢٨) (١٢)، (٣١٧)، (٩٨).

(٢) انظر: إملاء العكبري، (١٢١/١)، الجدول في إعراب القرآن، (٣٠٤،٣٠٢/٦).

(٣) الصافات، الآية (٤٥).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٤١)، الكشف، (٤٠٩/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١١٨،١١٧/١).

على [أَنَّ] فجعل الواو للإشراك في نصب [أَنَّ] ولم يقطع الكلام مما قبله، كما فعل ذلك من رفع(١).

وحجة من رفع [وَالْجُرُوحَ] أنّ الله تعالى كتب في التوراة على بني إسرائيل [أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ..]، ثم كأنه قال: ومن بعد ذلك: [وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ]. وأضاف ابن زنجلة قائلاً: «إنما اختاروا الانقطاع عن الكلام الأول، والاستئناف بـ [الْجُرُوحَ]؛ لأن خبر الجروح يتبين فيه الإعراب، وخبر الاسم الأول مثل خبر الاسم الثاني و الثالث والرابع والخامس، فأشبه الكلام بعضه بعضاً، ثم استأنفوا الجروح فقالوا: [وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ]، لأنه لم يكن خبر [الْجُرُوحَ] يشبه أخبار ما تقدمه، فعُدل به إلى الاستئناف»(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أنه وضّح في التوراة حكم الزاني المُحصن؛ وهو الرجم، وأن اليهود بدّلوه وغيروه، وبين سبحانه في هذه الآية أيضاً أنه تعالى بين في التوراة حكماً آخراً، وهو قوله: [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ]، أي أنه سبحانه سوّى بين النفس والنفس في التوراة، فخالفوا ذلك، فكانت دية النَّضيري(٣) أكثر، وكان النَّضيري لا يقتل بالقرظي(٤) ويُقْتل به القرظي، فلما جاء الإسلام راجع بنو قُريظة رسول الله ρ فيه، فحكم بالاستواء، فقالت بنو النَّضير: قد حططت منا، فنزلت هذه الآية(٥).

وكان شرعهم القصاص أو العفو، وما كان فيهم الدِّية، فبين سبحانه أنه فرض على بني إسرائيل من القِصاص في النفس، والعين، والأنف، والأذن، والسِّن، والجروح. وقوله: [وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ] أي ذوات قصاص، وهذا كله في العمد، فأما الخطأ فالدِّية، وإذا كانت الدِّية في قتل الخطأ فكذلك في الجراح، وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ الرُّبَيِّعَ(٦) عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ فَأَبَوْا فَعَرَضُوا الْأَرْشَ(٧) فَأَبَوْا فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ρ وَأَبَوْا إِلَّا الْقِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ρ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة, ص(٢٢٦), الحجة: أبو علي الفارسي,(١١٧/٢).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢٧)، الكشف، (٤٩/١).

(٣) من قبائل يهود يثرب، نكثوا عهدهم مع النبي ρ، فنفاهم وصادر أملاكهم. المنجد، ص(٥٧٤).

(٤)من قبائل يهود يثرب مع نبي النضير وبين قينقاع، نفاهم النبي ρ وصادر أملاكهم. المنجد ص(٤٣٧).

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (١٩١/٦).

(٦) الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك رسول الله ρ، وهي من بني عدي بن النجار، وهي والدة حارثة بن سراقة. الإصابة (٦٤٣.٦٤٢/٧).

(٧)الأَرْش: الدِّية، قال أبو منصور: أصل الأرش الخدش، ثم قيل لما يؤخذ دية لها: أَرْش». لسان العرب، (٢٦٣/٦).

والله لا تُكسر ثنيتها، فقال رسول الله ρ: كتاب الله القصاص، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ρ: إنَّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه)(1).

ثم قال سبحانه: [فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ] أي: من تصدق من المُستحقين للقصاص بالقصاص؛ أي: عفا عن الجاني فهو كفارة للمُتصدق يكفر الله عنه بها ذنوبه. قوله: [وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] أي: من الأحكام والشرائع، فأولئك هم المُبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى، الواضعون للشيء في غير موضعه(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة بالنصب، قائلاً: «والاختيار في ذلك كله ما عليه الجماعة؛ لأنه محمول في النصب على اتصال بعض الكلام ببعض، غير مُنقطع بعضه من بعض، ومحمول على أنه كله مكتوب في التوراة».

وأما لفظ [الْجُرُوحَ] فاختار قراءة الرفع، قائلاً: «والاختيار الرفع؛ لأنه مروي عن النبي ρ، ولأن خبره مُخالف لخبر ما قبله من الجمل، ولمُخالفة إعراب ما بعده إعراب خبر ما قبله»، ثم يقول: «فالرفع في [الْجُرُوحَ] قوي من جهة الإعراب، والنصب قوي من جهة المعنى، واتصال بعض الكلام ببعض، وإذا عطفته على ما قبله، فنصبته فهو ممّا كُتب عليهم في التوراة»(3).

(10/46) الاختلاف في [وَلْيَحْكُمْ] من قوله عز وجل: [وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] الآية (47).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إسكان اللام والميم، وكسر اللام وفتح الميم في قوله عز وجل: [وَلْيَحْكُمْ]، فقرأ حمزة وحده: [وَلِيَحْكُمَ] بكسر اللام وفتح الميم، وقرأ الباقون بإسكان اللام وجزم الميم(4).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَحَمْزَةُ وَلْيَحْكُمْ بِكَسْرٍ وَنَصْبِهِ ويُحركه تبغون خاطب كُمّلا(5).

ثانياً: توجيه القراءات:

الحُكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر قولك: حَكَمَ بينهم يحكُم؛ أي: قضى، وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه، والحُكْمُ أيضاً: الحكمة من العلم(1)، والحُكْمُ في الأصل: المنع، وجمعه: أحْكَامٌ، لا يُكسَّر على غير ذلك(2).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ] البقرة (178)، (53/6) حديث رقم (27).

(2) انظر: تفسير الطبري، (597/4.604)، فتح القدير، (46/2.47)، الجامع لأحكام القرآن، (191/6.208)، تفسير أبي السعود، (42/3.43)، التفسير الكبير، (12/6.7).

(3) انظر: الكشف، (410/1).

(4) انظر: كتاب التيسير، ص(99)، كتاب السبعة، (244)، النشر، (254/2)، الإتحاف، ص(200).

(5) انظر: المتن، ص(49)، الوافي، ص(252).

حجة حمزة أنه جعل اللام لام كي(3)، ونصب الفعل بها، وكأنه جعل اللام متعلقة بقوله: [وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ](4)؛ لأن إيتاء الإنجيل إنزال عليه، فصار بمنزلة قوله: [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ](5)، فكأن المعنى: آتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل؛ يعني عيسى عليه السلام؛ لأن إنزال الإنجيل كان بعد حدوث عيسى عليه السلام، فلا يُبتدأ بها، كما قال: [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ]، فالحكمان جميعاً حكمان لله تعالى، وإن كان أحدهما حُكماً بما أنزل الله، والآخر حكماً بما أراه الله، فكلاهما حكمُ الله(6).

وأما الباقين، فلكنوا الميم للجزم، وأسكنوا اللام للتخفيف، وإن كان الأصل فيها الكسر، والحجة في ذلك: أن الله عز وجل: أمرهم بالعمل بما في الإنجيل، كما أمر نبينا ρ، فقال: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ](7)(8).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

يقول تعالى: [وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ] أمرٌ لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، فإنه قبل البعثة المحمدية حقٌّ، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أنزل الله على محمد ρ في القرآن الناسخ لكل الكتب السماوية المُنزلة. قال الجكني: «ولم يبين سبحانه هنا شيئاً مما أنزل في الإنجيل الذي أمر أهل الإنجيل بالحُكم فيه، وبين في مواضع أخرى، من ذلك البشارة بمبعث سيدنا محمد ρ، ووجوب إتباعه، والإيمان به، كقوله: [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (4/185).

(2) انظر: لسان العرب، (12/140.141)، مختار الصحاح، ص(148).

(3) يُقصد بها (كَيْ) المصدرية الناصبة: وهي التي يُنصب بها المضارع ويُؤوَّل بالمصدر، وهذه تكون لسببية ما قبلها فيما بعدها نحو: (علَّمتُك كَيْ ترقى)، وشرطها لتكون مصدرية أن يسبقها (لام التعليل) لفظاً، نحو: [لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ] الحديد (23)، أو تقديراً كالمثال السابق، فإن تقديره: (علمتك لكي ترقى)، فـ(كي) وما بعدها في تأويل المصدر في محل جرٍّ باللام الظاهرة في [لِكَيْلَا تَأْسَوْا]، وفي محل جر باللام المقدرة في (علمتك كي ترقى) فإن لم تقدر اللام فهي تعليلية. انظر: معجم القواعد العربية، ص(363)

(4) المائدة، الآية (46).

(5) النساء، الآية (105).

(6) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (2/119)، الحجة: ابن زنجلة، ص(227.228)، الكشف، (1/410).

(7) المائدة، الآية (48).

(8) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(131)، الحجة: ابن زنجلة، ص(228)، الكشف، (1/411).

اسمُهُ أَحْمَدُ]^(1)، وقوله: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ][2]، إلى غير ذلك من الآيات»[3].

ثم قال: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] أي: منكراً له، مستهيناً به فأولئك هم المتمردون الخارجون عن الإيمان. ومن الملاحظ أن الله ختم الآية الأولى بقوله: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ][4]، والثانية بقوله: [فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ][5]، والثالثة بقوله: [فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ][6]. قال أبو زكريا الأنصاري، معلقاً على ذلك: «قيل؛ لأن الأولى في حكام المسلمين، والثانية في حكام اليهود، والثالثة في حكام النصارى، وقيل كلها بمعنىً واحد؛ وهو الكفر، عبَّر عنه بألفاظ مختلفة، لزيادة الفائدة، واجتناب التِّكرار، وقيل: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ] إنكاراً له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده للحق وحكم بغيره فهو ظالم، ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق، وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافرٌ بنعمة الله، ظالمٌ في حكمه، فاسق في فعله».

ومن الملاحظ أن كل هذه الأقوال التي ذكرها الشيخ أقوال لبعض المفسرين، والراجح أن الله تعالى وصف كلَّ من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر، والفسق، فجمع له هذه الأوصاف الثلاثة، فهو كافرٌ؛ لأنه لم يحكم بشريعة الله، وهو ظالم لنفسه؛ لأنه تعدّى الحدود، وهو فاسق؛ لأنه خرج عن طاعة الله[7].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب أبو منصور القراءتين معاً قائلاً: «وهما لغتان، جيدتان»[8]، ويوافقه الطبري قائلاً: «والذي نقول في ذلك: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأي ذلك قرأ قارئٌ فمصيبٌ فيه الصواب، وذلك أن الله تعالى لم ينزل كتاباً على نبيٍ من أنبيائه إلاّ ليعمل بما فيه أهله الذين أُمروا بالعمل بما فيه، ولم ينزله عليهم إلاّ وقد أمرهم بالعمل بما فيه، فللعمل بما فيه أنزله، وأمراً بالعمل بما فيه أنزله، فكذلك الإنجيل، إذ كان من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، فللعمل بما

---

(١) الصف، الآية (٦).

(٢) الأعراف، الآية (١٥٧).

(٣) انظر: أضواء البيان، (١٠٧/٢).

(٤) المائدة، الآية (٤٤).

(٥) المائدة، الآية (٤٥).

(٦) المائدة، الآية (٤٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٦٠٦.٦٠٤/٤)، فتح القدير، (٤٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٩.٢٠٨/٦)، تفسير أبي السعود، (٤٤.٤٣/٣)، التفسير الكبير، (١٠.٩/١٢).

(٨) كتاب معاني القراءات، ص(١٤٢).

فيه على عيسى عليه السلام، وأمر بالعلم به أهله أنزل عليه» ثم يقول: «فسواء قُرئ ذلك على وجه الأمر بتسكين (اللام)، أو قُرئ على وجه الخبر بكسرها، لاتفاق معنييهما»(١).

وساق القرطبي رأي النحاس الذي يُؤكد فيه أن لا فرق بين القراءتين، فيقول: «قال النحاس: والصَّواب عندي أنهما قراءتان حسنتان؛ لأن الله عز وجل لم ينزل كتاباً إلا ليُعمل بما فيه، وأمر بالعمل بما فيه فصحتا جميعاً»(٢).

بينما نجد ابن أبا طالب يختار قراءة الجزم، قائلاً: «وهو الاختيار، لارتباط بعض الكلام ببعض، ولمطابقة آخره مع أوله، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد، يدل على أنه إلزام من الله تعالى لأهل الإنجيل، ولأن الجماعة عليه»(٣).

(١١/٤٧) الاختلاف في ﴿يَبْغُونَ﴾ من قوله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الآية (٥٠).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: ﴿يَبْغُونَ﴾، فقرأ ابن عامر: ﴿تَبْغُونَ﴾ بالتاء، وقرأ الباقون: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَحَمْزَةُ وَلْيَحْكُمْ بِكَسْرٍ وَنَصْبِهِ يُحَرِّكُه تَبْغُونَ خَاطَبَ كُمَّلا (٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

البَغِيَّةُ: الطِّلْبَةُ، وكذلك البِغْيَة. يُقال: بغى الشيَّء ما كان خيراً أو شراً يَبْغيه بُغاءً وبُغىً: طلبه, تقول: بغيتُ المال من مَبْغَاتِهِ, كما تقول: أتيتُ الأمر من مَأْتَاته, تُريد المأتى والمَبْغى.

وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة, (لقيهما رجل بكراع الغميم(٦)، فقال: من أنتما؟، فقال أبو بكر: باغٍ وهادٍ.)(٧) عَرَّض ببغاء الإبل وهداية الطريق، وهو يُريد طلب الدِّين والهداية من الضلالة، وابتغاه وتبغاه: كلّ ذلك طلبه(٨).

الحجة في قراءة ابن عامر بالتاء على الخطاب، ومعناه: والله أعلم، قل يا محمد للكفرة، إذا كنتم لا تحكمون بما في كتب الله عز وجل أفتبغون حكم الجاهلية(١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤/٦٠٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢٠٩).

(٣) الكشف، (١/٤١١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٩)، كتاب السبعة، ص(٢٤٤)، النشر، (١/٢٥٤)، الإتحاف، ص(٢٠١).

(٥) عنى الناظم بحرف (الكاف) من (كمّلا) ابن عامر. انظر: المتن، ص(٤٩)، الوافي ص(٢٥٢).

(٦) موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عُسْفان بثمانية أميال، وهذا الكراع جبل أسود في طرق الحرَّة يمتد إليه. معجم البلدان، (٤/٤٤٣).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: لسان العرب، (١٤/٧٥ ٧٦)، مختار الصحاح، ص(٥٩).

وحجه الباقين في قراءتهم بالياء، أنه إخبار من الله تعالى، عنهم في حال الغيبة، فدلّ بالياء على ذلك، وحجة أخرى: أنهم ردّوه على لفظ قوله: [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ](٢)(٣).

ثالثا: المعنى العام للآية:

قوله: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ] إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخٌ لهم، والمعنى: أيعرضون عن حكمك بما أنزل الله عليك، ويتولون عنه، ويبتغون حكم الجاهلية؛ أي أحكام عبدة الأوثان من أهل الشِّرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه.

ثم قال سبحانه موبِّخاً لهؤلاء الذين أبوا قَبول حكم رسول الله ρ وهم من اليهود، ومُستجهلاً فعلهم ذلك منهم، فقال: [وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] إي: ومن هذا الذي هو أحسن حُكماً أيها اليهود من الله تعالى ذكره عند من كان يوقن بوحدانية الله، ويُقرُّ بربوبيته؟!

ويقول تعالى ذكره: أيُّ حكم أحسن من حكم الله، إن كنتم موقنين أن لكم ربّاً، وكنتم أهل توحيد وإقرار به (٤).

وقد طرح أبو زكريا الأنصاري سؤالاً مفاده: «إنك إن قلت لم خص سبحانه (الموقنين) بالذكر، مع أنّ أحسنية حكم الله لا يختص بهم؟ قلت: لأنهم أكثر انتفاعاً بذلك من غيره، كنظيره في قوله: [إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا](٥)»(٦).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي القراءة بالياء معللاً ذلك بقوله: «والياء أكثر في القراءة، وهي أوجَه بمجرى الكلام على ظاهره واستقامته عليه من غير تقدير إضمار، ونحوُ هذا الإضمار لا يُنكر لكثرته» ثم يؤكِّد صحة القراءة الأخرى قائلاً: «وإن كان الأوّل أظهر»(٧).

ويوافقه ابن طالب قائلاً: «وقرأ الباقون بالياء، وهو الاختيار، لارتباط بعض الكلام ببعض، ولمطابقة آخره مع أوله، ولأن الجماعة عليه»(٨).

---

(١) انظر: الكشف، (٤١١/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣١).

(٢) المائدة، الآية (٤٩).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣١) ، الحجة : ابن زنجلة، (٢٢٨)، الكشف، (٤١١/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٦١٥.٦١٤/٤)، فتح القدير، (٤٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢١٦.٢١٥/٦)، تفسير أبي السعود، (٤٧/٣)، التفسير الكبير، (١٥.١٤/١٢).

(٥) النازعات، الآية (٤٥).

(٦) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(١٤٣).

(٧) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٢٠/٢).

(٨) الكشف، (٤١١/١).

(١٢/٤٨) الاختلاف في [وَيَقُولُ] من قوله عزَّ وجلّ: [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ] الآية (٥٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الواو وإخراجها والرفع والنصب من قوله عز وجل: [وَيَقُولُ]، فقرأ الحرميان وابن عامر: [يَقُولُ] بغير واو، وقرأ الباقون: [وَيَقُولُ] بالواو، وكلهم رفع [يَقُولُ] إلاّ أبا عمرو، فإنه نصبه[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَقَبْلَ يَقُولُ الْوَاوُ غُصْنٌ وَرَافِعٌ ... سِوَى ابْنِ الْعَلاَ مَنْ يَرْتَدِدْ عَمَّ مُرْسَلاَ[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

الواو: من حروف المعجم، وحرف هجاء، وهي مؤلفة من واو وياء وواو، وهي حرف مجهور يكون أصلاً وبدلاً وزائداً. قال الجوهري: «الواو من حروف العطف، تجمع الشيئين، ولا تدلّ على الترتيب»[٣].

القول: الكلام على الترتيب[٤] وهو عند المحقق: كل لفظ قال به اللّسان تاماً كان أو ناقصاً تقول: قال يقول قولاً، والفاعل قائل، والمفعول مَقُول، والجمع أقوال، وأقاويل جمع الجمع، والقول في الشر والخير، والقال والقيل في الشر خاصة، وهما اسمان، وروي عن النبي ρ أنه نهى عن قيل وقال وإضاعة المال[٥] قال أبو عبيدة: «قِيلَ وقَالَ نحو وعربية؛ وذلك أنه جعل القال مصدراً، ألا تراه يقول عن قيلٍ وقالٍ كأنه قال عن قيلٍ وقولٍ؟ يقال على هذا: قُلْتُ قولاً وقيلاً وقالاً»[٦].

حجة من أثبت الواو في قوله: [وَيَقُولُ] إنه جعله عطفاً على ما قبله، عطف جملة على جملة، وأتبع في ذلك أنها ثابتة في مصاحف الكوفة والبصرة.

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٩)، كتاب السبعة، ص(٢٤٥)، النشر، (٢/٢٥٤.٢٥٥)، الإتحاف، ص(٢٠١).

(٢) عنى الناظم بحرف (الغين) من كلمة (غصن) الكوفيون وأبو عمرو. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٢).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٥/٤٨٥.٤٨٧).

(٤) قال ابن منظور: «الفرق بين القول والكلام: الكلام هي الجمل، كقولك: زيد منطلق، وقام زيد. والقول: هو الألفاظ المفردة التي يبني الكلام فيها؛ كزيد، من قولك: زيدٌ منطلق». انظر: لسان العرب (١١/٥٧٢)

(٥) نص الحديث عن المغيرة بن شعبة قال: قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: [لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا] البقرة الآية(٢٧٣)، (٢/٢٤٨)، رقم الحديث (٧٨).

(٦) انظر: لسان العرب (١١/٥٧٢.٥٧٤)، (١٥/٨٥.٤٨٧).

وحجة من حذف الواو أنه استغنى عن حرف العطف؛ لأن في الجملة الثانية ضميراً يعود على الأول، فذلك الضمير يُغني عن حرف العطف، كما قال تعالى: [رَابِعُهُمْ]، وقال: [سَادِسُهُمْ][(١)]، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة ومكة والشام، وحجتهم ما روي عن مجاهد في تفسيره قوله: [فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ] فتح مكة [أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ] يقول: [الَّذِينَ آمَنُوا] أي الحينئذ [أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] أي ليس كما قالوا»[(٣)].

والحجة في نصب [يَقُولَ]أنه ردَّه على قوله: [أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ]، على تقدير [أَنْ] إلى جنب [عَسَى]، إذ لا يحسن (عسى الله أن يأتي، وعسى أن يقول الذين)، كما لا يحسن: عسى زيدٌ أن يقوم عمرو، فإذا قدرت التقديم في [يَأْتِيَ] إلى جنب [عَسَى]حسُن؛ لأنه يصير التقدير: عسى الله أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين[(٤)].

وحجة من رفع الفعل فقال: [يَقُولُ] إنه ابتدأ بالفعل فأعربه بما وجب بلفظ المُضارعة. وأضاف أبو علي الفارسي قائلاً: «أن من رفع فحجته أن يجعل الواو لعطف جملة على جملة، ولا يجعلها عاطفة على مفرد»[(٥)].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قال سبحانه: [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا] من قرأ بإدخال الواو ونصب [يَقُولَ] فالمعنى: فعسى الله أن يأتي بالفتح المُبين، أو أمر من عنده يُديلهم[(٦)] به على أهل الكتاب من أعدائهم، فيُصبح المنافقون على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، وعسى أن يقول الذين آمنوا حينئذٍ : أهؤلاء الذين أقسموا بالله كذباً جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟

والمعنى على قراءة من قرأ بلا واو؛ أي فيُصبح المنافقون إذا أتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، يقول المؤمنين تعجباً منهم، ومن نفاقهم، وكذبهم، واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنهم لمعنا و هم كاذبون في أيمانهم لنا؟.

---

(١) الكهف, الآية (٢٢).

(٢) المائدة, الآية (٥٢).

(٣) انظر: الكشف، (٤١١/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٢٩).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٢)، الكشف، (٤١٢/١)، الحجة: أبو علي الفارسي,(١٢١،١٢٠/٢).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٢١/٢)، الكشف, (٤١٢/١).

(٦) الدَّوْلة والدُّولة: العُقبة في المال والحرب سواء، قال الجوهري:« بالفتح أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى, وبالضم في المال » انظر: لسان العرب (٢٥٤،٥٢/١١).

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] أي: أغلظها، وقوله: [إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ] أي: بالنصرة والمعونة، كما قالوا فيما حكى عنهم: [وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ](١)، وقوله: [حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ] بطلت بنفاقهم، والأعمال هي التي عملوها في الموالاة، أو كل عملٍ يعملونه، وقوله: [فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ] أي: فأصبح هؤلاء المنافقون، عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر، وقد وكسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم وهلكوا(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، معللاً ذلك بقوله: «أما حذف الواو وإثباتها فعلى ما كُتب في المصاحف القديمة، وثبوت الواو وسقوطها لا يغير في المعنى، ومن نصب [وَيَقُولَ] عطفه على قوله: [فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ]، ومن رفع [وَيَقُولُ] فهو استئناف، وكل ذلك جائز»(٣).

ويوافقه ابن أبي طالب قائلاً: «والقراءتان حسنتان»، ثم يستثني قائلاً: «وإثبات الواو أحبّ إلي لارتباط بعض الكلام ببعض، ولأنه أزيد في الحسنات»، أما بالنسبة للفعل فإنه اختار الرفع، ويعلل ذلك بقوله: «والاختيار الرفع، إذ عليه الجماعة، والظّهور وجهه، ولترك التكلف فيه، كما احتيج إلى التكلف في النصب، من تقديم لفظ مؤخر»، ثم يقول: «وإثبات الواو وحذفها واحد، وحذفها أحبّ إلي؛ لأن في حذفها دليلاً على قوة الرفع الذي اخترنا، وفيه ترك النصب، الذي فيه ترك التقديم والتأخير»(٤).

وهو ما ذهب إليه شيخ المفسرين أيضاً حيث يقول: «وقراءتنا التي نحن عليها: [وَيَقُولُ] بإثبات الواو في: [وَيَقُولُ]؛ لأنها كذلك هي في مصاحف أهل المشرق، بالواو، وبرفع [وَيَقُولُ] على الابتداء»، ثم يعلل قائلاً: «فتأويل الكلام إذا كانت القراءة على ما وصفنا فيُصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين، ويقولُ المؤمنون: أهؤلاء الذي حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كَذِباً إنهم لمعنا؟»(٥).

---

(١) الحشر, الآية (١١).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤/٦٢١،٦٢٢)، فتح القدير، (٢/٥١)، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢١٨،٢١٩), تفسير أبي السعود، (٣/٤٩،٥٠)، التفسير الكبير، (١٣/١٧،١٨).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص(١٤٢).

(٤) الكشف, (١/٤١١،٤١٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٤/٦٢١،٦٢٢).

(١٣/٤٩) الاختلاف في [وَالْكُفَّارَ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] الآية (٥٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في نصب الراء وخفضها من قوله عز وجل: [وَالْكُفَّارَ]، فقرأ النحويان: [وَالْكُفَّارِ] بالخفض، وقرأ الباقون: [وَالْكُفَّارَ] بالنصب[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وحرِّكْ بالإِدْغَامِ لِغَيْرِ دَلِيلِهِ ۞ وبالخَفْضِ والكُفَّارِ رَاوِيهِ حَصَّلا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

أصل الكُفْر: تغطيه الشَّيء تغطيه تستهلكه. والكُفْر: نقيض الإيمان؛ آمنا بالله وكفرنا بالطَّاغوت والجمع: كُفَّار وكفرة، مثل جائع وجياع، وجمع الكافرة: كَوَافِر[٣].

حجة من قرأ بالجر فقال: [وَالْكُفَّارِ]؛ أنه حمل الكلام على أقرب العاملين، وهو قوله: [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ]؛ وذلك لأن لغة التنزيل الحمل على أقرب العاملين، فحمل على عامل الجرِّ من حيث كان أقرب إلى المجرور من عامل النصب، وزاد ابن خالويه قائلاً: «والحجة لمن خفض أنه عطفه على قوله: [الَّذِينَ] يريد: ومن الكفار؛ لأنه كذلك في صوت عبد الله وأبيٍّ»[٤].

وأما من قرأ: [وَالْكُفَّارَ] بالنصب فحجته أنه ردَّه على قوله: [لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا... وَالْكُفَّارَ]؛ لأن معنى الألف واللام في الكفار بمعنى الذي. ووجهٌ آخر: أنه عطفه على الذين في قوله: [لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا] [وَالْكُفَّارَ] [أَوْلِيَاءَ] أي: لا تتخذوا هؤلاء وهؤلاء أولياء، فالموصوف بالهُزء واللَّعب، في هذه القراءة هم اليهود لا غير، والمنهيُّ عن اتخاذهم أولياء هم اليهود والمُشركون، وكلاهما في القراءة بالخفض موصوف بالهُزء واللعب منهي عن اتخاذهم أولياء.

وأضاف أبو علي وجهاً آخر فقال: «ويجوز أنه عطف على العامل الناصب، فكأنه قال: لا تتخذوا الكفار أولياء، وحجتهم في ذلك قوله عز وجل: [لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٥)، النشر، (٢٥٥/٢)، الإتحاف ص(٢٠١).

(٢) عنى الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رواية» الكسائي، وبحرف (الحاء) من قوله: «حصّلا» أبو عمرو، انظر: المتن، ص(٥٠), الوافي، ص(٢٥٣).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٤٥،١٤٤/٥), مختار الصحاح, ص(٥٧٣).

(٤) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٢٣/٢)، الحجة: ابن خالويه, ص(١٣٢).

الْمُؤْمِنِينَ](1) كما وقع النهي عن اتخاذ الكُفار أولياء في هذه الآية، كذلك يكون في الأُخرى معطوفاً عليه». وقال ابن خالويه: وهي كقول عُقيبة الأسدي(2).

مُعَاوِيَ إِنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بالجبالِ ولا الحَدِيدا(3)

فعطف (الحديد) على موضع الباء والجبال؛ لأن موضعهما نُصب بخبر ليس»(4).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

نهى سبحانه في الآية السابقة عن اتخاذ اليهود والنَّصارى أولياء، وساق الكلام في تقريره، ثم ذكر ههنا النهي العام عن موالاة جميع الكفار، فقال: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا]، وعن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسُويد بن الحارث(5) قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا] إلى قوله: [بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ]»(6).

وهذا النهي عن مُوالاة المتخذين للدِّين هزؤاً أو لعباً يعم كلَّ من حصل منه ذلك، من المُشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام. والبيان بقوله: [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ].. الخ، لا يُنافي دخول غيرهم تحت النهي إذا وُجِدت فيه العلَّة المذكورة التي هي الباعثة على النَّهي.

قوله: [وَالْكُفَّارَ] أي المشركين، خُصوا به لتضاعف كفرهم، وهذه الآية مثل قوله: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ](7)، [لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ](8) تضمنت المنع من التأييد والانتصار بالمشركين ونحو ذلك.

ثم قال سبحانه: [وَاتَّقُوا اللَّهَ] في ذلك بترك مُوالاتهم، أو بترك المناهي على الإطلاق، فيدخل فيه ترك مُوالاتهم دُخولاً أولياً، [إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ] أي حقاً، فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة(9).

---

(1) آل عمران, الآية (28).

(2) عُقيبة بن هبيرة الأسدي: شاعر جاهلي إسلامي، من شعره الأبيات المشهورة أعلاه، وقد خاطب بها معاوية، توفي نحو (500هـ). الأعلام (241/4).

(3) استشهد بهذا البيت الفراء في معاني القرآن، (348/2).

(4) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(132)، الكشف، (414/1)، الحجة: أبو علي الفارسي، (123/2).

(5) لم أقف على ترجمة لهما.

(6) أسباب النزول، الواحدي، ص (164).

(7) المائدة، الآية (51).

(8) آل عمران، الآية (118).

(9) انظر: تفسير الطبري، (631.629/4)، فتح القدير، (54/2)، الجامع لأحكام القرآن، (224.223/6)، تفسير أبي السعود، (53/3)، التفسير الكبير، (32/13).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة النصب، ويؤكد صحة القراءة الثانية أيضاً، ويقول: «ولولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترتُ الخفض؛ لقوته في الإعراب، وفي المعنى والتفسير، والقرب من المعطوف عليه، وذلك لأن الموصوف بالهزء واللعب في قراءة النصب هم اليهود لا غير، والمنهي عن اتخاذهم أولياء هم اليهود والمشركون، وكلاهما في القراءة بالخفض، موصوف بالهزء واللعب، منهي عن اتخاذهم أولياء»(١). ويسوق القرطبي قول النحاس في اختياره لقراءة النصب فيقول: «قال النحاس: والنصب أوضح وأبين»(٢).

بينما نجد شيخ المفسرين الطبري قد صوّب القراءتين معاً، قائلاً: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنهما قراءتان متفقتا المعنى، صحيحتا المخرج، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة، فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب؛ لأن النهي عن اتخاذ ولي من الكفار، نهي عن اتخاذ جميعهم أولياء، والنهي عن اتخاذ جميعهم أولياء، نهي عن اتخاذ بعضهم ولياً، وإذا كان ذلك كذلك فسواءٌ قرأ القارئ بالخفض أو بالنصب، لما ذكرنا من العلة»(٣).

(١٤/٥٠) الاختلاف في: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] من قوله عز وجل: [قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] الآية (٦٠).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الباء وفتحها وكسر التاء ونصبها من قوله عز وجل: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ]، فقرأ حمزة وحده: [وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ] بضم الباء وكسر التاء من [الطَّاغُوتِ]، وقرأ الباقون: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] منصوباً كله(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَبَا عَبَدَ اضْمُمْ وَاخْفِضِ التَّا بَعْدُ فُزْ رِسَالَتَهُ اجْمَعْ وَاكْسِرِ التَّا كَمَا اعْتَلَا(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

أصل العُبُوديّة: الخضوع والتذَلل، والعِبادة في اللغُة: الطّاعة مع الخُضوع، يقال: عبَدَ الله يَعْبُدُه عِبادةً ومَعْبداً ومَعْبدةً: تألّه له.

---

(١) الكشف، (١/٤١٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢٢٤).

(٣) تفسير الطبري، (٤/٦٣١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٦)، النشر، (٢/٢٥٥)، الإتحاف، ص(٢٠١).

(٥) عنى الناظم بحرف (الفاء) من قوله «فُزْ» حمزة. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٣).

والطُّغْيان: مجاوزة الحدّ، وكل من جاز حدّه في العصيان والكفر (طاغٍ) (وطغى) بالكسر مثله، والاسم: الطّغوى والطّاغوت: يقع على الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث وزنه: فَعَلوتٌ، إنما هو طَغَيُوتٌ، قُدِّمت الياء قبل الغين، وهي مفتوحة وقبلها فتحة فقلبت ألفاً. وجمع الطّاغوت: طَواغيت[1].

حجة حمزة أنه جعل [عَبُدَ] اسماً مبنياً على (فَعُل) كعَضُد، فهو بناءٌ للمبالغة والكثرة، كما قالوا: حَذُر ويَقُظ، وأصله الصفة، ونصبه بـ[جَعَلَ] أي: جعل منهم عبداً للطاغوت، وأضاف [عَبُدَ] إلى [الطَّاغُوتِ] فخفضه، و[جَعَلَ] بمعنى: خلق، كقوله تعالى: [وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ][2]، والمعنى: وجعل منهم من يُبالغ في عبادة الطاغوت، وليس [عَبُدَ] بجمع[3]؛ لأنه ليس من أبنية الجموع[4].

وأما من نصب، فقال: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] فإنه جعله فعلاً ماضياً، وعطفه على فعل ماضٍ وهو غضبٌ ولعنٌ وجعلٌ، وأفرد الضمير الذي في [عَبَدَ] وإن كان المعنى فيه الكثرة؛ لأن الكلام محمولٌ على لفظ دون معناه، وفاعله ضمير [مَنْ]، ونصب [الطَّاغُوتَ] به، في هذه القراءة.

وأضاف ابن زنجلة على ذلك بقوله: «أن من قرأ بالنصب، لهم في ذلك حجتان: إحداهما: النّسق على قوله: [لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ]. والثانية: أن ابن مسعود وأبيًّا قرآ [وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ]، حملا الفعل على معنى [مَنْ]؛ لأن [مَنْ] واحدٌ في اللفظ وجمعٌ في المعنى، فقراءة العامة على اللفظ، وقراءتهما على المعنى، كما قال: [وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ] على المعنى، ثم قال: [وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ][5] على اللفظ»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما أمر الله سبحانه نبيه محمد ρ بإلزام اليهود، وتبكيتهم، ببيان أن مدار نقمهم للدِّين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم أيضاً، وكفرهم بما هو مسلَّم لهم، أمر عليه

---

(١) انظر: لسان العرب، (٣/٣٧٢.٣٧٣)، (١٥/٧.٩)، مختار الصحاح، ص(٤٠٧.٤٠٨).

(٢) الأنعام، الآية (١).

(٣) هذا في قول ابن خالويه، فقد ذكر أن حجة حمزة في ذلك أنه جعله جمع (عَبْد)، وأضافه إلى [الطَّاغُوتَ] ثم قال: وجمع (عبد) على ثمانية أوجه: وهي: عَبيدٌ، وأَعْبدٌ، وعِبادٌ، وعُبْدانٌ، وعِبِدّانٌ، وعُبُدٌ، وعِبِدّا، يمد ويقصر، ومَعْبُوداء بالمد، وحكى الأخفش عُبُد مثل: سَقْف وسُقُف. انظر: مختار الصحاح، ص(٤٠٧.٤٠٨).

(٤) انظر: الكشف، (١/٤١٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٢٤).

(٥) يونس، الآيتان (٤٢.٤٣).

(٦) انظر: الكشف، (١/٤١٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٢٤.١٢٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣١.٢٣٢).

السلام عقيبه، بأن يُبكِّتهم ببيان أن الحقيق بالنظم والعيب حقيقةً ما هم عليه من الدِّين المحرف، ثم وينعي عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتهم وعقوباتها على منهاج التعريض، لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركون متن المكابرة والعنادة، فقال: [قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ] أي: بشر من نقمكم علينا، قوله: [مَثُوبَةً] الثواب، مثوبة الخير ومثوبة الشر[1]، وقوله: [مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ] أي: من أبعده وأسخطه، وقوله: [وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ] يقول: وغضب عليه وجعل منهم المسوخ والقردة والخنازير، غضباً منه عليهم وسخطاً؛ فعجّل لهم الخزي والنكال في الدنيا.

وقوله: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] والطاغوت: الشيطان أو الكهنة وغيرهما، ثم قال: [أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا] الإشارة إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة، وقوله: [شَرٌّ مَكَانًا] في عاجل الدنيا والآخرة عند الله ممن نقمتم عليهم، وقوله: [وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] معطوف على شر، أي هم أضل من غيرهم عن الطريق المستقيم. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية عيَّر المسلمون أهل الكتاب؛ وقالوا، يا إخوان القردة والخنازير، فافتضحوا ونكسوا رؤوسهم[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة بالنصب، معللاً ذلك بقوله: «لأن عليه الجماعة، وهو أبين في المعنى، لأن التقدير: من لعنه الله، ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد الطاغوت، فهو أبين في المجانسة والمطابقة، وهو حمل آخر الكلام على مثال أوله»[3].

ويوافقه الطبري قائلاً: «فأولاهما بالصَّواب من القراءة، قراءة من قرأ ذلك: [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ]، بمعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت» ويعلل ذلك قائلاً: «لأنه ذُكِر أن ذلك في قراءة أبيّ بن كعب وابن مسعود: [وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ] بمعنى: والذين عبدوا الطَّاغوت، ففي ذلك دليل واضحٌ على صحة المعنى الذي ذكرنا من أنه مراد به: ومن عبد الطاغوت، وأن النصب بـ[الطَّاغُوتَ] أولى على ما وصفت في

---

(١) طرح أبو زكريا الأنصاري، سؤالاً مفاده: كيف قال ذلك، مع أن المثوبة مختصة بالإحسان؟! قال: «قلت: لا نُسلِّم اختصاصها بذلك لغةً، بل هي الجزاء مطلقاً، بدليل قوله تعالى: [فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ] آل عمران (١٥٣)، وقوله: [هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] المطففين (٣٦)؛ أي: هل جوزوا، غايته أن الثواب قد يكون خيراً، وقد يكون شراً، يُقصد به التهكم والاستهزاء، كلفظ البشارة، اختصاص له لغة بالخبر، بل هل شامل للشر، قال تعالى: [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] آل عمران (٢١)». انظر: فتح الرحمن، ص(١٤٤.١٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٣٢/٤.٦٣٦)، فتح القدير، (٥٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٤/٦.٢٣٦)، تفسير أبي السعود، (٥٤/٣.٥٦)، التفسير الكبير، (٣٥/١٣.٣٧).

(٣) الكشف، (٤١٥/١).

القراءة؛ لإعماله [يدعونه] فيه، إذ كان الوجه الآخر غير مُستفيض في العرب، ولا معروف في كلامها»[١].

(١٥/٥١) الاختلاف في [رسالته] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] الآية (٦٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التَّوحيد والجمع من قوله عز وجل: [رِسَالَتَهُ][٢]، فقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: [رِسَالاتِهِ] بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقون: [رِسَالَتَهُ] بالتوحيد وفتح التاء[٣].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَبَعْدَ ظَلُومٌ وَخَفْضُ التَّابِعُ فُزْ ... رِسَالَتَهُ اجْمَعْ وَاكْسِرِ التَّا كَمَا اعْتَلاَ
صَفَا وَتَكُونُ الرَّفْعُ حَجَّ شُهُودُهُ ... وَعَقَّدْتُمُ التَّخْفِيفُ مِنْ صُحْبَةٍ وِلاَ[٤]

ثانياً: توجيه القراءات:

الإرْسَال: التَّوجيه، وقد أرسلَ إليه. والاسم: الرِّسالة والرَّسالة والرسُول والرَّسيل، والأخيرة عن ثعلب؛ وأنشد كثيِّر[٥].

بعَدْ كذَب الواشُون ما فُهْت عندهم ... بِلَيْلَى ولا أَرْسَلْتُهم برسولٍ

أراد: ولا أرسلتهم برسالة. والرَّسول: بمعنى الرِّسالة. يُؤنَّث ويُذَكَّر، فمن أنَّث جمعه (أَرْسُلاً)، وسمي الرسول (رسولاً)؛ لأنه ذو رَسول؛ أي ذو رِسالة.

قال الزجاج: «في قوله حكايةً عن موسى وهارون: [فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ][٦] ومعناه رسالة ربِّ العالمين؛ أي ذو رسالة رب العالمين»، وقال الرازي: «ولم يقل:

---

(١) تفسير الطبري، (٦٣٥/٤).

(٢) وكذلك في قوله: [أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] الأنعام (١٢٤)، وقوله: [بِرِسَالاتِي] الأعراف (١٤٤)، وسيأتي ذكرهما في ص( ) و ( ).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٦)، النشر، (٢٥٥/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٢).

(٤) أشار الناظم إلى ابن عامر بحرف (الكاف) من قوله: «كما» وإلى نافع بحرف (الألف) من قوله: «اعتلا» وإلى أبي بكر بحرف (صاد) من قوله: «صفا». انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٣).

(٥) كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر عاشق عرف بكثير عزة، اتصل بعبد الملك بن مروان فأكرمه، كان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع، كان عفيفا في حبه، توفي في المدينة سنة (١٠٥هـ)، له ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء، (١٥٢/٥).

(٦) الشعراء، الآية (١٦).

رسولا رب العالمين، لأن فعولاً وفعيلاً يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع، مثل عدوٍ وصديقٍ»[1].

قوله عز وجل: [رِسَالَتَهُ] قُرأ على الإفراد، وهو جنس في المعنى، وبالجمع؛ لأن جنس الرسالة مُختلف. فالحجة لمن وحّد: أن الرسالة على إنفراد لفظها تدلّ على الكثرة، وهي كالمصدر في أكثر الكلام، لا تجمع ولا تثنى، لدلالته على نوعه بلفظه، لكن جاز جمعه في هذا لما اختلفت أنواعه و أجنله، فتشابه المفعول فجُمع، فهي تدل على ما يدل عليه لفظ الجمع، وهي أخفّ، ألا ترى إلى قوله تعالى: [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ][2] والنِّعم كثيرة، والمعدود لا يكون إلا كثيراً، لكن الواحد يدلُّ على الجمع.

وأضاف ابن خالويه قائلاً: أن الحجة لمن وحّد: أنه جعل الخطاب للرسول ρ، استدلوا بقول النبي ρ: (إنَّ الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً)[3] ثم تلا الآية»[4].

وحجة من جمع فقال: [رِسَالَاتِهِ] أن الرسل يُرسلون بضروبٍ من الرسائل، كالتوحيد والعدل، وما يشرعون من الشرائع، وما يُنسخ منها على ألسنتهم، فلما اختلفت الرسائل حَسُن أن يجمع، كما حسُن أن تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت، ألا ترى أنك تقول: رأيت تموراً كثيرة، ونظرت في علوم كثيرة، فجُمعت هذه الأسماء إذا اختلفت ضروبها، كما تجمع غيرها من الأسماء[5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] هذا أمرٌ من الله تعالى ذكره لنبيه ρ، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنَّصارى من أهل الكتابين الذين قَصَّ تعالى ذكره قصصهم في هذه السورة، وذلك لأنه ρ كان أول الإسلام يُخفيه خوفاً من المشركين، ثم أُمر بإظهاره في هذه الآية.

قوله: [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ] قال ابن عباس: «بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإن كتمت شيئاً منه فما بلّغت رسالته»[6]، ثم أنه سبحانه قد وعده العصمة من الناس قائلاً:

---

(١) انظر: لسان العرب، (١١/٢٨٣.٢٨٤)، مختار الصحاح، ص(٢٤٢.٢٤٣).

(٢) إبراهيم، الآية (٣٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: الكشف، (١/٤١٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٢).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٢٨.١٢٩)، الكشف، (١/٤١٥).

(٦) قال القرطبي: «هذا تأديبٌ للنبي ρ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألاّ يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد عَلِم الله تعالى من أمر نبيه ρ أنه لا يكتم شيئاً من وحيه، فعن عائشة أنها قالت: (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ρ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ)، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ]، (٦/١٠٣)، حديث رقم (١٣٤). وقبح الله الروافض حيث قالوا: أنه ρ كتم شيئاً مما أوحى الله إليه، كان بالناس حاجة إليه». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢٤٢.٢٤٣).

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ]، وذلك دفعاً لما يُظن أنه حاملٌ على كتم البيان، وهو خوف لحوق الضرر من الناس، وهذه الآية باعثةٌ له ρ على الجدّ في تحقيق ما أُمِر به من التبليغ، غير مُكترث بعداوتهم وكيدهم.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ρ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ [وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ρ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ)[(١)]، وقال القرطبي: «هذه الآية دليل على نبوته؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يَجوز أن يكون قد ترك شيئاً مما أمره الله به».

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] وهذه جملة متضمنة لتعليل ما سبق من العصمة، أي أن الله لا يجعل لهم سبيلاً إلى الإضرار بك، فلا تخف وبلِّغ ما أُمِرت بتبليغه[(٢)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب النَّحاس القراءتين معاً، قائلاً: «والقراءتان حسنتان»، ثم يقول: «والجمع أَبين، لأن الرسول ρ كان ينزل عليه الوحي شيئاً فشيئاً، ثم يبينه، والإفراد يدل على الكثرة، فهي كالمصدر، والمصدر في أكثر الكلام لا يجمع ولا يثنى؛ لدلالته على نوعه بلفظه، كقوله: [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا][(٣)]»[(٤)].

ويُوافقه ابن أبي طالب، ويقول معللاً اختياره: «لأن المعنى عليه، لكثرة الرسل، وكثرة ما أرسلوا به»[(٥)].

ويخالفهما الشوكاني في الاختيار، ويختار القراءة بالإفراد، ثم يقول بعد أن يذكر رأي النحاس: «وفيه نظرٌ، فإن نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة أبلغ من نفيه عن الرسالات، كما ذكره عُلماء البيان على خلاف ذلك»[(٦)].

(١٦/٥٢) الاختلاف في: [تَكُونَ] من قوله عز وجل: [وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] الآية (٧١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة المائدة، (٩٦/٥)، رقم الحديث (٣٠٤٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٤٨.٦٤٦/٤)، فتح القدير، (٦٠.٥٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٣.٢٤٢/٦)، تفسير أبي السعود، (٦١.٦٠/٣)، التفسير الكبير، (٥٠.٤٨/١٢).

(٣) النحل، الآية (١٨).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٤/٦).

(٥) انظر: الكشف، (٤١٥/١).

(٦) انظر: فتح القدير، (٦٠.٥٩/٢).

اختلفوا في رفع النّون ونصبها من قوله عز وجل: [تكون]، فقرأ الابنان ونافع وعاصم: [تكونَ] نصباً، وقرأ الباقون: [تكونُ] رفعاً[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

صفا وتكونُ الرفعُ حجَّ شهودُه وعقَّدتُم التخفيفُ من صحبةٍ ولا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [تكونُ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)[3].

حجة من قرأ: [تكونُ] بالرفع، أنه جعل (حسب) بمعنى العلم واليقين، فلزمه أن يجعل (أن) مخففة من الثقيلة؛ لأنّها لتأكيد ما بعدها، وما قبلها من اليقين، فهي أشبه باليقين من (أنْ) النّاصبة للفعل، فيتسق الكلام على اليقين في أوله وآخره، فلما جعل (أنْ) مخففة من الثقيلة، وذلك لحملها على معنى اليقين الذي قبلها، أضمر الهاء؛ لتكون اسم (أنْ) فارتفع الفعل، إذ لا ناصب له، وصارت (لا) عِوَضاً من المحذوف مع (أن)؛ والتقدير: وحسبوا أنه لا تكون فتنة؛ أي: لا تقع ولا تحدث، فلا تحتاج (كان) إلى خبر؛ لأنها التامة بمعنى حدث ووقع، كما قال في موضع آخر: [أَلاَّ يَقْدِرُونَ][4] أي: أنهم لا يقدرون على شيء، فهي مخففة من (أنْ). وأضاف ابن خالويه قائلا: «حجة من رفع؛ أنه جعل (لا) بمعنى (ليس)؛ لأنه يُجْحد بها كما يُجْحد بـ(ليس)، فحالت بين (أنْ) وبين النصب»[5].

والحجة لمن قرأ: [تكونَ] نصباً، أنه أجرى (حسب) على بابه للشّك، فأتت معه (أن) النّاصبة للفعل؛ لأنّها لأمر غير ثابت مثل ما قبلها، فهي ملائمةٌ لما قبلها، كما كانت (أن) المخففة من الثقيلة في القراءة الأولى ملائمةً لما قبلها، إذ هما جميعاً لليقين، فنصبت (أن) الفعل لأنه بابها. وقال ابن زنجلة: «الحجة لمن نصب قوله: [وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ][6]، وقوله: [وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ][7] كل هذا نصب بـ(أن لا)»[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٧)، النشر، (٢٥٥/١)، الإتحاف، ص(٢٠٢).

(٢) عنى الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حج» أبو عمرو، وأشار بحرف (الشين) في قوله: «شهودة» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٣).

(٣) أنظر ذلك في ص( ).

(٤) الحديد، الآية (٢٩).

(٥) انظر: الكشف، (٤١٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٣)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٣،١٣٤).

(٦) البقرة، الآية (٢٤٦).

(٧) الحديد، الآية (١٠).

(٨) انظر: الكشف، (٤١٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٣)..

قوله تعالى: [وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ] أي بلاءٌ(1)، المعنى: وظن هؤلاء الإسرائيليون الذين وصف الله تعالى ذكره صفتهم أنه أحد ميثاقهم، وأنه أرسل إليهم رسلاً، وأنهم كانوا كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً، أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبارٌ بالشدائد من العقوبات بما كانوا يفعلون، اغتراراً بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه، وإنما اغتروا بطول الإمهال.

قال سبحانه: [فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ]، الآية دالة على أنَّ عماهم وصممَّهم عن الهداية إلى الحقِّ حصل مرتين، فالمرة الأولى: ما وقع منهم في الابتداء من مخالفة أحكام التوراة، وقتل شعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط. وقوله: [ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ] إشارة إلى ما وقع منهم بعد التَّوبة من قتل يحيى بن زكريا عليه السلام وقصدهم لقتل عيسى عليه السلام.

قال تعالى: [وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] أي يرى أعمالهم خيرَها وشرَّها، فيجازيهم يوم القيامة بجميعها، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، والمقصود منه التّهديد والوعيد(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً قائلاً: «وكلتا القراءتين في قوله تعالى: [وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ]، وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل، فمثل قول من نصب فقال: [أَلَّا تَكُونَ] قوله: [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا](3)، وقوله: [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ](4)، وقوله: [أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ](5) ومثل من رفع قوله: [أَلَّا تَكُونُ]، قوله: [أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ](6)، وقوله: [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ](7)، وقوله: [أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ](8)، فهذه المخففة من الشديدة»، ثم يقول: «ومثل ذلك في الظن قوله: [تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ](9)، وقوله: [وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ

---

(1) انظر: غريب القرآن وتفسيره، ص(55).

(2) انظر: تفسير الطبري، (4/651-652)، فتح القدير، (2/63)، الجامع لأحكام القرآن، (6/247-248)، تفسير أبي السعود، (3/64-65)، التفسير الكبير، (12/56-59).

(3) العنكبوت، الآية (4).

(4) الجاثية، الآية (21).

(5) العنكبوت، الآية (2).

(6) الزخرف، الآية (80).

(7) المؤمنون، الآية (55).

(8) القيامة، الآية (3).

(9) القيامة، الآية (25).

نس ُ و َ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا][1]، فـ[أَنْ] ههنا المخففة من الشديدة؛ لأن الناصبة للفعل لا يقع بعدها[لَنْ] لاجتماع الحرفين في الدَّلالة على الاستقبال، كما لم تجتمع الناصبة مع السين، ولم يجتمعا كما لا يجتمع الحرفان لمعنىً واحد، فمن ثَمَّ كانت[أَنْ] في قوله: [عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى][2] المخففة من الشَّديدة»[3].

ويسوق الرازي تقريراً للواحدي في توجيهه لكلتا القراءتين فيقول: «وذكر الواحدي لهذا تقريراً حسناً فقال: الأفعال على ثلاثة أضرب: فعلٌ يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو: العلم والتَّيقن والتَّبين، فما كان مثل هذا يقع بعده (أَنَّ) الثقيلة ولم يقع بعده (أَنْ) الخفيفة الناصبه للفعل؛ وذلك لأن الثقيلة تدلُّ على ثبات الشيء واستقراره، فإذا كان العلم يدل على الاستقرار والثبات و(أَنَّ) الثقيلة تفيد هذا المعنى، حصلت بينهما موافقةً ومجانسةً، ومثاله من القرآن قوله: [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ][4]، والضرب الثاني: فعلٌ يدل على خلاف الثبات والاستقرار، نحو أطمع وأخاف وأرجو، فهذا لا يُستعمل فيه إلا الخفيفة الناصبة للفعل، قال تعالى: [وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ][5]، والضرب الثالث: فعلٌ يحزو مرةً إلى هذا القبيل ومرة أخرى إلى ذلك القبيل، نحو: حسب وأخواتها فتَارةً تستعمل بمعنى أطمع وأرجو فيما لا يكون ثابتاً ومستقراً، وتارةً بمعنى العلم فيما يكون مُستقراً».

ثم يقول الرازي: إذا عرفت هذا فنقول: يمكن إجراء الحسبان ههنا بحيث يُفيد الثبات والاستقرار؛ لأن القوم كانوا جازمين بأنهم لا يقعون بسبب ذلك التكذيب والقتل في الفتنة والعذاب، ويمكن إجراؤه بحيث لا يفيد هذا الثبات من حيث أنهم كانوا يكذبون ويقتلون بسبب حفظ الجاه والتَّبع، فكانوا بقلوبهم عارفين أن ذلك خطأٌ ومعصيةٌ، وإذا كان اللفظ مُحتملاً لكل واحد من هذين المعنيين، لا جرم ظهور الوجه في صحة كل واحد من هاتين القراءتين». ثم يقول: «قال الواحدي: وكلا الوجهين قد جاء به القرآن»[6].

بينما يرجح أبو منصور الأزهري قراءة النصب قائلاً: «وأما من نصب فهو وجه الكلام؛ لأن (أَنْ) و (أَنْ لا) تنصبان المستقبل»[7].

---

(1) الجن، الآية (5).

(2) المزمل، الآية (20).

(3) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (131/2).

(4) التوبة، الآية (104).

(5) الشعراء، الآية (82).

(6) انظر: التفسير الكبير، (56/12).

(7) كتاب معاني القراءات، ص(144).

ويخالفه القرطبي والشوكاني في الاختيار، ويرجحان قراءة الرفع، مستشهدان بقول النحاس: «الرفع عند النحويين في حَسِب وأخواتها أجود، كما قال أمرؤ القيس[1]:

ألا زَعِمت بِسْباسةُ اليومَ أنني كَبِرْتُ وألا يَشهد اللّهو أمثالي»، ثم يقول القرطبي: «وإنما صار الرفع أجود؛ لأن حسب وأخواتها بمنزلة العلم لأنه شيء ثابت»[2].

(١٧/٥٣) الاختلاف في [عَقَّدْتُمُ] من قوله عز وجل: [لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] الآية (٨٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد القاف وتخفيفها وإدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [عَقَّدْتُمْ]، فقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي: [عَقَدْتُمْ] بالتخفيف، وقرأ ابن ذكوان: [عَاقَدْتُمْ] بألف بعد العين مخففاً، وقرأ الباقون: [عَقَّدْتُمْ] مشدداً من غير ألف[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَصَافُوا يَكُونَ الرَّفْعُ حُجَّ شُهُودُهُ وَعَقَدْتُمُ التَّخْفِيفُ مِنْ صُحْبَةٍ وَلا

وَفِي الْعَيْنِ فَامْدُدْ مُقْسِطاً فَجَزَاءُ قُلْ وَنَوِّنْ وَمِثْلُ مَا فِي خَفْضِهِ الرَّفْعُ ثُمِّلا[4]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [عَقَدْتُمْ] لغوياً في النص رقم (١٥/١٥)[5].

من قرأ: [عَقَدْتُمْ] بالتخفيف، حجته أن الكفارة تلزم الحانث إذا عقد يميناً بحلف مرة واحدة، كما يلزم بحلف مرات كثيرة، إذا كان ذلك على الشيء الواحد، ولأنّ باب (فعَّلت) يُراد به: ردَّدْت الفعل مرة بعد مرة، وإذا شدّدت القاف سبق إلى فهم السامع أن الكفارة لا تجب على الحانث العاقد على نفسه يميناً بحلف مرةٍ واحدة حتى يُكرر الحلف، وهذا خلاف جميع الأمة، فإذا خففت دفعت الإشكال.

---

(١) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، مختلف في اسمه، من أشهر شعراء العرب، له أحوال ومواقف كثيرة حيث تنقل في البلاد والقبائل، توفي قبل الهجرة بنحو (٨٥ سنة)، له ديوان شعر مطبوع. الأعلام: (١٢،١١/٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٨/٦)، فتح القدير، (٦٣/٢).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٧)، النشر، (٢٥٥/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٢).

(٤) أشار الناظم بحرف (الميم) في قوله: «من» إلى ابن ذكوان، وبكلمة (صحبة) حمزة والكسائي وشعبة، وأما حرف (الميم) في قوله: «مقسطاً» فقد عنى به ابن ذكوان، وبهذا نلاحظ أن ابن ذكوان له قراءتان، الأولى بالتخفيف، والثانية بالتخفيف والألف. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥١).

(٥) انظر: ذلك ص(   ).

وأضاف أبو علي الفارسي قائلاً: «أن من قال: [عَقَدْتُمُ] فخفف جاز أن يُراد به الكثير من الفعل والقليل، إلا أن (فعَّل) يختص بالكثير». وحجة ثالثة ذكرها ابن خالويه، فقال: «أن من قرأه [عَقَدْتُمُ] بالتخفيف، أنه أرد: فعلتم ذلك من العقد»(١).

ومن قال: [عَقَّدْتُمُ] بالتشديد: أنه أراد تكثير الفعل على معنى: عقد بعد عقد، أو يكون أراد تكثير العاقدين للأيمان، ويدل على ذلك قوله: [يُؤَاخِذُكُمُ] فخاطب جماعة؛ وهذا مثل [وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ](٢)، أو يكون شدّد لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده، فكأنه عقد يمين بعد عقد يمين، فالتشديد يدل على كثرة الأيمان، ولو كان بعده اليمين بالتوحيد لكان حجةً للتخفيف. وقال ابن زنجلة: «إن من قرأ بالتشديد حجته ذكرها ابو عمرو فقال: [عَقَّدْتُمُ]؛ أي: وكَّدتم، وتصديقها قوله: [وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا](٣) والتوكيد هنا ضد اللَّغو في اليمين، واللَّغو ما لم يكن باعتقاد»(٤).

وأما قراءة ابن عامر [عَاقَدْتُمُ] فحجته أنه جعل (فاعل) يُراد به المرّة الواحدة، فعل الواحد؛ كعافاه الله، فيكون في المعنى بمنزلة قراءة من خفف بغير ألف. ووجه آخر: وهو أنه يجوز أن يُراد به إنسان فأكثر، على باب فاعلين، فتكون اليمين من كلٍّ واحد من الحالفين المُتعاهدين، فالمعنى على هذا القول: أن تكون اليمين من كل واحد للآخر على أمرٍ عقدوه، وعلى القراءة الأولى أن تكون اليمين من واحد على فعل يفعله، أو على ترك فعل(٥).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في الآية السابقة [وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ](٦)، كان سبب نزولها أن قوماً من الصحابة حرَّموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا الرَّهبانية، وحلفوا على ذلك، فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا، فأنزل الله قوله: [لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ](٧)، واللَّغو: مصدر لَغَا يَلغو ويَلْغي، ولَغِيَ لَغاً؛ إذا أتى بما لا يُحتاج إليه في الكلام، أو بما لا خَير فيه، أو بما يَلغي إثمه، ومعنى [فِي أَيْمَانِكُمْ] أي: من أيمانكم، والأيمان: جمع يمين.

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٢/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٤).

(٢) يوسف، الآية (٢٣).

(٣) النحل، الآية (٩١).

(٤) انظر: الكشف، (٤١٧/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٢/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٤).

(٥) انظر: الكشف، (٤١٧/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٢/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٤٥).

(٦) المائدة، الآية (٨٨).

(٧) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(١٦٩).

واختلف العلماء في اليمين التي هي لغو، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المُحاورة؛ لا والله، وبلى والله، دون قصدٍ لليمين». وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُنزلت هذه الآية: [لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ] في قول الرَّجُلِ لا واللَّهِ وبَلَى واللَّهِ)[1] وفي الآية دليلٌ على أن أيمان اللّغو لا يؤاخذ الله الحالف بها، ولا تجب فيها الكفارة.

قال القرطبي: «والأيمان في الشريعة على أربعة أقسام: قسمان فيهما الكفارة، وقسمان لا كفارة فيهما، فاليمينان اللذان يُكفران: فالرجل يحلف: والله لا أفعل كذا وكذا، وقد فعل. والرجل يقول: والله لأفعلنَّ كذا وكذا، فلا يفعل. واليمينان اللذان لا يُكفران: فالرجل يحلف: والله ما فعلت كذا وكذا، وقد فعل. والرجل يحلف: لقد فعلتُ كذا وكذا، ولم يفعله».

وقال تعالى: [وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ] أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها عليه بالقصد والنِّية، والمعنى: ولكن يُؤاخذكم بما عقدتموه إذا حنثتم، أو بنكث ما عقدتُم، فحذف للعلم به، وقرئ بالتخفيف، وقرئ [عَاقَدْتُمْ] بمعنى [عَقَدْتُمْ]، قال الشوكاني: «واليمين المُعقدة من عقد القلب ليفعلن أو لا يفعلن في المستقبل»[2].

ثم قال: [فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] فقد ذكر سبحانه في الكفارة الخِلال الثلاثة فخيَّر فيها، فبدأ بالطعامِ؛ لأنه كان الأفضل في بلاد الحجاز لغلبة الحاجة إليه وعدم شبعهم، والمُراد بالوسط هنا المُتوسط بين طرفي الإسراف والتَّقتير؛ أي: أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه، ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه، ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه، وظاهره أنه يجزئ إطعام عشرة حتى يشبعوا.

والإطعام عند مالك مدٌّ لكلِّ واحدٍ من المساكين العشرة، إن كان بمدينة النبي ρ، وبه قال الشافعي وأهل المدينة، واختلف إن كان بغيرها، فقال ابن القاسم[3]: «يُجزئه المدّ بكل ما كان»، ولا يجوز عند المالكية دفعها إلى مسكين واحد، وبه قال الشافعي أيضاً، وأصحاب أبوحنيفة يمنعون

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: [لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ]، (٦/١٠٣)، حديث رقم (١٣٥).

(2) ثم يقول: «وأما اليمين الغموس، فهي يمين مكر وخديعة وكذب، قد باء الحالف بإثمها، وليست بمعقودة ولا كفارة فيها، كما ذهب إليه الجهور، وهي من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، وفيها نزلت: [إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً] آل عمران (٧٧)». انظر: فتح القدير، (٢/٧١).

(3) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جُنادة العُتَقي المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم، فقيه، جمع بين الزهد والعلم، تفقه بالإمام مالك ونظرائه، له (المدونة)، وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك. انظر: سير أعلام النبلاء، (٩/١٢٠.١٢٥).

صرف الجميع إلى واحد دفعة واحدة، ويختلفون فيما إذا صُرف الجميع في يوم واحد بدفعات مختلفة، فمنهم من أجاز ذلك[١].

والنوع الثاني من الكفارة: قوله: [أَوْ كِسْوَتُهُمْ] والكسوة في الرجال: تَصدق على ما يكسو البدن، ولو كان ثوباً واحداً، وأما في حق النِّساء فأقلّ ما يُجزئهن فيه الصلاة، وهو الدِّرع والخمار، وهكذا حُكم الصغار.

ثم النوع الثالث: قوله: [أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] والتحرير: الإخراج من الرِّق، ولأهل العلم أبحاثٌ في الرقبة التي تُجزئ في الكفارة، وظاهر هذه الآية أنها تُجزئ كل رقبة على أي صفة كانت، وذهب المالكية والحنفية الشافعية إلى اشتراط الإيمان فيها، قياساً على كفارة القتل[٢]. ولا خلاف في أن كفارة اليمين على التخيير، قال ابن الأعرابي: «والذي عندي أنها تكون بحسب الحالة، فإن علمت مُحتاجاً فالطعام أفضل؛ لأنّك إذا أعتقت لم تدفع حاجتهم، وزدت مُحتاجاً حادى عشر إليهم، وكذلك الكسوة تليه، ولما علم الله الحاجة بدأ بالمقدّم المهم».

ثم قال: [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ] أي لم يجد في ملكه أحد هذه الثلاثة؛ من الإطعام أو الكسوة أو عتق رقبة، فإذا عدم هذه الثلاثة الأشياء صام ثلاثة أيام، والعدم يكون بوجهين: إما بمغيب المال عنه أو عدمه؛ فالأول أن يكون في بلد غير بلده، فإن وجد من يُسلفه لم يجزه الصوم، وإن لم يجد من لم يُسلّفه فقد اختلف فيه على أقوال قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته، لا فضل له عن ذلك، يصوم ثلاثة أيام، وهو ممن دخل في جملة من لم يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق، وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته، ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين، أو يعتق رقبة، فلا يجزئه حينئذٍ الصوم؛ لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذٍ من إطعام أو كسوة أو عتق، حق أوجبه الله تعالى ذكره في ماله وجوب

---

(١) وسبب اختلافهم في مقدار الطعام يرجع إلى سبب اختلافهم في تأويل قوله: [مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ] المائدة (٨٩)، والعلة في قول مالك: المدُّ خاص بأهل المدينة»، وذلك نسبة لضيق معاشهم، وأما سائر المدن فيعطون الوسط من نفقتهم. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، (٢٥٧٨/٤).

(٢) وسبب الاختلاف بين الحنفية والجمهور في اشتراط الإيمان في الرقبة؛ هو اختلافهم في مسألة أصولية وهي هل يحمل المطلق على المقيد في الأمور التي تتفق أحكامها وتختلف أسبابها؛ ككفارة اليمين، وكفارة القتل الخطأ، فقد ورد النص القرآني في كفارة اليمين مطلقاً بدون تقييد بشرط الإيمان، وهو: [تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ]، وورد النص مقيداً بشرط الإيمان في كفارة القتل الخطأ، وهو: [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] النساء (٩٢)، فقال الجمهور يحمل المطلق على المقيد فيشترط الإيمان في كفارة اليمين حملاً على اشتراطه في كفارة القتل الخطأ؛ لأنهما يشتركان في ستر الذنب، وقال الحنفية: لا يحمل المطلق على المقيد، وإنما يجب أن يبقى موجب اللفظ في كفارة اليمين على إطلاقه، ويعمل بكل نص على حدة؛ لأن شرط الإيمان في كفارة القتل غير معقول المعنى، فيقتصر على مورد النص. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته (٢٥٨٣/٤،٢٥٨٤).

الدَّين، وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرَّق ماله بين غرمائه: أنه لا يترك ذلك اليوم إلا ما لا بد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته، فكذلك حكم المعدم بالدَّين الذي أوجبه الله تعالى ذكره في ماله بسبب الكفارة التي لزمت ماله».

قال: [ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ] أي تغطية أيمانكم إذا حنثتم فيها، ثم أمرهم بحفظ الأيمان وعدم المُسارعة إليها أو إلى الحنث بها فقال: [وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ] وقوله: [كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ] أي ومثل ذلك البيان يبين الله لكم فيه أعلام شريعته وأحكامه لا بياناً أدنى منه، قوله: [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] أي: لما أنعم به عليكم من بيان شرائعة وإيضاح أحكامه(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب الواحدي القراءتين معاً، قائلاً: «يُقال: عقد فلان اليمين والعهد والحبل عقداً، إذا وكَّده وأحكمه، ومثل ذلك: عقّد، بالتشديد، إذا وكَّد، ومثله أيضاً عاقد بالألف»، ثم يقول الرازي معقباً على قول الواحدي: «إذا عرفت هذا فنقول: أما من قرأ بالتخفيف فإنه صالح للقليل والكثير، يُقال: عقد زيد يمينه، وعقدوا أيمانهم. وأمّا من قرأ بالتشديد فاعلم أن أبا عبيدة زيّف هذه القراءة، وقال: التشديد للتّكرير مرّة بعد مرّة، فالقراءة باليمين تُوجِب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة؛ لأنها لم تتكرر» ثم يقول: «وأجاب الواحدي رحمه الله عنه من وجهين: الأول: أن بعضهم قال: عقد بالتخفيف والتشديد بمعنىً واحد في المعنى. الثاني: هب أنها تُفيد التكرير كما في قوله: [وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ](٢)، إلا أن هذا التكرير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه، ومتى جمع بين القلب واللّسان فقد حصل التكرير، أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر لم يكن معقداً، وأما من قرأ بالألف فإنه من المُفاعلة التي تختص بالواحد مثل: عافاه الله، طارقت النعل، فتكون هذه القراءة كقراءة من خفَّف»(٣).

بينما يرجح الطبري قراءة من قرأ بتخفيف القاف، ويعلل ذلك بقوله: «وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل (فعَّلت) في الكلام، إلاّ فيما يكون فيه تردُّد مرة بعد مرة، مثل قولهم: شدّدت على فلان في كذا، إذا كرَّر عليه الشدَّ مرة بعد أخرى، فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة، قيل: شدَدت عليه، بالتخفيف. وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم؛ إن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة، تلزم الحنث في حلف مرّة واحدة، وإن لم يكررها الحالف مرَّات، وكان معلوماً بذلك أن الله مُؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرِّره ولم يردده، وإذا كان ذلك كذلك لم يكن

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣١/٣)، فتح القدير، (٧٣.٧١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٥.٢٦٤/٦)، تفسير أبي السعود، (٧٥.٧٤/٣) التفسير الكبير، (٧٨.٧٣/١٢).

(٢) يوسف، الآية (٢٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير، (٧٢/١٢).

لتشديد القاف من [عَقَّدْتُمْ] وجهٌ مفهوم، فتأويل الكلام إذن: لا يُؤاخذكم الله أيها المؤمنون في أيمانكم بما لغوتم فيها، ولكن يُؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها، وعقدت عليه قلوبكم»(١).

(١٨/٥٤) الاختلاف في [فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] الآية (٩٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الإضافة والتنوين في قوله عز وجل: [فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا]، فقرأ الكوفيون: [فَجَزَاءٌ] بالتنوين ورفع [مِثْلُ]، وقرأ الباقون: [فَجَزَاءُ] بغير تنوين وخفض [مِثْلِ](٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي العين فامدُدْ مُقْسطاً فجزاءُ نوِّنُوا مثلُ ما في خفْضه الرَّفعُ ثُمَّلا (٣)

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الجَزَاءُ: المُكافأة على الشيء، جزاه به وعليه، جزاءٌ وجازاه مُجازاة وجِزاءً. قال ابن جني: ظاهر هذا أن تكون (جَوازِيه) جمع جازٍ، أي: لا يَعْدم جزاءً عليه، جاز أن يُجمع (جزاءٌ) على (جوازٍ) لمُشابهة اسم الفاعل للمصدر، فكما جمع سَيْلٌ على سَوائِلٌ، كذلك يجوز أن يكون (جَوَازِيه) جمع (جَزَاءٍ)، وقد يُستعمل (أجْزأ) بالألف والهمز، بمعنى: (جزى)، ونقلهما الأخفش بمعنىً واحد، فقال: الثلاثي من غير همز لُغة الحجاز، والرُّباعي المهموز لغة تميم».

والجزاءُ يكون ثواباً ويكون عقاباً، قال تعالى: [قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ](٤)، قال الفراء: «لا يكون جَزَيْتُه إلاّ في الخير، وجازيته يكون في الخير والشر». وقال الجوهري: «جَزَيْتُه بما صنع جزاءً وجازَيْتُه بمعنىً»(٥).

ثانياً: مِثْل: يُستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الشَّبيه، وبمعنى نفس الشَّيء وذاته، وبمعنى زائدة. وفي التنزيل: [بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ](١)، وعلى هذا أيضاً قوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ](٢) أي: ليس

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/٥).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٨)، النشر، (٢٥٥/٢)، الإتحاف ص(٢٠٢).

(٣) عنى الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثمّلا» الكوفيين، وثمّلا: جمع ثامل وهو المصلح. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٣).

(٤) يوسف، الآيتان (٧٤.٧٥).

(٥) انظر: لسان العرب، (١٤٤.١٤٣/١٤)، القاموس المحيط، (٣١٢/٤)، المصباح المنير، (١٠٠/١).

كوصفه شيء(٣)، وهو أَوْلى من القول بالزِيادة؛ لأنها على خلاف الأصل، ومثال الزيادة قوله: [فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ](٤) أي (بما)(٥).

ال)، ويوصف به المذكر والمؤنث والجمع، فيُقال: هُوَ وهِيَ وهُما وهُنّ مِثْلُه.

قال ابن برّي: «الفرق بين المُماثلة والمُساواة؛ أن المُساواة تكون بين المختلفين في الجنس، والمتفقين؛ لأن التَّساوي هو التَّكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المُماثلة فلا تكون إلاّ في المتفقين في الجنس، تقول: لونُه كلونه، وطَعْمُه كَطَعْمِه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق، فمعناه، أن يسدَّ مسدَّه، وإذا قيل: مِثْلُه في كذا، فهو مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ» والعرب تقول: هو مُثَيْلٌ وهم أُمَيْثالهم، يُريدون أن المشبه به حقيراً، كما أن هذا حقير(٦).

حجة من قرأ قوله: [فَجَزَاءٌ] بالتنوين، ورفع [مِثْلُ]؛ أنه لما كان في المعنى صفة لـ[جَزَاءٌ] ترك إضافة الموصوف إلى صفته، وأجراه على بابه، فرفع [جَزَاءٌ] بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: فعليه جزاء، وجعل [مِثْلُ] صفة لـ[جَزَاءٌ]، على تقدير: فجزاءٌ مماثل للمقتول من الصيد في القيمة أو في الخلقة، وبَعُدت الإضافة في المعنى؛ لأنه في الحقيقة ليس على قاتل الصيد جزاءٌ مثل ما قتل؛ إنما عليه جزاء المقتول بعينه، لا جزاء مثله؛ لأن مثل المقتول من الصيد لم يقتله، فيصير المعنى على الإضافة: عليه جزاءُ ما لم يقتل.

وأضاف ابن خالويه قائلاً: «الحجة لمن نوَّن: أنه جعل قوله: [جَزَاءٌ] مبتدأ، وجعل قوله [مِثْلُ] الخبر، أو برفعه بإضمار، يريد فعليه جزاءٌ، وتكون [مِثْلُ] بدلاً من [جَزَاءٌ]».

وحجة من أضاف أن العرب تستعمل في إرادة الشيء مثله، يقولون: إني أُكْرِمُ مِثْلَك! أي: أُكْرِمُك. فإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كغير الإضافة؛ لأن المعنى: فعليه جزاءُ ما قتل، قال أبو علي الفارسي: «ومما يُؤكد أن المثل، إن كان قد أضيف إليه الجزاءُ، فالمعنى: فعليه جزاء المقتول، لا جزاء مثله الذي لم يقتله، قوله: [أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ](٧)، والتقدير: أفمن جعلنا له نوراً يمشي به كمن هو في الظلمات، والمِثْل والمَثل، والشَّبه والشِّبه واحد، فإذا كان مَثله في الظلمات فكأنه هو أيضاً

---

(١) المؤمنون، الآية (٤٧)

(٢) الشورى، الآية (١١).

(٣) انظر: فتح القدير، (٥٢٨/٤).

(٤)البقرة، الآية (١٣٧).

(٥) انظر: فتح القدير، (١٤٧/١).

(٦) انظر: لسان العرب، (٦١١.٦١٠/١١)، القاموس المحيط، (٤٩.٤٨/٤)، المصباح المنير، (٥٦٣/١).

(٧) الأنعام، الآية (١٢٢).

فيها، والتقدير على هذا في الإضافة: فجزاءُ المقتول من الصيد يحكم به ذوا عَدلٍ، فيصح معنى الإضافة»[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] شروعٌ في بيان ما يُتدارك به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يُلحقُه من العذاب، وهو خطابٌ عام لكل مسلم ذكراً كان أو أنثى؛ وهذا النَّهي هو الابتلاء المذكور في قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ][2]، وروي أن أبا اليَسَر[3] كان محرماً عام الحديبية، فقتل حمار وحش، فنزلت فيه: [لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ][4]، والقتل: هو كل فِعْلٍ يفيت الرُّوح، وهو أنواع: منها: النَّحر والذَّبح والخنق والرضخ وشبهه، فحرَّم الله تعالى على المحرم في الصيد كل فعلٍ يكون مفيتاً للروح.

وهذا التحريم حال كونهم [حُرُمٌ]، وهو عامٌّ في النوعين من الرجال والنساء، الأحرار والعبيد، قال القرطبي: «من قتل صيداً أو ذبحه فأكل منه فعليه جزاءٌ واحد، لقتله دون أكله»، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: «عليه جزاءُ ما أكل»، يعني قيمته، وخالفه صاحباه فقالا: «لا شيء عليه سوى الاستغفار؛ لأنه تناول الميتة كما لو تناول ميتة أخرى، ولهذا لو أكلها مُحرم آخر لا يلزمه إلا الاستغفار». وحجة أبي حنيفة: أنه تناول محظور إحرامه؛ لأن قتله كان من محظورات الإحرام.

قوله: [وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا] ذكر سبحانه المُتعمد ولم يذكر المُخطئ والنَّاسي، والمُتعمِّد هنا: هو القاصد للشيء مع العلم بالإحرام، والمُخطئ: هو الذي يقصد شيئاً فيُصيب صيداً، والنَّاسي: هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه. والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ؛ لما أن الآية نزلت في المُتعمد، كما في قصة أبي اليسر، ولأن الأصل فعل المتعمد، والخطأ لاحق به للتغليظ. وعن الزُّهري[5]: «نزل الكتاب بالعمد، ووردت السُّنة بالخطأ»[6].

---

(١) انظر: الكشف (٤١٨/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٥.١٣٤/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٤٥).

(٢) المائدة، الآية (٩٤).

(٣) كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السَّلمِي، أبو اليَسَر، صحابي، بدري، جليل، توفي بالمدينة سنة (٥٥هـ) وقد زاد علي المائة. تقريب التهذيب، (١٣٥/٢).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٢/٦).

(٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري، المدني، أحد الأئمة الكبار، تابعي، قرأ على أنس بن مالك، وعرض عليه نافع، توفي سنة (١٢٤هـ). انظر: غاية النهاية، (٢٦٣.٢٦٢/٢).

(٦) كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ... فِي النَّاسِ يَا عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ عَلَى أُخْرَاهُمْ حَتَّى قَتَلُوا الْيَمَانَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَبِي أَبِي فَقَتَلُوهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ قَالَ

فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ] أي: فعليه جزاءٌ مُماثل لما قتله، وقوله: [مِنَ النَّعَمِ] بيانٌ للجزاء المماثل، قيل: المُراد المُماثلة في القيمة، وقيل: في الخلقة، وقد ذهب إلى الأول أبو حنيفة، وذهب إلى الثاني مالك والشافعي وأحمد والجمهور، وهو الحق؛ لأن البيان للمُماثل بالنَّعم يفيد ذلك، وكذلك يفيده: [هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ]. قال القرطبي: «وأما ما لا مِثل له كالعصافير والفيلة، ففيه قيمته أو عَدله من الطعام، دون ما يُراد له من الأغراض؛ لأن المُراعى فيما له مثلٌ وجوب مثله، فإن عُدِم المثل فالقيمة قائمة مقامه؛ كالغصب وغيره».

وقوله: [يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] أي: رجلان معروفان بالعدالة بين المُسلمين، فإذا حكما بشيءٍ لزم، وإن اختلفا رجع إلى غيرهما، ولا يجوز أن يكون الجاني أحد الحكمين، وهو قول أبو حنيفة. وقال الشافعي: «يجوز»، قال الشوكاني: «وظاهر الآية يقتضي حكمين غير الجاني».

قوله: [هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ] المعنى: إنهما إذا حكما بالهدي، فإنه يُفْعل بالهدي من الإشْعار والتقليد، ويُرسل من الحِلّ إلى مكّة، ويُنْحر ويُتصدَّق به فيها، لقوله: [هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ] ولم يُرد الكعبة بعينها، فإن الهدي لا يبلغها، إذ هي في المسجد، وإنما أراد الحرم، ولا خلاف في هذا.

قوله: [أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ] والكفارة إنما هي عن الصيد لا عن الهدي، قال مالك: أحسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه، أنه يقوّم الصيد الذي أصاب، فينظر كم ثمنه من الطعام، فيُطعم لكل مسكين مدّاً، أو يصوم مكان كل مُدّ يوماً» وهو قوله: [أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا] وذهب الجمهور إلى أن الجاني يُخيَّر بين الأنواع المذكورة.

ثم قال سبحانه: [لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ] عليه، لإيجاب الجزاء؛ أي: أوجبنا ذلك عليه ليذوق وبال أمره، والذّوق مستعار لإدراك المشقة، والوَبَال: سوء العاقبة، وإنما سمّى الله تعالى ذلك (وَبَالاً)؛ لأنه خيَّره بين ثلاثة أشياء؛ اثنان منها توجب تنقيص المال، وهو ثقيل على الطبع، وهما الجزاء بالمثل والإطعام. والثالث: يوجب إيلام البدن، وهو ثقيل على الطبع، والمعنى: انه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء، التي كل واحد منها ثقيل على الطبع، حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم وفي حال الإحرام.

قوله: [عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ] من قتل الصيد مُحرماً، قبل أن يسألوا رسول الله ρ، وقيل: عما سلف منه في الجاهلية؛ لأنهم كانوا متعبِّدين بشرائع من قبلهم، وكان الصيد فيها مُحرّماً. وقوله: [وَمَنْ عَادَ] إلى ما نُهيتم عنه من قتل الصيد بعد هذا البيان [فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ] أي:

... قَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ). كتاب الديات، باب العفو في الخطأ بعد الموت، (١٠٠٩/٧)، حديث رقم (٢٢).

بالكفارة، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ]، [عَزِيزٌ] أي: منيع في ملكه، ولا يمتنع عليه من يريده، [ذُو انْتِقَامٍ] ممن عصاه إن شاء(1).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلاً: «والقراءتان قويتان»، ثم يقول: «لكن التنوين أحبُّ إلي؛ لأنه الأصل، ولأنه لا إشكال فيه»(2)، ويوافقه الطبري، ويعلل ذلك بقوله: لأنّ الجزاء هو المِثل، ولا وجه لإضافة الشَّيء إلى نفسه، وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بالإضافة؛ رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يُجزى مثله من الصيد بمثلٍ من النعم، وليس كذلك، كالذي ذهبوا إليه، بل الواجب على قاتله أن يجزي المقتول نظيره من النعم، وإذا كان ذلك كذلك، فالمِثل هو الجزاء الذي أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد، ولن يُضاف الشَّيء إلى نفسه، ولذلك لم يقرأ ذلك قارئٌ علمناه بالتنوين ونصب المِثل، ولو كان المِثل غير الجزاء، لجاز في المِثل النصب إذا نوّن الجزاء كما نُصب اليتيم، إذ كان غير الطعام في قوله: [أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ](3)»، ثم يقول: «وكذلك الجزاء، لو كان غير المِثل لاتسعت القراءة في المِثل بالنصب إذا نوّن الجزاء، ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحدٌ بتنوين الجزاء ونصب المثل، إذ كان المِثل هو الجزاء، وكان معنى الكلام: ومن قتله منكم متعمداً فعليه جزاءٌ، هو مثل ما قتل من النعم»(4).

(19/55) الاختلاف في [كَفَّارَةٌ طَعَامُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] الآية (95).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الإضافة والتنوين من قوله عز وجل: [كَفَّارَةٌ طَعَامُ]، فقرأ الصاحبان [كَفَّارَةُ] رفعاً غير منون [طَعَامِ] على الإضافة، وقرأ الباقون [كَفَّارَةٌ] منوناً [طَعَامُ] رفعاً(5)، ولم يختلفوا في [مَسَاكِينَ] أنه جمع(6).

---

(1) انظر: تفسير الطبري، (5/40،63)، فتح القدير، (2/77،78)، الجامع لأحكام القرآن، (6/302،317)، تفسير أبي السعود، (3/79،80)، التفسير الكبير، (12/86،97).

(2) الكشف، (1/418).

(3) البلد، الآية (15).

(4) تفسير الطبري، (5/43،44).

(5) انظر: كتاب التيسير، ص(100)، كتاب السبعة، ص(248)، النشر، (2/255)، الإتحاف، ص(203).

(6) جاء في الكشف: وإنما أجمعوا على القراءة في [مَسَاكِينَ] بالجمع؛ لأنه قتل الصيد، لا يُجزئ فيه إطعام مسكين واحد، كما كان في إفطار يوم إطعام مسكين واحد، وقوله في البقرة: [وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ]

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وكَفَّارَةٌ نَوِّنْ طعامُ بِرَفْعِ خَفْضِهِ دُمْ غِنىً واقْرَؤُا قيمَا لِمَا قَدْ مُثِّلا[١]

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الكَفَّارة: ما كُفِّر به من صدقة أو صوم، أو نحو ذلك؛ والاسم: الكفارة، وسميت الكفَّارات؛ كفَّارات لأنها تُكفِّر الذنوب، أي: تسترها، مثل كفّارة الأيمان، وكفّارة الظِّهار، وكفارة القتل الخطأ، وقد بينها الله تعالى في كتابه وأمر بها عباده[٢].

ثانياً: الطَّعام: اسمٌ جامعٌ لكل ما يُؤكل، وقد طَعِم يَطْعَمُ طُعْماً، فهو طاعِمٌ، إذا أكل أو ذاق؛ والجمع: أَطْعِمةٌ، وأَطْعِماتٌ جمع الجمع. قال الخليل: «العالي في كلام العرب أن الطَّعام هو البُرُّ خاصة»، وفي حديث أبي سعيد الخدري: (كُنَّا نُخْرِجُ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ)[٣] قيل: أرادا به البُرّ، وقيل: التَّمر، وهو أشبه؛ لأن البُرّ كان عندهم قليلاً ولا يتسع لإخراج زكاة الفطر.

قال ابن الأثير: الطعام عامٌ في كل ما يُقتات من الحِنطة والشعير والتمر وغير ذلك، وحيث استثنى منه السَّمراء وهي الحِنْطة، فقد أُطلق الصَّاع فيما عداها من الأطعمة، إلا أن العلماء خصُّوه بالتمر لأمرين: أحدهما: إنه كان الغالب على أطعمتهم. والثاني: أن معظم روايات هذا الحديث إنما جاءت: (صاعاً مِنْ تَمْرٍ)[٤]، وفي بعضها قال: (مِنْ طَعَامٍ)[٥]، ثم أعقبه بالاستثناء فقال: (لا سَمْرَاءَ)»[٦].

وجه رفع [طعام مساكين] أنه جعله عطفاً على [كفارة]، عطف بيان؛ لأن الطعام هو الكفارة، ولم يُضف الكفارة إلى الطعام؛ لأن الكفارة ليست للطعام، إنما الكفارة لقتل الصيد، فلذلك لم يُضيفوا الكفارة إلى الطعام، والشيء لا يُضاف إلى نفسه.

مِسْكِينٍ] البقرة (١٨٤)، لهذا المعنى، ولا يجوز التوحيد في هذا الموضع؛ لأنه يصير حكماً لمن قتل صيداً أن يُجزئه إطعام مسكين واحد، وذلك لا يجوز. انظر: الكشف، (٤١٩/١).

(١) أشار الناظم بحرف (الدال) من قوله: «دم» إلى ابن كثير، وبحرف الغين من قوله: «غنى» إلى الكوفيين وأبو عمرو. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٤،٢٥٣).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٤٨/٥)، القاموس المحيط، (١٢٨/٢)، المصباح المنير، (٥٣٤/٢).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب كم يؤدى في صدقة الفطر، (١١٣/٢)، حديث رقم (١٦١٦).

(٤) كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنِ اشْتَرَى شَاةً مُصَرَّاةً فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ لَا سَمْرَاءَ)، أخرجه مسلم في كتاب البيوع، باب حكم بيع المصراة، (٦/٣).

(٥) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (مَنِ اشْتَرَى شَاةً مُصَرَّاةً فَهُوَ بِالْخِيَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ رَدَّهَا رَدَّ مَعَهَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ لَا سَمْرَاءَ)، أخرجه مسلم في كتاب البيوع، باب حكم بيع المصراة، (٦/٣).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٥/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٧).

ووجه من أضاف أنه أقام الاسم مقام المصدر، فجعل الطعام مكان الإطعام. قال أبوعلي الفارسي: «من أضاف الكفارة إلى الطعام؛ فلأنه لما خُيِّر المُكفِّر بين ثلاثة أشياء: الهدي، والطعام، والصيام، إستجاز الإضافة لذلك، فكأنه قال: كفارةُ طعامٍ لا كفارة هدي ولا كفارة صيام. فاستقامت الإضافة عنده لكون الكفارة من هذه الأشياء».

وأضاف ابن زنجلة على ذلك بقوله: «إن حجة من أضاف أن قوله: [إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ][1] فأضاف [حَقُّ] إلى [الْيَقِينِ] وهما واحد، والشيء يُضاف إلى نفسه. ومذهب الفراء: إنما جاز أن تضاف [كَفَّارَةٌ] إلى [طَعَامُ]؛ لاختلاف اللفظين»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الجمهور بالتنوين، قائلاً: «الاختيار التنوين في [كَفَّارَةٌ]، لأن عليه المعنى، وهو الأصل، وعليه أكثر القراء؛ لأن الكفارة هي الطعام بعينه» ثم يقول مستبعداً القراءة الثانية: «والإضافة بعيدة»[4].

ويوافقه الطبري في الاختيار، ويقول: «وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ بتنوين [كَفَّارَةٌ] ورفع [طَعَامُ]»[5].

(٢٠/٥٦) الاختلاف في [عَدْلُ] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] الآية (٩٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح العين وكسرها من قوله عز وجل: [عَدْلُ]، فقرأ ابن عامر، فيما ذكر النقاش[6]: [عِدْلُ] بكسر العين، وقرأ الباقون: [عَدْلُ] بالفتح[7].

---

(١) الواقعة، الآية (٩٥).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥.١٣٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٥/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٧).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) الكشف، (٤١٩/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٥٠/٥).

(٦) محمد بن الحسن، أبو بكر النَّقاش الموصلي، مقرئ مفسر، وطاف البلاد، وكتب الحديث، وصنف المصنفات في القراءات والتفسير وغير ذلك، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: غاية النهاية (١٢١.١١٩/٢).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، النشر، (٢٥٥/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٣).

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن فارس: «العِدْل، بالكسر: الذي يُعادل في الوزن والقدر، وعَدْله، بالفتح: ما يقوم مقامه من غير جنسه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾»، وقال ابن الأثير: «هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر: ما ليس من جنسه».

وقال ابن منظور: «العَدْل والعِدْل والعَديل، سواءٌ، أي: النَّظير والمثيل، وهو مصدر في الأصل، يُقال: (عدلت) هذا بهذا (عدلاً)، من باب ضرب، إذا جَعَلْتَهُ مِثْلَه قَائماً مَقَامهُ، والجمع أَعْدال وعُدَلاء»[1].

وجه قراءة ابن عامر ﴿عِدْلُ﴾ بالكسر على معنى المثل، يُقال: عندي عِدْل غلامك، وعِدْل شاتك، إذا كانت شاة تعدل شاة، أو غلاماً يعدل غلاماً، قال الفراء: «فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العدل».

ووجه قراءة الباقين ﴿عَدْلُ﴾ بالفتح: ما عادل الشيء من غير جنسه[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص الأسبق[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

ساق أبو منصور الأزهري تصويب الزجاج لكلتا القراءتين، فقال: «قال الزجاج: العَدْل والعِدْل واحد»[4]، وقال القرطبي: «قال الكسائي: العَدْل والعِدْل بفتح العين وكسرها، لغتان وهما المِثْل، وقال الفراء: عِدْل الشيء بكسر العين مثله من جنسه، وبفتح العين مثله من غير جنسه»، ثم يقول معلقاً على كلا القولين: «ويُؤثر هذا القول . قول الفراء . عن الكسائي، تقول: عندي عِدْل دراهمك من الدراهم، وعندي عَدْل دراهمك من الثِّياب، والصحيح عن الكسائي أنهما لغتان، وهو قول البصريين، ولا يصح أن يُماثل الصيام الطعام في أقرب من العدد»[5].

ويقول الزمخشري: «والفرق بينهما؛ أن عَدل الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام، وعِدله ما عَدل به في المقدار، ومنه عدلا الحمل؛ لأن كل واحد منهما عدل الآخر حتى اعتدلا، كأن المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول به؛ كالذبح ونحوه ونحوهما الحَمل والحِمل»[6].

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٤٦).

(٢) انظر: لسان العرب، (٤٣٢/١١)، القاموس المحيط، (١٤،١٣/٤)، المصباح المنير، (٣٩٦/٢).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٤٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣١٦/٦).

وهو قول أبو السعود أيضاً، ثم يقول: «[ذَلِكَ] إشارة إلى الطعام و[صِيَامًا] تمييز للعدل، كقولك: لي مثله رجلا»(1).

(٢١/٥٧) الاختلاف في قوله: [قِيَامًا] من قوله عز وجل: [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] الآية (٩٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [قِيَامًا]، فقرأ ابن عامر وحده: [قِيَمًا] بغير ألف، وقرأ الباقون: [قِيَامًا](2).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وكفارة نون طعام برفع خفضه عمّ في الكسر قياما لهُ مُلا (3)

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [قِيَامًا] في النص رقم (٢/٢)(4). وجه من قرأ [قِيَامًا] بألف، أنه مصدر (قام القيام) كالصيام، فالتقدير: جعل الله حج الكعبة أو قصد الكعبة قياماً لمعاش الناس وأمثالهم في سكونهم بألاّ خوف عليهم، ولا أذى من أحد، وكذلك جعل الأشهر الحُرم لا يُؤذيهم فيها أحدٌ بقتال ولا بغارة.

ووجه قول ابن عامر: [قِيَمًا] بغير ألف؛ أنه جعل أيضاً مصدراً لـ(قام) كالسمع، وكأن حقه أن لا يعتل كالحول والعور، ولكن أُعِلَّ لاعتلال فعله. وقال ابن زنجلة: «إن حجة ابن عامر قول حسان بن ثابت:

فَنشْهد أنّك عبد المليك أُرْسِلت نوراً بدين قِيَمٍ».

ووجه آخر أضافه أبو علي الفارسي بقوله: «وجه قول ابن عامر في قراءته: أنه حذف الألف وهو يريدها، كما يُقصر الممدود»(5).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: الكشف، (٦٤٥/١).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٤٨)، النشر، (٢٤٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٣.١٨٦).

(٣) عنى الناظم بحرف اللام في قوله: «له» هشاماً، وبحرف (الميم) في قوله: «مُلا» ابن ذكوان، وهما راويا عامر، و(مُلا) بضم الميم والمد وقُصر للوزن: جمع مُلاءة وهي الملحفة. انظر: المتن، ص(٥٠) الوافي، ص(٢٥٤.٢٥٣).

(٤) انظر: ذلك في ص( ).

(٥) انظر: الكشف، (٤١٩/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٦/٢).

اتصال هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى حرَّم في الآية المُتقدمة الاصطياد على المحرم، فبين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطّير، فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات، وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة. فقال: [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ]، وجعل هنا بمعنى خلق. وسميت الكعبة كعبة؛ لأنها مربعة، والتَّكعيب: التربيع، وأكثر بيوت العرب مدورة لا مربعة، وقيل سميت كعبة لعلوّها ونتوّئها وبروزها، والبيت سُمِّي بذلك؛ لأنها ذات سقفٍ وجدار، وهي حقيقة البيتية وإن لم يكن بها ساكن، وسماه سبحانه (حراماً)؛ بتحريمه إياه، قال النبي ﷺ: «إنَّ مكةَ حَرَّمَها اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ»[(١)].

قوله: [قِيَاماً لِلنَّاسِ] أي: صلاحاً ومعاشاً، لأمن الناس بها، وعلى هذا يكون [قِيَاماً] بمعنى يقومون بها، قال العلماء: والحكمة في جعل الله تعالى هذه الأشياء قياماً للناس أن الله سبحانه خلق الخلق على سليقة الآدمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابر، والسلب والغارة والثأر، فلم يكن بدٌّ في الحكمة الإلهية والمشيئة الأولية من كافٍّ يدوم معه الحال، ووازع يحمد معه المآل.

والآية دالة على أنه تعالى جعل أربعة أشياء سبباً لقيام الناس وقوامهم، الأول: الكعبة: وقد وضّح سبب كونها لقيام الناس. والثاني: فهو الشهر الحرام، وهو قوله: [وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ]، ومعنى كونه سبباً لقيام الناس أن العرب كان يقتل بعضهم بعضاً في سائر الأشهر، ويَغير بعضهم على بعض، فإذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على الأسفار التجارات، وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم، وكانوا يُحصِّلون في الأشهر الحرم من الأقوات ما كان يكفيهم طول السنة، فلولا حُرمة الشهر لهلكوا وتفانوا من الجوع والشدة، فكان الشهر الحرام سبباً لقوام معيشتهم في الدنيا، وأيضاً هو سبب لاكتساب الثواب العظيم؛ بسبب إقامة مناسك الحج. والملاحظ أنه سبحانه أراد بـ[الشَّهْرَ الْحَرَامَ] الأشهر الحرم الأربعة، إلا أنه عبر عنها بلفظ الواحد؛ لأنه ذهب به مذهب الجنس.

وأما الثالث: فهو قوله: [وَالْهَدْيَ] إنما كان سبباً لقيام الناس؛ لأن الهدي ما يُهدى إلى البيت، ويُذبح هناك ويفرَّق لحمه على الفقراء، فيكون ذلك نسكاً للمهدي، وقواماً لمعيشة الفقراء.

وأما الرابع: فقوله: [وَالْقَلَائِدَ] المراد بها ذوات القلائد، وهي البُدْن، وخصت بالذكر؛ لأن الثواب فيها أكثر، وبهاء الحج بها أظهر. قال الرازي: «والوجه في كونها قياماً للناس أن من قصد البيت في الشهر الحرام لم يتعرض له أحد، ومن قصده في غير الشهر الحرام ومعه هدي، وقد قلده وقلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له أحد، حتى أن الواحد من العرب يلقى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب (ليبلغ العلم الشاهد الغائب) قاله ابن عباس عن النبي ﷺ، (٦٢/١) حديث رقم (٤٥).

الهدي مُقلداً، ويموت من الجوع فلا يتعرض له البتة، ولم يتعرض لها صاحبها أيضاً»، ثم قال: «وكل ذلك إنما كان؛ لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام، فكل من قصده أو تقرب إليه صار آمناً من جميع الآفات والمخلوقات، فلما ذكر الله تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ذكر بعده هذه الثلاثة؛ وهي الشهر الحُرم والهدي والقلائد؛ لأن هذه الثلاثة إنما صارت سبباً لقوام المعيشة لانتسابها إلى البيت الحرام، فكان ذلك دليلاً على عظمة هذا البيت وغاية شرفه».

وقوله: [ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ] أي: ذلك الجعل، لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل أمر السماوات والأرض، ويعلم مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنها من جملة ما فيهما، فكل ما شرعه لكم فهو جلبٌ لمصالحكم، ودفع لما يضركم، وقوله: [وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعميم بعد التخصيص للتأكيد(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «هما لغتان، يُقال: فلان قِوام قومه وقِيام قومه»(٢)، وقال ابن زنجلة: «هما مصدران من (قام)، فالأصل فيه (قِواماً)، تقول: قاوم يقاوم مُقاومةً، وتقول: قام يقوم قِياماً، فإذا اعتل الفعل اعتل المصدر، و(قام)، ليس بمعتل، فلذلك لم يقل (قِواماً) وليس لك أن تقول: (قياماً) كان في الأصل (قِواماً)، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، لأنه ينعكس عليك بقولك: صِوان وخِوان»(٣).

بينما يرجح أبو علي الفارسي قراءة الجمهور [قِيَاماً] بالألف، معللاً ذلك بقوله: «يؤكد إثبات الألف في القيام قوله: [وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً](٤) فالقيام: كالعياذ، والصيام، وعلى هذا ما لحقته تاء التأنيث من هذه المصادر فجاءت على فِعَالة؛ كالزِّيارة والسِّياسة والحِياكة, فكما جاءت هذه المصادر على فِعالة، كذلك حكم القيام أن يكون على فِعَال».

ثم يقول معلقاً على قراءة ابن عامر: «حكم هذا الوجه أنه يجوز في الشِّعر دون الكلام وحال السَّعة، وهذا في حال أنه حذف الألف وهو يريدها كما يقصر الممدود، وإما أن يكون جعله مصدراً كالشبع»(٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٧٨.٧٦/٥)، فتح القدير، (٧٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٦.٣٢٤/٦)، تفسير أبي السعود، (٨٣.٨٢/٣)، التفسير الكبير، (١٠٢.٩٩/١٢).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٤٦).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٨).

(٤) النساء، الآية (٥).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣٦/٢).

(٥٨/٢٢) الاختلاف في قوله: [اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ] من قوله عز وجل: [فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ] الآية (١٠٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم التاء وكسر الحاء، وفتحهما من قوله عز وجل: [اسْتَحَقَّ]، وفي التثنية والجمع من قوله عز وجل: [الأَوْلَيَانِ]، فقرأ حفص: [اسْتَحَقَّ] بفتح التاء والحاء، وقرأ الباقون: [اسْتُحِقَّ] بضم التاء وكسر الحاء، وقرأ أبو بكر وحمزة: [الأَوَّلِينَ] جمع أوَّل المُسلَّم المخفوض، وقرأ الباقون: [الأَوْلَيَانِ] تثنية (أولى) المرفوع[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وضَمُّ اسْتُحِقَّ افْتَحْ لِحَفْصٍ وكَسْرَهُ وفي الأَوْلَيَانِ الأَوَّلِينَ فَطِبْ صِلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: حَقَّ الشَّيء يَحِقُّ، بالكسر، حقّاً: أي: وجب، وأَحَقَّه غيره: أوجبه. واستحقَّه؛ أي استوجبه، وفي التنزيل: [فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا][3] أي: استوجباه بالخيانة،[4] والاستحقاق والإستيجاب قريبان من السواء[5].

ثانياً: الوَلِيُّ: وليُّ الميت الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، وفي الحديث: (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)[6]، وهما الأولَيان الأحقّان، ومن ذلك قوله: [الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ]، ووليُّ المرأة: الذي يلي عقد النِّكاح عليها، ولا يَدَعها تستبدّ بعقد النكاح دونه، وفي الحديث: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ)[7].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص (٢٤٨.٢٤٩)، النشر، (٢٥٦/٢).

(٢) بين الناظم أن حفصاً قرأ [اسْتَحَقَّ] بفتح التاء والحاء، ثم أشار بحرف (الفاء) من قوله: «فطب» إلى حمزة، وأشار بحرف (الصاد) من قوله: «صلا» إلى شعبة، وهما الذان قرآ [الأَوَّلِينَ] على الجمع. انظر: المتن، ص(٥٠)، والوافي، ص(٢٥٤).

(٣) المائدة، الآية (١٠٧).

(٤) انظر: فتح القدير، (٨٦/٢).

(٥) انظر: لسان العرب، (٥٢/١٠)، مختار الصحاح، ص(١٤٧).

(٦) سبق تخريجه في ص(   ).

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في الولي، (٢٢٩/٢)، حديث رقم (٢٠٨٣).

يُقال: هو الأَوْلى وهما الأَوْليانِ وهُم الأَوْلَوْنَ على مثال الأَعْلى والأَعْلَيانِ والأَعْلَوْنَ. وتقول في المرأة هي الوُلْيا وهما الوُلْييانِ وهُنّ الوُلى. وإن شئت الوُلْيَياتُ، مثل الكُبْرى والكُبْرَيانِ والكُبَر والكُبْرَيات[1].

حجة من فتح التاء من [اسْتَحَقَّ] أنه بنى الفعل للفاعل، فأضاف الفعل إلى [الْأَوْلَيَانِ] فرفعهما به [اسْتَحَقَّ]، والتقدير: من الذين استحق عليهما أوْليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل بيته، أو إلى غير قبيلته، والمفعول محذوف[2].

وحجة من ضم التاء فقال: [اسْتُحِقَّ] أنه بنى الفعل للمفعول، وقرأ [الْأَوَّلِينَ]، فأقام [الْأَوْلَيَانِ] مقام الفاعل على تقدير حذف مُضاف، والمعنى: من الذين استحق عليهم الأنصباء أو الإثم. قال أبو علي الفارسي: «وإنما قيل لهم [الْأَوَّلِينَ] من حيث كانوا الأولين في الذِّكر، ألا ترى أنه قد تقدم في اللفظ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ]، وكذلك قوله: [اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] ذُكرا في اللفظ قبل قوله: [أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ]»، وقال ابن أبي طالب: «حجة من ضم التاء أنه بنى الفعل للمفعول، وقرأ [الْأَوَّلِينَ]، فأقام [الْأَوْلَيَانِ] مقام الفاعل على تقدير حذف مضاف، والمعنى: من الذين استحق عليهم إثم الأوليين؛ لأن الأوليين لا تستحق نفساهما، وإنما استحق الوصية أو الإثم، ويجوز ذلك»[3].

وحجة من قرأ [الْأَوْلَيَانِ] أنه جعل تثنية أَوْلَى، أي: أَوْلى بالشهادة على وصية الميت، وقال ابن خالويه: «الحجة لمن قرأ بالتثنية: أنه رده على قوله: [فَآخَرَانِ]، فأبدله منهما دلالة عليهما كأنه قال: فآخران يقومان من الذين استحق عليهم يقوم الأوليان، وهو التثنية الأولى، أي: الأحق، وهذا قول الزجاج»[4].

وحجة من قرأ [الْأَوَّلِينَ]؛ أنه جعله جمع (أول)، والتقدير: من الأولين الذين استحق عليهم إلا يصاء أو الإثم، وإنما قيل لهم [الْأَوَّلِينَ] لتقدم ذكرهم في أول القصة وهو قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ][5]، بمعنى أنه رده على الأسماء المُضمرة في الهاء والميم في قوله: [عَلَيْهِمُ]. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «إن حجة من قرأ [الْأَوَّلِينَ] بالجمع ما قاله ابن عباس قال: (أرأيت إن كان الأولين صغيرين كيف يقومان مقامهما؟)»[6].

---

(١) انظر: لسان العرب، (٤١٥،٤٠٧/١٥)، مختار الصحاح، ص(٧٣٧،٧٣٦).

(٢) انظر: الكشف، (٤٢٠/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٢،١٤١/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥).

(٣) انظر: الكشف، (٤٢٠/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤١/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥).

(٤) انظر: الكشف، (٤٢٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٤٦).

(٥) المائدة، الآية (١٠٦).

(٦) انظر: الكشف، (٤٢٠/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٤٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤١/١١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٣٨).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما أمر الله سبحانه هنا بحفظ النفس في الآية السابقة بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ](1)، أمر سبحانه في هذه الآية بحفظ المال في قوله: [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ..]وهو استئناف مسوق لبيان الأحكام المُتعلقة بأمور دنياهم إثر بيان الأحوال المُتعلقة بأمور دينهم، وتصديره بحرف النداء لإظهار كمال العناية بمضمونه.

وسبب نزولها أن تميماً الداري(2) وأخاه عَدياً(3) كانا نصرانيين، خرجا إلى الشام، ومعهما بُديل مولى عمرو بن العاص(4)، وكان مسلماً مهاجرا، خرجوا للتجارة، فلما قدموا الشام، مرض بُديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه وألقاه فيما بين الأقمشة ولم يخبر صاحباه بذلك، ثم أوصى إليها، وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بُديل، فأخذا من متاعه إناء من فضة منقوشاً بالذهب ثلاثمائة مثقال، ودفعا باقي المتاع إلى أهله لما قدما، ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الإناء، فقالوا لتميم وعَدي أين الإناء؟ فقالا: «لا ندري، والذي دفع إلينا دفعناه إليكم»، فرفعوا الواقعة إلى رسول الله ρ، فأنزل الله هذه الآية(5).

قوله: [إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ] المُراد به حضور علاماته، لأن من مات لا يمكنه الإشهاد، قوله: [اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] أي: من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت، وأنصح له، وأقرب إلى تحرير ما هو أصلح له، قوله: [أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ] أي: غير القرابة والعشيرة، قال النحاس: «هذا يتبين على معنى غامض في العربية، وذلك أن معنى (آخر) في العربية من جنس الأول؛ تقول: مررت بكريم وكريم آخر، فقوله: (آخر) يدل على أنه من جنس الأول».

وقال ابن عباس وقتادة: «إن الضمير في [مِنْكُمْ] للمسلمين، وفي [غَيْرِكُمْ] للكفار، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذِّمة على المسلمين في السفر في خصوص الوصايا، كما يُفيده النظم القرآني، ويشهد له سبب النزول، فإذا لم يكن مع الموصِّي من يشهد له على وصيَّته من المسلمين، فليشهد رجلان من أهل الكفر، فإذا قدما وأدَّيا الشَّهادة على وصيته،

---

(1) المائدة، الآية (103).

(2) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي مشهور، سكن بيت المقدس، بعد قتل عثمان، وتوفي سنة (40هـ). تقريب التهذيب، (113/1).

(3) عَدي بن بدّاء، كان هو وتميم نصرانيين يختلفان بالتجارة، واختلف في إسلامه، فقال ابن حبان: «له صحبة»، وقال ابن حجر: «مات عدي بن بدّاء نصرانياً». انظر: الإصابة، (468/4، 469).

(4) عمرو بن العاص بن وائل السهمي ‫، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وهو الذي فتحها، توفي سنة (49هـ). تقريب التهذيب، (72/2).

(5) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(175).

حلفا بعد الشَّهادة أنهما ما كذبا ولا بدّلا، وأن ما شهدا به حق، فيُحكم حينئذ بشهادتهما. واستدل أبو حنيفة بهذه الآية على جواز شهادة الكفار من أهل الذمة فيما بينهم، وذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم من الفقهاء أن الآية منسوخة، واحتجوا بقوله: [مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ](١)، وقوله: [وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ](٢). والكفار ليسوا بمرضيين ولا عدول. وخالفهم الجمهور، فقالوا: الآية محكمة(٣).

قال الشوكاني: «وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النَّسخ، وأما قوله: [مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ]، وقوله: [ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ]، فهما عامان في الأشخاص والأزمان والأحوال، وهذه الآية خاصَّة بحالة الضرب في الأرض وبالوصية، وبحالة عدم الشُّهود المسلمين، ولا تعارض بين عام وخاص».

قوله: [إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ] أي: سافرتم، قوله: [فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ] فأوصيتم إلى اثنين عدلين في ظنكم، ودفعتم إليهما ما معكم من المال، ثم متم وذهب إلى ورثتكم بالتركة فارتابوا في أمرهما، وادَّعوا عليهما خيانة؛ ففي هذه الحالة: [تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ] أي: تستوثقوا منهما، و[الصَّلَاةِ] يُريد بها صلاة العصر، كما في قول الأكثر من العلماء؛ لأنَّ أهل الأديان يُعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الكذب واليمين الكاذبة، والفائدة من اشتراطه بعد الصلاة تعظيماً للوقت، وإرهاباً به لشهود الملائكة ذلك الوقت، وفي الصحيح: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ)(٤).

قوله: [فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا] أي: أنه إذا طلع بعد التحليف على الشاهدين أو الوصيين أنهما [اسْتَحَقَّا إِثْمًا] أي: استوجبا إثماً، إما بكذب في الشهادة أو اليمين، أو بظهور خيانة، ففي هذه الحالة: [فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا] أي: شاهدان آخران، أو مُحالفان آخران يقومان مقام اللذين عُثر على أنهما استحقا إثماً، فيشهدان أو يحلفان على ما هو الحق، وليس المُراد أنهما يقومان مقامهما في أداء الشهادة التي شهدها المُستحقان للإثم.

قال الرازي: المراد بقوله: [مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ] موالي الميت، وقد أكثر الناس في أنه لِمَ وُصف مَوالي الميت بهذا الوصف؟! قال: والأصح عندي فيه وجه واحد: وهو

---

(١) البقرة، الآية (٢٨٢).

(٢) الطلاق، الآية (٢).

(٣) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص(٢٧٥.٢٧٩).

(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]، حديث (٦٨٢٩).

أنهم إنما وُصفوا بذلك لأنه لما أخذ مالهم فقد استحق عليهم مالهم، فإن من أخذ مال غيره فقد حاول أن يكون تعلُّقه بذلك المال مُستعلياً على تعلق مالكه به، فصح أن يُوصف المالك بأنه قد استحق عليه ذلك المال»، ثم يقول: «وإنما وصفهما بأنهما [الْأَوْلَيَانِ] لوجهين: الأول: معنى الأوليان الأقربان إلى الميت. الثاني: يجوز أن يكون المعنى الأوليان باليمين، والسبب فيه أن الوصيين قد ادعيا أن الميت باع إناء الفضة، فانتقل اليمين إلى مَوالِي الميت؛ لأن الوصيين قد أدَّعيا بأن مورثهما باع الإناء، وهما أنكرا ذلك، فكان اليمين حقاً لهما».

ثم قال: [فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ]

أي: يحلفان الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين: إن الذي قال صاحبنا في وصيته حقٌّ وأن المال الذي وصى به إليكما كان أكثر مما أتيتمانا به، وأن هذا الإناء لمن متاع صاحبنا الذي خرج به معه، وكتبه في وصيته، وأنكما خنتما، فذلك قوله: [لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا]، أي: يميننا أحق من يمينهما، قوله: [وَمَا اعْتَدَيْنَا] أي: وما تجاوزنا الحق في قسمنا، قوله: [إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ] أي: إن كنا حلفنا على باطل، وأخذنا ما ليس لنا(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب ابن أبي طالب قراءة الجمهور، قائلاً: «والذي عليه الجماعة في قراءتها هو الاختيار، ضمّ التاء من [اسْتُحِقَّ]، و[الْأَوْلَيَانِ] تثنية (أَوْلى)، أي: أَوْلى بالوصية، أو بالميراث، أو بالميت، على الاختلاف في ذلك»(٢).

وهو اختيار شيخ المفسرين الإمام الطبري حيث يقول: «أولى القراءتين بالصواب في قوله: [مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ] قراءة من قرأ بضم التاء؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، مع مُساعدة عامة أهل التَّأويل على صحة تأويله، وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله: فآخران من أهل الميت الذين استحقَّ المُؤتمنان على الميت الإثم فيهم، يقومان مقام المستحق الإثم فيها بخيانتهما ما خانا من مال الميت»، ثم يقول: «والصواب في قوله: [الْأَوْلَيَانِ] عندي قراءة من قرأ [الْأَوْلَيَانِ] لصحة معناها؛ وذلك لأن المعنى: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الإثم، ثم حُذف الإثم، وأقيم مقامه الأوليان، لأنهما هما اللذان ظلما وأَثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم، وعبَّر عليهما بالخيانة منهما، فيما كان ائتمنهما عليه الميت، كما قد بينا من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاءً بالإثم، وحذفهم الإثم اجتزاءً بالفعل، ومن ذلك قوله: [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ] ومعناه أن يشهد اثنان»(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/١١٣-١٢٥)، فتح القدير، (٢/٨٦-٨٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٤٦-٣٦٠)، تفسير أبي السعود، (٣/٨٨-٩٢)، التفسير الكبير، (١٢/١١٤-١٢١).

(٢) الكشف، (١/٤٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٥/١١٨-١١٩).

(٢٣/٥٩) الاختلاف في [طَيْراً] من قوله عز وجل: [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] الآية (١١٠).

أولاً: أوجه الاختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [طَيْراً]، فقرأ نافع: [طَائِراً] بألف[(١)]، وقرأها الباقون: [طَيْراً] بغير ألف[(٢)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي طَائِراً طَيْراً بِهَا وَعُقُودِهَا ... خُصُوصاً وَيَاءٌ فِي نُوَفِّيهِمُ عَلاَ[(٣)].

ثانياً: توجيه القراءات:

الطَّيْر: معروف اسم لجماعة ما يطير، مُؤنَّث، والواحد: طائر، قال الجوهري: «الطَّائر جمعه طيرٌ، مثل: صاحبٍ وصَحْبٍ، وجمع الطَّيْرِ طُيُورٌ وأَطْيار، مثل فَرْخٍ وأَفْرَاخ»[(٤)].

حجة نافع في قراءته أنه أجراه على التوحيد، المعنى: فانفخ في الواحد منها فيكون طائراً، على تقدير: فيكون ما أنفخ فيه طائراً، أو فيكون ما أخلقه بإذن الله، طائراً، أو فيكون كل واحد من المخلوق طائراً. وأضاف ابن زنجلة على ذلك بقوله: «إن الحجة في ذلك أن الله أخبر عنه أنه كان يخلق واحداً ثم واحداً»[(٥)].

ووجه قراءة الباقين: [طَيْراً] قوله: [الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي]، ولم يقل: كهيئة الطائر: فكذلك تكون: [طَيْراً]. وجاء في الكشف: الحجة في ذلك، أنه أجرى الآخر على لفظ الأول، ومعناه الجمع، وقال ابن زنجلة: «حجتهم أن الله عز وجل إنما أذن له أن يخلق طيراً كثيراً، ولم يكن يخلق واحداً فقط»[(٦)].

---

(١) وكذلك في قوله جل وعلا: [أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ] آل عمران (٤٩).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠١)، كتاب السبعة، ص(٢٤٩)، النشر، (٢/٢٥٦)، الإتحاف ص(٢٠٣).

(٣) أشار الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خصوصاً» إلى القراء السبعة ما عدا نافعاً، وقد نطق الناظم بالقراءتين معاً، فاستغنى باللفظ عن التقييد على أنه أشار إلى القراءة الأخرى، التي في سورة المائدة بقوله: «عقودها». انظر: المتن، ص(٤٥)، الوافي، ص(٢٣٥).

(٤) انظر: لسان العرب، (٤/٥٠٨.٥١٠)، القاموس المحيط، (٢/٨٠)، المصباح المنير، (٢/٣٨٢).

(٥) انظر: الكشف، (١/٣٤٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٦٤).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١)، الكشف، (١/٣٤٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٦٤)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في الآية السابقة بين سبحانه الغرض من سؤاله الرسل، فقال: [يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ] والغرض من ذلك توبيخ من تمرَّد من أممهم، وأشد الأمم افتقارا إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام؛ لأن طعن سائر الأمم كان مقصوراً على الأنبياء، وطعن هؤلاء الملاعين تعدّي إلى جلال الله وكبريائه، حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزَّوجة والولد.

فلا جرم ذكر الله تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل عليهم السلام واحدة فواحدة، والمقصود منه توبيخ النصارى وتقريعهم على سوء مقالتهم، فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة على عيسى عليه السلام تدل على أنه عبد وليس بإلاه. والفائدة في هذه الحكاية تنبيه النصارى الذين كانوا في وقت نزول هذه الآية على قبح مقالتهم وركاكة مذهبهم واعتقادهم، فقال: [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ] وهذا من صفة يوم القيامة، كأنه قال: اذكر يوم يجمع الله الرسل، وإذ يقول الله لعيسى كذا وكذا، وإنما ذكّر سبحانه عيسى عليه السلام نعمته عليه وعلى والدته وإن كان لها ذاكراً؛ لأمرين: أحدهما: ليتلوا على الأمم ما خصهما به من الكرامة، وميّزهما به من علو المنزلة. الثاني: ليؤكِّد به حجته ويردّ به جاحده.

ثم أخذ سبحانه في تعديد نعمه عليه، فأولها: قوله: [إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ] أي: قويتك وأعنتك. وروح القدس: جبريل عليه السلام، والقُدس: الطُّهر[1]، وإضافته إليه لكونه سببه.

ثانيها: قوله: [تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً] يعني وتكلم الناس في المهد صبياً، وفي الكهولة نبياً، لا يتفاوت كلامك في الحالين، مع أن غيرك يتفاوت كلامه فيهما تفاوتاً بيناً، والكهل: بين حال الغلومة وحال الشيخوخة. كلمهم في المهد حين برّأ أمه، فقال: [إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ][2]، وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله من السماء أنزله على صورة ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة، وهو الكهل، فيقول لهم: [إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ] كما قال في المهد، فهاتان آيتان وحجتان. قال المهدوي[3]: «فائدة الآية أنه أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد، ويعيش إلى أن يكلمهم كهلاً، إذ كانت العادة أن من تكلم في المهد لم يعش» وهذا بيانٌ منه سبحانه أن كلام عيسى عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسقٍ واحد، بديع صادر عن كمال العقل، مُقارناً

---

(١) مشكل تفسير القرآن، ص(١٥٧).

(٢) مريم، الآية (٣٠).

(٣) أحمد بن عمار بن أبي العباس، الإمام أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، أستاذ مشهور، ألف التواليف؛ منها (التفسير المشهور)، و(الهداية في القراءات السبعة)، توفي سنة (٤٣١هـ). انظر: غاية النهاية، (١/٩٢).

لرزانة الرأي والتدبير، وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له، وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده.

وثالثها: قوله تعالى: [وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ] والكتاب: الخط، والحِكمة: هي عبارة عن العلوم النظرية والعلوم العملية، ثم ذكر [وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ] وتخصيصهما بالذكر لمزيد اختصاصه بهما: أما التوراة فقد كان يُحتج بها على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال، كما هو مصرح بذلك في الإنجيل. وأما الإنجيل فلكونه نازلاً عليه من عند الله سبحانه وتعالى.

ورابعها: قوله: [وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي] أي: تصوِّر تصويراً مثل صورة الطير، وذلك بعد إذني لك بذلك، وتيسيري له، فتنفخ في الهيئة المُصوَّرة فتكون هذه الهيئة طائراً متحركاً حيّاً كسائر الطيور. قال أبو السعود: «في قوله: [بِإِذْنِي] أي: تيسيري وتسهيلي، لا على أن يكون الخلق صادراً عنه عليه السلام حقيقة، بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مُباشرة الأسباب مع كَون الخلق حقيقة لله تعالى، كما يُنبئ عنه قوله: [طَيْرًا بِإِذْنِي]، وتكرير قوله: [بِإِذْنِي] في الطير مع كونه شيئاً واحداً للتنبيه على أن كلا من التَّصوير والنفخ أمر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بإذنه تعالى».

وخامسها: قوله: [وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي] الأكمه: من وُلد أعمى، والأعمى: من وُلد بصيراً ثم عمي، والبرص: معروف؛ وهو بياضٌ يعتري الجلد، وقد خصّ هذان بالذكر لأنهما عياءان، وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك.

وسادسها: قوله: [وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي] أي: وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء، بإذني؛ أي بفعلي ذلك عند دُعائك، وعند قولك للميت: أخرج بإذن الله من قبرك، قال القرطبي: «أحيا أربعة أنفس: العاذر وكان صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، والله أعلم، ولما رأوا إحياءه العاذر، وابن العجوز، وابنة العاشر بإذن الله، قالوا له: إنك تُحيي من كان موته قريباً فلعلهم لم يموتوا، فأصابتهم سكتة، فأحيى لنا سام بن نوح. فقال لهم: «دلوني على قبره»، فخرج وخرج القوم معه، حتى انتهى إلى قبره، فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه، وقال للقوم: «صدقوه فإنه نبي»، فآمن به بعضهم وكذبه بعضهم، وقالوا: هذا سحر». وتكرير [بِإِذْنِي] في المواضع الأربعة للاعتناء بأن ذلك كله من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل إلاّ مجرد امتثاله لأمر الله سبحانه.

وسابعها: قوله: [وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ] معناه: دفعت وصرفت عنك بني إسرائيل حين همُّوا بقتلك بعد أن جئتهم بالمُعجزات الواضحات، وهي المذكورة في الآية.

ثم قال سبحانه: [فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ] يعني الذين لم يؤمنوا بك وجحدوا نبوتك، ما هذه المعجزات إلا سحر بين، لما عظُم ذلك في صدورهم وانبهروا منه، ولم يقدروا على جحده بالكلية، بل نسبوه إلى السِّحر[(١)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «قد سمعت العرب تقول لواحد الطيور: طيرٌ وطائر، وأكثر النحويين يقولون للواحد: طائر، وللجمع طير، كما يقال: شارب وشَرْب»، ثم يقول: «وقوله: [فَيَكُونُ طَيْرًا] احتمل أمرين: أحدهما: يكون من جنس الطير، ثانيهما: احتمل أن يكون معنى طيراً، أي: فيكون طائراً»[(٢)].

وساق ابن زنجلة قول الكسائي في تصويبه لكلتا القراءتين فقال: «الطائر واحد على كل واحد، والطير جمعاً وواحداً»، ثم قال: «وحجته أن الله أخبر عنه أنه كان يخلق واحداً ثم واحد»[(٣)].

بينما يرجح الطبري قراءة: [طَيْرًا] على الجمع، ويعلل ذلك بقوله: «لأن ذلك كان من صفة عيسى عليه السلام، وأنه يفعل ذلك بإذن الله، وأنه موافق لخط المصحف، واتباع خط المصحف، مع صحة المعنى، واستفاضة القراءة به»[(٤)].

(٢٤/٦٠) الاختلاف في [سِحْرٌ] من قوله عز وجل: [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ] الآية (١١٠).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في اسم الفاعل والمصدر من قوله عز وجل: [سِحْرٌ][(٥)]، فقرأ حمزة والكسائي: [سَاحِرٌ] بالألف، وقرأ الباقون: [سِحْرٌ][(١)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٢٧/٤.١٢٩)، فتح القدير، (٩٠/٢.٩١)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٠/٤) و(٣٦٠/٦.٣٦٣)، تفسير أبي السعود، (٩٣/٣.٩٦)، التفسير الكبير، (١٢١/١٢.١٢٧).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٠٣).

(٣) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٦٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٧٤/٣).

(٥) وكذا في يونس وهود والصف، فقرأ ابن كثير وعاصم في هود والصف: [سِحْرٌ مُّبِينٌ] الآية (٧) والآية (٦)، وقرأ في يونس: [سِحْرٌ مُّبِينٌ] الآية (٧٦). وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر في كل ذلك: [سِحْرٌ مُّبِينٌ] بغير ألف. وقرأ حمزة والكسائي في كل المواضع: [سَاحِرٌ] بألف. وسيأتي ذكرها بإذن الله. انظر: الحجة: أبوعلي، (١٤٢/٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

جيُوب بِمَ نُير دُون شكَ وساحِ ٌ بِحِ ْ ٌ بهاعَ هُودَ والصَّف ِّ شَمْ َ للا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

السِّحر: عملٌ تُقُرُّب فيه إلى الشَّيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونة للسِّحر، ومن السِّحر: الأُخْذه التي تأخذ العين حتى يُظَنّ أنَّ الأمر كما يُرى، وليس الأصل على ما يُرى. والجمع: أَسْحار ٌ وسُحورٌ . يقال: رجلٌ ساحرٌ: من قوم سَحرةٍ وسُحَّاراً، ورجلٌ سحَّار: من قومٍ سحّارين، ولا يكسّر[٣].

وجه من قرأ سِحْرٌ] بغير ألف، إنه جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ρ ، فأخبر عنهم أنهم جعلوا ما جاء به النبي ρ سحراً، كأنه قال: ما هذا الذي جئت به إلا سحرٌ ، وزاد ابن زنجلة على ذلك بقوله: «حجتهم قوله: [إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ][٤]، وقوله: [سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ][٥]»، وهناك حجة أخرى ذكرها اليزيدي عن أبي عمرو، فقال: «ما كان في القرآن [يُبين] فهو [سِحْرٌ] بغير ألف، وما كان [مُبين] فهو [ساحِرٌ] بالألف»[٦].

وأما من قرأ [ساحِرٌ] بالألف، فهو نعت على (فاعل)، وحجته إجماع الجميع على قوله: [فقالوا ساحِرٌ كَذَّابٌ][٧]، وجاء في الكشف: إن من قرأ بالألف فقال: [ساحِرٌ] أنه جعل الإشارة إلى النبي ρ فأخبر عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا ساحرٌ ، فأخبر عن الاسم باسم فاعل، وهو بابه[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[٩].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠١)، كتاب السبعة، ص(٢٤٩)، النشر، (٢٥٦/٢)، الإتحاف، ص (٢٠٣.٢٠٤).

(٢) عنى الناظم بحرف (الشين) في كلمة (شملا) حمزة والكسائي، وقوله: «بسحر» يعني أن حمزة والكسائي وضعا كلمة (ساحر) مكان كلمة (سحر) في السور الثلاث. انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٤).

(٣) انظر: لسان العرب، (٣٨٤/٤)، القاموس المحيط، (٤٤/٢)، المصباح المنير، (٢٦٨.٢٧٦/١).

(٤) المدثر، الآية (٢٤)

(٥)القمر، الآية (٢).

(٦) انظر: الكشف، (٤٢١/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٢/٢)، الحجة: ابن زنجلة، (٢٤٠).

(٧) غافر، الآية (٢٤).

(٨) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٤٧)، والحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٠)، الكشف، (٤٢/١).

(٩) انظر ذلك في ص(   ).

صوَّب ابن أبي طالب القراءتين معاً, فبعد توجيهه لقراءة [سِحْرٌ] يقول: «وفي الكلام تقدير حذف مضاف, أي: إن هذا إلا سحرٌ, فيكون مثل القراءة بالألف»، ثم يقول بعد توجيهه لقراءة [سَاحِرٌ]: «ويجوز أن يكون [سَاحِرٌ] بمعنى [سِحْرٌ]؛ لأن الاسم قد يقع موضع المصدر, كقولهم: عائذاً بالله من شرِّها, أي: عياذاً»، قال: «فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف, فالقراءتان مُتداخلتان حسنتان»[1].

وقال أبو علي الفارسي: «كلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدَّم, فمن قال [سَاحِرٌ] أشار إلى الشّخص لا إلى الحدث الذي أتى به, ومن قال [سِحْرٌ] جعله إشارةً إلى ما جاء به, كأنه قال: ما هذا الذي جئت به إلا سحر»[2].

ويوافقهما الطبري في الاختيار, ويقول: «الصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, متفقتان غير مختلفتين, وذلك أن كل من كان موصوفاً بفعل السحر, فهو موصوف بأنه ساحر, ومن كان موصوفاً بأنه ساحر, فإنه موصوف بالسحر, فالفعل دال على فاعله, والصفة تدل على موصوفها, والموصوف يدل على صفته, والفاعل يدل على فعله, فبأيٍّ ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته»[3].

ويسوق الرازي قول الواحدي في اختياره لقراءة [سِحْرٌ] ويقول: «والاختيار [سِحْرٌ] لجواز وقوعه على الحدث والشّخص, أما وقوعه على الحدث فظاهر, وأما وقوعه على الشخص فتقول: هذا سِحْرٌ, وتُريد به ذو سحر, كما قال [وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ][4] أي: ذا البرِّ»[5].

(٢٥/٦١) الاختلاف في [يَسْتَطِيعُ] من قوله عز وجل: [إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] الآية (١١٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله: [يَسْتَطِيعُ]، فقرأ الكسائي: [تَسْتَطِيعُ] بالتاء, ونصب الباء من [رَبَّكَ]، وقرأ الباقون: [يَسْتَطِيعُ] بالياء, ورفع الباء من [رَبُّكَ][6].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَخَاطَبَ فِي هَلْ يَسْتَطِيعُ رُوَاتُهُ ... وَرَبَّكَ رَفْعُ الْبَاءِ بِالنَّصْبِ رُتِّلا[1].

---

(١) الكشف، (٤٢٢.٤٢١/١).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٢/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٢٨/٥).

(٤) البقرة، الآية (١٧٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير، (١٢٧/١٢).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠١)، كتاب السبعة، ص(٢٤٩)، النشر، (٢٥٦/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

الاستطاعة: القُدرة على الشيء, قال ابن بَرِّي: «الاستطاعة للإنسان خاصَّة, والإطاقة عامَّة, تقول: الجمل مُطيق لحمله, ولا تقول: مُستطيع، فهذا الفرق ما بينهما»[٢].

حجة الكسائي: أنة أجراه على مُخاطبة الحواريين لعيسى علية السلام, وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره, على أن يستفهم عيسى υ عن استطاعته, إذ هو تعالى مُستطيع لذلك, قال ابن خالويه: «أراد الكسائي بقراءته هذه, هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف السؤال, وأقام [رَبَّكَ] مقامه, وكما قال: [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ][٣] يُريد: أهل القرية».

وأضاف ابن زنجلة قائلاً: «والحجة في ذلك قوله في الآية السابقة: [وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا][٤] والله سبحانه سماهم [حَوَارِيِّينَ] ولم يكن الله ليسميهم بذلك وهم برسالة رسوله ρ كفرة», وقال أبو علي الفارسي: «أنهم ذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لأنهم شكّوا في استطاعته, ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم, كأنهم قالوا: إنك مُستطيعٌ فما يمنعك؟»[٥].

وأما من قرأ: [يَسْتَطِيعُ] بالياء, فحجته أنه جعل الفعل لله تعالى فرفعه به, على معنى: هل يقدر ربُّك ذلك, لأنهم لم يشكوا في استطاعة البارئ على ذلك, لأنهم كانوا مُؤمنين, فإنما هو كقولك: هل يستطيع فلانٌ أن يأتي، وقد علمت أنه مستطيع. قال ابن زنجلة: «وإنما أرادوا بذلك أن يأتيهم بآية يستدلُّون بها على صدقه»[٦].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

[إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ] كلام مستأنفٌ مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه, منقطع عما قبله, كما يُنبئ عنة الإظهار في موضع الإضمار, و[إِذْ] منصوب بمضمر خوطب به النبي ρ بطريق تلوّن الخطاب والالتفات, لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى عليه السلام, فإنه ليس بخطاب، وإنما هو حكاية خطاب، بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله: [اتَّقُوا اللَّهَ] الآية.

---

(١) عنى الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رواته» و «رتلا» الكسائي. انظر: المتن، ص(٥٠)، والوافي، ص(٢٥٤.٢٥٥).

(٢) انظر: لسان العرب، (٨/٢٤٢.٢٤٣)، القاموس المحيط، (٣/٦٠)، مختار الصحاح، ص(٣٩٩.٤٠٠).

(٣) يوسف، الآية (٨٢)

(٤) المائدة، الآية (١١١).

(٥) انظر: الكشف، (١/٤٢٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤١)، الحجة: أبوعلي الفارسي، (٢/١٤٣).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥)، الكشف، (١/٤٢٢.٤٢٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤١).

فكأنه قيل للنبي ρ عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام: اذكر للناس وقت قولهم... إلخ, قوله: [هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] المائدة: الخُوان الذي عليه الطعام, من مادّه, إذا أعطاه ورفده, كأنما تُميد من تقدم إليه. وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل, ولهذا قال عيسى عليه السلام في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما لا يجوز: [اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] أي: لا تشكّوا في قدرة الله تعالى.

قال القرطبي: «وكان القوم عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره, علم دلالة وخبر ونظر، فأرادوا علم مُعاينة كذلك, كما قال إبراهيم عليه السلام: [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى][١] على ما تقدم, وقد كان إبراهيم عليه السلام علم بذلك عِلْم خبر ونظر، ولكن أراد المُعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة؛ لأن علم النظر والخبر تدخله الشبهة والاعتراضات, وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك, ولذلك قال الحواريون: [وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا] كما قال إبراهيم عليه السلام: [وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]».

قال أبو زكريا الأنصاري: «الاستفهام المذكور, استفهام من الفعل, لا من القُدرة, كما يقول الفقير للغني: هل تقدر أن تُعطيني شيئاً؟، وهذه تسمى اتطاعة المُطاوعة, لا استطاعة القُدرة، والمعنى: هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟!، فإن قلت: لو كان ما ذُكر مُراداً لما أنكر عليهم عيسى عليه السلام بآخر الآية؟!، قلت: إنكاره عليهم إنما كان لإتيانهم بلفظٍ لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره»[٢].

وقد قُرئ: [هَلْ تَسْتَطِيعُ] بالفوقية, ونصب [رَبَّكَ] على معنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ فأجابهم عيسى عليه السلام: [قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] أي: اتقوه في هذا السؤال وأمثاله, إن كنتم صادقين في إيمانكم, فإن شأن المؤمن ترك الاقتراح على ربه على هذه الصفة. وقوله: [اتَّقُوا اللَّهَ] أي: اتقوا معاصيه وكثرة السؤال, فإنكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح الآيات، إذ كان الله عز وجل إنما يفعل الأصلح لعباده. [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] أي: إن كنتم مؤمنين به وبما جئت به، فقد جاءكم من الآيات ما فيه غنىً[٣].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) البقرة، الآية (٢٦٠).

(٢) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(١٥٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٣١.١٢٩/٥)، فتح القدير، (٩٣.٩٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٦.٣٦٤/٦)، تفسير أبي السعود، (٩٦/٣ . ٩٧)، التفسير الكبير، (١٣٠.١٢٨/١٢).

رجح ابن أبي طالب القراءة بالياء قائلاً: «والاختيار ما عليه الجماعة من الياء, ورفع [رَبُّكَ] على المعنى»[١].

وساق أبو منصور الأزهري قول نصير النحوي[٢] في اختياره قراءة التاء، فقال: «الاختيار [هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ] على معنى: هل يستجيب لك ربك؟ هل تسأله ذلك؟» ثم قال أبو منصور: «وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر القراءة الأخرى، وتقول: كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك))[٣]»[٤]، ويوافقه القرطبي في الاختيار ويقول مؤكداً على صحة ترجيحه: «عن معاذ بن جبل قال: أقرأني النبي ρ [هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ]))[٥]»، ثم يقول: «قال الزجاج: المعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله؟، وقيل: هل تستطيع أن تدعو ربَّك أو تسأله؟ والمعنى متقارب، ولا بد من محذوف، كما قال: [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ][٦] وعلى قراءة الياء لا يحتاج إلى حذف»[٧].

وقال الرازي: «فأما القراءة الأولى بـ(التاء) فمعناها: هل تستطيع سؤال ربك؟، قالوا هذه القراءة أَوْلى من الثانية؛ لأن هذه القراءة توجب شكهم في استطاعة عيسى عليه السلام، والثانية بـ(الياء) توجب شكهم في استطاعة الله»، ثم يقول: «ولا شك أن الأُولى أَولى من الثانية»[٨].

ويوافقه الطبري قائلاً: «وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ: [هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ] بالياء [رَبُّكَ] بالرفع، بمعنى: هل يستجيب ربك إن سألته ذلك، ويطيعك فيه؟»، ثم يقول: «وإنما قلت ذلك لما قد بينا من أن قوله: [قَالَ الْحَوَارِيُّونَ] من صلة [إِذْ أَوْحَيْتُ]، وأن معنى الكلام: [وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا ... إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ]»[٩].

(٢٦/٦٢) الاختلاف في [مُنَزِّلُهَا] من قوله عز وجل: [قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ] الآية (١١٥).

---

(١) الكشف، (٤٢٣/١).

(٢) نصير بن أبي نصير الرازي، كان علامة نحوياً، جالس الكسائي وأخذ عنه النحو، وقرأ عليه القرآن وكان صادق اللهجة، كثير الأدب، له مؤلفات حسان. بغية الوعاة، (٣١٦/٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) كتاب معاني القراءات، ص(١٤٧).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب القراءات، باب من سورة المائدة، (٢٥/٥).

(٦) يوسف، الآية (٨٢).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٦.٣٦٥/٦).

(٨) انظر: التفسير الكبير، (١٢٩/١٢).

(٩) انظر: تفسير الطبري، (١٣٠.١٢٩/٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [مُنَزِّلُهَا]، فقرأ نافع وعاصم وابن عامر: [مُنَزِّلُهَا] مشددة، وقرأ الباقون: [مُنْزِلُهَا] خفيفة(١).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [مُنَزِّلُهَا] لغوياً في النص (٣١/٣١)(٢). وجه التشديد في قوله: [مُنَزِّلُهَا] فلأن نزل وأنزل، قد استعمل كلٌّ واحد منهما موضع الآخر، قال: [نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ](٣) وقال: [وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ](٤)، وقال: [الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ](٥)، وقال: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ](٦) فقد صار كل واحدٍ من هاتين اللفظتين يُستعمل موضع الآخر(٧).

وأما من قال: [مُنْزِلُهَا] بالتخفيف، فحجته قوله قبلها: [أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ](٨). قال أبو علي الفارسي: «فيكون الجواب كالسؤال، بمعنى أنه أخذه من (أنزل) فهو (منزل)»(٩).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن سأل الحواريون المائدة، وذكروا في طلبها أغراضاً تمثلت في قولهم: [نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ]، وبعدها طلب عيسى عليه السلام من ربه إنزال المائدة قائلاً: [اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ](١٠)، حينها قال الله سبحانه: [إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ] وهذا وعدٌ منه سبحانه أجاب به سؤال عيسى عليه السلام، كما كان سؤال عيسى عليه السلام إجابة للحواريين.

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٠)، كتاب السبعة، ص(٢٥٠)، النشر، (٢٥٦/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٤).

(٢) انظر ذلك ص(   ).

(٣) آل عمران، الآية(٣).

(٤) آل عمران، الآية (٤).

(٥) الفرقان، الآية (١).

(٦) الكهف، الآية (١).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٨/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٦).

(٨) المائدة، الآية (١١٤).

(٩) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٨/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٦).

(١٠) المائدة، الآية (١١٣).

وقد اختلف أهل العلم في هل نزلت عليهم المائدة أم لا؟ فذهب الجمهور إلى الأول، وهو الحق، لقوله سبحانه: [إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ] ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد.

[فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ] أي: بعد تنزيلها، [فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا] أي: أذيقه عذاباً [لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ] أي: من عالمين زمانهم أو من العالمين جميعاً، فجحد القوم، وكفروا بعد نزولها، فمُسخوا قردة وخنازير[1] قال ابن عمر رضي الله عنهما: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون)[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوَّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلاً: «اللغتان موجودتان في القرآن، قد أجمع كل واحدة منهما، فالقراءتان متساويتان»، ثم يقول: «غير أن التشديد فيه معنى التكثير»[3].

ويوافقه الرازي في الاختيار، ويقول: «هما لغتان، نَزَّل وأَنْزل»، ثم يقول: «وقيل: بالتشديد أي: مُنزِّلها مرة بعد أخرى، وبالتخفيف مرةً واحدة»[4]. ويقول أبو السعود في شرح الآية: «[قَالَ اللَّهُ] ورود الإجابة منه تعالى بصيغة التَّفعيل المبينة عن التكثير، مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال؛ لإظهار كمال اللطف والإحسان، كما في قوله: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ] بعد قوله: [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ][5]»[6].

(٢٧/٦٣) الاختلاف في [يَوْمُ] من قوله عز وجل: [قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] الآية (١١٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في نصب الميم ورفعها من قوله عز وجل: [يَوْمُ]، فقرأ نافع وحده: [يَوْمَ] بنصب الميم، وقرأ الباقون: [يَوْمُ] بالرفع[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيَوْمَ بِرَفْعٍ خُذْ وَإِنِّي ثَلَاثُهَا ... وِلَايَ وَيَدِي أُمِّي مُضَافَاً الْعُلَا[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣٦/٥)، فتح القدير، (٩٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٧٤.٣٦٩/٦)، تفسير السعود، (٩٩.٩٨/٣)، التفسير الكبير، (٢٣٣.١٣٢/١٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الكشف، (٤٢٣/١).

(٤) انظر: التفسير الكبير، (١٣٢/١٢).

(٥) الأنعام، الآيتان (٦٤.٦٣).

(٦) انظر: تفسير أبي السعود، (٩٩.٩٨/٣).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠١)، كتاب السبعة، ص(٢٥٠)، النَّشر، (٢٥٦/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

اليَوْمُ أوَّله من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس(٢): مُذَكَّرٌ، وجمعه (أَيَّامٌ). قال ابن منظور: «والأيام في أصل البناء (أَيْوَامٌ)، ولكن العرب إذا وجدوا في كلمة ياءً وواواً في موضع، والأُولى منهما ساكنة، أدغموا إحداها في الأخرى، وجعلوا الياء هي الغالبة، كانت قبل الواو أو بعدها، إلا في كلماتٍ شواذ تُروى؛ مثل الفتوَّة».

وتأنيث الجمع أكثر فيقال: (أيّامٌ) مُباركة وشريفة، والتذكير على معنى الحين والزمان، والعرب قد تطلق (اليَوْم) وتريد الوقت والحين نهاراً كان أو ليلاً فتقول: ذَخَرْتُك لهذا اليوم؛ أي: لهذا الوقت الذي افتقرت فيه إليك، ولا يكادون يفرِّقون بين (يومئذٍ) و(حينئذٍ) و(ساعتئذٍ)(٣).

قال أبو علي الفارسي: «من قرأ [يَوْمَ] بالنصب احتمل أمرين: أحدهما: أن يكون مفعول: [قَالَ]، تقديره: قال الله هذا القصص أو هذا الكلام: يومَ ينفع الصادقين صدقهم، و[يَوْمَ] ظرفٌ للقول، و[هَذَا] إشارة إلى ما تقدم ذكره، من قوله: [يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ](٤)، وجاء على لفظ المُضي وإن كان المراد به الآتي، كما قال: [وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ](٥)، ونحو ذلك، وليس ما بعد [قَالَ] حكايةً في هذا الوجه، كما كان إيّاها في الوجه الآخر.

ويجوز أن يكون المعنى على الحِكاية، تقديره: قال الله هذا يومَ ينفع. أي: هذا الذي اقتصصنا يقع، أو يحدث يومَ ينفع الصادقين، فيومَ خبرُ المبتدأ الذي هو هذا؛ لأنه إشارةٌ إلى حدثٍ، وظروف الزمان تكون أخباراً عن الأحداث، والجملة في موضع نصبٍ بأنها في موضع مفعول(٦).

وأما من قرأ [يَوْمُ] بالرفع، فحجته أنه جعل [يَوْمُ يَنفَعُ] خبراً لـ[هَذَا]، وأضاف [يَوْمُ] إلى [يَنفَعُ] والجملة التي من المبتدأ وخبره في موضع نصب بأنه مفعول القول، كما تقول: قال زيدٌ:

---

(١) عنى الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خذ» القراء السبعة ما عدا نافعاً، ثم أشار إلى ياءات الإضافة، وهي [إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ] الآية (٢٨)، [إِنِّي أُرِيدُ] الآية (٢٩)، [فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ] الآية (١١٥)، [مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ] الآية (١١٦)، [يَدِيَ إِلَيْكَ] الآية (٢٨)، [وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ] الآية (١١٦). انظر: المتن، ص(٥٠)، الوافي، ص(٢٥٥).

(٢) قال ابن منظور: «ولهذا من فعل شيئاً بالنهار وأخبر به بعد غروب الشمس، يقول: فعلته أمس؛ لأنه فعله في النهار الماضي، واستحسن بعضهم أن يقول: أمس الأقرب أو الأحدث ». انظر: لسان العرب، (١٢/٦٥٠).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٢/٦٤٩.٦٥٠)، القاموس المحيط، (٤/١٩٤)، المصباح المنير، (٢/٦٨٢.٦٨٣).

(٤) المائدة، الآية (١١٦).

(٥) الأعراف، الآية (٥٠).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٤٨.١٤٩)، الكشف، (١/٤٢٣.٤٢٤)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٦).

عمروٌ أخوك، و[هَذَا] إشارة إلى يوم القيامة. قال ابن زنجلة: «وهذا على تقدير: أي هذا اليوم يومُ منفعة الصَّادقين»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [قَالَ اللَّهُ] كلام مستأنف ختم به سبحانه حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، أشير إلى نتيجته ومآله، والمعنى: أي ويقول الله يومئذٍ عقيب إجابة عيسى عليه السلام مُشيراً إلى صدقه ضمن بيان حال الصادقين الذين هم في زمرتهم: [هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ] أي: صدقهم في الدنيا، فأما في الآخرة فلا ينفع فيها الصِّدق. وصدقهم في الدنيا يحتمل أن يكون صدقهم في العمل لله تعالى، ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله عليهم السلام، وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم وإن كان نافعاً في كل الأيام لوقوع الجزاء فيه.

وقوله: [لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً] توضيح منه سبحانه في كيفية ذلك النفع وهو الثواب. وحقيقة الثواب: أنها منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتّعظيم، فقوله: [لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] إشارة إلى المنفعة الخالصة عن الغموم والهموم، وقوله: [خَالِدِينَ فِيهَا] إشارة إلى الدَّوام(٢).

وأما قوله: [رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] فهو إشارة إلى التعظيم، قال الشوكاني: «رضوا عنه سبحانه بما جازاهم به مما لا يخطر لهم على بال، ولا تتصوره عقولهم، والرضا منه سبحانه هو أرفع درجات النعيم، وأعلى منازل الكرامة».

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] والإشارة بـ[ذَلِكَ] إلى ما نالوه من دخول الجنة والخلود فيها أبداً، ورضوان الله عنهم، والفوز: الظَّفر بالمطلوب على أتم الأحوال(٣).

رابعاً ترجيح القراءات:

صوَّب أبو حيان القراءتين معاً، قائلاً: «خرَّج الكوفيون قراءة نافع على أنه مبني خبر لـ[هَذَا]، وبنى لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهم لا يشترطون كون الفعل مبنياً في بناء الظرف المضاف إلى الجملة. وقرأ الجمهور: [يَوْمُ] بالرفع؛ على أن [هَذَا] مبتدأ، و[يَوْمُ] خبره،

---

(١) انظر: الكشف، (٤٢٤/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٤٨/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٢).

(٢) قال الرازي: «اعتبر هذه الدقيقة، فإنه أينما ذكر الثواب قال: [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً]، وأينما ذكر عقاب الفساق من أهل الإيمان، ذكر لفظ الخلود ولم يذكر معه التأبيد». انظر: التفسير الكبير، (١٣٨/١٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٣٦/٥)، فتح القدير، (٩٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٨١.٣٧٩/٦)، تفسير السعود، (١٠٣.١٠٢/٣)، التفسير الكبير، (١٣٩.١٣٧/١٢).

والجملة محكية بـ [قَالَ]؛ أي: وهذا الوقت وقت نفع الصادقين، وفيه إشارة إلى صدق عيسى ‎υ‎»، ثم يقول: «فعلى هذا تتَّحد القراءتان في المعنى»[1].

ويرجح أبو منصور الأزهري قراءة [يَوْمُ] بالرفع، ويقول: «وهي قراءة جيدة» ويوافقه القرطبي في الاختيار، ويقول: «القراءة بالرفع، هي القراءة البيِّنة، على الابتداء والخبر، فـ[يَوْمُ يَنفَعُ] خبر لـ[هَذَا]، والجملة في موضع نصب بالقول»، ثم يقول: وأما قراءة نافع فعن المُبرد: إن هذه القراءة لا تجوز؛ لأنه نصب خبر الابتداء، ولا يجوز فيه البناء»، ويردُّ الزجاج هذا القول، ويقول: «وهي جائزة بمعنى قال الله هذا لعيسى ابن مريم عليهما السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم، فـ[يَوْمَ] ظرف للقول، و[هَذَا] مفعول القول، والتقدير: قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين»، وقال الكسائي والفراء: «[يَوْمَ] هاهنا على النصب؛ لأنه مضاف إلى غير اسم، كما تقول مضى يومئذ، وأنشد الكسائي:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ[2]»

ويعلق الزجاج على رأيهما قائلاً: «ولا يجيز البصريون ما قالاه، إذا أضفت الظرف إلى فعل مضارع، فإن كان إلى ماضٍ كان جيداً كما مرَّ في البيت، وإنما جاز أن يُضاف الفعل إلى ظروف الزمان؛ لأن الفعل بمعنى المصدر»[3].

بينما يرجح الطبري قراءة النصب قائلاً: «وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب [يَوْمَ] بالنصب؛ على أنه منصوب على الوقت والصفة؛ لأن معنى الكلام أنَّ الله تعالى أجاب عيسى عليه السلام حين قال: [سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ] إلى قوله [فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][4]، فقال الله عز وجل له هذا القول النافع، أو هذا الصدق النافع [يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ] فاليوم وقت القول والصدّق النافع»[5].

---

(1) انظر: تفسير البحر المحيط، (٦٣/٤).

(2) البيت للنابغة والشاهد في إضافة (حين) إلى الفعل، وبنائها معه على الفتح.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٠.٣٧٩/٦).

(4) المائدة، الآية (١١٦).

(5) انظر: تفسير الطبري، (١٤١/٥).

الفصل الثالث

أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأنعام

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأنعام سورة مكية، ترتيبها (٦)، وعدد آياتها (١٦٥) آية وعدد كلماتها (٣٠٥٣)، وهي أول سورة مكية في ترتيب المصحف، فسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة كلها سور مدنية، أما سورة الأنعام فهي أول سورة مكية توضع في السبع الطِّوال من سورة القرآن الكريم.

وقد نزلت في السنة الرابعة من البعثة المحمدية؛ أي عقب أمر الله للنبي ρ أن يصدع بالدعوة، ويعلنها للناس بعد أن أسر بها ثلاثة سنين[١].

وذكر العلماء عدة روايات تذكر فضل السورة، وتبين أنهانزلت جملة واحدة مُشيعة بالملائكة، قال الإمام الرازي في تفسيره: «أن هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة؛ أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها ألف من الملائكة، والسبب في ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين»[٢].

ويقول القرطبي: «قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وأن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين»[٣].

وقد سميت هذه السورة بسورة الأنعام، والأنعام: ذوات الخف والظلف؛ وهي الإبل، والبقر والغنم بجميع أنواعها؛ لأنها هي السورة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر الأنعام في مواضع كثيرة من القرآن عرضا، أما سورة الأنعام فقد جاءت بحديث طويل عن الأنعام، استغرق خمس عشر آية، من أول الآية (١٣٦)..الخ الآية (١٥٠)، وقد تناول الحديث عن الأنعام في هذه السورة جوانب متعددة بعقائد المشركين.

وجوه مناسبتها بسورة المائدة:

قال السيوطي: «جمعت هذه السورة جميع الخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها، فظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها، وتقديمها على ما تقدم نزوله منها، وهي في جمعها الأصول والعلوم والمصالح الدنيوية نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية، وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها»[٤].

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٢٥.١٢٣).

(٢) انظر: التفسير الكبير، (١٢٨/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٣/٦).

(٤) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٨.٩٧).

وقد ذكر هذه الأطعمة مفصلة في قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ ..] إلى [إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ][1].

وهناك وجهان آخران لاعتلاقها بسورة المائدة، أحدهما: ختمت السورة السابقة بقوله تعالى: [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][2]، فناسب أن يبين سبب تلك الملكية ومنشأها، فافتتح هذه بقوله: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ][3]، فسبب ملكية الله للسماوات والأرض: أنه خالقهما وما فيهما، وتلك ملكية حقيقية، لا كملكية الناس لما يملكونه بشراء أو هبة أو توريث، فإنها ملكية مجازية، والحقيقة فيها لله تعالى.

ثانيهما: فإن سورة المائدة اشتملت على أحكام لم تذكر في غيرها، وكذلك سورة الأنعام، اشتملت على قوله تعالى: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ][4]، على ثمانية عشر رسولا لم تجمعهم سورة أخرى، وفيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها كقوله: [فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ]، وقوله: [وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ]، وقوله: [وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ][5]، وهو غير الزكاة، بل المراد إعطاء ما سقط من الزرع والثمار ساعة الحصاد، لمن حضر من الفقراء، ولهذا قيل: [يَوْمَ حَصَادِهِ][6].

(٦٤/١) الاختلاف في [يُصْرَفْ] من قوله عز وجل: [مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ] الآية (١٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمِّها من قوله تعالى: [يُصْرَفْ]، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: [يَصْرِفْ] بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون: [يُصْرَفْ] بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسَمَّ فاعله[7].

وشاهد ذلك قول الناظم رحمه الله:

وَصُحْبَةُ يَصْرِفْ فَتْحُ ضَمٍّ وَرَاؤُهُ ... بِكَسْرٍ وَذَكِّرْ لَمْ يَكُنْ شَاعَ وَانْجَلا[8].

ثانياً: توجيه القراءات:

صَرْف: رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفه يَصْرِفُه صَرْفاً فانصرف، وصارَف نفسه عن الشيء: صرفها عنه. والصَّرف: التوبة في قوله[1]: (لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ)[2].

والعَدْل: الفِدْية[3].

---

(١) الآيات (١٤١-١٤٨).

(٢) المائدة، الآية (١٢٠).

(٣) الأنعام، الآية (١).

(٤) الأنعام، الآية (٨٣).

(٥) الأنعام، الآيات (١١٨) و(١٢١) و(١٤١).

(٦) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٠-٣١).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠١)، كتاب السبعة، ص (٢٥٤)، النشر، (٢/٢٥٦-٢٥٧)، الإتحاف، ص (٢٠٦).

(٨) أشار الناظم بكلمة (صحبة) إلى حمزة والكسائي وشعبة. انظر: المتن، ص (٢٥٠)، الوافي، ص (٢٥٥).

حجة من قرأ [يَصْرِفْ] بفتح الياء؛ أنه أخبر بالفعل عن الفاعل المتقدم الذكر، وإضماره مستتر في [يَصْرِفْ] وشاهده أن في قراءة أُبيّ: [مَنْ يَصْرِفْهُ عَنْهُ]، وفي قراءة ابن مسعود: [مَنْ يَصْرِفْ اللهُ عَنْهُ]، فالمعنى: من يصرف الرب عنه يومئذ العذاب فقد رحمه، فالمفعول محذوف، وهو (العذاب)، لدلالة الكلام عليه. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجتهم: قوله قبلها: [قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ]، فكذلك [مَنْ يَصْرِفْ] وحجة أخرى أنه ختم الكلام بمثل معنى [يَصْرِفْ] فقال: [فَقَدْ رَحِمَهُ] ولم يقل: (فقد رحمهم) فيكون على نظيره مما لم يُسم فاعله[4].

وأما من قرأ [يُصْرَفْ] بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسم فاعله؛ فحجته أن هذا الوجه أقل إضماراً، لأنه إذا قال: [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] أي: فقد رحمه الله، لأنه تقدمه: [إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي][5]. قال العكبري[6]: «وفي القائم مقام الفاعل وجهان: أحدهما: [يَوْمَئِذٍ] أي: من يصرف عنه عذاب يومئذ، فحذف المضاف، و[يَوْمَئِذٍ] مبني على الفتح، والثاني: أن يكون مضمراً في [يُصْرَفْ] يرجع إلى العذاب، فيكون يومئذ ظرفاً ليصرف، أو للعذاب أو حالا من الضمير»[7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ] على البناء للمفعول؛ أي: يُدفع عنه العذاب، وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه. وقوله: [يَوْمَئِذٍ] ظرف للصرف؛ أي: في ذلك اليوم العظيم، يوم القيامة. قوله: [فَقَدْ رَحِمَهُ]، أي: نجاه وتجاوز ورُحِم، وقيل فقد أدخله الجنة كما في قوله: [فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ][8]، والإشارة بـ(ذلك) إلى الصرف، أو إلى الرحمة؛ إي:

---

(١) الم أقف عليه.

(٢) نص الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِيهَا أَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ وَأَسْنَانِ الإِبِلِ قَالَ وَفِيهَا الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، باب كيف يُنبذ إلى أهل العهد، (٤/٢١٧)، حديث رقم (٢١).

(٣) انظر: لسان العرب، (٩/١٨٩)، مختار الصحاح، ص (٣٦٠.٣٦٢). المصباح المنير، (١/٣٣٨.٣٣٩).

(٤) انظر: الكشف (٢/٤٢٥)، الحجة: ابن رنجلة، ص (٢٤٣).

(٥) الآية (١٥).

(٦) عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، أبو البقاء، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصيب في صباه بالجدري فعمي، من كتبه (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن)، توفي سنة (٦١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/٩١.٩٢).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٣)، الكشف، (٢/٤٢٥)، إملاء ما من به الرحمن، (١/١٣٣).

(٨) آل عمران، الآية (١٨٥).

فذلك الصرف أو الرحمة، وقوله: [الْمُبِينُ] أي: الظاهر كونه فوزاً، وهو الظفر بالبغية والنجاة البيّنة.

قال الرازي: «دلت الآية على أن الطاعة لا توجب الثواب، والمعصية لا توجب العقاب؛ لأنه تعالى قال: [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] أي: كل من صرف الله عنه العذاب في ذلك اليوم، فقد رحمه» ثم يقول: «وهذه الآية تدل على أن كل عقاب انصرف، وكل ثواب حصل، فهو ابتداء فضل وإحسان من الله تعالى»، وهو موافق لما روي أن النبي ρ قال: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ [1])[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بضم الياء قائلا: «هو الاختيار؛ لان أكثر القراء عليه، ولأنه أقلّ إضماراً من القراءة بالفتح، ويقوي ذلك قوله سبحانه: [لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ][3]، فبناه لما لم يسم فاعله، وأضمر فيه العذاب، أقامه مقام الفاعل أيضاً»[4]، ويوافقه ابن الانباري في الاختيار، ويقول: «لأنه أقل إضماراً، وكلما كان الإضمار أقل كان أولى»[5].

ويقول ابن زنجلة: «في [يُصْرَفْ] بضم الياء ذكر العذاب، وإذا قال: [يَصْرِفْ] بفتح الياء؛ أضمر ذكر العذاب، وفي قراءتهم ذكر العذاب في [يُصْرَفْ] فحسب»[6].

وساق القرطبي والشوكاني رأي سيبويه موافقاً قراءة من قرأ بضم الياء ومعللا ذلك بقوله: «كلما قل الإضمار في الكلام كان أولى، وأيضاً فقوله تعالى: [قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ] ولقوله: [فَقَدْ رَحِمَهُ] ولم يقل: (رُحِمَ) على المجهول، ولقراءة أُبي: [يُصْرَفْ عَنْهُ]»[7].

ويضيف الرازي تعليلا آخر، حيث يقول: «وإنما حسن ذلك؛ لأنه تعالى أضاف العذاب إلى اليوم في قوله: [يَوْمٍ عَظِيمٍ] فلذلك أضاف الصرف إليه، والتقدير: من يصرف عنه عذاب ذلك اليوم»[8].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرض والطب، باب تمني المريض الموت، (٢٢٠/٧)، حديث رقم (٣٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٠/٥)، فتح القدير، (١٠٤/١)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٩٨.٣٩٧/٦) تفسير أبي السعود، (١١٧/٣) التفسير الكبير، (١٧١.١٧٠/١٢).

(٣) هود، الآية (٨).

(٤) الكشف، (٤٢٥/١).

(٥) البيان في إعراب القرآن، (٣١٥/١).

(٦) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٣).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٩٧/٦)، فتح القدير، (١٠٤/٢).

(٨) التفسير الكبير، (٧٠/١٢).

بينما رجح أبو علي الفارسي القراءة الأخرى بفتح الياء، ويعلل ذلك بقوله: «ومما يُحسِّن قراءة من قرأ [يَصْرِف] بفتح الياء؛ أن ما بعده من قوله: [رَحِمَهُ] فعلٌ مسند إلى ضمير اسم الله تعالى، فقد أتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير فيمن قرأ [يَصْرِف] بفتح الياء»، ثم يقول: «ومما يقوي قراءة من قرأ [يَصْرِف] بفتح الياء، أن الهاء المحذوفة هي في [يَصْرِف] لما كانت في خبر الجزاء، وكان ما في خبرالجزاء في أنه لا يتسلَّط على ما تقدّمه، بمنزلة ما في الصِّلة، في أنه لا يجوز تسلطه على الموصول، حَسُن حذف الهاء منه، كما حَسُن حذفها من الصِّلة»(١).

ويوافقه الطبري قائلا: «وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأ [يَصْرِف] بفتح الياء وكسر الراء؛ لدلالة قوله: [رَحِمَهُ] على صحة ذلك، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله»،ثم يقول معلقاً على القراءة الثانية: «ولو كانت القراءة في قوله: [يُصْرَف] على وجه ما لم يُسمَّ فاعله، كان الوجه في قوله: [رَحِمَهُ] أن يقال: فقد رحم غير مسمى فاعله، وتسمية الفاعل في قوله: [رَحِمَهُ] دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله: [يَصْرِفْ عَنْهُ]»(٢).

(٦٥/٢) الاختلاف في: [تَكُنْ] و[فِتْنَتُهُمْ] من قوله عز وجل: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] الآية (٢٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء والرفع والنصب من قوله عز وجل: [تَكُنْ]، قرأ حمزة والكسائي: [يَكُنْ] بالياء، و[فِتْنَتَهُمْ] نصباً، وقرأ الباقون: [تَكُنْ] بالتاء، و[فِتْنَتَهُمْ] نصباً، وعند ابن كثير وحفص: [فِتْنَتُهُمْ] رفعاً(٣).

وشاهد ذلك قول الناظم رحمه الله:

يُصَرِّفْ فَتْحُ ضَمٍّ وَرَاؤُهُ ... بِكَسْرٍ وَذَكِّرْ لَمْ يَكُنْ شَاعَ وَانْجَلا
وَفِتْنَتُهُمْ بِالرَّفْعِ عَنْ دِينِ كَامِلٍ ... وَبَارِيِّنَا بِالنَّصْبِ شَرَّفَ وَصَّلا(٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

أولا: سبق توجيه قوله: [تَكُنْ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)(٥).

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٥١/٢).

(٢) تفسير الطبري، (١٦٠/٥).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠١.١٠٢)، كتاب السبعة، ص(٢٥٤)، إتحاف ص(٢٠٦).

(٤) أتى الناظم بحرف (السين) من قوله: «شاع» إلى حمزة والكسائي، وأشار بحرف العين والدال والكاف في قوله: «عن» و«دين» و «كامل» إلى حفص وابن كثير وابن عامر على الترتيب، انظر: المتن، ص (٥٠)، الوافي، ص (٢٥٥).

(٥) انظر: ذلك ص(   ).

ثانياً: الفِتْنة: أي: الابتلاء والامتحان والاختبار والجمع (فِتَن)، وأصلها مأخوذ من قولك: (فَتَنت) الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيِّد. قال الرازي: تقول فَتَن الذهب يفتِنه (فِتْنةً) و(مَفْتُوناً) أيضاً؛ إذا أدخله النار لينظر ما جودته، ودينار "مَفْتون" أي: ممتحن، ويُسمَّى الصائغ (الفَتَّان)، وكذا الشيطان، وفي الحديث: «الْمُسْلِمُ يَسَعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ، وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفَتَّانِ»[1]، ويروى بفتح الفاء على أنه واحد، وبضمها على أنه جمع[2].

وجه قراءة حمزة والكسائي: [يَكُن] بالياء ونصب: [فِتْنَتَهُمْ]؛ أنهما أتيا بلفظ التذكير؛ التذكير (أن) وما بعدها في قوله: [إِلَّا أَن] إذا نصب: [فِتْنَتَهُمْ] وقال ابن زنجلة: «أن حمزة والكسائي جعلا [أَن قَالُوا] الاسم، والتقدير ثم لم يكن فتنتهم إلا قولهم، وحجتهما إجماع القراء على نصب قوله: [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا]»[3]، ثم يقول: «وحجة أخرى وهي أن في حرف عبد الله: [وَمَا كَانَ فِتْنَتَهُمْ] فهذا دليل على التذكير»[4].

وحجة من قرأ بالتاء فقال: [تَكُن]؛ أنث الفعل لتأنيث لفظ الفتنة، إن رفع الفتنة أنث؛ لأن الفاعل مؤنث اللفظ، وإن نصب الفتنة أنَّث؛ لأن الفاعل في المعنى هو الفتنة، لأن خبر كان هو اسمها في المعنى[5].

وحجة من قرأ بالتاء والنصب أن القول فتنة، والفتنة قول، فجاز أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر، وأيضاً فإن هذا المصدر قد يمكن أن يؤنث على معنى: (المقالة)، ويذكر على معنى (القول)[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآيات السابقة سبب خسران المنكرين لنبوة محمد ρ، من أهل الكتاب والكفار، أمران: أحدهما الافتراء على الله كذباً، والثاني: تكذيبهم بآيات الله، والمراد منه قدحهم في معجزات محمد ρ، وطعنهم فيها، وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة بينة، وبعد أن حكى سبحانه عنهم هذين الأمرين قال: [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ].

ثم يصف سبحانه حالهم في ذلك اليوم فقال: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ]، والمقصود منه التقريع والتبكيت لا السؤال، وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنها لم تكن شركاء لله في الحقيقة بل لما سموها شركاء أضيفت إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إقطاع الأرضين، حديث رقم (٢٦٦٨).

(٢) انظر: لسان العرب، (٣١٨،٣١٧/١٣)، مختار الصحاح، ص(٤٩)، المصباح المنير، (٤٦٢/٢).

(٣) العنكبوت، الآية (٢٩).

(٤) انظر: الكشف (٤٢٦/١)، البيان في إعراب القرآن، (٣١٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٤).

(٥) انظر: الكشف (٤٢٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٣)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٣٧،١٣٦).

(٦) الحجة: ابن خالويه، ص (١٣٧)، الكشف، (٤٢٦/١).

من دون الله، أو يعبدونه مع الله ووجه التوبيخ بهذا الاستفهام؛ أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال، أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها.

ثم قال سبحانه: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ] أي: لم يكن معذرتهم أو جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي [إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] كذباً منهم في إيمانهم على قيلهم ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يغفر الله تعالى لأهل الإخلاص ذنوبهم، ولا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك، فتعالوا نقول: إنا كنا أهل ذنوب ولم نكن مشركين، فيقول الله: أما إذا كتموا الشرك فاختموا على أفواههم، فيُختم على أفواههم فتنطق أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون، فعند ذلك يعرف المشركون أن الله لا يكتم حديثاً، فذلك قوله: [يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا][1]»[2].

ويورد أبو زكريا الأنصاري سؤالا مفاده: كيف الجمع في ما ذكر في معنى الآية، وبين قوله: [وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا]. فيقول: «في القيامة مواقف مختلفة، ففي بعضها لا يكتمون، وفي بعضها يكتمون بل يكذبون ويحلفون، كما في قوله: [فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ][3]، وفي قوله: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ][4]»[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالتاء من [تَكُنْ] ونصب الفتنة، معللا ذلك بقوله: «لأنها هي القول في المعنى، ولأنها بمعنى العذر، و لأن [أَنْ] وما بعدها أعرف؛ لأن على ذلك أكثر القراء»[6]. ويقول أيضاً في كتابه مشكل إعراب القرآن: وجعْل [أَنْ] اسم (كان) هو الاختيار عند أهل النظر؛ لأنها لا تكون إلا معرفة، ولأنها لا توصف، فأشبهت المضمر، والمضمر أعرف المعارف، فكان الأعرف اسم (كان) أولى مما هو دونه في التعريف، إذ الفتنة إنما تعرفت بإضافتها إلى المضمر، فهي دون تعريف [أَنْ قَالُوا] بكثير»[7].

---

(١) النساء، الآية (٤٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٧٧.١٦٦/٥)، فتح القدير، (١٠٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٠٣.٤٠٢/٦)، تفسير أبي السعود، (١٢٠/٣)، تفسير الرازي، (١٨٤.١٨٢/١٢).

(٣) الحجر، الآيتان (٩٢ . ٩٣).

(٤) الرحمن، الآية (٣٩).

(٥) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (١٦٢).

(٦) الكشف، (٤٢٧/١).

(٧) كتاب مشكل إعراب القرآن، (٣٦٠/١).

وهو اختيار الواحدي أيضاً، قال الرازي: «قال الواحدي: الاختيار قراءة من جعل [أَنْ قَالُوا] الاسم دون الخبر؛ ولأن [أَنْ] إذا وُصلت بالفعل لم توصف، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر، فكما أن المظهر والمضمر، إذا اجتمعا كان جعل المضمر اسماً أولى من جعله خبراً، فكذا ههنا تقول: كنت القائم، فجعلت المضمر اسماً والمظهر خبراً، فكذا ههنا»[١].

بينما يرجح شيخ المفسرين قراءة من قرأ بالياء فقال: [يَكُنْ] ونصب [فِتْنَتَهُمْ] ويقول: «وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب؛ لأن [أَنْ] أثبت في المعرفة من الفتنة»[٢].

(٣/٦٦) الاختلاف في [رَبِّنَا] من قوله عز وجل: [فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] الآية (٢٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الخفض و النصب من قوله تعالى: [رَبِّنَا]، فقرأ حمزة والكسائي: [رَبَّنَا] بالنصب، وقرأ الباقون [رَبِّنَا] بالكسر[٣].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفِتْنَتُهُمْ بالرفْعِ عَنْ دِينِ كامِلٍ ... وَرَبِّنَا بِنَصْبِ شَرْعٍ وَصَّلا[٤]

ثانياً: توجيه القراءات:

الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى و لا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوا في الجاهلية للمَلِك، ويطلق على مالك الشيء الذي لا يعقل، مضافاً إليه فيقال: ربُّ الدّين، وربُّ المال، وقد استعمل بمعنى السَّيد مضافاً إلى العاقل أيضاً، ومنه قوله ﷺ: (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا)[٥] وفي

---

(١) التفسير الكبير، (١٢/ ١٨٢).

(٢) تفسير الطبري، (٥/١٦٦).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٢)، كتاب السبعة، (٢٥٥)، النشر، (٢/٢٥٧)، الإتحاف، ص (٢٠٦).

(٤) أشار الناظم بحرف (الشين) في كلمة (شرف) إلى حمزة والكسائي، وقوله: «وصلا» جمع واصل وهو الناقل أي شرف القرآن من وصله ونقله لغيره. انظر: المتن، ص (٥٠)، الوافي، ص(٢٥٥).

(٥) نص الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ فَقَالَ رُدُّوا عَلَيَّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ). أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب، (٥/١١٢).

التنزيل حكاية عن يوسف عليه السلام: [فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا][1] ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلوق بمعنى المالك؛ لأن اللام للعموم، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات[2].

من قرأ [رَبِّنَا] بالكسر؛ فعلى النعت والثناء، لقوله: [وَاللَّهِ] وقال ابن زنجلة: «الحجة في ذلك أنك إذا قلت: أحلف بالله ربي كان أحسن من أن تقول: أحلف بالله يا ربّ»[3].

ومن قرأ [رَبَّنَا] بالفتح، أي: يا ربنا على النداء؛ والحجة في ذلك: أن الآية ابتدأت بمخاطبة الله إياهم، إذ قال للذين أشركوا: [أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ][4]، فجرى جوابهم إياه على نحو سؤالهم لمخاطبتهم إياه، فقالوا: [وَاللَّهِ رَبَّنَا]، بمعنى: والله يا ربنا ما كنا مشركين، فأجابوه مخاطبين له كما سألهم مخاطبين. قال أبو علي الفارسي: «ومن قرأ: [وَاللَّهِ رَبَّنَا] بالنصب، فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه بالنداء، والفصل به لا يمتنع، وقد فُصِل بالمنادي بين الفعل ومفعوله، كما فعل ذلك في قوله: [إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ][5] والمعنى: آتيتهم زينة وأموالا ليضلوا فلا يؤمنوا».

وأضاف أبو منصور الأزهري وجهاً آخر قائلا: «ويجوز أن يكون نصبه على المدح، كأنه قال: والله أعني ربَّنا وأذكر ربَّنا»[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توضيحه في النص السابق[7].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ [رَبَّنَا] بالنصب على النداء المضاف، معللا ذلك بقوله: «حسن؛ لأن فيه معنى الخضوع والتضرع حين لا ينفع ذلك»[8]، وقال النحاس: «من نصب على النداء، أي يا ربنا، وهي قراءة حسنة؛ لأن فيها معنى الاستكانة والتضرع»[9].

ويوافقهما شيخ المفسرين، الطبري، ويقول: «وذلك أن هذا جواب المسئولين المقول لهم: [أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ][1] وكان في جواب القوم لربهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين،

---

(١) يوسف، الآية (٤١).

(٢) انظر: لسان العرب، (٣٩٩/١ . ٤٠٠)، مختار الصحاح، ص (٢٢٨)، المصباح المنير، (٢١٤/١).

(٣) انظر: معاني القراءات، ص (١٥٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٤).

(٤) الأنعام، الآية (٢٢).

(٥) يونس، الآية (٨٨).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة ص (٢٤٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٥٣٩/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٥٠).

(٧) انظر ذلك ص(   ).

(٨) الكشف، (٤٢٧/١).

(٩) إعراب القرآن، (٦١/٢).

فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: [كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ][(2)]»[(3)].

(٤/٦٧) الاختلاف في [نُكَذِّبَ] و[نَكُونَ] من قوله عز وجل: [وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] الآية (٢٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ]، فقرأ حمزة وحفص: [وَلَا نُكَذِّبَ] [وَنَكُونَ] بالنصب الباء والنون فيهما، وقرأ ابن عامر: [وَنَكُونَ] بالنصب فقط، والباقون بالرفع فيهما[(4)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نُكَذِّبُ نَصْبُ الرَّفْعِ فَازَ عَلِيمُهُ ... وفي ونَكُونُ انْصِبْهُ فِي كَسْبِهِ عَلَا[(5)]

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً الكَذِب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواءٌ فيه العمد والخطأ، يقال: كَذَب الرجل يَكْذِبُ كَذِباً وكِذْباً وكِذَّاباً، والأنثى كَذَّابة وكَذُوبٌ. والكُذَّب: جمع كاذبٍ والكُذُب: جمع كَذوب[(6)]، وفي المثل: المعاذر مكاذب[(7)].

ثانياً: سبق توجيه قوله تعالى: [نَكُونَ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)[(8)].

حجة من قرأ بالرفع في: [نُكَذِّبُ] و[نَكُونُ]؛ عطفهما على [نُرَدُّ]، وجعله كله مما يتمناه، الكفار يوم القيامة، تمنوا ثلاثة أشياء: أن يردُّوا، وتمنوا ألا يكونوا قد كذّبوا بآيات الله في الدنيا، وتمنوا أن يكونوا من المؤمنين.

---

(١) الأنعام، الآية (٢٢).

(٢) الأنعام، الآية (٢٤).

(٣) تفسير الطبري، (١٦٧/٥).

(٤) كتاب التسيير، (١٠٢)، كتاب السبعة، (٢٥٥)، النشر، (٢٥٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٦.٢٠٦).

(٥) أشار الناظم: بحرف (الفاء) من قوله: «فاز» إلى حمزة، وبحرف (العين) من قوله: «عليمه» إلى حفص، وبحرف (الفاء) في: «في» إلى حمزة، وبحرف (الكاف) في: «كسبه» إلى ابن عامر، وبحرف (العين) في: «علا» إلى حفص. انظر: المتن، ص(٥١). الوافي، ص(٢٥٥ . ٢٥٦).

(٦) المعاذر: جمع معذرة، وهي العذر، والمكاذب: جمع كذب: كالمحاسن جمع حسنٌ، وهذا من قول مطرف بن الشِّخِّير. انظر: مجمع الأمثال، (٢٩٦/٢).

(٧) انظر: لسان العرب، (٧٠٤/١.١١٠)، مختار الصحاح: ص (٥٦٥.٥٦٦)، المصباح المنير، (٥٢٨/٢.٥٢٩).

(٨) انظر ذلك ص( ).

وأضاف أبو منصور وجهاً آخر لقراءة الرفع، فقال: «ويجوز أن يرفع [لاَ نُكَذِّبُ] و[نَكُونُ] على القطع، فلا يدخلان في التمني، تقديره: يا ليتنا نُرَدُّ ونحن لا نُكذِّب، ونحن نكونُ من المؤمنين، رددنا أو لم نُردَّ»(١).

ووجه من قرأ بالنصب في [لاَ نُكَذِّبَ] و[نَكُونَ]؛ أنه أدخل ذلك في التمني، لأن التمني غيرُ موجب، فهو كالاستفهام والأمر والنهي والعرض في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها الفاءُ على تقدير: ذكر مصدر الفعل الأول، كأنه في التمثيل: ياليتنا يكونُ لنا ردٌّ وانتفاء التكذيب، وكونٌ من المؤمنين، ودليله أنه في حرف عبد الله بالفاء في الأول والواو في الثاني والنصب فيهما. قال ابن زنجلة: «هو كقولك: ليتك تصيرُ إلينا ونكرمك، والمعنى: ليت مصيرك يقع وإكرامنا»(٢).

وأما من رفع [نُكَذِّبُ] ونصب [نَكُونَ]؛ فإن الفعل الثاني من الفعلين المرفوعين يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب، والوجه الآخر: أنه يخبرُ على البتات أن لا يُكذِّب رُدَّ أو لم يُردَّ. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة ابن عامر في قراءته قوله تعالى: [لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ](٣)»(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة صفة من ينهي عن متابعة الرسول ρ، وينأى عن طاعته؛ فقال: [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ]، ثم شرع سبحانه في شرح كيفية ذلك الهلاك، فقال: [وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ] والخطاب هنا لرسول الله ρ أو لكل من تتأتي منه الرُّؤية، والمعنى: ولو ترى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين بنبوتك، الذين وصفت لك صفتهم [وُقِفُوا] يقول: إذا حبسوا [عَلَى النَّارِ] يعني في النار.

قال الشوكاني: «وعبر عن المستقبل، ليوم القيامة، بلفظ الماضي؛ تنبيهاً على تحققه ووقوعه، كما ذكره علماء المعاني»، قوله: [يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ] أي: إلى الدنيا حتى نتوب ونرجع

(١) انظر: الكشف (٤٢٨/١)، مشكل إعراب القرآن، (٢٦٢/١)، معاني القراءات، ص (١٥١).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي (١٥٤/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٥)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٣٨).

(٣) الزمر، الآية (٥٨).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٥٤/٢). الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٥).

إلى طاعته بقوله: [بِآيَاتِ رَبِّنَا] أي: إن جاءنا بها رسوله ρ، [وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] أي: من المصدقين بالله وحجة رسوله ρ، متبعين أمره ونهيه(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح شيخ المفسرين قراءة من قرأ ذلك بالرفع، قائلا: «والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك: [يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بالرفع في كليهما، بمعنى: يا ليتنا نرد، ولسنا نكذب بآيات ربنا إن رددنا، ولكنا نكون من المؤمنين؛ لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردُّوا لعادوا لما نهو عنه، وأنهم كذبة في قيلهم ذلك، ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني لاستحال تكذيبهم فيه، لأن التمني لا يُكذَّب، وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار».

ثم يقول معلقاً على القراءة الثانية بالنصب: «وأما النصب في ذلك فإني أظن بقائله أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه، وذلك قراءته: [يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] على وجه جواب التمني بالفاء، وهو إذ قرئ بالفاء كذلك لاشكَّ في صحة إعرابه، ومعناه في ذلك: أن تأويله إذا قرئ كذلك: لو أنَّا رددنا إلى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا، ولكنا من المؤمنين»، ثم يقول: «فإن يكن الذي حكى من حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو وثم، كهيئة الجواب بالفاء صحيحاً، فلاشك في صحة قراءة من قرأ ذلك: [يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ] نصباً على جواب التمني بالواو، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء، وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل، ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحاً، بل المعروف في كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو»(٢).

وهو بذلك كأنه صوب القراءتين معاً ولكن إذا تحقق ما اشترطه في القراءة الثانية.

ويسوق القرطبي اختيار سيبويه لهذه القراءة أيضاً، لكن وفي حالة القطع، بحيث أن قوله: [وَلَا نُكَذِّبُ] و[وَنَكُونُ] لا يدخلان في التمني(٣)، قال مكي بن أبي طالب: «ويؤيد الرفع على القطع على معنى: يا ليتنا نردُّ ونحن لا نكذّب، ونحن نكون من المؤمنين، رددنا أو لم نردّ. بدليل قوله: [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] فدل تكذيبهم أنهم إنما أخبروا عن أنفسهم بذلك ولم يتمنوه؛ لأن التمني لا يقع جوابه التكذيب، إنما يكون التكذيب في الخبر»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٧٤/٥ . ١٧٦)، فتح القدير (١٠٨/٢ . ١٠٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٠٨/٦.٤٠٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٠٨/٦ . ٤٠٩)، تفسير أبي السعود (١٢٢/٣ . ١٢٣)، التفسير الكبير، (١٩٠/١٢ . ١٩٤).

(٢) تفسير الطبري: (١٧٦/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٤٠٨/٦.٤٠٩).

(٤) مشكل إعراب القرآن، (٢٦٢/١).

(٥/٦٨) الاختلاف في: [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ] من قوله عز وجل: [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] الآية (٣٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله: [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ]، فقرأ ابن عامر وحده: [وَلَدَارُ الآخِرَةِ] بلام واحدة وخفض الأخرى، وقرأ الباقون: [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ] بلامين ورفع الأخرى[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَلَلدَّارُ حَذْفُ اللَّامِ الأُخْرَى ابْنُ عَامِرٍ ... وَالآخِرَةُ الْمَرْفُوعُ بِالْخَفْضِ وُكِّلَا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

أولا: الدَّار: معروفة وهي مؤنثة، وجمع القلة: (أدؤر) بالهمز وتركه، والكثير (ديار)، كجبل وأجبل وجبال، و(دور) أيضاً كأسد وأُسْد. والأصل في إطلاق الدُّور على المواضع، وقد تطلق على القبائل مجازاً. وفي حديث زيارة القبور: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)[٣] سمى موضع القبور داراً؛ تشبيهاً بدار الأحياء لاجتماع الموتى فيها[٤]. ثانياً: الأخرى والآخرة: دار البقاء، صفةٌ غالبة[٥].

قوله تعالى: [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ] [الدَّارُ] مبتدأ، و[الآخِرَةُ] نعت للدار، و[خَيْرٌ] خبر الابتداء. كما قال: [وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ][٦] وقال: [تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ][٧]، فأتت [الآخِرَةُ] صفة [لِلدَّارِ] فيها، ولمّا كانت [الآخِرَةُ] صفة لم يصحّ أن تضيف الموصول إليها، وقد اتسع في هذه الصفة فأقيمت مقام الموصوف، كما أقيمت الاولى مقام الموصوف، قال تعالى: [وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى][٨][٩].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٢)، كتاب السبعة، ص (٢٥٦)، النشر، (٢/٢٥٧)، الإتحاف، ص (٢٠٧).

(٢) انظر: متن الشاطبية، ص(٥١).

(٣) نص الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَاعِدُونَ غَدًا أَوْ مُوَاكِلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، حديث رقم (٢٠١٢).

(٤) انظر: لسان العرب (٤/٢٩٨)، مختار الصحاح ،ص (٢١٤)، المصباح المنير، (١/٢٠٢).

(٥) انظر: لسان العرب (١/١٤)، مختار الصحاح، ص (١٠.٩)، المصباح المنير، (١/٨.٧).

(٦) العنكبوت، الآية (٦٤).

(٧) القصص، الآية (٨٣).

(٨) الضحى، الآية (٤).

(٩) انظر: الكشف، (١/٤٢٩ . ٤٣٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٥٨).

أما وجه قراءة ابن عامر [وَلَدَارُ الْآخِرَةِ]؛ فحجته في ذلك إجماع الجميع على قوله: [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ][1] بلام واحدة، فرد ابن عامر ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه.

قال مكي: «ابن عامر في قراءته هذه لم يجعل [الْآخِرَةُ] صفة لـ(الدار)، إنما [الْآخِرَةِ] من هذا صفة لموصوف محذوف تقديره: ولدارُ الساعة الآخرة خير، ثم حذفت الساعة وأقيمت الصفة مقام الموصوف، فأضيفت (الدار) إليها، فالأخرى والدنيا أصلهما الصفةُ، لكن اتسع فيهما، فاستعملا استعمال الأسماء فأضيف إليها»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

من المعلوم أن المنكرين للبعث والقيامة تعظم رغبتهم في الدنيا وتحصيل لذاتها، لذلك ذكر الله تعالى هذه الآية تنبيهاً على خساستها وركاكتها فقال: [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ]. أي: وما متاع الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ، على تقدير حذف مضاف، أو وما الدنيا من حيث هي إلا لعب ولهو، والقصد بالآية تكذيب الكفار في قولهم: [إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا][3] واللعب معروف، وكذلك اللهو، وكل ما يشغلك فقد ألهاك، وقيل: أصله الصرف عن الشيء وإنما وصفها الله بذلك لقصر مدتها.

ثم قال سبحانه: [وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] أي الجنة لبقائها، وسميت آخرة؛ لتأخرها عن الدنيا، والدنيا لدنوها منا؛ أي هي خير للذين يتقون الشرك والمعاصي، وأما الكافر والفاسق فلا؛ لأن الدنيا بالنسبة إليه خير من الآخرة، على ما قال رسول الله ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)[4] وإنما خص المتقين بالذكر مع أن غيرهم كذلك؛ فلأنهم الأصل وغيرهم تبعٌ لهم[5]، قوله تعالى: [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] أي: أفلا تعقلون أن الأمر هكذا، فيزهدوا في الدنيا ويتقوا ما هم عليه من الكفر والعصيان[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) يوسف، الآية (١٠٩).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٤٦)، كتاب معاني القراءات، ص (١٥٢)، كتاب مشكل إعراب القرآن (٢٦٤/١)، إملاء ما من به الرحمن، (١٣٤/١).

(٣) الجاثية، الآية (٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٥٢٥٦)، (٢١٠/٨).

(٥) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (١٦٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٨٠/٥)، فتح القدير، (١١٤.١١٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤١٨.٤١٧/٦). تفسير أبي السعود (١٢٩.١٢٧/٣)، التفسير الكبير، (٢٠٨.٢٠٧/١٢).

رجح أبو منصور قراءة من قرأ بلامين، قائلا: «ومن قرأ [وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ]، فالآخرة نعت للدار، وهي أجود القراءتين»، ثم يقول معللا: «والعرب تضيف الشيء إلى نعته، كقوله تعالى: [وَحَبَّ الْحَصِيدِ](1)، وكقوله: [دِينُ الْقَيِّمَةِ](2) وكل ذلك فصيح جيد»(3).

ويوافقه ابن أبي طالب في الاختيار قائلا: «وهو الاختيار؛ لإجماع القراء عليه، ولصحة معناه في الصفة، والتعريف في [الدَّارُ]»(4).

واستدل أبو علي الفارسي بقوله تعالى: [وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ](5) وقوله: [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ](6)، على أن الآخرة صفة [الدَّارُ]، ثم يقول: «وإذا كانت صفة لها وجب أن يجري عليها في الإعراب ولا يضاف إليها»(7).

وهو اختيار الرازي أيضاً حيث يقول: بعد توجيهه للقراءتين «.. أما قراءة العامة فهي ظاهرة؛ لأنها تقتضي جعل الآخرة صفة للدار وذلك هو الحقيقة، ومتى أمكن إجراء الكلام على حقيقته فلا حاجة إلى العدول عنه»(8).

(٦/٦٩) الاختلاف في [تَعْقِلُونَ] من قوله عز وجل: [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] الآية (٣٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء في قوله عز وجل: [تَعْقِلُونَ]، فقرأ نافع وابن عامر وحفص: [تَعْقِلُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَعْقِلُونَ] بالياء(9).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وعَمَّ عُلا لا يعقلون وتحتَها ... خطاباً وقُل في يوسفٍ عَمَّ نيطلا(10)

---

(١) ق، الآية (٩).

(٢) البينة، الآية (٥).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص(١٥٢).

(٤) الكشف، (٤٣٠/١).

(٥) العنكبوت، الآية (٦٤).

(٦) القصص، الآية (٨٣).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٥٧/٢.١٥٨).

(٨) التفسير الكبير، (٢٠٣/١٢).

(٩) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٢)، كتاب السبعة، ص(٢٥٦)، النشر، (٢٥٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٧).

(١٠) أشار الناظم بكلمة (عمّ) إلى نافع وابن عامر، وبحرف (العين) إلى حفص، وقصد بقوله: «وتحتها خطايا» السورة التي تحت هذه السورة وهي الأعراف في قوله: [أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ] الآيات (١٦٩.١٧٠)، وأشار إلى يوسف في قوله: [أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ] الآيتان (١٠٩.١١٠)، والنيطل: الدلو: الواسع. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(٢٥٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

العقل: الذي هو مصدر على الحِجا واللُّبُّ. وسُمي عقلا؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك؛ أي: يحبسه ولذلك قال البعض هو غريزية يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب، فالرجل (عاقِلٌ) والجمع (عُقَّالٌ)، مثل كافر وكُفَّار. والمرأة (عاقل) و(عاقلة)، كما يقال فيها بالغ وبالغة، والجمع (عواقلُ) و(عاقلاتٌ)[١].

قال الزمخشري: «يقال: عَقَل فلان بعد الصِّبا؛ أي عرف الخطأ الذي كان عليه»[٢] بفتح القاف، وليس بكسرها [٣].

وجه قراءة من قراءة بالتاء؛ أنه جعلهم مخاطبين على لسان نبيه ρ؛ أي: قل لهم: أفلا تعقلون[٤]. ووجه من قرأ بالياء قال: أنه قد تقدم ذكر الغيبة؛ وهو قوله: [يَتَّقُونَ] والمعنى: أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملوا لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنِّعم الدائمة فلا يفترون في طلب ما يوصلُ إلى ذلك، وقال ابن خالويه: «بمعنى أنه جعلهم غُيَّباً مبلغين عن الله عز وجل»[٥].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[٦].

رابعاً: ترجيح القراءات:

ذكر أبو منصور القراءتين، موضحاً توجيهه لكل منهما، باعتبار أن من قرأ بالتاء فللمخاطب، ومن قرأ بالياء فللغيبة، ثم قال: «وهما سيَّان»[٧].

وساق الرازي قول الواحدي في المراد من المعنى على كلتا القراءتين، فقال: «قال الواحدي: من قرأ بالياء؛ فمعناه: أفلا يعقلون الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون في طلب ما يوصل إلى ذلك، ومن قرأ بالتاء فالمعنى: قل لهم أفلا تعقلون أيها المخاطبون إن ذلك خيرٌ؛ والله أعلم»[٨].

---

(١) انظر: لسان العرب، (١١/٤٥٨،٤٥٩)، المصباح المنير، ص(١/٤٢٣).

(٢) أساس البلاغة: للزمخشري، (د/ط)، (د/ت)، ص(٦٤٨).

(٣) وقد خطأ ابن مكي الصقَّلي قول من قال: عَقِل المجنون، بكسر القاف، قائلا: «والصواب أن يقال: عَقَل يعقِل عَقلا؛ إذا صار عاقلا». تثقيف اللسان، ص(٢٤٢) و(٣٢٨).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٣٨)، كتاب معاني القراءات، ص(١٥١).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٥٦)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٨)، والحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٦).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(٧) كتاب معاني القراءات، ص(١٥١)

(٨) التفسير الكبير، (١٢/٢٠٣).

(٧/٧٠) الاختلاف في [لَيَحْزُنُكَ] من قوله عز وجل: [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] الآية (٣٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضم الزاي، وضمّ الياء وكسر الزاي من قوله: عز وجل: [لَيَحْزُنُكَ]، فقرأ نافع وحده [يُحْزِنُكَ] بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون [يَحْزُنُكَ] بفتح الياء وضم الزاي[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأنَّ كَسْرُ وافقاً وَيُحْزِنُ غيرُ الأنبياءِ بضمٍّ وكسرٍ الضمَّ أَحْفَلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [يَحْزُنُكَ] لغوياً في النص رقم (٨/٤٤)[3]. وجه قراءة نافع؛ أنه أخذه من أَحْزَنَ يُحْزِنُ حُزْناً، قال ابن الأنباري: «من قرأ بالضم جعله من أحزنه، وهو فعل رباعي، وحرف المضارع من الفعل الرباعي مضموم» وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة نافع: قول العرب: هذا أمرٌ محزن»[4].

ووجه قراءة الباقين أنه من حَزَنَ يَحْزُنُ حُزْناً، ودليله قوله سبحانه: [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ][5] وقوله: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ][6][7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

طوائف الكفار كانوا فرقاً كثيرين، فمنهم من ينكر نبوة محمد ρ؛ لأنه كان ينكر رسالة البشر، ويقول: يجب أن يكون رسول الله من جنس الملائكة. ومنهم من يقول: أن محمداً يخبرنا بالنشر والحشر بعد الموت، وذلك محال، وكانوا يستدلون بامتناع الحشر والنشر على الطعن في

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٢،٩١)، كتاب السبعة، ص(٢٥٧،٢٥٦)، النشر، (٢/٢٥٧)، الإتحاف، ص(٢٠٧).

(٢) أشار الناظم بحرف (الالف) من قوله: أحفلا» إلى نافع، حيث قرأ لفظ (يحزن) حيث وقع في القرآن بضم الياء وكسر الزاي، إلا قوله تعالى: [لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ] الأنبياء (١٠٣)، فقرأ كالجماعة بفتح الياء وضم الزاي. أَحْفَلا: منصوب على الحال من فاعل، واكسر؛ أي: حال كونك حافلا بهذه القراءة عاملا على نشرها، انظر: المتن، ص (٤٦)، الوافي، ص(٢٤٠).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر الحجة: ابن خالويه، ص(١١٦)، البيان في غريب إعراب القرآن، (١/٢٣٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(١٨١).

(٥) النمل، الآية (٧).

(٦) البقرة، الآية (٦٢).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١١٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٥٩،١٦٠).

الرسالة، ومنهم من كان يشافهه بالسفاهة وذكر ما لا ينبغي من القول، وهو الذي ذكره سبحانه في هذه الآية فقال سبحانه: [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ] وهو استئناف مسوق لتسلية رسول الله ρ عن الحزن الذي يعتريه مما حكى عن الكفرة من الإصرار على التكذيب. قال أبو ميسرة: «أن رسول الله ρ مرّ بأبي جهل وأصحابه، فقالوا: يا محمد والله ما نكذّبك وإنّك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت هذه الآية»[1].

قوله سبحانه: [فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ] أي: لا ينسبونك إلى الكذب، ومن خفف فمعناه لا يجدونك كاذباً [2]، فمعنى الآية: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال: [وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] أي: ولكنهم بآياته تعالى يكذبون، ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التوبيخ لهم والازدراء عليهم، ووصفهم بالظلم؛ لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بين.

وقد صرح سبحانه في هذه الآية الكريمة، بأنه يعلم أن رسوله ρ يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه ρ وقد نهاه سبحانه عن هذا الحزن المفرط في موضع أخر، كقوله: [فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ][3]، وقوله: [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ][4]، وقوله: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا][5]، وقوله: [لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ][6] والباخع: هو المهلك نفسه.

وقوله سبحانه: [لَعَلَّكَ بَاخِعٌ] في الآيتين؛ يراد به النهي عن ذلك، كقوله: [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ][7] أي: لا تهلك نفسك حزناً عليهم في الأول، و لا تترك بعض ما يوحي ما يوحي إليك في الثاني[8].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الرازي القراءتين معاً، قائلا: «هما لغتان، يقال: حزنني كذا، وأحزنني كذا»[9]، وقال سيبويه قالوا: «حزن الرجل وحزنته، وزعم الخليل أنّك حيث قلت حزنته لم ترد أن

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع أحكام القرآن، (٤١٦/٦).

(٢) تفسير المشكل ص(١٦٠).

(٣) فاطر، الآية (٨).

(٤) المائدة، الآية (٦٨).

(٥) الكهف، الآية (٦).

(٦) الشعراء، الآية (٣).

(٧) هود، الآية (١٢).

(٨) انظر: تفسير الطبري، (١٨٠/٥.١٨٢)، فتح القدير، (١١١/٢.١١٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤١٦/٦.٤١٧)، تفسير أبي السعود، (١٢٦/٣.١٢٧)، التفسير الكبير، (٢٠٣/١٢.٢٠٦).

(٩) التفسير الكبير، (٢٠٤/١٢).

تقول: جعلته حزيناً، كما أنك حيث قالت: أدخلته، أردت جعلته داخلا، ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً، فتقول: حزنته، كما تقول: دهنته، ولم ترد بفعلته ههنا، تغيير قوله: حزن، ولو أردت ذلك لقلت: أحزنته» وقال أبو علي الفارسي: «فعلته جاء في حروف، وفعّلته، واستعمال حزنته أكثر من (أحزنته)، فإلى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء»[1]، وهو بذلك كأنه يرجح قراءة العامة [لَيَحْزُنُكَ] بفتح الياء وضم الزاي.

(٨/٧١) الاختلاف في [لا يُكَذِّبُونَكَ] من قوله عز وجل: [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] الآية (٣٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [لا يُكَذِّبُونَكَ]، فقرأ نافع و الكسائي: [لا يُكْذِبُونَكَ] خفيفه، وقرأ الباقون: [لا يُكَذِّبُونَكَ] مشددة[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيَحْزُنُ فِي الْكُلِّ اضْمُمْ مَعَ ضَمِّ كَسْرِهِ ... يُكَذِّبُونَكَ التَّخْفِيفُ أَتَى رُحْباً وَطِبْ تَأَوُّلاً[3]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [لا يُكَذِّبُونَكَ] لغوياً في النص رقم (٤/٦٧)[4]. وجه من قرأ بالتخفيف؛ أنّه حمله على معنى: لايجدونك كاذباً؛ لأنهم يعرفونك بالصدق، فهو من باب: أحمدت الرجل؛ أي وجدته محموداً، ودلّ على صحة ذلك قوله تعالى: [وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] أي: يجحدون بأنفسهم ما يعلمون صحته يقيناً عياناً عناداً منهم، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «وحجتهم في ذلك قوله عز وجل: [وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ][5]، أي قالوا ما جئت به كذبٌ، إذ لم يقل: وكذّبك قومك وهو الحق، كأنهم قالوا: وهو كذب أخذته عن غيرك، كما قال جل شأنه: [إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ][6]»[7].

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٠/٢).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٢)، كتاب السبعة، ص(٢٥٧)، النشر، (٢٥٨،٢٥٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٧).

(٣) أشار الناظم: بحرف (الألف) من قوله: «أتى» إلى نافع، وبحرف (الراء) من قوله: «رضا» إلى الكسائي، والرّحب: الواسع، و(تأولا): منصوب على التمييز، أي تفسيراً. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(٢٥٦)

(٤) انظر ذلك ص( ).

(٥) الأنعام، الآية (٦٣).

(٦) النحل، الآية (١٠٣).

(٧) انظر: الكشف (٤٣/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٧)، إملاء ما من به الرحمن، (١٢٤/١).

ووجه من قرأ بالتشديد أنه حمله على معنى: فإنهم لا ينسبونك إلى الكذب، كما يقال: فسَّقته وخطَّأته، نسبته إلى الفسق والخطأ، فالمعنى: إنهم لا يقدرون أن ينسبونك إلى الكذب، فيما جئتهم به؛ لأنه في كتبهم، ولأنهم ما كانوا يشكون في صدقه، ولذلك كان يدعى فيهم بالأمين، ولكنهم يكذبون بما جئت به. وذكر ابن زنجلة حجة أخرى فقال: «حجة من قرأ بالتشديد ما رواه اليزيدي عن أبي عمرو: قال: ولقد كذبت رسل من قبلك، ففي قوله: [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا][1]، فتأويل أبي عمرو: فإن الكفار لا يكذبونك جهلا منهم بصدق قولك، بل هم موقنون بأنّك رسول من عند ربهم، ولكنهم يكذبونك قولا»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

ساق ابن أبي طالب قول من قال بتصويب كلتا القراءتين، باعتبار أنهما لغتان، يقال: كَذَب وكذّب. وجاء في مكشل إعراب القرآن: وقد يجوز أن يكون معنى التخفيف والتشديد سواء، كما يُقال: قلّلت وأقللت، وكثّرت وأكثرت بمعنى واحد[4] وهو قول ابن الأنباري أيضاً[5].

ويوافقه شيخ المفسرين الطبري، ويقول: «والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء، ولكل واحدة منهم في الصحة مخرج مفهوم، وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ρ، ويدفعونه عما كان الله تعالى قد خصه به من النبوة، فكان بعضهم يقول: هو شاعر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم يقول: هو مجنون، وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء، ومن تنزيل ربِّ العالمين قولا، وكان بعضهم قد تبين أمره، وعلم صحة نبوته، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسداً له وبغياً».

ثم يقول: «فالقارئ: [فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ] يعني به: أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك، وصدق قولك فيما تقول، يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله، ومن عند الله قولا، وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علماً صحيحاً، مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان منهم من هذه

---

(١) الأنعام، الآية (٣٤).

(٢) انظر: الكشف: (٤٣١،٤٣٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٨). الحجة ابن زنجلة، ص(٢٤٩،٢٤٨).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر: الكشف، (٤٣٠/١)، مشكل إعراب القرآن، (٢٦٥،٢٦٤/١).

(٥) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، (٣٢٠/١).

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ][1] أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوته ρ مع علم منهم به وصحة نبوته».

ثم يقول معلقاً على القراءة الثانية: «وكذلك القارئ [لا يُكْذِبُونَكَ] بالتخفيف يعني: أنهم لا يكذبون رسول الله ρ إلا عناداً أو جهلاً بنبوته وصدق لهجته»[2]، وهو بذلك يؤكد على تصويبه لكلا القراءتين، وأن كل واحدة منهما لها معنى مفهوم وواضح.

ويسوق القرطبي اختيار أبو عبيدة لقراءة من قرأ بالتخفيف، ويقول: «اختار أبو عبيدة قراءة التخفيف، وهي قراءة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وروي عنه أن أبا جهل قال للنبي ρ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله تعالى: ((فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))[3]»، ثم يقول القرطبي: «وقال النحاس: والقول في هذا مذهب أبي عبيدة، واحتجاجه لازم؛ لأن علياً كرم الله وجهه هو الذي روى الحديث، وقد صح عنه أنه قرأ بالتخفيف»[4].

(٩/٧٢) الاختلاف في [فَتَحْنَا] من قوله عز وجل: [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ] الآية (٤٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله تعالى: [فَتَحْنَا]، فقرأ ابن عامر وحده: [فَتَّحْنَا] بالتشديد، وقرأ الباقون: [فَتَحْنَا] بالتخفيف[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

إذا فُتِحَتْ شَدِّدْ لِشَامٍ وَهَهُنا فَتَحْنَا وفي الأعرافِ واقتربَتْ كلا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

الفتْحُ: نقيض الإغلاق، فَتَحه يَفْتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفتَّحه فانْفَتَحَ وتَفَتَّح. قال الجوهري: «فَتَّحَ الأبواب، شدد للكثرة، فتفتحت هي»[1].

---

(١) الآية (٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥/١٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٢٩٩٠).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٤١٦،٤١٧).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٢٠٧)، كتابا السبعة، ص(٢٥٧)، النشر، (٢/٢٥٨)، الإتحاف، ص(٢٠٨).

(٦) أشار الناظم بقوله: «لشامي» إلى ابن عامر، فقد قرأ بتشديد التاء في: [حَتَّى إِذَا فُتِّحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ] الأنبياء (٩٦)، [لَفَتَّحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ] الأعراف (٩٦)، [فَفَتَّحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ] القمر (١١)، وفي هذه السورة فتكون قراءة الباقين بتخفيف التاء في المواضع الأربعة، واتفقوا على تخفيف التاء في قوله: [حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا] المؤمنون (٧٧)، وكلا: فعل ماضي بمعنى حفظ وخففت الهمزة للضرورة. انظر: المتن، ص (٥١)، الوافي، ص(٥٧).

وجه قراءة ابن عامر [فَتَّحْنَا] بالتشديد؛ أي: مرة بعد مرة، وحجته قوله تعالى: [أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]، فذكَّر الأبواب، ومع الأبواب تشديد، كما قال: [مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ][2] قال أبو منصور: «وذلك لتكثير الأبواب».

ومن خفف؛ فلأن التخفيف يصلح للتقليل وللكثير، قال أبو منصور: «وذلك لأن الفعل واحد»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية في تمام القصة الأولى التي تبين أن الله سبحانه أخذهم أو لا بالبأساء والضراء لكي يتضرعوا، ثم بين سبحانه في هذه الآية أنهم لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتح عليهم أبواب كل شيء، ونقلهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعم، فقال: [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ] أي تركوا ما ذكروا به أو أعرضوا عما ذكروا به؛ لأن النسيان لو كان على حقيقته لم يؤاخذوا به، إذ هو ليس من فعلهم، والمعنى: أنهم لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من البأساء والضراء، وأعرضوا عن ذلك [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ] أي: أرسلنا عليهم من فنون النّعْماء على منهاج الاستدراج، أي: استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم.

[حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا] من الخير على أنواعه فرح بطر أو شر، وأعجبوا بذلك، وظنوا أنهم إنما أعطوا لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً وصواباً [أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً] أي: نزل بهم عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقعاً، وأفظع هولاً، والبغتة: الأخذ على غرة من غير تقدمه أمارة، وهي مصدر في موضع الحال لا يقاس عليها عند سيبويه.

[فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ] متحسرون غاية الحسرة، آيسون من كل خير واجمون، وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة: قال الشوكاني: «المُبْلِس: الحزين الآيس من الخير، لشدة ما نزل به من سوء الحال، ومن ذلك اشتق اسم إبليس، يُقال: أبلس الرجل: إذا سكت، وأبلست الناقة: إذا لم ترع»[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: لسان العرب، (٥٣٧،٥٣٦/٢)، مختار الصحاح، ص(٤٨٩)، المصباح المنير، (٤٦١/١).

(٢) ص، الآية (٥٠).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(٢٥١،٢٥٠)، كتاب معاني القراءات، ص(١٥٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري،، (١٩٥،١٩٣/٥)، فتح القدير، (١١٦،١١٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٢٧،٤٢٦/٦)، تفسير أبي السعود، (١٣٤،١٣٣/٣)، التفسير الكبير، (٢٢٦،٢٢٥/١٢).

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «التخفيف والتشديد، لغتان، غير أن التشديد فيه معنى التكثير والتكرير» ثم يقول: «و التخفيف الاختيار؛ للإجماع عليه»[1]. ويوافقه أبو منصور في الرأي ثم يقول بعد توجيهه لكلتا القراءتين: «وكل ذلك جائز، والتخفيف أكثر في القراءة»[2].

(١٠/٧٣) الاختلاف في [الْغَدَاةِ] من قوله عز وجل: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ] الآية (٥٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [الْغَدَاةِ]، فقرأ ابن عامر وحده: [بِالْغُدْوَةِ] بالواو، وقرأ الباقون: [بِالْغَدَاةِ] بألف[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبالغُدْوَةِ الشَّامِيُّ بالضَّمِّ هنا ... وعن ألِفٍ واوٌ وفي الكهف وَصَّلا[4]

ثانياً: توجيه القراءات:

الغُدْوة: بالضم البُكْرَة ما بين صلاة الغَداة وطُلوع الشمس، وجمعها غُدًى: مثل مُدْيَة ومُدًى، والغداة كالغُدوة، وجمعها غَدَوات. قال ابن الانباري: «وهي مؤنثة ولم يسمع تذكيرها، ولو حملها حامل على معنى أوّل النهار جاز له التذكير»[5].

وجه قراءة ابن عامر؛ أنه وجده في المصحف بالواو فقرأ ذلك إتباعاً للخط، قال ابن زنجلة: «فإن قيل لِمَ أدخل الألف واللام على المعرفة؟ فالجواب: أن العرب تُدخل الألف واللام على المعرفة إذا جاورتها فيه الألف و اللام، ليزدوج الكلام»، ويوافقه أبو منصور ويقول معقباً: «وعلى هذا المعنى وُجِّه قراءة ابن عامر»، بينما يرى ابن أبي طالب أن وجه قراءة ابن عامر: أن بعض العرب يُنَكِّر غُدْوَة فيصرفها في النكرة، فلمّا وجدها تُنَكَّر أدخل عليها الألف واللام للتعريف، إتباعاً للخط[6].

---

(١) الكشف، (٤٣٢/١).

(٢) كتاب معاني القرآن، ص(١٥٣).

(٣) انظر: الكتاب التيسير، (١٠٢)، كتاب السبعة، ص(٢٥٨)، النشر، (٢٥٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٨)،.

(٤) أشار الناظم بقوله: «لشامي» إلى ابن عامر، فقد قرأ هنا، وفي الكهف في قوله: [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ] الآية (٢٨) بالواو، ومعنى قوله: «وصلا»، أن الشامي أتبع موضع الكهف بموضع الأنعام فقرأ مثل قراءته. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(٢٥٨).

(٥) انظر: لسان العرب، (١١٦/١٥)، مختار الصحاح، ص(٤٦٩،٤٧٠)، المصباح المنير، (٤٤٣/١).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٥١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٥٥)، الكشف، (٤٣٢/١).

ووجه قراءة الباقين: [غَدَاةِ] بالألف؛ أنه حذا الفاظ العرب وما تستعمله في خطابها، إذا قالوا: جئتك بالغَداة والعَشيِّ وإنما كان ذلك الاختيار؛ لأن قولهم: [غَدَاةِ] نكرة، فإذ عُرِّفت بالألف واللام جاءت مطابقة لقوله: [وَالْعَشِيِّ] ، فاتفقا في التعريف بالألف واللام. وقال سيبويه: «غدوة وبكرة، جعل كل واحد منهما اسماً للحين، يعني معرفة»(1).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول اله ρ في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، كما جاء في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ρ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ρ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ρ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ))(2).

واختلف أهل التأويل في الدعاء الذي كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه ρ عن طردهم يدعون ربهم به على عدة أقوال، فقال الطبري: «ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فينعمون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشيء دون شيء، والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده، والثناء عليه قولاً وكلاماً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح والأعمال التي كان عليهم فرضها، وغيرها من النوافل».

قوله: [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] أي: طاعته والإخلاص فيها، أي: يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره، قوله: [مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] هذا من تمام الاعتراض؛ أي: من جزائهم ولا كفاية أرزاقهم؛ أي أن جزائهم ورزقهم على الله، وجزاؤك ورزقك على الله لا على غيره، و[مِنْ] الأولى للتبعيض، والثانية زائدة للتوكيد، وكذا: [مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] والمعنى: وإذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدِّين والفضل، فإن فعلت كنت ظالماً، وحاشاه من وقوع ذلك منه، وإنما هذا بيان للأحكام، ولئلا يقع مثل ذلك من غيره من أهل الإسلام، وهذا مثل قوله: [لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ](3)، وقد علم الله منه أنه لا يشرك ولا يحبط عمله، ثم قال: [فَتَطْرُدَهُمْ] جواب النفي، [فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ] نصب بالفاء في جواب النهي، والمعني: ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين ومن حسابك عليهم من شيء فتطردهم، على التقديم والتأخير، والظُّلم: أصله وضع الشيء في غير موضعه(4).

---

(1) البيان في إعراب غريب القرآن، (1/321)، الحجة: ابن خالويه، ص(140)، الكشف، (1/422).

(2) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، (4/127).

(3) الزمر، الآية (65).

(4) انظر: تفسير الطبري، (5/200.206)، فتح القدير، (2/119)، الجامع لأحكام القرآن، (6/433.434)، تفسير أبي السعود، (3/138.139)، التفسير الكبير، (12/333.337).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب القراءة بالألف قائلا: «الاختيار القراءة بالألف؛ لأنها نكرة بإجماع، لم يستعمل احد من العرب في (غداة) التعريف، فوجب دخول الألف واللام عليها لتتعرف»[١].

ويوافقه أبو علي الفارسي في الاختيار، ويقول: «والوجه قراءة العامة [غَدَاةِ]؛ لأنها تستعمل نكرة، فأمكن تعريفها بإدخال لام التعريف عليها»[٢]، واستدل الرازي بقول سيبويه في ترجيح قراءة العامة، فقال: «قال سيبويه: «غدوة وبكرة»، جعل كل واحد منهما اسماً للجنس، كما جعلوا (أم حُبَيْن)[٣] اسماً لدابة معروفة»، ويضيف قائلا: «وقال أبو عمرو: لك إذا قلت لقيته يوماً من الأيام غدوة أو بكرة، وأنت تريد المعرفة لم تنون»، ثم يقول الرازي: «فهذه الأشياء تقوي قراءة العامة»[٤].

(١١/٧٤) الاختلاف في [أَنَّهُ] من قوله عز وجل: [وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] الآية (٥٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وكسرها من قوله عز وجل: [أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ] و [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]، فقرأ نافع: [أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ] بفتح الألف و [فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] كسراً، وقرأ عاصم وابن عامر [أَنَّهُ مَنْ] [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] بفتح الألف فيهما، وقرا الباقون: [إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ] [فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] بكسر الألف فيها[٥].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِنَّ بفَتْحٍ عَمَّ نَصْراً وبعدُ كَمْ ... نَمَا يسْتَبِينَ صُحْبَةٌ ذَكَّرُوا وِلا[٦]

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) الكشف (٤٣٢/١).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٧/٢-١٦٨).

(٣) أم حُبَيْن دُوَيبة كالحرباء عظيمة البطن إذا مشت تُطَأطِئ رأسها كثيراً، وترفعه لعظم بطنها، فهي تقع على رأسها وتقوم، وهي دابة على قدر كف الإنسان، انظر: لسان العرب، (١٠٥/١٣-١٠٦).

(٤) التفسير الكبير، (٢٣٥/١٢).

(٥) انظر: كتاب التسير، ص(١٠٢)، كتاب البسعة، ص(٢٥٨)، النشر (٢٥٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٨-٢٠٩).

(٦) أشار الناظم بكلمة (عمّ) إلى نافع وابن عامر، وبحرف (النون) من قوله: «نصراً» إلى عاصم، وبحرف (الكاف) من قوله: «بعدُ كَمْ» إلى ابن عامر، ويتحصل من هذا أن عاصماً وابن عامر يقرآن بفتح الهمزة في الموضعين، وقد أشار الناظم إلى الثانية بقوله: «وبعدكم» وأن نافعاً يقرأ بفتح الهمزة في الموضع الأول، وبكسر ها في الموضع الثاني، وأن الباقين يقرعون بكسرها في الموضعين. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(٢٥٨).

حجة نافع في فتح الألف الأولى من قوله: [أَنَّهُ]، وكسر الألف الثانية من قوله: [فَإِنَّهُ]؛ أنه جعل جواب الشرط [لَن]، واستأنف، كقوله تعالى: [فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ](1)، وكقوله: [وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ](2) قال الزجاج: «من فتح الأولى وكسر الثانية فالمعنى راجع إلى المصدر، وكأنك لم تذكر (إن) الثانية، المعنى: كتب ربكم على نفسه الرحمة، إنه غفور رحيم»(3).

وأما من قرأ بالفتح فيهما فحجته أنه جعل [أَنَّهُ] بدلاً من [الرَّحْمَةَ] على بدل الشيء من الشيء، وهو هو، فأعمل فيها [كَتَبَ]، كأنه قال: كتب ربكم على نفسه [أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ]، ويضيف ابن زنجلة قائلا: «وذلك أن معنى: [غَفُورٌ رَحِيمٌ] المغفرة منه، فيجعل [أَنَّهُ] بدلا من [الرَّحْمَةَ] وتفسيراً عنها، وفتح الألف بعد الفاء من قوله: [فَأَنَّهُ] فعلى أنه أضمر له خبراً تقديره: فله أنه غفور رحيم، أي: فله غفرانه، أو أضمر مبتدأ يكون [أَنَّ] خبره، كأنه، فأمره أنه غفور رحيم»(4).

وحجة من كسرها؛ أنه جعل تمام الكلام في قوله: [عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] ثم ابتدأ بقوله: [إِنَّهُ] وعطف الثانية عليها، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «من قرأ بالكسر فحجته أنه كسرهما على مذهب الحكاية، كأنه لما قال: [عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] قال: [إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]»(5).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قال سبحانه في الآية السابقة: [يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ]، والسَّلام والسَّلامة بمعنى واحد، ومعنى سلام عليكم: سلمكم الله في دينكم وأنفسكم، ونزلت هذه الآية في الذين نهى الله نبيه ρ عن طردهم، فكان ρ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)(6)، فعلى هذا كان السلام من جهة النبي ρ(7).

---

(1) المائدة، الآية (95).

(2) الجن، الآية (23).

(3) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(252،253)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/164).

(4) انظر: الكشف (1/433)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/163).

(5) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(139)، الحجة: ابن زنجلة، ص(253)، الكشف، (1/433).

(6) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (6/435).

(7) قال القرطبي: «وفي هذا دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله، ويستفاد من هذا احترام الصالحين، و اجتناب ما يغضبهم أو يؤذيهم، فإن في ذلك غضب الله، أي: حلول عقابه لمن آذى أحداً من أوليائه». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (6/435).

ثم قال سبحانه: [كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] أي: أوجب سبحانه ذلك بخبره الصدق، ووعده الحق، وذلك بطريق التفضل والإحسان بالذات، لا بتوسط شيء ما أصلا. قوله: [أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ] أي: خطيئة من غير قصد، قال أبو السعود: «والتقييد بذلك؛ للإيذان بأن المؤمن لا يُباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر أو عمله متلبساً بجهالة». ثم قال سبحانه: [ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ] أي: من بعد عمله أو من بعد سفهه، [وَأَصْلَحَ] ما أفسده تداركاً وعزماً على أن لا يعود إليه أبداً، [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] أي: فأمره أنه غفور رحيم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح القرطبي قراءة نافع، بفتح الأولى واستئناف الثانية، فيقول موجهاً هذه القراءة: «فتح الأولى جعلها بدلا من الرحمة، واستئناف الثانية وأنها بعد الفاء»، ثم يقول: «وهي قراءة بينة»(٢).

ويسوق الشوكاني اختيار سيبويه لقراءة ابن عامر وعاصم بفتح [أَنَّ] في الموضعين، على وجه: أن يضمر مبتدأ تكون في (أن) وما عملت فيه خبره، تقديره: فأمره غفران الله له. وأجاز أبوحاتم هذه القراءة على وجه أن يكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر مضمر، كأنه قال: فله أنه غفور رحيم؛ لأن ما بعد الفاء مبتدأ، أي: فله غفران الله(٣).

(١٢/٧٥) الاختلاف في [وَلِتَسْتَبِينَ] من قوله عز وجل: [وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] الآية (٥٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء والرفع والنصب، من قوله عز وجل: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]، فقرأ نافع: [وَلِتَسْتَبِينَ] بالتاء، [سَبِيلَ] نصباً، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: [وَلِيَسْتَبِينَ] بالياء، [سَبِيلُ] رفعاً، وقرأ الباقون: [وَلِتَسْتَبِينَ] بالتاء(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِنَّ بِفَتْحٍ عَمَّ نَصْراً وبعدُ كَمْ ... نَمَا يَسْتَبِينَ صُحْبَةٌ ذَكَّرُوا وَلا

سَبِيلَ بِرَفْعٍ خُذْ ويَقْصِ بِضمِّ سَاكِنٍ ... مع ضَمِّ الْكَسْرِ شَدِّدْ وأَهْمِلا(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٠٩.٢٠٧/٥)، فتح القدير، (١٢٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٦.٤٣٥/٦)، تفسير أبي السعود، (١٤١.١٤٠/٣)، التفسير الكبير، (٥.٢/١٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٦/٦).

(٣) انظر: فتح القدير، (١٢٠/٢).

(٤) أنظر كتاب التيسير، ص(١٠٣)، كتاب السبعة، ص(٢٥٨)، النشر، (٢٥٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٠٩).

(٥) أشار الناظم بكلمة (صحبة) إلى حمزة والكسائي وشعبة، وبحرف (الخاء) من قوله: «خذ» إلى القراء السبعة ما عدا نافعاً، وهم الذين قرءوا [سَبِيلُ] بالرفع، فتكون قراءة نافع بنصبها. انظر: المتن، ص (٥١)، الوافي، ص(٢٥٨).

أولاً: سبق توجيه قوله تعالى: [لِتَسْتَبِينَ] لغوياً في النص رقم (٨/٨)[1].

ثانياً: السَّبيل: الطريق وما وضح منه، يذكر ويؤنث، قال تعالى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي][2] وقال: [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا][3]، قال ابن السِّكِّيت: «والجمع على التأنيث (سُبُولٌ)، كما قالوا: عُنُوقٌ، وعلى التذكير: (سُبُلٌ) و(سُبْلٌ)». يقال للمسافر: ابن السبيل؛ لتلبُّسه به. وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه[4].

وجه قراءة نافع: [لِتَسْتَبِينَ] بالتاء، ونصبه [سَبِيلَ]؛ أنه جعل التاء علامة للخطاب والاستقبال، وأضمر اسم النبي ρ في الفعل، و[سَبِيلَ] مفعول به، قال أبو منصور: «والمعنى ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين، يقال: تَبَيَّنْتُ الأمر والسبيل، واستبنته بمعنىً واحد»[5].

ومن قرأ بالياء والرفع؛ جعل [سَبِيلُ] مذكراً كما قال سبحانه: [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا][6]، إذ قد أضافوا الفعل إليه فرفعوه به؛ ورفع [سَبِيلُ]؛ لأنه فاعل [يَسْتَبِينَ] ولا ضمير فيه. وقال أبو علي الفارسي: «والمعنى: وليستبين سبيلُ المجرمين وسبيلُ المؤمنين، فحذف؛ لان ذكر أحد السبيلين يدل على الآخر، ومثله: [تَقِيكُمُ الْحَرَّ][7] ولم يذكر البرد؛ لدلالة الفحوى عليه»[8].

ووجه قراءة الباقين بالتاء والرفع؛ أنهم جعلوا السبيل فاعل الإستبانة، بمعنى: أن التاء لتأنيث السبيل؛ لأنها مؤنثة، وأنث السبيل كقوله: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي][9]، وقد ذكر السبيل أيضاً في قوله: [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ][10]، ورفع [سَبِيلُ]؛ لأنه فاعل [تَسْتَبِينَ] ولا ضمير فيه[11]، وذلك بالاتفاق في حجة من قرأ بالياء والرفع.

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) يوسف، الآية (١٠٨).

(٣) الأعراف، الآية (١٤٦).

(٤) انظر: لسان العرب، (٣٢٠.٣١٩/١١)، مختار الصحاح، ص(٢٨٥)، المصباح المنير، (٢٦٥/١).

(٥) انظر: كتاب مشكل إعراب القرآن (٢٦٩/١)، الكشف، (٥٣٤/١)، كتاب معاني القرآن، ص(١٥٥.١٥٠).

(٦) الأعراف، الآية (١٤٦).

(٧) النحل، الآية (٨١).

(٨) البيان في إعراب غريب القرآن، (٣٢٤.٣٢٣/١)، الكشف، (٤٣٤.٤٣٣/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٦/٢).

(٩) يوسف، الآية (١٠٨).

(١٠) الأعراف، الآية (١٤٦).

(١١) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٤/٢)، البيان في إعراب غريب القرآن، (٣٢٣/١)، كتاب مشكل إعراب القرآن (٢٦٩/١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ] أي: مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة أهل الطاعة، وأهل الإجرام المصرين منهم والأوابين، والتفصيل: التبيين، الذي تظهر به المعاني[(١)]، والمعنى كما فصّلنا لك في هذه السورة دلائلنا ومحاجتنا مع المشركين، كذلك نفصّل لكم الآيات في كل ما تحتاجون إليه من أمر الدين، ونبين لكم أدلتنا وحججنا في كل حق ينكره أهل الباطل.

وقوله سبحانه: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] قال الكوفيون: هو معطوف على مقدر؛ أي: وكذلك نفصل الآيات؛ لنبين لكم، ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين، وقرئ بالياء.

قال الرازي: «والله في ذكره سبحانه سبيل المجرمين دون أن يذكر معه سبيل المؤمنين؛ وذلك لأن الضدان إذا كانا بحيث لا يحصل بينهما واسطة، فمتى بانت خاصية أحد القسمين، بانت خاصية القسم الآخر، والحق والباطل لا واسطة بينهما، فمتى استبانت طريق المجرمين فقد استبانت طريق المحقين أيضاً لا محالة»[(٢)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة نافع، قائلا: «والاختيار التاء ورفع [سَبِيلُ]، فهو أبين في المعنى، وعليه أكثر القراء»[(٣)]، ويوافقه الطبري في اختيار رفع السبيل ويقول: «وأولى القراءتين بالصواب عندي في [سَبِيلُ]: الرفع؛ لأن الله تعالى ذكر فصّل آياته في كتابه وتنزيله، ليستبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها، لا بعض دون بعض، ومن قرأ [سَبِيلَ] بالنصب؛ فإنما جعل تبين ذلك محصوراً على النبي ρ»[(٤)].

بينما يصوّب ابن زنجلة القراءتين في [سَبِيلُ] بالتأنيث والتذكير، ويقول: «وأعلم أن السبيل يذكر ويؤنث، جاء القرآن بالوجهين، فالتأنيث قوله: [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا][(٥)]، والتذكير قوله: [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا][(٦)]»[(٧)]، ويوافقه الطبري في تصويبه لكلتا القراءتين، في [لِتَسْتَبِينَ] ثم يعلل ذلك بقوله: «لأن من العرب من يذكر السبيل، وهم تميم وأهل نجد، ومنهم من يؤنث السبيل، وهم أهل الحجاز. وهما قراءتان مستفيضان في قرأة

---

(١) تفسير المشكل، ص(١٦١).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٢١٠.٢٠٩/٥)، فتح القدير، (١٢٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٧.٤٣٦/٦)، تفسير أبي السعود، (١٤١/٣)، التفسير الكبير، (٦/١٣).

(٣)الكشف (٤٣٤/١)..

(٤) تفسير الطبري، (٢١٠/٥).

(٥) إبراهيم، الآية (٣).

(٦) الأعراف، الآية (١٤٦).

(٧) الحجة: ابن زنجلة: ص(٢٥٣).

الأمصار، ولغتان مشهورتان من لغات العرب، وليس في قراءة ذلك بإحداهما خلاف لقراءته بالأخرى، ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى، بعد أن يرفع السبيل للعلة التي ذكرنا»[١].

ويقول الرازي: «وقد نطق القرآن بهما»[٢].

(١٣/٧٦) الاختلاف في [يَقُصُّ الْحَقَّ] من قوله عز وجل: [قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] الآية (٥٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الضاد والصاد من قوله عز وجل: [يَقُصُّ]، فقرأ الحرميان وعاصم [يَقُصُّ] بالصاد، وقرأ الباقون [يَقْضي] بالضاد المعجمة، وأصلها أن يتصل بها ياء؛ لأنه فعل مرفوع من القضاء، ولكن الخط بغير ياء، فتكون الياء حذفت لدلالة الكسرة عليها[٣].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

سَبِيلَ بِرَفْعٍ خُذْ وَيَقْصُ بِضَمِّ سَاكِنٍ مَعَ ضَمِّ الْكَسْرِ شَدِّدْ وَأَهْمِلا [٤]

ثانياً: توجيه القراءات:

القَصُّ: فعل القاصّ إذا قصّ القِصَصَ، والقِصَّة معروفة. يُقال: في رأسه قِصَّةٌ يعني الجملة من الكلام ونحوه، ومنه قوله تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ][٥] أي: نبين لك أحسن البيان[٦]. والقاصُّ: الذي يأتي بالقصَّة من فَصِّها. ويقال: قَصَصْتُ الشيء: إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء؛ ومنه قوله: [وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ][٧] أي: اتّبعي أثره[٨].

والقَضَاء: الحكم: وأصله قَضَايٌ؛ لأنه من قَضَيْتُ، إلا أن الياء لما جاءت بعد الإلف همزت، والجمع: الأقضية، والقضية: الاسم. والقضايا: الأحكام، واحدتها قضية، وفي الحديث:

---

(١) التفسير الكبير، (٥/٢١٠).

(٢) التفسير الكبير، (١٣/٦).

(٣) انظر: كتاب التسيير، (١٠٣)، كتاب السبعة، ص(٢٥٩)، النشر، (٢/٢٥٨)، الإتحاف، ص(٢٠٩).

(٤) انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٥٨).

(٥) يوسف، الآية، (٣).

(٦) فتح القدير، (٢/٧٥).

(٧) القصص، الآية (١١).

(٨) فتح القدير، (٣/٢٥).

مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ)[1]، وهو فاعل من القضاء، والفصل والحكم؛ لأنه كان بينه وبين أهل مكة، وأصله: القطع و الفصل، يقال: قَضَى يقضي قضاءً فهو قاضٍ ؛ إذا حكم وفصل[2].

وجه من قرأ بالصاد غير المعجمة: أنه جعله من القَصَص، كقوله: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ][3]، وقوله: [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ][4]، وأضاف ابن خالويه قائلا: «الحجة لمن قرأ بالصاد أنه قال: لو كان ذلك من القضاء لثبت في الفعل الياء علامة بالرفع، واستدل على أنها بالصاد بقوله: [خَيْرُ الْفَاصِلِينَ][5]؛ يريد به القرآن، فكذلك: [الْحَقَّ] يريد به القرآن، فأما احتجاجه بحذف الياء فلا وجه له؛ لأنه قد حذف من السواد ياءان وواوان هُنَّ علامات الرفع لالتقاء الساكنين؛ لأنهن لما ذهبن لفظن، سقطن خطأ». وقال ابن زنجلة: «قال مجاهد: لو كان [يَقْضِي] لكان: [يَقْضِي بِالْحَقِّ]، والعرب تقول: (قضيت بالحق)، قال الله عز وجل: [وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ][6] بإثبات الياء والباء مع القضاء»[7].

ومن قرأ [يَقْضِي] بالضاد المعجمة؛ أنه جعله من القضاء، ودلَّ على ذلك أن بعده: [وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ]، والفصل لا يكون إلا عن قضاء دون قصص، وكان أبو عمرو يعتبر بهذه، وقال: «إنما الفصل في القضاء لا في القصص»، جاء في الكشف: يقوي ذلك أن في قراءة ابن مسعود [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله يَقْضِي بِالْحَقِّ]، فدخول الياء يؤكد معنى القضاء[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه في الآية المتقدمة ما يدل على أنه يفصل الآيات؛ ليظهر الحق وليستبين سبيل المجرمين، ذكر في الآية التالية لها أنه تعالى نهى عن سلوك سبيلهم، فقال: [قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] وبين أن الذين يعبدونها إنما يعبدونها بناء على محض الهوى والتقليد، لا على سبيل الحجة والدليل؛ لأنها جمادات وأحجار، وهي أخس مرتبة

---

(١) نص الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في الرضاء بالقضاء، حديث رقم (٢٠٧٧).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٨٨.١٨٦/٥)، (٧٨.٧٣/٧)، مختار الصحاح، ص(٣٥٨.٣٥٧) وص(٥٤١.٥٤٠)، المصباح المنير، (٥٠٧.٥٠٥/٢).

(٣) يوسف، الآية (١٣).

(٤) آل عمران، الآية (٦٢).

(٥) الأعراف، الآية (١٥).

(٦) غافر، الآية (٢٠).

(٧) انظر: الكشف، (٤٣٤/١)، الحجة، ابن خالويه، ص(١٤١)، الحجة ابن زنجلة، ص(٢٥٤).

(٨) انظر: الكشف (٤٣٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٥٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٧/٢).

من الإنسان بكثير، وكون الأشرف مشتغلا بعبادة الأخس أمر يدفعه بالعقل، وأيضاً أن القوم كانوا ينحتون تلك الأصنام ويركّبونها، ومن المعلوم بالبديهة أنه يقبح من هذا العامل الصانع أن يعبد معموله ومصنوعه، فثبت أن عبادتها مبنية على الهوى، ومضادة للهدى، وهذا هو المراد من قوله: [قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا] ثم قال: [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] أي: إن اتبعت أهوائكم فأنا ضال، وما أنا من المهتدين في شيء، ولما نفى أن يكون الهوى متبعاً، نبه على ما يجب إتباعه بقوله: [إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي]، والبينة: الحجة والبرهان؛ أي: إني على برهان من ربي ويقين، لا على هوى وشك، أمره سبحانه بأن يبين لهم أن ما هو عليه من عبادة ربه هو عن حجة برهانية يقينية، لا كما هم عليه من إتباع الشُّبه الداحضة، والشكوك الفاسدة التي لا مستند لها إلا مجرد الأهدية الباطلة.

قال أبو السعود: «وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ρ؛ من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى»، وقوله: [وَكَذَّبْتُمْ بِهِ] أي: بالبينة؛ لانها في معنى البيان، قوله: [مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] أخبرهم بأنه لم يكن عنده ما يتعجلونه من العذاب، فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزاء نحو قولهم: [أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا](١) [وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ](٢).

قال الجكني: «أمر الله نبيه ρ، بأنه لو كان عنده لعجله عليهم بقوله: [قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ](٣)، وبين في مواضع أخر أنهم ما حملهم على استعجال العذاب إلى الكفر والتكذيب، وأنهم إن عاينوا ذلك العذاب علموا أنه عظيم هائل لا يستعجل به إلا جاهل مثلهم كقوله: [وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ..](٤) وبين في موضع آخر أنه لو لا أن الله حدد لهم أجلا لا يأتيهم العذاب قبله لعجله عليهم، وهو قوله: [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ](٥)»(٦).

ثم قال سبحانه: [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ] أي: ما الحكم في كل شيء إلا لله سبحانه، ومن جملة ذلك ما تستعجلون به من العذاب، أو الآيات المقترحة، والمراد: الحكم الفاصل بين الحق والباطل، وقوله: [يَقُصُّ الْحَقَّ] أي: يقص القصص الحق، أو يقصّ أثره: أي: يتبع الحق فيما

---

(١) الإسراء، الآية (٩٢).

(٢) الأنفال، الآية (٣٢).

(٣) الأنعام، الآية (٥٨).

(٤) هود، الآية (٨).

(٥) العنكبوت، الآية (٥٣).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/١٩٣،١٩٤).

يحكم به، وقرئ [يَقْضِ ي] بالضاد المعجمة والياء، من القضاء: أي: يقضي القضاء بين عباده، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] أي: بين الحق والباطل مما يقضي به بين عباده ويفصله لهم في كتابه[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب القراءة بالصاد غير معجمة، وعلل ذلك بقوله: «لإتفاق الحرميين وعاصم على ذلك، ولأنه لو كان من القضاء للزمت الياء فيه، كما أتت في قراءة ابن مسعود: [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي بِالْحَقِّ]»،ثم يقول مبيناً ضعف توجيه القراءة بالضاد المعجمة عندما احتجوا بقراءة ابن مسعود، «لا يوقف عليه في هذه القراءة؛ لأن أصله الياء، فإن وقعت بالياء على الأصل، خالفت الخط، وإن وقعت بغير يا خالفت الأصل»[2].

وهو ما يراه أبو علي الفارسي أيضاً، فيقول: «وأما ما احتج به من قرأ [يَقْضِ ي] من قوله: [وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] في أن الفصل في الحكم لا في القول، فإنهم قالوا: قد جاء الفصل في القول أيضاً في نحو قوله: [إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ][3] وقال: [أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ][4] فقد حمل الفصل على القول، واستعمل معه كما جاء مع القصص في قوله: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ][5] فقد ذكر في القصص أنه تفصيل»، ثم يقول: «فأما الحق في قوله: [يَقْضِ الْحَقَّ] فيحتمل أمرين: يجوز أن يكون صفة مصدرٍ محذوف، يقضي القضاء الحق، أو يقصُّ القصَصَ الحقَّ. ويجوز أن تكون مفعولا به مثل: يفعل الحقَّ»[6].

ويسوق القرطبي رد النحاس على ابن أبي طالب فيقول: «قال النحاس: وهذا الاحتجاج لا يلزم؛ لأن مثل هذه الياء تحذف كثيراً، و لأن معنى [يَقْضِ ي] يأتي وصنع، فالمعنى: يأتي الحق، ويجوز أن يكون المعنى: يقضي القضاء الحق»[7].

وبينما يرجح الطبري قراءة الضاد المعجمة قائلا: «وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب، لما ذكرنا من أن علة ذلك قوله: [وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ]، وأن الفصل بين المختلفين

---

(١) أنظر تفسير الطبري، (٢١٢.٢١١/٥)، فتح القدير، (١٢٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٩.٤٣٨/٦)، تفسير أبي السعود، (١٤٢.١٤١/٣)، التفسير الكبير، (٨.٦/١٣).

(٢) الكشف، (٤٣٤/١).

(٣) الطارق، الآية (١٣).

(٤) هود، الآية (١).

(٥) يوسف، الآية (١١١).

(٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٧/٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٩/٦).

يكون بالقضاء لا بالقصص»(1). ويوافقه ابن الأنباري في الاختيار ويقول: «قوله: [يَقْضِ الْحَقَّ] يقرأ بالضاد من القضاء، وبالصاد من القصص، والأول أشبه بخاتمة الآية»(2).

(14/77) الاختلاف في [تَوَفَّتْهُ] من قوله عز وجل: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ] الآية (61).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الألف والتاء من قوله عز وجل: [تَوَفَّتْهُ]، فقرأ حمزة وحده: [تَوَفَّاهُ] بالألف، وقرأ الباقون: [تَوَفَّتْهُ] بالتاء(3).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نَعَمْ دُونَ إِلْبَاسٍ وَذَكِّرْ مُضْجِعاً ... تَوَفَّاهُ وَاسْتَهْوَاهُ حَمْزَةُ مُنْسِلا(4)

ثانياً: توجيه القراءات:

الوفاة في اللغة: والوَفَاة: الموت، وتُوُفِّيَ فلانٌ وتوفّاه الله: إذا قبض نَفْسَه. وقيل المعنى: تَوَفَّى الميت، استيفاء مدته التي وُفِّيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا(5).

وجه من قرأ [تَوَفَّتْهُ] بالتاء لتأنيث الرسل، كقوله: [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ](6)، وقوله: [إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ](7)، وأضاف ابن الأنباري قائلا: «ومن قرأ [تَوَفَّتْهُ] بالتأنيث، فالتأنيث؛ على تقدير جماعة رسلنا» ثم يقول موجهاً قراءة حمزة: «والتذكير على تقدير جمع رسلنا، كقولك: قامت الرجال وقام الرجال»، وقال أبو علي الفارسي: «حجة حمزة؛ أنه فعل متقدم مسندٌ إلى مؤنث غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل قوله: [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ](8) وما أشبه ذلك مما تأنيثه تأنيث الجمع»(9).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(1) تفسير الطبري، (5/211 . 212).

(2) إملاء ما من به الرحمن، (1/137).

(3) انظر: كتاب التيسير، ص (103)، كتاب السبعة، ص (259)، النشر، (2/258)، الإتحاف، ص(209).

(4) قوله: «مُنْسِلا»؛ مأخوذ من انسلت القوم؛ بمعنى: تقدمه، وفيه إشادة بالإمام حمزة وتقدمه على أترابه في عصره، انظر: المتن، ص(51)، الوافي، ص(178).

(5) انظر: لسان العرب، (15/400)، مختار الصحاح، ص (731)، المصباح المنير، (2/667).

(6) الأنعام، الآية (34).

(7) فصلت، الآية (14).

(8) يوسف، الآية (30).

(9) انظر: الكشف (1/435)، البيان في غريب إعراب القرآن، (1/325)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/168).

بين الله سبحانه أنواعاً من الأدلة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته، فقال: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ][1]، ثم بين سبحانه نوعاً أخر فقال: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ][2] يعني فوقيه المكانة، والرتبة لا فوقية المكان والجهة، قوله: [وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] أي: من الملائكة، والإرسال حقيقته إطلاق الشيء بما حمل من الرسالة، فإرسال الملائكة بما حملوا من الحفظ الذي أمروا به، كما قال: [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ][3]؛ أي: ملائكته تحفظ أعمال العباد وتحفظهم من الآفات، والحفظة: جمع حافظ، مثل الكتبة والكاتب، وتعلق [عَلَيْكُمْ] بـ[يُرْسِلُ] لما فيه من معنى الاستيلاء، وتقديمه على [حَفَظَةً] ليفيد العناية بشأنه وأنه أمرٌ حقيقي بذلك.

قوله: [حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] يريد مقدماته وأسبابه، قوله: [تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا] الآخرون المفوض إليهم ذلك، وهم ملك الموت و أعوانه، وانتهى هناك حفظ الحفظة، وقرئ: [تَوَفَّاهُ] ماضياً ومضارعاً بطرح أحدى التاءين، ثم قال سبحانه: [وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ] أي: لا يضيعون و لا يقصرون، أي: يطيعون أمر الله سبحانه، وهذا يدل على أن ملائكة العذاب لا يقصرون في تلك التكاليف، وكل من أثبت عصمة الملائكة في هذه الآية، أثبت عصمتهم على الإطلاق، فدلت هذه الآية على ثبوت عصمة الملائكة على الإطلاق[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلا: «إذا تقدم فعل الجماعة، فأنت مخير في تذكير الفعل أو تأنيثه»[5]، وهو ما يراه ابن الأنباري أيضا فيقول: «لك في كل جماعة تذكير فعلها أو تأنيثها، فالتذكير على معنى الجمع، والتأنيث على معنى الجماعة»[6].

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة حمزة بالألف، ويعلل ذلك بقوله: «وهو الأكثر، وهو الاختيار»[7].

(١٥/٧٨) الاختلاف في [يُنَجِّيكُمْ] من قوله عز وجل: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ] الآيتان (٦٣.٦٤).

---

(١) الأنعام، الآيتان (٥٩.٦٠).

(٢) الأنعام، الآية (١٨).

(٣) الإنفطار، الآية (١٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢١٦/٥.٢١٨)، فتح القدير، (١٢٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٦/٧.٧)، تفسير أبي السعود، (١٤٤/٣ . ١٤٥)، التفسير الكبير، (١٣/١٣. ١٧).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص (١٥٦).

(٦) البيان في إعراب غريب إعراب القرآن، (٣٢٥/١).

(٧) الكشف، (٤٣٥/١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ]، فقرأ الكوفيين وهشام: [يُنَجِّيكُمْ]، مشدداً، وقرأ الباقون: [يُنْجِيكُمْ] مخففاً [1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

قُلِ اللهُ يُنْجِيكُمْ يُثَقِّلُ مَعْهُمْ   هِشَامٌ وَشَامٍ يُنْسِيَنَّكَ ثَقَّلا [2]

ثانياً: توجيه القراءات:

النَّجاءُ: الخلاص من الشيء، يُقال: نَجا يَنْجو نجواً ونجاءً، ممدود، ونجاةً، مقصور، والاسم (النَّجاة) بالمد، وقد يقصر فهو (ناجٍ)، والمرأة (ناجية)، وبها سُمِّيت قبيلة من العرب [3] ويتعدّى بالهمز والتضعيف، فيقال: (أَنْجَيْتُه) و(نَجَّيْتُه) [4].

وجه من قرأ: [يُنَجِّيكُمْ] بالتشديد أنه أخذه من نجى يُنجِّي، وهو علامة لتكرير الفعل، ومداومته، وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «حجة من قرأ بالتشديد قوله: [وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [5]».

ومن قرأ بالتخفيف فحجته أنه أخذه من أنجى يُنجي، وقال ابن زنجلة: «حجته قوله: [لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ] [6]، ولم يقل (نجَّيتنا)» [7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] أحد الأنواع الدالة على كمال القدرة الإلهية، وكمال الرحمة والفضل والإحسان؛ أي: قل تقريراً لهم بإنحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية من التحكم بشدائدها الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول، وجمع [ظُلُمَاتِ] على أنه يعنى ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغَيم؛ أي: إذا أخطأتم الطريق وخفتم الهلاك دعوتموه: [لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ] أي: من هذه الشدائد التي عبر عنها بالظلمات، وقرئ: [لَئِنْ أَنْجَانَا] مراعاة لقوله: [تَدْعُونَهُ]، وقوله: [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]؛ أي: الراسخين في الشكر المداومين عليه، لأجل هذه النعمة، أو أجمع النعماء التي من جملتها هذه.

---

(1) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٣)، كتاب السبعة، ص(٢٥٩.٢٥٨)، النشر، (٢/٢٥٩)، الإتحاف، ص(٢١٠).

(2) قيد الناظم [يُنَجِّيكُمْ] بوقوعه بعد [قُلْ]. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٧٨).

(3) وهي قبيلة ناجٍ بن يشكر: بطن من عدوان، ينسب إليهم علماء ورواد. معجم قبائل العرب، (٣/١١٦٥).

(4) انظر: لسان العرب، (٥/٣٠٤ . ٣٠٥)، مختار الصحاح، ص (٦٤٨)، المصباح المنير، (٢/٥٩٥).

(5) فصلت، الآية (١٨).

(6) يونس، الآية (٢٢).

(7) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤١)، الكشف (١/٤٣٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٦٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٥٥).

ثم أمر سبحانه وتعالى نبيه الله بأن يقول لهم: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ] والضمير في [مِنْهَا] راجع إلى الظلمات، والكرب: الغم، والمعنى: قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة، الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البر والبحر من همِّ الضلال وخوف الهلاك، لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته. وقوله: [ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ] تقريع وتوبيخ؛ لأن الحجة إذا قامت بهد المعرفة وجب الإخلاص، وهم قد جعلوا بدلا منه وهو الإشراك، فحق أن يُفزعوا ويوبَّخوا على هذه الجهة، وإن كانوا مشركين قبل النجاة[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي القراءتين معاً قائلا بعد توجيهه لكلتا القراءتين: «إذا جاء التنزيل باللغتين جميعاً بينَّت من ذلك استواء القراءتين في الحُسن»[2]، ويوافقه ابن أبي طالب في تصويبه لكلتا القراءتين، باعتبار أن أصل الفعل (نجا)، ثم ينقل للتعدية بالهمز إلى التشديد فالهمزة فيه كالتشديد في تعديته، وكل واحد يقوم مقام الآخر في التعدي إلى مفعوله، ثم يقول: «واللغتان في القرآن إجماع، قال تعالى: [فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ][3]، وقال: [فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ][4]، وهما في القرآن كثير، فالقراءتان متعادلتان»، ثم يقول مستثنياً: «غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل، على معنى: نجاة بعد نجاة»[5].

ويسوق الرازي اختيار الواحدي موافقاً بذلك قول ابن أبي طالب، فيقول: «قال الواحدي: والتشديد والتخفيف لغتان منقولتان من (نجا)، فإن شئت نقلت بالهمزة، وإن شئت نقلت بتضعيف العين؛ مثل: أفرحته وفرحته، وفي القرآن: [فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ][6]، وفي آية أخرى: [وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا][7]، ولما جاء التنزيل باللغتين معاً ظهرا استواء القراءتين في الحسن»، ثم يقول: «غير أن الاختيار التشديد؛ لأن ذلك من الله كان غير مرَّة»[8].

(١٦/٧٩) الاختلاف في [وَخُفْيَةً] من قوله عز وجل: [قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] الآية (٦٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢١٨/٥ . ٢١٩)، فتح القدير، (١٢٤/٢. ١٢٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٩.٨/٧)، تفسير أبي السعود، (١٤٥/٣)، التفسير الكبير، (٢٠/١٣ . ٢١).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٩/٢).

(٣) العنكبوت، الآية (٢٤).

(٤) يونس، الآية (٧٢).

(٥) الكشف، (٤٣٥/١ . ٤٣٦).

(٦) الأعراف، الآية (٦٤).

(٧) فصلت، الآية (١٨).

(٨) التفسير الكبير، (٢٠/١٣).

اختلفوا في كسر الخاء وضمها من قوله عز وجل: [خُفْيَةً]، فقرأ أبو بكر: [خِفْيَةً] بكسر الخاء[1]، وقرأ الباقون: [خُفْيَةً] بضم الخاء[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

معاً خُفْيَةً في ضَمِّهِ كَسْرُ شُعْبَةٍ وأنجيتَ لِلْكُوفِيِّ أنجي تَحَوَّلا[3]

ثانياً: توجيه القراءات:

خَفِيَ الشَّيءُ يَخْفَى خَفَاءً بالفتح والمد: استتر. أو ظهر فهو من الأضداد[4]، وبعضهم يجعل حرف الصِّلة فارقاً فيقول (خَفِيَ) عليه إذا استتر، و(خَفَى) له: إذا ظهر، وفي التنزيل [وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ][5]، وفي التنزيل: [إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا][6] أي: استرها وأواريها[7].

وقال ابن مكي الصقلي: «خَفَيت الشيء: أظهرته، وأخفيته: كتمته، بمعنى: أنه جعل التعدية بالهمزة فارقاً، ويتعدى بالحركة أيضاً، فيقال: خَفَيْتُه، (أَخْفيته)، من باب رمى»[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[9].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معا قائلا: «هما لغتان مشهورتان»[10]، ويقول ابن زنجلة أيضاً: «هما لغتان مثل: رِشْوة ورُشْوة؛ من أخفيت الشيء إذا سترته»[11]، ويوافقهما

(1) ومثله في الأعراف في قوله: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] الآية (55).

(2) أنظر كتاب التيسير، ص (103)، كتاب السبعة، ص(259)، النشر، (2/259)، الإتحاف، ص (210).

(3) انظر: المتن، ص(51)، الوافي، ص(178).

(4) الأضداد في اللغة، ص(80-83).

(5) البقرة، الآية (284).

(6) طه، الآية (15).

(7) فتح القدير، (3/67).

(8) انظر: لسان العرب، (14/234-235)، مختار الصحاح، ص(183)، المصباح المنير، (1/176).

(9) انظر ذلك ص( ).

(10) الكشف، (1/435).

(11) الحجة: ابن زنجلة، ص(255).

القرطبي في تصويب كلتا القراءتين، قائلا: «هما لغتان»[1]، بينما يقول أبو منصور الأزهري بعد تصويب كلتا القراءتين: «الضم أجودهما، ومعناهما: ضد الجهر»[2].

(١٧/٨٠) الاختلاف في [أَنجَانَا] من قوله عز وجل: [قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] الآية (٦٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الألف والتاء من قوله عز وجل [أَنجَانَا]، فقرأ الكوفيين [أَنجَانَا] بالألف، وقرأ الباقون: [أَنجَيْتَنَا] بالتاء[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

معاً خُفْيَةً في ضَمِّهِ كَسْرُ شُعْبَةٍ ... وأنجيتَ للكُوفِي أَنجي تَحَوَّلا [4]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله [أَنجَانَا] لغوياً في النص رقم (١٥/٧٨)[5]. وجه من قرأ [أَنجَانَا]؛ أنه حمله على الغيبة، وذلك قوله: [تَدْعُونَهُ لَّئِنْ أَنجَانَا]، وكذلك ما قبله وبعده: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم][6]، [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ][7]، فهذه كلها اسماء غيبة، وفيها إخبار عن فعله سبحانه، وقال ابن خالويه: «لأنه عز وجل غائب عن الأبصار، وإن كان شاهداً للجهر والأسرار» وقال ابن زنجلة: «حجتهم أنها في مصاحفهم بغير تاء»[8].

ووجه من قرأ [أَنجَيْتَنَا] بالتاء؛ أنه أتى بدليل الخطاب سائلا الله عز وجل، ضارعاً إليه، أي: لئن أنجيتنا يا ربنا، وقال ابن زنجلة: «وحجتهم قوله في يونس: [لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ][9]، وهذا مجمع عليه، فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما اجمعوا عليه»[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٨/٧).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٥٦.١٥٧).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٣)، كتاب السبعة، ص(٢٥٩.٢٦٠)، النشر، (٢/٢٥٩)، الإتحاف، ص(٢١٠).

(٤) معنى قوله: «وأنجيت للكوفي» أن لفظ أنجيت في قوله: [أَنجَيْتَنَا] تحول في قراءة الكوفيين إلى (أنجى)، فالكوفيون يقرؤون: [أَنجَانَا]، وغيرهم يقرؤون: [أَنجَيْتَنَا]، وقد لفظ الناظم بكلتا القراءتين. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٧٨).

(٥) انظر ذلك ص (   ).

(٦) الأنعام، الآية (٥٢).

(٧) الأنعام، الآية (٦٥).

(٨) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٦٩)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٥٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٥٦).

(٩) يونس، الآية (٢٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص رقم (١٥/٧٨)(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ: [أنجانا] بالألف، قائلا: «[أنجانا] أولى من [أنجيتنا] لكونه على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة»(٣)، ويوافقه الرازي في الاختيار ويعلل ذلك بأن ما قبل هذا اللفظ وما بعده مذكور بلفظ الغيبة، فأما ما قبله فقوله: [تدعونه]، وأما ما بعده فقوله: [قل الله ينجيكم منها]، ثم يقول: «وأيضاً القراءة بالفظ الخطاب توجب الإضمار، والتقدير: يقولون: لئن أنجيتنا، والإضمار خلاف الأصل»(٤).

بينما يختار ابن أبي طالب القراءة الثانية: [أنجيتنا] على المخاطبة، ويعلل ذلك بقوله: «هوا أبلغ في الدعاء، والابتهال والسؤال، وهو الاختيار؛ لأن الأكثر من القراء عليه»(٥).

(١٨/٨١) الاختلاف في [ينسينك] من قوله عز وجل: [وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين] الآية (٦٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تخفيف السين وتشديدها في قوله عز وجل: [ينسينك]، فقرأ ابن عامر وحده: [ينسّينك] بتشديد السين، وقرأ الباقون: [ينسينك] بالتخفيف(٦).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

قُلِ اللهُ يُنْجِيكُمْ يُثَقِّلُ مَعْهُمُ ... هِشَامٌ وَشَامٍ يُنْسِيَنَّكَ ثَقَّلا (٧)

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٥٥)، الحجة أبو علي الفارسي، (١٧٠/٢).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٦٩/٢).

(٤) التفسير الكبير، (٢١/١٣).

(٥) الكشف، (٤٣٥/١).

(٦) انظر: كتاب التيسير، (١٠٣)، كتاب السبعة، ص (٢٦٠)، النشر، (٢٥٩/٢)، الإتحاف ص (٢١٠).

(٧) النون التي تفتح في قراءة الشامي وتسكن في قراءة غيره هي النون الأولى. انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٧٨).

النِّسيان بكسر النون ضد الذِّكر والحفظ. يقال: نسيته نسياناً ونسوةً ونساوةً ونساوة، والنسيان: أيضاً الترك، قال تعالى: [فَنَسِيَهُمْ](1)، فالأول ترك الشيء على غفلة وذهول، ذلك خلاف الذكر له، والثاني الترك على عَمْد، فهو من الأضداد(2).

وجه قراءة ابن عامر ما جاء في الحديث: «بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّيَ»(3)، وقال أبو علي الفارسي: «وجه قول ابن عامر أنك تقول: نسيت الشيء، فإذا أردت أن غيرك أنساكه جاز أن تنقل الفعل بتضعيف العين كما تنقله بالهمزة، وعلى هذا قالوا: غَرِمته وأغرمته، ففَعَّل وأفعل يجري كل واحد منهما مجرى الآخر، وفي التنزيل: [فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا](4)»(5).

وأما من قرأ بالتخفيف؛ فحجته قوله: [إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ](6) فجاء في التنزيل على أَفْعَل ولم يقل: فَنَسَّاه. وأضاف ابن خالويه قائلا: «الحجة لمن خفف أنه قال: هما لغتان، يقال: نساه وأنساه، تستعمل إحداهما مكان الأخرى، واستدل بقوله: [نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ](7)، يريد: والله أعلم تركوا الله في الطاعة، فتركهم من الثواب»(8).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة حقيقة من كفر العذاب الموعود، أو بالقرآن المجيد الناطق بمجيئه، فإنه لا يجب على الرسول ρ أن يلازمهم وأن يكون حفيظاً عليهم، ثم بين سبحانه في هذه الآية أن أولئك المكذبين إن ضموا إلى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول ρ، فإنه يجب الاحتراز عن مقارنتهم، وترك مجالستهم، فقال تعالى: [الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]، والخطاب للنبي ρ، أو لكل من يصلح له، والخوض: أصله في الماء ثم استعمل في غمران الأشياء التي هي مجاهل؛ تشبيهاً بغمرات الماء، فاستعير من المحسوس للمعقول، والمعنى: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث

---

(1) التوبة، الآية (67).

(2) انظر: لسان العرب، (15/322. 323)، مختار الصحاح، ص(658)، المصباح المنير، (2/604)، الأضداد في اللغة، ص(349 . 350).

(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا وقوله: [سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى]، حديث رقم (4651).

(4) الطارق، الآية (17).

(5) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (256)، الحجة: ابن خالويه، ص (142)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/170).

(6) الكهف، الآية (17).

(7) التوبة، الآية (67).

(8) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (2/170)، الحجة: ابن زنجلة، ص (256)، الحجة: ابن خالويه، ص(142).

مغاير له، فهو أمر منه سبحانه لنبيه ρ بالإعراض عن أهل المجالس التي يُستهان فيها بآيات الله إلى غاية؛ هي الخوض في غير ذلك.

وهو دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل، قال ابن خويز منداد: «من خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهُجر، مؤمناً كان أو كافراً»، ثم أنه سبحانه بعد لنبيه ρ في هذه الآية عن مجالسة الخائضين في آياته لم يبين كيفية خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ](١)، وبين أنّ من جالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم، بقوله: [إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ](٢)، وبين حكم من جالسهم ناسياً ثم تذكر بقوله: [وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ](٣).

ثم قال سبحانه: [وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ] بأن يشغلك فتنسى النّهي فتجالسهم ابتداء أو لقاءً، وقرئ: [يُنَسِّيَنَّكَ] بالتشديد، من التشبيه، قوله: [فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى] أي: بعد تذكر النهي، قال الرازي: «قوله تعالى: [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] هذا الإعراض يحتمل أن يحصل بالقيام عنهم ويحتمل بغيره، فلما قال بعد ذلك: [فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى] صار ذلك دليلاً على أن المُراد أن يعرض عنهم بالقيام من عندهم». قوله: [مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] يعني المشركين، والذِّكرى؛ اسم للتذكير(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معا قائلا: «هو مثل: نجّا ونجأ، يقال: نسّيته وأنسيته، كما يقال: نجّيته وأنجيته»(٥)، ويقول القرطبي يقال: «نسّي وأنسي بمعنى واحد، لغتان، قال الشاعر:

قَالَتْ سُلَيْمَى إِذْ تُعَاطِيكَ نَفْسَهَا ... ؟ ... تُنَسِّينِي(٦)

أي: تنسيني»(٧)، ويوافقها أبو منصور الأزهري في تصويب كلتا القراءتين، قائلا: «والقراءة بالتخفيف أكثر»(١)، وهو رأي الرازي . أيضا . حيث يقول مرجحا قراءة العامة بالتخفيف: «الاختيار قراءة العامة؛ لقوله تعالى: [وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ](٢)»(٣).

---

(١) النساء، الآية (١٤٠).

(٢) النساء، الآية (١٤٠).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/٢٠٠.٢٠١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٢٨.٢٢٩)، فتح القدير، (٢/١٢٨.١٢٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٢.١٤)، تفسير أبي السعود، (٣/١٤٧)، التفسير الكبير، (١٣/٢٤.٢٦).

(٥) الكشف، (١/٤٣٦).

(٦) ديوان امرئ القيس، ص(٧٦) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٣).

(١٩/٨٢) الاختلاف في [اسْتَهْوَتْهُ] من قوله عز وجل: [قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] الآية (٧١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التاء والألف من قوله عز وجل: [اسْتَهْوَتْهُ]، فقرأ حمزة وحده: [اسْتَهْوَاهُ] بالألف، وقرأ الباقون: [اسْتَهْوَتْهُ] بالتاء[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نَعَمْ دُونَ إِلْبَاسٍ وَذَكِّرْ مُضْجِعاً ... تَوَفَّاهُ وَاسْتَهْوَاهُ حَمْزَةُ مُنْسِلا [٥]

ثانياً: توجيه القراءات:

الهَوَى مقصور: هوى النفس، والجمع الأهواء، واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله، وقيل: زيَّنت الشياطين له هواه؛ أي: حيران في حيرته، ويقال للمستهام الذي استهامته الجن: استهوته الشياطين[٦].

وجه قراءة حمزة: [اسْتَهْوَاهُ] بالألف؛ على قياس قراءته: [تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا][٧]، وقال ابن زنجلة: «ذهب حمزة في قراءته إلى جمع الشياطين»، وأضاف ابن أبي طالب كما في قوله: [وَقَالَ نِسْوَةٌ][٨][٩].

ووجه قراءة الباقين: [اسْتَهْوَتْهُ] بالتاء؛ على تأنيث الجماعة، وقال ابن خالويه: «الحجة لمن قرأ بالتاء: أن الشياطين جماعة، فدل بالتاء على معنى الجماعة. والدليل على ذلك قوله: [قَالَتِ الْأَعْرَابُ][١٠]»[١١].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) كتاب معاني القراءات، ص(١٥٧).

(٢) الكهف، الآية (٦٣).

(٣) التفسير الكبير، (٢٥/١٣).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٣)، كتاب السبعة ص(٢٦٠)، النشر، (٢٥٨/٢)، الإتحاف، ص(٢١٠).

(٥) انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٧٨).

(٦) انظر: لسان العرب، (٣٧٣/١٥)، مختار الصحاح، ص(٧٠٣.٧٠٢)، المصباح المنير، (٦٤٣/٢).

(٧) الأنعام، الآية (٦١).

(٨) يوسف، الآية (٣٠).

(٩) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٧٠/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٥٧)، الكشف، (٤٣٥/١).

(١٠) الحجرات، الآية (١٤).

(١١) انظر: الكشف، (٤٣٥/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٠٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٥٦).

المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام، وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك: [قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ][1]، فقوله: [أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ] أمره الله سبحانه بأن يقول لهم هذه المقالة، والاستفهام والتوبيخ؛ أي: كيف ندعوا من دون الله أصناماً لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً، و لا نخشى ضرها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة، قوله: [وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ]، أي: نرجع إلى الضلالة بعد الهدي[2]، وواحد الأعقاب: عقب، وهي مؤنث، وتصغيره عُقيبة.

قال أبو السعود: «والتعبير عن الشرك بالرد على الأعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح، مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حاله قد تركت ويترك وراء الظهر».

قوله: [كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ] أي: استغوته وزيَّنت له هواه واستمالته ودعته إليها[3]، هوى يهوي إلى الشيء: أسرع إليه، وقراءة الجماعة: [اسْتَهْوَتْهُ] أي: هوت به، على تأنيث الجماعة، وقراءة حمزة: [اسْتَهْوَاهُ] على تذكير الجمع، وقوله: [حَيْرَانَ] حال، أي حال كونه متحيراً تائهاً لا يدري كيف يصنع؟ والحيران: هو الذي لا يُهتدى إلى جهة؛ والحائر: الموضع الذي يتحير فيه الماء، لذى سمي الماء المستنقع الذي لا منفذ له حائراً، والجمع حُوْران.

وقد نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر، وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمين[4]، وهو معنى قوله: [لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا] فيأبى، وهو شقيق عائشة رضي الله، وقد شهد بدراً وأحداً مع قومه وهو كافر، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه، فذكر أن رسول الله ρ قال: (مَتِّعْنِي بِنَفْسِكَ)[5] ثم أسلم وحسُن إسلامه، وصحب النبي ρ في هدنة الحديبية.

قوله: [قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى] أمره سبحانه بأن يقول لهم: [إِنَّ هُدَى اللَّهِ] أي: دينه الذي ارتضاه لعباده [هُوَ الْهُدَى] وضده وماعداه ضلال محض وغيٌّ بحتٌ، كقوله: [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ][6]، وتكرير الأمر؛ للاعتناء بشأن المأمور به، قوله: [وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ

---

(١) الآية (٧٠).

(٢) انظر: تفسير المشكل، ص (١٦٢)، غريب القرآن، ص (٥٨).

(٣) غريب القرآن، ص (٥٨).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (١٧/٧).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) يونس، الآية (٣٢).

الْعَالَمِينَ] أي: من جملة ما أمره الله بأن يقوله، واللام في [لِنُسْلِمَ] هي لام العلة، والمعلل هو الأمر، أي: أمرنا لاجل نسلم لرب العالمين[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور القراءتين معاً، قائلا: «التاء والياء قريبان من السِّواء، إذا تقدم فعل الجماعة»[2]، وهو رأي أبو علي الفارسي أيضاً حيث يقول بعد توجيهه لقراءة حمزة: «وكلا المذهبين حسن، وأرى قولهم:استهواه كذا، إنّما هو من قولهم: هوى من حالق: إذا تردّى منه، ويُشبه به الذي يزلّ عن الطريق المستقيم، ثم يُشبه به المخطئ في طريقته، كما قال: [فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا][3]، فكذلك هوى هو، وأهواه هو، فتقول: أهويته واستهويته»[4].

ويقول الرازي: «قراءة حمزة: [اسْتَهْوَاهُ] بألف ممالة؛ على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء؛ لأن الجمع يصلح أن يذكر على معنى الجمع، ويصلح أن يؤنث على معنى الجماعة»[5]، وهو بذلك كأنه يصوّب كلتا القراءتين، موافقاً بذلك قول أبو منصور الأزهري، وأبو علي الفارسي.

(٢٠/٨٣) الاختلاف في [دَرَجَاتٍ] من قوله تعالى: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] الآية (٨٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الإضافة والتنوين من قوله تعالى: [دَرَجَاتٍ][6]، فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: [دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ] منونةً بالتنوين، وقرأ الباقون: [دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ] بالإضافة[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي درجاتِ النُّونُ مَعْ يُوسُفٍ ثَوى ... وَوَالليسَعَ الحرفانِ حَرِّكْ مُثَقِّلا[8]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه الإضافة التوين في النص رقم (١٩/٥٥)[1]. وجه من قرأ بالتنوين؛ أنه أوقع الفعل على [مَنْ]؛ لأنه المرفوع في الحقيقة،ليست الدرجات هي المرفوعة المقصود إليها بالرفع،

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٣٥ . ٢٣٨)، فتح القدير، (٢/١٢٩.١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٧.١٨)، تفسير أبي السعود، (٣/١٤٩.١٥٠)، التفسير الكبير، (١٣/٢٨.٣٠).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص (١٥٧).

(٣) البقرة، الآية (٣٦).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٧٠.١٧١).

(٥) التفسير الكبير، (١٣/٢٩).

(٦) مثلها في يوسف في قوله: [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ] الآية (٧٦)، سيأتي ذكرها في ص( ).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٤)، كتاب السبعة، ص (٢٦١.٢٦٢)، النشر، (٢/٢٦٠)، الإتحاف، ص(٢٠٣).

(٨) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثوى» إلى الكوفيين. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨٠).

إنما المرفوع صاحبها فهو كقوله: [مِنْهُمْ دَرَجَاتٍ](٢)، وقال ابن زنجلة: «حجة من نون في ذلك أن الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن، وجعل المرفوع هو الإنسان، وبيَّن فضل من أحب أن يُفضِّله بأن يرفعه فقال: [يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ](٣)، وقال: [وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا](٤)، فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات، وفي الآية تقديم وتأخير، والمعنى: نرفع من نشاء درجات، و[مَنْ] في موضع النصب، وتجعل [دَرَجَاتٍ] مفعو لا ثانياً أو حالا»(٥).

ووجه من قرأ بالإضافة: أنه أوقع الفعل على [دَرَجَاتٍ]، وأضاف [دَرَجَاتٍ] إلى [مَنْ]؛ لأن الدرجات إذا رُفعت فصاحبها مرفوع إليها، ودليله قوله: [رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ](٦)، فأضاف الرفع إلى [الدَّرَجَاتِ]، وهو لا إله إلا هو، الرفيع المتعال في شرفه وفضله، وأضاف اليزيدي قائلا: «هو كقولك: نرفع أعمال من نشاء»، قال ابن زنجلة: «والذي يدل على هذا أن الآثار قد جاءت في الدعاء مضافة؛ كقولهم للميت: اللهم شرف بنيانه وأرفع درجته، و لا يقال: (أرفعه)»(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [وَتِلْكَ] إشارة إلى كلام تقدم، قال مجاهد: «هي قوله تعالى: [وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ](٨) الآية، وقد صدقه الله، وحكم له بالأمن والهداية فقال: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ](٩)».

والظاهر شمولها لجميع احتجاجه عليهم، كما في قوله: [لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ](١٠)؛ لأن الأفول الواقع في الكوكب والشمس والقمر أكبر دليل، وأضح حجة على انتفاء الربوبية عنها، وقد استدل إبراهيم عليه السلام بالأفول على انتفاء الربوبية.

وإذا علم ذلك فقوله: [وَتِلْكَ] مبتدأ و[حُجَّتُنَا] خبره، وفي إضافتها إلى نون العظمة في التفخيم ما لا يخفى، وقوله: [آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ] صفة لذلك الخبر، أي: أعطيناه إياها وأرشدناه إليها،

---

(١) انظر: ذلك في ص ( ).

(٢) البقرة، الآية (٢٥٣).

(٣) المجادلة، الآية (١١).

(٤) النساء، الآية (٩٥).

(٥) انظر: الكشف، (٤٣٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٥٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٤).

(٦) غافر، الآية (١٥).

(٧) انظر: الكشف، (٤٣٧/١ . ٤٣٨)، الحجة: ابن خالويه ، ص (١٤٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٥٨).

(٨) الأنعام، الآية (٨١).

(٩) الأنعام، الآية (٨٢).

(١٠) الأنعام، الآية (٧٦).

[عَلَىٰ قَوْمِهِ] أي: حجة على قومه، وهي قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين: أيّ الفريقين أحق بالأمن؟ أمن يعبد ربّاً واحداً مخلصاً له الدين والعبادة، أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد رباً واحداً أحق بالأمن، وقضاؤهم له على أنفسهم، فكان في ذلك قطع لعذرهم، وانقطاع حجتهم، واستعلاء حجة إبراهيم عليه السلام عليهم، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم عليه السلام على قومه.

وقوله: [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ] بالهداية والإرشاد إلى الحق، وتلقين الحجة، أو بما هو أعم من ذلك، ثم قال: [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] أي: حكيم في كل ما يصدر عنه، عليم بحال عباده، وأن منهم من يستحق الرفع، ومنهم من لا يستحقه[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «القراءتان متقاربتان؛ لأن من رُفعت درجته فقد رُفع، ومن رُفع فقد رُفعت درجاته»[2].

ويوافقه شيخ المفسرين الإمام الطبري قائلا: «والصوابُ من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، متقارب معناهما، وذلك أن من رُفعت درجته فقد رُفع في الدَّرج، ومن رُفع في الدَّرج فقد رفعت درجته، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك»[3]، وهو رأي القرطبي أيضاً، ثم يقول بعد توجيهه لكلتا القراءتين: «فالقراءتان متقاربتان»[4].

ويسوق الرازي اختيار ابن مقسم[5] لقراءة الكوفيين [دَرَجَاتٍ] بالتنوين، ويقول: «فالمعنى على هذه القراءة: نرفع من نشاء درجات كثيرة، فيكون [مَنْ] في موضع النصب» ثم يقول: «قال ابن مقسم: هذه القراءة أدلّ على تفضيل بعضهم على بعض في المنزلة والرفعة، وقال أبو عمرو: «الإضافة تدل على الدرجة الواحدة والدرجات الكثيرة، والتنوين لا يدل إلا على الدرجات الكثيرة»[6].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٥٩. ٢٦٠)، فتح القدير (٢/١٣٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣٠.٣١)، تفسير أبي السعود، (٣/١٥٦.١٥٧)، التفسير الكبير، (١٣/٦١.٦٢).

(٢) الكشف: (١/٤٣٨).

(٣) تفسير الطبري، (٥/٢٦٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣١).

(٥) محمد بن الحسن بن يعقوب، ابن مِقْسم العطار، أبو بكر، عالم بالقراءات والعربية، من أهل بغداد، من كتبه (الأنوار) في تفسير القرآن، كان يرى ما يراه ابن شنبوذ في عدم اشتراط صحة السند فاستتابه الأمير، توفي سنة(٣٥٤هـ). انظر: بغية الوعاة، (٢/٣٦).

(٦) التفسير الكبير، (١٣/٦٢).

وقال أبو علي الفارسي: «ويقوي قراءة الكسائي والسلمي قوله: [فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ][(١)]، فمن فضِّل على غيره فقد رُفعت درجته عليه، فقوله: [فَضَّلْنَا] بمنزلة قولك رفعنا درجته»[(٢)].

(٨٤/٢١) الاختلاف في [تَجْعَلُونَهُ] و[تُبْدُونَهَا] و[تُخْفُونَ] من قوله عز وجل: [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ] الآية (٩١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تَجْعَلُونَهُ] و[تُبْدُونَهَا] و[تُخْفُونَ]، فقرأ ابن كثير وابن عمرو: [يَجْعَلُونَهُ] و[يُبْدُونَهَا] و[يُخْفُونَ] بالياء جميعاً، وقرأ الباقون: [تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ] كل ذلك بالتاء[(٣)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وتُبْدُونها تُخْفُونَ معْ تَجْعَلُونَهُ   على غَيْبِهِ حَقّاً وينْذِرَ صَنْدَلا[(٤)]

ثانياً: توجيه القراءات:

جَعَلَ: أي: جَعَلَ الشيءَ يَجْعَلُه جَعْلاً وجُعْلاً وأجعله: وضعه، وجعله يجعله جَعْلاً: صنعه[(٥)].

ثانياً: بدا الأمر: من باب سما: أي: ظهر، يقال: بدا الشيء يبدو بَدْواً وبُدُوّاً وبَداءً وبَدًا؛ ظهر، وأبْدَيْتُه أنا: أظهرته[(٦)].

ثالثاً: سبق توجيهه وقوله: [تُخْفُونَ] لغوياً في النص رقم (١٦/٧٩)[(٧)].

وجه من قرأ بالياء ردّه على لفظ الغيبة في قوله: [قَدَرُوا اللَّهَ]، وقوله: [إِذْ قَالُوا]، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة من قرأ بالياء؛ أي: من يجعله الناس قراطيس، يعني اليهود، فلما قرب الفعل منهم جعل الفعل لهم»[(٨)].

---

(١) البقرة، الآية (٢٥٣).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٧٧/٢).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٥)، كتاب السبعة، ص(٢٦٢.٢٦٣)، النشر، (٢٦٠/٢)، الإتحاف، ص(٢١٢).

(٤) أشار الناظم بكلمة (حق) من قوله: «حقا» إلى ابن كثير وأبي عمرو. انظر: المتن، (٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٥) انظر: لسان العرب (١١٠/١١ . ١١١)، مختار الصحاح، ص (١٠٥)، المصباح المنير، (١٠٢/١).

(٦) انظر: لسان العرب، (٦٥/١٤)، مختار الصحاح، ص (٤٤ . ٤٥).

(٧) انظر ذلك ص ( ).

(٨) انظر: الكشف (٤٤٠/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦١).

ووجه من قرأ بالتاء: ردّه على المخاطبة التي قبله في قوله: [أَنزَلَ الْكِتَابَ]، وأضاف ابن خالويه قائلا: «من قرأ بالتاء أنه جعل الخطاب للحاضرين، ودليله قوله تعالى: [وَعُلِّمْتُم] في الآية نفسها، ولم يقل: (وعلّموا)»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لقد وضح لنا أن مدار القرآن على إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، وأنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام، أنه ذكر دليل التوحيد، وإبطال الشرك، وقرر تعالى ذلك الدليل بالوجوه الواضحة، شرع بعده في تقرير أمر النبوة فقال: [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ] وقدرت الشيء وقدّرته: عرفت مقداره، وأصله: الستر، ثم استعمل في معرفة الشيء، أي: لم يعرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق وصفه(٢)، حيث انكروا إرساله للرسل وإنزاله الكتب، ولما وقع منهم هذا الإنكار وهم من اليهود، أمر الله نبيه ρ أن يورد عليهم حجة لا يطيقون دفعها، فقال: [قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى] وهم يعترفون بذلك ويذعنون له، فكان في هذا من التبكيت لهم، والتقريع ما لا يقادر قدره، مع إيحائهم بالاعتراف بما أنكروه من وقوع إنزال الله على البشر، وهم الأنبياء عليهم السلام، فبطل جحدهم وتبين فساد إنكارهم.

عن سعيد ابن جبير قال: «هو مالك بن الصيف(٣) جاء يخاصم النبي ρ فقال له النبي ρ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحَبْرَ السمين؟) وكان حبراً سميناً، فغضب، وقال: «والله ما أنزل الله على بشر من شيء»، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك؟ ولا على موسى؟ فقال: «والله ما أنزل الله على بشر من شيء» فنزلت الاية(٤).

ولما قال سبحانه: [قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى] وصف بعده كتاب موسى عليه السلام بصفات وهي: الصفة الأولى: قوله: [نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ] بكونه بيناً بنفسه ومبيناً لغيره، مما يؤكد الإلزام؛ أي: التأكيد، وقد سماه الله [نُورًا] تشبيهاً بالنور الذي يبين الطريق، وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم بالاعتراف بإنزال التوراة فقط، بل بإنزال القرآن أيضاً، فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعاً لما فيها من الشواهد الناطقة به.

الصفة الثانية: قوله: [تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا] أي: تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة، ليتم لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل وكتم صفة النبي ρ المذكورة فيه، وهذا ذمٌّ لهم، وقوله: [وَتُخْفُونَ كَثِيرًا] معطوف على [تُبْدُونَهَا] أي: وتخفون كثيراً منها.

---

(١) انظر: الكشف، (١/٤٤٠)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٥).

(٢) انظر: تفسير المشكل ص (١٦٢)، غريب القرآن، ص (٥٩).

(٣) لم أقف على ترجمة له.

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣٧).

الصفة الثالثة: [وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ] أي: والحال أنكم قد علمتم ما لم تعلموا أنتم و لا آباؤكم، والذي علموه هو الذي أخبر هم به النبي ρ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، فإنها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم و لا على لسان أنبيائهم و لا علمه آباؤهم.

ولما أمر الله سبحانه رسوله ρ بأن يقول لهم: [مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى] أمره بأن يجيب عن ذلك الإلزام الذي ألزمهم به، حيث قال: [قُلِ اللَّهُ] أي: أنزله الله، ثم قال: [ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ] أي: ذرهم في باطلهم حال كونهم يلعبون، أي: يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون، وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين، وتهديد لهم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالتاء، معللا ذلك بقوله: فذلك أقرب إليه، وهو أولى أن يُحمل على ما قَرُب منه مما بعد، وأيضاً فإن بعده خطاباً، فحُمل على ما قبله وما بعده، وهو قوله: [وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ]، فحمل على ما قبله وما بعده»، ثم يقول: «فذلك أحسن من المشاكلة والمطابقة، و اتصال بعض الكلام ببعض، وهو الاختيار؛ لهذه العلل و لأن أكثر القراء عليه»(٢).

ويوافقه أبو منصور قائلا: «من قرأ بالياء؛ فعلى الخبر عن الغائب، ومن قرأ بالتاء فعلى المخاطبة، وهي أجود القراءتين؛ لقوله تعالى: [وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ] ولم يقل (وعلموا ما لم يعمون)(٣)»،وهو رأي ابن زنجلة أيضاً، حيث يقول: «فكأن قراءتهم. أي من قرأ بالتاء. ما توسطّ بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده، ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد أولى»(٤).

(٢٢/٨٥) الاختلاف في [لِّتُنذِرَ] من قوله عزّ وجلّ: [وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ] الآية (٩٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء في قوله عز وجل: [لِّتُنذِرَ]، فقرأ شعبة وحده: [لِّيُنذِرَ] بالياء، وقرأ الباقون: [لِّتُنذِرَ] بالتاء(٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٦٥/٥ . ٢٧١)، فتح القدير، (١٣٨/٢.١٣٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٧/٧.٣٨)، تفسير أبي السعود، (١٦٠/٣ . ١٦٢)، التفسير الكبير، (٧٢/١٣ . ٨٠).

(٢) الكشف (٤٤٠/١).

(٣) كتاب معاني القر اءات، ص(١٦١).

(٤) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص(٢٦٣)، النشر، (٢٦٠/٢)، الإتحاف، ص (٢١٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وتُبْدُونها تُخْفُونَ معْ تَجْعَلُونَهُ   على غَيْبِهِ حَقّاً ويُنْذِرَ صَنْدَلا (١)

ثانياً: توجيه القراءات:

الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، والاسم: النُذُر بضمتين، ومنه قوله تعالى: [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ](٢) أي: إنذاري، والفاعل: (مُنْذِر)، و(نَذِيرٌ)، والجمع: (نُذُرٌ) بضمتين، ويقال: أنذرته بكذا، فنذر به، مثل علمته به فعلم، وزنًا ومعنًى، فالدلالة فارقة بين الفعلين(٣).

وجه من قرأ بالياء؛ جعل الكتاب هو المنذر؛ لأن فيه إنذاراً، ألا ترى أنه قد خوّف به نحو قوله: [هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ](٤)، و[وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ](٥)، [قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ](٦) فلا يمتنع أن يسند الإنذار إليه على الاتساع(٧).

ووجه من قرأ بالتاء؛ أنه أراد به النبي ρ فهو فاعل الإنذار، ودليله قوله: [إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ](٨)، وقوله: [إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا](٩)(١٠).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما أبطل الله بالدليل قول من قال: [مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ] ذكر بعده أن القرآن كتاب أنزل الله على محمد ρ، فقال: [وَهَذَا كِتَابٌ] إشارة إلى القرآن، ثم وصفه سبحانه بصفات كثيرة منها:

الصفة الأولى: قوله: [أَنْزَلْنَاهُ] يعني على محمد ρ، والمقصود أن يعلم أنه من عند الله سبحانه لا من عند رسول الله ρ.

الصفة لثانية: قوله: [مُبَارَكٌ] أي: أنه بورك فيه، فهو كثير الفوائد، جم المنافع.

---

(١) أشار الناظم بحرف (الصاد) من قوله: «صندلا» إلى شعبة، والصندل: نوع من العود ذو رائحة طيبة. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٢) القمر، الآية (١٦).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٠٢/٥)، مختار الصحاح، ص (٦٥٣)، المصباح المنير، (٥٩٩/٢).

(٤) إبراهيم، الآية (٥٢).

(٥) الأنعام، الآية (٥١).

(٦) الأنبياء، الآية (٤٥).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٨٨/٢)، الكشف، (٤٤٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٥).

(٨) الرعد، الآية (٧).

(٩) النازعات، الآية (٤٥).

(١٠) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٥)، الكشف، (٤٤٠/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦١).

الصفة الثالثة: قوله: [ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ]، والمصدق: كثير التصديق، والذي بين يديه: ما أنزله الله من الكتب على الأنبياء من قبله؛ كالتوراة والإنجيل، فإنه يوافقها في الدعوة إلى الله، وإلى توحيده وإن خالفها في بعض الأحكام.

والصفة الرابعة: قوله: [وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا] أي: ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أم القرى، وهي مكة، ومن حولها شرقاً وغرباً، ومن العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد، الجاحدين برسله، وغيرهم من أصناف الكفار.

وخص أم القرى، وهي مكة؛ لكونها أعظم القرى شأناً، ولكونها أوّل بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة ومحل حجهم، فالإنذار لها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض، والمراد بمن حولها: جميع أهل الأرض، والمراد بإنذار أم القرى: إنذار أهلها وأهل سائر الأرض، فهو على تقدير مضاف محذوف كسؤال القرية.

ثم قال تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ] يريد إتباع محمد ρ، بدليل قوله: [وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ] والمعنى: إن من حق من صدق بالدار الآخرة، أن يؤمن بهذا الكتاب ويصدقه ويعمل بما فيه؛ لأن التصديق بالآخرة يوجب قبول من دعا الناس إلى ما ينال به خيرها ويدفع به ضرها، ثم قال: [وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ] وخص المحافظة على الصلاة من بين سائر الواجبات؛ لكونها عمادها، وبمنزلة الرأس لها(1).

رابعاً: ترجيح القراءات:

قال أبو علي الفارسي في توجيهه لقراءة من قرأ بالياء: «من قرأ بالياء جعل الكتاب هو المنذر؛ لأن فيه إنذاراً، ألا ترى أنه قد خوف به في نحو قوله: [هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ](2)، وقوله: [قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ](3)»، ثم يقول: «فلا يمتنع أن يسند الإنذار إليه على الاتساع»(4)، وهو قول الرازي أيضاً(5)، وهما بذلك يرجحان هذه القراءة على القراءة الثانية.

بينما نجد أن ابن أبي طالب، وأبو منصور الأزهري قد ذكرا كلتا القراءتين، ولم يرجحا أي قراءة على الأخرى(6).

---

(1) انظر: تفسير الطبري، (5/271 . 272)، فتح القدير، (2/139)، الجامع لأحكام القرآن، (7/38)، تفسير أبي السعود، (3/162 . 163)، التفسير الكبير، (13/80 . 83).

(2) إبراهيم، الآية (52).

(3) الأنبياء، الآية (45).

(4) الحجة: أبو علي الفارسي، (2/188).

(5) التفسير الكبير، (13/82).

(6) الكشف، (1/440)، كتاب معاني القراءات، ص (161).

(٢٣/٨٦) الاختلاف في [بَيْنَكُمْ] من قوله عز وجل: [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] الآية (٩٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في رفع النون ونصبها من قوله عز وجل: [بَيْنَكُمْ]، فقرأ نافع والكسائي وحفص: [بَيْنَكُمْ] بالنصب، وقرأ الباقون: [بَيْنُكُمْ] بالرفع[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبَيْنَكُمُ ارْفَعْ في صَفَا نَفَرٍ وعالِمُ ... قُطْرٌ وفتحُ الكَسْرِ والرَّفْعِ ثُمِّلا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

البَيْنُ: في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البَيْنُ الفُرْقَة، ويكون الوَصْل، يُقال: بَانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونة، وهو من الأضداد، وقال ابن سيدة[٣]: «ويكون البين اسماً وظرفاً متمكناً»[٤].

وجه من قرأ برفع النون؛ أنه جعل (البين) اسماً غير ظرف، فأسند الفعل إليه، فرفعه به؛ جاء في الكشف: «ويقوي جعل (بين) اسما؛ دخول حرف الجر عليه في قوله: [وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ][٥]، وفي قوله: [هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ][٦] ولا يحسن أن يكون مصدراً، وترفعه بالفعل؛ لأن المعنى يصير: لقد تقطع افتراقكم، وإذا انقطع افتراقهم لم يفترقوا، فيحول المعنى، وينقلب المراد، وإنما تمّ على أنهم تفرقوا»[٧].

ووجه من قرأ بالنصب؛ أنه جعله ظرفاً، ومعناه: الفضاء بين الغايتين، ودليله قراءة ابن مسعود: «[لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ]»، وقال أبو علي الفارسي: «فأما من قال: [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] بالنصب ففيه مذهبين: أحدهما: أنه أضمر الفاعل في الفعل ودلّ عليه مما تقدّم في قوله: [وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ]، وهذا الكلام فيه دلالة على التقاطع والتهاجر، وذلك أن المضمَر هو الوصل؛ كأنه قال: لقد تقطع وصلكم بينكم. والمذهب الآخر:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٣)، النشر، (٢/٢٦٠)، الإتحاف، ص (٢١٣).

(٢) أشار الناظم بحرف (الفاء) من قوله: «في» إلى حمزة وبحرف (الصاد) من قوله: «صفا» إلى شعبة، وبكلمة (نفر) إلى ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر؛ وهم الذين قراءوا برفع النون. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٣) علي بن إسماعيل، المعروف: بابن سيدة، أبو الحسن، إمام في اللغة وآدابها، كان ضريرا، واشتغل بنظم الشعر مدة، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف (المخصص) وهو من أثمن كنوز العربية، وغيره، توفي سنة (٤٥٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/١٤٤.١٤٥).

(٤) انظر: لسان العرب، (١٣/٦٢)، مختار الصحاح، ص (٧٢)، المصباح المنير، (١/٧٠).

(٥) فصلت، الآية (٥).

(٦) الكهف، الآية (٧٨).

(٧) انظر: كتاب معاني القراءات، ص (١٦١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٥)، الكشف، (١/٤٤٠).

انتصاب البين في قوله تعالى: [بَيْنَكُمْ] على شيء، يقوله أبو الحسن، وهو أن يذهب إلى أن قوله تعالى: [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] إذا نصب يكون معناه معنى المرفوع، فلما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً، تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى] عبارة عن الحشر، و[فُرَادَى] جمع فرد، كسكارى، جمع سكران، وكسالى جمع كسلان، والمعنى: جئتمونا منفردين واحداً واحداً كل واحد منفرد عن أهله وماله، وما كان يعبده من دون الله، فلم ينتفع بشيء من ذلك، قوله تعالى: [كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] أي: على الصفة التي كنتم عليها عند خروجكم من بطون أمهاتكم.

وقوله تعالى: [وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ] أي: أعطيناكم ومكناكم(٢)، والخول: ما أعطاه الله للإنسان من العبيد والنعم، قوله: [وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ] أي: تركتم ذلك خلفكم، لم تأتونا بشيء منه، ولا انتفعتم به بوجه من الوجوه، وهذا تعبير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم، ثم قال سبحانه لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة: [وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ] المعنى: ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث(٣) لقيله: «إن اللات والعزى يشفعان له يوم القيامة»(٤).

قوله تعالى: [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] قرئ بنصب [بَيْنَكُمْ] على الظرفية، وفاعل [تَقَطَّعَ] محذوف؛ أي: تقطع الوصل بينكم أنتم وشركاؤكم كما يدل عليه قوله تعالى: [شُفَعَاءَكُمْ]، وقرئ بالرفع على إسناد التقطع إلى البين، أي: وقع التقطع بينكم، ثم قال: [مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] أي: وذهب عنكم ما كان بينكم في الدنيا، فلا تواصل بينكم وبينهم، ولا تواد ولا تناصر، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون، فأضمحل ذلك كله في الآخرة، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ويواصله(٥)، قال الجكني: «ذكر سبحانه في هذه الآية: أن الأنداد التي كانوا يعبدونها في الدنيا تضل عنهم يوم القيامة، وينقطع ما كان بينهم وبينها من الصلات في الدنيا، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦١ . ٢٦٢)، الحجة: ابن خالويه: ص (١٤٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٠/٢).

(٢) تفسير المشكل، ص (١٦٣).

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة، من بني عبد الدار، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، وهو ابن خالة النبي ρ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله ρ كثيرا، أسره المسلمون يوم بدر بالأثيل. انظر: الأعلام (٣٣/٨).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٤٣/٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٨٠.٢٧٧/٥)، فتح القدير، (١٤١.١٤٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٤.٤٢/٧)، تفسير أبي السعود، (١٦٤.١٦٣/٣)، التفسير الكبير، (٨٩.٨٦/١٣).

[وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ][1]، وقوله: [كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا][2]، وقوله: [وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ][3]، وقوله: [وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] الآية[4]».

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: (سمعت رسول الله ρ يقول: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ ρ: يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «ويجوز أن تكون القراءة بالنصب كالقراءة بالرفع على أن (بَيْنا) اسم، لكنه لما كثر استعماله ظرفاً منصوباً جرى في إعرابه، في حال كونه غير ظرف، على ذلك، ففُتح وهو في موضع رفعٌ، وهو مذهب الأخفش»، ثم يقول: «والقراءتان على هذا بمعنىً واحد، فاقرأ بأيهما شئت»[6].

ويوافقه الطبري في تصويبه لكلتا القراءتين ويقول: «والصواب من القول عند في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، وذلك أن العرب قد تنصب (بين) إذا كان الفعل لها، وجُعلت اسماً، غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة، وفي حال كونها اسماً»[7].

وهو رأي القرطبي أيضاً، ويقول معللا: «وإنما نصب لكثرة استعماله ظرفاً منصوباً وهو في موضع رفع، وهو مذهب الأخفش» ثم يقول: «فالقراءتان على هذا بمعنى واحد، فاقرأ بأيهما شئت»[8].

بينما يرجح أبو منصور الأزهري قراءة الرفع، قائلا: «وأجود القراءتين الرفع، فإن البين في كلام العرب يكون وصلاً ويكون فراقاً، والمعنى في قوله: [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ] بالرفع: لقد تقطع

---

(١) الأحقاف، الآية (٦).

(٢) مريم، الآية (٨٢).

(٣) العنكبوت، الآية (٢٥).

(٤) انظر: أضواء البيان، (٢٠٤/٢).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (١٥٦/٨).

(٦) الكشف، (٤٤١).

(٧) تفسير الطبري، (٢٧٩/٥ . ٢٨٠).

(٨) الجامع لأحكام القرآن، (٤٣/٧).

وصلكم»[١]،ويسوق الرازي رأياً موافقاً لرأي الأزهري، فيقول: «قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز، والمعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم»[٢]، فكأنه مع تجويده لقراءة الرفع إلا إنه يجوز قراءة النصب، يصوب كلتا القراءتين.

(٢٤/٨٧) الاختلاف في [وَجَعَلَ] من قوله عز وجل: [فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] الآية (٩٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله: [وَجَعَلَ]، فقرأ الكوفيون: [وَجَعَلَ] بغير ألف، وقرأ الباقون: [وَجَاعِلُ] بألف[٣].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبينكم ارفع في صفا نفرٍ وجاعلُ اقصرْ وفتحُ الكسرِ والرفعِ ثُمِّلا[٤]

ثانياً: توجيه القراءات:

جعل الشيء يجعله جعلاً واجتعله: صنعه ووصفه، وهو من باب قَطَعَ[٥]. وجه من قرأ [وَجَاعِلُ] بالألف؛ أن قبله اسم الفاعل: [إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى] [فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ]، ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه، قال مكي: «ويقوي ذلك أن حكم الأسماء أن تعطف عليها أسماء مثلها، فكان عطف (فاعل) على (فاعل) أولى من عطف (فعل) على (اسم)[٦].

وأما من قرأ [وَجَعَلَ]، فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضيِّ، فلما كان (فاعل) بمنزلة (فَعَلَ) في المعنى عطف عليه (فَعَلَ) لموافقته إيَّاه في المعنى، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة من قرأ [وَجَعَلَ]، أن الأفعال التي عطفت عليه جاءت بلفظ الماضي وهي قوله بعدها: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ][٧]، و[وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم][٨]، و[وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ][٩]، فلأن تكون

(١) كتاب معاني القراءات، ص (١٦١).

(٢) التفسير الكبير، (٨٧/١٣).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٣)، النشر، (٢٦٠/٢)، الإتحاف، ص (٢١٤).

(٤) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثملا» إلى الكوفيين، و(ثملا) مبني للمعفول بمعنى أصلح. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٥) انظر: لسان العرب،(١١٠/١١)، مختار الصحاح، ص (١٠٥)، المصباح المنير، (١٠٢/١).

(٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٠/٢)، الكشف، (٤٤٢/١)

(٧) الأنعام، الآية (٩٧).

(٨) الأنعام، الآية (٩٨).

(٩) الأنعام، الآية (٩٩).

معطوفة على شبيهها ويكون ما تقدمها جرى بلفظها، أولى»، ويرى ابن خالويه أنه عطفه على [فَالِقُ] معنى لا لفظاً، كما عطفت العرب اسم الفاعل على الماضي؛ لأنه بمعناه»[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما تكلم سبحانه في التوحيد، ثم أردفه بتقرير أمر النبوة، ثم تكلم في بعض تفاريع هذا الأصل، عاد بعدها إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع، وكمال علمه، وحكمته، وقدرته، تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من جميع المباحث العقلية و النقلية، وكل المطالب الحكمية إنما هو معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله، فقال: [إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى] والفلق: الشق؛ أي: هو سبحانه فالق الحب، فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر، والنوى: جمع نواة يطلق على كل ما فيه بذر، كالتمر و المشمش والخوخ.

قوله: [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] أي: يخرج الحيوان من مثل النطفة والبيضة، وهي ميتة، ومعنى: [وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ] أي: مخرج النطفة والبيضة، وهي ميتة من الحيي، ثم قال: [ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ] أي: صانع هذا الصنع العجيب، وهو الجامع لكل كمال، والمفضل بكل إفضال، والمستحق لكل حمد وا إجلال، فقوله: [فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ] أي: فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه، وكمال قدرته، فهذا النوع المتقدم، كان مأخوذاً من دلالة أحوال النبات والحيوان، ثم يقرر نوعاً آخر؛ وهو قوله: [فَالِقُ الْإِصْبَاحِ] وهو مأخوذ من الأحوال الفلكية؛ وذلك لأن فلق ظلمة الليل بنور الصبح أعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى بالنبات والشجر، و لأن من المعلوم بالضرورة أن الأحوال الفلكية أعظم في القلوب وأكثر وقعاً من الأحوال الأرضية.

قوله: [فَالِقُ الْإِصْبَاحِ] نعت لاسم الله تعالى، أي: ذلكم الله ربكم فالق الإصباح، والصبح والصباح: أول النهار، وكذلك الإصباح: أي: فالق الصبح كل يوم، يريد الفجر، والمعنى: شقَّ الضياء عن الظلام وكاشفه.

والنوع الثاني من الدلائل الفلكية على التوحيد: قوله تعالى: [وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا] أي: يسكن إليه التَّعِب بالنهار؛ لاستراحة فيه، والسَّكن: محل السكون، من سكن إليه: إذا أطمأن إليه؛ لأنه يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم ويستريحون من التعب والنصب، كما يدل عليه قوله: [جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا][2].

---

(١) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩١/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٦).

(٢) يونس، الآية (٦٧).

والنوع الثالث: قوله: [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا] أي: على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات وما يتعلق به مصالح العباد، والحسبان والحساب واحد(١).

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] والإشارة بـ[ذَلِكَ] إلى الجعل المدلول عليه: بـ[جَاعِلُ] أو [جَعَلَ] على القراءتين و[الْعَزِيزِ] القاهر الغالب و[الْعَلِيمِ] كثير العلم، ومن جملة معلوماته تيسيرهما على هذا التدبير المحكم(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «والقراءتان بمعنى واحد، فـ[جَاعِلُ] جاء على تقوية ما قبله، و[جَعَلَ] يقويه ما بعده، فاقرأ بأيهما شئت»(٣)، ويوافقه الطبري في الاختيار ويقول: «نهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، متفقتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى»(٤).

يقول الرازي: «حجة من قرأ باسم الفاعل أن المذكور قبله اسم الفاعل، وهو قوله: [فَالِقُ الْحَبِّ] و[فَالِقُ الْإِصْبَاحِ] وجاعل أيضاً اسم الفاعل، ويجب أن كون المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه، وحجة من قرأ بصيغة الفعل أن قوله: [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] منصوبان و لا بد لهذا النصب من عامل»، ثم يقول: «وما ذاك إلا أن يقدر قوله: [جَعَلَ] بمعنى [جَاعِلُ] الشمس والقمر حسباناً وذلك بعيد المطلوب»(٥).

بينما يرجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ بالألف، ويقول بعد توجيهه لهذه القراءة: «وكما أن الفعل بالفعل أشبه من المبتدأ بالفعل، كذلك الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، وا إذا كان كذلك كان [جَاعِلُ] أولى من [جَعَلَ]»، ثم يقول: «ويقوي ذلك قولهم: عَبَاءةٍ وتَقَرَّ عيني(٦)»(٧).

(**٢٥/٨٨**) الاختلاف في [مُسْتَقَرٌّ] من قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] الآية (٩٨).

---

(١) تفسير المشكل، ص (١٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبر ي، (٢٨٢/٥ . ٢٨٥)، فتح القدير، (١٤٢/٢ . ١٣٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٦/٧ . ٤٧)، تفسير أبي السعود، (١٦٤/٣.١٦٥)، التفسير الكبير، (٩٤/١٣ . ١٠٠).

(٣) تفسير الطبري، (٣٨٤/٥).

(٤) التفسير الكبير، (٩٩/١٣).

(٥) الكشف، (٤٤٢/١).

(٦) صدر بيت عجزه: أحبّ إليّ من لبس الشّفوف، وهو لميسون بنت جدل في مغني اللبيب، ص (١٩٩).

(٧) الحجة: أبو علي الفاسي، (١٩٠/٢ . ١٩١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر القاف وفتحها من قوله عز وجل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بكسر القاف، وقرأ الباقون: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتح القاف[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وعنهم بنصب الليل واكسر بمستقـ ... ـر القاف حقا خرقوا ثقله انجلى[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

بالفتح: القرار في المكان، تقول منه: قَرَرْتُ بالمكان، بالكسر أقِرُّ قَراراً، وقَرَرْتُ أيضاً، بالفتح أَقَرُّ قَراراً وقُروراً، والقرار: المُسْتَقَرُّ من الأرض، يُقال: فلان ما يتقارُّ في مكانه؛ أي: ما يستقر. وفي الحديث: قال رباح بن المُغْتَرِف[٣]: أغنيتنا غناء أهل القَرار[٤]، أي: أهل الحضر المستقرين في منازلهم، لا غناء أهل البَدْو الذين لا يزالون متنقلين[٥].

قال اليزيدي: «وجه من قرأ بالكسر، فقال: فمستقِر في الرحم؛ يعني الولد، ومستودع في أصلاب الرِّجال كما تقول: هذا ولد مستقر في رحم أمه، وأنا مستقر في مكان كذا، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[٦]»، قال ابن زنجلة: «جعل أبو عمرو (المستقر) فاعلا، و (المستودع) مفعولا»[٧].

ووجه من قرأ بالفتح إجماع الجميع على فتح الدال في ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ على معنى أن الله، استودعه، فكذلك ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ موجَّه إلى أن الله عز وجل استقره في مقره، فهو ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، كما هو ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ في مستودعه، وقال ابن زنجلة: «قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[٨] يشهد للفتح»، وأضاف ابن خالويه: «الحجة لمن فتح أنه أراد الموضع من قولهم: هذا مستقري»[٩].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٣)، النشر، (٢٦٠/٢)، الإتحاف، ص (٢١٤).

(٢) أشار الناظم بكلمة (حق) من قوله: «حقاً» إلى ابن كثير وأبي عمرو. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٣) رباح بن المغترف، كانت له صحبة، كان شريك عبد الرحمن بن عوف في التجارة، وابنه عبد الله بن رباح أحد العلماء. انظر: الإستيعاب، (٦٧.٦٦/٢).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: لسان العرب، (٨٤/٥)، مختار الصحاح، ص (٥٢٨)، المصباح المنير، (٤٩٦/٢).

(٦) الزمر، الآية (٦).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٢/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٦).

(٨) هود، الآية (٦).

(٩) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٣)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٦).

قوله: [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ] أحد أنواع الدلائل الدالة على وجود الإله وكمال قدرته وعلمه، وهو الاستدلال بأحوال الإنسان، أي: أنشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام. قال الجكني: «لم يبين سبحانه هنا كيفية إنشائهم من نفس واحدة، ولكنه بين في مواضع أخرى أن كيفيته أنه خلق من تلك النفس الواحدة التي هي آدم، زوجها حواء، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء، كما قال: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً](١)، وقوله: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا](٢)»(٣).

ومن الملاحظ أنه سبحانه قال هنا بلفظ [أَنْشَأَكُمْ] وفي غير هذه السورة بلفظ [خلقكم]؛ لأن ما هنا موافق لقوله فيما قبله: [وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ]، ولقوله بعد: [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ] بخلاف البقية(٤). قوله: [فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ] أي: فلكم استقرار في الأصلاب، أو فوق الأرض، أو استيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيما ذكر، وأكثر أهل التفسير يقولون: المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب(٥)، قال القرطبي: «وفي التنزيل: [وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ](٦)، والاستيداع إشارة إلى كونهم في القبر إلى أن يُبعثوا للحساب»

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] أي: الآيات التي بيناها بياناً لتكون أبلغ في الإعتبار، قال الشوكاني: «وذكر سبحانه هنا [يَفْقَهُونَ] وفيما قبله [يَعْلَمُونَ] لأن في إنشاء الأنفس من نفس واحدة، وجعل بعضها مستقراً، وبعضها مستودعاً من الغموض والدقة ما ليس في خلق النجوم للاهتداء، فناسبه ذكر الفقه لإشعاره بمزيد تدقيق وإمعان فكر»(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) النساء، الآية (١).

(٢) الأعراف، الآية (١٨٩).

(٣) أضواء البيان، (٢/٢٠٥ . ٢٠٦).

(٤) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (١٧٢).

(٥) تفسير المشكل، ص (١٦٣).

(٦) البقرة، الآية (٣٦).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٨٦ . ٢٩٢)، فتح القدير، (٢/١٤٣ . ١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٣/١٦٥ . ١٦٦)، التفسير الكبير، (١٣/١٠٢ . ١٠٤).

صوّب ابن زنجلة القراءتين معاً، قائلا: «الوجهان يتداخلان، لأن الله إذا أقرّه استقرّ، ولا شك أنه لا يستقر حتى يُقرّه، فهو مفعول وفاعل»(١).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بفتح القاف، ويقول: «وهو الاختيار؛ لأن أكثر القراء عليه»(٢)، ويوافقه الطبري في الاختيار، قائلا: «وأولى القراءتين بالصواب عندي، وفي المستودع في أن كلّ واحد منهما لم يسمّ فاعله، وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقرّ هذا، والمستودع هذا، وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله: [وَمُسْتَوْدَعٌ] بفتح الدال على وجه ما لم يسمّ فاعله» ثم يقول: «فإجراء الأول، أعني قوله: [فَمُسْتَقَرٌّ]، أشبه من عدوله عنه»(٣).

(٢٦/٨٩) الاختلاف في [وَجَنَّاتٍ] من قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] الآية (٩٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والكسر من قوله عز وجل: [وَجَنَّاتٍ]، فقرأ شعبة وحده: [وَجَنَّاتٌ] بالرفع، وقرأ الباقون: [وَجَنَّاتٍ] كسراً(٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

الجَنَّةَ: بالفتح، الحديقة ذات الشجر والنَخَل، وجمعها جناتٌ على لفظها وجِنَانٌ أيضاً، وفيها تخصيص، ويُقال للنخل وغيرها، قال أبو علي الفارسي: «لا تكون الجنَّة في كلام العرب إلا وفيها نَخَلٌ وعِنَبٌ، فإن لم يكن فيهما ذلك، وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست جنة». وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع، والجَنَّة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الإجتنان، وهو السَتْر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها(٥).

وجه من قرأ بالكسر أنه ردّه على قوله: [حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَجَنَّاتٍ] قال ابن زنجلة من قرأ بالكسر فهو نسقٌ على قوله: [خَضِرًا] أي: فأخرجنا من الماء خضراً وجناتٍ من أعناب.

---

(١) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٣).

(٢) الكشف، (٤٤٢/١).

(٣) تفسير الطبري، (٢٩١/٥).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٩٣)، الإتحاف، ص ( ).

(٥) انظر: لسان العرب، (١٠٠/١٣)، مختار الصحاح، ص (١١٤)، المصباح المنير، ص (١١٢/١).

ووجه من قرأ بالضم أنه ردّه على قوله: [ءَايَةٌ وَجَنَّاتٍ]، وقال الفراء: «ولو رفعت الجنات [وَجَنَّاتٍ] تتبع القنوان [قِنْوَانٌ] كان صواباً»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذا هو النوع الخامس من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى: وعلمه، وحكمته، ورحمته، ووجوه إحسانه إلى خلقه، فقال: [أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً] أي: المطر، [فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ] أي: كل صنف من أصناف النبات المختلفة، ثم فصّل سبحانه هذا الإجمال فقال: [فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً] أي: فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له، شيئاً غضاً أخضر، والخَضر: رطب البقول، وهو ما يتشعب من الأغصان الخارجة من الحبة، وقوله: [نُخْرِجُ مِنْهُ] صفة لـ[خَضِراً]، وصيغة المضارعة؛ لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة؛ أي نخرج ذلك الخضر [حَبّاً مُتَرَاكِباً] وهو السنبل المنتظم للحبوب، المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة.

ولما ذكر سبحانه ما ينبت من الحب أتبعه بذكر ما ينبت من النوى، وهو القسم الثاني فقال: [وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ] الطلع: الكفرى قبل أن ينشق عن الإغريض، والإغريض يسمى طلعاً أيضاً، والقنوان: جمع قنو، وهو العذق(٢)، والمعنى: أن القنوان أصله من الطلع، والعذق: هو عنقود النخل. والدانية: القريبة التي ينالها القائم والقاعد، قال الزجاج: «المعنى: منها دانية. ومنها بعيدة فحذف، ومثله: [تَقِيكُمْ الْحَرَّ](٣)، وخص الدانية بالذكر؛ لأن الغرض من الآية بيان القدرة والامتنان بالنّعمة، وذلك فيما يقربُ متناوله أكثر».

ثم قال سبحانه: [وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ] أي: وأخرجنا جناتٍ، وقد ذكر هنا أربعة أنواع من الأشجار: النخل، والعنب، والزيتون، والرمان، وإنما قدم النخل على سائر الفواكه؛ لأن التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب، وإنما ذكر العنب عقيب النخل؛ لأن العنب أشرف أنواع الفواكه. ومنافع هذه الأربعة لا يمكن حصرها، وأما الزيتون فهو أيضاً كثير النفع؛ لأنه يمكن تناوله كما هو، وينفصل أيضاً عنه دهن كثير، عظيم النفع في الأكل وفي سائر وجوه الاستعمال. وأما الرمان فحاله عجيب؛ وذلك لأنه جسم مركب من أربعة أقسام، قشرة وشحمة وعجمة وماؤه، فالأقسام الثلاثة موصوفة بالكثافة التامة الأرضية، وأما ماؤه فهو موصوف باللطف والاعتدال، فكأنه سبحانه جمع فيه بين المتضادين والمتغايرين، فكانت دلالة القدرة والرحمة فيه أكمل وأتم.

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٤).

(٢) تفسير المشكل، ص (١٦٣).

(٣) النحل، الآية (٨١).

وبعد أن ذكر الله سبحانه هذه الأجناس الأربعة قال: [مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ] أي: كل واحد منهما يشبه بعضه بعضاً، في بعض أو صافه، و لا يشبه بعضه بعضاً في البعض الآخر، ثم أمر هم سبحانه بأن ينظروا نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر وا لى ينعه إذا أينع فقال: [انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ]، والثمر في اللغة: جني الشجر، واليانع: الناضج الذي قد أدرك وحان قطافه[1]. ولما نبه سبحانه على ما في هذا الوجه اللطيف من الدلالة قال: [إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] والإشارة بقوله: [إِنَّ فِي ذَلِكُمْ] أي: ما تقدم ذكره مجملا ومفصلا [لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالله، استدلالا بما يشاهدونه من عجائب مخلوقاته التي قصها عليهم[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو منصور قراءة من قرأ: [وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ] بالكسر، ويقول في توجيهه لها: «ومن قرأ [وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ] فهو في موضع النصب، معطوف على قوله: [فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا]»، ثم يقول: «والقراءة عليه»[3].

ويوافقه شيخ المفسرين قائلا: «والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلا بها، الكسر [وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ]، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها والقراءة بها، ورفضهم ما عداها، وبُعْد معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً»[4].

وقال القرطبي: «وأنكر القراءة الأولى . بالرفع .، أبو عبيدة وأبو حاتم، حتى قال أبو حاتم: هي مُحال؛ لأن الجنات لا تكون من النخل»، ثم يقول: «وقال النحاس: والقراءة جائزة، وليس التأويل على هذا، ولكنه رفع بالابتداء والخبر محذوف، أي: ولهم جنات»[5].

(٢٧/٩٠) الاختلاف في [ثَمَرِهِ] من قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] الآية (٩٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الثاء والميم وفتحهما من قوله عز وجل: [ثَمَرِهِ]، فقرأ حمزة والكسائي: [ثُمُرِهِ] بضم الثاء والميم، وقرأ الباقون: [ثَمَرِهِ] بفتحهما[1].

---

(١) تفسير المشكل، ص (١٦٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٩٢ .٢٩٦)، فتح القدير، (٢/١٤٤ . ١٤٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٤٧ . ٥٢)، تفسير أبي السعود، (٣/١٦٦ . ١٦٤)، التفسير الكبير، (١٣/١٠٥ . ١١٢).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٣).

(٤) تفسير الطبري، (٥/٢٩٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٤٩).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَضَمَّانِ مَعْ يَاسِينَ فِي ثَمَرٍ شَفَا   وَاسْتَحَقٌّ مَدُّهُ وَلَقَدْ حَلا(٢)

ثانياً: توجيه القراءات:

الثَّمَر: حَمْلُ الشَّجَر. والثَّمَرَةُ: واحدة الثَّمَرِ والثَّمَرات. وجمع الثَّمَر: ثِمار، كجبل وجبال. وجمع الثِّمار: ثُمُر مثل كِتاب وكُتُب، وجمع الثُّمُر أَثْمار، كعُنُق وأعْناق. والثَّمَر: هو الرُّطب في رأس النخلة فإذا كبر فهو التَّمْر، ويقع الثَّمَر على كل الثمار، ويغلب على ثَمَر النخل(٣).

وجه من قرأ بضم الثاء والميم: أنه أراد به جمع: ثمار وثُمُر، كما قالوا: إزار وأُزُر. ووجه من قرأ بفتح الثاء والميم: جعله جمع ثَمَرة كبقرة وبقر، ما بين واحدة وجمعه الهاء، قال أبو علي الفارسي: «يدل على أن واحد الثَّمَر ثَمَرة قوله: [مِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ](٤)، وقد كسَّروه على فُعُل فقالوا: ثِمار، كما قالوا: رَقَبَةٌ ورقابٌ». وجاء في كتاب اللغات في القرآن: أن قوله: [ثَمَرِه] قرئت بالفتح بالغة كنانة(٥)، وبالضم بلغة تميم(٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «والقراءتان حسنتان»(٨) ويوافقه أبو منصور الأزهري ويقول: «من قرأ [ثَمَرِه] و[ثُمُرِه] فهما واحد، هما جمع ثَمَرةً»(٩).

ويقول الرازي بعد توجيهه لكلتا القراءتين: «أما قراءة حمزة والكسائي فلها وجهان: الوجه الأول: وهو الأبين أن يكون جمع ثمرة على ثمر، كما قالوا: خشبة وخشب. والوجه الثاني: أن يكون جمع ثمرة على ثمار، ثم جمع ثماراً على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع. وأما وجه قراءة ابي عمرو: أن تخفيف ثمرٍ كقولهم: رُسْل ورُسُل، وأما قراءة الباقين فوجهها: أن الثمر جمع ثمرة،

---

(١) انظر: كتاب التسيير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٤.٢٦٣)، النشر، (٢٦٠/٢)، الإتحاف، ص(٢١٤).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شفا» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٠٦/٤ . ١٠٧)، مختار الصحاح، ص (٨٦)، المصباح المنير، (٨٤/١).

(٤) النحل، الآية، (٦٧).

(٥) كنانة بن خزيمة: قبيلة عظيمة من العدنانية، كانت ديارهم بجهات مكة، وتنقسم إلى عدة بطون منها قريش، من أشهر أيامهم يوم الفجار الأول والثاني والثالث، انظر: معجم قبائل العرب، (٩٩٧.٩٩٦/٣).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٦ . ١٤٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٢/٢ . ١٩٣)، الكشف (٤٤٣/١)، كتاب اللغات في القرآن، ص (٢٤).

(٧) انظر ذلك ص(   ).

(٨) الكشف، (٤٤٣/١).

(٩) كتاب معاني القراءات، ص (١٦١).

مثل: بقرة وبقر»[١]، فهو بقوله هذا يصوب كلتا القراءتين باعتبار أن المعنى فيهما واحد، وهما جمع ثمرة.

ويستشهد القرطبي بقول مجاهد، قائلا: «قال مجاهد: الثَّمر أصناف المال، والثَّمر ثمر النخل، وكأن المعنى على قول مجاهد: انظروا إلى الأموال التي يتحصل منها الثمر، فالثُّمُر بضمتين جمع ثمار وهو المال المُثَمَّر، ويجوز أن يكون ثُمُر جمع ثَمَرَة مثل بَدَنَة وبُدْن. ويجوز أن يكون ثُمُر جمع جمع، فتقول: ثمرة وثمار وثمر مثل حمار وحمر، ويجوز أن يكون جمع ثمرة كخشبة وخُشُب لا جمع الجمع»[٢].

بينما يختار الطبري قراءة من قرأ بضم الثاء والميم ويعلل ذلك بقوله: «لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافاً من المال وكذلك حبّ الزرع المتراكب، وقنوان النخل الدانية، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان، فكان ذلك أنواعاً من الثمر، فجمعت الثمرة ثُمُراً، ثم جمع الثمر ثماراً، ثم جمع ذلك فقيل: انظروا إلى ثُمُره، فكان ذلك جمع الثمار والثمر، والثمار جمع ثمرة، وإثماره: عقد الثمر»[٣].

(٢٨/٩١) الاختلاف في [وَخَرَقُوا] من قوله عز وجل: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ] الآية (١٠٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الراء وتخفيفها من قوله: [وَخَرَقُوا]، فقرأ نافع: [وَخَرَّقُوا] مشددة الراء، وقرأ الباقون: [وَخَرَقُوا] خفيفة الراء[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَعَنْهُمْ بِنَصْبِ اللَّيْلِ وَاكْسِرْ بِمُسْتَقَرْ ... رٌ الْقَافَ حُقًّا خَرَّقُوا ثِقْلُهُ انْجَلَى[٥]

ثانياً: توجيه القراءات:

الخَرْقُ: لغة في التَّخَلُّق من الكذب، يقال: خَلَقَ الكذب وتخرّقه واخترقه وخرّقه: أي اختلقه، ومنه قوله: [وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ]، قال الفراء: خرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا:

---

(١) التفسير الكبير، (١٣/١١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٤٩.٥٠).

(٣) تفسير الطبري، (٥/٢٩٥).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٤)، النشر، (٢/٢٦١)، الإتحاف، ص (٢١٤).

(٥) أشار الناظم بحرف (الألف) من قوله: «انجلى» إلى نافع. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

كلـه بمعنـى: افتعلـوا ذلـك كـذباً وكفـراً » وقـال أبـوالهيثم[1]: «الاختـراق والاخـتلاق والإخـتـراص والافتراء واحد». ويقال: خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها: إذا ابتدعها كذباً، وتخرّق الكذب وتخرّقه[2].

وجـه مـن قرأ بالتشـديد فعلـى التكثيـر؛ لأن المشـركين ادعـوا أن الله بنـات، وهـم الملائكـة، والنصـارى ادعت أن المسيح ابن الله، واليهود ادعت أن عزيزا ابن الله، فكثر ذلك من كفرم، فشدد الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً. وقال ابن زنجلـة: «من قرأ بالتشـديد؛ أي: مرّة بعد مرّة، مثل قَتَل وقتَّل»، ووجه من قرأ بالتخفيف؛ باعتبار أن التخفيف يدل على القليل والكثير[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما ذكر سبحانه هذه البراهين الخمسة السابقة من دلائل العالم الأسفل، والعالم الأعلى على ثبوت الإلهية، وكمال القدرة والرحمة، ذكر بعد ذلك أن من الناس من أثبت لله شركاء، فقال: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ]، وهو نوع آخر من جهالاتهم وضلالاتهم؛ أي: فيهم من اعتقد لله شركاء الجن، وقوله: [وَخَلَقَهُمْ] جملة حالية بتقدير: قد، أي: وقد علموا أن الله خلقهم، أو خلق ما جعلوه شركاء له، وقوله: [وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ] قرأ نافع بالتشديد: على التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن لله بنات وهم الملائكة، وسموهم (جناً)؛ لاجتنابهم، والنصارى ادعت المسيح ابن الله، واليهود قالت: عزير ابن الله، فكثر ذلك من كفرهم، فشدّدوا الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عما يقولون. وقرأ الباقون: بالتخفيف على التقليل والتكثير.

ومعنى [خَرَقُوا] أي: افتعلوا وافتروا لـه، يُقـال: خلـق الإفك واختلقـه وخرقـه واخترقـه بمعنى[4]، سئل الحسن البصري: عن معنى قوله: [خَرَّقُوا] بالتشديد، فقال: «إنما هو [خَرَقُوا] بالتخفيف، كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها وربّ الكعبة»، وقوله: [بِغَيْرِ عِلْمٍ] متعلق بمحذوف هو حال: أي: كائنين بغير علم، بل قالوا ذلك عن جهل خالص.

ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الفظيع من جعل الجن شركاء لله، إثبات بنين وبنات له نزه نفسه، فقال: [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ] أي: تنزه سبحانه وعلا، فارتفع عن

---

(١) العباس بن محمد، أبو الهيثم، كاتب، من أهل بغداد، تولى الكتابة للمقتدر العباسي، وطمع في الوزارة فاعتقله الوزير علي بن عيسى إلى أن توفي سنة (٣٠٢هـ). انظر: الأعلام، (٢٦٥/٥).

(٢) انظر: لسان العرب، (٧٥/١٠)، مختار الصحاح، ص (١٧٣).

(٣) انظر: الكشف، (٤٤٣/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٦/٢)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٤).

(٤) تفسير المشكل، ص (١٦٤).

الذي يصفه بهؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنات(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو منصور الأزهري قراءة من قرأ بالتخفيف قائلا: «التخفيف هو الوجه، يقال: خرق فلانٌ الكذب واخترقه»(٢).

وساق أبو علي الفارسي قول أبو الحسن موافقاً بذلك قول أبو منصور الأزهري فيقول: «قال أبو الحسن، الخفيفة أعجب إليّ؛ لأنها أكثر وبها اقرأ»(٣). وقال الرازي: «قال الواحدي: الاختيار التخفيف؛ لأنها أكثر، والتشديد للمبالغة والتكثير»(٤).

(٢٩/٩٢) الاختلاف في [دَرَسْتَ] من قوله عز وجل: [وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] الآية (١٠٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [دَرَسْتَ]، فقرأ ابن عامر [دَرَسَتْ] مفتوحة السين ساكنة التاء بغير ألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو [دَارَسْتَ] ساكنة السِّين وبألف، وقرأ الباقون: [دَرَسْتَ] ساكنة بغير ألف(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَضَمَّانِ مَعْ يَاءٍ نِ فِي ثُمُرٍ شَفَا ... وَدَارَسْتَ حَقٌّ مَدُّهُ وَلَقَدْ حَلا(٦)

ثانياً: توجيه القراءات:

دَرَسَ الكتاب يَدْرُسُهُ دَرْساً ودِراسةً ودارسه من ذلك: كأنَّه عانده حتى أنقاد لحفظه، وهو من باب نَصَرَ وكَتَبَ. والمَدْرسة: بفتح الميم موضع الدرس.

وجه من قرأ [دَرَسَتْ]، بفتح السين وسكون التاء بغير ألف؛ أنه أسند الفعل إلى الآيات، فأخبر عنهم أنهم يقولون: علمتْ ومحَتْ وتقادمَتْ، ودلّ على ذلك بقوله تعالى: [أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ](٧) أي: هو شيء قديم، قد عفا وأمحى رسمه لقدمه(٨).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٩٨.٢٩٦/٥)، فتح القدير، (١٤٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٥٣.٥٢/٧)، تفسير أبي السعود، (١٦٨.١٦٧/٣)، التفسير الكبير، (١١٧.١١٢/١٣).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٦٤).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٦/٢).

(٤) التفسير الكبير، (١١٧/١٣).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٥)، كتاب السبعة، ص (٢٦٤)، النشر، (٢٦١/٢)، الإتحاف، ص (٢١٤).

(٦) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى أبي عمرو وابن كثير. المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٧) النحل، الآية (٢٤).

(٨) انظر: الكشف، (٤٤٤/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٧/٢)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٤).

ووجه من قرأ [دَرَسْتَ] بسكون السين وبغير ألف؛ أنه أضاف الفعل إلى النبي ρ، فأخبر عنهم أنهم يقولون: درس محمدٌ الكتب، كتب الأولين، فأتى بهذا القرآن منها، قال ابن زنجلة: «حجتهم قراءة أُبيّ وعبد الله: [وَلِيَقُولُوا دَرَسَ]، دل على أن الفعل له وحده»، وقال أبو علي الفارسي: «أسند الفعل فيه إلى الغيبة، كما أسنده إلى الخطاب وهو، فَعَلْتَ من دَرَسْتُ، كما أنّ دارَسْتَ فاعَلْتَ منه»[1].

وأما قراءة الباقين فتأويلها: جادلت اليهود وجادلوك، كذلك قال ابن عباس، وبه قرأ مجاهد، وفسره: قرأت على اليهود وقرأوا عليك، ودلّ على هذا المعنى قوله: [هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ][2]، أي: ويقولون أعان اليهود النبي ρ على القرآن وذاكروه فيه، وهذا كله قول المشركين في النبي ρ وفي القرآن[3]، ومثله قوله: [مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ][4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن تمم سبحانه الكلام في الإلهيات إلى هذا الموضع، شرع في هذا الموضع في إثبات النبوات ، فبدأ تعالى بحكاية شبهات المنكرين لنبوة محمد ρ فقال: [وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ]، أي: مثل ذلك التصريف البديع نصرفها في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه، لا تصريفاً أدنى منه. ثم قال: [وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ] العطف على محذوف؛ أي: نصرف الآيات لتقوم الحجة: وليقولوا درست، أو علة لفعل محذوف قيدّر متأخراً: أي: وليقولوا درست صرفناها، وعلى هذا تكون اللام للعاقبة أو للصيرورة. والمعنى: ومثل ذلك التصريف نصرّف الآيات وليقولوا درست، فإنه لا احتفال بقولهم و لا اعتداد بهم، فيكون معناه الوعيد والتهديد لهم وعدم الاكتراث بقولهم.

واختلف في قراءة [دَارَسْتَ] فقرأت بألف بين الدال والراء كفاعلت، والمعنى: دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي: ذاكرتهم وذاكروك، وقرئت [دَرَسَتْ] بفتح السين من غير ألف كـ(خَرَجَتْ)، والمعنى: قدِمت هذه الآيات وعفت و انقطعت، وقراءة ثالثة [دَرَسْتَ] كـ(ضَرَبْتَ)، والمعنى عليها مثل المعنى على القراءة الأولى.

ولقد أوضح سبحانه بطلان افترائهم هذا في آيات كثيرة، كقوله: [أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ][5]، وقوله: [إِنْ هَذَا

(١) الكشف، (٤٤٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٩٧/٢).

(٢) الفرقان، الآية (٤).

(٣) انظر: كتاب معاني القراءات، ص (١٦٤)، الكشف، (٤٤٤/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٧).

(٤) النحل، الآية (٢٤).

(٥) النحل، الآية (١٠٣).

سِ حْ رٌ يُؤْ ثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ] (١)، ومعنى: [يُؤْثَرُ] أي: يرويه محمد ρ عن غيره في زعمهم الباطل، إلى غير ذلك من الآيات(٢).

ثم قال سبحانه: [وَلِنُبَيِّنَهُ] اللام لام كي(٣) أي: نصرف الآيات لكي نبينه لقوم يعلمون، والضمير راجع إلى الآيات، لأنها في معنى القرآن، أو إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر؛ لأنه معلوم من السياق إلى التبيين المدلول عليه بالفعل، وقوله: [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] تخصيصه بهم لما أنهم المنتفعون به. قال ابن عباس: «هم أولياؤه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، ووصفهم بالعلم؛ للإيذان بغاية جهل الأولين، وخلوهم عن العلم بالمرة»(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور جميع القراءات، قائلا: «وكله جائز»(٥). بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بفتح التاء من غير ألف ويقول بعد توجيهه لهذه لقراءة: «فأتى بهذا القرآن منها»(٦).

ويوافقه شيخ المفسرين الإمام الطبري ويقول: «وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: [وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ] بتأويل: قرأت وتعلمت؛ لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي ρ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ](٧) فهذا خبر من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد وما يأتيكم به من غيره»، ثم يقول: «فإذا كان كذلك قولهم، فالقراءة: [وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ] يا محمد: بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب، أشبه بالحق، وأولى بالصواب من قراءة من قرأ: [دَارَسْتَ]؛ بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم، وغير ذلك من القراءات»(٨).

وقال القرطبي: «كان أبو حاتم يذهب إلى أن هذه القراءة لا تجوز؛ لأن الآيات لا تُدارس»، ثم يقول: «وقال غيره: القراءة بها تجوز، وليس المعنى على ما ذهب إليه أبو حاتم، ولكن معناه: دارست أمتك؛ أي: دارستك أمتك وإن كان لم يتقدم لها ذكر، مثل قوله: [حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ](٩)»(١).

---

(١) المدثر، الآيات (٢٤. ٢٦).

(٢) انظر: أضواء البيان، (٢/٢٠٦ . ٢٠٧).

(٣) سبق توضيحها في ص (   ).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٥/٣٠٥ . ٣٠٨)، فتح القدير، (٢/١٤٩ . ١٥٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٥٩ . ٦٠)، تفسير أبي السعود، (٣/١٧٠ . ١٧١)، التفسير الكبير، (١٣/١٣٤ . ١٣٧).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٤).

(٦) الكشف، (١/٤٤٤).

(٧) النحل، الآية (١٠٣).

(٨) تفسير الطبري، (٥/٣٠٥).

(٩) ص، الآية (٣٢).

(٣٠/٩٣) الاختلاف في [أَنَّهَا] من قوله عز وجل: [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] الآية (١٠٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الإلف وكسرها من قوله عز وجل: [أَنَّهَا]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة: [إِنَّهَا] بالكسر، وقرأ الباقون: [أَنَّهَا] بالفتح[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وحَرِّكْ وسَكِّنْ كافياً واكسِرُوا إنَّها حِمى صَوْبِهِ بالخُلْفِ دَرَّ وأَوبلا[٣]

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه من قرأ بالكسر؛ أنه جعل الكلام تاماً عند قوله: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] وابتدأ بأن فكسرها، والتقدير: وما يشعركم إيمانهم، فالمفعول محذوف، وقال ابن زنجلة: «حجة من كسر قوله بعدها: [وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ] إلى قوله: [مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا][٤] فأوجب لها الكفر، وقال: [وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ][٥] أي: أن الآية إن جاءتهم لم يؤمنوا كما لم يؤمنوا أول مرة»[٦].

ووجه من قرأ بالفتح؛ أنه جعلها بمعنى (لعلّ) لغة فيها، على قول الخليل: «حكى عن العرب: إئت السوق أنك تشتري لنا شيئاً»؛ أي: لعلك, ويضيف ابن أبي طالب وجهاً آخر فيقول: «ويجوز أن يعمل فيها [يُشْعِرُكُمْ] فيفتح على المفعول به؛ لأن معنى شعرت به دريت، فهو في اليقين كعلمت، وتكون (لا) في قوله: [لَا يُؤْمِنُونَ] زائدة، والتقدير: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية إذا جاءته يؤمنون، أي: أنهم لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية التي اقترحوا بها». وقال ابن خالويه: وكذلك لفظها في قراءة عبد الله وأبيّ»[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٥٩).

(٢) انظر: كتاب التسيير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٥)، النشر، (٢/٢٦١)، الإتحاف، ص (٢١٥).

(٣) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كافيا» إلى ابن عامر، وبحرف (الحاء)، من قوله: «حمى» إلى أبي عمرو، وبحرف (الصاد) من قوله: «صوبه» إلى شعبة، والصَّوب: نزول المطر، ودرّ تتابع نزوله، وأوبل: صار ذا وابل. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٤) الأنعام، الآية (١١١).

(٥) الأنعام، الآية (١١٠).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٧)، الكشف، (١/٤٤٥) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٥ . ٢٦٦).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٦.٢٦٧)، الكشف، (١/٤٤٤.٤٤٥)، الحجة: ابن خالويه، (١٤٧)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٥).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن حكى سبحانه عن الكفار شبهة توجب الطعن في نبوة النبي ρ، وهي قولهم: أن القرآن إنما جئت به؛ لأنك تدارس العلماء، وتباحث الأقوام الذين عرفوا التوراة والإنجيل، ثم تجمع هذه السورة وهذه الآيات بهذا الطريق؛ ثم أنه سبحانه أجاب عن هذه الشبهة بما سبق من الآيات.

ثم استعرض سبحانه شبهه أخرى وهي قولهم: إن هذا القرآن كيفما كان أمره، فليس من جنس المعجزات البتة، ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة قاهرة وبينة ظاهرة لآمنا بك. وحلفوا على ذلك وبالغوا في تأكيد ذلك الحلف، فالمقصود من هذه الآية تقرير هذه الشبهة، فقال سبحانه: [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ]؛ أي: حلفوا، وجهد اليمين: أشدها، وهو بالله، وقوله: [جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] أي: غاية أيمانهم التي بلغها علمهم، وانتهت إليها قدرتهم، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأن هذه الآلهة إنما يعبدونها ظناً منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما أخبر عنهم بقوله تعالى: [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى] وكانوا يحلفون بآبائهم والأصنام وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى، ويسمونه جهد اليمين، إذا كانت اليمين بالله.

وسبب نزول الآية: أن قريشاً قالت: يا محمد تخبرنا بأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى كان يحي الموتى، وأن ثموداً كانت لهم ناقة، فائتنا ببعض هذه الآيات حتى نصدقك؟، فقال: «أي: شيء تحبون»، فقالوا: أجعل لنا الصفا ذهباً، فوالله إن فعلته لنتبعك أجمعون، فقام رسول الله ρ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولئن أرسل الله آية ولم يصدقوا عندها لنعذبنهم، فاتركهم حتى يتوب تائبهم»، فقال رسول الله ρ: «بل يتوب تائبهم» فنزلت هذه الآية[1]، وبين الرب بأنه قد سبق العلم الأزلي بأنهم لا يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون وإن أقسموا.

قال الشوكاني: «ليس غرضهم الإيمان، بل معظم قصدهم التحكم على رسول الله ρ، والتلاعب بآيات الله، ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بقوله: [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] أي: قل يا محمد، الله قادر على الإتيان بها، وبغيرها، وليس عندي من ذلك شيء، فهو سبحانه إن أراد إنزالها لأنزلها وإن أراد أن لا ينزلها لم ينزلها».

ثم قال سبحانه: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] أي: وما يدريكم إيمانكم، قال ابن مجاهد: «المخاطب بهذا المشركون، أي: وما يدريكم» ثم حكم عليهم فقال: [أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ]، وقال الفراء: «الخطاب للمؤمنين؛ لأن المؤمنين قالوا للنبي ρ: يا رسول الله لو نزلت الآية لعلهم يؤمنون، فقال الله تعالى: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ]».

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير، (١٥٢/٢).

قال الطبري: «وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ρ، أعني: قوله: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ]، وأن قوله: [أَنَّهَا] بمعنى: لعلها»، ثم يقول: «إنما معنى الكلام وما يدريكم أيها المؤمنون، لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخَّروا عنه».

وعموماً هذه الآية سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه، ببيان علوم شأن الآيات وصعوبة منالها، وتعاليها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو منصور الأزهري قراءة من قرأ بكسر الألف من قوله: [إِنَّهَا]، قائلاً: «والقول هو الأول، والله أعلام»[٢]، وساق ابن زنجلة قول سيبويه في اختياره لقراءة [إِنَّهَا] بكسر الألف، قائلا: «قال سيبويه: «سألت الخليل عن قوله: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ]، ما منعها أن تكون كقولك: وما يدريك أنه لا يفعل؟»، فقال: «لا يحسن ذلك في هذا الموضع، إنما قال: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ]، ثم ابتدأ فأوجب فقال: [إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ]، ولو قال: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] كان عذراً لهم»»[٣].

بينما يرجح ابن أبي طالب القراءة بالفتح؛ قائلاً: «والاختيار الفتح؛ لأن عليه الجماعة»[٤]، وهو مايراه الطبري أيضاً، ويعلل ذلك بقوله: «إن قوله: [أَنَّهَا] بمعنى: لعلها»[٥].

وقال الشوكاني: «قال الخليل: [أَنَّهَا] بمعنى: لعلها، وفي التنزيل: [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى][٦] أي أنه يزكى؛ أي: لعلنا، و قد ورد (أن) في كلام العرب كثيراً بمعنى: لعل»، ثم يقول: «وحكى الكسائي: أنها كذلك في مصحف أبي ابن كعب»[٧].

(٣١/٩٤) الاختلاف في [لَا يُؤْمِنُونَ] من قوله تعالى: [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] الآية (١٠٩).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣١١/٥ . ٣١٤)، فتح القدير، (١٥٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٦٢/٧.٦٥)، تفسير أبي السعود، (١٧٢/٣ . ١٧٣)، التفسير الكبير، (١٤٢/١٣ . ١٤٧).

(٢) كتاب معاني القر اءات، ص(١٦٥).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٥).

(٤) الكشف، (٤٤٥/١).

(٥) تفسير الطبر ي، (٣١٣/٥).

(٦) عبس، الآية (٣).

(٧) فتح القدير، (١٥٢/٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [لا يُؤْمِنُونَ]، فقرأ ابن عامر وحمزة: [لا تُؤْمِنُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [لا يُؤْمِنُونَ] بالياء[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخاطبٌ فيها يؤمنون كما فشا وصحبةُ كُفؤٍ في الشريعةِ وصَّلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الإيمان: التصديق، آمن يُؤمن إيماناً، فهو مؤمن، والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن أأْمَن بهمزتين، ليِّنت الثانية[3].

وجه من قرأ بالتاء: أنه انصرافٌ من الغيبة إلى الخطاب، والمراد بالمخاطبين في يؤمنون هم الغيبُ المقسمُون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون، مثل قوله: [الْحَمْدُ لِلَّهِ]4، ثم قال: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]5، ونحو ذلك مما يصرف إلى الخطاب بعد الغيبة، قال ابن خالويه: «ودليله قوله: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ]6، خطاب للمشركين الذين أقسموا، فقال جل وعز: وما يدريكم أنكم [تُؤْمِنُونَ]»[7].

ووجه من قرأ بالياء؛ أنه أراد معنى الغيبة، إخباراً عنهم، ودليله قوله: [أَفْئِدَتَهُمْ]8، وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «وجه من قرأ بالياء: أن قوله: [جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا] إنما يراد به قوم مخصوصون، يدلك على ذلك قوله: [وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى]9، وليس كل الناس بهذا الوصف، فالمعنى: وما يشعركم أيها المؤمنون، لعلهم إذا جاءت الآية التي اقترحوها لم يؤمنوا»[10].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٥)، النشر، (٢٦١/٢)، الإتحاف، ص (٢١٥).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كما» إلى ابن عامر، وبحرف (الفاء) من قوله: «فشا» إلى حمزة، ثم أشار إلى حمزة والكسائي وشعبة بكلمة (صحبة)، وا إلى ابن عامر بحرف (الكاف) من قوله: «كفا»؛ وهم الذين قرءوا بتاء الخطاب في قوله: [فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ] الجاثية الآية (٦). انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨١).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٥.٢٣/١٣)، مختار الصحاح، ص (٢٦)، المصباح المنير، (٢٤/١).

(٤) الفاتحة، الآية (٢).

(٥) الفاتحة، الآية، (٤).

(٦) الأنعام، الآية، (١١٠).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠١/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص (٤٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٦٧).

(٨) الأنعام، الآية (١١٠).

(٩) الأنعام، الآية (١١١).

(١٠) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠١/٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب القراءة بالياء، معللاً ذلك بقوله: «لأن بعد قوله: [يُؤْمِنُونَ] لفظ غيبة في قوله: [وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ]، إلى قوله: [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ][٢] كله بلفظ الغيبة، فحمل [يُؤْمِنُونَ] في لفظ على ما قبله وما بعده، فاتسق الكلام كله على نظام واحد»، ثم يقول: « وذلك أفصح وأقوى؛ لأن أكثر القراء علي الياء»[٣].

ويوافقه شيخ المفسرين، الطبري ويعلل ذلك بقوله: «لاستفاضة القراءة في قرأة الأمصار بالياء»[٤]، ويقول الرازي بعد توجيهه لقراءة الياء: «هو الوجه؛ لأن قوله: [أَقْسَمُوا بِاللَّهِ] إنما يراد به قوم مخصوصون، والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: [وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ][٥] وليس كل الناس بهذا الوصف، والمعنى: وما يشعركم أيها المؤمنون لعلهم إذا جائتهم الآية التي اقترحوها لم يؤمنوا، فالوجه الياء» [٦].

بينما يرجح أبو علي الفارسي القراءة الثانية ويقول بعد توجيهه لها: «وجه الياء في قوله: [لَا يُؤْمِنُونَ] أن المراد بمن نفي عنه الإيمان، هم الغُيَّبُ المقسمون، والوجه على هذا: لا يؤمنون، أي: لا يؤمن هؤلاء الغَيب المقسمون، وليس الخطاب للمؤمنين فيكون قوله: [لَا تُؤْمِنُونَ] بالتاء»[٧].

(٣٢/٩٥) الاختلاف في [قُبُلًا] من قوله عز وجل: [وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ] الآية (١١١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضمّ القاف وكسرها من قوله عز وجل: [قُبُلًا]، فقرأ نافع وابن عامر: [قِبَلًا] بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون: [قُبُلًا] بضم القاف والباء[٨].

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) الأنعام، الآية (   ).

(٣) الكشف، (٤٤٦/١).

(٤) تفسير الطبري، (٣١٤/٥).

(٥) الأنعام، الآية (١١١).

(٦) التفسير الكبير، (١٤٥/١٣).

(٧) الحجة: أبو علي الفارسي (٢٠١/٢).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٥.٢٦٦)، النشر، (٢٦١/٢.٢٦٢)، الإتحاف، ص (٢١٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وكسرٌ وفتحٌ ضُمَّ في قِبَلاً حَمى ظهيراً وللكوفيِّ في الكهف وصِّلا[1]

ثانياً: توجيه القراءات:

القِبَل: لما ولي الشيء، تقول: ذهب قِبَلَ السوق، وقالوا: لي قِبَلك مال أو فيما يليك، واتسع فيه فأُجري مجرى (على) إذا قلت: لي عليك مال، وقوله قِبَلاً؛ أي عياناً. قال ابن منظور: «جاء في التهذيب ويجوز أن يكون قُبُل جمع قبيل ومعناه الكفيل، تقول: قبِلَ به يقبِل بضم الباء وكسرها (قبالةً) بالفتح»[2].

وجه من قرأ بكسر القاف وفتح الباء؛ أنه جعل بمعنى المواجهة والمقابلة، أي: وحشرنا عليهم كل شيء يواجهونه ويعاينوه ما آمنوا إلاّ أن يشاء الله. قال أبو علي: «كأنهم من شدة عنادهم وتركهم الإذعان، والانقياد للحق، يشكّون في المشاهدات التي لا شكَّ فيها، ومثله قوله: [فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ][3]، وقوله: [وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ][4]»[5].

ووجه من قرأ بالضم في القاف والباء؛ أنه جعله جمع (قَبيل) كرغيف ورُغُف، وهم الجماعة ليسوا بني أبٍ واحد، والمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلا قبيلاً. والقبيله، بالهاء: بنو أبٍ واحد وجمعها القبائل. ويجوز أن يكون قُبُلاً جمع قبيل، وهو الكفيل، فيكون المعنى: لو حُشِر عليهم كل شيء، فكفَل لهم بصحة ما تقول ما كانوا ليؤمنوا، قال ابن أبي طالب: «وفي كفالة مالا يُعقل آية عظمية لهم، ما آمنوا إلا أن يشاء الله»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في هذه الآية تفصيل ما ذكره على الإجمال بقوله: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] فبين تعالى أنه لو أعطاهم ما طلبوه من إنزال الملائكة وإحياء الموتى حتى كلموهم، بل لو زاد في ذلك ما لا يبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شيء قبلاً، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.

---

(١) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حمى» إلى أبي عمرو، وبحرف (الظاء) من قوله: «ظهيراً» إلى الكوفيين وابن كثير، ثم أشار إلى الكوفيين بقوله: «وللكوفي [أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا] الكهف (٥٥) بضم كسر القاف وضم فتح الباء. انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي، ص(١٨٢).

(٢) انظر: لسان العرب، (٥٤٣/١١)، مختار الصحاح، ص (٥٢)، المصباح المنير، (٤٨٨/٢ أ ٤٨٩).

(٣) الأحقاف، الآية (٢٤).

(٤) الطور، الآية (٤٤).

(٥) انظر: الكشف، (٤٤٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٧)، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٠٢/٢).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٧. ٢٦٨)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٦)، الكشف (٤٤٦/١ . ٤٤٧).

فقال تعالى: [وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ] أي: لا يؤمنون, ولو نزلنا إليهم الملائكة فرأوهم عياناً, كما اقترحوه بقولهم: [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ][1], وقوله تعالى: [وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى] الذين يعرفونهم بعد إحيائنا لهم, فقالوا لهم: إن هذا النبي صادق مرسل من عند الله فآمنوا به, لم يؤمنوا, قوله [وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ] مما سألوه من الآيات, [قُبُلًا] أي: كفلاً, وضمناً بما جئناهم به من الآيات البينات, على قراءة الجمهور, والمعنى على القراءة الثانية: أي: مقابلة, والحشر: الجمع, قوله: [مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا] ؛أي: ما صح وما استقام لهم الإيمان لتماديهم في العصيان, وعلوهم في التمرد والطغيان, قوله: [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] استثناء مفرغ, من أعم الأحوال, أي إلا في حال مشيئة الله تعالى لإيمانهم.

قال القرطبي «وفي هذا تسلية للنبي ρ », ثم قال: [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ] جهلاً يحول بينهم وبين إدراك الحق والوصول إلى الخطاب. [2]

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القراءتين معاً, قائلاً «حكى أبوزيد: لقيت فلاناً قُبُلاً ومقابلة, وقَبَلاً وقِبَلاً, كلُّه بمعنى المواجهة, فيكون الضم كالكسر في المعنى, وتستوي القراءتان», ثم يقول: «ويدل على أن القراءة بالضم بمعنى المقابلة, قوله: [إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ][3] فهذا من المقابلة لا غير, ألا ترى أن بعده [دُبُرٍ] فالدبر ضد القُبل, ومن قرأ بالكسرة فإنه جعله بمعنى المواجهة والمعاينة, فلذلك تتفق القراءتان»[4].

ويوافقه أبوعلي الفارسي ويقول بعد توجيهه لكلتا القراءتين قائلا: «فالمعنى في القراءتين على ما قاله أبو زيد واحد، إن اختلفت الألفاظ»[5]، وذكر القرطبي كلتا القراءتين مع توجيهها ثم ساق تصويب ابن أبي طالب لكلتاهما, مكتفياً بذلك من دون تعقيب منه,[6]. وساق الرازي قول الواحدي مستشهداً بقول أبي زيد في تصويبه في لكلتا القراءتين، فيقول: «قال الواحدي: معنى قول أبي زيد المعني في القراءتين واحد وإن اختلف اللفظان»[7].

---

(١) الأنعام، الآية (٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣.١/٥)، فتح القدير، (١٥٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٦٧.٦٦/٧)، تفسير أبو السعود، (١٧٤/٣ . ١٧٥)، التفسير الكبير، (١٤٩/١٣ . ١٥٢).

(٣) يوسف، الآية (٢٦).

(٤) الكشف، (٤٤٧/١).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠٢/٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٦٦/٧).

(٧) التفسير الكبير، (١٥٠/١٣).

بينما يرجح الطبري قراءة من قرأ [قُبُلا] بضم القاف والباء, ويقول: «وأولى القراءتين من ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ [قُبُلا] بضم القاف والباء»[1].

(٣٣/٩٦) الاختلاف في [مُنَزَّلٌ] من قوله عز وجل: [أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] الآية (١١٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلف في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [مُنَزَّلٌ]، فقرأ ابن عامر وحفص: [مُنَزَّلٌ] بالتشديد, وقرأ الباقون: [مُنْزَلٌ] بالتخفيف[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وشدَّدَ حَفْصٌ مُنْزَلٌ وابْنُ عامِرٍ وحُرِّم فتْحُ الضَّمِّ والكسْرِ إذْ علا[3]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [مُنَزَّلٌ] لغوياً في النص رقم (٣١/٣١)[4]. وجه من قرأ بالتشديد؛ جعله من نزَّل ينزِّل, ودليله قوله: [تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ][5]، ووجه من قرأ بالتخفيف؛ جعله من أنزل، ودليله قوله: [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ][6]، وقوله: [لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ][7][8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن حكى سبحانه عن الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها, أجاب عنه بأنه لا فائدة في إظهار تلك الآيات, لأنه تعالى لو أظهرها لبقوا مصرين على الكفر, ثم إنه سبحانه بين في هذه الآية أن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل, فكان ما يطلبونه طلباً للزيادة, وذلك مما لا يجب الإلتفات إليه.

ثم قال سبحانه للنبي ρ: [أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا]؛ أي: أفغير الله أطلب لكم حاكماً, وهو الذي كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل, أي: المبين. قال الواحدي: «الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة,

---

(١) تفسير الطبري، (٢/٥).

(٢) انظر: كتاب التيسير، (١٠٦)، كتاب السبعة ص (٢٦٦)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٣) انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، (١٨٢)..

(٤) انظر ذلك في ص (   ).

(٥) الجاثية، الآية (٢).

(٦) النحل، الآية (٦٤).

(٧) النساء، الآية (١٦٦).

(٨) انظر: الكشف، (٤٤٨/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠٣/٢).

غير أن بعض أهل التأويل قال: الحكم أكمل من الحاكم؛ لأن الحاكم كل من يحكم, وأما الحكم فهو الذي لا يحكم إلا بالحق, والمعنى أنة تعالى حكم حق لا يحكم إلا بالحق».

ثم أخبر سبحانه نبيه ρ أن أهل الكتاب وإن أظهروا الجحود والمكابرة, فإنهم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله مما دلت عليه كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل من أنه رسول الله, وأنه خاتم الأنبياء، فقال: [وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ] و[بِالْحَقِّ] متعلق محذوف وقع حالاً؛ أي: متلبساً بالحق الذي لا شك فيه ولا شبهه, قال أبو السعود: «وفي التعبير عن التوراة والإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما، وبين القرآن المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عند الله تعالى ,مع ما فيه من الإيجاز وإيراد الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب، للإيذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت».

ثم نهاه سبحانه أن يكون من الممترين, فإن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن منزل فقال [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ], والخطاب لكل من يصلح له: أي: فلا يكونن أحد من الناس من الممترين، ولا يقدح في ذلك كون الخطاب لرسول الله ρ, فإن خطابه خطاب لأمته ρ[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلاً: «هما لغتان, بمعنى واحد, يقال: نزّل وأنزل», ثم يقول: «لكن في الشديد معنى التكرير»[٢]، ومن المفسرين نجد أن الرازي قد أشار إلى القراءتين من دون أن يعلق عليهما[٣].

(٣٤/٩٧) الاختلاف في [كَلِمَةُ] من قوله عز وجل: [وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] الآية (١١٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التوحيد والجمع في قوله عز وجل: [كَلِمَةُ]، فقرأ الكوفيون: [كَلِمَةُ] بالتوحيد، وقرأ الباقون: [كَلِمَاتِ] بالجمع[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وقل كلمات دون ما ألف ثوى وفي يونس والطول حاميه ظللا[٥].

---

(١) تفسير الطبري، (٩.٨/٥)، فتح القدير، (١٥٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧٠/٧)، تفسير أبي السعود، (١٧٦/٣ . ١٧٨)، التفسير الكبير، (١٥٨/١٣ . ١٦٠).

(٢) الكشف، (٤٤٨/١)

(٣) التفسير الكبير، (١٥٩/١٣)

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، (٢٦٦)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٥) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثوى» إلى الكوفيين، ثم أشار إلى أن أبي عمرو وابن كثير والكوفيين قرؤوا: [كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا] و[إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ] كلاهما في

ثانياً: توجيه القراءات:

الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكَلِم: لا يكون أقلّ من ثلاثة كلمات؛ لأنه جمع (كلمة) وفيها ثلاث لغات: كَلِمة بكسر اللام مع فتح الكاف: لغة الحجاز، وجمعها كَلِم وكلمات، وكِلْمة بكسر الكاف وسكون اللام على لغة بني تميم، والثالثة: كَلْمة. والكلام في أصل اللغة عبارة عن أصواتٍ متتابعة لمعنىً مفهوم، وفي اصطلاح النحاة هو اسمٌ لما تركب من مسندٍ ومسندٍ إليه.

والقرآن: كلام الله، وكلِم الله، وكَلِماته وكِلمته، وكلام الله لا يُحدّ ولا يُعدّ، وفي الحديث (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ)(1)، قال ابن الأثير: «إنما وصف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب، كما يكون في كلام الناس»(2).

وجه من قرأ بالتوحيد؛ أن الكلمة قد جاءت يراد بها الكثرة والجمع، قال ابن زنجلة: «حجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(3)، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾(4) فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه»، ويضيف ابن أبي طالب: «قرئ بالتوحيد؛ لأن لفظ الواحد يدل على الجمع، وهو أخف، إذ هي على معنى قراءة من قرأ بالجمع» ويقول أبو علي الفارسي: ويؤكد ذلك أمرٌ آخر وهو أن المضاف قد يقع على الكثرة في نحو قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(5)»(6).

ووجه من قرأ بالجمع، أن معنى (الكلمات) في هذا ما جاء من عند الله من وعد ووعيد وثواب وعقاب، وأخبار عما كان، وعما يكون، وذلك كثير، فجمع (الكلمات)؛ لكثرة ذلك، وحجة أخرى أضافها ابن زنجلة وهي: «إن الكلمات جاءت بعدها بلفظ الجمع فقال: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾،

يونس الآيتان (33، 96)، و﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في غافر الآية (6) من غير ألف في المواضع الثلاثة. انظر: المتن، ص(52)، الوافي، ص(182).

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾، حديث رقم (3120).

(2) انظر: لسان العرب، (12/522.523)، مختار الصحاح، ص (577)، المصباح المنير، (2/539).

(3) الأعراف، الآية (137).

(4) هود، الآية (119).

(5) إبراهيم، الآية (34).

(6) انظر: الكشف (1/204) الحجة: ابن زنجلة، ص (268)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/204)، الحجة: ابن خالويه، ص (148).

وفيها إجماع»، وقال: «إنها مكتوبة بالتاء، فدلّ ذلك على الجمع؛ وعلى أن الألف التي قبل التاء اختصرت في المصحف»[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن القرآن معجز بقوله: [أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا..][2] فذكر في هذه الآية أنه [تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا]؛ والمراد بالكلمات: العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى: أن الله قد أتمّ وعده ووعيده، فظهر الحق وانطمس الباطل. قال قتادة: «الكلمات هي القرآن، لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون». وهذه الصفة الأولى.

الصفة الثانية والثالثة: قوله: [وَعَدْلًا] أي: فيما وعد وحكم، لا رادّ لقضائه، ولا خُلْف في وعده الصفة الرابعة: قوله: [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد، وعدلاً في الأقضية والأحكام، لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل، ولا بما هو بمثله، فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى.

قال القرطبي: «ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن؛ لأنه حق لا يمكن تبديله بما يناقضه، لأنه من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الأمور كلها»، ثم قال سبحانه [وَهُوَ السَّمِيعُ] لكل ما يتعلق به السمع [الْعَلِيمُ] بكل ما يمكن أن يعلم[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «الكلمة تنوب عن الكلمات، تقول العرب قال: فلان في كلمته، أي: في قصيدته، والقرآن كله كلمة الله، وكلِم الله، وكلام الله، وكلمات الله، وكله صحيح في كلام العرب»[4].

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالجمع، ويقول: «الاختيار الجمع، لأنه الأصل، وبه يرتفع الإشكال، وعليه أكثر القراء في سورة الأنعام[5]»[6].

---

(١) الكشف، (٤٤٧/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠٤/٢)، الحجة: ابن زنجلة ص (٢٦٨).

(٢) الآية (١١٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٩/٥)، فتح القدير، (١٥٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧٠/٧ . ٧١)، تفسير أبي السعود، (١٧٨/٣)، التفسير الكبير، (١٦٠/١٣ . ١٦٢).

(٤) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٦).

(٥) في قوله: [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ] الآية (٣٤).

(٦) الكشف (٤٤٨/١).

(٣٥/٩٨) الاختلاف في قوله عز وجل: [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] الآية (١١٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الياء وفتحها من قوله عز وجل: [يَضِلُّ]، فقرأ الكسائي وحده: [يُضَلُّ] بضم الياء وفتح الضاد، وقرأ الباقون: [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد[١].

ثانياً: توجيه القراءات:

الضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرشاد، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ بالكسر ضلالاً، وضَلالة، قال تعالى: [قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي][٢]، فهذه لغة نجد وهي الفصيحة، والإضلال في كلام العرب: ضد الهداية والإرشاد، يُقال: أضللت فلاناً، إذا وجَّهْته للضَّلال عن الطريق[٣].

وجه من قرأ بضم الياء وفتح الضاد من [يُضَلُّ]؛ فموضع [مَنْ] رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يَضِل عن سبيله. وهو مثل قوله: [لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى][٤].

ووجه من قرأ: [مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ] فهو بهذا المعنى أيضاً، إلا أن الفعل خرج مخرج ما لم يُسم فاعله، يقال: ضل فلان يضل ضلالاً، وأضلّه الله، أي: لم يهده[٥].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن أجاب سبحانه عن الشبهات الكفار وبين بالدليل صحة نبوة محمد ρ، بين أن بعد زوال الشبهة، ووضوح الحجة، لا ينبغي أن يلتفت العاقل إلى كلمات الجهال، ولا ينبغي أن يتشوش بسبب كلماتهم الفاسدة، فقال: [وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ]، فقد أخبر سبحانه نبيه ρ بأنه إذا رام طاعة أكثر من في الأرض أضلوه؛ لأن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين؛ وهم الطائفة التي لا تزال على الحق ولا يضرها خلاف من يخالفها، قال الرازي: «وهذا يدل على أن أكثر أهل الأرض كانوا ضلالاً؛ لأن الإضلال لا بد وأن يكون مسبوقاً بالضلال».

ثم علل سبحانه وتعالى ذلك بقوله: [إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ] أي: ما يتبعون إلا الظن الذي لا أصل له، وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة، وأنها تقربهم إلى الله، وقوله: [وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ] أي: وما هم إلا يخرصون أي: يحدسون ويقدرون، وأصل الخوض: القطع، ومنه

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٦)، وكتاب السبعة، ص (٢٦٦)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢٦).

(٢) سبأ، الآية (٥٠).

(٣) انظر: لسان العرب، (٣٩١.٣٩٠/١١)، مختار الصحاح، ص(٣٨٣)، المصباح المنير، (٣٦٤.٣٦٣/٢).

(٤) الكهف، الآية (١٢).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٦ . ١٦٧).

خرص النخل يخرص؛ إذا حزره ليأخذ منه الزكاة، فالخارص يقطع ما لا يجوز القطع به، إذ لا يقين منه، وإذا كان هذا حال أكثر من في الأرض فالعلم الحقيقي هو عند الله سبحانه.

قوله تعالى: [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] وهو تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها، وتأكيد لما يفيده من التحذير أي: هو أعلم بالفريقين، فأحذر أن تكون من الأولين(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: «من قرأ [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد، فالمعنى: أن ربك هو أعلم أيُّ الناس يضل عن سبيله. ومن قرأ [يُضَلُّ] بضم الياء وفتح الضاد، فهو بهذا المعنى أيضاً»(٢) وكأنه بذلك يقرر أن المعنى في كليهما واحد، إذا كلتا القراءتين صواباً عنده.

بينما يرجح القرطبي قراءة من قرأ [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد، قائلاً: «والأول أحسن؛ لأنه قال: [بِالْمُهْتَدِينَ]، فلو كان من الإضلال لقال: (وهو أعلم بالهادين)»(٣).

(٣٦/٩٩) الاختلاف في [فَصَّلَ] و[حَرَّمَ] من قوله عز وجل: [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] الآية **(١١٩)**.

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الفاء والحاء من قوله عز وجل [فَصَّلَ] و[حَرَّمَ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: [فُصِّلَ] و[حُرِّمَ] بالضم، وقرأ نافع وحفص [فَصَّلَ] و[حَرَّمَ] بالفتح فيهما جميعاً، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي [فَصَّلَ] بالفتح و[حُرِّمَ] بالضم(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وحُرِّمَ فتحُ الضمِّ والكسرِ إذْ علا ... وشدَّ حفْصٌ مُنْزلٌ وابنُ عامرٍ
يَضلُّون ضمٌّ معْ يُضِلوا الذي في يونسٍ ثابتاً ولا(١) ... وفُصِّلَ إذْ ثنَّى

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١١.٧/٥)، فتح القدير، (١٥٥/٢ . ١٥٦)، الجامع لأحكام القرآن، ص (٧٢.٧١/٧)، تفسير أبي السعود، (١٧٨/٣ . ١٧٩)، التفسير الكبير، (١٦٢/١٤ . ١٦٥).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٦ . ١٦٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٧٢/٧).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٦)، كتاب السبعة، ص(٢٦٧.٢٦٦)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص(٢١٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الفَصْل: الحاجز بين الشيئين، يُقال: فَصَل بينهما يَفْصِل فَصلاً فانفصل، وفَصَلْت الشيء فانفصل: أي: قطعته فانقطع. والتفصيل: التبيين(٢).

ثانياً: الحرام: نقيض الحلال، وجمعه حُرُم، وذلك الحِرْم بالكسر، يُقال: حَرُم الشيء بالضم، حُرْماً وحُرُماً، مثل: عَسُر عُسْراً وعُسُر، امتنع فعله. والحرام: ما حرَّم الله، والمُحرَّم: الحَرام والمحارِم: ما حرم الله(٣).

وجه من قرأ [فُصِّلَ] بضم الفاء و[حُرِّمَ] بضم الحاء: بنى الفعل على ما لم يُسمَّ فاعله، وكانت (ما) في موضع رفع، كما قال: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ](٤)، [أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً](٥)، فهو من [فُصِّلَ]، ولما ضم الأول ضم الثاني؛ لأنه هو في المعنى، وقال ابن زنجلة: «إن من ضم الفاء فحجته قوله: [ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ](٦)»(٧).

ووجه من قرأ [فَصَّلَ] بفتح الفاء و[حَرَّمَ] بفتح الحاء: أضاف الفعلين لله جلّ ذكره، لتقدم ذكره في قوله: [اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ](٨)، وكانت (ما) في موضع نصب. وقد أجمعوا على الفتح في قوله: [قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ](٩) و[مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ](١٠) و[أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا](١١)، فحُمل الفعلان على نظام واحد؛ لأن المُفصَّل هو المحرم في المعنى(١٢).

---

(١) أشار الناظم بحرف (الهمز) من قوله: «إذا» إلى نافع، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص؛ وهما اللذان قرآ بفتح الحاء والراء من قوله: [حَرَّمَ]، ثم وضح توجيه قراءة قوله: [فَصَّلَ] فأشار بحرف (الألف) من قوله: «إذا» إلى نافع، وبحرف (الثاء) من قوله: «ثوى» إلى الكوفيين اللذين قرءوا بفتح الفاء والصاد. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٢).

(٢) انظر: لسان العرب، (١١/٥٢١. ٥٢٢)، مختار الصحاح ص (٥٠٥)، المصباح المنير، (٢/٤٧٤).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٢/١١٩ . ١٢٠)، مختار الصحاح، ص (١٣٢)، المصباح المنير (١/١٣١).

(٤) المائدة الآية (٣).

(٥) الأنعام، الآية (١١٤).

(٦) هود، الآية (١).

(٧) انظر: الكشف (١/٤٤٨ . ٤٤٩)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١/٢٠٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٩).

(٨) الأنعام، الآية (١٧).

(٩) الأنعام، الآية (٩٧).

(١٠) الأنعام، الآية (١٥١).

(١١) الأنعام، الآية (١٥٠).

(١٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١/٤٤٨)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٧).

ووجه من قرأ [فَصَّلَ] بفتح الفاء، [حُرِّمَ] بضم الحاء؛ أنه أتى بالوجهين معاً، وكانت (ما) في موضع نصب، قال أبو علي: «ووجه قراءة شعبة وحمزة والكسائي: [وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ] بضم الحاء وفتح الفاء قوله: [قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ](1)، ووجه [حُرِّمَ]؛ قوله: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ](2)، وهو تفصيل المحرم في قوله: [مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ]، ومعنى [فَصَّلَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ] هو المفصل في قوله: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ... وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ](3)»(4).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما تقدم ذكر ما يصنعه الكفار في الأنعام من تلك السنن الجاهلية، أمر الله سبحانه المسلمين بأن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، فقال: [فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ] والشرط في قوله: [إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ] للتهييج والإلهاب؛ أي: بأحكامه من الأوامر والنواهي التي من جملتها الأمر بالأكل مما ذكر اسم الله عليه، ثم استفهم سبحانه مستنكراً عليهم بقوله: [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] أي: ما المانع من أكل ما سميتم عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك، والحال أنه [قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ] أي: بين لكم بياناً مفصلاً، يدفع الشك ويزيل الشبهة بقوله: [قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا](5).

ثم استثنى سبحانه فقال: [إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ] يريد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها، كما تقدم في قوله: [فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ](6) والاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع في مخمصة، والذي عليه الجمهور من الفقهاء والعلماء في معنى الآية هو من العُدْم والغَرَث؛ وهو الجوع إلى ذلك، وهو الصحيح، والضرورة تحل الحرام.

وقوله: [وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ] هم الكفار الذين كانوا يحرمون البحيرة والسائبة ونحوهما، فإنهم بهذه الأفعال المبنية على الجهل كانوا يضلون الناس، فيتبعونهم ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة لا يرجع إلى شيء من العلم. قال الرازي: «دلت هذه الآية على أن القول في الدين بمجرد التقليد حرام؛ لأن القول بالتقليد قول بمحض الهوى والشهوة، ودلت الآية على أن ذلك حرام».

---

(١) الأنعام، الآية (٩٧).

(٢) المائدة، الآية (٣).

(٣) المائدة، الآية (٣).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٠٥).

(٥) الأنعام، الآية (١٤٥).

(٦) البقرة، الآية (١٧٣).

ثم قال سبحانه: [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] والمراد منه أنه هو العالم بما في قلوبهم وضمائرهم من التعدي وطلب نصرة الباطل، والسعي في إخفاء الحق، وإذا كان عالماً بأحوالهم وكان قادراً على مجازاتهم، فهو تعالى يجازيهم عليها، والمقصود من هذه الكلمة التهديد والتخويف, والله أعلم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور جميع القراءات، قائلاً: «المعنى واحد؛ لأن الله هو المُفَصِّل والمُحَرِّم»(٢) ويوافقه شيخ المفسرين الطبري قائلاً: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن كل هذه القراءات الثلاث التي ذكرناها قراءات معروفة ومستفيضة القراءة بها من قراء الأمصار، وهن متفقات المعاني غير مختلفات، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ فيه الصواب»(٣).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بفتح الأول والثاني، ويعلل ذلك بقوله: «لأن الجماعة عليه، ولصحة معناه»(٤)، ويخالفه ابن زنجلة في الاختيار ويختار قراءة من ضم الحرفين، ويقول: «هذه أحسن، أعني [فُصِّلَ] و[حُرِّمَ]؛ ليأتلف اللفظ على نظام واحد، إذ كان المفصَّل هو المحرِّم، ولا ضرورة تدعوا إلى المخالفة بين اللفظين»(٥).

(٣٧/١٠٠) الاختلاف في [لَيُضِلُّونَ] من قوله عزوجل: [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] الآية (١١٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلوا في ضمّ الياء وفتحها من قوله عز وجل [لَيُضِلُّونَ]، فقرأ الكوفيون [لَيُضِلُّونَ] بضم الياء، وقرأ الباقون [لَيَضِلُّونَ] بالفتح(٦).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفُصِّلَ إِذْ ثَنَّى يُضِلُّونَ ضُمَّ مَعْ   يَضِلُّوا الذي في يونسٍ ثَابِتاً وِلا(٧)

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣.١١/٥)، فتح القدير، (١٥٧.١٥٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٥/٢) و(٧٣٠/٧)، تفسير أبي السعود (١٧٩/٣ . ١٨٠)، التفسير الكبير، (١٦٥/١٣ . ١٦٧).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٧) .

(٣) تفسير الطبري، (١٣/٦).

(٤) الكشف، (٤٤٩/١١).

(٥) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٩).

(٦) انظر: كتاب التسيير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٧)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٧) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثابتاً» إلى الكوفيين. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٢).

سبق توجيهه قوله: [لِيُضِلُّونَ] لغوياً في النص رقم (٣٥/٩٨)(١). وجه من قرأ بضم الياء؛ أنه جعل الفعل متعدياً منهم إلى غيرهم، فدلّ بالضم على أن ماضي الفعل على أربعة أحرف، قال ابن أبي طالب: «والمعنى: ليضِلون الناس، فهو أبلغ في ذمّهم؛ لأنهم لا يُضلون الناس إلا وهم ضالون في أنفسهم، وليس إذا ضلوا في أنفسهم يضلون أحداً بذلك الضلال».

وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «من حجة من ضم أنه يدلُّ على أن الموصوف بذلك يكون في الضلال أذهب، ومن الهدى أبْعَد، ألا ترى أن كل مُضِلٍّ ضالٌّ، وليس كلُّ ضالٍّ مُضِلاً؛ لأن الضالَّ قد يكون ضلالُهُ مقصوراً عليه نفسه لا يتعداه إلى سواه، والمضلُّ أكثر استحقاقاً للذم، وأغلظ حالاً من الضال، كقوله: [لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ](٢)، وقوله: [وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ](٣)»(٤).

ووجه من قرأ بفتح الياء، أنه جعل الفعل لازماً لهم غير متعدّ إلى غيرهم، فدلّ بالفتح على أن ماضيه على ثلاثة أحرف، يقال: ضلّ فلان يَضلّ في نفسه، لا يدل على إضلاله غيره، فلا يتعدّى البتة؛ لأنه ثلاثي. وقال ابن زنجلة: «حجة من قرأ بفتح الياء، قوله: [هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ](٥)، وقوله: [هُمُ الضَّالُّونَ](٦) وصفهم بالضلال لا بالإضلال»(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(٨).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ: [لِيُضِلُّونَ] بالضم, معللاً ذلك بقوله: «الضم يتضمن معناه ومعنى الفتح, فهو أبلغ, ولا يتضمن الفتح معنى الضم»، ثم يقول: «والضمّ أقوى, وهو الاختيار»(٩)، وهو ما يراه ابن زنجلة، ويقول ذاكراً حجة من قرأ بالضم: «إن الذين أخبر عنهم بذلك قد ثبت لهم أنهم ضالون بما تقدم من وصفه جل وعزّ إياهم بالكفر به، قبل أن يصفهم بالإضلال، فلا معنىً إذاً لوصفهم بالضلال، وقد تقدم أنهم ضالون، فكان وصفهم بأنهم يضلون

---

(١) انظر ذلك في ص (   ).

(٢) النحل، الآية (٢٥).

(٣) العنكبوت، الآية (١٣).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الكشف، (٤٤٩/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠٨/٢).

(٥) النحل، الآية (١٢٥).

(٦) آل عمران، الآية (٩٠).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٨)، الكشف، (٤٤٩/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٠٧/٢).

(٨) انظر ذلك ص (   ).

(٩) الكشف، (٤٤٩/١).

الناس يأتي بفائدة غير ما تقدم من وصفهم في الكلام الأول، فهم الآن يضلون بشركهم ويُضلون غيرهم بما جاؤوا به»[١].

ويوافقهما الرازي، ويقول: «هذا أقوى في الذم؛ لأن كل مضل فإنه يجب كونه ضالاً، وقد يكون ضالاً ولا يكون مضلاً، فالمضل أكثر استحقاقاً للذم من الضال»[٢].

(٣٨/١٠١) الاختلاف في [مَيْتًا] من قوله عز وجل: [أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] الآية (١٢٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [مَيْتًا]، فقرأ نافع وحده: [مَيِّتًا] مشددة، وقرأ الباقون: [مَيْتًا] بالتخفيف[٣].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَمَيْتًا لَدَى الأَنْعَامِ وَالحُجُرَاتِ خُذْ ... وَمَا لَمْ يَمُتْ لِلْكُلِّ جَاءَ مُثَقَّلَا[٤]

ثانياً: توجيه القراءات:

المَوتُ والمَوْتانُ ضدُّ الحياة. والمُوات بالضم: الموت. والمَوات بالفتح: ما لا روح فيه. مات يمُوت مَوْتاً ويَمات أيضاً فهو (ميِّتٌ) و(مَيْتٌ) مشدّداً ومخففاً، وقومٌ (مَوْتى) و(أمواتٌ) و(ميِّتون) و(مَيْتون) مشدداً ومخففاً، يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقد جمعها ابن الرعلاء[٥] فقال:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ ... إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ[٦]

والمَيْت بالتخفيف: الذي مات، والميِّت والمائت: الذي لم يمت بعد[٧]. وجه من قرأ بالتشديد: أن الأصل فيها عند القراء: (مَوْيِت)، وعند سيبويه (مَيْوِت)، فلما اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، فالتشديد لأجل ذلك، ومثله (هيِّن) و(ليِّن)، وقال ابن أبي طالب: «قرأ من قرأ بالتشديد، إذا كان الموت قد نزل».

---

(١) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٦٩.٢٧٠).

(٢) التفسير الكبير، (١٣/١٦٦).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٨)، النشر، (٢/٢٦٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٤) أشار الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خذ» إلى جميع القراء ماعدا نافعاً، وموضع الحجرات هي قوله: [أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا] الآية (١٢). انظر: المتن، ص(٣٣)، الوافي، ص(١٦٠).

(٥) عدي بن الرعلاء الغساني: شاعر جاهلي، اشتهر بنسبته إلى أمه وضاع اسم أبيه، وهو صاحب البيت المشهور أعلاه. انظر: الأعلام (٢٢٠).

(٦) ذكره ابن منظور في لسان العرب (٢/٩١).

(٧) انظر: لسان العرب، (٢/٩٠.٩١)، مختار الصحاح، ص (٦٣٩)، مختار الصحاح، (٢/٥٨١.٥٨٢).

ووجه من قرأ بالتخفيف أنه كره الجمع بين ياءين، والتشديد ثقيل، فخفف بإختزال إحدى الياءين، إذ كان اختزالها لا يخل بلفظ الاسم ولا يحيل معناه[١].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه الآية السابقة أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله، وذكر مثلاً يدل على حال المؤمن المهتدي، وعلى حال الكافر الضال، فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً، فجعل حياً بعد ذلك، وأعطي نوراً يهتدي به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها، لا خلاص له منها، فيكون متحيراً على الدوام، فقال: [أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ] وهو تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها، بالإشارة إلى أنهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي، والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان، فكيف يعقل إطاعتهم لهم، والهمزة للإنكار والنفي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «[أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ] نزلت في حمزة بن عبد المطلب[٢] وأبي جهل[٣]»[٤]، قال القرطبي: «والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر».

ثم قال سبحانه: [وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ] النور عبارة عن الهدى والإيمان، والضمير في [بِهِ] راجع إلى الإيمان، وفي [النَّاسِ] أي: فيما بينهم، آمنا من جهنم، قوله: [كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ]، أي: كمن صفته في الظلمات، فـ[مَثَلُهُ] زائدة، تقول: إنا أكرم مثلك، أي: أكرمك، ومثله: [فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ][٥].

قوله: [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا] في محل نصب على الحال، أي: حال كونه ليس بخارج منها بحال من الأحوال، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] أي: زين لهم لشيطان عبادة الأصنام، وأوهمهم أنهم أفضل من المسلمين[٦].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٠٧)، الكشف (٣٣٩/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٣.١٢/٢).

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، عم النبي ρ، وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام، هاجر مع النبي ρ إلى المدينة، وحضر معه بدر، قتل يوم أحد. سير الأعلام، (١٧٢.١٧١/١).

(٣) عمرو بن هشام بن المغيرة، أشد الناس عداوة للنبي ρ، في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، أسره المسلمين في وقعة بدر فكان من قتلاها. انظر: الأعلام، (٧٨/٥).

(٤) أسباب النزول: الواحدي،

(٥) المائدة، الآية (٩٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٢٤.٢١/٥)، فتح القدير، (١٥٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧٩.٧٨/٧)، تفسير أبي السعود، (٨١.٨٠/٣)، التفسير الكبير، (١٧٣.١٧٠/١٣).

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلاً: «القراءتان لغتان فاشيتان»، ثم يقول: «والأصل التشديد، والتخفيف فرع فيه؛ لإستثقال التشديد للياء، والكسر على الياء»[1]، وقال ابن زنجلة: «أعلم أنهما لغتان»[2].

ويوافقهما أبو منصور الأزهري، ويقول: «المعنى: في الميْت والميِّت واحد، وأراد بالميْت والميِّت: الكافر الضال، وقوله: [فَأَحْيَيْنَاهُ] فهديناه»[3]، ويقول الرازي: قال أهل اللغة: الميْت مخففاً تخفيف الميِّت، ومعناهما واحد، ثقل أو خفف»[4].

(٣٩/١٠٢) الاختلاف في [رِسَالَتَهُ] من قوله عز وجل: [وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ] الآية (١٢٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التوحيد والجمع من قوله عز وجل: [رِسَالَتَهُ]، فقرأ ابن كثير وحفص: [رِسَالَتَهُ] بالتوحيد وفتح التاء، وقرأ الباقون: [رِسَالَاتِهِ] بالجمع وكسر التاء[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

رِسَالاتِ فَرْدٌ وافْتَحُوا دُونَ عِلَّةٍ   وَيَضْعُفُ مَعْ قُرْآنِ حَرِّكْهُ ثُقِّلا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (١٥/٥١)[7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

حكى سبحانه في هذه الآية على مكر هؤلاء الكفار، وحسدهم، أنهم متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة محمد ρ قالوا: لن نؤمن حتى يحصل لنا مثل هذا المنصب من عند الله، وهذا يدل على نهاية حسدهم، وأنهم إنما بقوا مصرين على الكفر لا لطلب الحجة والدلائل،

---

(١) الكشف، (٣٣٩/١).

(٢) الحجة: ابن زنجلة، ص (١٥٩).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٨).

(٤) التفسير الكبير، (١٧١/١٣).

(٥) انظر: التيسير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٨)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٦) أشار الناظم بحرف (الدال) من قوله: «دون» إلى ابن كثير، وبحرف (العين) من قوله: «علة» إلى حفص. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٢).

(٧) انظر ذلك في ص (   ).

بل لنهاية الحسد. قال المفسرون: قال الوليد بن المغيرة(١):«والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أحق بها من محمد، فإني أكثر منه مالاً وولداً »، فنزلت هذه الآية (٢).

فقال سبحانه: [وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ] يريدون أنهم لا يؤمنون من يكونوا أنبياء، وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغريبة وعجرفتهم العجيبة، ونظيره قوله: [بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً](٣) والمعنى: إذا جاءت الأكابر آية قالوا هذه المقالة، فأجابهم الله عنه بقوله: [اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] أي: إن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً ويكون موضعاً لها، وأميناً عليها، وقد اختار سبحانه أن يجعل الرسالة في محمد ρ صفيه وحبيبه.

ثم توعدهم سبحانه بقوله: [سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ] والصَّغار: الضَّيم والذّل والهوان، وكذلك الصُّغر، بالضم، والمصدر: الصَّغَر: بالتحريك. وأصله من الصِّغر دون الكِبر، فكأن الذُّل يُصغّر إلى المرء نفسه. وقوله: [عِنْدَ اللَّهِ] أي: من عند الله فحذف، وقوله: [وَعَذَابٌ شَدِيدٌ] في الآخرة أو في الدنيا، وقوله: [بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ]، أي: بسبب مكرهم المستمر.

قال الرازي: «تقرير ذلك أن الثواب لا يتم إلا بأمرين التعظيم والمنفعة، والعقاب أيضاً إنما يتم بأمرين: الإهانة والضرر، والله تعالى توعدهم بمجموع هذين الأمرين في هذه الآية، أما الإهانة فقوله: [سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ]، وأما بيان الضرر والعذاب فهو قوله: [وَعَذَابٌ شَدِيدٌ]، فصل بهذا الكلام أنه تعالى أعد لهم الخزي العظيم والعذاب الشديد»، ثم قال: «وإنما قدم الصغار على ذكر الضرر؛ لأن القوم إنما تمردوا عن طاعة محمد ρ طلباً للعز والكرامة، فالله تعالى بين أنه يعاقبهم بضد مطلوبهم، فأول ما يوصل إليهم إنما يوصل الصغار والذل والهوان»(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (١٥/٥١)(٥).

---

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وهلك بعد الهجرة، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. الأعلام، (١٢٢/٨) .

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير، (١٥٩/٢).

(٣) المدثر، الآية (٥٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٦.٢٥/٥)، فتح القدير، (١٥٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧٩/٧ . ٨٠)، تفسير أبي السعود، (١٨٢/٣ . ١٨٣)، التفسير الكبير، (١٧٥/١٣ . ١٧٧).

(٥) انظر ذلك في ص (   ).

(٤٠/١٠٣) الاختلاف في [ضَيِّقًا] من قوله عز وجل: [فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] الآية (١٢٥).

اولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الياء وتخفيفها من قوله عز وجل [ضَيِّقًا]، فقرأ ابن كثير وحده: [ضَيْقًا] بالتخفيف، وقرأ الباقون [ضَيِّقًا] بالتشديد[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

رِسَالاتِ فَرْدٌ وَافْتَحُوا دُونَ عِلَّةٍ ... وَضَيْقاً مَعَ الْفُرْقَانِ حَرِّكْ مُثَقِّلا[٢].

بِكَسْرٍ سِوَى الْمَكِّيِّ وَرَا حَرَجاً هُنَا ... عَلَى كَسْرِهَا إِلْفٌ صَفَا وَتَوَسَّلا.

ثانياً: توجيه القراءات:

الضِّيق: نقيض السَّعة، يقال: ضاق الشيءُ يضيق ضِيقاً وضَيْقاً وتضيَّق وتضايقَ وضيَّقه هو، والضَّيْق: تخفيف الضيِّق[٣].

وجه من قرأ بالتشديد؛ أنه أكَّد الضيق، ودليله قوله تعالى: [مَكَانًا ضَيِّقًا][٤]، فكأنه ضيْق بعد ضَيْق. قال ابن زنجله: «الأصل [ضَيْقًا] على وزن (فَيْعِل)، فحذف ابن كثير الياء الثانية»[٥].

ووجه من قرأ بالتخفيف أنه استثقل الكسرة على الياء مع التشديد فخفف وأسكن كما قالوا (هَيِّن) و(هيْن) وقال ابن أبي طالب: «أنه حذف إحدى الياءين استخفافاً واستثقالاً لياء مشدودة مكسورة. والمحذوفة هي الثانية؛ لأن بها وقع الاستثقال، ولأنها قد غُيِّرت، فهو بمنزلة (ميت)»[٦].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ] الشرح: الشَّق وأصله التوسعة. وشرحت الأمر: أي: بينته وأوضحته، والمعنى: من يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدر منشرح، وقوله: [وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ] أي: يخلق فيه الضلال يصرف اختياره إليه [يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا] بحيث ينبو عن قبول الحق، فلا يكاد يدخله الإيمان.

قال القرطبي: «ونظير هذه الآية من السنة، كما قال النبي ﷺ: (مَن يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[١]، ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره، والدين والعبادات، كما قال تعالى:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٦)، كتاب السبعة، ص (٢٦٨)، النشر (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٢) انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٠٨/١٠)، مختار الصحاح، ص (٣٨٧،٣٨٦)، المصباح المنير، (٣٦٧/١).

(٤) الفرقان، الآية(١٣).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧١).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٩)، الكشف، (٤٥٠/١).

إنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ][2]ودليل خطابه أن من لم يُرد الله به خيراً ضيق صدره وأبعد فهمه فلم يفقهه، والله أعلم».

قوله: [كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ] وهذا تشبيه منه سبحانه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول الصّعود، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ] أصل الرِّجس في اللُّغة: هو النتن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرِّجس هو الشيطان، أي: يسلط عليهم الشيطان». المعنى: ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، على الذين لا يؤمنون[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي القراءتين، باعتبار أن الضَّيْق والضّيِّق مثل: الميْت والميِّت، ثم يقول: «في أن المخفف مثل المثقل، تمٌّ في المعنى، والياء مثل الواو في الحذف، وإن لم يُعتَلَّ بالقلب، كما اعتلت الواو به، وأتبعت الياءُ الواو في هذا»[4].

ويوافقه شيخ المفسرين قائلاً: «والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان مستفيضتان بمعنىً واحد، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب، لاتفاق معنييهما»[5].

وهو ما يراه أبو منصور أيضاً، ولكنه يقول: «والأصل التشديد»[6]، فهو بذلك كأنه يرجح التشديد موافقاً بذلك اختيار ابن أبي طالب الذي قال: «والاختيار التشديد؛ لأنه الأصل، ولأن أكثر القراء عليه»[7].

(٤١/١٠٤) الاختلاف في [حَرَجاً] من قوله عز وجل: [فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ] الآية (١٢٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (٤٦/١).

(٢) آل عمران، الآية (١٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٣٢.٢٦/٥)، فتح القدير، (١٦١.١٦٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٣.٨١/٧)، تفسير أبي السعود (١٨٣/٣)، التفسير الكبير، (١٨٧.١٧٧/١٣).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي (٢٠٩/٢).

(٥) تفسير الطبري، (٣١/٥).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٨).

(٧) الكشف (٤٥٠/١).

اختلفوا في فتح الراء وكسرها من قوله عز وجل: [حَرَجًا]، فقرأ نافع وشعبة: [حَرِجًا] مكسورة الراء، وقرأ الباقون: [حَرَجًا] مفتوحة الراء[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَحَرْجًا بِكَسْرِ الرَّاءِ صُحْبَتُهُ إِذْ صَفَا ... ووَصَّلا[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

يقال: حَرِجَ صدره يَحْرَجُ حَرَجاً إذا ضاق فلم ينشرح لخير، فهو حَرِجٌ وحَرَجٌ، وقال ابن منظور: «الحَرَج: ثَنّى وجمع، ومن قال حَرَجٌ أفرد؛ لأنه مصدر».

والحرج فيما فسره ابن عباس رضي الله عنهما هو الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعيةُ، فكذلك صدر الكافر لا تصل إليه الحكمة[3].

وجه من قرأ بكسر الراء: على أنه اسم فاعل كفَرِق وحَذِر، ومعناه الضيق، كرر المعنى قال ابن أبي طالب: «وحسُن ذلك لاختلاف اللفظ، فالمعنى يجعل صدره ضَيقاً، إنما يقال: فلان حرِج: أي: آثم»[4].

ووجه من قرأ بفتح الراء، كان وصفاً بالمصدر، وقال ابن أبي طالب: «قيل: من فتح على جمع حَرَجة، وهو ما إلتف من الشجر»، ويضيف ابن زنجلة وجهاً آخر فيقول «وجه من فتح قوله تعالى: [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ][5]، ثم يقول: «فإن قال قائل: لم قال: [ضَيِّقًا حَرَجًا] مثقلاً؟ الجواب: إن الحرج أشد الضيق، فكأنه قال: ضيق جداً»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[7].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٦)، كتاب السبعة، ص(٢٦٨)، النشر (٢/٢٦٢)، الإتحاف، ص (٢١٦).

(٢) أشار الناظم بحرف (الألف) من قوله: «إذ» إلى نافع، وبحرف (الصاد) من قوله: «صفا» إلى شعبة. المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٢).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢/٢٣٣.٢٣٤)، مختار الصحاح، ص (١٢٨.١٢٩)، المصباح المنير، (١/١٢٧.١٢٨).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٩)، الكشف، (١/٤٥٠).

(٥) الحج، الآية (٧٨).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٠)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٩)، الكشف، (١/٤٥٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧١).

(٧) انظر ذلك ص(   ).

قال أبو منصور: «الحرَج والحرِج لغتان؛ معناهما الضيق»[1]، ويوافقه القرطبي قائلاً «هما بمعنىً واحد»[2]، وحكاه الرازي عن الفراء، قال: «قال الفراء: هو في كسره ونصبه بمنزلة الوَحَد والوَحِد، والفَرَد والفَرِد»[3].

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالفتح، مستشهداً بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنه سأل رجلاً من كنانة راعياً، فقال له: ما الحَرَجة عندكم؟» قال: الحرَجة الشجرة تكون بين الأشجار، لا تصل إليه راعية ولا وَحْشِية ولا شيء»، فقال عمر: «كذلك قلب المنافق، لا يصل إليه شيء من الخير»)[4]. ثم يقول ابن أبي طالب: «فيكون المعنى: أن جلّ ذكره وصف صدر الكافر بشدة الضيق عن وصول الموعظة إليه، ودخول الإيمان فيه، فشبهه في امتناع المواعظ إليه بالحرَجة، وهي الشجرة التي لا يوصل إليها لرعي ولا لغيره»، ثم يقول: «فهذا يدل على الفتح، وهو الاختيار لصحة معناه، لأن أكثر القراء عليه»[5].

(١٠٥/٤٢) الاختلاف في: [يَصَّعَّدُ] في قوله عز وجل: [فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] الآيه (١٢٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد العين وتخفيفها, وإدخال الألف وإخراجها من قوله عز وجل: [يَصَّعَّدُ]، فقرا ابن كثير وحده: [يَصْعَدُ] ساكن الصاد بغير ألف خفيفة, وقرا شعبة: [يَصَّاعَدُ] بألف مشددة الصاد, وقرا الباقون: [يَصَّعَّدُ] مشدده العين بغير ألف[6].

وشاهد ذلك قول ألشاطبي رحمه الله:

ويَصْعَدُ خِفٌّ سَاكِنٌ دُمْ وَمُدُّهُ صَحِيحٌ وَخِفُّ الْعَيْنِ دَاوَمَ صَنْدَلا[7].

ثانياً: توجيه القراءات:

(١) كتاب معاني القراءات، ص (١٦٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٨٢/٧).

(٣) التفسير الكبير، (١٨٧/١٣).

(٤) لم أفق عليه.

(٥) الكشف، (٤٥١/١).

(٦) انظر كتاب التيسير, ص (١٠٦.١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٦٨.٢٦٩)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص(٢١٦).

(٧) أشار الناظم بحرف (الدال) من قوله: «دم» إلى ابن كثير، وبحرف (الصاد) من قوله: «صحيح» إلى شعبة، وبحرف (الدال) من قوله: «داوم» إلى ابن كثير، وبحرف (الصاد) من قوله: «صندلا» إلى شعبة. المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

صَعِد المكان وفيه صُعُوداً وأَصْعَد وصَعَّد: أي: ارتقى مُشْرِفاً، والصَّعُد: بالفتح: الطَّريق صاعداً ضد الهُبُوط مؤنثة، والجمع أَصْعِدةٌ وصُعُدٌ [1].

وجه قراءة ابن كثير [ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ] من قولهم: صَعِد يَصْعَد، والمعنى: أنه في نفوره من الإسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يُطيقه، كما أن صعود السماء لا يُستطاع، وقال ابن زنجلة: «والحجة لابن كثير [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ] [2]» [3].

ووجه قراءة شعبة [يَصَّاعَدُ]؛ بناه على مستقبل (تصاعد)، فأدغم التاء في الصاد؛ لقربها من الصاد، وأصله (تتصاعد)، قال ابن أبي طالب «وهو على مثل الأول؛ غير أن فيه معنى فعل شيء بعد شيء، وذلك أثقل على فاعله، فهو بمعنى يتعاطى، معناه: يريد أن يفعل ما لا يُطيقه» [4].

أما قراءة الباقين [يَصَّعَّدُ]؛ فالوجه فيها أنه أراد: أن يتصعَّد، فأسكن التاء، وأدغمها في الصاد تخفيفاً، فشدّد لذلك، ومعنى يتصعَّد: أنه كأنه يتكلف ما لا يَثْقُل عليه، وكأنه يتكلف شيئاً بعد شيء، كقولهم: يتفوّق ويتجرّع، ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء [5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص الأسبق [6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن زنجلة جميع القراءات قائلاً: «المعنى (يَصْعد) و(يصّاعد) و(يصَّعَّد) كله واحد» [7]، وهو ما يراه ابن أبي طالب، ويتضح ذلك من خلال شرحه لمعنى كل قراءة [8].

ويوافقهما الطبري في تصويب كل القراءات، قائلاً: «كل هذه القراءات متقاربات المعاني، وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب»، إلا أنه يستثني قائلاً: «غير أني اختار القراءة من ذلك بقراءة

---

(١) انظر: لسان العرب، (٣/٢٥١)، مختار الصحاح، ص(٣٦٢.٣٦٣)، المصباح المنير، (١/٣٣٩.٣٤٠).

(٢) فاطر، الآية (١٠).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٩)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧١).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١/٤٥١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٦٩).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٤٩)، الكشف، (١/٤٥٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١١).

(٦) انظر ذلك ص (   ).

(٧) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧١).

(٨) الكشف، (١/٤٥٠).

من قرأه [يَصَّعَّدُ] بتشديد الصاد بغير ألف بمعنى: يتصعَّد؛ لكثرة القراءة بها، ولقيل عمر بن الخطاب: (ما تصعَّدني شيء كما تصعَّدتني خطبة النكاح)[1]»[2].

ويسوق الطبري قول النحاس في تصويبه لكل القراءات، فيقول: «قال النحاس: ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يَصَّعَّد ويصَّاعد واحد»، ثم يقول القرطبي: «والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره، كأنه يريد أن يصعد إلى السماء، وهو لا يقدر على ذلك، فكأنه يستدعي إلى ذلك»[3].

(٤٣/١٠٦) الاختلاف في [يَحْشُرُهُمْ] من قوله عز وجل: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] الآية (١٢٨).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [يَحْشُرُهُمْ]، فقرأ حفص وحده: [يَحْشُرُهُمْ] بالياء، وقرأ الباقون: [نَحْشُرُهُمْ] بالنون[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ونحشر مع ثانٍ بيونس وهْو في   سبأ مع نقول اليا في الأربع عُمِّلا[5].

---

(١) قال أبو عبيد: «معنى قول عمر: أي: ما تكاءدتني وما بلغت مني وما جهدتني، وأصله من الصعود وهي العقبة الشاقة، يُقال: تَصعَّد الأمر؛ إذا شق عليه وصعب، وإنما تصعَّب عليه لقرب الوجوه من الوجوه، ونظر بعضهم إلى بعض؛ ولأنه إذا كان جالسًا معهم كانوا نُظراء وأكفاء، وإذا كان على المنبر كانوا سُوقة ورعية».

وقال أبو علي الفارسي: «معناه: أي: ما شقَّ عليَّ شيء مشقَّتَها، وكأنَّ ذلك لما يتكلّفه الخطيب في مدحه وإطرائه للمُمَلَّك، وربما لم يكن كذلك، فتحتاج إلى تخلص المخلَّص، فلذلك شق». انظر: لسان العرب، (٢٥٢/٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١١/١).

(٢) تفسير الطبري، (٣١/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٨٢/٧-٨٣).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص (٢٦٩)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص (٢١٧).

(٥) أشار الناظم بحرف (العين) من قوله: «عملا» إلى حفص، وموضع يونس هو: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ] الآية (٤٥)، وموضع سبأ: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] الآية (٤٠)، قرأها حفص جميعا بالياء، وقيد موضع يونس بأنه الثاني؛ للإحتراز عن الموضع الأول فيها وهو: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] الآية (٢٨) فقد اتفق القراء على قراءته بالنون، كما اتفقوا على قراءته بالنون في الموضع الأول في هذه السورة، وهو: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] الآية (٢٢)، و(عُمِّلا) بالبناء للمجهول؛ أي أعمل الباء في الأفعال المذكورة. انظر: المتن، ص(٨٣)، الوافي، ص(١٨٣).

ثانياً: توجيه القراءات:

الحَشْر: جمع الناس يوم القيامة، والمَحْشَر: المجْمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلى بلد، أو معسكر، أو نحوه, يقال حَشَرتُهم أحشُرُهُم حَشْراً: من باب قتل: أي: جمعتهم[1].

وجه قراءة حفص: [يَحْشُرُهُمْ] بالياء؛ ردّه إلى الغيبة، على قوله: [لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ][2]. وأما الباقين فالوجه في قراءتهم أنه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، فأتى بلفظ الإخبار بعد لفظ الغيبة، وهو كثير في القرآن، كما قال: [وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي][3]، ودليله قوله: [وَحَشَرْنَاهُمْ][4]، وقوله: [وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى][5][6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه حال من يتمسك بالصراط المستقيم، بين بعده حال من يكون بالضد من ذلك لتكون قصة أهل الجنة، مردفة بقصة أهل النار، وليكون الوعيد مذكوراً بعد الوعد، فقال: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] نصب على الفعل المحذوف، أي: ويوم نحشرهم، [جَمِيعًا] نصب على الحال، والمراد: حشر جميع الخلق في موقف القيامة، وقرئ بنون العظمة على الالتفاف لتهويل الأمر، [يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ] نداء مضاف، والمعشر: الجماعة، أي: يوم الحشر نقول: يا جماعة الجن [قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ] أي: من الاستمتاع بهم، أو استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم فحشرناهم معكم، والمراد: التقريع والتوبيخ.

وقوله: [وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ] واستمتاع الجن بالإنس هو من تلذذهم بإتباعهم لهم. واما استمتاع الإنس بالجن فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي فوقعوا فيها وتلذذوا بها، فذلك هو استمتاعهم بالجن. قال القرطبي: «ومعنى الآية تقريع الضالين، والمضلين وتوبيخهم في الآخرة على أعين العالمين».

ثم قال سبحانه: [وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا] أي: يوم القيامة اعترافا منهم بالوصول إلى ما وعدهم به، مما كانوا يكذبون به، قال أبو السعود: «ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين؛ للإيذان بأن المضلين قد أفحموا بالمرة، فلم يقدروا على التكلم أصلاً»، ولما قالوا هذه المقالة أجاب الله عليهم: [قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ] أي: موضع مقامكم، والمثوى: المقام. والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر، [خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] المعنى: الذي تقتضيه لغة العرب في

---

(١) انظر: لسان العرب، (١٩١.١٩٠/٤)، مختار الصحاح، ص(١٣٧)، المصباح المنير، (١٣٧/١).

(٢) الأنعام، الآية (١٢٧).

(٣) العنكبوت، الآية (٢٣).

(٤) الكهف، الآية (٤٧).

(٥) طه، الآية (١٢٤).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٢/٢)، الكشف، (٤٥٢.٤٥١/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٦٩).

هذا التركيب أنهم يخلدون في النار في كل الأوقات، إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها، وصيغة الاستفهام تهكم بهم. ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ] أي: في عقوبتهم، وفي جميع أفعاله [عَلِيمٌ] بمقدار مجازاتهم[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور القراءتين معاً، قائلاً: «المعنى واحد في [يَحْشُرُهُمْ] و[نَحْشُرُهُمْ] الله الحاشر لا شريك له»[2]، ويوافقه أبو علي الفارسي، حيث يقول: «والنون كالياء في المعنى»[3].

(١٠٧/٤٤) الاختلاف في [يَعْمَلُونَ] من قوله عز وجل: [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ] الآية (١٣٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَعْمَلُونَ]، فقرأ ابن عامر وحده [تَعْمَلُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون [يَعْمَلُونَ] بالياء[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخاطب شامٍ يعملون ومن تكُون فيها وتحت النمل ذكّره شُلْشُلا[5].

ثانياً: توجيه القراءات:

العَمَل: المِهنة والفعل، والجمع أعمال، يُقال: عَمِلَ عَمَلاً من باب طرب، وأعْمَلَه غيره واستعمله أي: طلب إليه أن يعمل، واعْتَمَل الرجل: عَمِلَ بنفسه[6].

وجه قراءة ابن عامر [تَعْمَلُونَ] بالتاء؛ أنه حمله على الخطاب الذي بعده، وهو قوله: [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ][7]، وما بعده [أَنْشَأَكُمْ][8]. ووجه قراءة الباقين [يَعْمَلُونَ] بالياء؛ أنه حمله على الغيبة التي قبله، وهو قوله: [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا]، وقبله قوله: [ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ][9][10].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣٤.٣٣/٦)، فتح القدير، (١٦٢.١٦١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٤/٧)، تفسير أبي السعود، (١٨٥.١٨٤/٣)، التفسير الكبير، (١٩٣.١٩٠/١٣).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٦٩).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٢/٢).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٦٩)، النشر، (٢٦٣.٢٦٢/٢)، والإتحاف، ص(٢١٧).

(٥) انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

(٦) انظر: لسان العرب، (٤٧٥.٤٧٤/١١)، مختار الصحاح، ص (٤٥٥)، المصباح المنير، (٤٣٠/٢).

(٧) الأنعام، الآية (١٣٣).

(٨) الأنعام، الآية (١٣٣).

(٩) الآية (١٣٠).

(١٠) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٢)، الكشف، (٤٥٢/١).

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السابقة أحوال أهل الثواب والدرجات، وأحوال أهل العقاب والدركات، قال: [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا] أي: لكل من الجن والإنس درجات متفاوتة مما عملوا فنجازيهم بأعمالهم، كما قال في آية أخرى: [وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ](1).

قال القرطبي: «وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعصي منهم في النار، كالإنس تماماً، فلكل عاملٍ بطاعة درجات في الثواب، ولكل عامل بمعصية دركات في العقاب».

ثم قال سبحانه: [وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ] أي: بلاهٍ ولا ساهٍ عن أعمال الخير والشر، والغفلة: ذهاب الشيء عنك لاشتغالك بغيره، وقرئ بالتاء تغليباً للخطاب على غيره(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب القراءة بالتاء، قائلاً: «هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»(3).

(٤٥/١٠٨) الاختلاف في [مَكَانَتِكُمْ] من قوله عز وجل: [قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] الآية (١٣٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [مَكَانَتِكُمْ]: فقرأ شعبة: [مَكَانَاتِكُمْ] بالجمع، وقرأ الباقون: [مَكَانَتِكُمْ] بالتوحيد(4).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مَكَانَاتِ مَدَّ النُّونَ فِي الكُلِّ شُعْبَةٌ ... بِزَعْمِهِمُ الحَرْفَانِ بِالضَّمِّ رُتِّلا(5).

ثانياً: توجيه القراءات:

المكان والمكانة، واحد، وهو الموضع، والجمع: أمْكِنة، وأماكِن جمع الجمع، قال الليث(6): مَكَانٌ في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ؛ لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر

---

(١) الأحقاف، الآية (١٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٩.٣٨/٥)، فتح القدير، (١٦٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٨.٨٧/٧)، تفسير أبي السعود، (١٨٧/٣)، التفسير الكبير، (١٩٨.١٩٧/١٣).

(٣) الكشف (٤٥٢/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٧)، كتاب السبعة، ص (٢٦٩)، النشر، (٢٦٣/٢)، الإتحاف، ص (٢١٧).

(٥) انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

(٦) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها، كان من الكرماء الأجواد، أخباره كثيرة وله تصانيف، توفي سنة (١٧٥هـ). سير أعلام النبلاء، (١٣٦/٨).

أَجْرَوه في التعريف مُجْرى فَعَال، فقالوا: مَكْناً له وقد تمكَّن، وليس هذا بأعجب من تمسْكن من المَسْكن»[1].

وجه قراءة شعبة؛ أنه جعل لكل واحد منهم مكانة يعمل عليها، لاختلاف أحوالهم في آخر دنياهم، فجمع على هذا المعنى، وهو مصدر، فالمعنى: أعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها، فليس يضرنا ذلك، وقال أبو علي الفارسي: «هو كقولهم: الحُلُوم والأحلام»[2].

وجه قراءة الباقين أنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مُفْرَدة، تدل على القليل والكثير من صنفه، من غير جمع ولا تثنية، وأصل المصدر أن لا يُثنى ولا يُجمع؛ لأن فائدة الفعل، إذ الفعل منه أُخذ، فكما لا يُجمع الفعل كذلك لا يُجمع المصدر، إلا أن تختلف أنواعه، فيشابه المفعول، فيجوز جمعه، أصله أن لا يُجمع: مكن الرجل مكانه. قال ابن خالويه: «أراد على تمكينكم وأمركم وحالكم»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن قال سبحانه في الآية السابقة [وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ] أمر رسوله ρ من بعده أن يهدد من ينكر البعث من الكفار، فقال: [اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ] المكانة: الطريقة، أي: قل يا محمد لقومك من قريش، الذين يجعلون إلهاً آخراً؛ أثبتوا على ما أنتم عليه فإني غير مبال بكم، ولا مكترث بكفركم.

وطرح القرطبي سؤالاً فإن قيل كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار؟ قال: «فالجواب أن هذا تهديد، كما قال جل وعز: [فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا][4]، ودل عليه [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ] أي: العاقبة المحمودة التي يحمد صاحبها عليها، أي: من له النصر في دار الإسلام، ومن له وراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة، أي: الجنة».

قوله: [إِنِّي عَامِلٌ] أي: على ما أنا عليه من الثبات على الإسلام، والاستمرار على الأعمال الصالحة، والمصابرة، [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ] أي: من هو على الحق ومن هو على الباطل، وعاقبة الدار: هي العاقبة المحمودة التي يحمد صاحبها عليها، أي: من له النصر في دار الدنيا، ومن له وراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة، وهذا وعيد شديد، ثم ابتدأ الخبر دل ثناؤه فقال: [إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] أي: لا يفلح من اتصف بصفة الظلم، وهو تعريض لهم بعدم فلاحهم؛ لكونهم المتصفين بالظلم.

---

(١) انظر: لسان العرب، (٤١٥،٤١٤/١٣)، مختار الصحاح، ص (٦٣١،٦٣٠) المصباح المنير، (٥٧٧/٢).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٣/٢)، الكشف، (٤٥٢/١).

(٣) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٣/٢)، الكشف، (٤٥٣،٤٥٢/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٠).

(٤) التوبة، الآية (٨٢).

قال الرازي «الغرض من قوله: [إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] بيان أن قوله: [اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ] تهديد وتخويف، لأنه أمر وطلب» (١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالتوحيد، قائلاً: «والتوحيد أحب إلي؛ لأن الجماعة عليه ولأنه أخف، وهو الأصل» (٢)، ويوافقه أبو علي الفارسي، فيقول: «والأمر العام، على الوجه الأول» (٣) أي: القراءة بالتوحيد، وساق الرازي قول الواحدي موافقاً بذلك اختيار مكي وأبو علي، فقال: «قال الواحدي: والوجه الإفراد؛ لأنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة» ثم يقول: «وقد تجمع أيضاً في بعض الأحوال، إلا أن الغالب هو الأول»(٤).

(٤٦/١٠٩) الاختلاف في [يَكُونُ] من قوله عز وجل: [قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] الآية (١٣٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تَكُونُ]، فقرأ حمزة والكسائي: [يَكُونُ] بالياء، وقرأ الباقون: [تَكُونُ] بالتاء(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخاطب شام يعملون ومن تكون فيها وتحت النمل ذكره شلشلا (٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [تَكُونُ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)(٧). وجه من قرأ [يَكُونُ]؛ أنه ذكّر الفعل لما فرّق بين المؤنث وفعله، ولأن العاقبة تأنيثها غير حقيقي، ولأنها ذكر لها من لفظها، وقال منصور الأزهري: «من قرأ بالياء فلأن العاقبة معناها: العَقِبُ، وهو مذكر، وكذلك ما كان من المصادر المؤنثة، يجوز تذكير فعلها، مثل: الرحمة والعافية، وما أشبههما». وقال

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٠.٣٩/٦)، فتح القدير، (١٦٥.١٦٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٩/٧)، تفسير أبي السعود، (١٨٨/٣)، التفسير الكبير، (٢٠٣.٢٠٢/١٣).

(٢) الكشف، (٤٥٣/١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٣/٢).

(٤) التفسير الكبير، (٢٠٣/١٣).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧٠)، النشر، (٢٦٣/٢)، الإتحاف، ص(٢١٧).

(٦) قصد الناظم بقوله: «تحت النمل» أي سورة القصص وفي قوله: [رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ] الآية (٣٧)، انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

(٧) انظر ذلك في ص( ).

أبو علي «من ذكّر فهو كقوله: [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ](1)، وقوله: [فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى](2)»(3).

ووجه من قرأ [تَكُونُ] بالتاء؛ فهو على تأنيث لفظ العاقبة، وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «هي كقوله: [وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ](4)، وقوله: [قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ](5)»(6).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(7).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، ويعلل ذلك بقوله: «أن العاقبة مصدر كالعافية، وتأنيثه غير حقيقي» مستشهداً على ذلك بالآيات السابق ذكرها، الدالة على التأنيث والتذكير، ثم يقول: «وكلا الأمرين حسنٌ كثير»(8)، ويوافقه ابن أبي طالب قائلاً: «هما سواء في النظر، وعلى ذلك فالقراءتان متعادلتان»، ثم يقول: «والتأنيث هو الأصل»(9)، وهو بذلك يخالف قول من قال أن تأنيث العاقبة غير حقيقي.

وساق الرازي تصويب الواحدي لكلتا القراءتين، موافقاً بذلك قول أبو علي ومكي في أن العاقبة مصدر كالعافية، وتأنيثه غير حقيقي(10).

(47/110) الاختلاف في [بِزَعْمِهِمْ] من قوله عز وجل: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] الآية (136).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الزاي وضمها من قوله عز وجل: [بِزَعْمِهِمْ]، فقرأ الكسائي وحده: [بِزُعْمِهِمْ] مضمومة الزاي، وقرئ الباقون: [بِزَعْمِهِمْ] مفتوحة الزاي(1).

---

(1) هود، الآية (67).

(2) البقرة، الآية (275).

(3) انظر: الكشف، (453/1)، كتاب معاني القراءات، ص (170)، الحجة: أبو علي الفارسي، (213/2).

(4) هود الآية (94).

(5) يونس، الآية (57).

(6) الحجة: أبو علي الفارسي، (453/2)، الحجة: ابن زنجلة، ص (272)، الكشف، (213/1).

(7) انظر ذلك ص(   ).

(8) الحجة: أبو علي الفارسي، (213/1).

(9) الكشف، (453/1).

(10) التفسير الكبير، (203/13).

شاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مكانات مد النون في الكل شعبة ... بزعمهم الحرفان بالضم رتلا(٢)

ثانيا: توجيه القراءات:

الزَّعْمُ والزُّعْمُ ثلاث لغات: القول يكون حقاً ويكون باطلاً، يقال: زَعَمَ زَعْماً وزُعْماً وزِعْماً، أي: قال: وقال الليث: سمعت أهل العربية يقولون، إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأمر يستيقن أنه حق، وإذا شك فيه فلم يُدْر لعله كذب أو باطل قيل زَعَمَ فلان». ومن ذلك قوله تعالى: [فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ](٣)، أي: بقولهم الكذب، قال ابن منظور: «الزُّعْمُ تميميَّة، والزَّعمُ حجازية»(٤).

وجه قراءة الكسائي: [بِزُعْمِهِمْ] مضمومة الزاي، جعله اسماً كالنَّصَب والنُّصْب. ووجه قراءة الباقين: [بِزَعْمِهِمْ] بفتح الزاي؛ جعلوه مصدراً (٥).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما بين سبحانه قبح طريقة المشركين في إنكار البعث والقيامة، ذكر عقيبه أنواعاً من جهالاتهم، وركاكة أقوالهم تنبيهاً على ضعف عقولهم، وقلة محصولهم، وتنفيراً للعقلاء عن الإلتفات إلى كلماتهم، فقال: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا]، يُقال: ذَرَأ يَذْرَأُ ذَرْأً؛ أي: خلق، والمعنى: جعلوا لله سبحانه مما خلق من حرثهم، ونتاج دوابهم نصيباً من ذلك، ولآلهتهم نصيباً من ذلك، يصرفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك عوَّضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا الله غنيٌّ عن ذلك، والزَعم: الكذب.

ثم قال سبحانه: [فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ]

وهذا بيان وتفصيل له، أي: فما عينوه لشركائهم لا يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه لله تعالى، من قِرى الضيفان،والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى إذا وجدوه زاكياً يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه لآلهتهم، من إنفاق عليها، وذبح سائك عندها، والإجراء على سدنتها ونحو ذلك.

---

(١) انظر كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧٠)، النشر، (٢/٢٦٣)، الإتحاف، ص(٢١٧).

(٢) أشار الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رتلا» إلى الكسائي، فقد قرأ لفظ: [بِزُعْمِهِمْ] في الحرفين أي في الموضعين: [فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ] الآية (١٣٦) و[وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ] الآية (١٣٨)، بضم الزاي. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣).

(٣) الأنعام، الآية (١٣٦).

(٤) انظر: لسان العرب (١٢/٢٦٤،٢٦٥)، مختار الصحاح، ص (٢٧٢)، المصباح المنير، (١/٢٥٣).

(٥) انظر: الكشف، (١/٤٥٣)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٠).

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء الحكم حكمهم في إيثار آلهتهم على الله سبحانه، قال الرازي: «والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسد أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب، وأن يصير ذلك سبباً لتحقيرهم في أعين العقلاء، وأن لا يلتفت إلى كلامهم أحد البتة»[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الجميع كلتا القراءتين لأنهما لغتان مشهورتان، ﴿زَعْمِهِمْ﴾ و﴿زُعْمِهِمْ﴾[2].

(١١١/٤٨) الاختلاف في ﴿زَيَّنَ﴾ و﴿قَتْلَ﴾ و﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ و﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الآية (١٣٧).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ﴿زَيَّنَ﴾ و﴿قَتْلَ﴾ و﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ و﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾، فقرأ ابن عامر وحده ﴿زُيِّنَ﴾ برفع الزاي، ﴿قَتْلُ﴾ برفع اللام، ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بنصب الدال، ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزاي، ﴿قَتْلَ﴾ بنصب اللام، ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بكسر الدال، ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ بالرفع[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَزَيَّنَ فِي ضَمٍّ وَكَسْرٍ وَرَفْعُ قَتْـ ... ـلَ أَوْلَادِهِمْ بِالنَّصْبِ شَامِيُّهُمْ تَلَا

وَيُخْفَضُ عَنْهُ الرَّفْعُ فِي شُرَكَاؤُهُمْ ... وَفِي مُصْحَفِ الشَّامِينَ بِالْيَاءِ مُثِّلَا[4].

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الزَّين: خلاف الشَّيْن، وجمعه أَزْيَانٌ يقال: زانَهُ وزانَهُ وأَزَانَه وأَزْيَنَه، على الأصل، وتَزَيَّنَ هو وازْدَانَ بها، افتعل من الزِّينة، وتصغير مُزْدان مُزَيَّنٌ، مثل مُخَيَّر تصغير مُختار[5].

ثانياً: القتل معروف، قتله يَقْتُلُه قَتْلاً وتَقْتالاً، وقَتَلَ به سواء، عند ثعلب؛ أي أذهقت روحه فهو (قتيل) والمرأة (قتيلٌ) أيضاً، إذا كان وصفاً، فإذا حُذف الموصوف جعل اسماً ودخلت الهاء نحو: رأيت (قتيلة) بني فلان، والجمع فيها (قتلى). و(القِتْلة) بالكسر الهيئة، يقال:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٠/٥-٤٢)، فتح القدير، (١٦٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٩/٧-٩٠)، تفسير أبي السعود، (١٨٨/٣-١٨٩)، التفسير الكبير، (٢٠٤/١٣-٢٠٥).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه ص (١٥٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٣)، الكشف (٤٥٣/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٣/٢)، كتاب: معاني القراءات ص (١٧٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٠/٧)..

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧٠)، النشر، ص (٢٦٣/٢)، الإتحاف، ص(٢١٧).

(٤) انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٣-١٨٤).

(٥) انظر: لسان العرب، (٢٠١/١٣)، مختار الصحاح، ص(٢٨٠)، المصباح المنير، (٢٦١/١).

قتله قِتْلةَ سوءٍ، والقَتْلة للمرة بالفتح. و(مَقاتِلُ) الإنسان المواضع التي إذا أُصيبت (قَتَلَتْه)، يقال: مَقْتَلُ الرَّجُل بين فكَّيْه، و(المُقَاتَلة) بالفتح: القتال، و(المقاتِلة) بالكسر: القوم الذين يصلحون للقتال(١).

ثالثاً: الولد يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى، وكذلك (الوُلْد) بوزن (القُفْل)، والجمع: أولادٌ ووِلْدةٌ وإِلْدةٌ، ومن أمثال العرب: (وُلْدُكَ من دمَّى عَقِبيك)(٢) (٣).

رابعاً: الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء، مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والجمع أشراك وشُركاء، والمرأة شريكة والنساء شرائك، والاسم الشِّرْك، وفي حديث معاذ τ: (أنَّه أجاز بين أهل اليمن الشِّرْك)(٤) أي: الإشتراك في الأرض، وهو أ، يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك(٥).

حجة ابن عامر في قراءته بضم الزاي؛ أنه بنى ذلك على بناء الفعل لما لم يُسمّ فاعله، ورفع به (القتل)، وأضافه إلى (شركائهم) فخفضهم، ونصب (أولادهم) بوقوع القتل عليهم، وحال بهم بين المضاف إليه، قال ابن زنجلة: «وحجته قول الشاعر:

فَزَجَجْتُها مُتَمكِّناً زَجَّ القَلوصَ أبي مزادة(٦)

أراد زج أبي مزادة القلوصَ»(٧). والوجه في قراءة الباقين أنهم جعلوا الفعل لشركاء فرموهم به، ونصبوا (القتل) بتعدي الفعل إليه، وخفضوا (أولادهم) بإضافة القتل إليهم، والتقدير: وكذلك زَيَّن (شركاؤهم) أن قتل كثير من المشركين أولادهم(٨).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآية نوعاً من أحكام المشركين الفاسدة، بين هنا نوعاً ثانياً من هذه الأحكام الفاسدة والمذاهب الباطلة، فقال تعالى: [وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ] أي: فكما زين لهؤلاء أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً، كذلك زيّن لكثير من

---

(١) انظر: لسان العرب، (٥٤٧/١١)، مختار الصحاح، ص (٥٢١)، المصباح المنير، (٤٩٠/٢).

(٢) قال ابن منظور: «التدّمية للذكر على المجاز؛ أي: من نفست به، وصير عقبيك ملطخين بالدَّم، فهو ابنك حقيقة، لا من إتخذته وتبنيته، وهو من غيرك». انظر: لسان العرب، (٤٦٨/٣).

(٣) انظر: لسان العرب، (٤٦٨.٤٦٧/٣)، مختار الصحاح، ص (٧٣٥)، المصباح المنير، (٦٧١/٢).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: لسان العرب، (٤٤٩/١٠)، مختار الصحاح، ص(٣٣٦)، المصباح المنير، (٣١١/١).

(٦) القائل غير معروف، الزَّج: الطعن، المِزَجَّة: رمح قصير. خزانة الأدب للبغدادي، (٢٥٣.٢٥١/٢).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٥١.١٥٠)، الكشف، (٤٥٣/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٣).

(٨) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٣)، الكشف (٤٥٤/١).

المشركين قتل أولادهم شركاؤهم. وشركاؤهم أي: شر أوليائهم من الجن أو السدنة، وقيل: الشياطين. قال: الزجاج: [شُرَكَاؤُهُمْ] هاهنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان».

قال القرطبي: «وفي هذه إشارة إلى الوأد الخفي ؛ وهو دفن البنت حية مخافة السِّباء والحاجة، وكالرجل في الجاهلية يحلف بالله لئن وُلِد له كذا وكذا غلاماً لينحرن أحدهم، كما فعله عبد المطلب، حين نذر ذبح ولده عبد الله».

ثم قال سبحانه: [لِيُرْدُوهُمْ] اللام لام كي، والإرداء: الإهلاك، وفي القرآن: [إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ] (١). أي: فيهلكوهم، قوله: [وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ] معطوف على ما قبله، أي: فعلوه ذلك التزيين لإهلاكهم، ولخلط دينهم عليهم، وكانوا على دين إسماعيل υ، وما كان فيه قتل الولد، فيصير الحق مغطى عليه، فبهذا يلبسون» واللام للتعليل، إن كان التزيين من الشياطين، وللعاقبة إن كان بين السدنة.

ثم قال سبحانه: [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ] أي: ولو شاء الله عدم فعلهم ما فعلوه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا كان ذلك بمشيئة الله [فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] أي: فدعهم وافتراءهم فذلك لا يضرك، قال القرطبي: «وهذا ردٌّ على القدرية(٢)، وقوله: [وَمَا يَفْتَرُونَ] هو على القول بمقولهم: [اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ](٣)، وقوله: [يَفْتَرُونَ] يدل على أنهم كانوا يقولون: أن الله أوهم بقتل أولادهم، فكانوا كاذبين في ذلك القول(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة [زَيَّنَ] بفتح الزاي على ما لم يسمَّ فاعله، قائلاً: «هي الاختيار، لصحة الإعراب فيها، ولأن الجماعة عليه» (٥)، يوافقه أبو منصور الأزهري ويقول: «قراءة العامة التي اجتمع عليها القراء هي الجيدة البالغة بفتح الزاي، و اللام من (قتل)، والرفع في [شُرَكَاؤُهُمْ]»،ثم يقول مستبعداً قراءة ابن عامر: «أما قراءة ابن عامر فهي متروكة» (٦)، ويقول

---

(١) الصافات، الآية (٥٦).

(٢) إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء الإعتقادية الخاطئة في مفهوم القدر؛ إذ قالوا بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم وأنه ليس لله دخل في ذلك، ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء كما أنكروا علم الله السابق. انظر: الموسوعة الميسرة، (١١٤/٢.١١٥).

(٣) فصلت، الآية (٤٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٤٢/٥.٤٤)، فتح القدير، (١٦٥/٢.١٦٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٣/٧.٩٤)، تفسير أبي السعود، (١٨٩/٣.١٩٠)، التفسير الكبير، (٢٠٥/١٣.٢٠٧).

(٥) الكشف، (٤٥٤/١).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص (١٧٠.١٧١).

أبو علي الفارسي معلقاً على قراءة ابن عامر «هذا قبيح ٌ قليل في الاستعمال، ولو عُدِل عنها إلى غيرها كان أَوْلى» (١).

ويوافقهم شيخ المفسرين، ويقول معللاً اختياره: «وإنما قلت لا أستجيز القراءة بغيرها لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة»، ثم يقول: «ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك قد ورد، ثم قرأ قارئ بضم الزاي من [زَيَّنَ] ورفع (القتل)، وخفض (الأولاد) و(الشركاء)، على أن (الشركاء) مخفوضون بالردّ على الأولاد، بأن الأولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث، كان جائزاً، ولو قرأه كذلك قارئ، غير أنه رفع الشركاء وخفض الأولاد، كما يقال: ضُرِب عبد الله أخوك، فيظهر الفاعل بعد أن جرى الخبر بما لم يسمّ فاعله، كان ذلك صحيحاً من العربية جائزاً »(٢).

ويرد أبو حيان قول من قال برد قراءة ابن عامر وبتضعيفها، مؤكداً صحة القراءة، وأنها قراءة سبعية، متواترة عن النبي ρ، ويقول: «قراءة ابن عامر هي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها»، ثم يقول: «وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض، ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب»، ولوجودها في لسان العرب في عدة أبيات، ثم يقول: «ولا التفات إلى قول ابن عطية: أنها قراءة ضعيفة في استعمال العرب، ولا التفات أيضاً إلى قول الزمخشري أن الفصل بينهما، يعني بين المضاف والمضاف إليه فشاء، لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، كان سمجاً مردوداً فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمته وجزالته»، ويقول أيضاً: «ولا التفات أيضاً لقول أبي علي الفارسي بأن هذا قبيح قليل في الاستعمال» (٣)، ويذهب مذهبه القشيري، فيقول موافقاً عن قراءة ابن عامر «قال قوم: هذا قبيح ٌ، وهذا محال؛ لأنه إذا ثبتت القراءة بالتواتر عن النبي ρ، فهو الفصيح لا القبيح، وقد ورد ذلك في كلام العرب، وفي مصحف عثمان [شُرَكَائِهِمْ] بالياء، وهذا يدل على قراءة ابن عامر» (٤).

(١١٢/٤٩) الاختلاف في [يَكُن] و[مَيْتَةً] من قوله عز وجل: [وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] الآية (١٣٩).

أولاً: أوجه القراءات:

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٤).

(٢) تفسير الطبري، (٥/٤٤).

(٣) تفسير البحر المحيط، (٤/٢٢٩،٢٣٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٩٣).

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَكُن]، فقرأ ابن عامر وشعبة: [تَكُن] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَكُن] بالياء، وقرأ ابن كثير: [مَيْتَةٌ] بالرفع، وقرأ الباقون: [مَيْتَةً] بالنصب[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإنْ يكُنْ أنّث كُفؤ صِدقٍ وميتةٌ ... دنا كافِياً وافتح حصادِ كذي حُلا[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيهه قوليه: [يَكُن] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)[3]، وتوجيه قوله: [مَيْتَةً] في النص رقم (٣٨/١٠١)[4]. وجه من قرأ بالتاء ورفع: [مَيْتَةٌ]؛ أنه أنث لتأنيث لفظ (الميتة)، وجعل (كان) بمعنى: حدث ووقع، تامة، لا تحتاج إلى خبر، فرفع: [مَيْتَةٌ] بفعلها[5].

ووجه من قرأ بالياء ورفع: [مَيْتَةٌ]؛ أنه ذكّر لما كان تأنيث (الميتة) غير حقيقي، ولأن (ميتة) و(ميت) بمعنى، وجعل (كان) تامة غير محتاجة إلى خبر، بمعنى: حدث ووقع، فرفع [مَيْتَةً] بها كالأول[6].

وحجة من قرأ بالياء والنصب، أنه ذكّر الفعل لتذكير [مَا] في قوله: [فِي بُطُونِ]؛ لأن الفعل لـ[مَا] وجعل: [يَكُن] ناقصة، تحتاج إلى خبر، فأضمر فيها اسمها، وهو ضمير [مَا] في قوله: [مَا فِي بُطُونِ] ونصب: [مَيْتَةً] على خبر [يَكُن]؛ والتقدير: وإن يكن ما في بطون الأنعام ميتة فهم في أكله شركاء[7].

وحجة من قرأ بالتاء ونصب: [مَيْتَةً]؛ أنه أنث لتأنيث معنى [مَا]؛ لأنها هي (الميتة) في المعنى، فـ[مَا] في المعنى مؤنثة، وذلك لأن الخبر عنها مؤنث، في قوله: [خَالِصَةٌ]، فلما كانت (كان) تدخل على الابتداء والخبر، وهو الابتداء، أنث لفظ الفعل حملاً على معنى [مَا] وصيّر ما في كان اسم كان، و[مَيْتَةً] خبرها[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧١)، النشر، (٢/٢٦٥)، الإتحاف، ص(٢١٩).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كفؤ» إلى ابن عامر، وبحرف (الصاد) من قوله: «صدق» إلى شعبة، وهما اللذان قرآ: [تَكُن] بالتاء، ثم أشار بحرف (الدال) من قوله: «دنا» إلى ابن كثير، وبحرف (الكاف) من قوله: «كافيا» إلى ابن عامر. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٤).

(٣) انظر ذلك ص( ).

(٤) انظر ذلك ص( ).

(٥) انظر: الكشف، (١/٤٥٤.٤٥٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٧).

(٦) انظر: الكشف، (١/٤٥٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٧)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧١).

(٧) الكشف، (١/٤٥٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٥).

(٨) الكشف، (١/٤٥٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٧).

ذكر سبحانه في هذه الآية أحد أنواع قضايا المشركين الفاسدة، فقال: [وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا]. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: [مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ] فعن ابن عباس قال: «هذا اللبن». وعن السدي قال: «هذه الأنعام ما ولد منها من حي فهو خالص للرجال دون النساء، وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء».

قال القرطبي: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال بأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعينها: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا، واللبن مما في بطونها، وكذلك أجنتها، ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهن دون بعض، وإن كان ذلك كذلك، فالواجب أن يقال: إنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حلٌ لذكورهم خالصة دون إناثهم، وأنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم، إلاّ أن يكون الذي في بطونها من الأجنة ميتاً، فيشترك حينئذٍ في أكله الرجال والنساء»

والهاء في [خَالِصَةٌ] للمبالغة في الخلوص، كعلامة ونسَّابة، قاله الكسائي والأخفش، وقوله: [وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ] أي: وإن يكن الذي في بطون الأنعام ميتة، فيأكل منه الذكور والإناث، لا يحرمونه على أحد منهم.

ثم قال جل جلاله: [سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ] أي: سيثيبهم ويكافئهم على كذبهم، وافترائهم في تحريمهم ما لم يحرمه الله، وتحليلهم ما لم يحلله الله، أي: يعذبهم على ذلك، قال القرطبي: «وفي الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلَّم قول من خالفه وإن لم يأخذ به، حتى يعرف فساد قوله:، ويعلم كيف يرد عليه؛ لأن الله تعالى أعلم النبي ρ، وأصحابه قول من خالفهم من أهل زمانهم، ليعرفوا فساد قولهم».

وقوله: [إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] أي: أنه سبحانه حكيم في مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقيلهم الباطل عليه، حكيم في سائر تدبيره في خلقه، عليم بما يصلحهم، وبغير ذلك من أمورهم[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ: [يَكُنْ] بالياء وبنصب: [مَيْتَةً] قائلاً: «وعليه أكثر القراء، وهو الاختيار»[2]، وساق ابن زنجلة قول أبو عمرو موافقاً بذلك قول مكي قال: «قال أبو عمرو: الوجه: [يَكُنْ] بالياء؛ لقوله: [فِيهِ] ولم يقل (فيهما)»[3].

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/٤٧.٥٠)، فتح القدير، (٢/١٦٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٩٥.٩٦)، تفسير أبي السعود، (٣/١٩٠.١٩١)، التفسير الكبير، (١٣/٢٠٨.٢٠٩).

(٢) الكشف، (١/٤٥٥).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥).

ويوافقهما القرطبي، ويعلل ذلك بقوله: « قال [فيه]؛ لأن المراد بالميتة الحيوان، وهي تقوي قراءة الياء، ولم يقل (فيها)»(١)، بينما يرجح أبو منصور الأزهري قراءة من قرأ [تَكُن] بالتاء، قائلاً: «من قرأ [تَكُن] بالتاء، فهو جيدٌ بالغ؛ لأن الميتة مؤنثة»(٢).

(١١٣/٥٠) الاختلاف في [قَتَلُوا] من قوله عز وجل: [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] الآية **(١٤٠)**.

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [قَتَلُوا]، فقرأ الإبنان: [قَتَّلُوا] بالتشديد، وقرأ الباقون: [قَتَلُوا] بالتخفيف(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

بمَا قتَلُوا التَّشديد لبَّى بعدَه ... وفِي الحجِّ للشَّامي والآخرِ كَمَّلا(٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه من قرأ بالتخفيف؛ لأن التخفيف للتقليل والتكثير(٥). ووجه من قرأ بالتشديد؛ فإنه على التكثير، أي: مرة بعد مرة، كما يقال: رجل قتَّال، إذا كثر منه القتل، وجاء في التنزيل [مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ](٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

ذكر سبحانه فيما تقدم قتل الكفار أولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله، ثم إنه تعالى جمع هذين الأمرين في هذه الآية، وبين ما لزمهم على هذا الحكم، وهو الخسران والسفاهة، وعدم العلم، وتحريم ما رزقهم الله، والافتراء على الله، والضلال وعدم الاهتداء، فهو أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم، فقال: [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ] وهو الأمر الأول، وذلك لأن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله، فقد خسر خسراناً عظيماً، ولا سيما ويستحق على ذلك الإبطال الذم العظيم في الدنيا، والعقاب العظيم في الآخرة.

أما الذم في الدنيا؛ فلأن الناس يقولون قتل ولده خوفاً من أن يأكل طعامه، وليس في الدنيا ذم أشد منه، وأما العقاب في الآخرة؛ فلأن قرابة الولادة أعظم موجبات المحبة مع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٩٦/٧).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٧١).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧١)، النشر، (٢١٧/٢)، الإتحاف، ص(٢١٩).

(٤) أشار الناظم بحرف (اللام) من قوله: «لبى» إلى ابن هشام، راوية ابن عامر، وبحرف (الكاف) من قوله: «كملا» إلى ابن كثير. انظر: المتن، ص(٤٦)، الوافي، ص(١٦٥).

(٥) انظر: الكشف، (٣٦٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٧/٢).

(٦) ص، الآية (٥٠).

حصولها، إذ أقدم على إلحاق أعظم المضار به، كان ذلك أعظم الذنوب، فكان موجباً لأعظم أنواع العقاب.

النوع الثاني: قوله: [سَفَهاً] السَّفاهة: عبارة عن الخفة المذمومة، وذلك لأن قتل الولد إنما يكون للخوف من الفقر، والفقر وإن كان ضرراً إلا أن القتل أعظم منه ضرراً، وأيضاً فهذا القتل ناجز، وذلك الفقر موهوم، فإلتزام أعظم المضار على سبيل القطع حذراً من ضرر قليل موهوم، لا شك أنه سفاهة.

النوع الثالث: قوله: [بِغَيْرِ عِلْمٍ] بمعنى أن هذه السفاهة تولدت من عدم العلم، ولا شك أن الجهل أعظم المنكرات والقبائح.

والنوع الرابع: قوله: [وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ] وهو أيضاً من أعظم أنواع الحماقة؛ لأنه يمنع نفسه تلك المنافع والطيبات، ويستوجب بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العذاب والعقاب وهو في الأنعام التي سموها بحائر وسوائب وغيرها.

النوع الخامس: قوله: [افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ] أي: للافتراء عليه، ومعلوم أن الجراءة على الله، والافتراء عليه أعظم الذنوب وأكبر الكبائر.

النوع السادس: قوله: [قَدْ ضَلُّوا] أي: قد ضلوا الصواب بهذه الأفعال عن مصالح الدين ومنافع الدنيا.

النوع السابع: قوله: [وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] والفائدة منعه أنه قد يضل الإنسان عن الحق إلا أن يعود إلى الاهتداء، فبين تعالى أنهم قد ضلوا ولم يحصل لهم هذا الاهتداء قط.

فثبت أنه تعالى ذم الموصوفين بقتل الأولاد وتحريم ما أحله الله تعالى لهم بهذه الصفات السبعة الموجبة لأعظم أنواع الذم، وذلك نهاية المبالغة، قال القرطبي: «إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر الله عز وجل في غير هذا الموضع، وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم؛ وهم ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية، ومنهم يقول: الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالبنات»(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو منصور قراءة التخفيف قائلاً: «التخفيف فصيح جداً» (٢)، ويوافقه مكي قائلاً: «هو الاختيار؛ لإجماع القراء عليه» (٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري،(٥/٥١)، فتح القدير، (٢/١٦٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٩٦.٩٧)، تفسير أبي السعود، (٣/١٩١)، التفسير الكبير، (١٣/٢٠٩.١١٠).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٧٢).

(٣) الكشف، (١/٣٦٤).

(٥١/١١٤) الاختلاف في [حَصَادِهِ] من قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] الآية (١٤١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الحاء وكسرها من قوله عز وجل: [حَصَادِهِ]، فقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر: [حَصَادِهِ] بفتح الحاء، وقرأ الباقون: [حِصَادِهِ] بالكسر[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِنْ يَكُنِ انْثِ كُفْؤَ صِدقٍ وميتَةٌ ... دنا كافيًا وافتَح حِصادِ كذي حُلا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

الحَصْدُ: جزك البُر ونحوه من النبات، يقال: حصد الزرع وغيره من النبات، يَحْصِدُه ويحصُدُه حَصْداً وحَصاداً وحِصاداً، وحَصَده واحتصده بمعنى واحد، والحَصاد والحِصاد: أوان الحَصاد والحصاد، والحَصَد: الزرع والبر المحصود بعدما يحصد[٣].

قال ابن خالويه في توجيه كلتا القراءتين، فقال: «هما فرقاً بين الاسم والمصدر»، وقال الفراء: «بالكسر حجازية، وأهل نجد وتميم بالفتح»[٤].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في هذه الآية أحد الدلائل الدالة على تقرير التوحيد، فقال: [الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ]، أنشأ خلق وابتدع وأحدث حلقاً، لا الآلهة والأصنام، جنات معروشات: أي: بساتين ممسوكات مرفوعات، غير معروشات: أي: غير مرفوعات، قال الرازي: «أعلم أنه قد سبق ذكر هذا الدليل الدال على تقرير التوحيد في هذه السورة، وهو قوله: [وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][٥]، فالآية المتقدمة ذكر تعالى فيها خمسة أنواع: هي الزرع، والنخل، وجنات من أعناب، والزيتون، والرمان، وفي هذه الآية

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٧)، كتاب السبعة، ص(٢٧١)، النشر، (٢٦٦/٢)، الإتحاف، ص(٢١٩).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كذي» إلى ابن عامر، وبحرف (الحاء) من قوله: «حلى» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٤).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٥١/٣)، مختار الصحاح، ص(١٣٩)، المصباح المنير، (١٣٨/١).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥).

(٥) الأنعام، الآية (٩٩).

التي نحن في تفسيرها ذكر هذه الخمسة بأعيانها، لكن على خلاف ذلك الترتيب؛ لأنه ذكر العنب، ثم النخل ثم الزرع، ثم الزيتون، ثم الرمان، ذكر هذه الخمسة بأعيانها، لكن على خلاف ذلك الترتيب لأنه ذكر النصب، ثم النخل ثم الزرع، ثم الزيتون، ثم الرمان، وذكر في الآية المتقدمة: [مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ]، وفي هذه الآية: [مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ]، ثم ذكر في الآية المتقدمة: [انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ] فأمر تعالى هناك بالنظر في أحوالها والاستدلال بها على الوجود الصانع الحكيم، ثم ذكر في هذه الآية: [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] فأذن في الانتفاع بها؛ وأمر بصرف جزء منها إلى الفقراء، فالذي حصل به الامتياز بين الآيتين أن هناك أمر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم، وههنا إذن في الانتفاع بها» ثم قال: «وذلك تنبيه على أن الأمر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم مقدم على الإذن في الانتفاع بها، لأن الحاصل من الاستدلال بها سعادة روحانية أبدية، والحاصل من الانتفاع بهذه سعادة جسمانية سريعة الانقضاء، والأول أولى بالتقديم، فلهذا السبب قدم الله تعالى الأمر بالاستدلال بها على الإذن بالانتفاع بها».

قوله: [وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ] معطوف على جنات، وخصهما بالذكر مع دخولهما في الجنات لما فيهما من الفضيلة كما قال تعالى: [مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ](1)، قوله: [مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ] أي: حال كونه مختلفاً أكله في الطعم والجودة والرداءة، قال الشوكاني: «وقال [مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ] ولم يقل «أكلهما»؛ اكتفاء بإعادة الذكر على أحدهما، كقوله: [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا](2)، أي: إليهما، أو الضمير بمنزلة الإشارة، أي: أكل ذلك».

قوله: [وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ] معطوف على جنات، أي: وأنشأ الزيتون والرمان حال كونه [مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ] أي: يشابه بعض أفرادها في اللون والهيئة، أو الطعم، أو لا يتشابه بعضها، قال القرطبي: «وجه اتصال هذا بما قبله، أن الكفار لما افتروا على الله الكذب وأشركوا معه وحللوا وحرموا، دلهم على وحدانيته بأنه خالق الأشياء، وأنه جعل هذه الأشياء أرزاقاً لهم».

قوله: [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ] أي: كلوا من ثمر كل واحد منها، أو من ثمر ذلك، إذا حصل فيه الثمر، وأن لم يدرك ويبلغ حد الحصاد؛ وفي هذا رخصة للمالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى.

ولقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: [وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة في التمر والحب»، وعن مجاهد: «أن ذلك حق أوجبه الله في أموال أهل الأموال، غير الصدقة المفروضة»، والقول الآخر لابن عباس: «أن

---

(1) البقرة، الآية (98).

(2) الجمعة، الآية (11).

ذلك كان شيئاً أمر الله به المؤمنين، قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة، ثم نسخته الصدقة المعلومة، فلا فرض في مال كائناً ملكان زرعاً كان أو غرساً، إلا الصدقة التي فرضها الله فيه».

ويصوب الطبري هذا القول باعتبار أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم، أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس[1]، والتنقية[2]، والتذرية[3]، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف، ثم يقول: «فإذا كان ذلك كذلك وكان قوله جل ثناؤه: [وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] ينبئ عن أنه أمر من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده، وكان يوم حصاده؛ هو يوم جذه وقطعه، والحب لا شك أنه في ذلك اليوم في سنبله، والثمر وإن كان تمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه، وكانت الصدقة من الحب إنما تؤخذ بعد دياسة وتزريته وتنقيته كيلاً، والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلاً، عُلم أن ما يؤخذ صدقته بعد حين غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حصاده».

فالذي يقرره الطبري أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة[4]، قال الشوكاني: «ويؤيده أن هذه الآية مكية، وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية من الهجرة، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف»، ويشير القرطبي إلى نكتة لطيفة في قوله: [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] قائلاً: «هذان بناءان جاءا بصيغة أفعل، أحدهما: مباح؛ كقوله: [فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ][5]، والثاني: واجب، وليس بممتنع في الشريعة اقتران المباح والواجب، وبدأ بذكر نعمة الأكل قبل الأمر بإيتاء الحق؛ ليبين أن الابتداء بالنعمة كان من فضله، قبل التكليف».

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]، الإسراف في اللغة: الخطأ، قال أعرابي أراد قوماً: طلبتكم فسَرِفْتكم؛ أي: أخطأت موضعكم، والإسراف في النفقة: التبذير، وهذا نهي منه سبحانه عن جميع معاني الإسراف، ولم يخصص منها معنى دون معنى، فإنه سبحانه لا يرتضيه هذا الإسراف[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) الدِّياس: هو الذي يدوس الطعام، ويدقه ليخرج الحب منه. انظر: لسان العرب، (٦/٩٠).

(٢) التَّنقية: التنظيف. انظر: لسان لعرب، (١٥/٣٣٩).

(٣) التَّذرية: تنقية الحبوب في الريح. انظر: لسان العرب، (١٤/٢٨٣).

(٤) وهو قول عكرمة والضحاك. انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص(٢٨٣).

(٥) الجمعة، الآية (١٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٥/٦٢،٥٢)، فتح القدير، (٢/١٦٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/١١١،٩٨)، تفسير أبي السعود، (٣/١٩٢،١٩١)، التفسير الكبير (٣/١٩٥،١٩٣).

صوب أبو منصور القراءتين معاً، قائلاً: هما لغتان، الحَصَاد والحِصاد» [1]، قال ابن زنجلة: «قال الفراء: بالكسر حجازية، وأهل نجد وتميم بالفتح» [2].

ويوافقهما أبو علي الفارسي في تصويبهما لكلتا القراءتين، ويستشهد بقول سيبويه على ذلك فيقول: «قال سيبويه: جاؤوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال: فِعَالٍ، وذلك الحِصاد، والقِطاع، وربما دخلت اللغة في بعض هذا، فكان فيه فِعال وفَعَالٌ»، ثم يقول أبو علي الفارسي: «فتبين مما قال أن الحصَاد والحِصاد لغتان» [3].

أما ابن أبي طالب فيرى . بعد تصويبه لكلتا القراءتين . أن الكسر هو الأصل، ويقول: «والكسر عند سيبويه، هو الأصل، وهو الاختيار؛ لأنه الأصل، ولأن الأكثر عليه» [4].

(١١٥/٥٢) الاختلاف في [الْمَعْزِ] من قوله تعالى: [وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ] الآية (١٤٣).

أولاً: أوجه إختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح العين وإسكانها من قوله عز وجل: [الْمَعْزِ] فقرأ الأبنان و أبو عمرو [وَمِنْ الْمَعَزِ] بفتح العين، وقرأ الباقون: [الْمَعْزِ] ساكنة العين[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نَمَا وسُكُونُ المعزِ حِصْنٌ وأَنَّثُوا يَكُونَ كَمَا فِي دِينِهِمْ مَيْتَةٌ كَلاَ[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

المَاعِزُ: ذو الشَّعر من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم جنس، وهي العَنْز، والأنثى: مَاعِزَةٌ ومِعْزَاة، والجمع: مَعْزٌ ومَعَزٌ وَمَعِيزٌ ومُعُوزٌ، وكذلك أُمْعُوزٌ ومِعْزى[7].

وجه من قرأ [المَعَز] بفتح العين؛ أنه جعله جمع (ماعز) كحَارس وحَرَس، وخادِم وخدَم، كما أن الضأن جمع ضائن، قال أبو علي الفارسي: «ويدل على ذلك قوله: [مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ] ولو كان واحداً لم ينفع فيه هذا»[8].

---

(١) كتاب معاني القراءات، ص(١٧٢).

(٢) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥).

(٣) انظر:الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٨.٢١٧/٢).

(٤) الكشف، (٤٥٦/١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٨)، كتاب السبعة، ص(٢٧١)، النشر، (٢٦٦/٢)، الإتحاف، ص(٢١٩).

(٦) أشار الناظم بكلمة (حصن) إلى الكوفيين ونافع. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٤).

(٧) انظر: لسان العرب، (٤١١.٤١٠/٥)، مختار الصحاح، ص(٦٢٧)، المصباح المنير، (٥٧٥/٢).

(٨) انظر: الكشف، (٤٥٦/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٤١٩/٢).

ووجه من قرأ [المَعْز] بإسكان العين: جعله جمع ماعز أيضاً، كصاحب وصحْب، وتاجر وتجْر، قال ابن زنجلة «والأصل تسكين العين؛ لأنه جمع (ماعز)، وحجتهم إجماع الجميع على تسكين الهمزة في [الضَّأْنِ]، وهو جمع (ضائن) كماعز، والهمزة والعين من حروف الحلق» (١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآيات السابقة كيفية إنعامه على عباده بالمنافع النباتية، أتبعها بذكر إنعامه عليهم بالمنافع الحيوانية، فقال: [وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا] ثم قال: [ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ]، وفي هذا تبيين منه سبحانه للحمولة والفرش، وإنما نصب [ثَمَانِيَةَ]؛ لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش، وبدل منها؛ كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش وبين ذلك بعد، فقال: [ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ] على ذلك المعنى: [مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ] فذلك أربعة؛ لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج، فالأنثى منه زوج الذكر، والذكر منه زوج الأنثى، وكذلك ذلك من المعز، ومن سائر الحيوان، فلذلك قال جل ثناؤه [ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ] كما قال: [وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ](٢)؛ لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا إثنين فهما زوجان، كما قال جل ثناؤه: [وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا](٣).

والضأن: ذوات الصوف من الغنم، وهو جمع ضائن، والأنثى: ضائنة، والجمع: ضوائن. والمعز: من الغنم خلاف الضأن، وهو ذوات الأشعار والأذناب القصار، وهو اسم جمع، وواحد المَعْز ماعز، والأنثى: ماعزة، وهي العَنز، والجمع: مواعز، والمراد من هذه الآية أن الله سبحانه بين حال الأنعام وتفاصيلها إلى الأقسام المذكورة توضيحاً للامتنان بها على عباده، ودفعاً لما كانت الجاهلية تزعمه من تحليل بعضها، تقوّلاً على الله سبحانه، وافتراء عليه.

والمراد من الهمزة في قوله: [ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ] للإنكار، والمراد بالذَّكرين الكبش والتيس، والاثنيين: النعجة والعنز، والمعنى: الإنكار على المشركين في أمر البحيرة وما ذكر معها، وقولهم: [مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا]؛ أي: قل لهم: إن كان حرّم الذكور فكل ذكر حرام، وإن كان حرم الإناث فكل أنثى حرام، وإن كان حرّم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين، يعني من الضأن والمعز، فكل مولود حرام، ذكراً كان أو أنثى، وكلها مولود، فيستلزم أن أكلها حرام.

وقوله: [نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]؛ أي: خبروني بعلم لا بجهل، إن كنتم صادقين، والمراد من هذا التبكيت لهم وإلزام الحجة؛ لأنه يعلم أنه لا علم عندهم. قال القرطبي: «دلت

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢١٩)، الكشف، (١/٤٥٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥.٢٧٦).

(٢) الذاريات، الآية (٤٩).

(٣) الأعراف، الآية (١٨٩).

الآية على إثبات المناظرة في العلم؛ لأن الله تعالى أمر نبيه ρ بأن يناظرهم، ويبين لهم فساد قولهم، وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليل بأن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به؛ لأن الله تعالى أمرهم بالمقايسة الصحيحة، وأمرهم بطرد علتهم» [1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن زنجلة القراءتين معاً، قائلاً: «هما لغتان»[2]، وأضاف أبو منصور قائلا: «وذلك مثل الشَّعْر والشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر»[3]، ويقول أبو علي الفارسي في توجيهه لقراءة من قرأ بإسكان العين: «فهو على هذا جمع أيضاً كما كان في قول من فتح العين جمعاً أيضاً، وجمُع ماعزٌ عليه» [4].

وكذلك قال الرازي أيضاً: «من قرأ بفتح العين فهو جمع ماعز، ومن قرأ بإسكان العين فهو أيضاً جمع ماعز» [5]، أما ابن أبي طالب فيقول: «إنهما متساويتان، فهو في مفهوم القراءتين، جمع (ماعز) على (فاعل)، وفاعل يجمع على (فَعْل) وعلى (فَعَل)»، ثم يقول: «ولا يحسن أن يكون المعنى واحد؛ لأن بعده اثنين»[6].

وقال القرطبي: قال النحاس: الأكثر في كلام العرب المعْز والضَّأن، بالإسكان، ويدل على هذا قولهم في الجمع: (معيز) فهو جمع (معز)، كما يقال: (عبْد) و(عبيد) ومثله (ضَأن) و(ضئين)»[7]، ومن الملاحظ أنه ذكر اللغة الأفشى من دون أن يذكر أنها القراءة الراجحة، فهو بذلك كأنه يتفق مع الجميع في تصويبهم لكلتا القراءتين.

(٥٣/١١٦) الاختلاف في [يَكُونَ مَيْتَةً] من قوله عز وجل: [قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] الآية (١٤٥).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَكُونَ مَيْتَةً] فقرأ ابن عامر والأخوان: [تَكُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَكُونَ] بالياء، وكلهم نصب: [مَيْتَةً] إلا ابن عامر فإنه رفع[8].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦٥/٥.٦٧)، فتح القدير، (١٧٠/٢.١٧١)، الجامع لأحكام القرآن، (١١٣/٧.١١٥)، تفسير أبي السعود، (١٩٢/٣.١٩٣).

(٢) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٥).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص (١٧٢).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢١٩/٢).

(٥) التفسير الكبير، (٢١٦/١٣).

(٦) الكشف، (٤٥٦/١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (١١٤/٧).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٦)، كتاب السبعة، ص(٢٣٥)، النشر، (٢٥٠/٢)، الإتحاف، ص(١٩٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وا إن ْ يكُ ن انثِّ كفؤ َ صـ دِ قٍ وميتَ ةٌ   دنا كافِيا وافتَح حِصادِ كذي حـُ لا [١].

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه من قرأ: [تَكُونَ] بالتاء؛ أنه حمله على المعنى؛ لأن المحرّم لا بد أن يكون عيناً أو نفساً أو جثة، هذه كلها مؤنثة، فأنث لذلك، وفي (كان) اسمها، وهو العين أو النفس أو الجثة [مَيْتَةً] الخبر[٢].

ووجه من قرأ: [يَكُونَ] بالياء؛ أنه حمل الكلام على اللفظ؛ لأن [أَجِدُ] يدل على نفي الموجود، والتقدير: قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه، إلا أن يكون الموجود ميتة، أو كذا وكذا، فإنه رجس[٣].

ووجه من قرأ: [مَيْتَةً] بالنصب؛ أنه أضمر في (كان) اسمها، لتقدم ما يدل عليها، ونصب [مَيْتَةً] على الخبر، قال أبو منصور: «المعنى: إلا أن يكون المحرّم ميتة»[٤].

ووجه من قرأ: [مَيْتَةٌ] بالرفع؛ أنه جعل (كان) بمعنى حدث ووقع، تامة لا تحتاج إلى خبر، فرفع [مَيْتَةٌ] بـ(كان)، وحمل التأنيث على لفظ [مَيْتَةً][٥].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه فساد طريقة أهل الجاهلية، فيما يحل ويحرم من المطعومات، أتبعه بالبيان الصحيح في هذا البيان، فقال: قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً وهو إعلامٌ منه سبحانه بما حرم، والمعنى: قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرماً إلا هذه الأشياء، لا تحرمونه بشهوتكم، فدل ذلك على انحصار المحرمات فيها لو أنها مكية، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة، وزيد فيها على هذه المحرمات المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وصح عن النبي ρ تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم الحمر الأهلية والكلاب ونحو ذلك[٦].

---

(١) سبق شرحه في النص رقم (٢٢/٢٢)، انظر ذلك ص(   ).

(٢) انظر: الكشف، (٤٥٦/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٢١/٢).

(٣) الكشف، (٤٥٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٦).

(٤) الكشف، (٤٥٧/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧٢).

(٥) الكشف، (٤٥٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٦).

(٦) منها ما رواه أبو ثعلبة τ: (نَهَى النَّبِيُّ ρ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل ذي ناب من السباع، (١٧٤/٧).

قال الشوكاني: «وبالجملة فهذا العموم إن كان بالنسبة إلى ما يؤكل من الحيوانات، كما يدل عليه السياق، ويفيد الاستثناء، فيضم إليه كل ما ورد بعده في الكتاب أو السنة، مما يدل على تحريم شيء من الحيوانات، وإن كان هذا العموم بالنسبة إلى كل شيء حرمه الله من حيوان وغيره، فإنه يضم إليه كل ما ورد بعده مما فيه تحريم شيء من الأشياء».

وقوله: [مُحَرَّماً] صفة لموصوف محذوف؛ أي: طعاماً محرماً. وقوله: [عَلَى طَاعِمٍ]؛ أي: أيِّ طعام كان من ذكر أو أنثى، ردّاً على قولهم: [وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا]، وقوله: [يَطْعَمُهُ] لزيادة التقرير، إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً، إلا أن تكون العين أو الجثة أو النفس ميتة، والدم المسفوح: الجاري الذي يسيل وهو المحرَّم، وحكى الماوردي(1): أن الدم غير المسفوح أنه إن كان ذا عروق يُجمد عليها؛ كالكبد الطحال، فهو حلال، لقوله ρ: (أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ)(2)وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها، وإنما هو مع اللحم ففي تحريمه قولان: أحدهما: أنه حرام؛ لأنه من جملة المسفوح أو بعضه، وإنما ذكر المسفوح؛ لاستثناء الكبد والطحال منه. والثاني: أنه لا يحرَّم، لتخصيص التحريم بالمسفوح. قال القرطبي: «وهو الصحيح، وعليه إجماع العلماء».

وقوله: [أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ] ظاهر تخصيص اللحم؛ أنه لا يحرم الانتفاع منه، بما عدا اللحم، وذلك ليدل على تحريم عينه ذُكّي أو لم يُذكَّ، وليعم الشحم وما هنالك من الغضارف وغيرها، والضمير في قوله: [فَإِنَّهُ] راجع إلى اللحم أو إلى الخنزير، [رِجْسٌ]؛ أي: لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات، أو خبيث، وقوله: [أَوْ فِسْقاً] عطف على لحم [خِنزِيرٍ]، وما بينهما اعتراض مقرر للحرمة، [أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ] صفة موضحة؛ أي: ذبح على اسم الأصنام، وإنما سمي فسقاً؛ لتوغله في الفسق، وقوله: [فَمَنِ اضْطُرَّ]؛ أي: فمن اضطر إلى شيء من هذه المحرمات، أي: أُحوج إليها، [غَيْرَ بَاغٍ] في أكله فوق حاجته، [وَلاَ عَادٍ] بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها، [فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]؛ أي: كثير المغفرة والرحمة، فلا يؤاخذ المضطر بما دعت إليه ضرورته(3).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(1)علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، كان يميل إلى مذهب الاعتزال، من كتبه (من أدب الدنيا والدين) توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٦٤/٨).

(2)أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، (٢٦١/٢).

(3) انظر: تفسير الطبري، (٧٢،٦٩/٥)، فتح القدير، (١٧١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٤،١٣٢/٧)، تفسير أبي السعود، (١٩٩،١٩٨/٣)، التفسير الكبير، (٢٣٣،٢٣٢/١٣).

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ بالياء من [يَكُونَ]، ونصب [مَيْتَةً] قائلاً: «هو الأقيس»، ويعلل ذلك بقوله: «لأنه جعل فيه ضميراً مما تقدم، فكأنه قال: إلا أن يكون الموجود ميتة، ويجوز أن يكون أضمر مؤنثاً، كما أضمره ابن كثير وحمزة، إلا أنه ذكر الفعل لما تقدم»، ثم يقول: «ويؤكد ذلك عن أبي عمرو من أنه قرأ [إِلَّا أَن يَكُونَ] و[إِلَّا أَن تَكُونَ] بالياء والتاء، وقول ابن عامر على: إلا تقع ميتةٌ، أو تحدث ميتةٌ، فألحق علامة التأنيث الفعل، كما لحق في نحو قوله: [قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ][1]»[2].

ويوافقه الطبري قائلاً: «والصواب من القراءة في ذلك عندي [يَكُونَ] بتحقيق الياء ونصب [مَيْتَةً]؛ لأن الذي في [يَكُونَ] من المكنى من ذكر المذكر، وإنما هو: قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه، إلا يكون ذلك ميتة أو دماً مسفوحاً» ثم يقول مستبعداً القراءة الثانية «أما من قرأ [مَيْتَةٌ] بالرفع فإنه وإن كان في العربية غير خطأ، فإنه في القراءة في هذا الموضع غير الصواب؛ لأن الله يقول: [أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا]، فلا خلاف بين الجميع من قراءة الدم بالنصب، وكذلك هو في مصاحف المسلمين، وهو عطف على الميتة، فإن كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله: [أَوْ فِسْقًا] مرفوعين، ولكنها منصوبة، فيعطف بهما عليها بالنصب»[3].

(١١٧/٥٤) الاختلاف في [تَذَّكَّرُونَ] من قوله عز وجل: [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الآية (١٥٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الذال وتخفيفها من قوله عز وجل: [تَذَكَّرُونَ]، فقرأ الأخوان وحفص: [تَذَكَّرُونَ] بالتخفيف في (الذال)، وقرأ الباقون: [تَذَّكَّرُونَ] بالتشديد في الذال[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وتذَّكَّرُون الكلُّ خُفَّ على شذاً وأنَّ اكسروا شرْعاً وبالخِفِّ كمَّلا[5].

---

(١) يونس، الآية (٥٧).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٢١/٢).

(٣) تفسير الطبري، (٧٢/٥).

(٤) انظر: كتاب التفسير، ص(١٠٨)، كتاب السبعة، ص(٢٧٢)، الإتحاف، ص(٢٢٠).

(٥) أشار الناظم بحرف (العين) من قوله: «على» إلى حفص وبحرف (الشين) من قوله: «شذا» إلى حمزة والكسائي؛ وهم الذين قرءوا بتخفيف الذال في كل مواضعه من القرآن الكريم، إذا كان بتاء واحدة مثناة فوقية نحو قوله: [ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الأنعام (١٥٢)، ونحو قوله: [وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الذاريات (٤٩). انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٥).

ثانياً: توجيه القراءات:

الذِّكْرُ والذِّكْرُ والذُّكْرَةُ: ضد النسيان، يقال: ذكرته بلساني وبقلبي: ذكرى: بالتأنيث وكسر الذال، والاسم ذُكْرٌ (ذُكْرٌ) بالضم والكسر، والتَّذكير: الوَعظ، والاسم الذكرى، قال الفراء: «يكون الذكرى بمعنى الذِّكْر، ويكون بمعنى التذكُّر، وفي قوله تعالى: [إِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ](١)، والذكر والذِّكرى . بالكسر . نقيض النسيان، وكذلك الذُّكرة».

وجه من قرأ [تَذَكَّرُونَ] بالتخفيف في الذال؛ فإنه قرأ على حذف إحدى التاءين استخفافاً، وذلك إذا كان أصله (تتذكرون)(٢).

ووجه من قرأ [تَذَّكَّرُونَ] بالتشديد في (الذال)؛ فالأصل أيضاً (تتذكرون)، فأدغمت التاء في الذال، وشددت(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة فساد ما يقوله الكفار، أن الله حرم علينا كذا كذا، وذلك لقوله: [هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ ..]، ثم أردف سبحانه بيان الأشياء التي حرمها عليهم فقال: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ ..]، فهذه خمسة أنواع من التكاليف، وهي أمور ظاهرة جلية، لا حاجة فيها إلى الفكر والاجتهاد.

ثم ذكر سبحانه بعدها أربعة أنواع من التكاليف، وهي أمور خفية يحتاج المرء العاقل في معرفته بمقدارها إلى التفكر، والتأمل والاجتهاد:

فالنوع الأول: من التكاليف المذكورة في هذه الآية قوله: [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ]؛ أي: لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه [إلا] بالخصلة [بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] من غيرها، وهي ما فيه صلاحه وحفظه وتنميته، فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها نفع لليتيم وزيادة في ماله، قوله: [حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ]؛ أي: إلى غاية هي أن يبلغ اليتيم، [أَشُدَّهُ] يعني قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأَشُدَّ وقعت هنا مطلقة.

وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة النساء مقيدة، فقال: [وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا](٤)، فجمع بين قوة البدن؛ وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة؛ وهو إيناس الرشد، فلو مُكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة؛ لأذهبه في شهواته، وبقي صعلوكاً لا مال له، واختلف العلماء في الأشد: فقال أهل المدينة: بلوغه وإيناسه

---

(١) الذاريات الآية (٥٥).

(٢) انظر: الكشف، (٤٥٧/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧٣).

(٣) انظر: الكشف (٤٥٧/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٥٥/٢).

(٤) النساء، الآية (٦).

رشده. وقال أبو حنيفة: «خمس وعشرون سنة»، وقال الشوكاني: «والأدنى في تحقيق بلوغ الأشد أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكاً مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير».

وخص سبحانه اليتيم بهذا الشرط؛ لغفلة الناس عنه، وافتقاد الآباء لأبنائهم، فكان الإهتبال[1] بفقيد الأب أولى وليس بلوغ الأشد مما يُبيح قرب ماله بغير الأحسن؛ لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة، وخص اليتيم بالذكر؛ لأن خصمه الله تعالى.

النوع الثاني: قوله تعالى: [وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ]؛ أي: بالاعتدال في الأخذ والعطاء عن البيع والشراء، والقسط: العدل. قال الرازي: «فإن قيل: إيفاء الكيل والميزان هو عين القسط، فما الفائدة من هذا التكرير؟ قال: قلنا أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة، ولما كان يجوز أن يتوهم الإنسان أنه يجب على التحقيق، وذلك صعب شديد في العدل أتبعه الله تعالى بما يزيل هذا التشديد، فقال: [لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا]؛ أي: طاقتها في إيفاء الكيل والوزن، وهذا يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز، وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين، ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه».

النوع الثالث: من التكاليف المذكورة في هذه الآية قوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى]؛ أي: إذا قلتم بقول في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل، فاعدلوا فيه وتوخّوا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سوّوا بين الناس، فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به[2].

النوع الرابع: من هذه التكاليف قوله: [وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا]؛ أي: أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم، ومن جملة ما عهده الله إليكم ما تلاه عليكم رسول الله ρ بأمره في هذا المقام.

ولما ذكر تعالى هذه الأقسام قال: [ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]؛ أي: أن ما تقدم ذكره أمركم به أمراً مؤكداً لعلكم تتعظون بذلك[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) الإهتبال: اغتنام الفرصة وابتغاءها، وتكسيبها؛ أي: الاشتغال بشأن اليتيم أولى. انظر: لسان العرب، (٦٨٨/١١).

(٢) قال الرازي: «يدخل في ذلك كل ما يتصل بالقول، فيدخل ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الدلائل عليه، بأن يذكره بألفاظ مفهومة معتادة، قريبة من الأفهام، ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها، ويدخل فيها حكم الحاكم بالقول». التفسير الكبير، (٢٣٥/١٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٨٧.٨٤/٥)، فتح القدير، (١٧٨.١٧٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٧.١٣٤/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٠٠.١٩٩/٣)، التفسير الكبير، (٢٣٦.٢٣٤/١٣).

صوب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً ، وذلك باعتبار أن الأصل فيهما واحد(١)، وهو ما يراه أبو علي الفارسي فيقول: «القول في ذلك أن التخفيف مثل التشديد في المعنى»، ثم يقول: «ويمكن أن يقال الحذف أولى؛ لأنه أخف في اللفظ والدلالة على المعنى قائمة»(٢). ويوافقهما الرازي قائلاً : «هما بمعنى واحد» (٣).

(١١٨/٥٥) الاختلاف في [أَنَّ] من قوله عز وجل: [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] الآية (١٥٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وكسرها وتخفيف النون وتشديدها من قوله تعالى: [أَنَّ]، فقرأ ابن عامر وحده: [أَنْ] بفتح الألف وتخفيف النون، وقرأ الأخوان: [إِنَّ] مكسورة الألف مشددة النون، وقرأ الباقون: [أَنَّ] مفتوحة الألف مشددة النون(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأنَّ اكسر شَرْعاً وبالخِف كُمِّلا ... وتذكَّرُون الكلُّ خُف على شَذَاً (٥).

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه قراءة ابن عامر؛ أنه جعلها (أنْ) المخففة من الثقيلة، وفتحها على إضمار اللام، فـ[أنْ] في موضع نصب لحذف الخافض، والتقدير: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه؛ أي: اتبعوه لأنه مستقيم، وقال ابن زنجلة: «من فتح رده على وجهين: أحدهما: أنه رده على قوله: [ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ](٦) وبأنْ هذا صراطي. والآخر: أنه رده على قوله: [أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا](٧)، وأنْ هذا صراطي(٨).

---

(١) كتاب معاني القراءات، ص(١٧٣).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٢٤.٢٥٥).

(٣) التفسير الكبير، (١٣/٢٣٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٨)، كتاب السبعة، ص(٢٧٣)، الإتحاف، ص(٢٢٠).

(٥) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شرعا» إلى حمزة والكسائي قرآ بكسر الهمزة وتشديد الشين، وأشار بحرف الكاف من قوله: «كملا» إلى ابن عامر حيث قرأ بكسر الهمزة وتخفيف النون. انظر: المتن، ٢(٥٤)، الوافي، ص(١٨٥).

(٦) الآية (١٥٢).

(٧) الآية (١٥١).

(٨) انظر: الكشف، (١/٤٥٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٧).

ووجه قراءة الأخوان: [إِنَّ]؛ فهي على الاستئناف، وذلك أن الكلام متناه عند انقضاء الآية، فكسر [إِنَّ] للابتداء بها، وحجتهما في أن المراد من الكلام هو الاستئناف، قوله تعالى: [وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا](١)، على الابتداء بالخبر عن صفة الصراط(٢).

أما قراءة الباقين: [أَنَّ]؛ فالوجه فيها أنه عطفه على قوله: [أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] و[أَنَّ هَٰذَا]، و[هَٰذَا] في موضع النصب؛ لأنه اسم [أَنَّ] و[صِرَاطِي] خبره، ونصب [مُسْتَقِيمًا] على الحال.

وقال ابن زنجلة «حجتهم ذكرها اليزيدي، فقال: «على معنى: وصَّاكم به وبأن هذا صراطي مستقيما»، ثم يقول: «وقال آخرون أتل لكم ونسق على قوله: [أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ](٣)؛ أي: أتل ما حرم ربكم وأتل أن هذا صراطي مستقيماً» (٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآيتين المتقدمتين ما وصى به، أجمل في آخره، إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه، ودخول سائر الشريعة فيه، فقال: [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ] وهذا إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي، و[مُسْتَقِيمًا] نصب على الحال، ومعناه مستوياً قويماً لا اعوجاج فيه، فأمر بإتباع طريقه الذي طرَّقه على لسان نبيه ρ وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج من تلك الطرق أفضت به إلى النار.

ثم نهاهم سبحانه عن إتباع سائر السبل؛ أي: الأديان المتباينة طرقها، فقال: [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ]؛ أي: تميل بكم عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام، قال ابن عطية: «وهذه السبل نعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك، من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد». والإشارة بـ[ذَٰلِكُمْ] إلى ما تقدم، وهو مبتدأ وخبره [وَصَّاكُم بِهِ] أي: أكد عليكم الوصية [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] ما نهاكم عنه(٥).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الطبري القراءتين معاً، قائلاً: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار، وعوام المسلمين، صحيح معنياهما، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو

---

(١) الأنعام، الآية (١٢٦).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٧٧/٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٢٨/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧٤).

(٣) الآية (١٥١).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٧٤)، الكشف، (٤٥٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، (٢٧٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٨٩.٨٧/٥)، فتح القدير، (١٧٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٤٢.١٣٧/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٠٠/٣)، التفسير الكبير، (٢/١٤).

مصيب الحق في قراءته، وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر بإتباع سبيله، كما أمر عباده بالأشياء، وأن أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله به نبيه ρ أن يقوله للمشركين: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ]، وما أمركم به، ففتح على ذلك [أَنَّ] فمصيب، وإن كسرها إذ كانت التلاوة قولاً وإن كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله: [أَتْلُ] وهو يريد إعمال ذلك فيه فمصيب، وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأول والتلاوة، وأن ما أمر النبي ρ بتلاوته على معنى أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فمصيب»[1].

وهو ما يراه القرطبي أيضاً، حيث يقول بعد ذكره لكلتا القراءتين: «والمخففة مثل المشددة»[2].

(٥٦/١١٩) الاختلاف في [تَأْتِيَهُمْ] من قوله عز وجل: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ] الآية (١٥٨).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تَأْتِيَهُمْ]، فقرأ الأخوان: [يَأْتِيَهُمْ] بالياء، وقرأ الباقون: [تَأْتِيَهُمْ] بالتاء[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويأتيهمُ شافٍ مع النحلِ فرَّقُوا   مع الرومِّ مدَّاً خفَّفاً وعدَّلا[4].

ثانياً: توجيه القراءات:

الإتيان: المجيء، يقال أتيته أتياً وإتياً وأتياناً وإتيانةً وأتاةً؛ أي: جئته، قال تعالى: [إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا][5]؛ أي: آتيا[6] وجه من قرأ: [يَأْتِيَهُمْ] بالياء؛ ذهب إلى جمع الملائكة، وقال أبو منصور: «من قرأ بالياء فلتقديم فعل الجماعة»[7].

ووجه من قرأ: [تَأْتِيَهُمْ] بالتاء؛ لتأنيث الجماعة التي بعده، وهي قوله: [الْمَلَائِكَةُ]، وحجتهم قوله: [تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ][8]، وقوله: [إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ][1]، قال ابن زنجلة: «قال

---

(١) تفسير الطبري، (٥/٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٣٧).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٨)، كتاب السبعة، ص(٢٧٣)، الإتحاف، ص(٢٢٠).

(٤) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شاف» إلى حمزة والكسائي وقد قرآ هنا وفي النحل: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ] الآية (٣٣) بالياء كذلك. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٥).

(٥) مريم، الآية (٦١).

(٦) انظر لسان العرب، (١٤/١٣.١٤)، مختار الصحاح، ص(٥)، المصباح المنير، (١/٤.٣).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٧)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٤)..

(٨) البقرة، الآية (٢٤٨).

العباس: سألت أبا عمرو فقرأ: [قَالَتِ الْمَلائِكَةُ] بالتاء، ولم يقل: «إذ قال الملائكة»، فأنث فعل الملائكة هاهنا بلا خلاف» (٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه أنه إنما أنزل الكتاب إزالة للعذر، وإزاحة للعلة، وبين أنهم لا يؤمنون البتة، شرح أحوالاً توجب اليأس عن دخولهم في الإيمان فقال: [هَلْ يَنظُرُونَ] ومعناه: أقمت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فما ينتظرون [إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ]، أي: عند الموت تقبض أرواحهم، وعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل [أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ] يا محمد، كما اقترحوا، بقولهم: [لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا] (٣)، [أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ]؛ أي: غير ما ذكرنا كما اقترحوه بقولهم: [أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا] (٤)، ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علّقوا به إيمانهم.

قال الشوكاني: «قيل هي من المتشابه(٥) الذي لا يعلم تأويله إلا الله»، والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم، قوله: [بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ]؛ أي: يوم يأتي بالآيات التي اقترحوها، وهي التي تضطرهم إلى الإيمان، قال الطبري: «وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (٦)»، وفي إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ إلى المالكية الكلية لذلك، وإضافتها إلى ضميره ρ للتشريف.

[لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا] حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عياناً، ومدار الإيمان أن يكون بالغيب، كقوله: [فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا] (٧)، وقوله: [لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ

---

(١) آل عمران، الآية (٤٢).

(٢) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(١٧٤)، الكشف (٣٤٢/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (١٦٢) و(٢٧٧).

(٣) الفرقان، الآية (٢١).

(٤) الإسراء، الآية (٩٢).

(٥) المماثلة: بين أمرين بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر لما بينهما من التشابه، وبتقسيم المشابه في اصطلاح العلماء إلى قسمين: الأول: المتشابه اللفظي: وهو ما نجده في بعض آيات القرآن الكريم، كأن تقدم جملة في آية، وتؤخر في أية أخرى، أو نجد كلمة في آية ولا نجدها في أخرى، وذلك مثل قوله: [يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا] البقرة (٣٥)، وقوله: [وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا] الأعراف (١٩)، وكقوله: [كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ] النساء (١٣٥)، وقوله: [كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ] المائدة، (٨)، وهذا القسم من أعظم روافد الإعجاز، الثاني: هو الذي يقابل المحكم. انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، (٤٨٥/١).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: [هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ] لغة أهل الحجاز: هلّم، للواحد والاثنين والجمع، (١١٢/٦).

(٧) غافر، الآية (٨٥).

قَبْلُ]؛ أي: من قبل إتيان بعض الآيات، فأما التي قد كانت آمنت من قبل مجيء بعض الآيات فلا ينفعها إيمانها، وقوله: [أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا] معطوف على [آمَنَتْ]، والمعنى: أنه لا ينفع نفساً إيمانها عند حضور الآيات، متصفة بأنها لم تكن آمنت من قبل، أو آمنت من قبل ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً، فحصل في هذا أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان من قبل مجيء بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان.

ثم أمره سبحانه أن يقول لهم: [انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ]؛ أي: انتظروا ما تريدون إتيانه، إنا منتظرون له، وهو تهديد شديد ووعيد عظيم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلاً: «تأنيث هذا الجمع وتذكيره، جائز ان حسنان»؛ ويعلل ذلك بقوله: «أن الجماعة ممن يعقل في التكسير، يجري في التأنيث مجرى ما لا يعقل، تقول: هي الرجال: وهي الجذوع، وهي الجمال، وقالت الأعراب، ويقوي ذلك قوله: [قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ](٢)، وقد ذكر في موضع آخر فقال: [وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ](٣)، وهو إجماع»(٤)، وقال ابن زنجلة: «واعلم أن فعل الجماعة، إذا تقدم، فيذكر ويؤنث، تذكّره إذا قدرت الجمع، وتؤنثه إذا أردت الجماعة»(٥). ويوافقهما أبو منصور الأزهري، بقوله: «كل فعل جماعة تقدم فلك فيه الوجهان»(٦).

(٥٧/١٢٠) الاختلاف في [فَرَّقُوا] من قوله عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] الآية (١٥٩).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف وحذفها من قوله عز وجل: [فَرَّقُوا]، فقرأ الأخوان: [فَارَقُوا] بالألف، وقرأ الباقون: [فَرَّقُوا] بغير ألف مشددة الراء(٧).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويأتيهم شاف مع النحل فارقوا   مع الروم مدّاه خفيفاً وعدّلا (٨)

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٠٤.٩٦/٥)، فتح القدير، (١٨٢.١٨١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٤٩.١٤٤/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٠٥.٢٠٣/٣). التفسير الكبير(٧.٦/١٤).

(٢) آل عمران، الآية (٤٢).

(٣) الأنعام، الآية (٩٣).

(٤) الكشف، (٣٤٣.٣٤٢/١).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٨.٢٧٧).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص(١٠١).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٨)، كتاب السبعة، ص (٢٧٤)، الإتحاف، ص (٢٢٠).

(٨) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شاف» إلى حمزة والكسائي قرآ بالألف وكذلك في الروم [الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] الآية (٣٢). انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٥).

الفَرْقُ: خلاف الجمع، يقال: فَرَقَهُ يَفْرُقُه فَرْقاً، وفَرَّقه، قال ابن الإعرابي: يقال: فَرَقْتُ بين الكلامين، فافترقا، مخفف. وفَرَّقْتُ بين العبدين، فتفرقا، مثقّل»، بمعنى أنه جعل المخفف في المعاني، والمثقل في الأعيان وقال: ابن منظور: «فرَقَ: للصلاح فَرْقاً، وفرَّق للإفساد تفريقاً».

وفرَّق بينهما تفريقاً، يقال: تفَرَّق القوم تفَرقاً وتفْريقاً، وفي الحديث: «البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»[1] لأنه يقال: فرَّقت بينهما فتفرَّقا، والفرقة مصدر الافتراق[2].

وجه من قرأ: [فَرَّقُوا] بغير ألف مشددة الراء؛ من التفريق، فتقديره: يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، كما قال تعالى: [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ][3] فهم خلاف المسلمين الذين وصفوا بالإيمان به كله، في قوله: [وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ][4]، وقال ابن زنجلة: «حجتهم قوله بعده: [وَكَانُوا شِيَعاً]؛ أي: صاروا أحزاباً وفِرَقاً، قال عبد الوارث[5] وتصديقها قوله: [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ][6] يدلك على ذلك أنهم صاروا أحزاباً وفرقاً»[7].

ووجه من قرأ: [فَارَقُوا] بألف؛ من المفارقة والفراق، على معنى أنهم تركوا دينهم وفارقوه، قال ابن زنجلة: «وقد روي أن رجلاً قرأ عند علي بن أبي طالب: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ]، فقال علي بن أبي طالب: لا «والله ما فرَّقوه ولكن فارقوه»، ثم قرأ: [إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ]؛ أي: تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله بأتباعه ودعاهم إليه»[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ]؛ أي: أنهم جعلوا دينهم متفرقاً فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه. قال مجاهد: «المراد بهم اليهود والنصارى»، وقيل: المراد بهم المشركون عبد بعضهم الصنم، وبعضهم الملائكة، وقيل الآية عامة في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله.

قال الشوكاني: «وهذا هو الصواب؛ لأن اللفظ يفيد العموم، فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب، وطوائف المشركين، وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام»

---

(١) سبق تخريجه في ص (   ).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٠/٢٩٩ . ٣٠٠)، مختار الصحاح، ص (٥٠٠)، المصباح المنير، (٢/٤٧٠).

(٣) البقرة، الآية (٨٥).

(٤) آل عمران، الآية (١١٩).

(٥) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة التنوري مولى بني العنبر، إمام حافظ مقرئ ثقة، عرض القراءة على أبي عمرو وابن العلاء، وروى عنه جماعة. غاية النهاية، (١/٤٧٨).

(٦) المؤمنون، الآية (٥٣).

(٧) انظر: الكشف، (١/٤٥٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٢٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٨)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٥٢).

(٨) انظر: الكشف، (١/٤٥٨)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٨).

و قوله: [وَكَانُوا شِيَعًا]؛ أي: كانوا فرقاً وأحزاباً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة، وقوله: [لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]؛ أي: لست من تفرقهم، أو من السؤال عن سبب تفرّقهم، والبحث عن موجب تحزبهم في شيء من الأشياء، فلا يلزمك من ذلك شيء، ولا تخاطب به، وإنما عليك البلاغ، فأوجب براءته منهم، وهو مثل قوله ﷺ: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)(1)؛ أي: بريء منه، ثم تلاه سبحانه بقوله: [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ] فهو مجازٍ لهم بما تقتضيه مشيئته، والحصر بـ[إِنَّمَا] هو في حكم التعليل لما قبله والتأكيد له، [ثُمَّ] هو يوم القيامة [يُنَبِّئُهُمْ]؛ أي: يخبرهم بما ينزله بهم من المجازاة [بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ]؛ أي: بما كانوا يفعلونه من الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجبه عليهم. قال الشوكاني: «وهذه الآية من جملة ما هو منسوخ بآية السيف»(2).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلاً: «القراءتان متقاربتان؛ لأن من فارق الإيمان فقد بان عنه»(3)، ويقول أبو منصور الأزهري: «إن [فَارَقُوا] و[فَرَّقُوا] بمعنى واحد، كما يقال: ضعَّف وضاعف، ومعناهما: اختلافهم في دينهم وتفرقهم فيه، ويقوي هذا القول قوله: [وَكَانُوا شِيَعًا]؛ أي: فرقاً شتى»(4)، ويقول ابن زنجلة: «والمعنيان متقاربان؛ لأنهم إذا فرّقوا الدين فقد فارقوه»(5).

ويوافقهما الطبري، قائلاً: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: أنهما قراءتان معروفتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه، وذلك أن كل ضالّ فلدينه مفارق، وفد فرّق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهود بعض، وتنصر آخرون، وتمجس بعض، وذلك هو التفريق بعينه، ومصير أهله شيعاً متفرّقين غير مجتمعين، فهم لدين الله الحق مفارقون، وله مفرّقون»، ثم يقول: «فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيبٌ»، ثم يعود مستثنياً: «غير إني اختار القراءة بالذي عليه عظيم القراء، وذلك بتشديد الراء من [فَرَّقُوا]»(6).

---

(1) أخرجه الدارمي في كتاب البيوع، باب في النهي عن الغش، (٢/٢٤٨).

(2) انظر: تفسير الطبري، (٥/١٠٥.١٠٧)، فتح القدير، (٢/١٨٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٤٩.١٥٠)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٠٥.٢٠٦)، التفسير الكبير، (١٤/١٥٩.١٦٠).

(3) الكشف، (١/٤٥٨).

(4) كتاب معاني القراءات، ص (١٧٤).

(5) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٨).

(6) تفسير الطبري، (٥/١٠٥).

(١٢١/٥٨) الاختلاف في [قِيَمًا] من قوله عز وجل: [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] الآية (١٦١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح القاف وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها، من قوله عز وجل: [قِيَمًا]، فقرأ الحرميان وأبو عمرو: [قَيِّمًا] مفتوحة القاف مشددة الياء، وقرأ الباقون: [قِيَمًا] مكسورة القاف خفيفة الياء[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وكسرٌ وفتحٌ خفَّ في قِيَماً ذَكا ... ويَاها وجهي مماتي مُقْبلا[٢]

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قيِّم الأمر: مُقيمه. وأمرٌ قيِّمٌ: مُستقيم. وفي الحديث: (أَتَاني مَلَكٌ فقال: أنتَ قُثَمٌ وخُلُقُكَ قَيِّمٌ)[٣]؛ أي: مستقيم حسن. قال الجوهري: «وقوله تعالى: [وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ][٤]؛ أي: دين الأمة القيمة بالحق، وإنما أنثه؛ لأنه أراد الملة الحنيفية»[٥].

وجه من قرأ [قَيِّمًا] بفتح القاف وتشديد الياء؛ أنه جعله صفة للدين، وهو (فيعل)، من (قام) بالأمر، فأصله (قيوم) ثم أدغمت الياء في الواو كـ(ميِّت)، وقال ابن خالويه: «حجة من قرأ بالتشديد قوله تعالى: [وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ]»[٦].

ووجه من قرأ [قِيَمًا] بكسر القاف؛ أنه جعله مصدراً كالصِّغَر والكِّبر، إلا أنه لم يقل (قِوَماً) مثل: [لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا][٧]؛ لأن [قِيَمًا] من قولك: (قام قياماً)، والأصل (قِوَام) فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصار (قام)، فلما اعتل الفعل اعتل المصدر فقيل (قِيَم)[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: التيسير، ص (١٠٨)، كتاب السبعة، ص (٢٧٤)، الإتحاف، ص (٢٢٠).

(٢) أشار الناظم بحرف (الذال) من قوله: «ذكا» إلى الكوفيين وابن عامر. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٥).

(٣) جزء من الحديث الذي رواه ابن عباس قال: (جَاءَ مَلَكٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ فَقَالَ ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ أُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ وَعَيْنَانِ بَصِيرَتَانِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الْمُقَفِّي الْحَاشِرُ خُلُقُكَ قَيِّمٌ وَلِسَانُكَ صَادِقٌ وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ)، أخرجه الدارمي في كتاب المقدمة، باب ما أعطى النبي ρ من الفضل، (٢٩/١).

(٤) البينة، الآية (٥).

(٥) انظر: لسان العرب، (٥٠٢/١٢)، مختار الصحاح، ص(٥٥٧،٥٥٨).

(٦) الكشف، (٤٥٩/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٢).

(٧) الكهف، الآية (١٠٨).

(٨) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٩)، كتاب معاني القراءات، ص(١٧٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٢٩/٢).

لما بين سبحانه أن الكفار تفرقوا فرقاً وتحزبوا أحزاباً، أمر رسوله ρ أن يقول لهم: [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي]؛ أي: أرشدني بطريق الوحي إلى [إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]، وهو ملة إبراهيم عليه السلام، [دِينًا قِيَمًا] أي: الدين المستقيم الذي لا عوج فيه.

وانتصاب [مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] على أنها عطف بيان لـ [دِينًا]، ويجوز نصبها، بتقدير: أعني، و[حَنِيفًا] منتصب على أنه حال من إبراهيم υ، قاله الزجاج؛ أي: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الحق، ثم قال سبحانه واصفاً إبراهيم υ: [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]؛ أي: وما كان من المشركين بالله؛ لأنه لم يعبد الأصنام قط، والمقصود منه الرد على المشركين[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

قال ابن زنجلة: قال الفراء: في هذه الكلمة لغات للعرب: تقول: هذا قَيِّم أهله، وقوَّام أهله، وقِيَم أهله، وقَيِّم أهله»[٢]، وقال: الطبري: «الصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب»، ثم يقول: «غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إلي؛ لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما»[٣].

وهو ما يراه أبو الحسن .أيضاً .، قال أبو علي الفارسي: «قال أبو الحسن: قال أهل المدينة: [قَيِّمًا]؛ وهي حسنة ولم نسمعها من العرب، وهي في معنى: المستقيم»[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١١١/٥)، فتح القدير، (١٨٤/٢.١٨٥)، الجامع لأحكام القرآن، (١٥٢/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٠٦/٣.٢٠٧)، التفسير الكبير، (١٦١/١٤.١٦٢).

(٢) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٩).

(٣) تفسير الطبري، (١١١/٥).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٢٩/٢).

الفصل الرابع
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأعراف

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأعراف هي السورة السابعة في الترتيب المصحفي، وهي إحدى السور التي بدئت ببعض حروف التهجي[1][المص]، ولم يتقدم عليها في هذا النوع سوى ثلاث سور سبقتها في تاريخ النزول وهي: سورة (ن)، و(ق)، و(ص).

وهي السورة المكية الثانية في ترتيب المصحف، وعدد آياتها (٢٠٥) أو (٢٠٦)، نزلت بعد سورة (ص)[2]. قال القرطبي: «مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى: [وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ] إلى قوله: [وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ][3]»[4].

وموضوع السورة الرئيسي هو الإنذار؛ إنذار من يتولون غير الله، ومن يكذبون بآيات الله ومن يستكبرون عن طاعة الله، ومن ينسون الله ومن لا يشكرون نعمته، إنذارهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة، ذلك فوق الخزي والهوان والنسيان[5].

أوجه مناسبتها سورة آل عمران:

قال السيوطي: «وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام؛ هو: أنه قد تقدم هنالك: [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ][6]، وقوله: [وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ][7]، فافتتح هذه السورة أيضا بإتباع الكتاب في قوله: [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ] إلى قوله: [اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ][8]»[9]، ويعلق الغماري على هذه المناسبة بقوله: «المناسبة ظاهرة والحمد لله»[10].

---

(١) ويبلغ عدد السور التي بدئت بحروف التهجي تسعا وعشرون سورة، وكلها سور مكية ما عدا البقرة وآل عمران، انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٥٣).

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٥٣).

(٣) الأعراف، الآيات (١٧١.١٦٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (١٣١/٧).

(٥) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها، ص(١٥٥).

(٦) الأنعام، الآية (١٥٣).

(٧) الأنعام، الآية (١٥٥).

(٨) الأعراف، الآيتان (٣.٢).

(٩) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٢).

(١٠) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٢).

ويضيف السيوطي وجهان آخران قائلا: «وأيضا لما تقدم في الأنعام: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا][1]، [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ][2]، قال في مفتتح هذه السورة [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ][3]، وذلك شرح التنبئة المذكورة».

وأيضا فلما قال في الأنعام: [مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا][4]، وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح هذه السورة بذكر الوزن، فقال: [وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ][5]، ثم ذكر من ثقلت موازينه، ثم من خفت موازينه، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف؛ وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»[6].

(١٢٢/١) الاختلاف في [تَذَكَّرُونَ] من قوله عز وجل: [اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ] الآية (٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: [تَذَكَّرُونَ]، فقرأ الأخوان وحفص: [تَذَكَّرُونَ] مشددة الذال والكاف، وقرأ الباقون: [تَذَّكَّرُونَ] خفيفة الذال مشددة الكاف[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وتَذَّكَّرُونَ الغيبَ زِدْ قَبْلَ تائهِ كريماً وخِفُّ الذالِ كَمْ شَرَفاً علا[8]

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله: [تَذَكَّرُونَ] سبق توجيهه لغوياً في النص رقم (٥٤/١١٧)[9]. وجه من قرأ: [تَذَّكَّرُونَ] بالتشديد، أنه أراد تتذكرون: فأدغم التاء في الذال، قال: ابن زنجلة: «وذلك لقرب هذه من مكان هذه»[10].

---

(١) الأنعام، الآية (١٥٩).

(٢) الأنعام، الآية (١٦٤).

(٣) الأعراف، الآيتان (٦.٧).

(٤) الأنعام، الآية (١٦٠).

(٥) الأعراف، الآية (٨).

(٦) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٢).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٩)، كتاب السبعة، ص (٢/٨.٧)، النشر، (٢/٢٦٧)، الإتحاف، ص (٢٢٢).

(٨) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كم» إلى ابن عامر، وبحرف (الشين) من قوله: «شرفا» إلى حمزة والكسائي، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص؛ وهم الذين قرءوا بتخفيف الشين. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٦).

(٩) انظر ذلك في ص (   ).

(١٠) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٩).

ومن قرأ [تَذَكَّرُونَ] بالتخفيف، فالأصل أيضاً تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين، وتركت الثانية على حالها، والذال خفيفة في الأصل، والتاء المحذوفة هي الثانية؛ لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دخلت على معنى فعل الشيء على مهل، نحو قولك: تفهّمت وتعلّمت أي: أخذت الشيء على مهل[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

من المعلوم أن أمر الرسالة إنما يتم بالمرسِل؛ وهو الله سبحانه وتعالى، والمرسَل؛ وهو الرسول ρ، والمرسَل إليه؛ هو الأمة، فلما أمر في الآية الأولى الرسول بالتبليغ والإنذار، مع قلب قوي، وعزم صحيح، فقال: [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ][2]، أمر المرسَل إليه؛ وهو الأمة بمتابعة الرسول ρ [اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] يعني الكتاب، ومثله السنة، وقوله: [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا][3]، وهو أمر للنبي ρ لأمته، أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نهيه، قال القرطبي: «دلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص».

ثم قال سبحانه: [وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ] نهي للأمة عن أن يتبعوا أولياء من دون الله يعبدونهم ويجعلونهم شركاء لله، والهاء في [مِنْ دُونِهِ] يعود على الرب سبحانه، قوله: [قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] أي: قليلا ما تتعظون وتعتبرون، فتراجعون الحق[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، وذلك باعتبار أن الأصل فيهما واحد[5]، ويوافقه أبو علي الفارسي، قائلا: «القول في ذلك أن التخفيف مثل التشديد في المعنى»[6].

(٢/١٢٣) الاختلاف في [تُخْرَجُونَ] من قوله عز وجل: [قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ] الآية (٢٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص (١٧٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٧٩).

(٢) الآية (٢).

(٣) الحشر، الآية (٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٥/١١٧)، فتح القدير، (٢/١٨٨), الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٦١.١٦٢)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٠٩ . ٢١٠)، التفسير الكبير، (١٤/١٧ . ١٩).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص (١٧٣).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٢٤ . ٢٢٥).

اختلفوا في ضم التاء وفتحها من قوله عز وجل: [تُخْرَجُونَ]، فقرأ الأخوان وابن عامر: [تَخْرُجُونَ] بفتح التاء وضم الراء، وقرأ الباقون: [تُخْرَجُونَ] بضم التاء وفتح الراء[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مع الزخرف اعكس تخرجون بفتحة وضمٍّ وأولى الروم شافيه مُثّلا
بخلفٍ مضى في الروم لا يخرجون في رضا ولهم والغير فيها حقه شذلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الخُروج: نقيض الدخول، يقال: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً ومَخْرَجاً، فهو خارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرّاجٌ، وقد أَخْرَجَه وخَرَجَ به، وقد يكون المَخْرَج موضع الخُروج، يقال: خَرَجَ مَخْرَجاً حسناً وهذا مَخْرَجُه[3].

وجه من قرأ [تَخْرُجُونَ] بفتح التاء وضم الراء، جعلوا الفعل لهم؛ لأن الله عز وجل إذا بعثهم يوم القيامة فأحياهم وأخرجهم خرجوا، واحتجوا بقوله: [وَفِيهَا تَمُوتُونَ] على تصيير الفعل لهم، فهم مفعولون فاعلون في المعنى. وقال أبو علي الفارسي: «حجة من قرأ بفتح التاء اتفاق الجميع في قوله: [ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ][4] بفتح التاء»[5].

ووجه من قرأ [تُخْرَجُونَ] بضم التاء على ما لم يُسم فاعله، فهو من أُخرِجَ يُخْرَجُ، أي: يُخرجكم الله فتَخْرُجُون أنتم بأمر الله خُروجاً. وأضاف أبو علي الفارسي قائلاً: «من قرأ بالضم فلقوله: [أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ][6]، وقوله: [كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى][7] على أنهم مبعوثون، ولم يسم الفاعل»[8].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٩)، كتاب السبعة، ص(٢٧٨_٢٧٩)، النشر، (٢/ ٢٦٧)، الإتحاف ص (٢٢٣).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شافية» إلى حمزة والكسائي، وبحرف (الميم) من قوله: «مثلا» إلى ابن ذكوان؛ الذين قرءوا بفتح التاء في المواضع الثلاثة؛ وهي: هنا، وفي الزخرف في قوله: [بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ] الآية (١١)، وفي الروم: [وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ] الآية (١٩)، غير أن ابن ذكوان له في موضع الروم خلاف فروي عنه بفتح التاء وضم الراء، وروي عنه ضم التاء وفتح الراء، وتقيد موضع الروم بالأول؛ للاحتراز عن الموضع الثاني فيه: [أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ] الآية (٢٥) فلا خلاف بين القراء في قراءته بفتح التاء وضم الراء. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٦).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢/٢٤٩)، مختار الصحاح، ص (١٧١)، المصباح المنير، (١/١٦٦).

(٤) الروم، الآية (٢٥).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨٠)، الكشف، (١/٤٦٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣٣).

(٦) المؤمنون، الآية (٣٥).

(٧) الأعراف، الآية (٥٧).

(٨) كتاب معاني القراءات، ص (١٧٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآيات السابقة أنه أمر آدم عليه السلام وحواء بالهبوط إلى الأرض، وجعل الأرض لهما مستقراً ومتاعاً إلى حين، ثم قال [فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون] الضمائر كلها للأرض، أي: في الأرض تحيون، وفيها يأتيكم الموت، ومنها تخرجون إلى دار الآخرة للجزاء، كقوله تعالى: [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى][1][2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن زنجلة القراءتين معاً، قائلا: «والمعنيان يتداخلان؛ لأن الله إذا أخرجهم خرجوا، وإذا خرجوا فبإخراج الله خرجوا، فهو فاعلون مفعولون»[3].

(٣/١٢٤) الاختلاف في [ولباس التقوى] من قوله عز وجل: [يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون] الآية (٢٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في رفع السين ونصبها من قوله عز وجل [ولباس التقوى] فقرأ نافع وابن عامر والكسائي [ولباسَ التقوى] نصباً، وقرأ الباقون [ولباسُ التقوى] رفعاً[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

بخُلْفٍ مَضى في الرومِ لا يخرجون في ... رضاً ولباسُ الرفعُ في حقِّ نهشلا[5]

ثانياً: توجيه القراءات:

اللِّبْسُ بالكسر واللِّباسُ ما يُلبس، وجمع اللِّباس: لُبُسٌ، مثل: كِتابٍ وكُتُبٍ، ويُعَدّى بالهمزة إلى مفعولٍ ثانٍ، فقال: ألبستُه الثَّوب[6].

وجه من قرأ [ولباسَ التقوى] بالنصب حمله على (أنزل)، من قوله: [قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباسَ التقوى]، و(أنزل) هنا كقوله: [وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد][7] وكقوله:

---

(١) طه، الآية (٥٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥/١٤٥)، فتح القدير، (٢/١٩٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/١٨١)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٢١ . ٢٢٢)، التفسير الكبير، (١٤/٥٠).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨٠).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٩)، كتاب السبعة، ص (٢٨٠)، النشر، (٢/)، الإتحاف، ص(٢٢٣).

(٥) أشار الناظم بحرف (الفاء) من قوله: «في» إلى حمزة، وبكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبو عمر، وبحرف (النون) من قوله: «نهشلا» إلى عاصم؛ وهم الذين قرءوا برفع الشين. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٦.١٨٧).

(٦) انظر: لسان العرب، (٦/٢٠٢)، مختار الصحاح، ص(٥٩٠)، المصباح المنير، (١/٥٤٨).

(٧) الحديد، الآية (٢٥).

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[1] أي: خلق، وقال ابن خالويه: «أنه عطفه على ما تقدم بالواو، فأعربه بمثل إعرابه» والمعنى: وأنز لنا علكيم لباس التقوى[2].

ووجه من قرأ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ بالرفع، أنه استأنفه فرفعه بالابتداء، وجعل ﴿ذَلِكَ﴾ صفة له أو بدلا منه، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر للباس، والمعنى: ولباس التقوى المشار إليه خير لصاحبه عند الله، مما خلق له من لباس الثياب والريش، قال ابن زنجلة: «ويجوز أن يكون ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مرفوعاً بإضمار (هو)، المعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآيات السابقة أنه أمر آدم وحواء عليهما السلام بالهبوط إلى الأرض، وجعل الأرض لهما مستقراً، بين أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا، ومن جملتها اللباس، الذي يُحتاج إليه في الدين والدنيا، فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾، وقد عبر سبحانه بالإنزال عن الخلق، أي: خلقنا لكم لباساً يواري سوآتكم التي أظهرها إبليس من أبويكم، والسَّوءة: العورة. قال الطبري: «وهذا خطاب للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف إتباعاً منهم أمر الشيطان، وتركاً منهم طاعة الله، فعرّفهم انخداعهم بغروره لهم، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوآتهم، وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به. وأنهم قد سار بهم سيرته في أبويهم آدم وحواء عليهما السلام اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله، الذي كان أنعم به عليهما، حتى أبدى لهما سوآتهما فعراهما منه».

وكيفية خلق الله لهذا اللباس؛ بإنزال المطر الذي ينبت القطن والكتان، ويُقيم البهائم التي منها الأصواف والأوبار والأشعار، فهو مجاز، ومثله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[4] قال كثير من العلماء: هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة؛ لأنه قال: ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾.

قوله: ﴿وَرِيشًا﴾ الرِّيش في كلام العرب: هو المتاع والأموال عندهم، وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال، ثم قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أي: لباس الورع واتقاء معاصي الله، وهو الورع نفسه والخشية من الله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: ذلك خير لباس وأجمل زينة، والإشارة في ﴿ذَلِكَ﴾ استشعار للنفوس بتقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر الله

---

(١) الزمر، الآية (٦).

(٢) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣٤)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٤).

(٣) انظر: الكشف، (١/٤٦١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١).

(٤) الزمر، الآية (٦).

به من طاعته، والإشارة بقوله: [ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ] أي: الإنزال المدلول عليه بأنزلنا، أي: ذلك الإنزال من آيات الله الدالة على أن له خلقاً عظيماً، وقوله: [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] فيعرفون نعمته، أو يتعظون فيتورعون عن القبائح(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الرفع في [وَلِبَاسُ]، ويعلل ذلك بقوله: «لأن عليه أكثر القراء»، ثم يقول: «والنصب حسن»(٢) وهو بذلك كأنه يصوب كلتا القراءتين.

بينما يرجح الطبري قراءة من قرأ بالنصب في [وَلِبَاسَ] قائلا: «وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله: [وَلِبَاسَ التَّقْوَى]؛ لصحة معناه في التأويل، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوآتنا والريش؛ توبيخاً للمشركين الذين كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم، والاستتار بها في كل مع الإيمان به، وا تباع طاعته، ويُعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم؛ لأنه أعلمهم أن بعض ما أنزل خير من بعض» ثم يقول: «ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك الآيات التي بعد هذه الآية، وذلك قوله: [يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا] وما بعد ذلك من الآيات، إلى قوله: [أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ](٣) فإنه جلّ ثناؤه يأمر في كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس، وترك التجريد والتعري، وبالإيمان به، وا تباع أمره، والعمل بطاعته، وينهى عن الشرك به، وا تباع أمر الشيطان، مؤكداً في كل ذلك ما قد أجمله في قوله: [يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ](٤)»(٥).

(٤/١٢٥) الاختلاف في [خَالِصَةً] من قوله عز وجل: [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] الآية (٣٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٤٦/٥-١٥١)، فتح القدير، (١٩٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٨٢/٧-١٨٥)، أبي السعود، (٢٢٢/٣)، التفسير الكبير، (٥٠/١٤ . ٥٢).

(٢) الكشف، (٤٦١/١).

(٣) الأعراف، الآيات (٢٧.٣٣).

(٤) الأعراف، الآية (٢٦).

(٥) تفسير الطبري، (١٥٠/٥).

اختلفوا في رفع التاء ونصبها من قوله عز وجل: [خَالِصَةً]، فقرأ نافع وحده: [خَالِصَةٌ] رفعاً، وقرأ الباقون: [خَالِصَةً] نصباً [1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَخَالِصَةٌ أَصْلٌ وَلا يَعْلَمُونَ قُلْ   لِشُعْبَةَ فِي الثَّانِي وَيُفْتَحُ شَمْلَلا [2]

ثانياً: توجيه القراءات:

يُقال: هذا الشيء خالصةٌ لك؛ أي: خالصٌ لك خاصَّة. ويقال: استَخْلَصَهُ لنفسه: أي: استخصَّه [3]. ووجه من قرأ [خَالِصَةٌ] بالرفع؛ أنه جعل [خَالِصَةٌ] خبراً لـ[هِيَ] في قوله تعالى: [قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ] تبييناً للخلوص، أو خبراً بعد خبر، والمعنى: قُل الطيبات والزينة خالصة للمؤمنين في الآخرة، فأما في الدنيا فقد شركهم فيها الكفار [4].

ووجه من قرأ [خَالِصَةً] بالنصب؛ أنه جعل [خَالِصَةً] حالا من المضمر في قوله: [لِلَّذِينَ آمَنُوا]؛ لأنه خبر [هِيَ] [5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

أمر الله سبحانه في الآية السابقة بالقسط بقوله: [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ] الآية (٢٩) وكان من جملة القسط، أمر اللباس، وأمر المأكل والمشروب، ثم قال سبحانه: [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ] والزينة: ما يتزين به الإنسان من ملبوس، أو غيره من الأشياء المباحة؛ كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها، وقوله: [وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] أي: المستلذات من المأكل والمشارب. قال أبو السعود: «وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات، الإباحة؛ لأن الاستفهام في [مَنْ] إنكاري».

قوله: [قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] يعنى بحقها من توحيد الله تعالى، والتصديق له، فإن الله ينعم ويرزق، فإن وحَّده المُنْعَم عليه وصدَّقه، فقد قام بحق النعمة. وإن كفر فقد أمكن الشيطان من نفسه، وفي صحيح الحديث: (لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) [6] وتم الكلام على الحياة الدنيا.

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٠٩)، كتاب السبعة، ص (٢٨٠)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص (٢٢٣).

(٢) اشار الناظم بحرف (الألف) إلى نافع. انظر: المتن، ص(٤٥)، الوافي، ص(١٨٧).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٦/١ . ٢٧)، مختار الصحاح، ص (١٨٤)، المصباح المنير، (١٧٧/١).

(٤) انظر: الكشف، (٤٦١/١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١).

(٥) انظر: الكشف، (٤٦١/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لأحد أصبر على الأذى من الله، (١٣٣/٨).

ثم قال: [خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ] أي: يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء، كما كان لهم في الدنيا من الاشتراك فيها، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] أي: مثل هذا التفصيل نفصل الآيات المشتملة على التحليل والتحريم لقوم يمكنهم النظرية والاستدلال حتى يتوصلوا به إلى تحصيل العلوم النظرية(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة النصب قائلا: «والنصب أحب إليّ؛ لأنه أتم في المعنى، و لأن عليه جماعة القراء»(٢). ويوافقه الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لإيثار العرب النصب في الفعل، إذا تأخر بعد الاسم والصفة»، ثم يقول: «وإن كان الرفع جائزاً، غير أن ذلك أكثر في كلامهم»(٣).

(١٢٦/٥) الاختلاف في [تَعْلَمُونَ] من قوله عز وجل: [قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ] الآية (٣٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التاء والياء من قوله عز وجل: [تَعْلَمُونَ]، فقرأ شعبة: [يَعْلَمُونَ] بالياء، وقرأ حفص: [تَعْلَمُونَ] بالتاء، وكذلك قرأ الباقون(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَخَالِصَةً أَصْلٌ ولا يعلمون قُل لِشُعْبَةَ في الثَّاني ويُفْتَحُ شمللا (٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله: [تَعْلَمُونَ] سبق توجيهه لغوياً في النص رقم (٤٤/١٠٧)(٦). الوجه في قراءة شعبة [يَعْلَمُونَ] بالياء؛ أنه حمل الكلام على لفظ (كل)؛ لأنه وإن كان للمخاطبين، فهو اسم ظاهر

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٦٦.١٦٣/٥)، فتح القدير، (٢٠١.٢٠٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٠.١٩٥/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٢٤/٣)، التفسير الكبير، (٦٠/١٤ . ٦٥).

(٢) الكشف، (٤٦٢/١).

(٣) تفسير الطبري، (١٦٥/٥).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٠)، كتاب السبعة، ص (٢٨٠)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٤).

(٥) قصد الناظم بكلمة (الثاني) قوله: [لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ] الآية (٣٨) انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

موضوع الغيبة، فحُمل على اللفظ دون المعنى، والمعنى: ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر(١).

والوجه في قراءة الباقين؛ أنهم حملوه على معنى ما قبله من الخطاب؛ لأن قبله: [قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ] أي: لكلكم ضعف، فحملت [تَعْلَمُونَ] على معنى (كل) في الخطاب. وقال أبو منصور: «من قرأ بالتاء، فهو خطاب لأخراهم وأولاهم؛ أولاهم المضلِّين وأخراهم المضلَّين من الكفار». وأضاف ابن زنجلة قائلا: «ويجوز والله أعلم، أن يكون المعنى: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك»(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية من بقية شرح أحوال الكفار وهو أنه تعالى يدخلهم النار، قائلا لهم: [ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ] والقائل: هو الله عز وجل، و [فِي] بمعنى (مع)؛ أي: مع أمم، والمراد بالأمم التي خلت من قبلهم من الجن والأنس؛ وهم الكفار من الطائفتين من الأمم الماضية.

قوله: [كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ] من الأمم الماضية: [لَعَنَتْ أُخْتَهَا] أي: الأمة الأخرى التي سبقتها إلى النار، وجُعلت أختاً لها باعتبار الدين، أو الضلالة، أو الكون في النار، قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا] أي: تداركوا، والتَّدارك: التَّلاحق والتتابع والاجتماع في النار، [قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ] أي: أخراهم دخولا؛ وهم الأتباع، لأولاهم؛ وهم القادة: [رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ]؛ أي: أنهم لم يخاطبوا أولاهم، ولكن قالوا في حق أولاهم ربنا هؤلاء أضلونا، والضعف: المثل الزائد على مثله مرة أو مرات، ومثله قوله تعالى: [رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا](٣).

قوله: [قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ] أي: للتَّابع والمتبوع، أما القادة فلما ذكر من الضلال والإضلال، وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم، [وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ] أي: مالكم ومالكل فريق من العذاب(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

لم ترجح أي قراءة على أخرى، بل اكتفى الجميع بذكر كلتا القراءتين وتوجيههما(٥).

---

(١) انظر: الكشف، (٤٦٢/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٦/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١).

(٢) الكشف، (٤٦٢/١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١).

(٣) الأحزاب، الآية (٦٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٧٤.١٧٢/٥)، فتح القدير، (٢٠٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٥.٢٠٤/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٢٧/٣)، التفسير الكبير، (٧٢/١٤ . ٧٣).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٧٩)، الكشف، (٤٦٢/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٦/٢).

(٦/١٢٧) الاختلاف في ﴿تُفَتَّحُ﴾ من قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الآية (٤٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التخفيف والتشديد من قوله عز وجل: ﴿تُفَتَّحُ﴾، فقرأ أبو عمرو ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء خفيفة ساكنة الفاء، وقرأ الأخوان ﴿يُفْتَحُ﴾ بالياء خفيفة، وقرأ الباقون ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء مشددة التاء الثانية[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَخَالِصَةٌ أَصْلٌ ولا يعلمُونَ قُلْ لِشُعْبَةَ فِي الثَّاني ويُفْتَحُ شَمْلَلا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

فالفَتْح: نقيض الإغلاق، ويقال: فَتَحه يفتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفَتَّحه فانْفتَح وتَفتَّح. قال الجوهري: «فُتِّحت الأبواب، شدِّد للكثرة، فتفتَّحت هي»[٣].

الوجه في قراءة التاء خفيفة، قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] وقال ابن أبي طالب: «وذلك على معنى أنّ التخفيف يقع للمرة والأكثر»[٥].

والوجه قراءة من قرأ بالتاء والتشديد؛ على معنى التكرير والتكثير مرة بعد مرة، واستدلوا بقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[٦] فمقياسه ﴿مُفَتَّحَةً﴾ ﴿تُفَتَّحُ﴾، وقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[٧]، لأن المعنى في فتِّحت السماء على أبوابها، والمعنى: فكانت ذات أبواب[٨].

وحجة من قرأ بالياء هي أنه لما فصل بين المؤنث وبين فعله بفاصل صار الفاصل كالعوض من التأنيث، والتذكير والتأنيث في هذا النوع قد جاء بهما التنزيل، فمن الأول قوله: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾[٩]، ومن التأنيث قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[١٠] وقال ابن أبي طالب: «من قرأ بالياء؛ فلأن تأنيث الأبواب غير حقيقي، وكلا العلتين تجيز التذكير»[١١].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٠)، كتاب السبعة، ص (٢٨٠)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص (٢٢٤).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شمللا» إلى حمزة والكسائي. المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

(٣) انظر: لسان العرب، (٥٣٦/٢-٢٣٧)، مختار الصحاح، ص (٤٨٩)، المصباح المنير، (٤٦١/٢).

(٤) الأنعام، الآية (٤٤).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٧/٢)، الكشف، (٤٦٢/١).

(٦) ص، الآية (٥٠).

(٧) الأنبياء، الآية (١٩).

(٨) انظر: الشكف، (٤٦٢/١)، الحجة: ابن زنجلة ص (٢٨٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٦/٢).

(٩) الحج، الآية (٣٧).

(١٠) آل عمران، الآية (١٠٦).

(١١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨٢)، الكشف (٤٦٢/١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

المقصود من هذه الآية إتمام الكلام في وعيد الكفار؛ وذلك لأنه قال في الآية المتقدمة [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][1]، ثم شرح سبحانه في هذه الآية كيفية ذلك الخلود في حق أولئك المكذبين المستكبرين فقال: [إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] أي: بالدلائل الدَّالة على المسائل التي هي أصول الدين. وقوله تعالى: [وَاسْتَكْبَرُوا] الاستكبار: طلب الترفع بالباطل، وهذا اللفظ في حق البشر يدل على الذم، قال تعالى في صفة فرعون: [وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ][2].

قوله: [لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ] أي: لا تقبل أدعيتهم و لا أعمالهم أو لا تعرج إليها أرواحهم، وجاءت بذلك أخبار صحاح؛ منها حديث البراء بن عازب[3] وفيه قبض روح الكافر، وقال: (وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ)[4].

قوله: [وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ] أي أن هؤلاء المكذبين المستكبرين لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا علقه بالمستحيل، فقال: [حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ] وهو لا يلج أبداً، وخص الجمل بالذكر؛ لكونه يضرب به المثل في كبر الذات، وخص سمّ الخياط: وهو ثقب الإبرة بالذكر؛ لكونه غاية في الضيق. وذلك مبالغة في الاستبعاد، ثم قال سبحانه: [وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ] أي: مثل ذلك الجزاء العظيم يُجزى من اتصف بصفة الظلم[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلا: «من شدد فلتكثير الفتح، ومن خفف فلتقليله، ويجوز هذا وهذا فيما يكثر ويقل»[6]. ويوافقه الطبري، ويقول: «والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، صحيحتا المعنى، وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها و لا لأعمالهم الخبيثة، أبواب السماء بمرةٍ واحدة، و لا مرة بعد مرة، وباب بعد باب، فكلا المعنيين في ذلك

---

(١) الأعراف، الآية (٣٦).

(٢) القصص، الآية (٣٩).

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة، قائد صحابي من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ρ خمس عشرة غزوة، روى له البخاري ومسلم (٣٠٥) حديث توفي سنة (٧١هـ). انظر: طبقات ابن سعد، (٤/٨٠).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند البراء بن عازب τ، (٤/٢٨٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٥/١٧٥ـ١٨٢)، فتح القدير، (٢/٢٠٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٠٦ـ٢٠٧)، أبي السعود، (٣/٢٢٧)، التفسير الكبير، (١٤/٧٥ـ٧٧).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص(١٧٩).

صحيح، وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح؛ لأن الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد، والتاء؛ لأن الأبواب جماعة فيخبر عنها خبر الجماعة»[١].

بنما يرجح ابن أبي طالب قراءة التاء والتشديد، ويعلل ذلك بقوله: «التاء أحب إلي؛ لتأنيث لفظ التأنيث، والتشديد أحب إلي؛ لأن عليه الحرميين وعاصماً وابن عامر»[٢] ويقول أبو علي الفارسي في توجيهه لقراءة التاء مستشهداً بقوله: [مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ] «ألا ترى أن اسم الفاعل يجري مجرى الفعل، وقد أُنّث، وكذلك الفعل ينبغي أن يؤنث» ثم يقول: «ويحسن التشديد»[٣].

ويوافقهما ابن أبي زنجلة قائلا: «التشديد من التفتيح، مرة بعد مرة وهذا هو المختار لأنها جماعة من الأبواب»[٤] ويقول القرطبي: «والتشديد هنا أولى؛ لأنه على الكثير أدل»[٥].

(٧/١٢٨) الاختلاف في قوله عز وجل: [وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] الآية (٤٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إدخال الواو وإخراجها من قوله: [وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ]، فقرأ ابن عامر وحده: [مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ] بغير واو، وقرأ الباقون: [وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ] بالواو[٦].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخفّف شفا حكماً وما الواو دع كفى وحيث نعم بالكسر في العين رُتّلا[٧]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكر توجيه (الواو) لغوياً في النص (١٢/٤٨)[٨]. الحجة: في قراءة ابن عامر: [مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ] بغير واو؛ لاتصال الجملة الثانية بالأولى في المعنى:، وقوّى الحذف أنها في مصحف أهل الشام بغير واو ومثل ذلك قوله: [سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ][٩] فاستغنى عن الحرف

---

(١) تفسير الطبري، (١٧٧/٥).

(٢) الكشف، (٤٦٢/١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٧/٢).

(٤) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٦/٧).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص (٢٨٠)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص (٢٢٤).

(٧) أشار الناظم بحرف (الكاف) إلى ابن عامر. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

(٨) انظر ذلك في ص (   ).

(٩) الكهف، الآية (٢٢).

العاطف بالتباس إحدى الجملتين بالأخرى وقال ابن خالويه: «الحجة لمن طرحها أنه ابتدأ الكلام، فلم تحتج إليها».

والحجة في قراءة الباقين؛ لعطف الجملة على الجملة، وكذلك هي في سائر المصاحف غير مصحف أهل الشام(1). وقال ابن خالويه: «الحجة لمن أثبتها؛أنه ردّ بعض الكلام على بعض».

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن استوفي سبحانه الكلام في الوعيد، أتبعه بالوعد فقال: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محلها يوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعب، ثم ذكر سبحانه بعض ما ينعم به على أهل الجنة من نزع الغل من صدورهم فقال: [وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] والنَّزع: الاستخراج، والغِل: الحقد الكامن من الصدور، والجمع غِلال، أي: أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغِل في الدنيا، حتى تصفو قلوبهم ويودّ بعضهم بعضاً؛ فإن الغل لو بقى في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة؛ لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر، قال النبي ρ: (الغل على باب الجنة كمبارك الإبل، قد نزعه الله من قلوب المؤمنين)(2)، قال أبو السعود: «وصيغة الماضي؛ للإيذان بتحقيقه وتقرره».

ثم قال سبحانه: [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ] زيادة في لذتهم وسرورهم، قوله: [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا] أي: لهذا الجزاء العظيم، وهو الخلود في الجنة، ونزع الغل من صدورهم، والهداية هذه لهذه؛ هي الهداية لسببه من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا، قوله: [وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ] أي: لهذا المطلب الأعلى، أو لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها، واللام في قوله: [لِنَهْتَدِيَ] لام كي، قوله: [لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ] أي: وما كنا نطيق أن نهتدي بهذا الأمر لولا هداية الله لنا، والجملة مستأنفة أو حالية، وجواب [لَوْلَا] محذوف، يدل عليه ما قبله: أي:ولولا هداية الله ما كنا لنهتدي.

قوله: [لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] اللام لام القسم. قالوا هذا لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الجزاء العظيم اغتباطاً بما صاروا فيه بسبب ما تقدم منهم من تصديق الرسل وظهور صدق ما أخبروهم به في الدنيا من أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو الذي صاروا فيه، قوله: [وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا] أي: وقع النداء من الملائكة عليهم السلام لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقيل لهم: [تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا] أي: ورثتم منازلها بعملكم، ودخولكم إياها برحمة الله

---

(1) انظر: الكشف، ص (464/1)، الحجة: أبو علي الفارسي، (240،239/2).

(2) لم أقف عليه.

وفضله، كما قال: [ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ](١) وقد جاء في صحيح مسلم: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)(٢).

وفي الحديث أيضاً: (لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا)(٣). فهذا أيضاً ميراث، نعَّم بفضله من شاء، وعذَّب بعدله من شاء، وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تُنال إلا برحمته، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته، ودخلوها برحمته أو أعمالهم، رحمه منه لهم وتفضّل عليهم، ومعنى البعد في اسم الإشارة؛ إما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد، وإما لرفع منزلتها، وبعدرتبتها، وإما للاشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلا: «إخراج الواو وإدخالها لا يُغيِّر المعنى في مثل هذا الموضع، المعنى: أنهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له، ومن حذف الواو أراد: يا رب ما كنا لنهتدي لهذا لولا هُدى الله إيانا»(٥).

ويرجح ابن أبي طالب القراءة بإثبات الواو، ويعلل ذلك بقوله: «لأن الجماعة عليه ولأن فيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى»(٦). بينما يرجح الرازي قراءة ابن عامر بإسقاط الواو، ويقول: «الوجه في قراءة ابن عامر أن قوله: [مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ] جارٍ مجرى التفسير لقوله: [هَدَانَا لِهَذَا]، فلما كان أحدهما عين الآخر، وجب حذف الحرف العاطف»(٧) ومما يشهد لقوله قول أبو علي الفارسي في توجيهه لقراءة ابن عامر قال: «وجه الاستغناء عن حرف العطف في قوله: [مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ]؛ أن الجملة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها به عن حرف

---

(١) النساء، الآية (٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، (١٣٩/٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]، (١٠٥/٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٨٦.١٨٣/٥)، فتح القدير، (٢٠٦.٢٠٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٩.٢٠٨/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٢٩.٢٢٨/٣)، التفسير الكبير، (٨٣.٧٨/١٤).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٠).

(٦) الكشف (٤٦٤/١).

(٧) التفسير، الكبير، (٨١/١٤).

العطف، ومثل ذلك قوله: [ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ][1] فاستغنى عن الحرف العاطف بالتباس إحدى الجملتين بالأخرى»[2].

(١٢٩/٨) الاختلاف في [نَعَمْ] من قوله عز وجل: [وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] الآية (٤٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح العين وكسرها من قوله عز وجل: [نَعَمْ] فقرأ الكسائي وحده: [نَعِمْ] بكسر العين، وقرأ الباقون: [نَعَمْ] بفتح العين[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخَفِّفْ شفا حكماً وما الواو دعْ كفى وحَيْثُ نعمْ بالكسر في العين رُتِّلا[4]

ثانياً: توجيه القراءات:

نَعَمْ ونَعِمْ: معناهما التصديق، وإن وقعت بعد الماضي، نحو: هل قام زيدٌ، والوعد، إن وقعت بعد المستقبل، نحو هل تقوم. قال سيبويه: «نعم: عدةٌ وتصديق» يُريد أنّها عدّةٌ في الاستفهام، وتصديق للإخبار، ولا يريد اجتماع الأمرين فيها في كل حال.

قال ابن منظور: «هي كقولك: بلى، إلا أن نَعَمْ في جواب الواجب، وهي موقوفة الآخر, لأنها حرف جاء لمعنى، وفي التنزيل: [فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ] إنما يجاب به الاستفهام الذي لا جَحْد فيه».

وقال النِّيلي[5]: «نَعَمْ تُبقي الكلام على ما هو عليه من إيجاب أو نفي؛ لأنها وُضعت لتصديق ما تقدّم من غير أن ترفع النفي وتُبْطله، فإذا قال القائل: ما جاء زيد، ولم يكن قد جاء وقلت في جوابه: [نَعَمْ] كان التقدير: نَعَمْ ما جاء، فصدَّقت الكلام على نفيه، ولم تبطل النَّفي كما تبطله بـ[بَلَى]، وإن كان قد جاء قلت في الجواب: [بَلَى] والمعنى قد جاء، (فنَعَمْ) تُبقي النفي على

---

(١) الكهف، الآية (٢٢).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٣٩.٢٤٠).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٨١)، النشر، (٢/٢٦٩)، الإتحاف، ص(٢٢٤).

(٤) أشار الناظم بحرف (الراء) في قوله: «رتلا» إلى الكسائي حيث قرأ لفظ][في جميع مواضعه بكسر العين وغيره بفتحها، وقد وقع في أربعة مواضع هي قوله: [فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ] هنا، وقوله: [وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] كلاهما في هذه السورة الآيتان (٤٤)، (١١٤)، وقوله: [نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ] وقوله: [وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] الشعراء (٤٢). انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

(٥) هو سعد بن عبد العزيز بن عبد الله النيلي، أبو سهل، حكيم، شاعر أديب، من أهل نيسابور، له (شرح مسائل خليل)، توفي سنة (٤٢٠هـ) بغية الوعاة، ص(٢٥٥).

حاله و لا تبطله، وفي التنزيل: [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى](١)، ولو قالوا: [نَعَمْ] كان كفراً، إذ معناه نعم لست بربنا؛ لأنها لا تزيل النفي، بخلاف [بَلَى] فإنها للإيجاب بعد النفي»(٢).

الوجه في قراءة الكسائي: [نَعِمْ]. بكسر العين؛ أنه فرق بين هذه اللفظة التي يوجب بها، وبين النَّعم من الإبل إذا نكَّر ووقف عليه. وقال ابن زنجلة: «حجة الكسائي ما روي في الحديث: ((أَنَّ رَجُلاً لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِمِنًى(٣)، فقال: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟)، فقال: نَعِمْ))(٤)»، بكسر العين، وروي أيضاً أن عمر τ: (سأل رجلاً شيئاً، فقال: نَعِمْ، فقال عمر: إنما النَّعَمُ الإِبِلُ))(٥). وحجة الباقين أنهم قالوا: هما لغتان(٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السابقة وعيد الكفار، وثواب أهل الإيمان والطاعات أتبعه بذكر المناظرات التي تدور بين الفريقين، وهي الأحوال التي ذكرها في هذه الآية، فقال: [وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ]، وهذه المناداة لم تكن الاخبار بما نادوهم به، بل قصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، وقوله: [أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا] هو نفس النداء، أي: إنا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله من النعيم [فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا] أي: فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم، والاستفهام للتقريع والتوبيخ [قَالُوا نَعَمْ] أي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، قال الرازي: «والآية تدل على أن الكفار يعترفون يوم القيامة، بأن وعد الله ووعيده حق وصدق، و لا يمكن ذلك إلا إذا كانوا عارفين يوم القيامة بذات الله وصفاته».

ثم قال سبحانه: [فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ] المؤذن: المنادي؛ أي: نادى وصوّت، يعني من الملائكة، [بَيْنَهُمْ] أي: بين الفريقين، [أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] أي: غضب الله سبحانه وسخطه وعقوبته على من كفر به. قال الرازي: «وأعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة قوله: [وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ

---

(١) الأعراف، الآية (١٧٢).

(٢) انظر: لسان العرب، (٥٨٩/١٢)، مختار الصحاح، ص(٦٦٩)، المصباح المنير، (٦١٤/٢).

(٣) مِنًى: بالكسر والتنوين في درج الوادي، الذي ينزل فيه الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك؛ لما يُمنى به من الدماء، قال تعالى: [مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى] القيامة الآية (٣٧)، وقيل لأن آدم υ تمنى فيها الجنة، معجم البلدان، (١٥٨/٨).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٤،١٥٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٣)، الكشف، (٤٦٣/١).

أورِثْتُموها] دل ذلك على أنهم استقروا في الجنة وقت هذا النداء، فلما قال بعده: [أصحابُ الجنّة أصحابَ النار] دل ذلك على أن هذا النداء إنما حصل بعد الإستقرار»[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «هما لغتان؛ بمعنى العِدَة، إذا استفهمت عن موجب، نحو قولك: أيقوم زيد؟ فتقول: نعم، والتصديق؛ إذا أخبرت عمَّا وقع، تقول: قد كان كذا؟، فتقول: نَعَم»[2].

ويوافقه ابن زنجلة و أبو منصور الأزهري، في الرأي، بإعتبار أنهما لغتان، وساق ابو علي الفارسي، قول أبو الحسن في تصويبه لكلتا القراءتين، بقوله: «هما لغتان»، ثم يقول مرجحاً قراءة الجماعة: «وفي القراءة: الفتح»[3].

وهو اختيار الطبري أيضاً، ويعلل اختياره بقوله: «لأنها القراءة المستفيضة في قراء الأمصار، واللغة المشهورة في العرب»[4]، وقال الرازي: «قال أبو حاتم: الكسر ليس بمعروف»[5].

(٩/١٣٠) الاختلاف في [أنْ] من قوله عز وجل: [ونادى أصحابُ الجنّة أصحابَ النار أنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنةُ الله على الظالمين] الآية (٤٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد النون وتخفيفها من قوله عز وجل: [أنْ]، فقرأ البزي وابن عامر والأخوان: [أنَّ] بالتشديد، وقرأ الباقون: [أنْ] بالتخفيف[6].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأنْ لعنةُ التخفيفُ والرفعُ نصهُ سمَا ما خلا البزي وفي النور أُوصِلا[7].

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٨٦/٥-١٨٦)، فتح القدير، (٢٠٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٩/٧-٢١٠)، تفسير أبي السعود، (٢٢٨/٣)، التفسير الكبير، (٨٣/١٤-٨٦).

(٢) انظر: الكشف، (٤٦٢/١-٤٦٣).

(٣) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٧٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٨٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٧/٢).

(٤) تفسير الطبري، (١٨٧/٥).

(٥) التفسير الكبير، (٨٥/١٤).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٨١)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٤).

(٧) اشار الناظم بحرف (النون) من قوله: «نصه» إلى عاصم، وبحرف (السين) من قوله: «سما» إلى نافع وابن كثير وأبو عمرو؛ وهم الذين قرءوا بتخفيف النون؛ أي: إسكانها. انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

أَنْ (المصدرية): مفتوحة الهمزة الساكنة النون، على وجهين: اسم وحرف. والاسم على وجهين: ضمير المتكلم في قول بعضهم: (أَنْ فعلتُ) بسكون النون، وضمير الخاطب في قولك: (أنتَ، وأنتِ، أنتما، وأنتمْ، وأنتنَّ)، والحرف على أربعة أوجه:

أحدها: أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للمضارع، وتقع في موضعين: (أ) في الإبتداء فتكون في موضع رفع؛ نحو: [وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ][1]. (ب) بعد لفظ دال على معنىً غير اليقين، فتكون في موضع رفع: نحو: [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ][2]، ونصب؛ نحو: [وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى][3]. ومحتملة لهما؛ نحو: [وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي][4]، أصله في أن يغفر لي، وأن هذه موصولٌ حرفي، وتوصل بالفعل المتصرف مضارعاً كان كما مرَّ، أو ماضياً نحو: [لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا][5]، أو أمراً؛ كحكاية سيبويه: (كتبت إليه بأن قم).

الوجه الثاني: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتقع بعد اليقين، أو ما نزل منزلته؛ نحو: [أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا][6]، [عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ][7]، وأن هذه ثلاثية الوضع[8]، وهي مصدرية أيضاً، وتنصب الاسم وترفع الخبر، وشرط اسمها أن يكون ضميراً محذوفاً، وربما ثبت، كقوله:

فلو أنكِ في يوم الرخاء سألتني ... طلاقكِ لم أبخل وأنتِ صديقُ[9].

وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز إفراده، إلا إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران وقد اجتمعا في قوله:

بأنكَ ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ ... وأنكَ هناكَ تكون الثِّمالا[10].

والوجه الثالث: أن تكون مفسرة بمنزلة أي: نحو قوله: [فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ][11].

والوجه الرابع: أن تكون زائدة، ولها أربعة مواضع:

(أ) وهو الأكثر، أن تقع بعد لمَّا التوقيتية، نحو: [وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ][1].

---

(١) البقرة، الآية (١٨٤).

(٢) الحديد، الآية (١٦).

(٣) يونس، الآية (٣٧).

(٤) الشعراء، الآية (٨٢).

(٥) القصص، الآية (٨٢).

(٦) طه، الآية (٨٩).

(٧) المزمل، الآية (٢٠).

(٨) أي: أصلها ثلاثي، ثم صارت من الحروف الثنائية بعد التخفيف. مغني اللبيب، ص (٤٧).

(٩) البيت لقائل مجهول يفخر بالكرم، فلو سألته زوجته على صداقتها الفراق، أجابها إليه كراهة رد السائل. انظر: مغني اللبيب ص(٤٧).

(١٠) البيت لعمرة (أو جنوب) بنت العجلان، ترثي أخاها، والثِّمال: الغياث. والبيت في الخزانة (٣٥٢/٤).

(١١) المؤمنون، الآية (٣٧).

(ب) أن تقع بين لو وفعل القسم مذكوراً ، كقوله:

فَأُقسمُ أن لو التقينا وأنتُم لكانَ لكم يومٌ من الشّرِ مظلمُ [٢].

أو متروكاً كقوله:

وأَمَا واللهِ أَنْ لَوْ كنتَ حراً وما بالحرِّ أنت و لا العتيقِ [٣].

(ج) . وهو نادر. أن تقع بين الكاف ومخفوضها، كقوله:

ويوماً تُوافينا بوجهٍ مقَسَّمٍ كأن ظبية تعطو إلى وارق السلَّمْ [٤]،

(د) بعد إذا، كقوله:

فأمهلهُ حَتَى إذا أَنْ كأنهُ مُعاطي يدٍ في لُجةِ الماء غامرُ [٥][٦].

وجه من قرأ [أَنْ] بالتخفيف له مذهبان: أحدهما: أنه أراد (أَنْ) المخففة عن (أَنَّ) الثقيلة، كما قال سبحانه: [لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ][٧]، أراد (أنهم). والثاني: بمعنى (أيْ) التي هي تفسير؛ كأنها تفسير لما أذّنوا به، وأراد: [فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ][٨]، واستدلوا بقوله: [وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ][٩] و[أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ][١٠]، ويقرأ أحدٌ (أنّ لكم) و (لأنّ سلام)[١١].

ومن ثقّل نصب بـ(أنَّ) ما بعدها، كما ينصب بالمشددة المكسورة، فالمكسورة إذا خففت لا يكون ما بَعدها على إضمار القصة والحديث، كما تكون المفتوحة كذلك. قال أبو علي الفارسي: «والذي فصل بينهما أنّ المفتوحة، موصولة، والموصولة، تقتضي صلتها، فصارت لا لإقتضائها الصلة أشدّ اتصالا بما بعدها من المكسورة، فقدَّر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها، و ليست المكسورة كذلك»[١٢].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) العنكبوت، الآية (٣٣).

(٢) البيت للمسيب (واسمه زهير بن علس). وهو في الخزانة (٢٢٤/٤).

(٣) لم يعرف قائله، العتيق: الكريم، وجواب (لو) محذوف أي: لقاومتك. انظر: مغني اللبيب، ص(٥٠).

(٤) المقَسَّم: الجميل، تعطو: تتناول أطراف الشجر، البيت لباغت أو علياء، وهو في الخزانة (٣٦٤/٤).

(٥) البيت لأوس ابن حجر، في ديوانه، والضمير في (أمهله) يعود إلى الصيد، انظر: ديوانه، ص(٧١).

(٦) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص (٤١ـ٥٥)، معجم القواعد العربية في النحو والصرف، ص(٩٤ـ٩٦).

(٧) الحديد، الآية (٢٩).

(٨) الأعراف، الآية (٤٤).

(٩) الأعراف، الآية (٤٣).

(١٠) الأعراف، الآية (٤٦).

(١١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٣)، الكشف، (٤٦٣/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٨/٢ـ٢٣٩).

(١٢) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٣٩/٢)، الكشف، (٤٦٣/١).

سبق توضيحه في النص السابق[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلا: «من خفف [أنْ] منعها عملها، ورفع ما بعدها، ومن شدد النون، نصب بها الاسم، والمعنى واحد»[2]، ويوافقه الطبري، ويقول: «فسواء شددت (أَنَّ) أو خففت في القراءة، إذ كان معنى الكلام بأي ذلك قرأ القارئ واحداً، وكانتا قراءتين مشهورتين في قرأة الأمصار[3]».

وقال الرازي: «قال الواحدي: من شدد فهو الأصل، ومن خفف (أَنْ) فهي مخففة من الشديدة على إضمار القصَّة والحديث، تقديره: أنه لعنة الله، ومثله قوله تعالى: [وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ][4]، التقدير: أنه، و لا تحقق (أن) إلا أن يكون معها إضمار الحديث والشأن، ويجوز أيضاً أن تكون المخففة هي التي للتفسير؛ كأنها تفسير لما أذنوا به، كما في قوله: [أَنْ قَدْ وَجَدْنَا][5]»[6].

(١٣١/١٠) الاختلاف في [يُغْشِي] من قوله عز وجل: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] الآية (٥٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الشين وتخفيفها من قوله عز وجل: [يُغْشِي]، فقرأ شعبة والأخوان: [يُغَشِّي] مفتوحة الغين مشددة، وقرأ الباقون: [يُغْشِي] ساكنة الغين خفيفة[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويُغْشِي بها والرعد ثقّل (صحبةٌ) ... ووالشمسَ مع عطفِ الثلاثة (كـ)ـمّلا[8].

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر ذلك في ص( ).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(٨٠).

(٣) تفسير الطبري، (١٨٧/٥).

(٤) يونس، الآية (١٠)،

(٥) الأعراف، الآية (٤٤).

(٦) التفسير الكبير، (٨٥/١٤).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٨٢)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٥).

(٨) أشارالناظم بكلمة (صحبة) إلى حمزة والكسائي وشعبة؛ وهم الذين قرءوا بتثقيل الشين وكذلك في الرعد في قوله: [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] الآية (٣). انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧).

الغِشَاء: الغطاء وزناً ومعنى ، وهو اسم من غَشَّيتُ الشيء: بالتثقيل؛ إذا غطيته. وجعل على بصره (غُشْوَةً) بفتح الغين وضمها وكسرها. و(غِشَاوةً) بالكسر الغطاء أيضاً، ومنه قوله تعالى: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ][1]، وغَشَّاه تغشِيةً: أي: غطَّاه، وغِشاءُ كل شيء: ما تغشّاه، كغِشاء القلب، والسَّرْج، والرَّحْل، والسيف، ونحوها[2].

وجه من قرأ [يُغَشِّي] مفتوحة الغين مشددة؛ أن هذا الفعل يتردد ويتكرر، وذلك أن كل يوم وكل ليلة غير اليوم الآخر وغير الليلة الأخرى، فالتغشية مكررة مردودة لمجيئها يوماً بعد يوم، وليلة بعد ليلة، وقال ابن خالويه: «ودليله قوله تعالى: [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى][3]».

ووجه من قرأ [يُغْشِي] ساكنة الغين خفيفة؛ أنه أخذه من أَغْشَى يُغْشِي، ودليله قوله: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ][4]، وقوله: [كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً][5]، ولم يقل (غُشِّيَتْ)[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

من المعلوم سلفاً أن مدار القرآن على تقرير مسائل أربعة؛ وهي: التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر، و لا شك أن مدار اثبات المعاد على إثبات التوحيد والقدرة والعلم، فلما بالغ الله تعالى في تقرير أمر المعاد دعا إلى ذكر الدلائل الدالة على التوحيد، وكمال القدرة والعلم، لتصير تلك الدلائل مقررة لأصول التوحيد، ومقررة أيضاً لإثبات المعاد.

فقال: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ] يقول سبحانه: إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وذلك يوم الأحد و الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. عن مجاهد قال: «بدء الخلق: العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وجمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهود في يوم السبت، ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون».

قال القرطبي: «وذكر هذه المدة، ولو أراد خلقها في لحظة لفعل، إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، ولكنه أراد أن يعلِّم العباد الرفق والتثبت في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء. وهذا عند من يقول: خلق الملائكة قبل خلق السماوات والأرض. وحكمة أخرى:

---

(١) يس، الآية (٩).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٢٦/٥)، مختار الصحاح، ص(٤٧٥)، المصباح المنير، (٤٤٧/٢-٤٤٨).

(٣) النجم، الآية (٥٤).

(٤) يس، الآية (٩).

(٥) يونس، الآية (٢٧).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٤)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤١/٢).

خلقها في ستة أيام؛ لأن كل شيء عنده أجلا، وبين بهذا كيفية معالجة العصاة بالعقاب؛ لأن لكل شيء عنده أجلا وهذا كقوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ](١)، بعدها: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا](٢)».

قوله تعالى: [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولا، وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيفية بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه، والاستواء في لغة العرب هو؛ العلو والاستقرار. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن واحاطته بالسموات والأرض وما بينهما وما عليهما، وهو المراد هنا(٣).

ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم . يعني في اللغة . والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة».

قوله: [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] أي: يجعله كالغشاء، أي: يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل، فالليل للسكون، والنهار للمعاش، ولم يذكر في هذه الآية دخول النهار على الليل، فاكتفي بأحدهما عن الآخر، مثل قوله: [سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ](٤)، أو للعلم به، قوله: [يَطْلُبُهُ حَثِيثًا] أي: يعقبه سريعاً، كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والحث: الاستعجال والسرعة. يقال: ولّى حثيثاً؛ أي: مسرعاً.

ثم قال سبحانه: [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ] أي: خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه، وقرئ كلها بالرفع على الإبتداء والخبر، على معنى: الإخبار عن هذه بالتسخير. قوله: [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] إخبار منه سبحانه لعباده بأنهما له. والخلق: المخلوق، والأمر: كلامه، وهو (كن) في قوله تعالى: [إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ](٥). قال القرطبي: «وفي تفرقته سبحانه بين الخلق والأمر، دليل بين على فساد قول من قال بخلق القرآن،

---

(١) ق، الآية (٣٨).

(٢) ق، الآية (٣٦)

(٣) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم (٢٥٨١).

(٤) النحل، الآية (٨١).

(٥) النحل، الآية (٤٠).

إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً، لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق. وذلك عيٌّ في الكلام ومستهجَنٌ . والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه. ويدل عليه قوله: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ][1]».

ولما ذكر سبحانه في هذه الآية خلق السماوات والأرض في ذلك الأمد اليسير، ثم ذكر استواءه على عرشه، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وأن له الخلق والأمر، قال: [تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] أي: كثرت بركته، واتسعت، ومنه بورك الشيء وبورك فيه. قال الرازي: «اعلم أنه سبحانه: بدأ في أول الآية: رب السموات والأرض، وسائر الأشياء المذكورة، ثم ختم الآية بقوله: [تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]، والعالم: كل موجود سوى الله تعالى، فتبين كونه إلهاً ورباً وموجوداً ومحدثاً لكل ما سواه، ومع كونه كذلك فهو رب ومربٍّ ومحسنٍ ومتفضل»[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القرائتين معاً، قائلا: «هما لغتان، أغْشى وغَشَّى، فالقراءتان متساويتان»[3]، وقال أبو علي الفارسي: «قد جاء التنزيل بالأمرين جميعاً، فمما جاء بتضعيف العين قوله: [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى][4]، فـ(ما) في موضع نصب بأنه المفعول الثاني، ومما جاء بنقل الهمزة قوله: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ][5]، فهذا منقول بالهمزة، المفعول الثاني محذوف» ثم يقول: «فإذا جاء التنزيل بالأمرين، فكل واحد من الفريقين ممن قرأ [يُغَشِّي] و[يُغْشِي] أخذ بما جاء في التنزيل: وكذلك إن أخذ آخذ بالوجهين جميعاً، كما روى عن عاصم الأمران جميعاً»[6].

ويوافقهما أبو منصور الأزهري، قائلا: «[يُغَشِّي] و[يُغْشِي] كلاهما يتعدى إلى مفعولين، ومعناهما: يجلِّل، وقد تغشاه: إذا تجلَّله»[7].

وهو أيضاً رأي القرطبي والشوكاني: حيث يقولان: «القراءتان متساويتان»[8]. وقال الرازي: «قال الواحدي: الإغْشَاء والتَّغشية: إلباس الشيء بالشيء، وقد جاء التنزيل بالتشديد والتكثير»[9].

---

(١) الروم، الآية (٢٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٠٥.٢٠٦)، فتح القدير، (٢/٢١١.٢١٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢١٨.٢٢٣)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٣٢.٢٣٣)، التفسير الكبير، (١٤/٩٦.١٢٧).

(٣) انظر: الكشف، (١/٤٦٤.٤٦٥).

(٤) النجم، الآية (٥٤).

(٥) يس، الآية (٩).

(٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٤١).

(٧) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٠).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٢١)، وفتح القدير، (٢/٢١١).

(٩) التفسير الكبير، (١٤/١١٧).

(١١/١٣٢) الاختلاف في قوله: [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ] من قوله عز وجل: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] الآية (٥٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ]، فقرأ ابن عامر وحده: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] رفعاً كلها، ونصب الباقون هذه الحروف كلها[(١)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَ يُغْشِي بها والرعد ثقَّل صُحْبَةٌ ... وَوَالشَّمْسُ مَعْ عَطْفِ الثَّلَاثَةِ كَمَّلا [(٢)].

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه قراءة ابن عامر بالرفع: أنه جعل الواو حال؛ كما تقول: لقيت زيداً ويده على رأسه أي: رأيته في هذه الحال، فكذلك قوله: [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] أي: حالهما التخير، وكذلك [وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ]. وقال أبو منصور: «ويجوز أن يكون [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] رفعاً، على الابتداء والخبر [مُسَخَّرَاتٌ]»، ويضيف ابن أبي طالب قائلا: «ويقوي هذا أن الله جل ذكره قد أعلمنا، في غير هذا الموضع، أنه سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، كقوله: [وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ][(٣)]، والشمس والقمر والنجوم هن مما سخره الله لنا، مما هو في السماء، فحسن الإخبار عنهن في هذا الموضع، فالتسخير على ذلك»[(٤)].

ووجه من قرأ بالنصب؛ أنه عطف ذلك على المنصوب بـ[خَلَقَ]، وقوى ذلك أن الله جل ذكره قد أنبأنا عن الشمس والقمر أنه خلقهما في قوله: [وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ][(٥)]، فحمل هذا على ذلك، في الإخبار عنهن، بالخلق لهن، وكان الاشتراك بين الجملتين، واتصال بعض الكلام ببعض أقوى.. وأضاف أبو علي الفارسي وجها آخر، فقال: «أن حجة من نصب، قوله: [وَمِنْ

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٨١)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٥).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كملا» إلى ابن عامر؛ وهو الذي قرأ برفع لفظ [وَالشَّمْسُ] ورفع الأسماء الثلاثة بعده، وهي: [وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ] والموافق في النحل: [وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] الآية (١٢). انظر: المتن، ص(٥٤)، الوافي، ص(١٨٧.١٨٨).

(٣) الجاثية، الآية (١٣).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٨٤)، كتاب معاني القراءات، ص(١٨١)، الكشف، (٤٦٥/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤١/٢).

(٥) فصلت، الآية (٣٧).

هَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ](١)، فكلما أخبر في هذه أنه خلق الشمس والقمر، كذلك يُحمل على [خَلَقَ] في قوله: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ]»(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(٣).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة النصب، قائلا: «هو الاختيار»(٤). وهو اختيار الواحدي أيضاً، حيث يقول: «والنصب هو الوجه، قوله تعالى: [وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ](٥)، فكما صرح في هذه الآية أنه سخر الشمس والقمر، كذلك يجب أن يحمل على أنه خلقها في قوله: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ]. وهذا النصب على الحال؛ أي: خلق هذه الأشياء حال كونها موصوفة بهذه الصفات والآثار والأفعال»(٦).

(١٢/١٣٣) الاختلاف في [خُفْيَةً] من قوله عز وجل: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] الآية (٥٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر الخاء وضمها في قوله: [خُفْيَةً]، فقرأ شعبة: [خِفْيَةً] بكسر الخاء، وقرأ الباقون: [خُفْيَةً] مضمومة الخاء(٧).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مَعاً خُفْيَةً في ضَمِّهِ كَسْرُ **شُعْبَةٍ** وانجيتَ للكُوفِيِّ أنجى تحوَّلا(٨).

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله: [خُفْيَةً] سبق توجيهه في النص رقم (١٦/٧٩)(١).

---

(١) فصلت، الآية (٣٧).

(٢) انظر: الكشف، (٤٦٥/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٥)، كتاب معاني القراءات، ص(١٨٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤١/٢).

(٣) انظر ذلك ص (   ).

(٤) الكشف، (٤٦٥/١).

(٥) فصلت، الآية (٣٧).

(٦) التفسير الكبير، (١١٨/١٤).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، كتاب السبعة، ص(٢٩٥)، النشر، (٢٦٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٥).

(٨) انظر: المتن، ص(٥١)، الوافي، ص(١٧٨).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه الدلائل الدالة على كمال القدرة والحكمة والرحمة، وعند هذا تم التكليف المتوجه إلى تحصيل المعارف النفسانية، والعلوم الحقيقية، أتبعه بذكر الأعمال اللائقة بتلك المعارف، وهو الإشتغال بالدعاء والتضرع، فإن الدعاء مخ العبادة، فقال تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] هذا أمر بالدعاء وتعبُّد به، ثم قرن جل ذكره بالأمر صفات تحسن معه؛ وهي الخشوع والاستكانة والتضرع، والتَّضرع؛ من الضراعة: وهي الذلة والخشوع والاستكانة. ومعنى [خُفْيَةً] أي: سراً في النفس يبعد عن الرياء، وبذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام، إذ قال: مخبراً عنه [إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا]⁽²⁾ وقوله ρ: (وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي)⁽³⁾، والشريعة مقررة أن السر فيما لا يعترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر.

ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، فلا يسمع لهم صوت، أن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم، امتثالاً لقوله سبحانه: [تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً]. وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذا على أن اخفاء (آمين) أولى من الجهر بها، لأنه دعاء⁽⁴⁾، وعن أبي موسى قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ρ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا⁽⁵⁾ عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ)⁽⁶⁾.

ثم علل سبحانه ذلك بقوله: [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] أي: المجاوزين لما أُمروا به في الدعاء وفي كل شيء، فمن جاوز ما أمره الله في شيء من الأشياء فقد اعتدى، والله لا يحب المعتدين، وتدخل المجاوزة في الدعاء في هذا العموم دخولاً أولياً، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل الداعي

---

(١) انظر ذلك في ص( ).

(٢) مريم، الآية (٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده مسند العشرة المبشرين بالجنة، (١٢١/٥).

(٤) قال القرطبي: «اختلف العلماء في رفع اليدين في الدعاء؛ فكرهه طائفة منهم جبير بن مطعم، وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وروى جواز الرفع عن جماعة من الصحابة والتابعين، قال أبو موسى الأشعري: (دَعَا النَّبِيُّ ρ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب رفع الأيدي في الدعاء، والدعاء حسن كما تيسر وهو المطلوب من الإنسان لإظهار موضع الفقر والحاجة إلى الله عز وجل، والتذلل له والخضوع، فإن شاء استقبل القبلة ورفع يديه فحسن، وإن شاء فلا فقد فعل ذلك النبي ρ حسبما روي في الأحاديث، وقد قال تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] الأعراف (٥٥)، ولم يرد صفة من رفع يديه وغيرها، وقال: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا] آل عمران (١٩١)، فمدحهم ولم يشترط حالة غير ما ذكر. وقد دعا النبي ρ في خطبته يوم الجمعة غير مستقبل القبلة. انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٢٥،٢٢٤/٧).

(٥) أي: ارفقوا واقتصروا. النهاية (١٨٧/٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب إستحباب خفض الصوت بالذكر، (٧٣/٨).

ما ليس له كالخلود في الدنيا، أو في إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخاً له[1]، وروي عن النبي ρ أنه قال: (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ)[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، قائلا: «القول في ذلك أن [خُفْيَةً] و[خِفْيَةً] لغتان، فيما حكاهما أبو الحسن، قال: فالخُفْية: الاخفاء، والخِفْية: الخوف والرهبة»[3]، ويوافقه الرازي ويقول: «وهما لغتان»[4].

(١٣/١٣٤) الاختلاف في قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الآية (٥٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في النون والباء من قوله عز وجل: [بُشْرًا] فقرأ عاصم وحده: [بُشْرًا] بالباء ساكنة الشين منونة. وقرأ الإخوان: [نَشْرًا] بفتح النون وسكون الشين، وقرأ الحرميان وأبو عمرو: [نُشُرًا] بضم النون والشين وقرأ ابن عامر: [نُشْرًا] بضم النون وسكون الشين[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي النَّحْلِ مَعْهُ فِي الأَخِيرَيْنِ **حَفْصُهُمْ** وَنَشْراً سُكُونُ الضَّمِّ فِي الْكُلِّ ذُلِّلاَ

وَفِي النُّونِ فَتْحُ الضَّمِّ شَافٍ **وَعَاصِمٌ** رَوَى نُونَهُ بِالْبَاءِ نُقْطَةٌ اسْفَلاَ[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

بَشِرَ أولاً: بكذا يَبْشَرُ فَرِحَ مثل فَرِحَ يَفْرَحُ وزناً ومعنىً وهو الاستبشار أيضاً: المصدر: البُشُور، والاسم منه: بُشْرٌ. واسم الفاعل (بشير). قال ابن منظور: «والبِشارة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: [فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ][7]».

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٠٦ـ٢٠٧)، فتح القدير، (٢/٢١٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٢٣ـ٢٢٦)، أبي السعود (٣/٢٣٣)، التفسير الكبير، (١٤/١٢٧ـ١٣٣).

(٢) أخرجه أبو داؤد في كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم (١٢٦٥).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٤٢).

(٤) التفسير الكبير، (١٤/١٣٢).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٠)، النشر، (٢/٢٦٩)، الإتحاف، ص(٢٢٦).

(٦) أشار الناظم بحرف (الذال) من قوله: «ذللا» إلى الكوفيين وابن عامر؛ وهم الذين قرءوا بسكون الشين، وأشار بحرف (الشين) من قوله: «شاف» إلى حمزة والكسائي وقد قرأ بفتح النون، وقرأ عاصم بالباء الموحدة في مكان النون. انظر: المتن، ص(٥٤ـ٥٥)، الوافي، ص(١٨٨).

(٧) آل عمران، الآية(٢١).

ثانياً: النَّشْر: الحياة، وأنشر الله الريح: أحياها بعد موت، وأرسلها نَشْراً ونَشَراً(1). وجه قراءة عاصم [بُشْراً] بالباء ساكنة الشين منونة؛ أنه أخذه من البشارة، واستدل بقوله: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ](2)، ذلك أن الريح تبشر بالمطر، وقال أبو علي: «الوجه في قراءة عاصم أنه قرأ [بُشْراً] جمع بشير، بُشُر، ككتاب وكتب»(3).

ووجه قراءة الأخوان [نَشْراً] بفتح النون وسكون الشين؛ أنهما جعلاه مصدراً، والدليل على ذلك قوله تعالى: [وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً](4)، وأضاف ابن أبي طالب: «ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال من الرياح، كأنه قال: يرسل الرياح محيية الأرض»(5).

وحجة من قرأ [نُشُراً] بضم النون والشين، أنه جعله جمعاً لريح نشور، كما تقول: امرأة صبور ونساء صُبُر(6)، ووجه من قرأ [نُشْراً] بضم النون وسكون الشين، أنه أراد (نشُراً) فخفف مثل (رسُل، رُسْل)(7).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه دلائل الإلهية، وكمال العلم، والقدرة من العالم العلوي، وهو السموات والشمس والقمر والنجوم، أتبعه بذكر الدلائل من بعض أحوال العالم السفلي، وأعلم أن أحوال هذا العالم محصورة في أمور أربعة: الآثار العلوية، والمعادن، والنبات، والحيوان، ومن جملة الآثار العلوية: الرياح، والسحاب، والأمطار، ويترتب على نزول الأمطار أحوال النبات، وذلك هو المذكور في هذه الآية.

قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ] وهو عطف على قوله: [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] وهي نعمة من النعم التي أنعم الله بها على عباده مع ما في ذلك من الدلالة على وحدانيته وثبوت الإلهية، ورياح: جمع ريح، سميت به؛ لأنها تأتي بالروح غالباً، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا»(8).

---

(1) انظر: لسان العرب (4/61ـ62) و(5/207)، مختار الصحاح، ص(53) و(659ـ660)، والمصباح المنير، (49/1) و(605/2).

(2) الروم، الآية (26).

(3) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(286)، الحجة: أبو علي الفارسي، (246/2)، الكشف، (466/1).

(4) المرسلات، الآية (3).

(5) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(157)، الكشف، (466/1).

(6) الحجة: ابن خالويه، ص(157)، الحجة: ابن زنجلة، ص(285).

(7) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (285)، كتاب معاني القراءات، ص(181).

(8) أخرجه أحمد في مسند باقي المكثرين، (268/2).

والمعنى: أن الله تعالى جعل فيها التفريج والتنفيس والترويح، والاضافة من طريق العمل، والمعنى: أن الله جعلها كذلك، وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي ρ أنه قال: (نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ)(١)، وهنا معنى ما جاء في الخبر أن الله سبحانه وتعالى فرَّج عن نبيه ρ بالريح يوم الأحزاب، فقال تعالى: [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا](٢).

قال ابن الإعرابي: «النَّسيم أول هبوب الريح، وأصل الرِّيح روح، ولهذا قيل في جمع القلة أرواح، ولا يقال: أرياح؛ لأنها من ذوات الواو، وإنما قيل: رياح من جهة الكثرة، وطلب تناسب الياء معها».

قوله: [بُشْرًا] بضم الباء وإسكان الشين والتنوين؛ جمع بشير، أي: الرياح تبشر بالمطر، وقرئ: [نُشُرًا] بضم النون والشين؛ جمع ناشر، أي: ذات نشر، أي: وهو الذي يرسل الرياح منتشرة. وكذلك قرأ: [نَشْرًا] بفتح النون وإسكان الشين على المصدر، أعمل فيه معنى ما قبله، كأنه قال: وهو الذي ينشر الرياح نشراً. نشرت الشيء فانتشر، كأنها هي مطوية فنُشرت عند الهبوب.

قوله: [بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ] أي: قدام رحمته، التي هي المطر، والمعنى: أنه سبحانه يرسل الرياح ناشرات أو مبشرات بين يدي المطر. قال أبو السعود: «الصِّبا تثير السحاب، والشمال تجمعه، والجنوب تذره، والدبور تفرقه». قوله: [حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا] السَّحاب: يذكر ويؤنث، وكذا كل جمع بينه وبين واحدته هاء، ويجوز نعته بواحد، فتقول: سحاب ثقيلة وثقيلة، والمعنى: حملت الريح سحاباً ثقيلا بالماء، أي: أثقلت بحمله. يقال: أقل فلان الشيء، أي: حمله. قول: [سُقْنَاهُ] أي: السحاب [لِبَلَدٍ مَيِّتٍ] أي: ليس فيه نبات، والبلد: كل موضع من الأرض عامر، أو غير عامر خالٍ أو مسكون. والبلدة والبلد واحد البلاد أو البلدان، قوله: [فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ] أي: بالبلد الذي سقناه لأجله أو بالسحاب، أي: أنزلنا بالسحاب الماء الذي تحمله، أو بالريح، أي: فأنزلنا الريح المرسلة بين يدي المطر المطر. قوله: [فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] أي: أخرجنا بالماء من جميع أنواع الثمار. [كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى] أي: مثل ذلك الإخراج، وهو اخراج الثمرات، نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم. وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو τ عن النبي ρ قال: (ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ](٣))(٤).

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، (٢٢٣/١).

(٢) الأحزاب، الآية (٩).

(٣) الصافات، الآية (٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، (٢١٠/٤).

قوله: [تَذَكَّرُونَ] أي: تتذكرون، فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وإنه قادر على بعثكم، كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدوها[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري قراءتي [نُشُرًا] بضم النون والشين، و[نُشْرًا] بضم النون وسكون الشين، باعتبار أنهما جمع نَشُور[2]، ويوافقه الطبري في الاختيار، قائلا: «أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار»، ثم يقول مستبعداً قراءة الياء قائلا: «فلا أحب القراءة بها، وإن كان لها معنى صحيح، ووجه مفهوم في المعنى والإعراب»[3].

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالضم في النون والشين، ويقول: «الضم هو الأصل في ذلك كله»[4].

(١٣٥/١٤) الاختلاف في [غَيْرُهُ] من قوله عز وجل: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] الآية (٥٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في خفض الراء ورفعها من قوله عز وجل: [غَيْرُهُ]، فقرأ الكسائي وحده: [غَيْرِهِ] خفضاً، وقرأ الباقون بالرفع[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَرَا إِلَهٍ غَيْرِهِ خَفْضُ رَفْعِهِ ... بِكُلٍّ رَسَا وَالْخِفُّ أُبْلِغُكُمْ حَلَا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

قوله: [غَيْرُهُ] سبق توجيهه لغوياً في النص رقم (٢٦/٢٦)[7]. الوجه في قراءة الكسائي [غَيْرِهِ] بالخفض, أنه جعله صفة لـ[إِلَهٍ], و[مِنْ] على اللفظ, وموضع [إِلَهٍ] و[مِنْ] موضع رفع على الابتداء, و[لَكُمْ] و[رِزْقُكُمْ] الخبر, أو بضمر الخبر, كأنه قال: مالكم من إله غير الله في الوجود[8].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٠٩/٥-٢١١)، فتح القدير، (٢١٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٩٧/٢-٢٠٠) و(٢٢٨/٧.٢٣١)، تفسير أبي السعود، (٢٣٤/٣)، التفسير الكبير، (١٣٧/١٤.١٤٣).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٨١).

(٣) تفسير الطبري، (٢٠٩/٥).

(٤) الكشف، (٤٦٦/١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(٩٧)، كتاب السبعة، ص(٢٣٧)، النشر، (٢٥١/٢)، الإتحاف، ص(١٩٣).

(٦) أشار الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رسا» إلى الكسائي. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(١٨٨).

(٧) انظر ذلك في ص( ).

(٨) انظر: الكشف, (٤٦٧/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٥٧).

وحجة من قرأ [غَيْرُهُ] بالضم, أنه جعله حرف استثناء, فأعربه بما كان الاسم يعرب به بعد (إلا)؛ كقوله: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا][1]، قال ابن أبي طالب: «ويجوز أن يكون [غَيْرُهُ] صفة لـ[إِلَهٍ], ولـ[خَالِقٍ], على الموضع, كقوله: [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ][2] أي: غير الله»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه دلائل ظاهره في تقرير المبدأ والمعاد, وطرح بينات قاهرة, وبراهين باهرة, أتبعها بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام وما فيها من تحذير الكفار ووعيدهم, لتنبيه هذه الأمة على الصواب, وأن لا يقتدوا بمن خالف الحق من الأمم السابقة؛ فقال: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ] وهذا إقسام منه سبحانه للمخاطبين بهذه الآية, أنه أرسل نوحاً إلى قومه منذرهم باساً, ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره, فقال لمن كفر منهم: [يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ] الذي له العبادة, وذلوا له بالطاعة, واخضعوا له بالإستكانة[مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] أي من مستحق للعبادة, وهذه الجملة في حكم العلة؛ لقوله: [اعْبُدُوا] أي: اعبدوه, لأنه لم يكن لكم إله غيره حتى يستحق منكم أن يكون معبوداً.

وجملة: [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] جملة متضمنة لتعليل الأمر بالعبادة, أي: أن لم تعبدوه, فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة, أو عذاب يوم الطوفان,ووصف اليوم بالـ[عَظِيمٍ] لبيان عظم ما يقع فيه, وتكميل الإنذار[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة الرفع قائلا: «والرفع أحبُّ إليَّ, لأن الجماعة عليه»[5] ويوافقه أبو علي الفارسي في الاختيار, ويقول: «وهو الأولى عندنا؛ لما تقدم في الاستشهاد عليه من قوله: [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ][6]»[7].

وساق القرطبي قول أبو عمرو في إختياره لقراءة الرفع, قائلا: «قال أبو عمرو: لا أعرف الجر و لا النصب»، ثم يقول: «قال النحاس: لا يجوز عند البصريين نصب (غير), إذا لم يتم الكلام , وذلك عندهم من أقبح اللَّحن»[1].

---

(١) الأنبياء، الآية (٢٢).

(٢) آل عمران، الآية (٦٢).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٥٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤٧/٢)، الكشف، (٤٦٧/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢١٣/٥)، فتح القدير، (٢١٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٣/٧-٢٣٤)، التفسير أبي السعود، (٢٣٥/٣), التفسير الكبير، (١٤٦/١٤-١٥٠).

(٥) الكشف، (٤٦٧/١).

(٦) آل عمران الآية (٦٢).

(٧) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤٧/٢).

(١٣٦/١٥) الإختلاف في [أُبَلِّغُكُمْ] من قوله عز وجل: [أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] الآية (٦٢).

أولا: أوجه القراءات:

اختلفوا في تشديد اللام وتخفيفها من قوله عز وجل: [أُبَلِّغُكُمْ]، فقرأ أبوعمرو: [أُبْلِغُكُمْ] بالتخفيف, وقرأ الباقون: [أُبَلِّغُكُمْ] بالتشديد[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ورَفْعِ إِلَهٍ غَيْرُهُ اخْفِضْهُ حَيْثُ لِكِسَائِي وَأَبْلِغُكُمْ حَلاَ[٣].

ثانياً: توجيه القراءات:

البلاغ: الإبلاغ؛ وهو الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البَلاغُ، وبلَّغت الرسالة[٤].

الوجه في قراءة أبو عمرو [أُبْلِغُكُمْ] ساكنة الباء خفيفة اللام مضمومة الغين؛ جعله من (أبْلَغَ يُبْلِغُ) الرسالة، كما قال سبحانه: [لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي][٥]، وقوله: [فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ][٦][٧].

والوجه في قراءة الباقين [أُبَلِّغُكُمْ] بفتح الباء وتشديد اللام، أنه أراد: تكرير الفعل، ومداومته، ودليله قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ][٨]، وقال: [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ][٩][١٠].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

حكى سبحانه في الآيات السابقة عن نوح عليه السلام ثلاثة أشياء: أحدها: أنه عليه السلام أمرهم بعبادة الله تعالى. الثاني: أنه حكم أن لا إله غير الله، والمقصود من الكلام الأول إثبات التكليف، والمقصود من الكلام الثاني الإقرار بالتوحيد، ثم بعد ذلك حكى سبحانه ما ذكره قومه، فقال: [قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] أي: في خطأ ظاهر وضلال بيِّن، ومُرادهم من نسبة نوح عليه السلام إلى الضلال في المسائل الأربع التي ذكرها نوح عليه السلام

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٣٣،٢٣٤).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، (٢٨٤)، النشر، (٢/٢٧٠)، الإتحاف، ص(٢٢٦).

(٣) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حلا» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(١٨٨).

(٤) انظر: لسان العرب، (٨/٤١٩،٤٢٠)، مختار الصحاح، ص(٦٣)، المصباح المنير، (١/٦١).

(٥) الأعراف، الآية (٩٣).

(٦) هود، الآية (٥٧).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٨٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨)، الكشف، (١/٤٦٧).

(٨) المائدة، الآية (٦٧).

(٩) الأحزاب، الآية (٣٩).

(١٠) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٨٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٤٨).

وهي التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد، ولما ذكروا هذا الكلام أجاب نوح عليه السلام بقوله: [قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ] أي: ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة، ثم وبعد أن نفى عليه السلام عن نفسه العيب الذي وصفوه به، وصف نفسه بأشرف الصفات وأجلها، وهي كونه رسولاً إلى الخلق من رب العالمين، فقال: [لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

ثم ذكر عليه السلام ما هو المقصود من الرسالة، فقال: [أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ] والفرق بين تبليغ الرسالة والنصيحة هو أن تبليغ الرسالة معناه: أن يعرِّفهم أنواع تكاليف الله عز وجل وأقسام أوامره ونواهيه. وأما النصيحة: فهو أنه يرغبه في الطاعة، ويحذره عن المعصية، ويسعى في تقرير ذلك الترغيب والترهيب لأبلغ وجود.

وقوله: [أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي] يدل على أنه تعالى حمله أنواعاً كثيرة من الرسالة، وهي أقسام التكاليف من الأوامر والنواهي، وشرح مقادير الثواب والعقاب في الآخرة، ومقادير الحدود والزواجر في الدنيا. ثم قال سبحانه: [وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] وهو عطف على ما قبله، وتقرير لرسالته عليه السلام إني أعلم من الله أن عقابه سبحانه لا يرد عن القوم المجرمين[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، قائلاً: «إن (بَلَغ) فعل يتعدى إلى مفعولٍ واحد في نحو: بلغني خَبرُك، فإذا انقلته تعدى إلى مفعولين. والنقل تارة يكون بالهمز، وأخرى بتضعيف العين، وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل، فقال: [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ][٢] فهذا نقلٌ بالهمزة، والنقل بالتضعيف نحو قوله: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ][٣]» ثم يقول: «فكلا الأمرين في التنزيل، وكل واحدة من اللغتين مثل الأخرى في مجيء التنزيل بهما، وفي الحديث: (هَلْ بَلَّغْتُ)[٤]»[٥]، ويوافقه أبو منصور الأزهري، فقوله: «هما لغتان»[٦]، وقال الواحدي: «وكلا الوجهين جاء في التنزيل»[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢١٤/٥)، فتح القدير، (٢١٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٤/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٣٦/٣)، التفسير الكبير، (١٥١.١٤٨/١٤).

(٢) هود، الآية (٥٧).

(٣) المائدة، الآية (٦٧).

(٤) أخرجه أحمد بن حمبل في مسنده، مسند أبي رمثة ج، (٢٢٢/٢).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٤٨/٢).

(٦) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٢).

(٧) التفسير الكبير، (١٥١/١٤).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بالتشديد، قائلا: «والتشديد أحبُّ إليَّ؛ لأن الجماعة عليه»(1).

(١٦/١٣٧) الاختلاف في [قَالَ] من قوله عز وجل: [قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ] الآية (٧٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءتين:

اختلفوا في إدخال الواو وإخراجها من قوله عز وجل: [قَالَ]، فقرأ ابن عامر في قصة صالح: [وَقَالَ] بزيادة واو، وقرأ الباقون: [قَالَ] بغير واو(2).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مع أحْرُفٍ ثانٍ وبالواو زِدْ بَعْدَ مُفْسِدِينَ كَفُوًا وبالإخْبَارِ إنَّكُمُ عَلا(3).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه (الواو) لغوياً في النص رقم (١٢/٤٨)(4). والوجه في قراءة ابن عامر [وَقَالَ] بزيادة الواو؛ لعطف الجملة على الجملة، وكذلك هي بالواو في سائر المصاحف غير مصحف أهل الشام(5).

والحجة في حذفها؛ لإتصال الجملة بالأولى في المعنى، وكذلك هي في مصحف أهل الشام. قال ابن زنجلة: «من قرأ بغير الواو ابتدأ بغير عطف»(6).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه قصة سيدنا صالح مع قومه، فقد أخبر سبحانه أنه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمود: هو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح، أخو جديس بن عابر. وكانت ساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. فدعاهم إلى عبادة الله قائلا: اعبدوا الله وحده لا شريك له فمالكم إله يجوز أن تعبدوه غيره، وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما ادعوا إليه من إخلاص التوحيد لله، وتصديقي على أنني له رسول، وحجتي عليه هذه الناقة التي

---

(١) الكشف، (٤٦٧/١).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، ص(٢٨٤)، النشر، (٢٧٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٦).

(٣) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كفوًا» إلى ابن عامر. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(١٨٨).

(٤)انظر ذلك في ص(   ).

(٥) انظر: الكشف، (٤٦٤/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨).

(٦) انظر: الكشف (٤٦١/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٧).

أخرجها الله من هذه الهضبة، دليلا على نبوتي وصدق مقالتي، ثم ذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: [وَاذْكُرُوا..] وحذرهم من الإفساد في الأرض، [قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ] أي: الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن إتباع صالح عليه السلام، والإيمان بالله وبه، [لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ] يعني: لأهل المسكنة من أتباع صالح عليه السلام، والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم، وأهل السؤدد منهم، [أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ] قالوا هذا على طريق الإستهزاءو السخرية، فردوا عليهم قائلين: [إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ] أجابوهم بأنهم مؤمنون برسالته مع كون سؤال المستكبرين لهم إنما هو عن العلم منهم، هل تعلمون برسالاته، أم لا؟ مسارعة إلى إظهار مالهم من الإيمان وتنبيهاً على أن كونه مرسلا أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه.

فأجابوا تمرداً وعناداً بقولهم: [إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] وقوله: [فَعَقَرُوا النَّاقَةَ] والعقر: الجرح، وقد اختلف في عاقر الناقة ما كان اسمه، أصحها ما في الصحيح من حديث عبد الله بن زمعة[(1)] (فَذَكَرَ النَّاقَةَ وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) انْبَعَثَ بِهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ)[(2)].

وقوله: [وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ] أي: استكبروا، وقوله: [وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ]؛ أي: من العذاب، ثم قال: [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] أي: الزلزلة الشَّديدة، وقوله: [فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] أي: في بلدهم، ولذلك وحَّد، وجاثمين: أي: لاصقين بالأرض على رُكبهم ووجوهم، كما يجثم الطير، أي: صاروا خامدين من شدة العذاب.

قوله: [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ] أي: عند اليأس منهم، [وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ] يُحتمل أنه قال ذلك قبل موتهم، ويُحتمل أنه قاله بعد موتهم، كقوله ρ لقتلى بدر: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ)[(3)].

---

(١) أبو زمعة البلوي: صحابي، ممن بايع النبي ρ بيعة الرضوان تحت الشجرة نزل بمصر، من الشعراء، ونظم شعر في القيروان، وهناك يطلقون عليه كلمة (السيد) توفي سنة (٣٤هـ). الإصابة، (٧٦/٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (١٥٤/٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (١٨٦/٥).

قال القرطبي: «الأول: اظهر، يدل عليه قوله: [وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] أي: لم تقبلوا نصيحتي»[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري القراءتين معاً، قائلاً: الواو وحذفها لا يُغير المعنى»[٢]، بينما يرجح ابن أبي طالب القراءة بإثبات الواو، ويقول: «إثبات الواو الإختيار؛ لأن الجماعة عليه، ولأن فيه تأكيد إرتباط الجملة الثانية بالأولى»[٣].

(١٧/١٣٨) الاختلاف في: [أَئِنَّكُمْ] من قوله عز وجل: [إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] الآية (٨١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الاستفهام وحذفه من قوله عز وجل: [أَئِنَّكُمْ]، فقرأ نافع وحفص: [إِنَّكُمْ] على الخبر بهمزة واحدة مكسورة، وقرأ الباقون: [أَئِنَّكُمْ] بهمزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

مع أحقَّهَا والواوَ زِدْ بعْدَ مُفْسِدِينَ كُفُؤاً وبالإِخْبَارِ إنَّكُمُ عَلا.
أَلا وعلى الحِرْمِيِّ إنَّ لَنَا هُنَا وأَوْ أَمِنَ الإِسْكَانُ حِرْمِيُّهُ كَلا[٥].

ثانياً: توجيه القراءات:

الاستفهام: لغة طلب الفهم بالأدوات المخصصة، وله حرفان: (هل) و(الهمزة). وأسمائه تسعة هي: (فا، ومَن، وأيّ، وكمْ، وكيْف، وأيْن، وأنّى، ومتى، وأيّان)، وجميعها من حيث التصور[٦] لا غير، إلا (هل) فإنها لطلب التصديق[٧]، لا غير، والهمزة مشتركة بينهما والألف أصلُ أدوات

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٣٢/٥)، فتح القدير، (٢١٩/٢-٢٢١)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٠/٧-٢٤٢)، أبي السعود، (٢٤١/٣.١٤٤)، التفسير الكبير، (١٦١/١٤.١٦٧).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٢).

(٣) الكشف، (٤٦٤/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، ص(٢٨٥)، النشر، (٢٧٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٦.٢٢٧).

(٥) أشار الناظم بحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص، وبحرف (الألف) من قوله: «ألا» إلى نافع. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(١٨٨).

(٦) التصور، طلب إدراك المفرد، كقولك: كيف أنت؟، استفهام عن مفرد وهو أنت.

(٧) التصديق: طلب إدراك النسبة، كقولك:هل زيدٌ قادم، تستفهم عن قدوم زيد هذه في النسبة، لا عن زيد وحده.

الاستفهام، ولهذا خصّت بأحكام: أحدها: جواز حذفها، سواء تقدمت على (أم)، كقول عمر بن أبي ربيعة(1):

بدا لي منها معصم حين جمّرت وكفٌّ خضيبٌ زُيِّنت ببنانِ
فوالله ما أدري وإن كنت دارياً بسبعٍ رمين الجمر أم بثمانِ (2)

وأراد: أبسبع، أم لم تتقدّمها، كقول الكميت(3):

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعب؟(4)

أراد: أو ذو الشيب يلعب؟

الثاني: أنها ترد لطلب التصور نحو: أزيد قائم أم عمر؟، ولطلب التصديق نحو: أزيد قائم؟.

الثالث: أنها تدخل على الإثبات كما تقدم، وعلى النفي، كقوله: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ](5) الرابع: تمام التصديق، بدليلين: أحدهما: أنهما لا تذكر بعد أم التي للإضراب كما يذكر غيرها، لا تقول: أقام زيد أم أقعد. والثاني: أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم، قدمت على العاطف تبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو: [أَوَلَمْ يَنظُرُوا](6) وهذا مذهب سيبويه والجمهور.

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي فترد لثمانية معان: أحدهما: التسوية، في حالة أنها الهمزة الداخلة على جملة يصلح حلول المصدر محلها، نحو: [سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ](7).

والثاني: الإنكار الابطالي، وهذه تقضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب، نحو [أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا](8)، ومن جهة إفادة هذه الهمزة نفي ما بعدها لزم ثبوته وإن كام منفياً؛ لأن نفي النفي إثبات، ومنه: [أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ](9)؛ أي: الله كافٍ عبده.

---

(1) شاعر مطبوع من بني مخزوم، اشتهر بالغزل، اتصل بعبد الملك بن مروان ومات سنة (93هـ). الأعلام، (132/4).

(2) التجمير: رمي الجمار بمنى وهو في منسك الحج، انظر: ديوانه، ص(257).

(3) الكميت بن زيد الأسدي، من أهل الكوفة، اشتهر بالشعر والأدب واللغة والفروسية، من أشهر شعره (الهاشميات) منها هذا البيت. انظر: الأعلام، (233/5).

(4) البيض هنا النساء الحسان و(شوقا) مفعول لأجله مقدم على عامله. مغني اللبيب، ص(20).

(5) الإنشراح، الآية (1).

(6) الأعراف الآية (185).

(7) المنافقون الآية (6).

(8) الإسراء، الآية (40).

(9) الزمر، الآية (36).

الثالث: الإنكار التوبيخي، فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم نحو: [أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ][1].

الرابع: التقرير، ومعناه حملُك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به. تقول في التقرير بالفعل: أضربتَ زيداً؟ وبالفاعل: أأنت ضربت زيداً؟ وبالمفعول: أزيداً ضربت؟ كما يجب ذلك في المستفهم عنه.

الخامس: التهكم، نحو: [أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا][2].

السادس: الأمر، نحو: [أَأَسْلَمْتُمْ][3]؛ أي: أسلموا.

السابع: التعجب، نحو: [أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ][4].

الثامن: الاستبطاء، نحو: [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا][5][6].

حجة من قرأ على الخبر؛ أنه جعل: [إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ]تفسيراً للفاحشة المذكورة، فلم يحسن إدخال ألف الاستفهام عليه؛ لأنها تقطع ما بعدها مما قبلها، قال ابن خالويه: «ودليله قوله: [أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ][7]»[8].

وحجة من قرأ بالاستفهام؛ أنه لما رأى [أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] وما بعده كلاماً تاماً، إبتدأ الجملة الثانية بالاستفهام؛ لتأكيد التوبيخ لهم والتقرير، فبنى الجملتين على كلامين، كل واحد قائم بنفسه في معناه، وأضاف ابن خالويه قائلا: «الحجة: لمن استفهم ثانياً: أنه جعله جواباً، واستدل بقوله: [آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ][9]، فأعاد الاستفهام ثانياً، والعرب تترك ألف الاستفهام إذا كان عليها دليل من [أَمْ]؛ كقول امرئ القيس:

تَرُوحُ من الحيِّ أم تَبْتَكِرْ وماذا يَضيركَ لَوْ تَنْتَظِرْ [10]»[11].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) الصافات، الآية (٩٥).

(٢) هود، الآية (٨٧).

(٣) آل عمران، الآية (٢٠).

(٤) الفرقان، الآية (٤٥).

(٥) الحديد، الآية (١٦).

(٦) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، (٢٧.٢٤).

(٧) الأنبياء، الآية (٤٣).

(٨) انظر: الكشف: (٦٨٤/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨).

(٩) يونس، الآية (٥٩).

(١٠) ديوان امرئ القيس، ص(١٥٤).

(١١) انظر: الكشف، (٤٦٨/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٨.٢٨٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨).

هذه الآية سرد لقصة سيدنا لوط عليه السلام، فقال: [وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] يعني إتيان الذكور، وذكرها سبحانه باسم الفاحشة ليبين أنها زنى، كما قال تعالى: [وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً][1]، وقد قالها لوط عليه السلام إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم وتقريعاً: [مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ] أي: لم يفعلها أحد قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم قبل هذه الأمة، حكى النقاش: «أن إبليس كان أصل عملهم، بأن دعاهم إلى نفسه لعنة الله فكان يُنْكح بعضهم بعضاً»، وروى ابن ماجة[2] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ)[3]. وقال محمد بن سيرين[4]: «ليس شيء من الدَّواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار».

ثم قال سبحانه: [إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ] وهو خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة، قال أبو السعود: «وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ». قوله: [شَهْوَةً] مفعول به أو مصدر في موقع الحال، وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع، لا قضاء للشهوة، ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم وتقريعهم على إشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى: [مِنْ دُونِ النِّسَاءِ] أي: متجاوزين النساء اللآتي هن محل الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله: [هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ][5].

[بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ] أي: أنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا، وذلك هو الإسراف في هذا الموضع، وقوله: [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] أي: الواقعين في هذه الفاحشة على ما أنكره عليهم منها، إلا أن قالوا أخرجوا لوطاً وأتباعه، ومعنى: [يَتَطَهَّرُونَ]؛ أي: عن الإتيان في هذا المأتى، يقال: تطهر الرجل؛ أي: تنزه عن الإثم، قال قتادة: «عابوهم والله بغير عيب». وهو تعليل لما أمروا به من الإخراج.

ثم أخبر سبحانه أنه أنجى لوطاً وأهله المؤمنين به، واستثنى امرأته من الأهل لكونها لم تؤمن به، ومعنى: [كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ]؛ أنها كانت من الباقين في عذاب الله. وسرى لوط بأهله كما

---

(1) الإسراء، الآية (32).

(2) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله: ابن ماجة، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث، وصنف كتابه (سنن ابن ماجة) توفي سنة (273هـ). انظر: بغية الوعاة، (2/116).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن يقع على البهيمة، حديث رقم (1377).

(4) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، تفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، توفي سنة (110هـ). انظر: تهذيب التهذيب، (9/214).

(5) هود، الآية (78).

وصفها بقطعٍ [مِّنَ اللَّيْلِ](١)، ثم أمر جبريل عليه السلام، فأدخل جناحه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الدِّيكة ونباح الكلاب، ثم جعل عاليها سافلها، وأمطرت عليهم حجارة من سجيل، ثم قال سبحانه: [فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] وهذا خطاب لكل من يصلح له، أو لمحمد ρ.

وقد اختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه، فقال مالك: «يُرجم، أحصن أو لم يُحصن، وكذلك يرجم المفعول به إن كان محتلماً». وقال أبو حنيفة: «يعزر المحصن وغيره». وقال الشافعي: «يحد حد الزنا قياساً عليه».

وقد روي أن رسول الله ρ قال: (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ)(٢)، وقد روي أن أبي بكر الصديق τ حرق رجلا يسمى الفجاءة حين عَمِل عمل قوم لوط بالنار(٣)، وروي أن سبعة أخذوا في زمن ابن الزبير τ في لواط، فسأل عنهم فوجد أربعة منهم قد أحصنوا، فأمر بهم، فخرجوا بهم من الحرم فرُجموا بالحجارة حتى ماتوا، وحدّ الثلاثة، وعنده ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم فلم ينكرا عليه(٤)، وإلى هذا ذهب الشافعي، قال ابن الإعرابي: «والذي صار إليه مالك أحق، فهو أصح سنداً وأقوى معتمداً».

أما من أتي بهيمة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ρ: (مَنْ أَتَى بَهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوهَا مَعَهُ قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا شَأْنُ الْبَهِيمَةِ قَالَ مَا أُرَاهُ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُؤْكَلَ لَحْمُهَا وَقَدْ عُمِلَ بِهَا ذَلِكَ الْعَمَلُ)(٥).

قال ابن المنذر: «إن يك الحديث ثابتاً فالقول فيه يجب، وإن لم يثبت فليستغفر الله من فعل ذلك كثيراً، وإن عزّره الحاكم كان حسناً، والله أعلم»، وقال مالك والثوري(٦) وأحمد: يعزّر»(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري جميع هذه الحروف قائلا: «هي لغات كلها جائزة، وكل ما قرئ به فهو معروف، ومعانيها، متفقة، ولا اختلاف في جوازها»(١).

---

(١) هود، الآية (٨١).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن يقع على البهيمة، حديث رقم (١٣٧٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب فيمن أتى بهيمة، حديث رقم (٣٨٧١).

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، كان آية في الحفظ، توفي سنة (١٦١هـ). طبقات بن سعد، (٦/٢٥٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٥/٢٣٤-٢٣٥)، فتح القدير، (٢/٢٢٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٤٣-٢٤٧)، أبي السعود، (٣/٢٤٤-٢٤٦)، التفسير الكبير، (١٤/١٦٧-١٧٢).

ورجح ابن أبي طالب قراءة الاستفهام قائلا: «فذلك أصح وأبين وهو الاستعمال»[٢]، القرطبي، ويعلل ذلك بقوله: «لأن ما قبله وبعده كلام مستقبل» ثم يقول: «واختار الأول . أي: القراءة على الخبر بهمزة واحدة مكسورة . أبو عبيد والكسائي وغيرهما، واحتجوا بقوله: [أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ][٣]، ولم يقل (إنهم)، وقال: [أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ][٤]، ولم يقل (انقلبتم)»[٥].

(١٣٩/١٨) الاختلاف في [لَفَتَحْنَا] من قوله عز وجل: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] الآية (٩٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف في قوله عز وجل: [لَفَتَحْنَا]، فقرأ ابن عامر وحده: [لَفَتَّحْنَا] بالتشديد، وقرأ الباقون: [لَفَتَحْنَا] بالتخفيف[٦].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِذا فُتِحَتْ شَدِّدْ لِشَامٍ وَهَا هُنا فَتَحْنَا وفي الأعرافِ واقتربتْ كلا[٧].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [لَفَتَحْنَا] لغوياً في النص رقم (٩/٧٢)[٨]. وجه قول ابن عامر [لَفَتَّحْنَا] بالتشديد؛ أنه أراد مرة بعد مرة، واستدل بقوله تعالى: [بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ] ولم يقل (بركة). والوجه في قراءة الباقين: [لَفَتَحْنَا] بالتخفيف؛ لأنه من فَتَحَ يَفْتَحُ، إذا فعل ذلك مرة واحدة[٩].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآية السابقة أن الذين عصوا وتمردوا أخذهم الله بغتة، بين في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم أبواب الخيرات فقال: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا] أي: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، [وَاتَّقَوْا] ما نهى الله عنه وحرمه، ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح، [لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] أي: يسَّرنا لهم خير السماء والأرض، كما

---

(١) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٤).

(٢) الكشف، (٤٦٨/١).

(٣) الأنبياء، الآية (٣٤).

(٤) آل عمران، الآية (١٤٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٦،٢٤٥/٧).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، ص(٢٨٦)، النشر، (٢٥٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٧).

(٧) أشار الناظم إلى أن الشامي؛ وهو ابن عامر قرأ بتشديد التاء، انظر: المتن، ص(٢٥٧)، الوافي، ص(١٩١).

(٨) انظر ذلك في ص(   ).

(٩) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٨).

يحصل التيسير للأبواب المغلقة بفتح أبوابها، قال القرطبي: «وهذا في أقوام على الخصوص جرى ذكرهم إذ قد يمتحن المؤمنون بضيق العيش، ويكون تكفيراً لذنوبهم، ألا ترى أنه أخبر عن نوح إذ قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[(١)]، وعن هود ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[(٢)]، فوعدهم المطر والخصب على التخصيص، يدل عليه ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: كذبوا الرسول، والمؤمنون صدقوا ولم يكذبوا»، بينما يرى الشوكاني أن هذه الآية ليست في أقوام مخصصون، وقال: «المراد: لو أن أهل القرى أين كانوا وفي أي بلاد سكنوا آمنوا وأتقوا إلى آخر الآية».

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ بالآيات والأنبياء ولم يؤمنوا و لا اتقوا، وقد اكتفى بذكر الأول لإستلزامه الثاني ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: فأخذناهم بالعذاب بسبب ما كانوا يعملون من الذنوب الموجبة لعذابهم[(٣)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٩/٧٢)[(٤)].

(١٩/١٤٠) الاختلاف في ﴿أَوَ﴾ من قوله عز وجل: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الآية (٩٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إسكان الواو وفتحها من قوله عز وجل: ﴿أَوَ﴾، فقرأ الحرميان و ابن عامر: ﴿أَوْ﴾ بإسكان الواو، وقرأ الباقون ﴿أَوَ﴾ بفتح الواو[(٥)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

أَوَ أَمِنَ الإِسْكَانُ حِرْمِيُّهُ كَلا[(٦)].

ثانياً: توجيه القراءات:

﴿أَوَ﴾ حرف عطف، وهي لأحد الأمرين عند شك المتكلم أو قصده أحدهما، فالأول؛ وهو الشك، نحو: جاءني رجل أو امرأة، والثاني: وهو قصد الأمرين، ويكون بعد الطلب، نحو: تزوج

---

(١) نوح، الآيتان (١٠.١١)

(٢) هود، الآية (٥٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٩/٦)، فتح القدير، (٢/٢٢٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٥٣)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٥٣)، التفسير الكبير، (١٤/١٨٥).

(٤) انظر ذلك في ص(   ).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، ص(٢٨٧)، النشر، (٢/٢٧٠)، الإتحاف، ص(٢٢٧).

(٦) عنى الناظم بكلمة (حرمي) نافع وابن كثير، وأشار إلى ابن عامر بحرف (الكاف) من (كلا). انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٣).

هنداً أو أختها؛ أي: لاتجمع بينهما، ولكن أختر أيهما شئت. ويكون لها أيضاً موضع الإباحة، وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. وتأتي (أَوْ) للشك أو الإبهام على المخاطب، نحو: [وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ][1]. أو للتفصيل، نحو: [وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى][2]. أو للتقسيم، نحو: (الكلمة: اسم أو فعل أو حرف). وتكون بمعنى (الواو) عند أمن اللبس كقول حميد بن ثور الهلالي الصحابي[3]:

قَوْمٌ إذا سمعوا الصَّريح رأيتهم   ما بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سافع[4].

وقد تكون (أو) للاضطراب, كـ(بل), وذلك بشرطين: تقدم نفي أو نهي وإعادة العامل؛ نحو: ما غاب علي أو غاب محمد[5].

وجه قول من قال [أَوْ] بإسكان الواو؛ أنه جعل العطف [أَوْ] التي تكون للشك، والإباحة، وقال أبو علي الفارسي: «وجه من قرأ [أَوْ] بالإسكان؛ أنه جعل [أَوْ] للإضطراب؛ لأنه أبطل الأول، ولكن كقوله: [الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ]، ثم قال: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ][6]، فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم، فكأن المعنى: أأمنوا هذه الضروب من معاقبتهم، والأخذ لهم، وإن شئت جعلته من حروف العطف للشك؛ نحو قولك: ضربت زيداً أو عمراً، كأنك أردت: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات»[7].

ووجه من قال [أَوَ] بفتح الواو؛ أنه جعله الواو، واو عطف دخلت عليها استفهام، ذلك ليكون الأول من لفظ الثاني في قوله: [أَفَأَمِنَ] وذلك مثل قوله: [أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ][8]، وقوله: [أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ][9]، وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «إن من حجة من قرأ [أَوَ] بالفتح؛ أنه

---

(١) سبأ، الآية (٢٤).

(٢) البقرة، الآية (١٣٥).

(٣) حميد بن ثور بن حزن الهلالي، أبو المثنى، شاعر مخضرم، عاش زمنا في الجاهلية، أسلم ووفد على النبي ρ، ومات في خلافة عثمان τ، له ديوان شعر جمعه عبد العزيز الميمني، توفي سنة (٣٠هـ). الإصابة، (١٣/٢).

(٤) الصَّريح: المستغيث، الشافع: الآخذ بناصية فرسه، (أو) هنا بمعنى الواو؛ لأن (بين) لا يعطف فيها إلا (بالواو). انظر: مغني اللبيب، ص(٩٠).

(٥) انظر: مغني اللبيب، ص(٩٥.٨٧)، معجم القواعد النحوية، ص(١٠٨.١٠٧).

(٦) السجدة، الآيات (٣.١).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٥٤/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٨٤).

(٨) يونس، الآية (٥١).

(٩) البقرة، الآية (١٠٠).

أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون][1]
وقوله: أفأمنوا مكر الله][2] أولم يهد للذين يرثون الأرض][3]، فكما أن هذه الأشياء حروف عطف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون قوله: أو أمن]»[4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

أعاد الله سبحانه التهديد بعذاب الإستئصال فقال: أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون]، وهو إستفهام بمعنى الإنكار عليهم، والمقصود أنه تعالى خوفهم بنزول ذلك العذاب عليهم في الوقت الذي يكونون فيه في غاية الغفلة، وهو حال النوم بالليل، وحال الضحى بالنهار؛ لأنه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات فيه، والاستفهام في قوله: أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون] كالاستفهام الذي قبله[5]، والضحى: ضحوة النهار، وهو في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت، وقوله: يلعبون] أي: يلهون من فرط الغفلة , أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون، ويقال لكل من كان فيما يضره و لا يجدي عليه: لاعب، ذكره النحاس[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن زنجلة القراءة بفتح الواو، قائلا: «هو المختار؛ لأنه مثل قوله قبله: أفأمن أهل القرى]»[7].

(٢٠/١٤١) الاختلاف في على]من قوله عز وجل: حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل] الآية (١٠٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله عز وجل: على]، فقرأ نافع وحده: عليَّ] مشددة الياء منصوبة، وقرأ الباقون: على] بالتخفيف مرسلة[8].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) الأعراف، الآية (٩٧).

(٢) الأعراف، الآية (٩٩).

(٣) الأعراف، الآية (١٠٠).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٥٤)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٨٩).

(٥) وهو قوله: أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون]، الآية (٩٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٦/١١)، فتح القدير، (٢/٢٢٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٥٣-٢٥٤)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٥٤)، التفسير الكبير، (١٤/١٨٥-١٨٦).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٩).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(١١١)، كتاب السبعة، ص(٢٨٧)، النشر، (٢/٢٧٥)، الإتحاف، ص(٢٢٧).

عَلَيَّ عَلَى خَصُّوا وفِي سَدِّ حَرِّ بها ويُونُس سحارٍ شذا فوتدَسَّلا[١].

ثانياً: توجيه القراءات:

على: من حروف الجر، وتجرُّ الظاهر والمضمر، نحو قوله: [وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ][٢]، ولها تسعة معانٍ؛ أشهرها: الاستعلاء وهو الأصل فيها، نحو قوله: [وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ]. الظرفية؛ نحو قوله: [وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ][٣]؛ أي: في حين غفلة، المجاوزة: كـ(عن) كقول القُحيف العُقَيلي[٤]:

إذا رَضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعجبني رضاها.

أي: رضيت عنها. المصاحبة: نحو قوله: [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ][٥]؛ أي: مع ظلمهم. موافقة (من)؛ نحو قوله: [إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ][٦]. الاستدراك، كقولك: فلانٌ أطاع الشيطان، على أننا لا نيأس من إصلاحه. ويمكن أن تكون علي اسماً، إذا دخلت عليها (مِنْ) كقول مزاحم العُقيلي يصف القطا[٧]:

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بعدما تمَّ ظِمْؤُها تَصِلُّ وعَنْ قَيْضٍ بِزَيْزاءَ مَجْهَلِ[٨].

وجه قراءة نافع [عَلَيَّ] ما جاء في التفسير: حقيق عليَّ؛ أي: واجب عليَّ، كما يقول الرجل: هذا عليَّ واجب، فالياء الأخيرة ياء الإضافة، والأولى من نفس الكلمة، فأدغمت الأولى في الثانية، وفتحت الثانية؛ لالتقاء الساكنين على أصلها، وأضاف أبو علي الفارسي وجهاً آخر، فقال: «حجة نافع في قوله: [حَقِيقٌ عَلَيَّ] إيصاله له بـ[عَلَيَّ] أنه يسوغ من وجه أن (حقَّ) الذي هو (فَعَلَ)، قد تعدى بـ[عَلَيَّ]، فقال: [فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا][٩]، وقال: [فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ][١]، فـ[حَقِيقٌ] يتصل بـ[عَلَيَّ] من هذا الوجه»[٢].

---

(١) أشار الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خصوا» إلى جميع القراء ما عدا نافعاً، انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٣).

(٢) المؤمنون، الآية (٢٢).

(٣) القصص، الآية (١٥).

(٤) القحيف بن حمير بن سليم الصقلي، شاعر معاصراً لذي الرمة، له تشبيب بمحبوبته (خرقاء)، توفي سنة (١٢٦هـ). وشعره مجموع في ديوان صغير. الأعلام، (٥/١٩١).

(٥) الرعد، الآية (٦).

(٦) المطففين، الآية (١).

(٧) مزاحم بن الحارث، من بني عقيل بن كعب، شاعر غزل بدوي، من الشجعان، كان في زمن جرير والفرزدق، توفي نحو (١٢٠هـ). الأعلام، (٧/٢١١).

(٨) انظر: معجم القواعد النحوية، ص(٣٠٤،٣٠٥).

(٩) الصافات، الآية (١٣).

ووجه من قرأ [عَلَى] بألف بعد اللام من [عَلَى] ولم يضيفها إلى المتكلم، وذلك أنه عدَّى [حَقِيقٌ] بـ[عَلَى] إلى (أن)، ويجوز أن تكون [عَلَى] في هذا بمعنى الباء، كما جاز وقوع الباء في موضع [عَلَى] في قوله تعالى: [وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ](٣)، أي: على كل طريق. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «من قرأ بالتخفيف، فعلى معنى: حقيق بألا أقول، كقولك: جدير وخليق ألا فعل كذا، وقال قوم معناه: حريص على ألا أقول، وحجته قراءة ابن مسعود: [حَقِيقٌ بِأَلَّا أَقُولَ]»(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ] جواب عما ينساق إليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبهم إياه عليه السلام في دعوى الرسالة؛ والمعنى: واجب عليَّ ولازم لي أن لا أقول فيما أبلغكم عن الله إلا القول الحق، ثم قال بعده: [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] أي: بما يتبين به صدقي وأني رسول من رب العالمين. وقال أبو السعود: «لم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون إثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما، من المحاورة المحكية بقوله تعالى: [قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا](٥)، وقوله: [وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ](٦)، وقد طوى ههنا ذكره للإيجاز».

قوله: [فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] أمره بأن يدع بني إسرائيل يذهبون معه ويرجعون إلى أوطانهم؛ وهي الأرض المقدسة. وقد كانوا باقين لديه مستعبدين ممنوعين من الرجوع إلى وطنهم، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الطبري كلتا القراءاتين، قائلا: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب»(٨).

---

(١) الإسراء، الآية (١٦).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٩)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٥٥/٢).

(٣) الأعراف، الآية (٨٦).

(٤) انظر: الكشف، (٤٧٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٥٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٨٩).

(٥) طه، الآية (٤٩).

(٦) الشعراء، الآية (٢٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (١٥/٦)، فتح القدير، (٢٣١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٦/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٥٨.٢٥٧/٣)، التفسير الكبير، (١٩٢.١٩١/١٤).

(٨) تفسير الطبري، (١٥/٦).

(٢١/١٤٢) الاختلاف في [سَاحِرٍ] من قوله عز وجل: [يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] الآية (١١٢).

أولا: أوجه القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [سَاحِرٍ]، فقرأ الأخوان: [سَحَّارٍ] بالألف بعد الحاء، على وزن (فَعَّال)، وقرأ الباقون: [سَاحِرٍ] على فاعل[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

عَلَى عَلِّيَّ خَصُّوا وَفِي سَاحِرٍ بِهَا ... وَيُونُسَ سَحَّارٍ شَفَا وَتَسَلْسَلا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله [سَاحِرٍ] لغوياً، في النص رقم (٢٤/٦٠). الوجه في قراءة الأخوان [سَحَّارٍ] على وزن (فعّال)؛ لأن فيه معنى المبالغة، و لأنهم قد أجمعوا على [سَحَّارٍ] في الشعراء[٣]، فجرى هذا عليه، فدلّ على التناهي في علم السِّحْر، و(فعّال) من أبنية المبالغة، ف [سَحَّارٍ] أبلغ من [سَاحِرٍ]. وقال ابن خالويه: «حجة من شدد؛ أنه أراد تكرير الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أن ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كقولهم: هو خَرَّاج وَلَّاج؛ إذا كثر ذلك منه وعرف به». وأضاف أبو علي الفارسي حجة ثالثة قائلا: «ومن حجة من قال [سَحَّارٍ]، أنه قد وُصف بعَلِيمٍ، ووصفه به يدلّ على تناهيه فيه، وحذقه، فحسن لذلك أن يُذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر»[٤].

و الوجه في قراءة من قرأ [سَاحِرٍ] بألف قبل الحاء، على وزن (فاعل)؛ أنه جعله اسماً للفاعل، مأخوذاً من الفعل، كما قال تعالى [فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ][٥]، وقوله [لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ][٦]، والسَّحرة: جمع ساحر، وقال ابن زنجلة: «حجتهم إجماع القراء على قوله: [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى][٧]»[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٢)، كتاب السبعة، ص(٢٨٩)، النشر، (٢/٢٧٠)، الإتحاف، ص(٢٢٨).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شفا» إلى حمزة و الكسائي، انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٣).

(٣) يعني قوله: [يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ] الأية (٣٧).

(٤) انظر: الكشف، (١/٤٧٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٥٨).

(٥) طه الآية (٧٠).

(٦) الشعراء الآية (٤٠).

(٧) طه الآية (٦٩).

(٨) انظر: الكشف، (١/٤٧٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٢).

بعد أن رأى فرعون وقومه الآيات التي عرضها عليهم موسى عليه السلام والمتمثلة في قوله تعالى: [فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ][1]، بعدها [قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ]؛ أي: قال الأشراف لمَّا شاهدوا إنقلاب العصى حية، ومصير يده بيضاء من غير سوء، ما هذا إلا ساحر كثير العلم بالسحر، [يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ] أي: من أرض مصر، ثم قال لهم فرعون: [فَمَاذَا تَأْمُرُونَ] بأي شيء تأمرونني، [قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ] أي: أخره[2] وأخاه، قال: أرجأت الأمر وأرجيته: أخرته، [وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ] أي: أرسل جماعة حاشرين في المدائن التي فيها السحرة، وحاشرين: هم الشُّرط[3].

قوله: [يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] ما هي السحر، والجملة جواب الأمر، قال الرازي: «الآية تدل على أن السحرة كانوا كثيرين في ذلك الزمان، وإلا لم يصح قوله: [وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ]»[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو منصور الأزهري قراءة من قرأ [سَاحِرٍ] قائلا: «من قرأ [سَاحِرٍ] فهو بلغ من ساحر» يقول مصوباً كلتا القراءتين، «والقراءتين هما جيدة»[5].

(٢٢/١٤٣) الاختلاف في [إِنَّ] من قوله عز وجل: [وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ] الآية (١١٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الاستفهام والخبر من قوله عز وجل: [إِنَّ]، فقرأ الحرميان وحفص: [إِنَّ] مكسورة الألف على الخبر، وقرأ أبو عمرو: [آيِنَّ] بالمد، وقرأ الباقون: [أَإِنَّ] مهمزتين[6].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكره في النص (١٧/١٣٨)[7].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) الأعراف، الآيتان (١٠٧-١٠٨).

(٢) انظر: تفسير المشكل، ص(١٧٣)، غريب القرآن وتفسيره، ص(٦٥).

(٣) قال أبو زكريا الأنصاري: «قاله هنا بلفظ [أَرْسِلْ]، وفي الشعراء بلفظ [وَابْعَثْ] الآية (٣٦) وهما بمعنى واحد، تكثيراً للفائدة في التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى». انظر: فتح الرحمن، ص(٢٠٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٩/٦)، فتح القدير، (٢٣١/٢-٢٣٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٧/٧-٢٥٨)، تفسير أبي السعود، (٢٥٩/٣)، التفسير الكبير، (٢٠٠/١٤-٢٠١).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٦).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٢)، كتاب السبعة، ص(٢٨٩)، النشر، (٢٧١/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٨).

(٧) انظر ذلك في ص(   ).

بعد أن أرسل فرعون الشُّرط لجمع السحرة من المدائن، قال سبحانه: [وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ] وفي الكلام طي؛ أي: فبعث في المدائن حاشرين، قال أبو السعود: «إنما لم يصرح به حسبما في قوله: [فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ]؛ للإيذان بمسارعة فرعون إلى الإرسال ومبادرة الحاشرين والسحرة إلى الإمتثال». وجاء السحرة فرعون، قوله: [قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا] أي: فلما جاءوا فرعون قالوا له: إن لنا لأجراً، والجملة استئنافية جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: أي: شيء قالوا له لما جاءوه؟!، والأَجْر: الجائزة والجعل، ألزموا فرعون أن يجعل لهم جعلا إن غلبوا موسى بسحرهم(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب كلتا القراءتين قائلا: «وكلا الوجهين حسن»، ثم يقول: «والاستفهام أولى به، وأحب إليّ؛ لأن القراءة الأولى [إِنَّ] بهمزة واحدة، يجوز أن تكون على وجه الاستفهام أيضاً، لكنه حذفت الألف، لدلالة الحال على ذلك، ولقول فرعون لهم: نعم، وزادهم القرب منه، ويقوي ذلك إجماعهم على لفظ الاستفهام في الشعراء، [إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا](٢)»(٣).

وقال أبو علي الفارسي: «الاستفهام أشبه في هذا الموضع؛ لأنهم يستعلمون عن الأجر، وليس يقطعون على أن لهم الأجر»(٤)، ويوافقهما أبو منصور الأزهري، قائلا: «من قرأ [آإِنَّ] بالمد، و[أَإِنَّ] بهمزتين معنى الاستفهام، وهما ألفان؛ إحداهما: ألف الاستفهام، والآخر ألف [إِنَّ]، وهو أجود القراءتين»(٥).

وقال الواحدي: «الاستفهام أحسن في هذا الموضع؛ لأنهم أرادوا أن يعلموا هل لهم أجر أم لا؟ ويقطعون على أن لهم الأجر»(٦).

(٢٣/١٤٤) الاختلاف في [آمَنْتُمْ] من قوله عز وجل: [قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] الآية (١٢٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في مدّ الألف على الاستفهام، وفي لفظ الخبر من قوله عز وجل: [آمَنْتُمْ]، فقرأ الأخوان وشعبة: [أَآمَنْتُمْ] بهمزتين الثانية ممدودة، وقرأ الحرميان وأبو عمرو وابن عامر: [آمَنْتُمْ]

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٩/٦-٢٠)، فتح القدير، (٢٣٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٨/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٥٩/٣)، التفسير الكبير، (٢٠٠/١٤).

(٢) الآية (١٣٧).

(٣) الكشف، (٤٧٣/١).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي/ (٢٥٨/٢).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٦).

(٦) التفسير الكبير، (٢٠٠/١٤).

بهمزة مطوَّلة على الاستفهام، وروى قنبل عن ابن كثير: [وَآمَنتُمْ] بواو بعد النون وألف مقصورة بعد الواو[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكر الاستفهام في النص رقم (١٧/١٣٨)[2].وجه قول من قرأ: [أَأَمَنتُمْ] بهمزتين؛ أن الهمزة حرف من حروف المعجم كغيره من سائر الحروف، جاز الجمع بينهما نحو ما يجتمع في الكلمة حرفان، فيؤتى بكل واحد منهما من غير تغيير، كقوله: [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ][3]، فجعلوا الهمزتين كغيرهما من سائر الحروف[4].

ووجه قول من قرأ: [قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنتُمْ بِهِ] بواو في اللفظ إذا وصل لا يهمز؛ أنه بين ألف القطع، فصارت واواً لانضمام النون قبلها، أي: نون فرعون، فرجعت الهمزة التي هي فاء الفعل إلى أصلها قبل التليين[5].

والحجة لمن قرأ: [آمَنتُمْ] بالهمزة المد على الاستفهام؛ أنه ليَّن ألف القطع، فوصل مدَّها بمدِّ ألف الأصل، قال ابن زنجلة: «في [آمَنتُمْ] ثلاث ألفات: ألف الاستفهام على التوبيخ، والألف الوسطى ألف (أفْعَل) وهي ألف القطع، والأخيرة فاء الفعل، والأصل قبل دخول ألف التوبيخ: [أَمَنتُمْ] بهمزة بعدها ألف ملينة، الأصل: [أَأْمَنتُمْ] فخفف مثل (آدم)»[6].

والحجة لمن قرأ: [آمَنتُمْ] على لفظ الخبر بعد الاستفهام؛ أي: صدقتم به، قال أبو منصور: «من قرأ: [آمَنتُمْ]، بوزن: [عَاقَبْتُمْ][7]، فلفظه لفظ الخبر، ومعناه الاستفهام، إلا أنه حذف إحدى الهمزتين»، وقال مكي: «حذفت ألف الاستفهام من اللفظ إستخفافاً وحسُن ذلك؛ لأن ما في الكلام من معنى التوبيخ والتقريع، من فرعون للسحرة، يدل على الاستفهام الذي معناه الإنكار منه لفعلهم الإيمان»[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٢)، كتاب السبعة، ص(٢٩١.٢٩٠)، النشر، (٢/٢٧١)، الإتحاف، ص(٢٢٩).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) البقرة الآية (٢١).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٤.٢٩٣)، كتاب معاني القراءات، ص(١٨٧)، الكشف، (١/٤٧٣).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٦١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٣).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٦١)، الكشف، (١/٤٧٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٣).

(٧) وهي من قوله تعالى: [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ] النحل الآية (١٢٦).

(٨) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٣)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٧)، الكشف، (١/٤٧٣).

بعد أن ألقى موسى υ عصاه، ورأى السحرة ما فعلته بحبالهم وعصيَّهم وظهر الحق وبين ما جاء به موسى υ وتبين بطلان سحرهم، حينئذ [فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ] أي: خروا ساجدين، كأنما ألقاهم ملقٍ على هيئة السجود، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا أنفسهم [قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ] إنما قالوا هذه المقالة وصرحوا وحدها بأنهم آمنوا برب العالمين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا: رب موسى وهارون؛ لئلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرين بإلاهيته أن السجود له، فأنكر فرعون عليهم إيمانهم بموسى υ قبل أن يأذن لهم بذلك فقال: [آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ].

ثم ولما رأى فرعون أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوَّة موسى υ فألقى في الحال نوعين من الشبهة إلى أسماع العوام، لتصير تلك الشبهة مانعة للقوم من إعتقاد صحة نبوة موسى عليه السلام. الشبهة الأولى: قوله: [إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ] والمعنى: أن إيمان هؤلاء بموسى υ ليس لقوة الدليل، بل لأجل أنهم تواطئوا مع موسى أنه إذا كان كذا وكذا فنحن نؤمن بك ونقر بنبوتك، فهذا الإيمان إنما حصل بهذا الطريق.

الشبهة الثانية: أن غرض موسى والسحرة فيما تواطؤا عليه إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم، ومعلوم عند جميع العقلاء: أن مفارقة الوطن والنعمة المألوفة من أصعب الأمور.

فجمع فرعون اللعين بين الشبهتين اللتين لا يوجد أقوى منهما في هذا الباب ثم هددهم بقوله: [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]؛ أي: فسوف تعلمون عاقبة صنعكم هذا وسوء مغبته[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري جميع القراءات، قائلا: «وكل ذلك جائز» ثم يقول مستبعداً ما روي عن ابن كثير: أما ما روي لابن كثير [قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنْتُمْ بِهِ] فإني لا أعرفها، ولا أحب القراءة بها؛ لأن الواو زيادة في الصحف، ولعل بعض العرب تتكلم بها، وتجعل الواو بدلا من الهمز»[٢].

(١٤٥/٢٤) الاختلاف في [سَنُقَتِّلُ] من قوله عز وجل: [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ] الآية (١٢٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٤/٦)، فتح القدير، (٢٤٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٠/٧-٢٦١)، تفسير أبي السعود، (٢٦١/٣)، التفسير الكبير، (٢٠٧/١٤-٢٠٨).

(٢) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٧).

اختلفوا في التخفيف والتشديد من قوله عز وجل: [يُقَتِّلُ]، فقرأ الحرميان: [سَنَقْتُلُ] بالتخفيف، وقرأ الباقون: [سَنُقَتِّلُ] بالتشديد(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الكلّ فافتح يا يقولُ وضم في سنَقْتُلُ واكسر ضمّه متثقّلا

وحرّك ذكا حسنٍ وفي يقتلون خذ معاً يعرشون الكسر ضم مّكذي صلا(٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

الوجه في قراءة من قرأ بالتخفيف: [سَنَقْتُلُ]؛ أنه جعله من (قَتَل) الذي يدل على القلة والكثرة، قال ابن خالويه: «ودليله قوله: [وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ](٣)».

ووجه قول من قال: [سَنُقَتِّلُ] بالتشديد؛ أنه جعله من (قَتَّل) الذي يدل على معنى التكثير مرة بعد مرة، واستدلوا بقوله تعالى: [وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا](٤)(٥).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد وقوع حادثة السحرة مع موسى υ لم يتعرض فرعون لموسى و لا أخذه و لا حبسه، بل خلَّى سبيله، وكان كلما رأى موسى υ خافه أشد الخوف، فلهذا السبب لم يتعرض له، إلا أن قومه لم يعرفوا ذلك، فحملوه على أخذه وسجنه فقالوا له: [أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ] وهذا الاستفهام منهم للإنكار عليه؛ أي: أتتركه وقومه ليفسدوا في الأرض بإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل، والمراد بالأرض هنا: أرض مصر [وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ] أي: وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك، وهذا كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى υ ليفعل هذين الفعلين.

واختلف المفسرون في معنى: [وَآلِهَتَكَ] لكون فرعون كان يدعي الربوبية كما في قوله: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي](٦)، وقوله: [أَنَا رَبُّكُمُ](٧)، فعن ابن عباس: أنه كان له بقرة يعبدها، وقال الزجاج: «أنه كان له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه فنسبت إليه، ولهذا قال: [أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى]» . قال الرازي: «أعلم أن جميع الوجوه والاحتمالات واردة، فالقوم أرادوا بذكر هذا الكلام حمل فرعون على أخذ موسى υ، وحبسه، وإنزال أنواع العذاب به»، فعند هذا لم يذكر فرعون ما هو حقيقة

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٢)، كتاب السبعة، ص(١٩٢.٢٩١)، النشر، (٢٧١/٢)، الإتحاف، ص(٢٢٩).

(٢) أشار الناظم بحرف (الذال) من (ذكا) إلى الكوفيين وابن عامر، وبحرف (الحاء) في قوله: «حسن» إلى أبي عمرو؛ وهم الذين قرءوا: [سَنُقَتِّلُ] بالتشديد. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٤).

(٣) البقرة، الآية (١٩١).

(٤) الأحزاب، الآية (٦١).

(٥) انظر: الكشف (٤٧٤/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٤).

(٦) القصص، الآية (٣٨).

(٧) النازعات، الآية (٢٨).

الحال وهو كونه خائفاً من موسى، ولكنه قال: [سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ] كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل، ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة، و لا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه، قال الشوكاني: «ولم يقل سنقتل موسى؛ لأنه يعلم أنه لا يقدر عليه، [وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ] أي: مستعملون عليهم بالقهر والغلبة، ما شئنا أن نفعله بهم فعلناه[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة التشديد، قائلا: «التثقيل في [سَنُقَتِّلُ] يُراد به الكثير، والتثقيل للفعل أخصُّ»، ثم يقول: «والتخفيف يقع على الكثير وغيره، فمن خفف فلأنه يصلح للكثير أيضاً، ومن جمع بين التخفيف والتثقيل كان آخذاً بالوجهين»[2]، وهو بذلك كأنه يصوب القراءتين معاً، وقال ابن زنجلة: «اكثر من تكلم به العرب التشديد»[3].

(١٤٦/٢٥) الاختلاف في [يُورِثُهَا] من قوله عز وجل: [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] الآية (١٢٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله: [يُورِثُهَا]، روى هبيرة[4] عن حفص: [يُوَرِّثُهَا] بفتح الواو وتشديد الراء، وقرأ الباقون: [يُورِثُهَا] ساكنة الواو خفيفة الراء[5].

ثانياً: توجيه القراءات:

قال ابن منظور: «وَرِثَهُ مَالَهُ وَمَجْدَهُ وَوَرِثَهُ عنه وِرْثاً ورِثَةً ووِرَاثَةً وإِرَاثةً». ويقال لمن حصل له شيء من غير تعب: قد ورثتَ كذا، والوراثة الحقيقية أن يحصل الإنسان على شيء لا يكون عليه فيه تبعة و لا عليه محاسبة[6]،

وجه قول من قال: [يُوَرِّثُهَا] بالتشديد؛ أنه أراد تكرير الميراث لقرن بعد قرن، ودليله قوله ρ: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَم)[7]، وقال أبو علي الفارسي: «وجه التشديد: أنك تقول:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٧.٢٥/٦)، فتح القدير، (٢٣٥/٢)، تفسير أبي السعود، (٢٦٢/٣)، التفسير الكبير، (٢١٢.٢١٠/١٤).

(٢) الحجة: ابو علي الفارسي، (٢٦٢/٢).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٤).

(٤) هبيرة بن محمد التمار، أبو عمر الأبرش البغدادي، أخذ القراءة عرضاً عن حفص عن عاصم، قرأ عليه حسون بن الهيثم. انظر: غاية النهاية، (٣٥٣/٢).

(٥) انظر: كتاب السبعة، ص(٢٩٢)، الإتحاف، ص(٢٢٩).

(٦) انظر: لسان العرب، (٢٠٠/٢ـ٢٠١)، وكتاب التوقيف على مهمات التعاريف: للشيخ: عبد الرؤوف بن المناوي، (ط/١)، (١٩٩٠م)، ص(٣٣٧.٣٣٦).

(٧) لم أقف عليه.

وَرِثَ زيدٌ مالا، وفي التنزيل: [وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ](١) فهو متعدٍ، والوجه في قراءة من قرأ: [أُورِثْتُمُوهَا] بالتخفيف؛ أنه أخذه من أورث، ودليله قوله: [كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ](٢)، وقوله: [وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ](٣)»(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما بلغ موسى عليه السلام ما قاله فرعون، أمر قومه الاستعانة بالله والصبر على المحنة، فقال: [اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا] فههنا أمرهم بشيئين؛ فالأول: الاستعانة بالله تعالى، والثاني: الصبر على البلاء وإنما أمرهم أولا بالاستعانة بالله؛ وذلك لأن من عرف أنه لا مدبر في العالم إلا الله تعالى إنشرح صدره بنور معرفة الله تعالى، وحينئذ يسهل عليه أنواع البلاء، ولأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء الله وتقديره،و استعداده بمشاهدة قضاء الله خفف عليه أنواع البلاء ثم بشرهم بأمرين، فالأول قوله: [إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] وهذا إطماع من موسى عليه السلام قومه في أن يورثهم الله تعالى أرض فرعون بعد إهلاكه، وذلك معنى الإرث، وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف، والثاني: قوله: [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] أي: العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة للمتقين من عباده، وهم موسى عليه السلام ومن معه، وعاقبة كل شيء آخره(٥).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري كلتا القراءتين قائلا: «هما لغتان (أُورِثْتُ) و(وُرِّثْتُ)»، ثم يقول: «والأجود [أُورِثْتُمُوهَا] بالتخفيف، كما قال: [وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ](٦)»(٧)، ويوافقه أبو علي الفارسي قائلا: «والتخفيف أولى، لمجيء التنزيل عليه»(٨).

(٢٦/١٤٧) الاختلاف في [يُقَتِّلُونَ] من قوله عز وجل: [وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ] الآية (١٤١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) النساء، الآية (١١).

(٢) الدخان، الآية (٢٨).

(٣) الأحزاب، الآية (٢٧).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٦٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٦/٢٨)، فتح القدير، (٢/٢٣٥-٢٣٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٦٣)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٦٢-٢٦٣)، التفسير الكبير، (١٤/٢١٢).

(٦) الأعراف، الآية (١٣٧).

(٧) كتاب معاني القراءات، ص(١٨٨).

(٨) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٦٢).

اختلفوا في التخفيف والتشديد من قوله عز وجل: [يُقَتِّلُونَ]، فقرأ نافع وحده: [يَقْتُلُونَ] بالتخفيف، وقرأ الباقون: [يُقَتِّلُونَ] بالتشديد(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَحَرَّكَ ذَا حُسْنٍ وَفِي يُقَتِّلُونَ خُذْ مَعاً يَعْرِشُونَ الكَسْرَ ضُمَّ كَذِي صِلاَ (٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٢٤/١٤٥)(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

يقول الله تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ρ و اذكروا، مع قبلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر، وبعد النعم التي سلفت مني إليكم، والأيادي: [وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ] وذلك بعد أن كانوا مالكين لكم يستعبدونكم فيما يريدونه منكم، ويمتهنونكم بأنواع الإمتهانات، وذلك هو قوله: [يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ] يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وأسوأه، وقوله: [يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ] مفسر للجملة التي قبلها، أو بدل فيها، والإشارة بقوله: [وَفِي ذَلِكُم] إلى العذاب، أي: في هذا العذاب الذي كنتم فيه: [بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ] أي: نعمة أو محنة من مالك أمركم، فإن النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه تعالى(٤).

قال أبو زكريا الأنصاري: «قوله تعالى: [وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ] أي: نعمة عظيمة، إن جعلت الإشارة راجعة إلى الإنجاء في قوله تعالى: [وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ]، أو محنة عظيمة، إن جعلت الإشارة راجعة إلى قتل الأبناء، واستحياء النساء في قوله تعالى: [يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ]، إذ البلاء بين (النِّعمة) و(المحنة) قال تعالى: [وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ](٥)، وقال: [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ](٦)»(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٢٤/١٤٥)(٨).

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٢)، كتاب السبعة، ص(٢٩٢)، النشر، (٢/٢٧١)، الإتحاف، ص(٢٢٩).

(٢) أشار الناظم بحرف (الخاء) من قوله: «خُذْ» إلى القراء السبعة، ماعدا نافعاً، وهم الذين قرءوا بالتشديد. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٤).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٦/٤٧)، فتح القدير، (٢/٢٤١)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٧٤)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٦٨)، التفسير الكبير، (١٤/٢٢٥).

(٥) الأعراف، الآية (١٦٨).

(٦) الأنبياء، الآية (٣٥).

(٧) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(٢٠٦).

(٨) انظر ذلك في ص(   ).

(٢٧/١٤٨) الاختلاف في [دَكًّا] من قوله عز وجل: [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ] الآية (١٤٣).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في المد والقصر من قوله عز وجل: [دَكًّا]، فقرأ الأخوان: [دَكَّاءَ] ممدودة غير منونة، وقرأ الباقون: [دَكًّا] منونة مقصورة[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ودَكَّاءَ لا تَنْوِينَ وَامْدُدْهُ هَامِزاً شَفَا وَعَنِ الْكُوفِي فِي الْكَهْفِ وُصِّلَا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

الدّك: الدّق، وقد دكّه؛ إذا ضربه وكسره حتى سواه بالأرض، وبابه (ردّ)، ومنه قوله: [فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً][٣]، والجمع (دُكُوك)[٤].

الوجه في قول من قال: [دَكَّاءَ] ممدودة غير منونة؛ أنه جعله مصدر دككت الأرض دكاً؛ أي: جعلتها مستوية لا إرتفاع فيها و لا إنخفاض، وقال ابن خالويه: «أصله: أرضاً ملساء، من قوله العرب: ناقةٌ دكاء؛ أي: لا سنام لها، فهذا يثني ويجمع، ولم ينون؛ لأنه وزنٌ لا ينصرف في معرفة و لا نكرة، لإجتماع علامة التأنيث والوصف فيه»[٥].

والوجه في قراءة [دَكًّا] بالتنوين؛ أنه جعل [دَكًّا] مصدر من دَكَكت الشيء إذ كسرته وفتته، فتأويله جعلته مقتتاً كالتراب، ودليله قوله: [كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا][٦]، المعنى: فلما تجلى ربه للجبل جعله مدكوكاً، فكأنه دكه، فلما كان الفعل لا يثنى و لا يجمع، كان الأصل بتلك المثابة[٧].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٣)، كتاب السبعة، ص(٢٩٣)، النشر، (٢/٢٧١)، الإتحاف، ص(٢٣٠).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شفا» إلى حمزة والكسائي، ويقول: «وعن الكوفي في الكهف وصلا»؛ أي: أن الكوفيين قرءوا في الكهف [جَعَلَهُ دَكَّاءَ] الآية (٩٨)، و(وصلا) كقراءة حمزة والكسائي هنا فتكون قراءة الباقين في الموضعين بالتنوين من غير ألف ولا همز. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٤).

(٣) الحاقة، الآية (١٤).

(٤) انظر: مختار الصحاح، ص(٢٠٨).

(٥) انظر: الكشف، (١/٤٧٥،٤٧٦)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٣).

(٦) الفجر، الآية (٢١).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٥)، الكشف، (١/٤٧٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٣).

بعد أن أهلك الله سبحانه فرعون وقومه سأل موسى ربه الكتاب، فوعده ربه المناجاة إكراماً وتفضلاً فقال: [وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً] ولما أراد المضي إلى المناجاة، قال لأخيه هارون: [اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ] أي: كن خليفتي فيهم،و أصلح أمر بني إسرائيل؛ بحسن سياستهم، والرفق بهم، وتفقد أحوالهم، [وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ] أي: و لا تسلك سبيل العاصي، و لا تكن عوناً للظالمين.

ثم أنه سبحانه بين الفائدة التي لأجلها حضر موسى عليه السلام الميقات هي أنوه [وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ] أي: أسمعه كلامه من غير واسطة، [قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] أي: أرني نفسك أنظر إليك؛ أي: سأله النظر إليه اشتياقاً إلى رؤيته لما أسمعه كلامه، فـ[قَالَ لَنْ تَرَانِي] أي: في الدنيا و[لَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي] ضرب له مثلاً هو أقوى من بنيته وأثبت. أي: فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي. قال الشوكاني: « فهذا الكلام بمنزلة ضرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل». ثم قال: [فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا] تجلى: معناه ظهر، والمعنى: فلما ظهر ربه للجبل جعله دكاً؛ أي: جعله مدكوكاً مدقوقاً فصار تراباً[1]، هذا على قراءة من قرأ [دَكًّا] بالمصدر، وأما على قراءة [دَكَّاءَ]؛ فالمعنى: أن الجبل صار صغيراً كالرابية أو أرضاً مستوية.

وقوله: [وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا] أي: مغشياً عليه مأخوذاً من الصاعقة: والمعنى: أنه صار حاله لما غشي عليه كحال من يغشى عليه عند إصابة الصاعقة له، [فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ] أي: أنزهك تنزيهاً من أن أسأل شيئاً، لم تأذن لي به، وتبت إليك عن العود إلى مثل هذا السؤال، قال القرطبي: «وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون». قوله: [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ] بك قبل قومي الموجودين في هذا العصر المعرفين بعظمتك وجلالك[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: غريب القرآن، ص(٦٥)، تفسير المشكل، ص(١٧٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦/٥٠ . ٥٧)، فتح القدير، (٢/٢٤٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٧٨ . ٢٨٠)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٦٩ . ٢٧٠)، التفسير الكبير، (١٤/٢٢٧ . ٢٣٥).

رجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة [دَكًّا] بالتنوين، من غير مدٍّ و لا همز، قائلا: «والاختيار ترك المدّ؛ لما بيناه من العلة و لأن أكثر القراء عليه، ولما رواه أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ قرأ هذه الآية: ((فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا))[1] بالتنوين من غير مدٍّ»[2].

ويوافقه الطبري في الاختيار ويعلل ذلك بقوله: «لدلالة الخبر الذي رويناه عن النبي ρ على صحته، وذلك أنه روي عنه ρ أنه قال: (فساخ الجبل)[3] ولم يقل (فتفتت) و لا (تحول ترابا)، و لا شك أنه إذا ساخ فذهب، ظهر وجه الأرض، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام، وأما إذا دك بعضه، فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت و لا يسوخ»[4].

(٢٨/١٤٩) الاختلاف في [بِرِسَالَاتِي] من قوله عز وجل: [قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] الآية (١٤٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [بِرِسَالَاتِي]، فقرأ الحرميان: [بِرِسَالَتِي] واحدة، وقرأ الباقون: [بِرِسَالَاتِي] جماعة[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَجَمْعُ رِسَالاتِي حَمَتْهُ ذُكُورُهُ ... وَفِي الرُّشْدِ حَرِّكْ وَافْتَحِ الضَّمَّ شُلْشُلا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [بِرِسَالَاتِي] لغوياً في النص رقم (١٥/٥١)[7]. الحجة لمن وحَّد أن رسالة تجري مجرى المصدر، وتعمل عمله، وإن كانت الهاء فيها، فالمصدر موحّد أبداً، إذ يدل على القليل والكثير من جنسه، وأيضاً فإن بعده [وَبِكَلَامِي] وهو مصدر موحّد يراد به الكثرة، فجرت

---

(١) نص الحديث عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: ((فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال حماد هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى قال فساخ الجبل وخر موسى صعقا)) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، حديث رقم (٣٠٠٠).

(٢) الكشف، (٤٧٦/١).

(٣) انظر نص الحديث في الهامش رقم (٣) أعلاه.

(٤) تفسير الطبري، (٥٥/٦).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٣)، كتاب السبعة، ص(٢٩٣)، النشر، (٢٧٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٣٠).

(٦) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «رحمته» إلى ابي عمرو، وبحرف (الذال) من قوله: «ذكوره» إلى الكوفيين وابن عامر؛ وهم الذين قرءوا [بِرِسَالَاتِي]. انظر: المتن، ص (٥٥)، الوافي، ص (٢٧٥).

(٧) انظر ذلك في ص(   ).

الرسالة في توحيد لفظها على مثل توحيد الكلام، وأضاف ابن خالويه حجة أخرى قائلا: «الحجة لمن وحد أن الله تعالى إنما أرسله مرةً واحدة بكلام كثير»(١).

والحجة لمن جمع أنه طابق بين اللفظين لتكون [بِرِسَالَاتِي] مطابقة لـ[وَبِكَلَامِي]؛ وقال ابن أبي طالب: «حجة من جمع أنه لما كان موسى عليه السلام أرسل بضروب من الرسالات، فاختلفت أنواعها، فجمع المصدر، لاختلاف أنواعه، كما قال: [إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ](٢) والأصوات جمع صوت، وصوت مصدر، فجمع لاختلاف أجناس الأصوات، واختلاف المصوِّتين، ووحدّ في قوله: [لَصَوْتُ] لما أراد جنساً واحداً من الأصوات»(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما طلب موسى عليه السلام الرؤيا ومنعه الله منها، عدد عليه وجوه نعمه العظيمة التي له عليه، وأمره أن يشتغل بشكرها، كأنه قال له: إن كنت قد منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا، فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤيا، وانظر إلى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها، واشتغل بشكرها، فقال: [إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي] والاصطفاء: الاختيار والاجتباء: أي: اخترتك على الناس المعاصرين لك برسالتي إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم، و [وَبِكَلَامِي] والمراد بالتكليم هنا: التكليم، قال الشوكاني: «امتن الله عليه بهذين النوعين العظيمين من أنواع الإكرام، وهما الرسالة والتكليم من غير واسطة»، ثم أمره بأن يأخذ ما آتاه قائلاً: [فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ] أي: ما أعطاه من هذا الشرف الكريم، وأمره بأن يكون من الشاكرين على هذا العطاء العظيم والإكرام الجليل، وقال: [وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ] والاشتغال بشكرها؛ إنما يكون بالقيام بلوازمها علماً وعملا(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم(١٥/٥١)(٥).

(٢٩/١٥٠) الاختلاف في [الرُّشْدِ] من قوله عز وجل: [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ] الآية (١٤٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٥)، الكشف، (٤٧٦/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٣).

(٢) لقمان، الآية (١٩).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٥)، الكشف، (٤٧٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٥٧/٦)، فتح القدير، (٢٤٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٠/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٧٠/٣)، التفسير الكبير، (٢٣٦،٢٣٥/١٤).

(٥) انظر ذلك في ص(   ).

اختلفوا في التخفيف والتثقيل من قوله عز وجل: [الرُّشْدِ]، فقرأ الأخوان: [الرَّشَدِ] مثقلة بفتح الراء خفيفة، وقرأ الباقون: [الرُّشْدِ] بضم الراء خفيفة(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَجَمْعُ رِسَالاتِي حَمَتْهُ ذُكُورُهُ وَفِي الرُّشْدِ حَرِّكْ وَافْتَحِ الضَّمَّ شُلْشُلا (٢)

ثانياً: توجيه القراءات:

الرُّشْد والرَّشَد والرَّشاد: الصَّلاح؛ وهو نقيض الغيّ والضلال، وهو إصابة الحق، يقال: رَشَدَ الإنسان يَرْشُدُ رُشْداً، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَداً ورَشَاداً، فهو راشد ورَشِيد، وهو نقيض الضلال، إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وفي الحديث: (الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)(٣) والراشد: اسم فاعل من رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً(٤).

الوجه في قراءة [الرَّشَدِ] بفتح الراء والشين؛ أنه أراد به الدِّين، لأن قبله ذكر الغيّ، والدِّين ضد الغيّ، وقد اجمعوا على الفتح في قوله: [رَشَداً](٥) أي: ديناً، ومثله: [وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً](٦) أي: ديناً.

والوجه في قراءة [الرُّشْدِ] بضم الراء؛ أنه أراد به: الهدى الذي هو ضد الضلال، ودليله قوله تعالى: [قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ](٧) والغي هاهنا: الضَّلال(٨).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما ذكر سبحانه في الآية المتقدمة قوله: [وَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ] ذكر في هذه الآية ما يعاملهم به فقال: [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ] أي: سأمنعهم من كتابي. واختلف المفسرون في تفسير الآيات، قال ابن جريج(٩): «هي خلق السموات والأرض، وصرفهم

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٣)، كتاب السبعة، ص (٢٩٣)، النشر، (٢٧٢/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٠).

(٢) أشار الكسائي بحرف (الشين) من قوله: «شلشلا»، إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي ص(٢٧٥).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند الشاميين،(١٢٦/٤).

(٤) انظر: لسان العرب، (١٧٥/٣)، مختار الصحاح، ص (٢٤٤،٢٤٥)، المصباح المنير، (٢٢٧/١).

(٥) الجن، الآية (١٤).

(٦) الكهف، الآية (١٠).

(٧) البقرة، الآية (٢٥٦).

(٨) انظر: الكشف، (٤٧٧/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٦٦/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٤).

(٩) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد فقيه الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز في عصره، أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، قال الذهبي: «كان ثبتا، لكنه يدلس» توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: صفوة الصفوة، (١٢٢/٢).

عنها أن لا يعتبروا بها»، وقال: ابن عيينة[١] «الكتب المنزلة»، قال الشوكاني: «ولا مانع من حمل الآيات على جميع ذلك، جمل الصرف على جميع المعاني المذكورة» [يَتَكَبَّرُونَ]؛ أي: يرون أنهم أفضل الخلق، وهذا ظن باطل، فلهذا قال: [بِغَيْرِ الْحَقِّ] فلا يتبعون نبياً و لا يصغون إليه لتكبرهم.

وَ أَمَّا قوله: [وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا] معطوف على [يَتَكَبَّرُونَ] منتظم معه في حكم الصلة؛ والمعنى: سأصرف عن آياتي المتكبرين التاركين للإيمان بما يرونه من الآيات، ويدخل تحت كل آية الآيات المنزلة، والآيات التكوينية،و المعجزات؛ أي: لا يؤمنون بآية من الآيات كائنة ما كانت، وجملة [وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] معطوفة على قبلها وداخله في حكمها، وكذلك [وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] والمعنى: أنهم إذا وجدوا سبيلا من سبل الرشد تركوه وتجنبوه، وإن رأوا سبيلا من سبل الغي سلكوه واختاروه لأنفسهم.

ثم علل ذلك فقال: [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، أو الإشارة إلى التكبر وعدم الإيمان بالآيات، وتجنب سبيل الرشد، وسلوك سبيل الغي: [وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ] أي: كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين[٢].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلا: «هما لغتان في الصلاح والدين»،ثم يقول: «والمعنيان متقاربان؛ لأن الدين صلاح، والصلاح هو الدين»[٣]، وقال: ابن زنجلة: «هما لغتان مثل السُّقْم والسَّقَم والحُزْن والحزن»[٤].

ويوافقهما الطبري، قائلا: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أنهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قرأة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب بها»[٥].

بينما يفرق أبو علي الفارسي بينهما، ويستشهد بقول أبي عمرو قائلا: «حُكي أن أبا عمرو فرق بينهما، فقال: الرُّشْد: الصلاح، والرَّشَد: في الدين؛ كقوله تعالى: [مِنْهُمْ رُشْدًا][١] أي: صلاحاً، والرُّشْد

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي، كان حافظا ثقةً، واسع العلم، كبير القدر، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في التفسير، قال الشافعي: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز» توفي سنة (١٩٨هـ). انظر: صفوة الصفوة، (١٣٠/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦٢-٦٠/٦)، فتح القدير، (٢٤٥-٢٤٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٣/٧)، تفسير أبي السعود، (٢٧٢-٢٧١/٣)، التفسير الكبير، (٤٢/١٥).

(٣) الكشف، (٤٧٧/١).

(٤) الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٩٦-٢٩٥).

(٥) تفسير الطبري، (٦٢/٦).

الاستقامة في الدين؛ لقوله تعالى: [مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا](٢)» ثم يقول أبو علي مؤكداً على صحّة قول أبي عمرو: «ويدل على تقوية قول أبي عمرو في فصله بين (الرُّشْد) و(الرَّشَد)، وأنه ليس بلغتين؛ حد الأُجْم والأَجَم، ونحو ذلك؛ أن سيبويه قال: بعضهم يقول: البُخْل كالفُقْر، والبَخَل كالفَقْر، وبعضهم يقول البَخَل كالكَرَم، فلم يُحمل البُخْل والبَخَل على مثال الأُجْم والأَجَم، وكذلك (الرُّشْد) و(الرَّشَد)»(٣).

(١٥١/٣٠) الاختلاف في ﴿يَرْحَمْنَا﴾ ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ من قوله عز وجل: [وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] الآية (١٤٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَرْحَمْنَا وَيَغْفِرْ لَنَا]، فقرأ الأخوان: [تَرْحَمْنَا] بالتاء على الخطاب و[رَبَّنَا] بالنصب و[تَغْفِرْ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَرْحَمْنَا] بالياء [رَبُّنَا] بالرفع، و[يَغْفِرْ] بالياء أيضاً(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخَاطَبَ يَرْحَمْنا ويَغْفِرْ لنا شَذاً ... وفي رَبُّنا رفْعٌ لغيرِهِمَا انْجَلا(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الرَّحْمة: الرِّقَّة والتعطُّف، والمرحمة مثله، وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه. والرَّحمةُ: المغفرة.

ثانياً: لفظ (الرب) سبق توجيهه لغوياً في النص رقم (٣/٦٦)(٦).

ثالثاً: أصل الغَفْر: التغطية والستر، غفر الله ذنوبه؛ أي: سترها، والغَفْر: الغفران، ولقد غَفَرَه يَغْفِرُه غفراً؛ أي: ستره، وكل شيء سترته: فقد غَفَرْته، ومنه: غَفَر الله ذنوبه: أي: سترها، والغَفْر والمغْفِرة: التغطية على الذنوب والعفو عنها(٧).

وجه قول من قرأ: [تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا] بالتاء في الفعلين؛ على الخطاب لله عز وجل، وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء، وبنصب [رَبَّنَا] على النداء وهو أيضاً

---

(١) النساء، الآية (٦).

(٢) الكهف، الآية (٦٦).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٦٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٣)، كتاب السبعة، ص(٢٩٤.٢٩٣)، النشر (٢/٢٧٢)، الاتحاف، ص(٢٣٠).

(٥) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شذا» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص (٢٧٥).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(٧) انظر: لسان العرب، (٥/٢٥)، مختار الصحاح، ص(٤٧٧.٤٧٦)، المصباح المنير، (٢/٤٤٩).

أبلغ في الدعاء والخضوع، وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «إن في حرف أبي [قالوا ربنا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا]»(١).

والوجه في قوله: [لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا] بالياء في الفعلين على الخبر عن الغائب، وفيه معنى الإقرار بالعبودية وقرأوا [ربنا] بالرفع؛ لأنه الفاعل، وحجة أخرى: هي أنه لما تبين لهم الضلال بعبادتهم العجل قال بعضهم لبعض: [لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين]، فجرى الكلام على لفظ الخبر من بعضهم لبعض(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

حكى سبحانه في الآية السابقة ما كان من قوم موسى ‌u بعد ذهابه إلى ربه لمناجاته، فقال: [واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين](٣)، ثم قال سبحانه مبيناً حالهم بعد عود موسى عليه السلام من الميقات فقال: [ولما سقط في أيديهم] أي: ندموا وتحيروا بعد عود موسى عليه السلام من الميقات، يقال للنادم المتحير: قد سقط في يده. ثم قال تعالى: [ورأوا أنهم قد ضلوا] أي: قد تبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم، ثم بين تعالى أنهم عند ظهور هذا الدم وحصول العلم بأن الذي عملوه كان باطلا أظهروا الإنقطاع إلى الله تعالى فقالوا: [لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين] وفي هذا الكلام منهم ما يفيد الاستغاثة بالله والتضرع والابتهال في السؤال، قال أبو السعود: «وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية؛ إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم، وهو مبتدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم»، وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه، وندم على ما صدر منه، ورغب إلى ربه في إقالة عثرته(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب القراءة بالياء والرفع، قائلا: «ولولا أن الجماعة على الياء والرفع لاخترت القراءة بالياء والنصب؛ لما لها من صحة معناها في الاستكانة والتضرع»(٥).

ويوافقه الطبري، في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لأنه لم يتقدم ذلكما يوجب أن يكون موجَّهاً إلى الخطاب» ثم يقول: «والقراءة التي حكيت، على ما ذكرنا من قراءتها [قالوا لئن لم يرحمنا

---

(١) انظر: الكشف، (٤٧٧/١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٦).

(٢) انظر: الكشف، (٤٧٧/١)، كتاب معاني القراءات، ص(١٩٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٧).

(٣) الآية (١٤٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٦٣/٦-٦٤)، فتح القدير، (٢٤٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٥/٧-٢٨٦)، تفسير أبي السعود، (٢٧٣/٣-٢٧٤)، التفسير الكبير، (٧/١٥-٩).

(٥) الكشف، (٤٧٧/١).

غْفِرْ لَنَا] لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه»(١). وقال: القرطبي: «قراءة حمزة والكسائي أبلغ في الاستكانة والتضرع، فهي أولى»(٢).

(٣١/١٥٢) الاختلاف في [إِصْرَهُمْ] من قوله عز وجل: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] الآية (١٥٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التوحيد والجمع من قوله عز وجل: [إِصْرَهُمْ]، فقرأ ابن عامر: [آصَارَهُمْ] ممدودة الألف على الجمع، وقرأ الباقون: [إِصْرَهُمْ] بكسر الألف(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وميم ابن كم ضم معاً كفؤه د بة ... وآصار هم بالجمع والمد كللا(٤)

ثانياً: توجيه القراءات:

الإِصْر: العهد الثقيل، وهو أيضاً: الذنب، وجمعه آصار، لا يجاوز به أدنى العدد، وفي التنزيل: [وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي](٥) قال: أخذت عليه إصراً؛ أي: موثقاً من الله تعالى، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (... إِصْرَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُدْخِلَهُ)(٦)(٧).

الوجه في قراءة ابن عامر على الجمع؛ أنه لم يختلف في جمع (الأغلال)، وهي نسقٌ على (الإصر) وكذلك [آصَارَهُمْ]؛ لقوله: [وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ](٨) وقال أبو علي الفارسي:

(١) تفسير الطبري، (٦٤/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٦/٧).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٣)، كتاب السبعة، ص(٢٩٤)، النشر، (٢٧٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٣١.٢٣٠).

(٤) أشار الناظم إلى ابن عامر بحرف (الكاف) من قوله: (كللا) انظر: المتن، ص(٥٥)، الوافي، ص(٢٧٥).

(٥) آل عمران، الآية (٨١).

(٦) نص الحديث كما رواه أبو هريرة ﷺ (... بِالْمُؤْمِنِينَ ... إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ... أَنْ يُدْخِلَهُ وَيَكْتُبُ إِصْرَهُ ... النَّفَقَةِ ... غَفْلَةِ النَّاسِ عَوْرَاتِهِمْ فَهُوَ غُنْمٌ لِلْمُؤْمِنِ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ)، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند المكثرين، (٩٣/١).

(٧) انظر: لسان العرب، (٢٣.٢٢/٤)، مختار الصحاح، ص (١٨).

(٨) الأعراف، الآية (١٥٧).

«وجمع ابن عامر؛ كأنه أراد ضروباً من المآثم مختلفة، فجمع لاختلافها، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها، كما تجمع سائر الأجناس»[1].

والوجه في قراءة من قرأ بالتوحيد؛ أنه أراد ثقل ما أجترموه في الجاهلية، ودليله قوله ﷺ: (إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ)[2] وقال مكي: «اكتفوا بالواحد؛ لأنه مصدر، يدل على القليل والكثير من جنسه، مع إفراد لفظه، فهو بابه وأصله»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن من صفة من تُكتب له الرحمة في الدنيا والآخرة التقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بالآيات فقال: [فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ]، وضم إلى ذلك أن يكون من صفته إتباع [النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ]؛ وهو محمد ﷺ، فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل، وقد وصف سبحانه هذا النبي ﷺ في هذه الآية بصفات تسع؛ وهي:

الصفة الأولى: كونه رسولا؛ وقد اختص هذا اللفظ بحسب العرف بمن أرسله الله إلى الخلق لتبليغ التكاليف.

الصفة الثانية: كونه نبياً؛ وهو يدل على كونه رفيع القدر عند الله تعالى.

الصفة الثالثة: كونه (أمياً)، والأمي: إما نسبة إلى الأمة الأمية التي لا تكتب و لا تحسب: وهم العرب، أو نسبة إلى الأم؛ والمعنى: أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب و لا يقرأ المكتوب.

الصفة الرابعة: قوله: [الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ]؛ أي: يجدون نعته في التوراة والإنجيل؛ وهما مرجعهم في الدين، وهذا الكلام منه سبحانه مع موسى عليه السلام قبل نزول الإنجيل، فهو في باب الإخبار بما سيكون.

الصفة الخامسة: قوله: [يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ]؛ أي: بكل ما تعرفه القلوب و لا تنكره من الأشياء التي هي من مكارم الأخلاق.

الصفة السادسة: قوله: [وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ]؛ أي: ما تنكره القلوب و لا تعرفه، وهو ما كان من مساوي الأخلاق.

الصفة السابعة: قوله: [وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ]؛ أي: المستلذات، وقيل يحل لهم ما حرّم عليهم في الأشياء التي حرّمت بسبب ذنوبهم.

---

(1) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٧٤/٢).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، (١٩٩/٤).

(3) انظر: الحجة: ابن خالويه ص (١٦٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٩٨)، الكشف (٤٧٩/١).

الصفة الثامنة: قوله:]وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ[؛ أي: المستخبثات؛ كالحشرات والخنازير، قال القرطبي: «مذهب مالك أن الطيبات هي المحللات، ولذلك حلل المتقذرات؛ كالحيات والعقارب والخنافس وغيرها، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي من جهة الطعم؛ إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها؛ لأن عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير، بل يراها مختصه فيما حاله الشرع. ويرى الخبائث لفظاً عاماً في المحرمات بالشرع في المتقذرات، فيحرم العقارب والخنافس وما جرى هذا المجرى».

والصفة التاسعة: قوله:]وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ[؛ أي: ويضع عنهم التكاليف الشاقة الثقيلة(١) و الأغلال مستعارة للتكاليف الشاقة التي كانوا قد كلفوها؛ كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبُّع العروق من اللحم؛ وجعلها الله أغلالا؛ لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الغل يمنع عن الفعل(٢).

ولما وصف سبحانه محمداً ρ بهذه الصفات التسع، قال بعدين:]فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ[قال ابن عباس: «يعني من اليهود]وَعَزَّرُوهُ[» فيما جاء به من الشرائع]وَنَصَرُوهُ[أي: عظموه ووقروه(٣). قال صاحب الكشاف: «أصل التعزير: المنع، ومنه التعزير؛ وهو الضرب دون الحد؛ لأنه منع من معاودة القبيح» ثم قال سبحانه:]وَنَصَرُوهُ[؛ أي: قاموا بنصره على من يعاديه]وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ[؛ أي: اتبعوا القرآن الذي أنز ل عليه مع نبوته.

وبعد أن ذكر سبحانه هذه الصفات قال:]أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[أي: هؤ لاء المتصفين بهذه الأوصاف هم الفائزون بالخير والفلاح، لا غيرهم من الأمم، قال أبو السعود: «والإشارة إلى الموصفين بـ]أُولَئِكَ[من حيث اتصافهم بما فُصِّل من الصفات الفاضلة؛ للإشعار بعليتها للحكم، ومع ما فيه من معنى البعد؛ للإيذان بعلو درجتهم، وسمو طبقتهم في الفضل والشرف»(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر تفسير المشكل، ص(١٧٥).

(٢) قال الرازي: «وأعلم أن هذه الآية تدل على أن الأصل في المضار أن لا تكون مشروعة؛ لأن كل ما كان ضرراً كان إصراً وغلا، وظاهر هذا النص يقتضي عدم المشروعية، وهذا مثل قوله ρ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم (٢٣٣١)، ولقوله ρ: (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار، (٢٦٦/٥)، وهو أصل كبير في الشريعة» التفسير الكبير، (٢٥/١٥).

(٣) انظر: تفسير المشكل، ص(١٧٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٨٢/٦-٨٦)، فتح القدير، (٢٥٢/٢-٢٥٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٩٧/٧-٣٠١)، تفسير أبو السعود، (٢٧٩/٣-٣٠٠)، التفسير الكبير، (٢٢/١٥-٢٦).

رجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة بالتوحيد؛ ويقول معللا اختياره: «لأنهم قد أجمعوا على التوحيد في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾(1)، وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾(2)، كله بمعنى الجمع، ولكن إضافته إلى جمع تدل على أن المراد به الجمع؛ لأنه لكل واحد من المضاف إليهم طرف وسمع وا ٍصر»، ثم يقول: «فحسن التوحيد؛ لأن الجماعة عليه، و لأنه أخف وأكثر في الاستعمال»(3). وهو ما يراه أبو علي الفارسي أيضاً، ويقول: «والوجه الإفراد؛ كما أُفرد في غير هذا الموضع»(4).

(١٥٣/٣٢) الاختلاف في ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية (١٦١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾، فقرأ الكوفيون وابن كثير: ﴿نَغْفِرْ﴾ بالنون ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بالتاء مهموزة على الجمع، وقرأ أبو عمرو: ﴿نَغْفِرْ﴾ النون، ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ بغير همز و لا تاء فيها، وروى محبوب(5) عن أبي عمرو: ﴿تُغْفَرْ﴾ بالتاء ﴿خَطِيئَتُكُمْ﴾ بالهمز وضم التاء، وقرأ نافع: ﴿تُغْفَرْ﴾ مضمومة التاء ﴿خَطِيئَاتُكُمْ﴾ مرفوعة التاء على الجمع.

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

خطيئاتُكم وحِّدْه عنهُ ورفعُهُ ... كما ألفوا والغيرُ بالكسرِ عدَّلا.

ولكنْ خطَايا حَجَّ فيها ونوحِها ... وعذرٍ قفْ سوى حفصهم تلا(6)

ثانياً: توجيه القراءات:

أو لا: سبق توجيه قوله: ﴿نَغْفِرْ﴾ لغوياً في النص رقم (١٥١/٣٠)(7).

---

(١) البقرة، الآية (٧).

(٢) إبراهيم، الآية (٤٣).

(٣) الكشف، (٤٧٦/١.٤٧٧).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٧٤/٢).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٤)، كتاب السبعة، ص (٢٩٥ـ٢٩٦)، النشر، (٢٧٢/٢)، الإتحاف، ص (٢٣١.٢٣٢).

(٦) أشار الناظم بحرف (الكاف) و(الألف) من قوله: «كما ألفوا» إلى ابن عامر ونافع، والضمير في (عنه) يعود على ابن عامر في البيت قبله، وأشار بحرف (الحاء) من قوله: «حجّ» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص(٥٦)، الوافي، ص(٢٧٥ . ٢٧٦).

(٧) انظر ذلك في ص (   ).

ثانياً : الخَطِيئاتُ والخَطَاءُ : ضدّ الصواب، وقد أخْطَأَ وخَطِئَ وتَخَطَّأَ بمعنىً ، قال أبو عبيدة: «خَطِئَ وأخْطأ بمعنىً ، ومنه المثل: (مع الخَوَاطِئِ سَهْمٌ صائبٌ)(١) ولا أقلتك خطيئتك » والخِطْء: الذنب، وهو مصدر خَطِئ بالكسر، والاسم: الخَطيئة، ويجوز تشديدها، والجمع: الخَطَايا»(٢).

الوجه في قراءة نافع: [تُغْفَرْ] بالتاء المضمومة مع [خَطِيئَاتُكُمْ] على الجمع، وضم التاء على ما لم يسمّ فاعله؛ أن أول الآية: [إِذْ قِيلَ لَهُمْ] على ما لم يسمّ فاعله، فكذلك [تُغْفَرْ] على ما لم يسمّ فاعله، والتاء في قوله: [تُغْفَرْ] فعل جماعة تقدم. وقال ابن زنجلة: «آثر الجمع؛ لكثرة الخطايا، من القوم المضاف إلى الخطايا، والجمع المسلّم بالألف والتاء يقع للكثير والقليل»(٣).

ووجه قراءة ابن عامر: [تُغْفَرْ] بالتاء. أيضاً [خَطِيئَتُكُمْ] أن الواحدة تؤدي عن الجمع، قال تعالى: [لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ](٤)، وقال ابن أبي طالب: «فذلك أقوى في الدلالة على الجمع؛ لأن لكل واحد خطايا»(٥).

والوجه في قراءة أبو عمرو: [نَغْفِرْ] بالنون؛ أنه جعل الفعل اخباراً عن الله تعالى، واستدل بقوله: [وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ] ونصب قوله: [خَطَايَاكُمْ] بتعدّي الفعل إليها، ولم يبنْ للنصب فيها دليل؛ لأن آخرها ألفاً، والألف لا يقبل شياً من الحركات، وقال ابن أبي طالب: «آثر ذلك؛ لكثرة الخطايا منهم، و لأن الجمع المكسَّر أدلّ على الكثرة من الجمع المسلّم ومن الواحد، إذ لا يقع كثير في هذا»(٦).

والوجه في قراءة ابن كثير وأهل الكوفة: [نَغْفِرْ] بالنون و[خَطِيئَاتِكُمْ] بالتاء مهموزة على الجمع؛ لأنهم يقرؤون بالنون في [نَغْفِرْ] فعدّوا الفعل إلى [خَطِيئَاتِكُمْ] فهو منصوب، والتاء مكسورة في حال النصب؛ لأنها جمع مسلّم، فهو على الأصول(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) يضرب لمن يأتي منه الصواب فلتةً، وا نما دأبه أن يخطئ. موسوعة أمثال العرب، (٥/٤٠٨).

(٢) انظر: لسان العرب، (١/٦٦،٦٧)، مختار الصحاح، ص(١٨١).

(٣) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٨-٢٩٩)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٧٥).

(٤) الفتح، الآية (٢).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٩٩) الكشف، (١/٤٨٠).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٩)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٤٨٠).

(٧) انظر: الكشف، (١/٤٨٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٩٩).

هذه الآية من جملة ما يقصه الله تعالى على نبيه محمد ρ عن بني إسرائيل فقال: [إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ]، قال جمهور المفسرين: هي بيت المقدس، والمعنى: واذكر يا محمد، من خطأ فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على رأيهم، وعصيانهم نبيَّهم موسى υ، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: [اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ]، قوله: [وَكُلُوا مِنْهَا] أي: من المأكولات الموجودة فيها، [حَيْثُ شِئْتُمْ] أي: في أي مكان شئتم من أمكنتها، لا مانع لكم من الأكل فيه، قوله: [وَقُولُوا حِطَّةٌ] أي: وقولوا هذه الفعلة حطّة، تحطُّ ذنوبنا، وهي فعلة من الحط كالجلسة، قوله: [وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا] أي: باب القرية ويعرف اليوم بـ(باب الحطة)، أدخلوه متطامنين مخبتين أو ساجدين شكراً على إخراجكم في التيه، والسجود: الإنحناء، وقيل: التواضع والخضوع، قال الشوكاني: «واستدلوا على ذلك بأنه لو كان المراد السجود الحقيقي الذي هو وضع الجبهة على الأرض؛ لامتنع الدخول المأمور به؛ لأنه لا يمكن الدخول حال السجود الحقيقي». ثم وعدهم سبحانه بشيئين فقال: [نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ] بالمغفرة وبالزيادة بما يتفضل به عليهم من النعم. قال أبو السعود: «وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك؛ لأنه استئناف مترتب على تقدير سؤال نشاء من الإخبار بالغفران، كأنه قيل فما ذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد، وكذلك زيادة منهم، زيادة بيان»(1).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة [نَغْفِرْ] بالنون، و[خَطِيئَاتِكُمْ] بالتاء مهموزة على الجمع، وهي قراءة الكوفيين وابن كثير، ويعلل ذلك بقوله: «الاختيار [نَغْفِرْ] بالنون؛ لأن الجماعة على ذلك، وقوله: [خَطِيئَاتِكُمْ] بالتاء المكسورة مهموزة على الجمع، جمع سلامة، وذلك لأنا قد اخترنا النون في [نَغْفِرْ]»(2)، وهو رأي أبو علي الفارسي أيضاً، حيث يقول: «والنون أحسن، لقوله: [وَإِذْ قُلْنَا](3)، وفي الأعراف: [وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ]»، ثم يقول: «ومما يقوي قراءة من قرأ بالنون، ما بعده من قوله: [وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ]»(4).

(٣٣/١٥٤) الاختلاف في [تَعْقِلُونَ] من قوله عز وجل: [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] الآية (١٦٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/٩٠-٩١)، فتح القدير، (٨٩/١)، و(٢٥٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٩/٧-٣١٠)، تفسير أبي السعود، (٢٨٣/٣)، التفسير الكبير، (٣٤/١٥-٣٦).

(٢) الكشف، (٤٨٠/١).

(٣) البقرة، الآية (٥٨).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٧٥/٢-٢٧٦).

اختلفوا في الياء والتاء في قوله عز وجل: [تَعْقِلُونَ]، فقرأ نافع وابن عامر وحفص: [تَعْقِلُونَ] بالتاء، وقر الباقون: [يَعْقِلُونَ] بالياء[1].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [تَعْقِلُونَ] لغوياً في النص رقم (٦/٦٩)[2]. وجه من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، ووجه من قرأ بالياء اخباراً عنهم[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] المراد بهم أو لاد الذين قطعهم الله في الأرض وقال مكي: «أي: الرديء من الناس»[4]، والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ρ قوله: [وَرِثُوا الْكِتَابَ] قال المفسرون: هم اليهود، ورثوا كتاب الله فقرءوه وعلموه، وخالفوا حكمه، وأتوا محارمه مع دراستهم له، فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً، قوله: [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى] أخبر الله عنهم بأنهم يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا لشدة حرصهم وقوة نهمتهم, والأدنى: مأخوذ من الدنو، وهو القرب: أي: يأخذون عرض هذا الشيء الأدنى؛ وهو الدنيا يتعجلون مصالحها بالرشاء[5]، وما هو مجعول لهم في السحت[6] في مقابلة تحريفهم لكتاب الله، وتهوينهم للعمل بأحكام التوراة، وكتمهم لما يكتمونه منها، قوله: [وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا] وهم لا يتوبون، ودلّ على أنهم لا يتوبون قوله تعالى: [وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ] أي: يتعللون بالمغفرة، والحال أنهم إذا أتاهم عرض مثل العرض الذي كانوا يأخذونه أخذوه غير مبالين بالعقوبة و لا خائفين من التبعة، والعَرَض: متاع الدنيا، بفتح الراء وبإسكانها ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير، والإشارة في هذه الآية إلى الرشا والمكاسب الخبيثة، ثم ذمَّهم باغترارهم في قولهم: [سَيُغْفَرُ لَنَا] وأنهم بحال إذا أمكنتهم ثانية إرتكبوها، فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مصرون، وإنما يقول سيغفر لنا من أقلع وندم[7].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٤)، كتاب السبعة، ص(٢٩٤)، النشر، (٢٧٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٣٢.٢٣١).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٠١).

(٤) وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها. انظر: تفسير المشكل، ص (١٧٧.١٧٦).

(٥) الرَّشْو: فعل الرشوة. انظر: لسان العرب، (٣٢٢/١٤).

(٦) السُّحْتُ والسُّحُتُ: كل حرام قبيح الذكر. انظر: لسان العرب، (١٤١/٢).

(٧) قال القرطبي: «وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى به هؤلاء موجود فينا، فعن معاذ بن جبل قال: (سَيَبْلَى الْقُرْآنُ فِي صُدُورِ أَقْوَامٍ كَمَا يَبْلَى الثَّوْبُ فَيَتَهَافَتُ، يَقْرَءُونَهُ لاَ يَجِدُونَ لَهُ شَهْوَةً وَلاَ لَذَّةً، يَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ، أَعْمَالُهُمْ طَمَعٌ لاَ يُخَالِطُهُ خَوْفٌ، إِنْ قَصَّرُوا قَالُوا سَنَبْلُغُ، وَإِنْ أَسَاءُوا قَالُوا سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنَّا لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، (٤٣٩/٢)»، الجامع لأحكام القرآن، (٣١١/٧).

قوله: [وَأُخِذَ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ] أي: التوراة، قال القرطبي: «هذا تشديد في لزوم قول الحق في الشرع والأحكام، وألا يميل الحكام بالرشاء إلى الباطل. قوله: [أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ] الاستفهام للتقريع والتوبيخ، والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة، والدلالة على أنها افتراء على الله تعالى، وخروج عن ميثاق الكتاب، والحال أنهم قد [دَرَسُواْ مَا فِيهِ] وعلموه وهم قريبو عهد به، فكان الترك منهم عن علم لا عن جهل، وذلك أشد ذنباً وأعظم جرماً، ثم قال سبحانه: [وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ] أي: من ذلك العرض الذي أخذوه وآثروه عليها، فهي خير للذين يتقون الله ويجتنبون معاصيه، [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ] فتعلمون بهذا وتفهمونه، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما لا يقادر قدره[(١)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٦/٦٩)[(٢)].

(٣٤/١٥٥) الاختلاف في: [يُمَسِّكُونَ] من قوله عز وجل: [وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ] الآية (١٧٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التخفيف والتشديد من قوله عز وجل: [يُمَسِّكُونَ]، فقرأ شعبة: [يُمْسِكُونَ] بالتخفيف، وقرأ الباقون: [يُمَسِّكُونَ] بالتشديد[(٣)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَبِيسٍ اسكن بَيْنَ فَتْحَيْنِ صَادِقاً بِخُلْفٍ وَخَفِّفْ يُمْسِكُونَ صَفا وَلا[(٤)].

ثانياً: توجيه القراءات:

مَسَكَ بالشيء وأمْسَكَ به وتمسَّك وتَماسَك واستمسك ومسَّك؛ كلُّه بمعنى: أخذ به، وتعلَّق واعتصم، والمُسْكة: واستمساكك بالشيء[(٥)].

الوجه في قراءة شعبة: [يُمْسِكُونَ] بالتخفيف، من أمسك يمسك؛ لإجماعهم على قوله: فَإِمْسَاكٌ [بِمَعْرُوفٍ][(٦)]، وقوله: [أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ][(١)]، وقوله: [فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ][(٢)] فكله من أَمْسَكَ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/١٠٤-١٠٧)، فتح القدير، (٢/٢٦٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣١٠-٣١٣)، أبي السعود، (٣/٢٨٨)، التفسير الكبير، (١٥/٤٣-٤٤).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٤)، كتاب السبعة، ص(٢٩٧)، النشر، (٢/٢٧٣)، الإتحاف، ص(٢٣٢).

(٤) أشار الناظم بحرف (الصاد) من قوله: «صفا» إلى شعبة. انظر: المتن، ص(٥٦)، الوافي، ص(٢٧٦).

(٥) انظر: لسان العرب، (١٠/٤٨٧-٤٨٨)، مختار الصحاح، ص (٦٢٤)، المصباح المنير، (٢/٥٧٣).

(٦) البقرة، الآية (٢٢٩).

والوجه في قراءة من قرأ [يُمَسِّكُونَ] بالتشديد؛ أنه قال: إنما يقال: مسَّكت بالشيء، فإذا خففوا لم يدخلوا الباء، وقالوا: أمسكت الشيء ولا يُقال: أمسكت بالشيء، وأضاف ابن أبي طالب قائلا: «من قرأ بالتشديد؛ فعلى التكثير والتكرير للتمسّك بكتاب الله ودينه، فبذلك يُمدحون، وفيه معنى التأكيد، وهو من مسك الأمر؛ أي: الزمه، فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك»[٤].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ]؛ أي: بالتوراة، أي: بالعمل بها، والمعنى: أن طائفة من أهل الكتاب لا يتمسكون بالكتاب و لا يعملون بما فيه مع كونهم قد درسوه وعرفوه وهم من تقدّم ذكره، وطائفة يتمسكون بالكتاب؛ أي: التوراة ويعملون بما فيه ويرجعون إليه في أمر دينهم فهم المحسنون الذين لا يضيع أجرهم عند الله، [وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ] بحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها، قوله تعالى: [إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ] أي: لا نضيع أجر المصلحين منهم، قال الشوكاني: «وإنما وقع التنصيص على الصلاة مع كونها داخلة في سائر العبادات التي يفعلها المتمسكون بالتوراة؛ لأنها رأس العبادات وأعظمها، فكان ذلك وجهاً لتخصيصها بالذكر»[٥].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة التشديد قائلا: «فالتشديد أولى به وأحسن، وهو الاختيار، لما ذكرنا في المعنى، و لأن الجماعة عليه»[٦]، وهو ما يراه أبو علي الفارسي أيضاً، ويقول: «وقول الجمع [يُمَسِّكُونَ] أولى من الرواية التي انفرد بها من قال: [يُمْسِكُونَ] عن عاصم؛ وذلك أن التشديد هاهنا إذا أريد به الكثرة كان أولى من التخفيف، وقوله: [وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ][٧]، أي: لا تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فأنتم خلاف من قيل فيهم: [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ][٨]»[٩].

---

(١) الأحزاب، الآية (٣٧).

(٢) النساء، الآية (١٥).

(٣) انظر:الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٠١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٧)، الكشف، (١/٤٨٠).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٠١)، الكشف، (١/٤٨٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٦/١٠٨)، فتح القدير: (٢/٢٦١)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٨٨-٢٨٩)، التفسير الكبير، (١٥/٤٤).

(٦) الكشف، (١/٤٨٢).

(٧) آل عمران، الآية (١١٩).

(٨) النساء، الآية (١٥٠).

(٩) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٧٩).

ويوافقهما القرطبي قائلا: «والقراءة بالتشديد أولى؛ لأن فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى، وبدينه، فبذلك يُمدحون، فالتمسك بكتاب الله والدِّين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك، وقال كعب بن زهير[1]:

فما تَمسَّكُ بالعَهْدِ الذي زعمتْ إلاكما تُمسك الماءَ الغرابيل

فجاء به على طبع المذمّ بكثرة نقض العهد»[2]. وقال الواحدي: «والتشديد أقوى؛ لأن التشديد للكثرة، و ههنا أريد به الكثرة؛ لأنه يقال: أمسكته، وقلما يقال به: أمسكت به»[3].

(٣٥/١٥٦) الاختلاف في ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الآية (١٧٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ جماعة، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدة[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيَقْصُرُ ذُرِّيَّاتِ مَعْ فَتْحِ تَائِهِ وفي الطُّورِ فِي الثَّانِي ظَهِيرٌ تَحَمَّلا[5]

ثانياً: توجيه القراءات:

الذُّرِّيَّة: ولد الرجل، والذُّرِّيَّة منه؛ وهي نسل الثَّقلين، تركوا همزها، والجمع: الذَّراريّ بتشديد الياء، وقد أطلقت الذرِّيَّة على الآباء .أيضاً .مجازاً[6].

الوجه في قول من قرأ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالتوحيد؛ أنه جعله موحداً في اللفظ، مجموعاً في المعنى، ودليله قوله: ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾[7]، وقال أبو علي الفارسي: «من حجة من أفرد فلم يجمع، أن

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية لما ظهر الإسلام هجا النبي ρ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي ρ دمه، فجاءه كعب مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النبي ρ، وخلع عليه بردته، وله ديوان شعر،توفي سنة سنة (٢٦هـ). الأعلام، (٥/٢٢٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣١٣).

(٣) التفسير الكبير، (١٥/٤٤).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٤)، كتاب السبعة، ص(٢٩٧)، النشر، (٢/٢٧٣)، الإتحاف، ص(٢٣٢).

(٥) أشار الناظم بحرف (الظاء) من قوله: «ظهير»، إلى الكوفيين، وابن كثير، وهم الذين قرءوا: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هنا وفي الموضع الثاني في قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الطور الآية (٢١) بالجمع. انظر: المتن، ص(٥٦)، الوافي، ص(٢٧٦).

(٦) انظر: لسان العرب، (١/٨٠)، مختار الصحاح، ص(٢٢٠)، المصباح المنير، (١/٢٠٧).

(٧) النور، الآية (٣١).

الذرية وقع على الواحد والجميع بدلالة قوله: [يَهْدُونَنَا](1)، والواحد كقوله: [مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا](2) فكما لم يجمع [بَشَرًا] بتصحيح و لا تكسير، كذلك لا تجمع الذرية»(3).

والوجه في قراءة من قرأ بالجمع؛ أنه طابق بين الفعلين في قوله: [ظُهُورِهِمْ] وأضاف ابن زنجلة قائلا: «أن الذريات الأعقاب المتناسلة، وأنها إذا كانت كذلك كانت أكثر من الذرية، وأن أبو عمرو احتج في ذلك بقوله عز وجل: [هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ](4) أن الذرية ما كان في جحورهم، وأن الذريات ما تناسل بعدهم، وأحال أن تكون (ذريات) بعد قوله: [قُرَّةَ أَعْيُنٍ] وقال: لأن الإنسان لا تقر عينه بما كان بعده»(5).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه قصة موسى عليه السلام مع توابعها على أقصى الوجوه، ذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين، فقال: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ]؛ أي: وأذكر لهم ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر. قال أبو السعود: «وإيثار الأخذ على الإخراج؛ للإيذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن الإجتباء والاصطفاء».

[مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] بدل اشتمال من قوله: [بَنِي آدَمَ]، وألفاظ الآية تقتضي أن الأخذ إنما كان من بني آدم، وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظ، ووجه النظم على هذا: وإذ أخذ ربُّك من ظهور بني آدم ذريتهم. أما قوله: [وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ] أي: دلهم بخلقه على أنه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد، والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر، فعن ابن عباس عن النبي ρ: ((أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ يَعْنِي عَرَفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا قَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ))(6). وعلى ذلك يكون قوله: [ظُهُورِهِمْ] هو بدل من بني آدم بدل بعض من كل، قال الشوكاني: «فتكون هذه

---

(1) التغابن، الآية (6).

(2) يوسف، الآية (31).

(3) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(167)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/180)، الكشف، (1/483).

(4) الفرقان، الآية (47).

(5) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (301.302)، الكشف، (1/483)، الحجة: ابن خالويه، (167).

(6) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند بني هاشم، حديث رقم (2327).

الآية من باب التمثيل كما في قوله تعالى: [فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ](١)» وقال القرطبي: «هي بدل اشتمال من قوله: [مِنْ بَنِي آدَمَ]».

وقوله: [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ] أي: قائلا ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شئونكم، [قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا] أي: على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، وهذا تمثيل لخلقه تعالى إياهم جميعاً في مبدأ الفطرة مستعدين للإستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس المؤدية إلى التوحيد والإسلام كما ينطق به النبي ρ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)(٢). وقوله: [أَنْ تَقُولُوا] بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله ρ إلى معاصريه من اليهود؛ تشديداً في الإلزام، والمعنى: كراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا: أي: فعلنا ذلك الأخذ والإشهاد كراهة أن يقولوا: [يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] أي: عن كون الله ربنا وحده لا شريك له(٣).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الواحدي كلتا القراءتين؛ باعتبار أن الذرية تقع على الواحد والجمع، ويقول: «من أفرد فإنه قد استغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع، فصار كالبشر فإنه يقع على الواحد والجمع، وكما لم يجمع بشر بتصحيح و لا تكسير كذلك لا يجمع الذرية. ومن جمع قال: إن الذرية وإن كان واحداً فلا إشكال في جواز الجمع فيه، وإن كان جمعاً فجمعه أيضاً حسن؛ لأنك قد رأيت الجموع المكسرة قد جمعت بنحو الطرقات والجدران»(٤).

(٣٦/١٥٧) الاختلاف في: [أَنْ تَقُولُوا] و[أَوْ تَقُولُوا] من قوله عز وجل: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] الآية (١٧٢.١٧٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء في قوله عز وجل: [أَنْ تَقُولُوا] و[أَوْ تَقُولُوا]، فقرأ أبو عمرو وحده: [أَنْ يَقُولُوا] و[أَوْ يَقُولُوا] بالياء جميعاً، وقرأ الباقون: [أَنْ تَقُولُوا] و[أَوْ تَقُولُوا] جميعاً بالتاء(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) فصلت، الآية (١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولا المسلمين، (٢/٢٠٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٦/١١٠.١١٧)، فتح القدير، (٢/٢٦٢.٢٦٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣١٤.٣١٨)، تفسير أبي السعود، (٣/٢٨٩.٢٩٠)، التفسير الكبير، (١٥/٤٦.٥٤).

(٤) التفسير الكبير، (١٥/٥٢).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٤)، كتاب السبعة، ص(٢٩٨)، النشر، (٢/٢٧٣)، الإتحاف، ص(٢٣٣).

يَقُولُوا معاً غيبٌ حميدٌ وحيث يُلْحِدُون فتْح الضَّمِّ والكسْرِ فُصِّلا[1]

ثانياً: توجيه القراءات:

وجه قراءة أبي عمرو أن الذي تقدم من الكلام على الغيبة، وذلك قوله: [رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ] كراهة أن [يَقُولُوا] أو [يَقُولُوا]، ويؤكد ذلك ما جاء بعد الإخبار عن الغيبة، وهو قوله: [قَالُوا بَلَى] فذكَّر أبو عمرو، فذهب إلى أن الكلام أجري على لفظ ما تقدمه من الخبر عن الذرية؛ لأن الكلام ابتداؤه بالخبر عنهم، فما كان في سياقه فهو جارٍ على لفظه ومعناه، فكل هذا خبر عنهم[2].

ووجه قراءة من قرأ بالتاء؛ أنه قد جرى في الكلام خطاب في قوله: [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا] فجرى ما بعده على لفظه وسياقه[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا] معطوفاً على [تَقُولُوا] الأول؛ أي: فعلنا ذلك كراهية أن تعتذروا بالغفلة أو تنسبوا الشرك إلى آبائكم دونكم، و[أَوْ] لمنع الخلوّ دون الجمع، فقد يعتذرون بمجموع الأمرين [مِنْ قَبْلُ] أي: من قبل زماننا [وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ] لا نهتدي إلى الحق و لا نعرف الصواب، قوله: [أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] من آبائنا و لا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر واقتفائنا آثار سلفنا، قال الشوكاني: «بين الله سبحانه في هذه الحكمة التي لأجلها أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم، وأنه فعل ذلك بهم؛ لئلا يقولوا هذه المقالة يوم القيامة ويعتلوا بهذه العلة الباطلة، ويعتذروا بهذه المعذرة الساقطة»[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي كلتا القراءتين، قائلا: «وكلا الوجهين حسنٌ؛ لأن الغَيْب هم المخاطبون في المعنى»[5]. بينما يُرجح أبي طالب قراءة من قرأ بالتاء، ويقول: «ذلك لصحة معناه، و لأن الجماعة عليه»[6]، ويوافقه الطبري قائلا: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتا التأويل وإن اختلفت ألفاظهما؛ لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية، كما قال تعالى: [لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ][7]»[1].

---

(١) أشار الناظم بحرف الحاء من قوله: «حميد» إلى أبي عمرو، انظر: المتن، ص(٥٦)، الوافي، ص(٢٧٧).

(٢) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٨١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٠٢)، كتاب معاني القراءات، ص(١٩٣).

(٣) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي (٢/٢٨١)، الكشف، (١/٤٨٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٠٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٦/١١٧.١١٨)، فتح القدير، (٢/٢٦٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣١٨.٣١٩)، تفسير أبي السعود (٣/٢٩٠.٢٩١)، التفسير الكبير، (١٥/٥٢.٥٣).

(٥) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/١٨١).

(٦) الكشف، (١/٤٨٤).

(٧) آل عمران، الآية (١٨٧).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأة بالتاء، قائلا: «لصحة معناه، و لأن الجماعة عليه» ويوافقه الرازي ويعلل ذلك بقوله: «لأن الغائبين؛ هم المخاطبون في المعنى»(٢).

(٣٧/١٥٨) الاختلاف في [وَيَذَرُهُمْ] من قوله عز وجل: [مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] الآية (١٨٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون والرفع والجزم من قوله عز وجل: [وَيَذَرُهُمْ]، فقرأ الحرميان وابن عامر: [وَنَذَرُهُمْ] بالنون والرفع على الاستئناف، وقرأ أبو عمرو وعاصم: [وَيَذَرُهُمْ] بالياء والرفع على الاستئناف أيضاً، وقرأ الأخوان: [وَيَذَرْهُمْ] بالياء والجزم(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الكل والأعلى الكسائي وجزمهم ... يذرهم شفا والياء غصن تهدلا(٤)

ثانياً: توجيه القراءات:

الوجه في قراءة من قرأ: [وَنَذَرُهُمْ] بالنون والرفع على الاستئناف؛ لأن ليس قبله ما يرده بالواو عليه، قال مكي: «هو على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، وهو خروج من لفظ غيبة إلى لفظ إخبار، كما قال: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ](٥) ثم قال: [أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي]، ولو حمله على لفظ الغيبة قبله لقال: من رحمته»(٦).

والوجه من قراءة من قرأ: [وَيَذَرُهُمْ] بالياء وبالرفع؛ حملا على لفظ الغيبة قبله، وفي قوله: [مَنْ يُضْلِلِ]، فذلك حسن للمشاكلة، واتصال بعض الكلام ببعض، وقال أبو علي الفارسي: «ويجوز أن يكون أضمر المبتدأ فيكون [يَذَرُهُمْ] في موضع خبر المبتدأ المحذوف»(٧).

أما قراءة حمزة والكسائي: [وَيَذَرْهُمْ] بجزم الفعل، فوجهها فيما يقول سيبويه: «أنه عطف على موضع الفاء، وما بعدها من قوله: [فَلَا هَادِيَ لَهُ]؛ لأن موضع الفاء مع ما بعدها جزمٌ، حمل [وَيَذَرْهُمْ] على الموضع، والموضع جزم»(١).

---

(١) تفسير الطبري، (١١٨.١١٧/٦).

(٢) التفسير الكبير، (٥٢/١٥).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٥)، كتاب السبعة، ص (٢٩٩.٢٩٨)، النشر، (٢٧٣/٢)، الإتحاف، (٢٣٣).

(٤) أشار الناظم بحرف الشين من قوله: «شفا» إلى حمزة والكسائي، وبحرف (الغين) من قوله: «غصن» إلى الكوفيين وأبي عمرو، انظر: المتن، ص(٥٦)، الوافي، ص(٢٧٧).

(٥) العنكبوت، الآية (٢٣).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٧)، الكشف، (٤٨٥/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٣).

(٧) انظر: الكشف، (٤٨٥/١)، كتاب معاني القراءات، ص (١٩٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٨٢/٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

عاد سبحانه في هذه الآية مرة أخرى إلى نعت أحوال الضالين المكذبين فقال: [مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ] أي: أن هذه الغفلة منهم عن هذه الأمور الواضحة البينة ليس إلا لكونهم ممن أضله الله، ومن يضلله فلا هادي له؛ أي: فلا يوجد من يهديه إلى الحق وينزعه عن الضلالة البتة.

قال القرطبي: «وهذا ردٌّ على القدرية».

[وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] أي: أن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم، وتمردهم في شركهم، يترددون؛ ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب كلتا القراءتين، قائلا: «القراءتين في ذلك متقاربتان» ثم يقول: «والاختيار ما عليه أهل الحرمين من الرفع والنون»(٣).

(١٥٩/٣٨) الاختلاف في [شُرَكَاءَ] من قوله عز وجل: [فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] الآية (١٩٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضمِّ الشين والمدِّ، والقصر والكسر، في قوله عز وجل: [شُرَكَاءَ]، فقرأ نافع وشعبة: [شِرْكاً] بكسر الشين على المصدر لا على الجمع، وقرأ الباقون: [شُرَكَاءَ] بضم الشين والمد(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وحِرْكٍ بِضَمٍّ مُّكْسِرٍ وامْدُدْهُ هَامِزاً وَلاَ نُونَ شِرْكاً عَنْ شَذاً نَفَرٍ مِلاَ(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

الشِّرْك: أن يُجْعل لله شريكاً في رُبوبيته تعالى الله عن الشُّركاء والأنداد، والاسم: الشِّرْك، والجمع: شُركاء، وشُرَّاك، مثل شريف وشُرفاء وأشْراف، والمرأة شريكة والنساء شرائك(٦).

---

(١) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي (٢٨٢/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٣٥/٦)، فتح القدير، (٢٧٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٤/٧)، تفسير أبي السعود، (٣٠٠/٣)، التفسير الكبير، (٧٩/١٥).

(٣) الكشف، (٤٨٥/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٥)، كتاب السبعة، ص(٢٩٩)، النشر، (٢٧٣/٢)، الإتحاف، ص(٢٣٤).

(٥) أشار الناظم بحرف (العين) من كلمة (عن) إلى حفص، وبحرف (الشين) من كلمة (شذا) إلى حمزة والكسائي، وكلمة (نفر) إلى ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وبحرف (الميم) من كلمة (ملا) إلى ابن زكوان، وهم الذين قرأوا [شُرَكَاءَ] بضم الشين والمد، انظر: المتن، ص (٥٦)، الوافي، ص (٢٧٧).

(٦) انظر: لسان العرب، (٤٨٨/١٠ . ٤٤٩)، مختار الصحاح، ص (٣٣٦)، المصباح المنير، (٣١١/١).

وجه قول من قال: [شِرْكاً]؛ أنه جعله مصدراً، وقَدَّر حذف مضاف، تقديره: جعلا له ذا شرك، أو ذوي شرك، قال ابن زنجلة: «حجته أنها قراءة ابن عباس، وهي مع ذلك أبعد من الالتباس؛ لأنهما لم يجعلا له شركاء جماعة، وإنما سميا الولد: (عبد الحارث)، ولا يقال للحارث شركاء؛ لأنه واحد، وكأن المعنى: فلما أتاهما صالحاً، جعلا له نصيباً لم يخلصاه له بتسميتهما إياه عبد الحارث، والتفاسير على ذلك تدل، كان ابن جبير يقول: [شِرْكاً] في طاعته، ولم يكن في عبادته»(١).

ووجه قول من قال: [شُرَكَاءَ] على (فُعَلاء)، أن جعله جمع (شريك) فمنعه من الصرف؛ لأن الهمزة في آخره مُشاكلة لهمزة حمراء وما أشبهها، واضاف مكي حجة أخرى، قائلا: «إنما قرأ كذلك؛ لقيام المعنى: في الذم، دون تقرير حذف مضاف»، وقال ابن زنجلة: «حجتهم في ذلك أن آدم وحواء كانا يُدينان بأن ولدهما من رزق الله، وعطيته، ثم سمياه عبد الحارث، وجعلا لإبليس فيه شركاء بالاسم، ولو كانت القراءة [شِرْكاً] وجب أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شِرْكاً»(٢).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أنه خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام من غير أذى، ثم بين أنها لما حملت منه دعوا ربهما ومالك أمرهما: لئن آتينا ولداً صالحاً، لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة، ثم قال سبحانه: [فَلَمَّا آتَاهُمَا] ما طلباه من الولد الصالح وأجاب دعائهما [جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا] ورزقهما، وقد اختلف أهل التأويل في (الشركاء) التي جعلاها فيما أوتيا من مولود، قال الطبري: «وأولى الأقوال قول من قال: عنى بقوله: [فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ] في الاسم، لا في العبادة، وأن المعنيّ بذلك آدم وحواء عليهما السلام؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

ثم قال تعالى: [فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] أي: تنزه عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد(٣).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي كلتا القراءتين، قائلا: «وجه من قال: [شِرْكاً]؛ أنه حذف المضاف، كأنه أراد: جعلا له ذا شِرْك أو ذوي شِرْك، فإذا جعلا له ذوي شِرْك فيما آتاهما، كان من المعني، قوله: [جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ]» ثم يقول: «فالقراءتان على هذا تؤول إلى معنىً واحد،

---

(١) انظر: الكشف، (١/٤٨٦)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٨٣).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٨)، الكشف، (١/٤٨٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٢٠٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٦/١٤٤.١٤٨)، فتح القدير (٢/٢٧٤.٢٧٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣٣٧.٣٤١)، تفسير أبي السعود (٣/٣٠٤.٣٠٥)، التفسير الكبير، (١٥/٨٥.٩٠).

والضمير الذي [لَهُ] يعود إلى اسم الله، كأنه جعلا لله شركاء فيما أتاهم»(1)، وقال أبو منصور: «يكون الشِّرك بمعنى الشَّريك، والشركاء: جمع شريك، مثل: خليط وخُلطاء»(2).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة الجماعة، قائلا: «هو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه، و لأنك لا تحتاج إلى تقدير حذف من الكلام»(3)، وقال ابن زنجلة: «وفي نزول وحي الله جل وعز بقوله: [جَعَلَا لَهُ] ما يوضح أن الصحيح من القراءة [شُرَكَاءَ] بضم الشين على ما بيناه»، ثم يقول: «فإن قال قائل: فإن آدم وحواء إنما سميا ابنهما عبد الحارث، والحارث واحد، وقوله: [شُرَكَاءَ] جماعة؟، قيل: أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة؛ كقوله: [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ](4)»(5).

ويوافقهما الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لأن القراءة لو صحت بكسر الشين، لوجب أن يكون الكلام: فلما آتاهما صالحاً جعلا لغيره فيه شركا؛ لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ثم يجعلان لله فيه شركا؛ لتسميتهما إياه بـ(عبد الحارث)، وإنما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته، ثم سمياه (عبد الحارث) فجعلا لإبليس فيه شركاً بالاسم»، ثم يقول: «فلو كانت قراءة من قرأ: [شِرْكاً] صحيحة، وجب ما قلنا، أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شركاً، وفي نزول وحي الله بقوله: [جَعَلَا لَهُ] ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة [شُرَكَاءَ] بضم الشين»(6).

(**١٦٠/٣٩**) الاختلاف في [يَتَّبِعُوكُمْ] من قوله عز وجل: [وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ] الآية (١٩٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد التاء وتخفيفها من قوله عز وجل: [يَتَّبِعُوكُمْ]، فقرأ نافع: [لاَ يَتْبَعُوكُمْ] ساكنة التاء وبفتح الباء، وقرأ الباقون: [يَتَّبِعُوكُمْ](7).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

و لا يَتْبَعُوكُمْ خَفَّ مَعْ فَتْحِ بَائِهِ ... وَيَتْبَعُهُمْ فِي الظُّلَّةِ احْتَلَّ وَاعْتَلا(1)

---

(1) الحجة: أبو علي الفارسي (٢/٢٨٣).
(2) كتاب معاني القراءات، ص (١٩٥).
(3) الكشف، (١/٤٨٦).
(4) آل عمران، الآية (١٧٣).
(5) الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٤.٣٠٥).
(6) تفسير الطبري، (٦/١٤٧.١٤٨).
(7) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٥)، كتاب السبعة، ص (٢٩٩)، النشر، (٢/٢٧٣.٢٧٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتِبَاعاً في الأفعال وتَبِعْتُ الشيءَ تُبُوعاً: سِرْتُ في أثره، وتَبِعْتُ القومَ تَبَعاً وتَبَاعةً بالفتح؛ إذا مشيت خلفهم، أو مَرُّوا بك، فمضيت معهم، وفي الحديث: (الآخِرُ تَابِعٌ لِلأَوَّلِ)(٢)؛ والتَّبَع يكون واحداً وجمعاً، قال تعالى: [إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً](٣) وجمعه أتباع(٤).

وجه قول من قال: [لَا يَتْبَعُوكُمْ] ساكنة التاء مفتوحة الباء؛ أنه أراد به: لا يلحقوكم، ومنه قول العرب: أتْبعه؛ إذا سار في أثره، وتَبِعه؛ إذا لحقه(٥).

ووجه قول من قال: [لَا يَتَّبِعُوكُمْ] بالتشديد؛ أنه أراد به لا يسيرون على آثركم، و لا يركبون طريقتكم في دينكم، وحجته إجماع الجميع على قوله: [إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ](٦) بالتشديد، وقال مكي: «قال بعض أهل اللغة (أَتْبَعَه) مخففاً؛ إذا مضى خلفه، ولم يدركه. (واتَّبَعَه) مشدداً؛ إذا مضى خلفه فأدركه»(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية المتقدمة أن هذه الأصنام لا قدرة لها على أمر من الأمور فقال: [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ]، ثم بين في هذه الآية أنه لا علم لها بشيء من الأشياء، فقال: [وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ] وهو خطاب للمشركين؛ أي: وإن تدعوا هؤلاء الشركاء إلى الهدى والرشاد بأن تطلبوا منهم أن يهدوكم ويرشدوكم لا يتبعوكم و لا يجيبوكم إلى ذلك، وهو دون ما تطلبونه منهم من جلب النفع، ودفع الضر، والنصر على الأعداء.

---

(١) أشار الناظم بحرف (الألف) من (أعدلا) إلى نافع، وهو الذي قرأ بتخفيف التاء. انظر: المتن، ص (٥٦)، الوافي، ص (٢٧٧).

(٢) نص الحديث عن أسماء بنت يزيد قالت: (لَمَّا تُوُفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ الْمُعَزِّي إِمَّا أَبُو بَكْرٍ وَإِمَّا عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهُ حَقَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ) أخرجه ابن ماجة في كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت، حديث رقم (١٥٧٨).

(٣) إبراهيم، الآية (٢١).

(٤) انظر: لسان العرب، (٢٨،٢٧/٨)، مختار الصحاح، ص (٧٥،٧٤)، المصباح المنير، (٧٢/١).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٩)، الكشف (٤٨٦/١).

(٦) البقرة، الآية (١٤٣).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٩)، الحجة: ابن زنجلة ص (٣٠٠)، الكشف (٤٨٦/١).

ثم قوى هذا الكلام بقوله تعالى: [سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ] وهو استئناف مقرر لمضمون ما قبله، ومبين لكيفية عدم الاتباع؛ أي: دعاؤكم لهم عند الشدائد وعدمه سواء لا فرق بينهما؛ لأنهم لا ينفعون و لا يضرون و لا يسمعون و لا يجيبون[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن أبي طالب كلتا القراءتين، قائلا: «هما لغتان بمعنى ً ، حكى أبو زيد: رأيت القوم فأتبعتهم؛ إذا سبقوك، فأسرعت نحوهم، ومرّوا عليّ فأتبعتهم إتباعاً، إذا ذهبت معهم، ولم يستتبعوك، قال: وتبعتُهم أتبعهم تبعاً مثل ذلك»[2].

وقال أبو علي الفارسي معلقاً على قول أبي زيد: «معنى القراءتين على هذا واحد»[3] ويوافقهما أبو منصور قائلا: «هما لغتان تبعته وأتبعته بمعنى ً واحد»[4].

(١٦١/٤٠) الاختلاف في [طَائِفٌ] من قوله عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] الآية (٢٠١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل: [طَائِفٌ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: [طَيْفٌ] بغير ألف، وقرأ الباقون: [طَائِفٌ] بالألف وهمز[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وقُل طائفٌ طيفٌ رِضَى حَقّهُ ويا   يمدُّونَ فاضمُمْ واكسِرِ الضَّمَّ أعدَلا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

طَافَ به الخيال يطُوفُ طَوْفاً: أَلَمَّ به في النوم، وأصابه طَوْفٌ من الشيطان وطائفٌ وطَيِّفٌ وطيفٌ؛ أي: مَسٌّ، قال الفراء: «الطائف والطَّيف سواء، وهو ما كان؛ كالخيال والشيء يُلِمُّ بك»[7].

وجه قول من قال: [طَيْفٌ] بغير ألف: أنه جعله مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً؛ مثل: كال يكيل؛ إذا ألمَّ في المنام، وقال: ابن زنجلة: «من قرأ [طَيْفٌ] حجته قوله قبله: [نَزْغٌ فَإِذَا] ... ...

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٤٩/٦)، فتح القدير، (٢٧٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٢،٣٤١/٧)، تفسير أبي السعود، (٣٠٥/٣)، التفسير الكبير، (٩١/١٥).

(٢) الكشف، (٤٨٦/١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٨٤/٢).

(٤) كتاب معاني القراءات، ص(١٩٥).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٥)، كتاب السبعة، ص (٣٠١)، النشر، (٢٧٥/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٤).

(٦) أشار الناظم بحرف (الراء) من قوله: «رضى» إلى الكسائي، وبكلمة (حق) إلى ابن كثير و أبي عمرو. انظر: المتن، ص (٥٦)، الوافي، ص (٢٧٨).

(٧) انظر: لسان العرب (٢٢٦،٢٢٥/٩)، مختار الصحاح، ص (٤٠٣)، المصباح المنير، (٣٨١،٣٨٠/٢).

شدَّيْطَانِ نَزْغٌ]، ولم يقل (نازغ)، وَقَالَ:[إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ][1]، ولم يقل (الضار)» ثم يقول: «قوله: [طَيْفٌ] يحتمل أن يكون مصدر (طَافَ يَطِيفُ طيفاً) ، كما يقال: طَافَ الخيال يَطِيفُ طيفاً، ويحتمل أن يكون اسماً مثل: (الطائف) سواءً ، كما يقال: مَيْتٌ وميِّت، والذي يدل عليه قراءة ابن مسعود: [طَيِّفٌ] بالتشديد، مثل: (هَيِّنٌ وهَيْن) بالتشديد والتخفيف»[2].

والوجه في قراءة الجماعة: [طَائِفٌ] بالألف على فاعل؛ أنه جعله أيضاً مصدراً كالعافية والعاقبة[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن الرسول ρ قد ينزغه الشيطان، وبين أن علاج هذه الحالة الاستعاذة بالله، فقال تعالى:[وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]، ثم بين في هذه الآية حال المتقين، فقال:[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا] أي: أن شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما أمر الله به من الاستعاذة به والالتجاء إليه عند ما يمسهم طائف من الشيطان أي: لمم يلم به[4] وإن كان قليلا، وهذه الجملة استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به ρ من الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين، ثم قال سبحانه:[فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] بسبب التذكر؛ أي: منتبهون فيحترزون عن مواقع الخطأ، ومكايد الشيطان[5].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن خالويه القراءتين معاً، قائلا: «هما لغتان، طَافَ يَطُوفُ طَوْفاً وأَطَافَ مَطَافاً»[6]. ورجح مكي قراءة الجماعة، ويعلل ذلك بقوله: «لأن عليه أكثر القراء»[7]، ويوافقه الطبري قائلا: «أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: [طَائِفٌ]؛ لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب، والزلة تكون من المطيف به، وإذا كان ذلك معناه، كان معلوماً، إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل: طَافَ يَطِيف، أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان، وإنما يمسهم ما طَاف بهم من أسبابه، وذلك كالغضب والوسوسة، وإنما يطوف الشيطان بابن آدم

---

(1) الإسراء، الآية (٦٧).

(2) الكشف، (٤٨٧/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٥ . ٣٠٦).

(3) الكشف، (٤٨٧/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٨).

(4) انظر: تفسير المشكل، ص (٦٧٨)، غريب القرآن، ص (٦٨).

(5) انظر: تفسير الطبري، (١٥٥/٦.١٥٦)، فتح القدير، (٢٧٩/٢.٢٨٠)، الجامع القرآن، (٣٤٩/٧.٣٥٠)، تفسير أبي السعود، (٣٠٨/٣.٣٠٩)، التفسير الكبير، (٩٩/١٥ . ١٠٠).

(6) الحجة: ابن خالويه، ص (١٦٨).

(7) الكشف، (٤٨٧/١).

ليستزلّهم عن طاعته ربه، أو ليوسوس له، والوسوسة والأستزلال؛ هو الطائف من الشيطان»، ثم يقول: «أما (الطيف) فإنما هو الخيال»(١).

بينما يرجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ [طَيْفٌ] بغير ألف، قائلا: «الطيف أكثر؛ لأن المصدر على هذا الوجه، أكثر منه على وزن فاعل، فطيفٌ كالخطرة، والطائف كالخاطر، قال الأعشى: ألا يا لقومٍ لِطَيف الخيال أرّق مِن نازحٍ ذي دلالٍ (٢)»، ثم يقول: «وقال أبو الحسن: الطيف أكثر في كلام العرب»(٣).

(٤١/١٦٢) الاختلاف في [يَمُدُّونَهُمْ] من قوله عز وجل: [وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ] الآية (٢٠٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمها في قوله عز وجل: [يَمُدُّونَهُمْ]، فقرأ نافع وحده: [يُمِدُّونَهُمْ] بضم الياء وكسر الميم، وقرأ الباقون: [يَمُدُّونَهُمْ] بفتح الياء وضم الميم(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وقُل طائفٌ طَيْفٌ رِضًى حقُّهُ ويا يمدُّون فاضْمُمْ واكْسِرِ الضمَّ أعْدَلا (٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

مَدَّهُ: مأخوذ من باب ردَّ، والمادّة: الزِّيادة المتصلة، يُقال: مدَّ يَمُدُّ مدًّا: زاده، ومَدَّ غيره مدًّا: زيادة. ويُقال: مَدَّ الله عمره، ومدَّه في غيِّه؛ أي: أمهله وطوَّل له(٦).

وجه قول من قال: [يُمِدُّونَهُمْ] بضم الياء وكسر الميم؛ أنه جعله من (أمدَّ يُمِدُّ)، وهو من قولك: أمددتُ الجيش؛ إذا زدته بمدد، كما قال تعالى: [وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ](٧) فمعنى: [يُمِدُّونَهُمْ] يزيدونهم غياً، وكأنه قال: يُمِدُّونهم من الغي.

ووجه قول من قال: [يَمُدُّونَهُمْ] بفتح الياء، من (مَدَّ يَمُدُّ) إذا جرَّ، فيقول: [يَمُدُّونَهُمْ] يجرونهم في الغي، وقيل: [يَمُدُّونَهُمْ] أي: يتركونهم في الغي، تقول العرب: لأمدَّنَّك في باطلك؛ أي: لأتركنك فيه و لا أخرجك منه(١).

---

(١) تفسير الطبري، (١٥٦/٦).

(٢) ديوان الأعشى، ص (٢٧١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٨٨/٢).

(٤) كتاب التيسير، ص (١١٥)، كتاب السبعة، ص (٣٠١)، النشر، (٢٧٥/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٥).

(٥) أشار الناظم بحرف (الألف) من قوله: «أعدلا» إلى نافع. انظر: المتن، ص (٥٦)، الوافي، ص (٢٨٧).

(٦) انظر: لسان العرب، (٣٩٧.٣٩٦/١٣)، مختار الصحاح، ص (٦١٨)، المصباح المنير، (٥٦٦/٢).

(٧) الإسراء، الآية (٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله تعالى: [وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ] أي: وأخوان الشيطان، وهم المنهمكون في الغي، المعرضون عن وقاية أنفسهم في المضار، تمدهم الشياطين في الغي وتكون مدداً لهم في تزيين الباطل(٢)، والغي: الجهل(٣)، قال الشوكاني: «وسميت الفجار من الإنس أخوان الشياطين؛ لأنهم يقبلون منهم ويقتدون بهم»، وقال مكي: «أخوانهم؛ أي: شياطينهم؛ لأن لكل كافر شيطاناً يغريه بالشر»(٤).

قوله: [ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ]؛ أي: لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية، والاقصار: الإنتهاء عن الشيء(٥).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب مكي كلتا القراءتين، قائلا: «هما لغتان: مدّ وأمدّ»، ثم يقول: «ومدّ أكثر بغير ألف، يُقال: مددتَ في الشر، وأمددت في الخير، قال الله في الخير: [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ](٦) وقال: [وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ](٧) وقال في الشر: [وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ](٨)، فهذا يدل على قراءة الفتح في هذا الحرف، لأنه في الشر»، ثم يؤكد قائلا: «وفتح الياء الاختيار لما ذكرنا أن (مددت) أكثر، وأنه يستعمل في الشر، والغي هو الشر، ولأن الجماعة عليه»(٩). وقال أبو علي الفارسي: «قال أبو عبيدة: يُمدُّونهم؛ أي: يزينون لهم الغيّ والكفر، ويُقال: مدَّ له في غيّه: زيَّنه له وحسنه وتابعه عليه»، ثم يقول: «هكذا يتكلمون بهذا، فهذا مما يدل أن الوجه بفتح الياء، كما ذهب إليه الأكثر»(١٠).

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٦).

(٢) انظر: تفسير المشكل، ص (١٧٩)، غريب القرآن، ص (٦٩).

(٣) انظر

(٤) تفسير المشكل، ص (١٧٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٦/١٥٧ـ ١٥٨)، فتح القدير، (٢/٢٨٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣٤٩ـ٣٥٠)، تفسير أبي السعود، (٣/٣٠٨ـ٣٠٩)، التفسير الكبير، (١٥/١٠٠ـ١٠١).

(٦) المؤمنون، الآية (٥٥).

(٧) الطور، الآية (٢٢).

(٨) البقرة، الآية (١٥).

(٩) انظر: الكشف، (١/٤٨٧ـ٤٨٨).

(١٠) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٨٨ـ٢٨٩).

ويوافقهما الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لأن الذي يمد الشياطين إخوانهم من المشركين، إنما هو زيادة من جنس الممدود، وإذا كان الذي مدَّ من جنس الممدود، كان كلام العرب (مددت) لا (أمددت)»(١).

بينما يرجح أبو منصور قراءة نافع: [وَيُمِدُّهُمْ] بضم الياء، ويستشهد بقوله سبحانه: [ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ](٢)»، ثم يقول: «وأما الإمداد فأكثر ما يستعمل في الإمداد بالمال، كما قال: [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ](٣)، والإمداد يكون بحرف الصِّلة، كقوله: [وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ](٤)، ويقال: مَدَّ ماءَ النهرِ نهرٌ آخر يُمدّه»(٥).

---

(١) تفسير الطبري، (١٥٨/٦).

(٢) البقرة، الآية (١٥).

(٣) المؤمنون، الآية (٥٥).

(٤) نوح، الآية (١٢).

(٥) كتاب معاني القراءات، ص (١٩٦.١٩٧).

الفصل الخامس
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الأنفال

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأنفال مدنية بدرية، قال ابن عباس: «هي مدنية إلا سبع آيات من قوله تعالى: [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا][1]، آخر السبع آيات»[2].

نزلت بعد سورة البقرة، وترتيبها المصحفي الثامنة، وآياتها (٧٥) آية، وكلماتها (١٦٣١) كلمة[3]، وافتتح الله السورة بالحديث عن الأنفال؛ وهي الغنائم التي يغنمها المسلمون في جهادهم لإعلاء كلمة الله، وقد كان السبب المباشر لنزولها هو مُعالجة شئون حدثت بين المسلمين في غزوة بدر، منها كراهتهم للخروج إلى بدر حين دعاهم الرسول ρ إلى الخروج، وكراهتهم للقتال حين وصلوا إلى بدر، وتحتم عليهم أن يقاتلوا، وغيرها[4]، ويقول السيوطي: «أعلم أن وضع هذه السورة براءة هنا، ليس بتوقيف من الرسول ρ والصحابة، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان بن عفان رضي الله عنه»

عن ابن عباس قال: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي[5] وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ[6] فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ[7] مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ عِنْدَهُ يَقُولُ ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ وَبَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ فَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهًا بِقِصَّتِهَا فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا

---

(١) الأنفال، الآية (٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٩٠).

(٣) انظر: تفسير الجلالين، ص(٢٦٦)، تفسير ابن كثير، (٣/٢٦٤).

(٤) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٧١.١٧٥).

(٥) المثاني: إما أنها من الثناء، أو فيها الثناء والدعاء، أو لأنها تثني بغيرها. الإتقان، (١/١٩٠).

(٦) المئين: ما زادت آياتها على المائة أو قاربتها، وهي ما وليت الطوال. الإتقان، (١/٢٢٠).

(٧) عن ابن عباس قال: «السبع الطوال البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف، قال الراوي: ذكر السابعة فنسيتها»، وأورد السيوطي عن سعيد بن جبير: «أن السابعة يونس». انظر: كتاب الإتقان، (١/٢٢٠).

فمن ثمَّ قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما سطرًا بسم الله الرحمن الرحيم، قال ابن جعفر: ووضعتها في السبع الطوال)[1](2).

وجوه مناسبتها بسورة الأعراف:

مناسبتها لما قبلها أن الله ختم السورة السابقة بالأمر بذكره في جميع الحالات فقال: [وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ](3)، فذكر في مفتتح هذه السورة ما يحدثه ذكر الله عند المؤمنين من الآثار الحميدة: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ](4)، وفي هذه الآية إشارة إلى مناسبة أخرى، وهي ما يحدثه سماع القرآن المأمور به في الآية السابقة: [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ](5)، فهاتان مناسبتان واضحتان(6).

(١٦٣/١) الاختلاف في [مُرْدِفِينَ] من قوله عز وجل: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ] الآية (٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الدال وكسرها من قوله عز وجل: [مُرْدِفِينَ]، فقرأ نافع وحده: [مُرْدَفِينَ] بفتح الدال، وقرأ الباقون: [مُرْدِفِينَ] بكسر الدال(7).

وشاهد قول الشاطبي رحمه الله:

وفي مُرْدِفِينَ الدَّالَ يَفْتَحُ **نَافِعٌ** وَعَنْ **قُنْبُلٍ** يُرْوَى وَلَيْسَ مُعَوَّلا(8).

ثانياً: توجيه القراءات:

الرِّدف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً، فهو رِدْفه وإذا تتابع شيء خلف شيء؛ فهو الترادف، والجمع: الرُّدافى. قال لبيد:

عُذافِرَةٌ تَقَمَّصُ بالرُّدافى تَخَوَّنها نُزولي وارْتحالي.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، (٥٧/١).

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٣.١٠٤).

(٣) الأعراف، الآية (٢٠٥).

(٤) الأنفال، الآية (٢).

(٥) الأعراف، الآية (٢٠٤).

(٦) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٢.٣٣).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٦)، كتاب السبعة، ص(٣٠٤)، النشر، (٢٧٥/٢)، الإتحاف، ص(٢٣٦).

(٨) أشار الناظم أن لقنبل وجهان الأول الفتح كنافع، والثاني الكسر كبقية القراء، ولكن الوجه الأول لم يعتمد عليه ولم يصح من طريق الناظم وأصله فيجب الاقتصار لقنبل على وجه الكسر كالجماعة. انظر: المتن، ص(٢٨٧)، الوافي، ص(٢٧٨).

قال: جاء القوم رُدافى؛ أي: بعضهم يتبع بعضاً. وهذا أمْرٌ ليس له رِدْفٌ؛ أي: ليس له تبعةٌ(١).

الوجه في قراءة نافع [مُرْدَفِينَ] بفتح الدال مفعول بهم، أنه بناه على ما لم يسم فاعله؛ لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة؛ أي: أنزلوا إليهم لمعزتهم على الكفار، فـ [مُرْدَفِينَ] بفتح الدال نعت لـ [أَلْفٍ] (٢).

ومن قرأ [مُرْدِفِينَ] بكسر الدال؛ أنه بناه على ما يسمي فاعله، فجعله صفة لـ [أَلْفٍ] أي: بألف من الملائكة مردِفين لكم، يأتون لنصركم بعدكم. وأضاف أبو علي الفارسي حجة أخرى قائلا: «إن من قرأ بكسر الدال، يحتمل أن يكونوا مرفِين مثلهم، كما تقول العرب: أردفتُ زيداً دابتي، فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية، وحذف المفعول كثير»(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بيّن سبحانه في الآية السابقة أنه يحق الحق ويبطل الباطل بقوله: [وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ](٤)، ثم بين سبحانه في هذه الآية أنه نصرهم عند الاستغاثة فقال: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ] والاستغاثة: طلب الغَوْث والنَّصر، غَوَّث الرجال: قال: واغوثاه، والمعنى: أن المسلمين لما علموا أنه لابد من قتال الطائفة ذات الشوكة؛ وهم النفير، كما أمرهم الله بذلك وأراده منهم، ورأوا كثرة عدد النفير وقلة عددهم استغاثوا بالله سبحانه، وقد ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله قال: لما كان يوم بدر نظر رسول ρ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ρ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه... فأنزل الله: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ] فأمده الله بالملائكة، وذكر الحديث(٥).

قوله: [مُرْدِفِينَ] أي: بعضهم في إثر بعض(٦)، والمعنى: على قراءة نافع . بفتح الدال . أنه جعل بعضهم تابعاً لبعض، والمعنى: على قراءة الباقين، أنهم جعلوا بعضهم تابعاً لبعض(٧).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: لسان العرب، ص (٦/١١٤.١١٥)، مختار الصحاح، ص (٢٤٠)، المصباح المنير، (١/٢٢٤.٢٢٥).

(٢) انظر: الكشف، (١/٤٨٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٧)، كتاب معاني القراءات، ص (١٩٨).

(٣) انظر: الكشف، (١/٤٨٩)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٢٩١).

(٤) الآيتان (٨.٧).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وا إباحة الغنائم، (٥/١٥٦).

(٦) تفسير المشكل، ص (١٨٠).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٦/١٨٨.١٩١)، فتح القدير، (٢/٢٨٩.٢٩٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٣٧٠.٣٧١)، تفسير أبي السعود، (٤/٨.٧)، التفسير الكبير، (١٥/١٢٩.١٣١).

رجح مكي قراءة من قرأ [مُرْدِفِينَ] بكسر الدال، قائلا: «وكسر الدال أحب إليّ، لأنه قد يكون بمعنى الفتح، ولأن عليه أكثر القراء»[١]، ويوافقه الطبري في الإختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لإجماع أهل التأويل من أن المعنى: المراد هو: يتبع بعضهم بعضاً، ومتتابعين، ومسموعٌ من العرب: (جئت مُرْدِفاً لفلان)، أي: جئت بعده» ثم يقول معلقاً على القراءة الثانية: «وأما قول من قال: معنى ذلك: أن الله أردف المسلمين بهم، فقولٌ لا معنى له، أي: إذ الذكر الذي في [مُرْدِفِينَ] من الملائكة دون المؤمنين، وإنما معنى الكلام: أن يمدكم بألف من الملائكة يُرْدِف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل: [مُرْدَفِينَ] بمعنى مردَفٌ بعض الملائكة ببعض»، ثم يقول: «ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله، وجب أن يكون في [مُرْدِفِينَ] ذكر المسلمين ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن»[٢].

وقال النحاس: «وقراءة كسر الدال أولى؛ لأن أهل التأويل على هذه القراءة يفسرون؛ أي: أردف بعضهم بعضاً؛ ولأن فيها معنى الفتح على ما حكى ابو عبيد؛ ولأن عليه أكثر القراء»[٣].

(٢/١٦٤) الاختلاف في [يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ] من قوله عز وجل: [إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ] الآية (١١).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ]، فقرأ نافع: [يُغْشِيكُمُ] بضم الياء والتخفيف [النُّعَاسَ] بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [يَغْشَاكُمُ] بفتح الياء والتخفيف وبألف بعد الشين، [النُّعَاسُ] بالرفع، ، وقرأ الباقون: [يُغَشِّيكُمُ] بضم الياء وفتح الغين والشديد من غير ألف [النُّعَاسَ] بالنصب[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيُغْشِي سَمَا خِفًّا وَفِي ضَمِّهِ افْتَحُوا ... وَفِي الْكَسْرِ حَقًّا وَالنُّعَاسَ ارْفَعُوا وِلَا[٥].

ثانياً: توجيه القراءات:

أولا الغِشاء: الغطاء، يُقال: غَشَّيْتُ الشيَّء تغشيةً؛ إذا غطَّيته، وقد غَشَّى الله على بصره وأغْشَى، وغِشاءُ كلِّ شيء: ما تغشَّاه، كغشاء القلب والسَّرْج والرَّحْل والسَّيف، ونحوها[١].

---

(١) الكشف، (٤٨٦/١).

(٢) تفسير الطبري، (١٩١/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٣٧/٧).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٦)، كتاب السبعة، ص (٣٠٤)، النشر، (٢٧٦/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٦).

(٥) أشار الناظم بحرف (السين) من قوله: «سما» إلى ابن الحارث، وبكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبي عمرو. انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٨٧).

ثانياً: النُّعاس: النَّوْم، يقال: نَعَسَ يَنْعُسُ نُعَاساً، وهو نَاعِس ونَعْسانُ، ويقال: رجلٌ نَعْسان وامرأة نَعْسى، حملوا ذلك على وَسْنان ووَسْنى، والنُّعاس: الوَسَن، قال الأزهري: «وحقيقة النُّعاس السنة من غير نوم»، وقال: نَعَسَ نَعْسَة واحدة، وامرأة ناعِسة ونَعْسَى ونَعُوسٌ، وناقة نَعُوسٌ؛ أي: غزيرة تَنْعُس إذا حُلبت(٢).

الوجه في قراءة من قرأ [يُغَشِّيكُمُ] بضم الياء والتخفيف أو التشديد أنه أضاف الفعل إلى الله، لتقدم ذكره في قوله: [وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ]: فنصب [النُّعَاسَ] لتعدي الفعل إليه، وقوّى ذلك قوله: [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ] فأضاف الفعل إلى الله جل ذكره، وكذلك الإغشاء يُضاف إلى الله لتشاكل الكلام. وقال ابن زنجلة: «فكان الأولى بما قبله أن يكون خبراً عن الله، أنه هو الفاعل له، لينتظم الكلام على سياق واحد، وحجة التشديد قوله: [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى](٣)»(٤).

والوجه في قراءة من قرأ [يَغْشَاكُمُ] أنه أضاف الفعل إلى [النُّعَاسُ] فرفعه به، ودليله قوله: [أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى](٥)، فكما أسند الفعل إلى النعاس أو الأمنة؛ التي هي من النعاس كذلك على هذا: [إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ](٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه أنه استجاب دعاءهم، ووعدهم بالنصر، فقال: [وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] ذكر عقيبه وجوه النصر: وهي أنواع: فالأول قوله: [إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ] أي: يجعله غاشياً لكم ومحيطاً بكم، والأمَنة: الأَمْن والأَمان(٧)، والنُّعاس حالة الآمن الذي لا يخاف، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال في غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهمّ، ولكن الله ربط جأشهم. وعن علي τ قال: (ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غيرَ المقداد على فرسٍ أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ρ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح)(٨).

---

(١) انظر: لسان العرب، (١٢٦/١٥.١٢٧)، مختار الصحاح، ص (٤٧٥)، المصباح المنير، (٤٤٧/٢.٤٤٨).

(٢) انظر: لسان العرب، (٢٣٣/٦)، مختار الصحاح، ص (٦٦٧)، المصباح المنير، (٦١٣/٢).

(٣) النجم الآية (٥٤).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٩١/٢).

(٥) آل عمران، (١٥٤).

(٦) انظر: الكشف، (٤٨٩/١.٤٩٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٩١/٢)، كتاب معاني القراءات، ص (١٩٨.١٩٩).

(٧) انظر: تفسير المشكل، ص (١٨٠)، غريب القرآن، ص (٦٩).

(٨) لم أقف عليه.

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان: أحدهما: أن قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد، الثاني: أن أمَّنهم بزوال الرُّعب من قلوبهم، كما يُقال: الأمن مُنيم والخوف مُسْهِر. قال الجكني: «ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ألقى النعاس على المؤمنين؛ ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها؛ لأن الخائف الفزع لا يغشاه النعاس، وظاهر سياق هذه الآية أن هذا النعاس ألقي عليهم يوم بدر؛ لأن الكلام هنا في وقعة بدر، كما لا يخفى، وذكر في سورة آل عمران أن النعاس غشيهم أيضاً يوم أحد، وذلك في قوله تعالى: [مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً][1]»[2].

النوع الثاني: من أنواع النعم المذكورة في هذا الموضع قوله تعالى: [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ] ظاهر القرآن يدل على أن النعاس كان قبل المطر، وحكى الزجاج: أن الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه، وبقي المؤمنون لا ماء لهم، فوجست[3] نفوسهم، وعطشوا، وأجنبوا، وصلوا كذلك، فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم: نزعم أن أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء. فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية، فشربواوتطهروا وسقوا الظَّهر[4]، وتلبدت السبخة[5]، التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال، والذي في سيرة ابن إسحاق[6] أن المؤمنين هم الذين سبقوا إلى ماء بدر، وأنه منع قريشاً من السيق إلى الماء مطر عظيم، ولم يصب المسلمين منه إلا ما شدَّ لهم دهس الوادي وأعانهم على المسير.

قوله تعالى: [لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ] ليرفع عنكم الأحداث والجنابة، [وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ] أي: كيده ووسوسته لكم بما كان قد سبق إلى قلوبهم من الخواطر التي هي منه، من الخوف والفشل حتى كانت حالهم حال من يُساق إلى الموت، و[رِجْزَ الشَّيْطَانِ] بلغة قريش يعني تخويف الشيطان[7].

---

(١) آل عمران، الآية، (١٥٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٣٤٦/٢-٣٤٧).

(٣) الظهر: الإبل التي يحمل عليها ويركب. انظر: لسان العرب، (١٠٥/٤).

(٤) السبخة: أرض ذات ملح ونز، والمراد بها هنا الأرض التي تسوخ فيها الأرجل. لسان العرب، (١٠٧/٧).

(٥) وجست: وقع في نفوسهم الفزع. انظر: لسان العرب، (٢٥٣/٦).

(٦) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة له (السيرة النبوية)، هذبها ابن هشام، ومن أوفى حفاظ الحديث، توفي سنة (١٥١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٣٣/٧).

(٧) انظر: تفسير المشكل، ص (١٨٠)، كتاب اللغات في القرآن، ص (٢٦).

النوع الثالث: من أنواع النعم المذكورة في هذه الآية قوله تعالى: [وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ] أي: يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه. وقال الرازي: «والمراد أن بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم وزال الخوف والفزع عنهم».

النوع الرابع: من النعم المذكورة ههنا قوله تعالى: [وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ] فلا تسوخ في الرمل، فيكون الضمير في [بِهِ] راجع إلى الماء الذي أنزله الله: أي: يثبت بهذا الماء الذي أنزله عليكم عند الحاجة إليه أقدامكم في مواطن القتال، ويجوز أن يكون للربط، فإن القلب إذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي ومكي والواحدي قراءة من قرأ: [يُغْشِيكُمُ] و[يُغَشِّيكُمُ]، باعتبار أنهما لغتان بمعنى، وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ][2]، وقال [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى][3]، [كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً][4].

ثم يقول مكي: «والاختيار ضم الياء والتشديد، ونصب [النُّعَاسَ]؛ لأن بعده [أَمَنَةً مِنْهُ] فالهاء لله، وهو الذي يغشيهم النعاس، ولأن الأكثر عليه»[5]، ويوافقه الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لإجماع جميع القراء على قراءة قوله: [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً]، بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عز وجل، فكذلك الواجب أن يكون كذلك: [يُغَشِّيكُمْ]؛ إذ كان قوله: [وَيُنَزِّلُ]، عطفاً على (يغشي)، ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد»[6].

بينما يرجح القرطبي والشوكاني قراءة نافع: [يُغْشِيكُمْ] بضم الياء والتخفيف، ويقولان: «هي حسنة، لإضافة الفعل إلى الله عز وجل، لتقدم ذكره في قوله: [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ]؛ ولأن بعده: [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ] فأضاف الفعل إلى الله عز وجل، فكذلك الإغشاء يضاف إلى الله عز وجل ليتشاكل الكلام»[7].

(٣/١٦٥) الاختلاف في: [مُوهِنُ كَيْدِ] من قوله عز وجل: [ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ] الآية (١٨).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٩٢/٦.١٩٦)، فتح القدير، (٢٩٠/٢.٢٩١)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٧١/٧.٣٧٧)، تفسير أبي السعود، (٩/٤.١٠)، التفسير الكبير، (١٣١/١٥.١٣٤).

(٢) يس الآية، (٩).

(٣) النجم الاية، (٥٤).

(٤) يونس الآية، (٢٧).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٩١/٢)، الكشف، (٤٦٠/١)، التفسير الكبير، (١٣٢/١٥).

(٦) تفسير الطبري، (١٩٣/٦).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٧١/٧.١٧٢)، فتح القدير، (٢٩٠/٢.٢٩١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الواو وإسكانها، وتشديد الهاء وتخفيفها من قوله عز وجل: [مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ]، فقرأ الحرميان وأبو عمرو: [مُوَهِّنٌ] بالتشديد، [كَيْدَ] نصب، وقرأ أهل الكوفة وأهل الشام: [مُوهِنٌ] بإسكان الواو، وكلهم ينصبون [كَيْدَ] وينونون [مُوهِنٌ] إلا حفصاً فإنه أضاف فقرأ: [كَيْدِ][1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ومُوهِنُ بالتَّخفيفِ ذاعَ وفيهِ لمْ يُنَوَّنْ لِحَفْصٍ كَيْدَ بالخَفْضِ عَوَّلا[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

الوَهْنُ: الضَّعفُ في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه، وَهَنَ يَهِنُ وَهْناً، وَوَهِنَ بالكسر، يَهِنُ؛ أي: ضعُف، وَوَهَّنَه هو وأَوْهَنَه، ورجلٌ واهِنٌ في الأمر والعمل، وموهونٌ في العَظْم والبَدن، والأنثى واهِنةٌ، ووَهَّنَ ووَهُنَ. وفي حديث الطواف: (وقد وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ)[3]، أي: أضعفتهم، وفي حديث علي: (ولا واهِناً في عَزْم)[4]؛ أي: ضعيفاً في الرأي[5].

ثانياً: الكَيْدُ المكيدة: وهو الخُبْثُ والمَكْرُ والخديعة؛ يقال: كاده يكيده كَيْداً ومَكِيدةً، وكذلك المُكايدة، والكَيْدُ: الاحتيال والاجتهاد، وبه سمِّيت الحرب كيداً[6].

الوجه في قراءة من قرأ [مُوَهِّنٌ] بالتشديد [كَيْدَ]؛ أنه جعله اسم فاعل من (وهَّنت الشيء) مثل (أوهنته). وأضاف ابن زنجلة قائلا: «أن التشديد إنما وقع لتكرير الفعل، وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قولبهم، وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، فذلك فيه شيء بعد شيء، وحالٍ بعد حال في وقت بعد وقت، فكان الأولى بالفعل أن يُشدد للتردد هذه الأفعال، فكأنه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة، فوجب أن يقال: [مُوَهِّنٌ] لهذه العلة»[7].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٦)، كتاب السبعة، ص (٣٠٥،٣٠٤)، النشر، (٢٧٦/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٦).

(٢) أشار الناظم بحرف (الذال) في قوله: «ذاع» إلى الكوفيين وابن عامر، وأشار إلى حفص بحرف(العين) من قوله: «عولا». انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة وفي الطواف الأول من الحج، (٦٣/٤).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: لسان العرب، (٤٥٤،٤٥٣/١٣)، مختار الصحاح، ص (٧٣٨)، المصباح المنير، (٦٧٤/٢).

(٦) انظر: لسان العرب، (٣٨٣/٣)، مختار الصحاح، ص (٥٨٥)، المصباح المنير، (٥٤٥/٢).

(٧) انظر: الكشف، (٤٩٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٩).

والوجه في قراءة من قرأ [مُوهِنُ] بالتخفيف؛ أنه جعل اسم فاعل من (أوهن فلانٌ الشيء) إذا أضعفه، يقال: وهن الشيء وأوهنته، كـ(خرج) و(أخرجته)(١).

وحجة من أضاف أنه أراد التخفيف، فحذف التنوين وأضاف استخفافاً، على أصل اسم الفاعل، إذا أُريد به الحال أو الاستقبال، وقد جاء القرآن بالإضافة وبغير الإضافة، وقال الله جل ذكره [هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ](٢) وقوله: [وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً](٣)(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن النصر كان نتيجة لما يسره سبحانه من أسباب أوجبت لهم النصر، وهي إمداده لهم بالملائكة، وإيقاع الرعب في قلوبهم، فقال: [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى] وقد اختلف المفسرون في هذا الرمي على أقوال، والصحيح كما قال ابن اسحاق وغيره: «أن المراد بالرمي المذكور في هذه الآية، هو ما كان منه ρ في يوم بدر، فإنه أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين، فأصابت كل واحد منهم، ودخلت في عينيه ومنخريه وأنفه». ثم قال: [وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً](٥) البلاء ها هنا النعمة: والمعنى: ولينعم على المؤمنين إنعاماً جليلاً [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] لدعاءهم عليهم بأحوالهم، والإشارة بقوله: [ذَلِكُمْ] إلى البلاء الحسن، وهو في محل رفع أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: الغرض ذلكم، [وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ] أي: إن الغرض منه سبحانه بما وقع مما حكته الآيات السابقة إبتلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، قال الرازي: «توهين الله تعالى كيدهم، يكون بأشياء بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلغاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا بسبب اختلاف عزائمهم، وقال ابن عباس ينبئ رسول الله ρ ويقول: «أي: قد وهنت كيد عدوك حتى قتلت خيارهم وأسرت أشرافهم» والكيد: المكر(٦).

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: الكشف، (٤٩٠/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٢٩١/٢).

(٢) المائدة الآية، (٩٥).

(٣)الكهف، الآية (٢٣).

(٤) انظر: الكشف، (٤٩٠/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٠).

(٥) الآية (١٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (٢٠٥.٢٠٢/٦)، فتح القدير، (٢٩٥.٢٩٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٦.٣٨٤/٧)، تفسير أبي السعود، (١٤.١٣/٤)، التفسير الكبير، (١٤١.١٣٩/١٥).

صوب أبو منصور الأزهري كلتا القراءتين قائلاً: «[مُوهِنُ] و[مُوَهِّنٌ] بمعنى واحد» ثم يقول: «من نصب [كَيْدَ] فمفعول به، ومن خفضه فلأنه مضاف إليه، ويقال: وهَّنْتُ الشيء وأوهنْتُه؛ إذا فعلته واهناً ضعيفاً»(1).

وقال مكي: «(فعَّلت) و(أفْعلت) أخوان، إلا أن في التشديد معنى التكرير، فهو توهين بعد توهين»، ثم يقول: «والاختيار أن يُقرأ بالتشديد لما فيه من المبالغة، وأن يقرأ بالتنوين؛ لأن الأكثر عليه، ولأن الأصل عليه»(2)، وقال ابن خالويه: «التشديد أبلغ وأمدح»(3).

ويوافقهما الطبري قائلا: «والتشديد في ذلك أعجب إليَّ؛ لأن الله تعالى ذكره كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ρ وأصحابه عقْداً بعد عَقْد، وشيئاً بعد شيء»، ثم يقول: «وإن كان الآخر وجهاً صحيحاً»(4)، وهو بذلك كأنه يصوب كلتا القراءتين، وقال القرطبي: «وفي التشديد معنى المبالغة»(5).

(١٦٦/٤) الاختلاف في [أَنَّ] من قوله عز وجل: [إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] الآية (١٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وكسرها من قوله عز وجل: [أَنَّ]، فقرأ نافع وابن عامر وحفص: [أَنَّ] بفتح الألف، وقرأ الباقون: [إِنَّ] بكسر الألف(6).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبعدُ وإنَّ الفتْحَ عمَّ علاً وفيهما العُدْوة اكسِرْ حقّاً الضمَّ واعدِلا(7).

ثانياً: توجيه القراءات:

الوجه في قراءة من قرأ [أَنَّ] بفتح الألف، أنه ردَّه على ما قبله، وهو قوله: [وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ](8)، وقوله: [وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ](9) و[وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ]، ففتح على تقدير الكلام، و[أَنَّ اللَّهَ] في موقع نصب بحذف لام الجر فيها، والتقدير: لن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، ولأن

---

(1) كتاب معاني القراءات، ص (١٩٩).

(2) الكشف، (٤٩٠/١،٤٩١).

(3) الحجة: ابن زنجلة، ص (١٧٠).

(4) تفسير الطبري، (٢٠٥/٦).

(5) الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٦/٧).

(6) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٦)، كتاب السبعة، ص (٣٠٥)، النشر، (٢٧٦/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٦).

(7) أشار الناظم بكلمة (عم) إلى نافع وابن عامر، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص. انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٧٩).

(8) الآية (١٤).

(9) الآية (١٨).

الله مع المؤمنين، أي: ولأن الله مع المؤمنين لن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، فارتباط بعض الكلام ببعض حسن، وبالفتح يرتبط ذلك وينتظم[1].

ومن كسر فهو على الابتداء والاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصرة الله للمؤمنين؛ لأن [أَنَّ] إنما تكسر في الابتداء لتوكيد ما بعدها من الخبر، فقولك: إن زيداً منطلق، آكد في كونه وحدوثه، من قولك: زيدٌ منطلق؛ لأن [أَنَّ] المكسورة تصلح لجواب القسم، والقسم ويؤكد ما يأتي بعده من المقسم عليه، قال أبو علي الفارسي: «ويقوي ذلك أنهم زعموا أن في حرف عبد الله: [وَاللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] وهذا لا تكون فيه [أَنَّ] إلا مكسورة مستأنفة، إذ ليس قبلها حرف عطف، ينظمها مع ما قبلها»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ] الاستفتاح: طلب النصر، وقد اختلف في المخاطبين بالآية من هم على ثلاثة أقوال: الأول: قول مجاهد والحسن: «أنها خطاب للكفار؛ لأنهم استفتحوا فقالوا: اللهم اقطعنا للرحم، وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه، وكان هذا القول منهم وقت خروجهم لنصرة العير، أي: قد جاءكم الفتح ولكنه كان للمسلمين عليكم، أي: فقد جاءكم ما بان به الأمر، وانكشف لكم الحق. قوله: [وَإِنْ تَنْتَهُوا] أي: عن الكفر [فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ]. [وَإِنْ تَعُودُوا] أي: إلى هذا القول وقتال محمد [نَعُدْ] إلى نصر المؤمنين، [وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ] أي: عن جماعتكم [شَيْئًا]. [وَلَوْ كَثُرَتْ] أي: في العدد».

الثاني: يكون خطاباً للمؤمنين، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، [وَإِنْ تَنْتَهُوا] أي: عن مثل ما فعلتموه من أخذ الغنائم والأسرى قبل الإذن، [فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ]. [وَإِنْ تَعُودُوا] أي: إلى مثل ذلك نعد إلى توبيخكم كما قال: [لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ][3].

القول الثالث: أن يكون [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ] خطاباً للمؤمنين، وما بعده للكفار. أي: وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى مثل وقعة بدر.

وقد رجح الطبري القول الأول، وقال القشيري: «والصحيح أنه خطاب للكفار؛ فإنهم لما نَفَرُوا إلى نصرة العير تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أهدى الطائفتين وأفضل الدِّينين». وقال الرازي: «وأعلم أن أكثر المفسرين حملوا قوله: [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا] على أنه خطاب الكفار،

---

(1) انظر: الكشف،(491/1)، الحجة: أبو علي الفارسي، (292/2)، الحجة: ابن زنجلة، ص (310).

(2) انظر: الكشف، (491/1)، الحجة: ابن خالويه، ص (170)، كتاب معاني القراءات، ص (199)، الحجة: أبو علي الفارسي، (292/2).

(3) الأنفال، الآية (68).

واحتجوا بقوله تعالى: [وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا] فظنوا أن ذلك لا يليق إلا بالقتال، وقد بينا أن ذلك يحتمل الحمل على ما ذكرناه من أحوال المؤمنين، فسقط هذا الترجيح»(1).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب مكي كلتا القراءتين، ويقول بعد توجيه قراءة الفتح: «فارتباط بعض الكلام ببعض حسن، وبالفتح يرتبط ذلك ويتنظم»، ثم يقول معلقاً على القراءة الثانية: «ويقوي كسر [إِنَّ] في هذا أن قراءة ابن مسعود: [وَاللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ]، وهذا لا تكون فيه [إِنَّ] إلى مكسورة مستأنفة، إذ ليس فيها حرف عطف ينظمها مع ما قبلها»(2).

بينما يرجح الطبري قراءة الكسر، قائلا: «أولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر [إِنَّ] للابتداء، لتقضّي الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله: [مَعَ الْمُؤْمِنِينَ]»(3).

(5/167) الاختلاف في [صَلَاتُهُمْ] و[مُكَاءً وَتَصْدِيَةً] من قوله عز وجل: [وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] الآية (35).

أولا: أوجه القراءات:

اختلفوا في قوله: [صَلَاتُهُمْ] و[مُكَاءً وَتَصْدِيَةً] فقرأ شعبة: [صَلَاتَهُمْ] نصباً، [الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ] رفعاً جميعاً، وقرأ الباقون: [صَلَاتُهُمْ] رفعاً، [الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً] نصباً(4).

أولا: الصَّلاة: الركوع والسُّجود، والجمع: صلوات. والصَّلاة: الدُّعاء والاستغفار، والصَّلاة من الله تعالى: الرحمة.

قال عدي بن الرِّقاع(5):

صَلَّى الإلهُ على امْرِيءٍ وَدَّعْتُهُ وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عليه وزادَها.

وفي حديث ابن أبي أوفى(6) قال: كَانَ أَبِي إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى(7). قال الأزهري: «هذه الصلاة عندي الرحمة، ومنه

---

(1) انظر: تفسير الطبري، (6/205.208)، فتح القدير، (2/297)، الجامع لأحكام القرآن، (7/386.387)، تفسير أبي السعود، (4/14)، التفسير الكبير، (15/142.143). أضواء البيان، (2/347.348).

(2) الكشف، (1/491).

(3) تفسير الطبري، (6/208).

(4) كتاب السبعة، ص (305.306).

(5) عدي بن الرقاع بن الحمار النصراني، من فحول الشعراء، وقال الذهبي: «أظنه مات في الفترة» وهذه الكلمة السائرة له: أيُها الشَّامِتُ المُعَيِّر بالدَّهْر أَأَنْتَ المُبَرَّأ الموفُورُ. انظر: سير أعلام النبلاء، (5/110.111).

(6) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك، ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله ρ، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب رسول الله ρ، توفي سنة (87هـ). انظر: الاستيعاب، (3/87).

(7) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، وقوله: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ....] التوبة(103)، (2/256).

قوله عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا][1]، فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سُميت الصلاة؛ لما فيها من الدعاء والاستغفار»[2].

ثانياً: المُكَاء: مخفف[3]: الصَّفير، يقال: مَكَا الإنسان يَمْكُو مَكْواً ومُكَاءً: وهو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها في فيه ثم يُصفِّر فيها، وبابه (عدا)[4].

ثالثاً: التَّصْدِيَة: ضربك يداً على يدٍ لتُسمِع ذلك إنساناً، ومنه: [تَصْدِيَةً]، يقال: صَدَّى الرَّجل؛ أي: صفَّق بيديه[5].

الوجه في قراءة من قرأ بالرفع في قوله: [صَلَاتُهُمْ]؛ لأنه معرفة، والمعرفة أولى بأن يكون المحدَّث عنها من النكرة؛ لأن النكرة شائعة غير مختصة، فتلتبس، و لا تختص لما فيها من الشِّياع، فكرهوا أن يقربوا باب لَبْسٍ. وقال أبو منصور: «من قرأ [صَلَاتُهُمْ] رفعاً، [مُكَاءً] نصباً، أنه جعل [صَلَاتُهُمْ] اسم (كان)، و[مُكَاءً] الخبر».

الوجه الثاني في قراءة من قرأ [صَلَاتَهُمْ] نصباً، و[مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ] رفعاً؛ لأنهم نصبوه على أنه خبر (كان)، والاسم مؤخَّر، وهو قوله: [مُكَاءٌ][6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن قال سبحانه في حق الكفار: أنهم ما كانوا أولياء البيت الحرام، وقال: [إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ][7]، بين بعده ما به خرجوا من أن يكونوا أولياء البيت؛ وهو أن صلاتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم إنما كان بالمكاء والتصدية، فقال: [وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً]، والمُكاء: التَّصفير، والتَّصدية: التصفيق بلغة قريش[8]، قال ابن عباس: «كانت قريش تطوف بالبيت عُراة، يُصفقون ويُصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم، قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة». وذلك حتى لا يسمع الناس القرآن من النبي ρ، قال الجكني: «ويدل لهذا قوله تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ][9]»[1]. قوله

---

(1) الأحزاب، الآية (٥٦).

(2) انظر: لسان العرب، (٤٦٤/١٤-٤٦٦)، مختار الصحاح، ص (٣٦٨)، المصباح المنير، (٣٤٦/١).

(3) لأن المُكَّاء بالضم والتشديد والمد؛ طائر، والجمع (المَكاكيّ). مختار الصحاح، ص (٦٣١)

(4) انظر: لسان العرب، (٢٨٩/١٥)، مختار الصحاح، ص (٣٦١).

(5) انظر: لسان العرب، (٤٥٤/١٤-٤٥٥)، مختار الصحاح، ص (٣٦٠).

(6) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٠/٢-٣٠٢)، كتاب معاني القراءات، ص (١٩٩).

(7) قال الجكني: «صرح تعالى في هذا الآية الكريمة بنفي ولاية الكفار على المسجد الحرام، وأثبتها لخصوص المتقين، وأوضح هذا المعنى في قوله تعالى: [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ] التوبة (١٧)». انظر: أضواء البيان، (٣٥١/٢).

(8) انظر: كتاب اللغات في القرآن، ص (٢٦)، غريب القرآن، ص (٧٠)، تفسير المشكل، ص (٨).

(9) فصلت، الآية (٢٦).

فَذُوقُوا الْعَذَابَ [بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ] هذا إلتفات إلى مخاطبة الكفار، تهديداً لهم ومبالغة في إدخال الروعة في قلوبهم، والمراد به: عذاب الدنيا؛ كيوم بدر وعذاب الآخرة[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

ساق أبو منصور قول الأعمش[3] في تضعيفه لقراءة عاصم فقال: «قال الثوري[4]: «قال لي الأعمش لما أعلمته قراءة عاصم: «إن عاصم تَلْحَنُ أنت؟»»، ثم يقول أبو منصور معقباً على قول الأعمش: «ليس بلحن، وكان عاصم فصيحاً، وكان كثيراً يقرأ الحرف على وجهين، ولا يقرأ إلا بما سمع، ووجهه في العربية صحيح»[5].

وقال ابن خالويه: «الوجه في العربية إذا إجتمع في اسم كان وخبرها معرفة ونكرة: أن تُرفع المعرفة، وتُنصب النكرة؛ لأن المعرفة أولى بالاسم، والنكرة أولى بالفعل؛ لأن الفعل قد يقع خبراً، ويمتنع أن يكون مبتدأ، والوجه الآخر: يجوز في العربية إتساعاً على بُعد أو لضرورة شاعر، قال حسان: كأنَّ سَبيئةً من بيت رَأْسٍ يكونُ مزاجَها عَسلٌ وماءُ»[6].

(٦/١٦٨) الاختلاف في [لِيَمِيزَ] من قوله عز وجل: [لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] الآية (٣٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله عز وجل: [لِيَمِيزَ]، فقرأ الأخوان: [لِيُمَيِّزَ] بضم الياء والتشديد، وقرأ الباقون: [لِيَمِيزَ] بفتح الياء والتخفيف[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يميزَ مَعَ الأنفالِ فاكسر سُكونَهُ وَشَدِّدْهُ بَعدَ الفتْحِ والضَّمِّ شُلْشُلا[8].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن، (٢/٣٥١).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٦/٢٣٨،٢٤١)، فتح القدير، (٢/٣٠٥،٣٠٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/٤٠٠،٤٠١)، تفسير أبي السعود، (٤/٢٠)، التفسير الكبير، (١٥/١٥٩،١٦٠).

(٣)سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، وشيخ المقرئين والمحدثين، رأى أنس بن مالك وحدث عنه، يلقب بالأعمش، تابعي مشهور، توفي سنة (١٤٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٦/٢٢٦،٢٢٨).

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديد، له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) وكلاهما في الحديث، كان آية في الحفظ، توفي سنة (١٦١هـ). انظر: الأعلام، (٣/١٠٤،١٠٥).

(٥) انظر: كتاب معاني القراءات، ص (١٩٩،٢٠٠).

(٦) الحجة: ابن خالويه، ص (١٧١).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٦)، كتاب السبعة، ص (٣٠٦)، النشر، (٢/٢٤٤)، الإتحاف، ص (٢٣٧).

(٨) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شلشلا» إلى حمزة والكسائي، وقد قرأ كذلك في آل عمران: [حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ] الآية (١٧٩). انظر: المتن، ص (٤٦)، الوافي، ص (٢٤٠،٢٤١).

ثانياً: توجيه القراءات:

المَيْزُ: التمييز بين الأشياء، مِزْتُ بعضه من بعض فأنا أَمِيزه مَيْزاً؛ أي: عزلته وفرزته، وكذلك مَيَّزْتُه تمييزاً فانْمازَ، وفي الحديث: (لا تَهْلِكُ أُمَّتِي حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمُ التَّمَايُلُ والتمَّايز)[١]. أي: يتحزبون أحزاباً، ويتميز بعضهم من بعض، ويقع التنازع[٢].

الوجه في قراءة من قرأ [يُمَيِّزَ] بضم الياء والتشديد، أنه أخذه من ميَّز يُميِّز. وقال أبو علي الفارسي: «أنه قد جاء في التنزيل: [تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ][٣]، فقوله: [تَمَيَّزُ] دليلٌ على شدة القوة، ولأن التميّز؛ يفصل بعض الأشياء من بعض، وذلك إنما يكون بكثرة التقلب والتزعزع».. ويضيف ابن زنجلة قائلا: «حجة التشديد؛ أن العرب للمشدد أكثر استعمالا، وذلك أنهم وضعوا مصدر هذا الفعل على معنى التشديد، فقالوا فيه: (التمييز)، ولم يقولوا (الميْز)، فدل استعمالهم المصدر على بينة التشديد»[٤].

والوجه في قراءة من قرأ [لِيَمِيزَ] بفتح الياء والتخفيف، أنه أخذه من ماز يميز، قال تعالى: [وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ][٥]، أي: تميزوا من المؤمنين، فإنكم وقود النار، والمؤمنون للجنة، وقال ابن زنجلة: «والتشديد أنما يدخل في الكلام للتكثير، قال أبو عمرو؛ «ولا يكون [يُمَيِّزَ] بالتشديد إلا كثيراً من كثير، فأما واحد من واحد، فـ[يُمَيِّز] على معنى يعزل»»[٦].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن شرح سبحانه في الآيات السابقة أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية، أتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية، فقال: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ]، والمعنى: أن غرض هؤلاء الكفار في إنفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك، وإنفاق أموالهم عليها، وذلك كما وقع من كفار قريش يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، فأن الرؤساء كانوا ينفقون أموالهم على الجيش، ثم أخبر سبحانه عن الغيب على وجه الإعجاز، فقال: [فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً] أي: أن عاقبة ذلك الإنفاق أن يكون حسرة عليهم، [ثُمَّ يُغْلَبُونَ] أي: في الأخير، ثم قال: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ] أي: استمروا على الكفر؛ لأن من هؤلاء الكفار المذكورين سابقاً من أسلم وحسن إسلامه: أي: يساقون إليها لا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: لسان العرب، (٤١٤.٤١٣/٥)، مختار الصحاح، ص (٦٤١)، المصباح المنير، (٥٨٧/٢).

(٣) الملك، الآيتان، (٨.٧).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١١٨)، الحجة: ابو علي الفارسي، (٣٠٤/٢). الحجة: ابن زنجلة، ص (١٨٣).

(٥) يس الآية، (٥٩).

(٦) الحجة: ابن خالويه، ص (١١٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص (١٨٣.١٨٢).

إلى غيرها، ثم بين العلة التي لأجلها فعل بهم ما فعله فقال: [لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ] أي: الفريق الكافر من المؤمن، أو الفساد من الصلاح، ثم قال: [وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ] أي: يجعل فريق الكفار الخبيث بعضه على بعض، [فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا] من الرُكام، أي: يجمع بعضهم إلى بعض، ويضم بعضهم إلى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم(١). والإشارة بقوله: [أُولَئِكَ] إلى الفريق الخبيث [هُمُ الْخَاسِرُونَ] أي: الكاملون في الخسران(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو علي الفارسي كلتا القراءتين، قائلا: «كلتا القراءتين حسنة؛ لأن (ماز) فعل متعدٍ إلى مفعول واحدٍ، كما أن (ميَّز) كذلك». ثم يقول: «ولقولهم (ماز) من المزية أن أكثر القراء عليها، وكثرة القراءة بها يدل على أنها أكثر في استعمالهم»(٣).

ويقول مكي: «هما لغتان، يقال: ماز يميز، مثل كال يكيل، وميَّز يميِّز، مثل قتَّل يقتِّل»، ثم يقول: «وفي التشديد معنى التكثير، يقال: ميَّزت الطعام فتميَّز، وليس التشديد في هذا لتعدي الفعل كـ(كرم وكرمت)؛ لأنه لم يتعد بالتشديد؛ ولأنك تقول: مِزْت المتاع، وميَّزت المتاع، فلا يحدث التشديد تعدياً لم يكن في التخفيف»، ثم يقول مرجحاً قراءة التخفيف: «فالقراءة بمعنى التخفيف أحب إليَّ؛ لأن الجماعة عليه»(٤).

(٧/١٦٩) الاختلاف في [يَتَوَفَّى] من قوله عز وجل: [وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] الآية (٥٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَتَوَفَّى]، فقرأ ابن عامر: [تَتَوَفَّى] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَتَوَفَّى] بالياء(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ومن حيَّ اكسِرْ مُظهِراً إذ صفا هُدى وإذ يتوفَّى أنَّثوهُ لهُ مُلا(٦).

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: كتاب اللغات في القرآن، ص (٢٧)، غريب القرآن، ص (٧٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٢٤٤.٢٤١/٦)، فتح القدير، (٣٠٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٠١.٤٠٠/٧)، أبي السعود، (٢١.٢٠/٤)، التفسير الكبير، (١٦١.١٦٠/١٥).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٥٧/٢).

(٤) الكشف، (٣٦٩/١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٦)، كتاب السبعة، ص (٣٠٧)، النشر، (٢٧٧/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٨).

(٦) أشار الناظم بحرف (اللام) من قوله: «له» إلى هشام، وبحرف (الميم) من قوله: «ملا» إلى ابن ذكوان، و هما راويا ابن عامر، انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص(٢٨٠).

قوله: [تَوَفَّى] سبق توجيهه لغوياً في النص رقم (١٤/٧٧)[١]. الوجه في قراءة من قرأ [تَتَوَفَّى] بالتاء، فهو على تأنيث لفظ الملائكة، وحجته قوله: [تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ][٢]، وقوله: [تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ][٣]، والوجه في قراءة من قرأ [يَتَوَفَّى] بالياء، أنه قد فرّق بين الفعل والفاعل، ولأن تأنيث الملائكة غير حقيقي[٤].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن شرح سبحانه أحوال الكفار شرح أحوال موتهم، والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت، فقال: [إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ] والخطاب لرسول الله ρ، أو لكل من يصلح له، والمعنى: ولو رأيت؛ ولأن [لَوْ] تقلب المضارع ماضيا، و[إِذْ] ظرف لـ[تَرَى]، والمفعول محذوف، أي: ولو ترى الكافرين وقت توفي الملائكة لهم [يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ]. والمراد بأدبارهم: أستاههم، كنى عنها بالأدبار، وقوله: [وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ]أي: ويقولون ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم[٥].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن زنجلة كلتا القراءتين، قائلا: «الأمر بينهما قريب؛ وذلك أنك إذا قرأت بالتاء أردت جماعة الملائكة، وإذا قرأت بالياء أردت جمع الملائكة كما تقول: قالت الرجال، وقال الرجال، قال تعالى: [فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ][٦]، و[تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ]»[٧]. وقال أبو منصور: «كل ذلك جائز»[٨].

(٨/١٧٠) الاختلاف في [يَحْسَبَنَّ] من قوله عز وجل: [وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ] الآية (٥٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَحْسَبَنَّ]، فقرأ ابن عامر وحمزة وحفص: [يَحْسَبَنَّ] بالياء، وقرأ الباقون: [تَحْسَبَنَّ] بالتاء[١].

---

(١) انظر ذلك في ص (   ).

(٢) النساء الآية (٩٧).

(٣) البقرة الآية (٢٤٨).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١١)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٦٨.٢٦٧/٦)، فتح القدير، (٢١٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨/٨)، تفسير أبي السعود، (٢٧/٤)، التفسير الكبير، (١٧٨.١٧٧/١٥).

(٦) آل عمران الآية (٣٩).

(٧) الحجة: ابن زنجلة، ص (١٦٢).

(٨) كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٠).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبالغيب فيها تحسبنّ كما فشا عميماً وقل في النور فاشيه كحّلا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

حَسِبَ: من أفعال القلوب: وتغير في الخبر الرُّجحان واليقين، والغالب كونها للرجُّحان، تصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، ومثالها في الرُّجحان قول زفر بن الحارث الكلابي[٣]:

وكُنّا حسبنا كلّ بيضاءَ شحمةً ليالي لاقينا جُذامَ وحِمْيرا[٤].

وفي اليقين قول لبيد العامري:

حَسِبْتُ التُّقى والجُودَ خَيْرَ تجارةٍ رباحاً إذا المَرْءُ أَصْبَحَ ثاقِلا[٥].

ومضارعها: يحْسِب بفتح السين وكسرها، مَحْسِبةٌ ومَحْسَبَةٌ[٦].

الوجه في قول من قرأ: [يَحْسَبَنَّ] بالياء، لتقدم ذكر الذين كفروا، ولقوله: [هُم لا يُؤْمِنُونَ][٧]، ولقوله: [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ][٨]، وقوله: [إِلَى سَوَاءٍ][٩] فيجيء: [يَحْسَبَنَّ] في الغيبة على هذه الألفاظ المتكررة بلفظ الغيبة، وهم الفاعلون، والمفعول الأول لـ[يَحْسَبَنَّ] مضمر، و[سَبَقُوا] المفعول الثاني، والتقدير: و لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، قال أبو على الفارسي: «ويجوز أن يضمر مع [سَبَقُوا] (أن) فتسدّ مسد المفعولين، والتقدير: و لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم أن سبقوا،

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٧)، كتاب السبعة، ص (٣٠٧)، النشر، (٢/٢٧٧)، الإتحاف، ص (٢٣٨).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكاف) في قوله: «كما» إلى ابن عامر، وبحرف (الفاء) من قوله: «فشا» إلى حمزة، وبحرف (العين) من قوله: «عميماً» إلى حفص، وهم الذين قرأوا بياء الغيب، ثم يقول: «وفي النور فاشيه كحلا» أي: قرأ حمزة وابن عامر بالياء في قوله: [لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ] النور (٥٧). ومعنى فاشيه كحلا: أي: فاشي هذه القراءة وفيها قد بصّر غيره وأنار عين بصيرته. انظر: المتن، ص(٥٧)، الوافي، ص(٢٨٠).

(٣) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل: أمير، من التابعين، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميرا على أهل قنسرين، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة (٧٥هـ). انظر: الأعلام، (٣/٤٥).

(٤) جزام بن عدي: بطن من كهلان، مساكنها بين مدين وتبوك، وهم أول من سكن مصر من العرب. وحمير: بكسر الحاء وسكون الميم؛ هي من أصول القبائل نزلت أقصى اليمن، وينسب إليهم كعب الأحبار، واسمه أبو إسحاق بن كعب بن ماتع الحميري. انظر: معجم قبائل العرب، (١/٧٤)، الأنساب، (٢/٣١٦).

(٥) ثاقلا: أي: ثقيلا من المرض، وذلك كناية عن الموت. انظر: لسان العرب، (٣/٣٠).

(٦) انظر: معجم القواعد العربية، ص (١٢٣.٢٣٣).

(٧) الآية (٥٥).

(٨) الآية (٥٧).

(٩) الآية (٥٨).

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا][1]، في سد (أن) مسد المفعولين؛ ويجوز أن يكون الفاعل لمن قرأ بالياء النبي ρ»[2].

والوجه في قراءة من قرأ [تَحْسَبَنَّ] بالتاء، فهو على الخطاب للنبي ρ، و[الَّذِينَ كَفَرُوا] المفعول الأول لـ [تَحْسَبَنَّ] و[سَبَقُوا] المفعول الثاني، والمعنى: لا تحسبن يا محمد من أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه ما يفعل الرسول ρ في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه، وذكر أيضاً ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد، بين أيضاً حال من فاته في يوم بدر وغيره لئلا يبقى حسرة في قلبه، فقد كان فيهم من بلغ في أذية الرسول ρ مبلغاً عظيماً، فقال: [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا] قوله: [لَا يَحْسِبَنَّ] بكسر السين بلغة قريش، وهي لغة النبي ρ، بفتح السين بلغة تميم[4]، أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة، و[سَبَقُوا] أي: فاتوا[5]، قال أبو السعود: « المراد إقناطهم من الخلاص، وقطع أطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ، والاقتصار على دفع هذا التوهم، مع أن مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضاً مما تتعلق به أمانيهم الباطلة؛ للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم عليه وهمهم وحسبانهم، وإنما الذي يمكن أن يدور في خلدهم حسبان المناص فقط».

ثم استأنف سبحانه فقال: [إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] أي: في الدنيا حتى يظفرك الله بهم، وهذا تعليل للنهي على طريقة الاستئناف[6].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب مكي كلتا القراءتين ولكن في حالة أن يكون قراءة من قرأ بالياء، على وجه أن يكون النبي ρ، يقول: « تستوي القراءتان بالياء وبالتاء»، ثم يقول: «والقراءة بالتاء هي الاختيار؛ لظهور معناه، ولأن الجماعة عليه»[7].

---

(1) العنكبوت، الآية (2).

(2) انظر: الكشف، (1/494)، الحجة: أبو علي الفارسي، (2/305.306).

(3) انظر: الكشف (1/494)، كتاب معاني القراءات، ص(201)، الحجة: ابن زنجلة، ص(312).

(4) انظر: كتاب اللغات، ص(27).

(5) انظر: تفسير المشكل، ص (182).

(6) انظر: تفسير الطبري، (6/273.274)، فتح القدير، (2/320)، الجامع لأحكام القرآن، (8/33.34)، تفسير أبي السعود، (4/31.32)، التفسير الكبير، (15/184).

(7) الكشف، (1/494).

ويوافقه الطبري قائلا: «والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: [وَلَا تَحْسَبَنَّ] بالتاء» ثم يقول معترضاً على القراءة الثانية بالياء. «وهي غير حميدة، لمعنيين: أحدهما: خروجها من قراءة القرأة وشذوذها عنها. والآخر: بعدها من فصيح كلام العرب، وذلك أن (يحسب) يطلب في كلام العرب منصوباً وخبره، كقوله: عبد الله يحسب أخاك قائما، (ويقوم) و(قام)، فقارئ هذه القراءة أصحب (يحسب) خبراً لغير مخبر عنه مذكور، وإنما كان مراده: ظنّي؛ ولا يحسبن الذين كفروا وسبقوا إنهم لا يعجزوننا، فلما يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه، واستعمل في قراءته ذلك كذلك، ما ظهر له من مفهوم الكلام» ثم يقول: «وأحسب أن الذي دعاه إلى ذلك، الاعتبار بقراءة عبد الله: [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] فهذا فصيح صحيح، إذا أدخلت [إِنَّهُمْ] في الكلام، لأن [يَحْسَبَنَّ] عاملة في أنهم، وإذا لم يكن في الكلام [أَنَّهُمْ] كانت خالية من اسم تعمل فيه»(1).

وقال الزجاج: «القراءة بالياء وجهها ضعيف عند أهل العربية، إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا؛ لأنها في حروف ابن مسعود [أَنَّهُمْ سَبَقُوا] (أن) مخففة من (أنّ)، و(أن) تنوب عن الاسم والخبر»(2).

وقال النحاس: «هذا تحامل شديد، والقراءة تجوز، ويكون المعنى: ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا [سَبَقُوا] فيكون الضمير يعود على ما تقدم» ثم يقول: «إلا أن القراءة بالتاء أبين»(3).

(9/171) الاختلاف في [إِنَّهُمْ] من قوله عز وجل: [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] الآية (59).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر الألف وفتحها من قوله عز وجل: [إِنَّهُمْ]، فقرأ ابن عامر: [أَنَّهُمْ] بفتح الألف، وقرأ الباقون: [إِنَّهُمْ] بكسر الألف(4).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَإِنَّهُمُ افْتَحْ كَافِياً وَاكْسِرُوا لِشُعْبَةَ السَّلْمِ وَاكْسِرْ فِي الْقِتَالِ فَطِبْ صِلا(5).

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(1) تفسير الطبري، (273/6).

(2) الحجة: ابن زنجلة، ص (312).

(3) الجامع لأحكام القرآن، (34/8).

(4) انظر: كتاب التيسير، ص (117)، كتاب السبعة، ص (308)، النشر، (277/2)، الإتحاف، ص (238).

(5) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كافيا» إلى ابن عامر، انظر: المتن، ص (57)، الوافي، ص(280).

الوجه في قراءة ابن عامر: [أَنَّهُمْ] بفتح الألف، أنه جعله متعلقاً بالجملة الأولى، فيكون التقدير: لا تحسبنهم سبقوا؛ لأنهم لا يفوتون، فهم يُجْزَوْن على كفرهم. وقال الزجاج: «وقد يجوز أن يكون [لا] لغواً، فيكون المعنى: و لا تحسبن الذين كفروا أنهم يعجزون، ويكون [أَنَّ] بدلا من [سَبَقُوا]»[1].

والوجه في قراءة من قرأ: [إِنَّهُمْ] بكسر الألف، على الاستئناف والقطع مما قبله، و أضاف ابن خالويه على ذلك بقوله: «الحجة لمن كسر: أنه جعل قوله: [لَا تَحْسَبَنَّ] خطاباً للنبي ρ، وجعل [كَفَرُوا] مفعول [تَحْسَبَنَّ] الأول و[سَبَقُوا] الثاني، واستأنف [إِنَّ] فكسرها مبتدئاً»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة من قرأ: [إِنَّهُمْ] بالكسر، قائلا: «هو الاختيار، لما فيه من معنى التأكيد، ولأن الجماعة عليه»[4]، ويوافقه الطبري قائلا: «والصواب من القراءة في ذلك عندي: قراءة من قرأ [إِنَّهُمْ] بكسر الألف»[5]، وقال القرطبي: «هو الاختيار لما فيه من معنى التأكيد؛ ولأن الجماعة عليه»[6].

قال الرازي: «هو الوجه؛ لأن ابتداء الكلام غير متصل بالأول، كقوله: [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا]، وتم الكلام، ثم قال: [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ][7] فكما أن قوله: [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] منقطع من الجملة التي قبلها، كذلك قوله: [إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ]»[8].

(١٠/١٧٢) الاختلاف في: [يَكُنْ] من قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٧/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٢).

(٢) انظر: الكشف، (٤٩٤/١)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٢).

(٣) انظر ذلك في ص (   ).

(٤) الكشف، (٤٩٤/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٧٤/٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٣٤/٨).

(٧) العنكبوت، الآية (٤).

(٨) التفسير الكبير، (١٨٤/١٥).

ـّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] الآيتان (٦٦.٦٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [وَإِنْ يَكُنْ]، [فَإِنْ يَكُنْ]، فقرأ الحرميان وابن عامر: [إِنْ تَكُنْ]، [فَإِنْ تَكُنْ] بالتاء فيهما، وقرأ أبو عمرو: [إِنْ تَكُنْ] بالتاء والأخرى بالياء، وقرأ الكوفيون الحرفين جميعاً بالياء[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وثاني يكن غصنٌ وثالثها ثوى وضعفاً بفتح الضم فاشيه نُفِّلا

وفي الروم صف عن خُلفِ فصلٍ وأنثوا يكون مع الأسرى حُلا[٢].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [تَكُنْ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)[٣]. الوجه من قراءة من قرأ [إِنْ تَكُنْ] [فَإِنْ تَكُنْ] بالتاء، أنه جاءته على لفظ [مِائَةٌ]؛ ولأن لفظها مؤنث[٤]. وحجة أبي عمرو ذكرها اليزيدي، فقال: «لقوله: [صَابِرَةٌ]»، وذهب اليزيدي إلى أنه لما نعتها بالتأنيث وجب أن يكون فعلها بلفظ التأنيث؛ لأن المذكر لا ينعت به المؤنث. وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «قراءة أبي عمرو [إِنْ تَكُنْ]؛ لأنه كما أنَّث صفة المائة، وهي قوله: [صَابِرَةٌ]، كذلك أنَّث الفعل، وكأن التأنيث في قوله سبحانه: [فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ] أشدُّ مشاكلة لقوله: [صَابِرَةٌ] من التذكير، وفي الأخرى بالياء؛ لأنه أخبر عنه: بقوله: [يَغْلِبُوا]، فكان التذكير أشدّ مشاكلة لـ [يَغْلِبُوا]، كما كان التأنيث في [تَكُنْ] أشد مشاكلة لقوله: [صَابِرَةٌ]»[٥].

والوجه في قراءة من قرأ الحرفين جميعاً بالياء؛ أنه حمل ذلك على المعنى؛ لأنهم في الموضعين جميعاً رجال، فكان ذلك في الحمل على المعنى: في قراءتهم، كقوله: [عَشْرُ

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١١٧)، كتاب السبعة، ص(٣٠٨)، النشر، (٢٧٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٣٨).

(٢) أشار الناظم بحرف (الغين) من كلمة (غصن) إلى الكوفيين وأبو عمرو، وبحرف (الثاء) من كلمة (ثواني) إلى الكوفيين. انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٨١.٢٨٠).

(٣)انظر ذلك في ص (   ).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٣)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٢).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٣)، الكشف، (٤٩٥/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٨/٢).

أَمْثَالِهَا][1]، وحجة أخرى أضافها ابن زنجلة قائلا: «أنه لما حجز بين الاسم والفعل بحاجز ذكّر الفعل [مِنْكُمْ] ؛ لأن الحاجز صار كالعوض منه»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أنه وإن كان يكفي نبيه ρ بنصره وبنصر المؤمنين، فليس من الواجب أن يتكل على ذلك إلا بشرط أن يحرض المؤمنين على القتال، فإنه سبحانه إنما يكفيه بالكفاية بشرط أن يحصل منهم بذل النفس والمال في المجاهدة، فقال: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ] أي: حثهم وحضهم وقال ابن عباس رضي الله عنه: «حَرِّضْ: يعني حرّص، بلغة هذيل»[3]، والتَّحريض في اللغة: المبالغة في الحث، وهو كالتخصيص ثم بشّرهم تثبيتاً لقلوبهم، وتسكيناً لخواطرهم بأن الصابرين منهم في القتال يغلبون عشرة أمثالهم من الكفار فقال: [إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ].ثم زاد هذا إيضاحاً مفيداً لعدم اختصاص هذه البشارة بهذا العدد، بل هي جارية في كل عدد، فقال: [وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا] الخ الآية، فأوجب على الواحد أن يثبت لاثنين من الكفار.

وقوله: [بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] متعلق بقوله: (يغلب)، أي: إن هذا الغلب بسبب جهلهم وعدم فقههم، وأنهم يقاتلون على غير بصيرة، ومن كان هكذا فهو مغلوب في الغالب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ تَخْفِيفٌ فَقَالَ (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) قَالَ فَلَمَّا خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خَفَّفَ عَنْهُمْ)»[4].

فقوله تعالى: [فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ] تفسير للتخفيف، وبيان لكيفيته، وقوله: [وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ] أي: بتيسيره وتسهيله، وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والألف، وغلبة العشرة المائتين، كما أن قيد الصبر معتبر هنا، وإنما ترك ذكره؛ ثقة بما مرّ، وقوله تعالى: [وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] فإنه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله، والمراد بالمعية معية نصره وتأييده.

---

(1) الأنعام الآية (١٦٠).

(2) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٨/٢)، الكشف، (٤٩٥/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٣).

(3) كتاب اللغات في القرآن، ص (٢٧).

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف، حديث رقم (٢٢٧٥).

قال القرطبي: «وحديث ابن عباس يدل على أن ذلك لغرض، ثم لما شق ذلك عليهم حطّ الغرض إلى ثبوت الواحد للاثنين، فخفف عنهم وكتب أيضًا أن مائة من مائتين، فهو على هذا القول تحقيق لا نسخ، وهذا حسن»[1].

وقال أبو زكريا الأنصاري: «فإن قلت: ما فائدة تكرار قوله تعالى: [مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ] في الآيتين؛ للدلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف، فكما تغلب العشرون المائتين، تغلب المائةُ الألف، وكما تغلب المائة المائتين، يغلب الألف الألفين»[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة أهل الحرمين وابن عامر [وإن تَكُنْ] و[فإن تَكُنْ] بالتاء فيهما، قائلا: «والقراءة بتأنيث الفعل فيهما؛ لتأنيث لفظ المائة، أحب إليَّ؛ لأن عليه أهل الحرمين وابن عامر»[3].

(١١/١٧٣) الاختلاف في [يَكُونَ] من قوله عز وجل: [مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] الآية (٦٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَكُونَ]، فقرأ أبو عمرو: [تَكُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَكُونَ] بالياء[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الرُّومِ صِفْ عَنْ خُلْفِ فَصْلٍ وَأَنِّثَنْ ... يَكُونَ مَعَ الأَسْرَى الأُسَارَى حُلاً حَلا[5].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [يَكُونَ] لغوياً في النص رقم (٢٢/٢٢)[6]. الوجه في قراءة من قرأ [تَكُونَ] بالتاء، لتأنيث لفظ [أَسْرَى]، ألا ترى أن فيه ألف التأنيث، وقال أبو علي الفارسي: «لأن [أَسْرَى] وإن كان المراد به التذكير والرجال، فهو مؤنث اللفظ»، وقال ابن زنجلة: «جرى مجرى قوله: [كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ][7]»[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٨٦.٢٨٢/٦)، فتح القدير، (٣٢٤.٣٢٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٥.٤٤/٨)، تفسير أبي السعود، (٣٥.٣٤/٤)، التفسير الكبير، (١٩٦.١٩١/١٥).

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (٢٢٣).

(٣) الكشف، (٤٩٥/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٧)، كتاب السبعة ص (٣٠٩)، النشر، (٢٧٧/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٩).

(٥) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حلا» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٨).

(٦) انظر ذلك في ص (   ).

(٧) الشعراء الآية (١٠٥).

والوجه في قراءة من قرأ [يَكُونَ] بالياء؛ أنه حمله على تذكير معنى الأسرى؛ لأن المراد به الرجال. وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «أنه لما فرق بين المؤنث وفعله بقوله: [لَهُ] ذكّر الفعل؛ لأن الفاصل صار كالعِوض»[٢].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

المقصود من هذه الآية تعلم حكم آخر من أحكام الغزو والجهاد في حق النبي ρ، فقال: [مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى] أي: ما صح له وما استقام، وهذه الآية نزلت يوم بدر، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ρ[٣]. والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي ρ أسرى قبل الاثخان. والأسرى: جمع أسير، وهو مأخوذ من الأسر، وهو القدّ، لأنهم كانوا يشدون به الأسير، فسمي كل أخيذ وإن لم يشد بالقدّ أسيراً، والإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، تقول العرب: أثخن فلان في هذا الأمر؛ أي: بالغ فيه، فالمعنى: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُبالغ في قتل الكافرين ويستكثر من ذلك.

قال الشوكاني: «أخبر الله سبحانه أن قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم وفدائهم، ثم لما كثر المسلمون رخص الله في ذلك فقال: [فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً][٤]، قوله: [تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا] استئناف مسوق للعتاب؛ أي: تريدون حطامها بأخذكم الفداء. وسمي عرضاً؛ لأنه سريع الزوال كما تزول الأعراض التي هي في مقابلة الجواهر، [وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ] أي: يريد لكم الدار الآخرة بما يحصل لكم من الثواب في الإثخان بالقتل». ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [عَزِيزٌ حَكِيمٌ] أي: يغلب أوليائه على أعدائه، يعلم ما يليق بكل حال[٥].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ [يَكُونَ] بالياء، معللا ذلك بقوله: «يُقال: جاء الرجال، وحضر قبيلتك، وحضر القاضي امرأة، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى» ثم يقول: «وقال أبو الحسن: التذكير أحب إليّ؛ لأن الأسرى فعلٌ للرجال، وليس للنساء، تقول: النّساء يفعلن، ولا تقول: الأسرى يَفعلن، فتذكير فعلهم أحسن، والتأنيث على المجاز»[٦].

---

(١) انظر: الكشف، (٤٩٥/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٩/٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٣).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٣)، الكشف، (٤٩٥/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٠٩).

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٤٥/٨).

(٤) محمد، الآية (٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٨٨.٢٨٦/٦)، فتح القدير، (٣٢٦.٣٢٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٥٠.٤٥/٨)، تفسير أبي السعود، (٣٦.٣٥/٤)، التفسير الكبير، (١٩٧.١٩٦/١٥).

(٦) الحجة: ابو علي الفارسي، (٣٠٩/٢).

ويوافقه مكي في الإختيار، ويقول: «ويقوي التذكير فيه؛ أنك لا تُخبر عن (الأسرى) بلفظ التأنيث، لو قلنا الأسرى يفتن، لم يجز؛ لأن المراد بهم المذكرون»، ثم يقول: «فكان التذكير أولى به، وهو الاختيار لذلك؛ ولأن الجماعة علي الياء»[1].

(١٢/١٧٤) الاختلاف في [الأَسْرَى] من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] الآية (٧٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الهمزة واثبات الألف، وبفتحها وطرح الألف من قوله عز وجل: [الأَسْرَى] فقرأ أبو عمرو وحده [الأُسَارَى] بضم الهمزة واثبات الألف، وقرأ الباقون [الأَسْرَى] بفتح الهمزة وطرح الألف[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الرُّومِ صِفْ عَنْ خُلْفِ فَصْلٍ وأَنَّثَ أنْ يَكُونَ مَعَ الأَسْرَى الأُسَارَى حُلاً حَلاَ[3].

ثانياً: توجيه القراءات:

الأَسِيرُ: الأَخِيذُ، وأصله من ذلك، وكلُّ محبوس في قدٍّ أو سِجن: أسير، قال مجاهد: «الأسير: المسجون»، والجمع أُسَراء وأُسَارى وأَسَارى وأَسْرى. ويُقال للأسير من العدو: أسير؛ لأن آخذه يستوثق منه بالإسار، وهو القِدُّ لئلا يُفلت. والقِدُّ: الذي يُؤْسر به القَتَبُ، يُسمى الإسار، وجمعه أُسُرٌ[4].

الوجه في قراءة من قرأ [الأُسَارَى] بضم الهمزة واثبات الألف، على وزن (فُعالى)؛ أنه أراد جمع الجمع، وقال مكي: «من قرأ [الأُسَارَى] شبهه بـ(كسالى)، كما قالوا (كُسلى) في الجمع على التشبيه بـ(أسرى)، فكل واحد مُشبه بالآخر، محمول عليه، وإنما اشتبها؛ لأن معنى هذا متقارب، وذلك أن (الكسل) أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، كذلك (الأسر) يدخل عليه بغير شهوته، فلذلك حمل على الآخر في بابه، فباب (أسير) أن يُجمع على (أسرى) كـ(جريح) و(جرحى) وباب (كسلان) أن يجمع على (كُسالى)، كـ(سكران) و(سُكارى)، فحمل (أسير) على باب (كسلان)، فجمع على (أُسارى)، وحمل (كسلان) على باب (أسير) فجمع على (كُسالى)». وقال أبو عمرو: «إذا كان عند القتال فأسر القوم عدوهم فهم (الأسرى)، فإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم

---

(١) الكشف، (٤٩٥/١).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٧)، كتاب السبعة، ص (٣٠٩)، النشر، (٢٧٧/٢)، الإتحاف،ص(٢٣٩).

(٣) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حلا» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص

(٤) انظر: لسان العرب، (١٩/٤)، مختار الصحاح، ص (١٦)، المصباح المنير، (١٤/١).

فهم (الأسارى)، فما كان في الأيدي وفي السجن فإنها (أُسارى)، وما لم يكن في الأيدي و لا في السجن فقل ما شئت: (أسرى) و(أسارى)» [١].

والوجه في قراءة من قرأ: [الأَسْرَى] بفتح الهمزة وبغير ألف، على (فعلى)؛ أنه أراد جمع أسير، قال ابن زنجلة: «الحجة أن العرب جمعت على (فَعْلى) من كانت به دمامة أو مرض يمنعه من النهوض، فقالوا في (صريع) صَرْعى، و(جريح) جَرحى، ولما كان الأسر آفة تدخل على الإنسان فتمنعه من النهوض، أُجري مجرى ذوي العاهات، فقالوا: أسير وأسرى» [٢].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما أخذ النبي ρ الفداء من الأسارى، وشق عليهم أخذ أموالهم منهم، ذكر الله هذه الآية [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى] الخطاب هنا للنبي ρ وأصحابه:

أي قل لهؤلاء الأسرى الذين هم في أيديكم أسرتموهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء [إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا] من حسن إيمان، وصلاح نية، وخلوص طوية، [يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ] من الفداء، أي: يعوضكم في هذه الدنيا رزقاً خيراً منه، وأنفع لكم، أو في الآخرة مما يكتبه لكم من المثوبة بالأعمال الصالحة، [وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] شأنه المغفرة لعباده والرحمة لهم وهذا تأكيد لما مضى ذكره من قوله: [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] [٣].

عن ابن عباس قال «نزلت في الأسارى يوم بدر، منهم العباس بن عبد المطلب [٤]، ونوفل بن الحارث [٥]، وعقيل بن أبي طالب» [٦][٧].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٣)، الكشف، (٤٩٦/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٤).

(٢) الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٣)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٢٩٢/٦-٢٩٣)، فتح القدير، (٣٢٧/٢-٣٢٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٥٢/٨-٥٣)، تفسير أبي السعود، (٣٦/٤)، التفسير الكبير، (٢٠٤/١٥-٢٠٦).

(٤) العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين، كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، شهد وقعة حنين وفتح مكة، توفي في المدينة سنة (٣١٢هـ). انظر: الإصابة، (٦٣١/٣-٦٣٢).

(٥) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، صحابي، كان من أغنياء قريش وأجوادهم وشجعانهم، أخرجه قومه يوم بدر لقتال المسلمين وهو كاره فأسر ثم أسلم، شهد فتح مكة، توفي في خلافة عمر. الإستيعاب، (٥/٤).

(٦) عقيد بن أبي طالب بن عبد المطلب، كنيته أبو يزيد، وهو أخو علي وجعفر لأبيهما، أسلم بعد الحديبية، إلى المدينة، توفي في أول أيام يزيد سنة (٦٠هـ). انظر: الإصابة، (٥٣١/٤-٥٣٢).

(٧) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٥٣/٨).

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ بغير ألف، قائلا: «[الأسرى] أقيس من [الأسارى]»، ثم يقول: «وذلك أن أسير فعيل بمعنى مفعول، وما كان من باب فعيل الذي بمعنى معفول، لا يجمع بالواو والنون، ولا بالألف والتاء»[١].

ويوافقه مكي في الاختيار، قائلا: «هو الاختيار؛ لأنه الأصل في جمع (أسير)، وقد أجمعوا على [أسرى] في قوله: [لَهُ أَسْرَى][٢]، ولأن عليه الجماعة»[٣].

(١٣/١٧٥) الاختلاف في [وَلايَتِهِمْ] من قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] الآية (٧٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الواو وكسرها من قوله عز وجل: [وَلايَتِهِمْ]، فقرأ حمزة وحده: [وِلايَتِهِمْ] بكسر الواو، وقرأ الباقون: [وَلايَتِهِمْ] بفتح الواو[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَوِلايَتِهِمْ بِالْكَسْرِ فُزْ وَبِكَهْفِهِ ... شَفَا وَمَعاً إِنِّي بِيَاءَيْنِ أَقْبَلا[٥].

ثانياً: توجيه القراءات:

الوِلاية: بالكسر: السُّلطان، والوَلاية والوِلاية: النُّصرة. يقال: هم عليَّ وَلاية: أي: مجتمعون في النُّصرة والوِلاية على الإيمان واجبة، المؤمنون بعضهم أولياء بعض، يقال: وليٌّ بيِّن الوِلاية، أو والٍ بيِّن الوِلاية، وقال سيبويه: «الوَلاية بالفتح: المصدر، وبالكسر: الاسم»[٦].

الوجه في قراءة من قرأ: [وِلايَتِهِمْ] بكسر الواو، أنه جعله من (وليت الشيء)، إذا توليته، يُقال: هو وليٌّ بيِّن الوِلاية، فهو مصدر من (الولي)؛ قال ابن خالويه: «من كسر: أراد وِلاية

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٠٩/٢).

(٢) الأنفال الآية (٦٧).

(٣) الكشف، (٤٩٦/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، (ص١١٧)، كتاب السبعة، ص (٣٠٩)، النشر، (٢٧٧/٢)، الإتحاف، ص (٢٣٩).

(٥) أشار الناظم بحرف (الفاء) في كلمة (فُزْ) إلى حمزة، ثم يقول: «وبكهفه شفا» أي أن حمزة والكسائي قرآ في الكهف قوله: [هُنَالِكَ الْوِلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ] الآية (٤٤) بكسر الواو، انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص(٢٨).

(٦) انظر: لسان العرب، (٤٠٧/١٥)، مختار الصحاح، ص (٧٣٧)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٦٧٢/٢).

الإمرة». وقال أبو منصور: «من كسر الواو فقال (الوِلاية) فهي مصدر الوالي؛ لأن وِلاية الوالي كالصِناعة، كما يقال: الإمارة والنكاية»[1].

والوجه في قراءة من قرأ [وَلاَيَتِهِم] بفتح الواو، أنه أراد: وَلاية الدين، قال مكي: «حجة من فتح أنه جعله مصدر المولى، يقال: هو مولى بيِّن الوَلاية، وهو ولي بيِّن الوَلاية، بالفتح أيضاً، إذا كان الولي بمعنى المولى، فالولي يكون بمعنى المولى، كما يكون المولى بمعنى الوَلي، قال الله: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ][2]، والعرب تقول: نحن لكم على بني فلان وَلاية؛ أي: أنصار»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

ختم سبحانه هذه السورة بذكر الموالاة؛ ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به، والملاحظ أنه سبحانه قَسَّم المؤمنين في عهد النبي ρ إلى أربعة أقسام، وذكر حكم كل واحد منهم، وتقرير هذه القسمة أنه عليه السلام ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك إلى الدين، ثم انتقل من مكة إلى المدينة، فحين هاجر من مكة إلى المدينة صار المؤمنون على قسمين منهم من وافقه في تلك الهجرة، ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك.

أما القسم الأول: فهم المهاجرون الأولون، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وسمى سبحانه المهاجرين إلى المدينة بهذا الاسم؛ لأنهم هجروا أوطانهم وفارقوها طلباً لما عند الله، وإجابة لداعيه، وإنما قيل أنهم المهاجرون الأولون؛ لأنه سبحانه قال في آخر الآية: [وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا] إذا ثبت هذا ظهر أن هؤلاء موصوفون بهذه الصفات الأربعة: أولها: أنهم آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وقبلوا جميع التكاليف التي بلغها محمد ρ إليهم ولم يتمردوا. والصفة الثانية: قوله: [هَاجَرُوا] يعني: فارقوا الأوطان وتركوا الأقارب والجيران في طلب مرضاة الله. الصفة الثالثة: قوله: [جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] أما المجاهدة بالمال؛ فلأنهم كانوا لما فارقوا الأوطان فقد ضاعت دورهم ومساكنهم وضياعهم ومزارعهم، وتركوها في أيدي الأعداء، وأما المجاهدة بالنفس؛ فلأنهم كانوا أقدموا على محاربة بدر من غير آلة ولا أهبة ولا عدة مع الأعداء الموصوفون بالكثرة والشدة[4]. أما الصفة الرابعة: فهي أنهم كانوا أول الناس إقداماً على هذه الأفعال، والتزاماً لهذه

---

(١) انظر: الكشف، (١/٤٩٧)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٣)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٠٣).

(٢) محمد الآية (١١).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٣)، الكشف، (١/٤٩٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٤).

(٤) قال أبو زكريا: «وقدم هنا [بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ] على قوله: [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وعكس في براءة في قوله: [الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ..] الآية (٢٠)؛ لأن ما هنا تقدمه ذكر المال والأنفس، وفي قوله: [تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا] وقوله: [لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ] من الفداء، وقوله: [فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ] وما

الأحوال، ولهذا الإنفاق سابقة أثر عظيم في تقوية الدين، قال تعالى: [لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ](1)، وقال: [وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ](2)، وإنما كان السبق موجباً للفضيلة؛ لأن إقدامهم على هذه الأفعال يوجب اقتداء غيرهم بهم، فيصير بذلك سبباً للقوة أو الكمال، ولهذا المعنى قال تعالى: [وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا](3)، وقال ρ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»(4)، فثبت أن حصول هذه الصفات الأربعة للمهاجرين الأولين يدل على غاية الفضيلة ونهاية المنقبة.

أما القسم الثاني: من المؤمنين الموجودين في زمان النبي ρ فهم الأنصار، قال تعالى: [وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا]؛ وذلك لأنه ρ لما هاجر إليهم مع طائفة من أصحابه، فلو لا أنهم آووا ونصروا وبذلوا النّفس والمال في خدمة رسول الله ρ وإصلاح مهمات أصحابه لما تم المقصود البتة.

وبعد ذكر سبحانه هذين القسمين قال: [أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] أي: بعضهم أولياء في النصرة والمعونة.

القسم الثالث: من أقسام مؤمني زمان الرسول ρ؛ وهم المؤمنون الذين ما وافقوا الرسول ρ في الهجرة وبقوا في مكة، وهم المعنيون بقوله: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا] فبين تعالى حكمهم من وجهين: الأول: قوله: [مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا] أي: من توليهم في الميراث، وإن كانوا من أقرب أقاربكم أو مالكم من نصرتهم وإعانتهم، ولو كانوا من قراباتكم لعدم وقوع الهجرة منهم. قال الرازي: «واعلم أن قوله: [مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] يوهم أنهم لما لم يهاجروا مع رسول الله ρ سقطت ولايتهم مطلقاً، فأزال الله هذا الوهم بقوله: [مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا] يعني أنهم لو هاجروا لعادت تلك الولاية وحصلت، والمقصود منه الحمل على المهاجرة والترغيب فيها، والمقصود من المهاجرة كثرة المسلمين واجتماعهم وإعانة بعضهم لبعض، وحصول الألفة والشوكة وعدم التفرقة».

في براءة تقدّمه فكي [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] بأنفاسب للتقديم [وَأَنْفُسِهِمْ] وتقديم [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] ثمَّ». انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (٢٢٣.٢٢٤).

(١) الحديد، الآية (١٠).

(٢) التوبة، الآية(١٠٠).

(٣) المائدة، لآية (٣٢).

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم (١٩٩).

الحكم الثاني: من أحكام هذا القسم الثالث: قوله تعالى: [وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ] أي: فواجب عليكم النّصر، بمعنى أنه ليس المراد منه المقاطعة التامة كما في حق الكفار، بل هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا لو استنصروكم فانصروهم ولا تخذلوهم.

ثم قال سبحانه: [إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ] والمعنى: أنه لا يجوز نصرهم عليهم؛ إذ الميثاق واقع من ذلك(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ بالفتح، قائلا: «الوَلاية هنا من الدين، فالفتح هنا أجود»، ثم يقول: «وقال أبو الحسن: الكلام من وَلايتهم من شيء، هذا من الوَلاية فهو مفتوح، وأما في السلطان، فالوِلاية بالكسر»(٢).

وقال مكي: «الوَلاية في هذه السورة تحتمل أن تكون من وَلاية الدين، فيكون الفتح أولى به، وهو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»(٣). وقال ابن خالويه: «هما لغتان، والفتح أقرب»(٤).

ويوافقهم القرطبي قائلا: «والفتح في هذا أبين وأحسن؛ لأنه بمعنى النصرة والنسب، وقد تطلق الوِلاية والوَلاية بمعنى الإمارة»(٥).

بينما يسوق ابن زنجلة قول الفراء في اختياره للقراءة الثانية قائلا: «قال الفراء: [مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] يريد: من ميراثهم، وكسر الواو في (الوِلاية) أعجب إليَّ من فتحها؛ لأنها إنما تفتح أكثر ذلك إذا كانت في معنى (نصرة)»، قال: «فكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النصرة، ولا أراه علم التفسير، ويختارون في وليته وِلاية، بالكسر»(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/٢٩٦.٢٩٧)، فتح القدير، (٢/٣٢٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٨/٥٦.٥٧)، تفسير أبي السعود، (٤/٣٧)، التفسير الكبير، (٨/٢٠٧.٢١١).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٣١٠).

(٣) الكشف، (١/٤٩٧).

(٤) الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٨/٥٦).

(٦) الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٤).

الفصل السادس
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة التوبة

مقدمة تعريفية للسورة:

عرفت سورة التوبة من العهد الأول للإسلام بجملة أسماء[1]، تدل بمجموعها على ما اشتملت عليه من المبادئ والمعاني التي تجب مراعاتها في معاملة الطوائف كلها: مؤمنهم ومنافقهم وكتابيهم ومشركهم.

وأشهر هذه الأسماء (سورة التوبة)، إشارة إلى ما تضمنته السورة من تسجيل توبة الله، وتمام رضوانه على المؤمنين الصادقين الذين اخلصوا في مناصرة الدعوة، وصدقوا في الجهاد مع النبي ρ حتى وصل بهم الغاية المرجوة، وذلك في قوله تعالى: [لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ][2]، وهي مدنية بإتفاق، وترتيبها المصحفي التاسعة، وآياتها (١٢٩) آية، نزلت بعد المائدة.

وهذا السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ρ، فعن البراء قال: ((آخر سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةٌ وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ))[3].

وا ِنما لم يبسمل في أولها؛ لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام، والإقتداء في ذلك بعثمان بن عفان رضي الله عنه كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما[4][5].

وجوه مناسبتها بسورة الأنفال:

مناسبتها للأنفال أن موضعهما الحض على قتال الكفار، وترك مهادنتهم، وحكم المغانم، وما إلى ذلك، وقد تقدم عن عثمان رضي الله عنه أنه ظن التوبة مع الأنفال سورة واحدة، لأن قصتها تشبه قصتها[1].

---

(١) وهي: التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق؛ أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين؛ فتبحث عنها وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم، وعن حذيفة: «إنكم تسمونها سورة التوبة، وا ِنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧٩/٨).

(٢) التوبة، الآيتان (١١٧.١١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حج أبي بكر τ بالناس في سنة تسع، (٣٣٢/٥).

(٤) انظر نصه في ص()

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥٨.٥٦/٧)، تفسير الجلالين، ص(٢٣٩)، تفسير ابن كثير، (٣٤٧.٣٤٦/٣)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٩٠.١٨٧).

وأضاف السيوطي وجهين آخرين لاعتلاقها بسورة الأنفال، قال: «أن صدرها تفصيل لإجمال قوله في آخر الأنفال: [وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء][2]، وآيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هناك: [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ][3]، ولذا قال هنا في قصة المنافقين: [وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً][4]»، ثم يقول: «ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر، وهو: أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم، وجعل خُمسها خمسة أخماس[5]، وفي براءة تولى قسمة الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف»[6][7].

(١/١٧٦) الاختلاف في قوله عز وجل: [وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ] الآية (١٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح وكسرها من قوله عز وجل: [أَيْمَانَ]، فقرأ ابن عامر وحده: [إِيمَانَ] بكسر الألف، وقرأ الباقون: [أَيْمَانَ] بفتح الألف[8].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَكَسْرُ لا إيمانَ عندَ ابنِ عامرٍ ... وَوَحَّدَ حَقٌّ مَسْجِدَ الله الأوَّلا[9]

ثانياً: توجيه القراءات:

الإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يُقال: آمن به قومٌ وكذَّب به قومٌ[10]. والأيمان: جمع يمين، واليمين: الحَلْف والقَسَم، أنثى، والجمع أَيْمُنٌ وأَيْمانٌ، وسُميت بذلك؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كلُّ امرئٍ منهم يمينه على يمن صاحبه، وفي الحديث: (يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ)[11]، أي: يجب عليك أن تحلف له على ما يُصدِّقك به، إذا حلفت له[12].

---

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٣).

(٢) الأنفال، الآية (٥٨).

(٣) الأنفال، الآية (٦٠).

(٤) التوبة الآية (٤٦).

(٥) وذلك في قوله: [وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ] الآيات، (٥٠٣).

(٦) وذلك في قوله: [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء] الآية (٦٠).

(٧) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٧).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٢)، النشر، (٢٧٨/٢)، الإتحاف، (٢٤٠).

(٩) انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٨١).

(١٠) انظر: لسان العرب، (٢١/١٣)، مختار الصحاح، ص (٢٦)، المصباح المنير، (٢٤/١).

(١١) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب يمين الحالف على نية المستحلف، (٨٧/٥).

(١٢) انظر: لسان العرب، (٤٦٢/١٣)، مختار الصحاح، ص (٧٤٤)، المصباح المنير، (٦٨٢/٢).

الوجه في قراءة من قرأ [إِيْمَانَ] بكسر الألف؛ أنه جعله مصدر (آمَنْتُه) من الأَمان؛ أي: لا يؤمنون في أنفسهم، وقيل معناه: لا يؤمنون لأحد بأمان يعقدونه له، ويبعد في المعنى أن يكون من الإيمان، الذي هو التصديق؛ لأنه قد وصفهم بالكفر قبله، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم؛ لأنه معنًى قد ذُكر؛ إذ أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى، ليفيد الكلام فائدتين، ودلّ على أنه من الأمان قوله قبلهم: [لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً][1] أي: لا يفون لأحدٍ بعهدٍ، ولا يحفظون ذِمام أحد[2].

والوجه في قراءة من قرأ [أَيْمَانَ] بفتح الألف، أنه أراد جمع (يمين) ودلّ على ذلك قوله قبل ذلك: [إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ][3] والمعاهدة بالإيمان تكون، ودلّ على ذلك قوله بعده: [أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ][4][5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن بين سبحانه في الآية السابقة حال من لا يرقب في الله إلاًّ ولا ذِمة[6] وينقض العهد، وينطوي على النفاق، ويتعدى ما حد له، بين من بعد أنهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة كيف حكمهم، فجمع ذلك الشيخ بقوله: [فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ] وهو يفيد جملة أحكام الإيمان.

ثم قال سبحانه: [وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ] والنَّكث: هو النقض[7]، وأصله نقض الخيط بعد إبرامه، ثم استعمل في كل نقض، ومنه نقض الأيمان والعهود على طريق الاستعارة، ومعنى قوله: [مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ] أي: من بعد أن عاهدوكم، قوله: [وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ] أي: بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المُشرك[8]، والمعنى: أن الكفار إن نكثوا العهود التي عاهدوا بها المسلمين، ووثقوا لهم بها، وضمّوا إلى ذلك الطعن في دين الإسلام، والقدح

---

(١) التوبة، الآية (١٠).

(٢) انظر: الكشف، (١/٥٠٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٥)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٦/٢).

(٣) التوبة، الآية (٧).

(٤) التوبة، الآية (١٣).

(٥) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٦/٢)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٤)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٤).

(٦) يعنى قرابة، بلغة قريش، انظر: اللغات في القرآن، ص (٢٧).

(٧) غريب القرآن وتفسيره، ص (٧٢).

(٨) قال القرطبي: «استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين، إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه مالا يليق به، أو يتعرض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه»، وقال ابن المنذر: «أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي ρ عليه القتل»، وممن قال ذلك مالك والليث وأحمد وهو مذهب الشافعي». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٨٢/٨).

فيه، ففي هذه الحالة: [فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ]؛ أي: فقد وجب على المسلمين قتالهم، وأئمة الكفر: جمع إمام، والمراد صناديد المشركين، وأهل الرئاسة فيهم على العموم، قال أبو زكريا: «خص فيه [أَئِمَّةَ الْكُفْرِ] بالذكر؛ وهم رؤساء الكفر وقادتهم؛ لأنهم الأصل في النكث، والطّعن في الدين»[1].

قوله تعالى: [إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ] هذه الجملة تعليل لما قبلها، والأيمان: جمع يمين في قراءة الجمهور، والمعنى: أن أيمان الكافرين وإن كانت في الصورة يميناً فهي في الحقيقة ليست بيمين، وقال الرازي: «من قرأ بالفتح، فالمعنى: لا أيمان لهم على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان، وبه تمسك أبو حنيفة رحمه الله في أن يمين الكافر لا يكون يميناً، وعند الشافعية يمينهم يمين، ومعنى هذه الآية عنده: أنهم لما لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان، والدليل على أن أيمانهم أيمان؛ أنه تعالى وصفهم بالنكث في قوله: [وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ]، ولو لم يكن منعقداً لما صح وصفها بالنكث».

والمعنى: على قراءة ابن عامر: [إِيمَانَ] بكسر الهمزة؛ أن هؤلاء الناكثين للأيمان الطاعنين في الدين ليسوا من أهل الإيمان بالله حتى يستحقوا العصمة لدمائهم وأموالهم، فقتالهم واجب على المسلين.

ثم قال سبحانه: [لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ] أي: عن كفرهم ونكثهم وطعنهم في دين الإسلام، والمعنى: أن قتالهم يكون إلى الغاية؛ هي الانتهاء عن ذلك، قال القرطبي: «وذلك يقتضي أن يكون الغرض من قتالهم دفع ضررهم؛ لينتهوا عن مقاتلتنا، ويدخلون في ديننا»[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ بفتح الألف في [أَيْمَانَ] وعلل ذلك بقوله: «ومما يقوي [أَيْمَانَ] بفتح الهمزة أن قوله: [فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ] يُعلم منه أنه لا إيمان لهم، فإذا كان كذلك فالفتح في قوله عز وجل: [لَا أَيْمَانَ لَهُمْ] أولى؛ لأنه لايكون تكريراً، ولم يقع عليه دلالةٌ من الكلام الذي تقدمه»[3].

وقال: مكي: «الفتح الاختيار؛ لأن المعنى عليه، ولأن الجماعة عليه»[4]. ويقدم ابن زنجلة تعليلا آخر لاختيار قراءة الفتح قائلاً: «هو الاختيار؛ لأنه في التفسير لاعهود لهم، ولا ميثاق ولا

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص (٢٢٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣٣١-٣٢٩/٦)، فتح القدير، (٣٤١/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨١/٨-٨٦)، تفسير أبي السعود، (٤٧/٤-٤٨)، التفسير الكبير، (٢٣٢/١٤-٢٣٤).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٦/٢).

(٤) الكشف، (٥٠٠/١).

حلف، فقد وصفهم بالنكث في العهود»[١]. وقال ابن خالويه: «والفتح هاهنا أولى؛ لأنها بمعنى اليمين والعهد، أليق منها بمعنى الإيمان»[٢].

ويوافقهم الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به، ورفض خلافه، ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله: لا عهد لهم، و(الأيمان) التي هي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف؛ لأنها جمع يمين، كانت على عقد كان بين المتوادعين»[٣].

(٢/١٧٧) الاختلاف في [مَسَاجِدَ] من قوله عز وجل: [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] الآيتان (١٧،١٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [مَسَاجِدَ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ] على التوحيد، [مَسَاجِدَ اللَّهِ] على الجمع، وقرأ الباقون على الجمع فيهما[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَكَسْرُ لا إيمانَ عِنْدَ ابْنِ عَامِرٍ ... وَوَحَّدَ حَقٌّ مَسْجِدَ الله الأوَّلا[٥]

ثانياً: توجيه القراءات:

المَسْجِد: بكسر الجيم، بيتُ الصلاة، والمَسْجَد بفتح الجيم جبهة الرَّجل حيث يصيبُه أثَر السُّجود، والآراب[٦] السبعة (مساجد) وقال الزجاج: «كل موضعٍ يُتعبد فيه فهو مسجد ومسجَد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: (جُعلت لي الأرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا)[٧]، وقوله عز وجل: [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

---

(١) الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٥).

(٢) الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٤).

(٣) تفسير الطبري، (٦/٣٣٠،٣٣١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٣)، النشر، (٢/٢٧٨)، الإتحاف، ص (٢٤٠).

(٥) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبو عمرو، انظر: المتن، ص (٥٧)، الوافي، ص (٢٨١).

(٦) الآراب جمع إرْب: وهو العضو الموفر الكامل الذي لم ينقص منه شيء، ويقال لكل عضو إرْبٌ، والمراد بالسبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان. انظر: لسان العرب، (١/٢٠٩،٢١٠).

(٧) سبق تخريجه في ص(   ).

مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ](١)» وقال ابن الأعرابي: مَسْجَد بفتح الجيم: مِحراب البيوت، ومصلى الجماعات. ومسجِد بكسر الجيم، والمساجد جمعها، والمساجد أيضاً: الآراب التي يُسجد عليها، والآراب السبعة مساجد»، ويقال: سَجَدَ سَجْدةً، وما أحسن سِجْدته؛ أي: هيئة سجوده(٢).

الوجه في قراءة من قرأ [مَسْجِدَ]؛ أنه بين معناه من خبر آخر، وهو قوله: [الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ](٣)، فقال: [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ]، واستغنى عن وصفه بالحرام بما تقدم ذكره، ثم قال: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ]، يعنى به: المسجد الحرام وغيره، ويدل على أنهم ليس لهم عمارته كالمسلمين قوله في الآية الأخرى: [إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ](٤) وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى، قائلا: «حجة من قرأ على التوحيد قوله: [فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ](٥)»(٦).

والوجه في قراءة من قرأ [مَسَاجِدَ] على الجمع، أنه أراد جميع المساجد، ودليله قوله: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ] وهذا لا خُلف فيه، وقال ابن زنجلة: «وحجة أخرى وهي أنه إذا قرئ على الجمع دخل المسجد الحرام فيه وغير المسجد الحرام، وإذا قرئ على التوحيد لم يدخل فيه غير المسجد الحرام وإنما عني به المسجد الحرام فحسب»(٧).

ووجه قول من جمع في الموضعين، أن المشركين ليسوا بأولياء، لمساجد، لا المسجد الحرام ولا غيره، فإذا لم يكونوا أولياءها لم تكن لهم عمارتها، وإنما عمارتها للمسلمين الذين هم أولياؤه، فدخل في ذلك المسجد الحرام وغيره(٨).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بدأ سبحانه السورة بذكر البراءة عن الكفار، وبالغ في إيجاب ذلك، وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة، ثم أنه تعالى حكى عنهم شبهاً احتجوا بها في أن هذه البراءة غير جائزة، وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصلة، فأولها ما ذكره في هذه الآية،

(١) البقرة، الآية (١١٤).

(٢) انظر: لسان العرب، (٢٠٤/٣)، مختار الصحاح، ص (٢٨٦)، المصباح المنير، (٢٦٦/١).

(٣) التوبة، الآية (١٩).

(٤) الأنفال، الآية (٣٤).

(٥) التوبة، الآية (٢٩).

(٦) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٧/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٤).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٦).

(٨) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٧/٢)، الكشف، (٥٠٠/١).

وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة وخصال مرضية، وهي توجب مخالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم، ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمساجد الحرام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أُسر العباس يوم بدر، أقبل عليه المسلمون، فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ له علي، وقال: «ألكم محاسن» فقال: «نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني»، فأنزل الله تعالى رداً على العباس: [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ][1] أي: ما صح وما استقام لهم،فيجب إذاً على المسلمين تولِّي أحكام المساجد ومنع المشركين من دخولها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [مَسْجِدَ اللَّهِ] بالإفراد، وقرأ الباقون: [مَسَاجِدَ] بالجمع، والمراد بالعمارة إما المعنى الحقيقي، أو المعنى المجازي، وهو ملازمته والتعبد فيه، وكلاهما ليس للمشركين، أما الأول فلأنه يستلزم المنة على المسلمين بعمارة مساجدهم، وأما الثاني فلكون الكفار لا عبادة لهم مع نهيهم عن قربان المسجد الحرام.

وقوله: [شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ] حال؛ أي: ما كان لهم ذلك حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، وبإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان، والعبادة لها،وجعلها آلهة، فإن هذا شهادة منهم على أنفسهم بالكفر،وإن أبوا ذلك بألسنتهم، فكيف يجمعون بين أمرين متنافيين، عمارة المساجد التي هي من شأن المؤمنين، والشهادة على أنفسهم بالكفر التي ليست من شأن من يتقرّب إلى الله بعمارة مساجده، قوله: [أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ] التي يفتخرون بها؛ أي: بطلت ولم يبق لها أثر، قوله: [وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ] لكفرهم ومعاصيهم ثم بين سبحانه من هو حقيق بعمارة المساجد فقال: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ] أي: فعل ما هو من لوازم الإيمان من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة[2].

وقوله: [وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ] أي: ولم يخش في أمور الدين إلا الله، فعمل بموجب أمره ونهيه، غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم، فمن كان جامعاً بين هذه الأوصاف فهو الحقيق بعمارة المساجد، لا من كان خالياً منها أو من بعضها. قال الشوكاني: «واقتصر على ذكر الصلاة

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٨/٨٩).

(٢) قال القرطبي: «قوله: [مَسَاجِدَ اللَّهِ] دليل على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان صحيحة؛ لأن الله سبحانه ربطه بها، وأخبر عنه بملازمتها وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المساجد فحسِّنوا به الظن. فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ρ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٥٤٢)». الجامع لأحكام القرآن، (٨/٩٠).

والزكاة والخشية؛ تنبيهاً بما هو من أعظم أمور الدين على ما عداه مما أفترضه الله على عباده؛ لأن كل ذلك من لوازم الإيمان».

ثم أنه تعالى لما ذكر هذه الأوصاف قال: [فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] وهو حسم لإجماع الكفار في الإنتفاع بأعمالهم، فإن الموصوفين بتلك الصفات إذا كان اهتداؤهم مرجواً فقط، فكيف بالكفار الذين لم يتصفوا بشيء من تلك الصفات، وعن ابن عباس: [عَسَى] من الله واجبة(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة قائلا: «هو الاختيار»(٢) ويوافقه الطبري، ويقول معللا: «هم جميعاً يجمعون على قراءة قوله: [مَسَاجِدَ اللَّهِ] على الجماع؛ لأنه إذا قرئ كذلك، احتمل معنى الواحد والجماع؛ لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجماع، وبالجماع إلى الواحد، كقولهم: (عليه ثوب أخلاق)»(٣).

وساق القرطبي والشوكاني اختيار أبو عبيد لقراءة [مَسَاجِدَ] على التعميم، فيقول القرطبي: «هو أعم، والخاص يدخل تحت العام، والقراءة [مَسَاجِدَ] أصوب؛ لأنه يحتمل معنيين»، ويقول الشوكاني: «وقد يحتمل أن يراد بقراءة الجمع المسجد الحرام خاصة، وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس، كما يقال: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً»(٤).

(٣/١٧٨) الاختلاف في [وَعَشِيرَتُكُمْ] من قوله عز وجل: [قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] الآية (٢٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [وَعَشِيرَتُكُمْ]، فقرأ شعبة: [وَعَشِيرَاتُكُمْ] على الجمع، وقرأ الباقون: [وَعَشِيرَتُكُمْ] واحدة(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/٣٣٤-٣٣٥)، فتح القدير، (٢/٣٤٣-٣٤٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٨/٨٩-٩١)، تفسير أبي السعود، (٤/٥٠-٥١)، التفسير الكبير، (١٥/٦-١١).

(٢) الكشف، (١/٥٠٠).

(٣) تفسير الطبري، (٦/٣٣٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٨/٨٩)، فتح القدير، (٢/٣٤٤).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٣)، النشر، (٢/٢٧٨-٢٧٩)، الإتحاف، ص (٢٤١).

عشيرتكم الجمع صدق وذو نوا عزيز رضا ض وبالكوفة كلا[1]

ثانياً: توجيه القراءات:

العشيرة: القبيلة، و لا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر ، وعشيرة الرجل: بنوا أبيه الأدنون ، وقيل: هم القبيلة، والعشيرة العامة مثل بني تميم وبني عمرو ابن تميم، والعشير: القبيلة[2].

الوجه في قراءة من قرأ [وعشيراتكم] على الجمع؛ أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمعت قلت: [عشيراتكم] من حيث كان المراد بهم الجمع، وقال مكي: «جمع لكثرة عشائرهم».

والوجه في قول من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك فيها عن جمعها لخفته[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

هذه الآية تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى[4]؛ وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا: يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ وأن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين، فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً، ثم أمر رسوله ρ بأن يقول لهم: [إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم] أي: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم و[عشيرتكم] والعشيرة: الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد، وعشيرة الرجل قرابته الأدنون، وهم الذي يعاشرونه وهي اسم جمع، [وأموال اقترفتموها] والاقتراف: الاكتساب، وأصله اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره، [وتجارة تخشون كسادها] بفراقكم بلدكم، أي: بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم، [ومساكن ترضونها] أي: مساكن تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين [أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله]أي: كانت هذه الأشياء المذكورة في الآية أحب إليكم من الله ورسوله ρ، ومن الجهاد في سبيله [فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] أي: انتظروا حتى يأتي الله بأمره فيكم، وما تقتضيه مشيئته من عقوبتكم، قال الشوكاني: «وفي هذا وعيد شديد، ويؤكده إيهام الأمر وعدم التصريح به؛ لتذهب أنفسهم كل مذهب، وتتردد بين أنواع العقوبات».

---

(1) أشار الناظم بحرف (الصاد) من قوله: «صدق » إلى شعبة، وهو الذي قرأ بالجمع، انظر: المتن، ص (57)، الوافي، ص (282).

(2) انظر: لسان العرب، (574/4)، مختار الصحاح، ص (434)، المصباح المنير، (411/2).

(3) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (318/2)، الكشف، (500/1).

(4) وهي قوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون] الآية (23)، وقال أبو السعود: «لم يذكر الأبناء والأزواج فيها؛ لأن موالاة الأبناء والأزواج غير معتادة، بخلاف المحبة»، تفسير أبي السعود، (54/4).

ثم قال سبحانه: [وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] أي: الخارجين عن طاعته، النافرين عن امتثال أوامره ونواهيه(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة الجماعة [وَعَشِيرَتُكُمْ] على الإفراد، ويعلل ذلك بقوله: «ويقوي ذلك أن أبا الحسن قال: لا تكاد العرب تجمع عشيرة عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر»(٢). وقال: مكي: «هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»(٣).

(٤/١٧٩) الاختلاف في [يُضَلُّ] من قوله عز وجل: [إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] الآية (٣٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وكسر الضاد وضم الياء وفتح الضاد من قوله عز وجل: [يُضَلُّ]، فقرأ الأخوان وحفص: [يُضَلُّ] بضم الياء وفتح الضاد، وقرأ الباقون: [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يضِلُّ بضمِّ الياءِ مع فتْحِ ضادِهِ صِحابٌ ولمْ يَخْشَوا هنَاكَ مضلِّلا(٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [يُضَلُّ] لغوياً في النص رقم (٣٥/٩٨)(٦). الوجه في قراءة من قرأ [يُضَلُّ] بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يُسمَّ فاعله: إن الكافرين يُضَلُّون، وحجتهم أن الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل، وهو قوله: [زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ]، فدلّ على أنّ ما تقدمه من الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزيين إضلالا في الحقيقة، فجعل ما قبل التزيين مشاكلا للفظه؛ ليأتلف الكلام على نظام واحد(٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٣٣٩/٦-٣٤٠)، فتح القدير، (٣٤٦/٢-٣٤٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٤/٨-٩٦)، تفسير أبي السعود، (٥٤/٤-٥٥)، التفسير الكبير، (١٨/١٥-١٩).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣١٨/٢).

(٣) الكشف، (٥٠٠/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٤)، النشر، (٢٧٩/٢)، الإتحاف، ص (٢٤٢).

(٥) أشار الناظم بكلمة (صحاب) إلى حمزة والكسائي وحفص، وهم الذين قرؤوا [يُضَلُّ] بضم الياء وفتح الضاد؛ وقوله: «ولم يخشوا هناك مضللا» معناه أن الأخوان وحفص ومن قرأ بقراءتهم لا يخافون من ينسب إليهم الضلال ويعيبهم في قراءتهم، انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص (٢٨٢).

(٦) انظر ذلك في ص ( ).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٨)، الكشف، (٥٠٣/١)، الحجة:، ابن خالويه، ص (١٧٥).

والوجه في قراءة من قرأ: [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد؛ أنه أضاف الفعل إلى الكفار؛ لأنهم هم الضَّالون في أنفسهم بذلك التأخير؛ لأنهم يحلُّون ما حرَّم الله من الشهور. وأضاف ابن زنجلة قائلاً: «الحجة لمن قرأ: [يَضِلُّ] أن الله قال: [يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا]، فجعل الفعل لهم، فكذلك: [يَضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] وكانوا يؤخرون شهر الحج ويقدمون، فضلُّواهم بتأخيرهم شهراً وبتقديمهم شهراً»[(١)].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أحد قبائح الكفار، وهو إقدامهم على السعي في تغييرهم أحكام الله، وذلك أن الله سبحانه لما حكم في كل وقت بحكم خاص، غيَّروا تلك الأوقات بالنسيئ[(٢)] والكبيسة[(٣)]، فأخبر سبحانه بحكمه، فقال: [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] أي: عدد شهور السنة في حكمه وقضائه وحكمته اثنا عشر شهراً، وقوله: [مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ]؛ هي ذي القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، ثم قال سبحانه: [فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ] أي: بإيقاع القتال فيها، وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن تحريم القتال في الأشهر الحرام ثابت محكم، لم ينسخ؛ لهذه الآية، ولقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ][(٤)]، ولقوله: [فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ][(٥)].

ثم قال سبحانه: [إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ]، قال الشوكاني: «كانت العرب تحرِّم القتال في الأشهر الحرم المذكورة، فإذا احتاجوا إلى القتال فيها قاتلوا فيها وحرَّموا غيرها، فإذا قاتلوا في المحرم حرموا بدله شهر صفر، وهكذا في غيره، وكان الذي يحملهم على هذا أن كثيراً منهم كانوا يعيشون بالغارة على بعضهم البعض، ويقع بينهم بسبب ذلك القتال، وكانت الأشهر الثلاثة المسرودة يضر بهم تواليها، فيحللون بعضها، ويحرمون ما كان بقدره من غير الأشهر الحرم، فهذا معنى النسيء الذي كانوا يفعلونه» وسمى الله سبحانه النسيء زيادة في الكفر؛ لأنه نوع من أنواع كفرهم، ومعصية من معاصيهم المنضمة إلى كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

قوله: [يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وابن عامر: [يَضِلُّ] على البناء للمعلوم والمعنى: أن الكفار يضلون بما يفعلونه من النسيء، وقرأ الكوفيون على البناء للمجهول،

---

(١) انظر: الكشف، (٥٠٢/١)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٠٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٢٤/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٩).

(٢) نَسَأَ الشيءَ نسؤه نسأً وأنْسأه: أخره، والاسم: النَّسيئة والنسيئ. انظر: لسان العرب، (١٦٦/١).

(٣) قال الجوهري: «السنة الكبيسة التي يسترق لها يوم، وذلك من كل أربعة سنين». لسان العرب، (١٩١/٦).

(٤) المائدة، الآية (٢).

(٥) التوبة، الآية (٥).

والمعنى: أن الذين سن لهم[1] ذلك، يجعلهم ضالين بهذه السنة السيئة. قوله تعالى: [يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا] الضمير راجع إلى النسيء: أي: يحلون النسيء عاماً ويحرمونه عاماً، أو إلى الشهر الذي يؤخرونه ويقاتلون فيه: أي: يحلونه عاماً بإبداله بشهر آخر من شهور الحل، ويحرّمونه عاماً: أي: يحافظون عليه فلا يحلون فيه القتال، بل يبقونه على حرمته. قوله: [لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ] أي: لكي يؤاطئوا، والمواطأة: الموافقة، والمعنى: إنهم لم يحلوا شهراً إلا حرّموا شهراً لتبقى الأشهر الحرم أربعة. قوله: [فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ] أي: من الأشهر الحرم التي أبدلوها بغيرها.

ولما بين سبحانه كون هذا العمل كفراً ومنكراً، قال: [زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] أي: زين لهم الشيطان الأعمال السيئة التي يعملونها، ومن جملتها النسيء، وبالتالي فإن الله لا يرشد كل كفار أثيم[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الطبري كلتا القراءتين قائلا: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: هما قراءتان مشهورتان، قد قرأت بكل واحدة القرأة أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى؛ لأن من أضله الله فهو ضال، ومن ضَلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ، فبأيتهما قرأ القارئ، فهو للصواب في ذلك مصيبٌ»[3].

بينما يرجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ: [يَضِلُّ] بفتح الياء وكسر الضاد، ويقول: «أن من قرأ: [يُضَلُّ] أو [يُضِلُّ]: [الَّذِينَ كَفَرُوا] لا يخلون من أن يكونوا مضلين لغيرهم، أو ضالين هم في أنفسهم، وإذا كان كذلك، لم يكن في إسناد الضلال إليهم في قوله: [يَضِلُّ] إشكال، ألا ترى أن المضلّ لغيره ضالٌ بفعله إضلالَ غيره، وأن الضّال في نفسه الذي لم يضلَّه غيرُه لا يمتنع إسناد الضلال إليه»[4].

ويوافقه الرازي في الاختيار، قائلا: «هي حسنة؛ لإسناد الضلال إلى الذين كفروا؛ لأنهم إن كانوا ضالين في أنفسهم فقد حسن إسناد الضلال إليهم، وإن كانوا مضلين لغيرهم حسن أيضاً؛ لأن المضل لغيره ضال في نفسه لا محالة»[5].

---

(١) قال الشوكاني: «قد وقع الخلاف في أول من فعل ذلك فقيل هو رجل من بني كنانة يقال له: حذيفة بن عتيد ويلقب القلمس، وفيه يقول الشاعر: (ومنا ناسيء الشهر القلمس)، وقيل هو عمرو بن لحيّ، وقيل هو نعيم بن ثعلبة من بني كنانة» فتح القدير، (٣٥٩/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٣٧٢،٣٦٨/٦)، فتح القدير، (٣٥٩،٣٥٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٩،١٣٦/٨)، تفسير أبي السعود، (٦٥،٦٤/٤)، التفسير الكبير، (٥٨،٥٥/١٥).

(٣) تفسير الطبري، (٣٦٩/٦).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٢٤/٢).

(٥) التفسير الكبير، (٥٧/١٥).

ويسوق القرطبي والشوكاني اختيار أبو عبيد للقراءة الثانية، ﴿يُقْبَلُ﴾ على الفعل المجهول، واستدلّ بقوله تعالى ﴿سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾[1].

(٥/١٨٠) الاختلاف في قوله ﴿تُقْبَلَ﴾ من قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ الآية (٥٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء في قوله عز وجل: ﴿تُقْبَلَ﴾، فقرأ الأخوان ﴿يُقْبَلَ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿تُقْبَلَ﴾ بالتاء[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأن تُقْبَلَ التذكيرُ شَاعَ وصالُه ورَحمةُ المرفُوع بالخفض فأقْبلا[3]

ثانياً: توجيه القراءات:

قَبِلَ الشيء قَبُولاً وقُبُولاً، وتَقَبَّله، كلاهما: أخذه، والله عز وجل يَقْبَل الأعمال من عباده أي يتقبلها. وفي التنزيل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾[4]، ويقال: قَبِلْتَ الشيء قَبُولاً؛ إذا رضيته وتقبّلت الشيء وقَبِلْته قَبولاً؛ فتح القاف، وهو مصدر شاذ، يقال: إنه لا نظير له[5].

الوجه في قراءة من قرأ ﴿يُقْبَلَ﴾ بالياء على التذكير؛ لأن النفقات تأنيثها غير حقيقي، ولأنه قد فرّق بينهما وبين الفعل بـ﴿مِنْهُمْ﴾، ولأن النفقات أموال، فكأنه قيل: أن يقبل منهم أموالهم، فحمل علي المعنى فذكّر، قال أبو علي الفارسي: «ومثل ذلك قوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[6] وقوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾[7]».

والوجه في قراءة من قرأ ﴿تُقْبَلَ﴾ بالتاء؛ أن الفعل مؤنث في اللفظ، فأُنّث ليُعلم أن المسند إليه مؤنّث[8].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٣٩/٨)، فتح القدير، (٣٥٩/٢).

(٢) كتاب التيسير، ص (١٧٠)، كتاب السبعة، ص (٣١٤-٣١٥)، النشر، (٢٧٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٢-٢٤٣).

(٣) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شاع» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، (٢٨٢).

(٤) الأحقاف، الآية (١٦).

(٥) انظر: لسان العرب، (٤٥/١١)، المصباح المنير، (٤٨٨/٢).

(٦) البقرة، الآية (٢٧٥).

(٧) هود، الآية (٦٧).

(٨) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٢٥/٢)، الكشف، (٥٠٣/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣١٩)، كتاب معاني القراءات، ص (٢٩).

بين سبحانه في الآية السابقة أن المنافقين، لو أتوا بشيء من أعمال البر فإنهم لا ينتفعون به في الآخرة، فقال: [قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ](1).

والمقصود بيان أن أسباب العذاب في الدنيا والآخرة مجتمعة في حقهم، وأن أسباب الرحمة والخير زائلة عنهم في الدنيا والآخرة.

ثم بين سبحانه المانع من قبول هذه الأعمال منهم ثلاثة أمور: الأول: قوله: [وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ] أي: كفرهم بالله وبرسوله ρ.

الثاني: قوله: [وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ] أنهم لا يصلون في حال من الأحوال إلا في حال الكسل والتثاقل؛ لأنهم لا يرجون ثواباً، و لا يخافون عقاباً، فصلاتهم ليست إلا رياءً للناس وتظهراً بالإسلام الذي يبطنون خلافه، قال القرطبي: «فالنفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة».

الثالث: قوله: [وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ] أي: لا ينفقونها طوعاً؛ لأنهم يعدُّون إنفاقها وضعاً لها في مضيعة، لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله ρ، قال الرازي: «وهذا يوجب أن تكون النفس طيبة عند أداء الزكاة والإنفاق في سبيل الله؛ لأن الله تعالى ذم المنافقين بكراهتهم الإنفاق، وقال ρ: (أدُّوا زكاتكم طيبة بها أنفسكم تدخلوا جنة ربكم عز وجل)(2) فإن أداها وهو كاره لذلك كان من علامات الكفر والنفاق»(3).

رابعاً: ترجيح القراءات:

راجح مكي قراءة الجماعة: [تُقْبَلَ] بالتاء؛ قائلا: «هو الاختيار؛ لأنه ظاهر اللفظ، ولأن عليه الجماعة»(4).

(٦/١٨١) الاختلاف في [وَرَحْمَةٌ] من قوله عز وجل: [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] الآية (٦١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع و الخفض من قوله عز وجل: [وَرَحْمَةٌ]، فقرأ حمزة وحده: [وَرَحْمَةٍ] بالخفض، وقرأ الباقون: [وَرَحْمَةٌ] بالرفع(5).

---

(١) الآية (٥٣).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند باقي الأنصار، (٢/٢٦٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٦/٣٩٠)، فتح القدير، (٢/٣٧٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٨/١٦٣)، تفسير أبي السعود، (٤/٧٤)، التفسير الكبير، (١٥/٨٩.٩٠).

(٤) الكشف، (١/٥٠٣).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٥)، النشر، (٢/٢٨٠)، الإتحاف، ص (٢٤٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وأنْ تُقْبَلَ التَّذْكِيرُ شَاعَ وِصَالُهُ ورَحْمَةُ الْمَرْفُوعِ بِالْخَفْضِ فَأَقْبَلا [1]

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [وَرَحْمَةٌ] لغوياً في النص رقم (٣٠/١٥١)[2]. الوجه في قول من قال: [وَرَحْمَةٍ] بالخفض؛ أنه عطفه على: [خَيْرٍ] أي: هو أذن خير وأذن رحمة؛ لأن الخير هو الرحمة، والرحمة هي الخير، وجاز أن نخبر عن الخير والرحمة بالاستماع، وإن كانا لا يُستمعان؛ لأن المعنى مفهوم أن المراد به المخبر عنه؛ وهو النبي ρ[3].

والوجه في قول من قال: [وَرَحْمَةٌ] بالرفع؛ أنه ردّه بالواو على قوله: [أُذُنٌ] والمعنى: قل يا محمد أذن خير لكم ورحمة؛ أي: هو رحمة، أي: هو مستمع خير وهو رحمة، فجعل النبي ρ الرحمة؛ لكثرة وقوعها به، وعلى يديه، كما قال: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ][4]. وقال أبوعلي الفارسي: «ويجوز أن يكون الرفع على إضمار مضاف محذوف تقديره: قل هو أذن خير لكم، وهو ذو رحمة»[5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في هذه الآية فرعاً آخر من جهالات المنافقين فقال: [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ] وقد نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه ρ ما لا ينبغي، فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد[6]: «نقول ماشئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف، فيصدقنا بما نقول، إنما محمد أذن سامعة»[7]، وذلك قوله عز وجل: [وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ] أي: يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه، وإنما قالوه؛ لأنه ρ كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا، ويصفح عنهم حلماً وكرماً، فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا.

قال الشوكاني: «وإنما أطلقت العرب على من يسمع ما يُقال له فيصدقه أنه أذن مبالغة؛ لأنهم سموه بالجارحة، التي هي آلة السماع، حتى كأن جملته أذن سامعة».

ثم أجاب الله عن قولهم هذا، فقال: [قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ] أي: هو أذن خير لا أذن شر، أي: يسمع الخير ولا يسمع الشر، ثم فسر كونه أذن خير بقوله: [يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ] أي:

---

(١) أشار الناظم بحرف (الفاء) من قوله: «فأقبلا» إلى حمزة، انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص (٢٨٢).

(٢) انظر ذلك في ص (   ).

(٣) انظر: الكشف، (٥٠٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٢٩/٢).

(٤) الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٥) انظر: الكشف، (٥٠٤.٥٠٣/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٢٩/٢).

(٦) لم أقف على ترجمة له.

(٧) انظر: أسباب النزول: الواحدي، ص(٢٤٨).

يصدق بالله ويصدق المؤمنين، لما علم فيهم من خلوص الإيمان، قوله: [وَرَحْمَةٌ] قرأ الجمهور بالرفع عطف على [خَيْرٍ] والمعنى هو: أنه أذن خير وأنه هو رحمة للمؤمنين، وقرأ حمزة بالخفض عطفاً على [خَيْرٍ]، والمعنى: أنه أذن خير وأذن رحمة، والمعنى: أن النبي ρ أذن خير للمنافقين، و[رَحْمَةٌ] لهم حيث لم يكشف أسرارهم و لا فضحهم، فكأنه قال: هو أذن كما قلتم لكنه أذن خير لكم لا أذن سوء، فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسّره بما هو مدح له وثناء عليه، وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته، ولمعنى قوله: [لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] أي: الذين أظهروا الإيمان وإن لم يكونوا مؤمنين حقيقة، وقوله: [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ] ρ بما تقدم من قولهم: هو أذن، ونحو ذلك مما يصدق عليه أنه أذية لرسول الله ρ، [لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] أي: شديد الألم[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري قراءة من قرأ [وَرَحْمَةٌ] بالرفع قائلا: «وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ [وَرَحْمَةٌ] بالرفع، عطفاً بها على [أُذُنُ] بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم، وجعله الله رحمة لمن أتبعه واهتدى بهداه وصدّق بما جاء به من عند ربه؛ لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتباعه جنّاته»[2].

ويقول النحاس مستبعداً قراءة الجر: «هذا عند أهل العربية بعيد؛ لأنه قد تباعد بين الاسمين، وهذا يقبح في المخفوض»[3].

(٧/١٨٢) الاختلاف في [نَعْفُ] و[نُعَذِّبْ] و[طَائِفَةٍ] من قوله عز وجل: [لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] الآية (٦٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [نَعْفُ] و[نُعَذِّبْ] و[طَائِفَةٍ] فقرأ عاصم وحده [نَعْفُ] و[نُعَذِّبْ] بالنون جميعاً و[طَائِفَةً] نصبا، وقرأ الباقون: [يُعْفَ] بالياء وضمها، و[تُعَذَّبْ] بالتاء وضمها و[طَائِفَةٌ] رفعاً[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيَعْفُ بِنُونٍ دُونَ ضَمٍّ وَفَاؤُهُ ... يُضَمُّ تُعَذَّبْ تَاهُ بِالنُّونِ وُصِّلا
وَفِي ذِكْرِهِ نَصْبٌ وَطَائِفَةٌ بِنَصْبِ ... مَرْفُوعِهِ عَنْ عَاصِمٍ كُلُّهُ اعْتَلا[1]

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٠٧.٤٠٥/٦)، فتح القدير، (٣٧٦.٣٧٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١٩٣.١٩٢/٨)، تفسير أبي السعود، (٧٨.٧٧/٤)، التفسير الكبير، (١١٨.١١٥/١٥).

(٢) تفسير الطبري، (٤٠٦/٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٩٣/٨)، فتح القدير، (٣٧٦/٢).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٨)، كتاب السبعة، ص (٣١٥-٣١٦)، النشر، (٢٨٠/٢)، الإتحاف، ص (٢٤٣).

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: العَفْوُ: التَّجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وأصله المَحْوُ والطَّمْسُ، وهو من أبنية المبالغة، يقال: عفا يعفو عفواً، فهو عافٍ وعَفُوٌّ، قال الليث: العَفْوُ: عفو الله عز وجل عن خلقه، والله تعالى العفو الغفور، وكلُّ من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه»، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: (سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى)(٢) وفي رواية: (سَلُوا اللهَ المُعَافَاةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ المُعَافَاةِ)(٣) فأما العفو فهو محو الله ذنوب عبده عنه، وأما العافية فهو أن يعافيه الله تعالى من سُقْمٍ أو بليَّة، وهي الصِّحة ضد المرض، وأما المعافاة فأن يُعافيك الله من الناس ويعافيهم منك؛ أي: يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم(٤).

ثانياً: العذاب: النَّكالُ والعُقوبة، يقال: عذَّبْتُهُ تَعْذيباً وعَذاباً، واستعار الشاعر التعذيب فيما لا حسَّ له فقال:

لَيْسَتْ بِسَوْداءَ مِنْ مَيْثاءَ مُظْلِمَةٍ ولَمْ تُعذَّبْ بِإِذْناءٍ من النَّار

وأصله في كلام العرب الضَّربُ، ثم استعمل في كلِّ عقوبة مُؤلمة، واستعير للأمور الشاقة، فقيل: السفر قطعة من العذاب(٥).

ثالثاً: الطائفة الفرقة من الناس، وأقلها ثلاثة، وربما أطلقت على الواحد والاثنين، وفي الحديث: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ)(٦)(٧).

الوجه في قراءة من قرأ [نَعْفُ] و[نُعَذِّبْ] بالنون جميعاً [طَائِفَةً] نصباً؛ أنه اسند الفعلين إلى الإخبار عن الله عز وجل ذكره، يخبر تعالى ذكره عن نفسه بذلك، ففي [نَعْفُ] ضمير يرجع إلى الله جل ذكره، وكذلك في [نُعَذِّبْ]، ونصب طائفة بوقوع العذاب عليها، وأضاف أبو علي الفارسي قائلا: «حجة من قال [نَعْفُ] و[نُعَذِّبْ] قوله: [ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ](٨)»(٩).

---

(١) انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص(٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، (٤/١).

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم (٣٨٣٩).

(٤) انظر: لسان العرب، (٧٣.٧٢/١٥)، مختار الصحاح، ص (٤٤٣.٤٤٢)، المصباح المنير، (٤١٩/٢).

(٥) انظر: لسان العرب، (٥٨٥/١)، المصباح المنير، (٣٩٨/٢).

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، حديث رقم (٢١٥٥).

(٧) انظر: لسان العرب، (٢٢٦/٩)، مختار الصحاح، ص (٤٠٠)، المصباح المنير، (٣٨٠/٢).

(٨) البقرة، الآية (٥٢).

(٩) انظر: الكشف، (٥٠٤/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٦)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٣٠/٢).

والوجه في قراءة من قرأ [يُعْفَ] بالياء وضمها و[تُعَذَّبْ] بالتاء وضمها و[طَائِفَةٌ] رفعاً؛ أنه حمل الفعلين على ما لم يسم فاعله، و[طَائِفَةٌ] في موضع رفع مفعول ما لم يسم فاعلة؛ لأن [يُعْفَ] لا يتعدى إلا بحرف جر[1].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ] على جهة التوبيخ، كأنه يقول: لا تفعلوا ما لا ينفع، ثم حكم عليهم بالكفر وعدم الاعتذار في الذنب، بسبب إظهارهم الكفر بما وقع منهم من الاستهزاء المنصوص عليه بقوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ][2]، وذلك بعد إظهاركم الإيمان مع كونكم تبطنون الكفر.

ثم قال تعالى: [إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ] وهم من أخلص الإيمان وترك النفاق وتاب عنه، قوله: [نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] مصرين على الإجرام، وهم غير التائبين، أو مباشرين له، وهم غير المجتنبين، وقرئ: [نُعَذِّبْ] بالنون وبالتاء الفوقية على البناء للمفعول، وبالتحتية على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه.

قال القرطبي: «واختلف في اسم هذا الرجل الذي عفي عنه فقيل: مَخْشِيُّ بن حُمَيِّر، قاله ابن إسحاق. وقال: ابن عبد البَرِّ: «مخاشن الحميري»، وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة، وكان تاب وسُمي عبد الرحمن، فدعا الله أن يُقتل شهيداً ولا يُعلم قبره، واختلف هل كان منافقاً أو مسلماً، فقيل: كان منافقاً ثم تاب توبة نصوحاً»[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة من قرأ بالياء والتاء قائلا: «والاختيار ما عليه الجماعة من الياء والتاء، ورفع طائفة»[4] وقال: الرازي: «الجيد قراءة العامة [إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ] بالتذكير، و[تُعَذَّبْ طَائِفَةٌ] بالتأنيث[5].

(١٨٣/٨) الاختلاف في [السَّوْءِ] من قوله عز وجل: [وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] الآية (٩٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [السَّوْءِ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [السُّوءِ] بضم السين، وقرأ الباقون [السَّوْءِ] بالفتح[6].

---

(١) انظر: الكشف، (٥٠٤/١)، كتاب معاني القراءات، ص (٢١١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٠).

(٢) الآية (٦٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٤١٠/٦)، فتح القدير، (٣٧٧/٢-٣٧٨)، الجامع لأحكام القرآن، (١٩٨/٨-١٩٩)، تفسر أبي السعود، (٨٠/٤)، التفسير الكبير، (١٢٣/١٥-١٢٦).

(٤) الكشف، (٥٠٤/١-٥٠٥).

(٥) التفسير الكبير، (١٢٤/١٥).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص (١٩)، كتاب السبعة، ص (٣١٦)، النشر، (٢٨٠/٢)، الإتحاف، ص (٢٤٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وحقٌّ بضمِّ السَّوءِ مع ثانٍ فتحِها وتحريكُ وَرْشٍ قُرْبَةٌ ضمُّهُ جلا(١)

ثانياً: توجيه القراءات:

يقال: ساءه يسوءه سَوْءاً وسُوءاً وسَواءً وسَوَاءَةً وسوايةً وسوائيةً ومَساءةً ومسايةً ومَساءً ومَسائيةً: فعل به ما يكره، نقيض سَرَّه. والاسم السُّوء بالضم. والسُّوء: الفجور والمُنكر. ورجلٌ أسْوَأ: أقبح، والأنثى سَوْآء: قبيحة(٢).

الوجه في قراءة من قرأ [السُّوءِ] بضم السين؛ أنه جعل السوء، يراد به الهزيمة والشر والبلاء، فتقديره: عليهم دائرة الشر والهزيمة والبلاء والضرر، يقال: هو رجل سُوءٍ؛ أي: رجل شر، ضد هزيمة، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «وحجتهم قوله: [والسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ](٣)»(٤).

والوجه في قراءة من قرأ [السَّوْءِ] بفتح السين أنه أراد المصدر من قولك: ساءني الأمر سَوْءاً ومساءةً ومسايةً، وقال: الفراء: «السُّوء بالضم؛ الاسم، مثل الضُّرّ والشُّؤم، والسَّوْء بالفتح: المصدر»، وقال مكي: «بالفتح: الرَّداءة والفساد، والمعنى: عليم دائرة الفساد، واستدلوا بقوله: [وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ](٥)»(٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما ذكر سبحانه أحوال المنافقين بالمدينة ذكر حال من كان خارجاً عنها من الأعراب فقال [الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا] وذلك لأنهم أقسى قلباً، وأغلظ طبعاً، وأجفى قولاً، وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله، والأعراب؛ هم من سكن البوادي بخلاف العرب، فإنه عام لهذا النوع من بني آدم سواء سكنوا البوادي أو القرى، ثم قال: [وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ] أي: أحق وأخلق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من الشرائع, والأحكام؛ لبعدهم عن مواطن الأنبياء وديار التنزيل.

ثم قال: [وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا] والمغرم: الغرامة والخسران، إذ لا ينفق ماله احتساباً ورجاءً لثواب الله تعالى ليكون له مغنماً، وإنما ينفقه رياءً وتقية، فهي غرامة محضة،

---

(١) أشار الناظم بكلمة (حقٌّ) إلى ابن كثير وأبي عمرو، واحترز بقوله: «مع ثانٍ فتحها» عن الموضع الأول فيها، وهو [الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ] الفتح الآية (٦) وعن الموضع الثالث فيها وهو قوله: [وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ] الفتح الآية (١٢). انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص (٢٨٣).

(٢) انظر: لسان العرب، (٩٥/١-٩٧)، مختار الصحاح، (٣١٩)، المصباح المنير (٢٩٨/١).

(٣) النحل، الآية (٢٧).

(٤) انظر: الكشف، (٥٠٥/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٧)، الحجة: ابن زنجلة ص (٣٢١).

(٥) الفتح، الآية (١٢).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(١٧٧)، الكشف، (٥٠٥/١).

قوله: [وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ] التَّربُّص: الانتظار، والدَّوائر: جمع دائرة، وهي الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية، أي: يجمعون إلى الجهل بالإنفاق سوء الدخلة وخبث القلب. ثم دعا سبحانه عليهم بقوله: [عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ]، وجعل مما دعا به عليهم مماثلا لما أرادوه بالمسلمين، أي: جعل الله دائرة السَّوء عليهم، ونزول المكروه بهم، لا عليكم أيها المؤمنون، ولا بكم.

وقرأ الجمهور: [السَّوْءِ] بالفتح، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو [السُّوءِ] بالضم، والفرق بينهما أن السُّوء بالضم: المكروه، قال الأخفش: «أي: عليهم دائرة الهزيمة والشر، والسَّوء بالفتح عند جمهور القراء: مصدر، وأضيفت الدائرة للملابسة؛ كقولك: رجل صدق». وقال: الفراء: «السُّوء؛ أي: عليهم دائرة العذاب والبلاء، والسَّوء بالفتح: مصدر سؤته سوء أو مساءة». وثم قال: [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] لما يقولونه: [عَلِيمٌ] بما يضمونه(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة: [السَّوْءِ] بالفتح، قائلا: «يبعد الضم، وقد أجمعوا على قوله: [ظَنَّ السَّوْءِ](٢) بالفتح وأكثر العرب على فتح السين في قولهم: هو رجل سَوء»، ثم يقول: «وهو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»(٣).

ووافقه الطبري في الاختيار، ويقول: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين، بمعنى: عليهم الدائرة التي تسُوؤهم سوءاً، كما يقال: هو رجل صِدق، على وجه النعت»(٤). وقال: الرازي: «قال الفراء: فتح السين هو الوجه؛ لأنه مصدر قولك: ساء يسوء سوأً ومساءةً»(٥).

(٩/١٨٤) الاختلاف في: [صَلَاتَكَ] من قوله عز وجل: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] الآية (١٠٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [صَلَاتَكَ]، فقرأ الأخوان وحفص: [صَلَاتَكَ] على التوحيد، وقرأ الباقون: [صَلَوَاتِكَ] بالجمع(٦).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَتَحْتَ تَجْرِي زَادَ مِنْ صَلَوَاتِكَ وَحِّدْ وَافْتَحِ التَّا شَذاً عَلا(١)

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/٤٥١-٤٥٢)، فتح القدير، (٢/٢٩٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٨/٢٣٤)، تفسير أبي السعود، (٤/٩٥)، التفسير الكبير، (١٥/١٦٦-١٦٧).

(٢) الفتح، الآية (٦).

(٣) الكشف، (١/٥٠٥).

(٤) تفسير الطبري، (٦/٤٥٢).

(٥) التفسير الكبير، (١٥/١٦٧).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٩)، كتاب السبعة، ص (٣١٧)، النشر، (٢/٢٨١)، الإتحاف، ص (٢٤٤).

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [صَلَاتَكَ] لغوياً في النص رقم (٥/١٦٧)[٢]. الوجه في قول من قال: [صَلَاتَكَ] على التوحيد؛ أن الصلاة بمعنى الدُّعاء، والدُّعاء صنف واحد، وهي مصدر، والمصدر يقع للقليل والكثير، بلفظه، قال ابن زنجلة: «حجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله: [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي][٣]»[٤].

والحجة لمن جمع أنه قدّر أن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك كما قال: [إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ][٥]، وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «حجتهم إجماع الجميع على الجمع في قوله قبلها: [وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ][٦] فلا فرق في شيء من ذلك في وجه من الوجوه» وقال ابن خالويه: «من جمع أراد الدّعاء للجماعة، وترداده ومعاودته»[٧].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في الآية السابقة عاد سبحانه إلى شرح أحوال المنافقين من أهل المدينة ومن يقرب منها من الأعراب فقال: [وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ] أي: تجردوا للنفاق؛ أي: أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه فهؤلاء توعدهم الله سبحانه بقوله: [سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ]. ثم ذكر سبحانه حال طائفة من المسلمين وهم المخلطون في دينهم فقال: [وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا] أي: أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو بغير عذر مسوّغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، لم يعتذروا بالأعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب ورجوا أن يتوب الله عليهم[٨] فهؤلاء وعدهم الله بقوله: [عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]، وحرف التَّرجي وهو [عَسَى] هو في كلام الله يفيد تحقيق الوقوع، قال الشوكاني: «لأن الأطماع من الله سبحانه إيجاب لكونه أكرم الأكرمين».

---

(١) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شذا» إلى حمزة والكسائي، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص، انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي ص (٢٨٣).

(٢) انظر ذلك في ص (   ).

(٣) الأنعام، الآية (١٦٢).

(٤) انظر: الكشف، (٥٠٦.٥٠٥/١)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٣.٣٢٢).

(٥) لقمان، الآية (١٩).

(٦) الآية (٩٩).

(٧) انظر: الكشف، (٥٠٦/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٣٥/٢ . ٣٣٦)، الحجة: ابن خالويه، (١٢٧).

(٨) قال الشوكاني: «مجرد الإقرار لا يكون توبة إلا إذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال والاستقبال»، فتح القدير، (٣٩٩/٢).

ثم قال سبحانه: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً] أختلف في هذه لصَّدقة المأمور بها، فقال ابن عباس: «هي صدقة الفرض»، وهو قول عكرمة، وقيل هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بذنوبها؛ لأنهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله ρ فنزلت هذه الآية. وقوله: [تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا] الضمير في الفعلين للنبي ρ؛ أي: تطهرهم وتزكيهم يا محمد بما تأخذه من الصدقة منهم. ومعنى التطهير: إذهاب ما يتعلق بهم من أثر الذنوب، ومعنى التزكية: المبالغة في التطهير. وقوله: [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ] أي: أدع لهم بعد أخذك تلك الصدقة من أموالهم[1].

ثم علل سبحانه أمره لرسوله ρ بالصلاة على من يأخذ منه الصدقة فقال: [إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ]، وقرئ: [صَلَوَاتَكَ] مراعاة لتعدد المدعو لهم، والسَّكن ما تسكن إليه النفس وتطمئن به. ويثقون بأنه سبحانه قبل توبتهم: [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء، [عَلِيمٌ] بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص في التوبة والدعاء[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور كلتا القراءتين، قائلا: «كله جائز، صلاتك وصلواتك»[3] بينما يرجح الطبري قراءة من قرأ بالتوحيد، معللا ذلك بقوله: «كأن الذين قرأوا ذلك على التوحيد، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحُّ؛ لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله: [إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ] إذ كانت (الصلوات)؛ هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد، دون ما هو أكثر من ذلك» ثم قال: «والذين قالوا من ذلك، عندنا كما قالوا، وبالتوحيد عندنا القراءة لا العلة؛ لأن ذلك في العدد أكثر من الصلوات، ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي ρ وصلواته، أنه سكن لهؤلاء القوم، لا الخبر عن العدد، وإذا كان كذلك، كان التوحيد في (الصلاة) أولى»[4].

وهو ما يراه أبو عبيدة أيضاً، حيث يقول: «والقراءة بالتوحيد أولى؛ لأن الصلاة أكثر، ألا ترى أنه قال: [أَقِيمُوا الصَّلَاةَ][5] والصلوات جمع قلة، تقول ثلاث صلوات، وخمس صلوات»، ويرد

---

(١) قال القرطبي: «هذا أصلٌ في كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة، روي مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم، فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى) سبق تخريجه في ص ( )». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٩/٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤٦٣/٦،٤٦٥)، فتح القدير، (٣٩٨/٢،٤٠٠)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٤/٨،٢٥٠)، تفسير أبي السعود، (٩٧/٤،٩٩)، التفسير الكبير، (١٧٢/١٥،١٨٤).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص (٢١٤).

(٤) تفسير الطبري، (٤٦٥/٦).

(٥) الأنعام، الآية (٧٢).

عليه أبو حاتم قائلا: «هذا غلط؛ لأن بناء الصلوات ليس للقلة؛ لأنه تعالى قال: [مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ](1) ولم يرد القليل، وقال: [وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ](2) وقال: [وَالْمُسْلِمَاتِ](3)»(4).

(١٨٥/١٠) الاختلاف في قوله عز وجل: [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] الآية (١٠٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم الألف وفتحها من قوله عز وجل: [أَسَّسَ بُنْيَانَهُ]، فقرأ نافع وابن عامر: [أُسِّسَ] بضم الألف وكسر السين، [بُنْيَانُهُ] يرفع النون، وقرأ الباقون: [أَسَّسَ] بفتح الهمزة، [بُنْيَانَهُ] بنصب النون(5).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وعَمَّ بِلاَ وَاوِ الذِينَ وَضُمَّ فِي ... مَنْ اسَّسَ مَعْ كَسْرٍ وَبُنْيَانُهُ وِلاَ(6)

ثانياً: توجيه القراءات:

أولا: الأسُّ والأسَسَ والأساس: كلُّ مُبْتَدَأ شيء، والأسُّ والأساس: أصل البناء، يقال: أَسَّ البناءَ يؤسُّه أسَّاً وأَسَّسه تأسيساً: إذا بنى حدوده ورفع من قواعده، وفي المثل: (الصقوا الحسَّ بالأسِّ)(7)(8).

ثانياً: البُنْيان: مبني البُنْيَان والبنْيُ والجمع أَبْنِيَةٌ، وأَبْنيات: جمع الجمع، والبَنَّاء: مدبِّر البنيان وصانعه، والبِنْيَة والبُنْيَة: ما بنيتَهُ، وهو البِنَى والبُنَى(9).

الوجه في قراءة نافع وابن عامر: [أُسِّسَ] بضم الألف وكسر السين، [بُنْيَانُهُ] بالرفع على ما لم يسمَّ فاعله، وحجتهما قوله قبلها: [لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى](10)(11).

---

(١) لقمان، الآية (٢٧).

(٢) سبأ، الآية (٣٧).

(٣) الأحزاب، الآية (٣٥).

(٤) التفسير الكبير، (١٥/١٨٠).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١١٩)، كتاب السبعة، ص (٣١٨)، النشر، (٢/٢٨١)، الإتحاف، ص (٢٤٤).

(٦) أشار الناظم بكلمة (عم) إلى نافع وابن عامر. انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص (٢٨٣.٢٨٤).

(٧) الحسُّ في هذا الموضع الشر، والأسُّ الأصل، يقول: ألصقوا الشر بأصول من عاديتم أو عاداكم. لسان العرب، (٦/٦).

(٨) انظر: لسان العرب، (٦/٦)، مختار الصحاح، ص (١٦)، المصباح المنير، (١/١٤.١٥).

(٩) انظر: لسان العرب، (١٤/٩٤)، مختار الصحاح، ص (٦٦)، المصباح المنير، (١/٦٢).

(١٠) التوبة، الآية (١٠٨).

(١١) انظر: الكشف، (١/٥٠٧)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٨).

والوجه في قراءة الباقين [أَسَّسَ] بالفتح، [بُنْيَانَهُ] بنصب النون؛ أنهم أضافوا الفعل إلى [مَنْ] في قوله: [أَفَمَنْ أَسَّسَ]، [أَمْ مَنْ] ففي الفعلين ضمير (من) وهو صاحب البنيان، وقال ابن زنجلة: «وحجتهم في ذلك أن صدر هذه القصة هو مبني على تسمية الفاعل، وهو قوله: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا]، فجعل الاتخاذ لهم، فكذلك التأسيس يجعل لهم ليكون الكلام واحداً، ثم قال بعد ذلك: [لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً..][1]، والذين بنوا ريبة هم الذين أسسوا فلذلك آثروا تسمية الفاعل»[2].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه أصناف المنافقين، وطرائقهم المختلفة، عطف على ما سبق هذه الطائفة منهم، وهم: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ..] فذكر سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة: الأول: الضرار لغيرهم، وهو المضاررة، والثاني: الكفر بالله و المباهاة لأهل الإسلام؛ لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق، والثالث: التفريق بين المؤمنين؛ لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقلّ جماعة المسلمين، وفي ذلك اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ملا يخفى، الرابع: الإرصاد لمن حارب الله ورسوله ρ؛ أي الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله ρ.

ثم نهى سبحانه رسوله ρ عن الصلاة في مسجد الضرار فقال: [لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا]، ثم ذكر سبحانه علة النهي عن القيام فيه بقوله: [لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ]، وهو مسجد قباء كما روي عن ابن عباس والضحاك وغيرهما، وقوله: [فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا] ومعنى محبتهم للتطهر: أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه عند عروض موجبه، وقوله: [وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ] ومعنى محبة الله لهم: الرضا عنهم، والإحسان إليهم.

ثم بين سبحانه أن بين الفريقين بوناً بعيداً، فقال: [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ] الهزة للإنكار التقويري، والجملة مستأنفة، والمعنى: أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي تقوى الله ورضوانه خير ممن أسس دينه على ضدّ ذلك؛ وهو الباطل والنفاق، وقرئ: [أُسِّسَ بُنْيَانُهُ] على بناء الفعل للمفعول، [عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ] أي: على قاعدة محكمة؛ هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة، [خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ] الشّفا: شفير الجرف؛ بقيته، والجُرف: ما يجرف من السيول والأودية، والإجتراف: اقتلاع الشيء من أصله، والهار: الساقط: يُقال هار البناء: إذا سقط[3].

---

(١) الآية (١١٠).

(٢) انظر: الكشف، (٥٠٧/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٣٧/٢)، الحجة: ابن زنجلة، (٣٢٤).

(٣) غريب القرآن، ص (٧٦،٧٥).

جعل سبحانه هذا مثلا لما بنوا عليه دينهم الباطل المضمحل بسرعة ثم قال: [فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ] مثل ما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر[١]. ثم قال سبحانه تعالى: [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] أي: لأنفسهم، والمعنى: أنه سبحانه لا يوفقه للرشاد في أفعاله، من كان بانياً بناءه في غير حقه وموضعه، ومن كان منافقاً مخالفاً بفعله أمر الله سبحانه وأمر رسوله ρ[٢].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري كلتا القراءتين، قائلا: «المعنى واحد في القراءتين» ثم يقول: «إلا أن الضم يدل على أنه لم يُسَمَّ فاعله، والنصب يدل الفاعل والمفعول، وكل ذلك جائز»[٣].

رجح أبو علي الفارسي قراءة من قرأ: [أَسَّسَ بُنْيَانَهُ] بفتح والنصب وعلل ذلك بقوله: «ويدل على ترجيح هذا الوجه اتفاقهم على قوله: [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ]»[٤].

ويوافقه الطبري قائلا: «هما قراءتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ، غير أن قراءته بتوجيه الفاعل إلى مَنْ، إذْ كان هو المؤسس أعجب إليّ»[٥]. وقال: القرطبي: «هي اختيار أبي عبيد لكثرة من قرأ به، وأن الفاعل سمي به»[٦].

(١٨٦/١١) الاختلاف في: [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] من قوله عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] الآية (١١١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ]، فقرأ الأخوان: [فَيُقْتَلُونَ] بضم الياء و[وَيَقْتُلُونَ] بفتح الياء، وقرأ الباقون: [فَيَقْتُلُونَ] بفتح الياء، و[وَيُقْتَلُونَ] بضم الياء[١].

---

(١) قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه، ويصعد إلى الله ويرفع إليه، ويخبر عنه بقوله تعالى: [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] الرحمن (٢٧)، ويخبر عنه أيضا بقوله تعالى: [وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ] الكهف (٤٦)». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٥/٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤٧٩.٤٧٨/٦)، فتح القدير، (٤٠٤.٤٠٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٥.٢٦٣/٨)، تفسير أبي السعود، (١٠٣.١٠١/٤)، التفسير الكبير، (١٩٧.١٩٤/١٥).

(٣) كتاب معاني القراءات، ص (١٢٥).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٣٧/٢).

(٥) تفسير الطبري، (٤٧٨/٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٣/٨).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

هنا قاتلوا أخِّر شفاء وبعدُ في براءة أخِّر يقتلون شرد لا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الوجه في قراءة الأخوان [فيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ] بالضم والفتح يبدأ المفعولين قبل الفاعلين، هو مدح؛ لأنهم يقتلون بعد أن يُقتَل منهم، كما قال تعالى: [فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ][3] أي: ما وهن من بقي منهم لقتل من قُتِل من الربيين.

والوجه في قراءة من قرأ: [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] بالفتح والضم، قدم الفعل المسند إلى الفاعل، على الفعل المسند إلى المفعول، فلأنهم يقتلون أو قاتلوا في سبيل الله ويُقتلون، ويقاتلون إذا قُتلوا. وقال: ابن زنجلة «وإذا أخبر عنهم وبدأ بأنهم قد قُتلوا فمحال أن يقتلوا بعد هلاكهم، هذا ما يوحيه ظاهر الكلام»[4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن شرع سبحانه في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم، لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، فلما تم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسامهم، وفرع على كل قسم ما كان لائقاً به، عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته فقال: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ] وذكر الشراء تمثيل كما في قوله: [أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى][5] وقد مثل سبحانه للمجاهدين بالجنة؛ لبذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء، وأصل الشراء بين العباد وهو إخراج الشيء عن الملك بشيء آخر مثله أو دونه أو أنفع منه، فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة التي أعدها للمؤمنين أي: بأن يكونوا من جملة أهل الجنة، وممن يسكنها فقد جادوا بأنفسهم، وهي أنفس الأعلاق، والجود بها غاية الجود، وجاد الله عليهم بالجنة، وهي أعظم ما يطلبه العباد، ويتوسلون إليه، بالأعمال، والمراد بالأنفس هنا؛ أنفس المجاهدين. والأموال؛ ما ينفقونه في الجهاد.

قوله: [يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وهذا بيان للبيع الذي يقتضيه الإشتراء المذكور. ثم بين هذه المقاتلة في سبيله بقوله: [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] والمراد أنهم يقدمون على قتل الكفار في الحرب ويبذلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا الجنة، وإن لم يقع القتل عليهم بعد البلاء في

---

(1) انظر: كتاب التيسير، ص (١٢٠)، كتاب السبعة، ص (٣١٩)، النشر، (٢/٢٤٦)، الإتحاف، ص (٢٤٥).

(2) أشار الناظر بحرف (الشين) من قوله: شفاءً » إلى حمزة ولكسائي، وأيضاً في سورة آل عمران: [وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا] الآية (١٩٥)، حيث قرأ: [وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا] بيدآن بالفعل المبني للمفعول به قبل الفعل المبني للفاعل، والشمردل: الكريم: انظر: المتن، ص (٤٧)، الوافي، ص (٢٨٢).

(3) آل عمران، الآية (١٤٦).

(4) انظر: الحجة: أبو علي الفارسي، (٢/٣٤٢،٣٤٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٥).

(5) البقرة، الآية (١٦).

الجهاد والتعرض للموت بالأقدام على الكفار. وقراءة الجمهور [وَيُقْتَلُونَ] بالفتح والضم، وهو ظاهر؛ لأن المعنى: أنهم يقتلون الكفار، ولا يرجعون عنهم إلى أن يصيروا مقتولين، وقراءة الأخوين [فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ] بالضم والفاتح، بتقديم المفعول على الفاعل، فالمعنى: أن طائفة كبيرة من المسلمين، وإن صاروا مقتولين لم يعد ذلك رادعاً للباقين عن المقاتلة، بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء، مقاتلين لهم بقدر الامكان ثم.

ثم قال تعالى: [وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ] وهو إخبار منه سبحانه أن فريضة الجهاد واستحقاق الجنة بها، قد ثبت الوعد بها من الله عز وجل في التوراة والإنجيل كما وقع في القرآن الكريم، وقوله: [وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ] أي: لا أحد أوفي بعده من الله، قال الشوكاني: «وفي هذا من تأكيد الترغيب للمجاهدين في الجهاد، والتنشيط لهم على بذل الأنفس والأموال ما لا يخفى، فإنه أو لا أخبر بأنه قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، ثم أخبر ثانياً بأنه وعد بذلك في كتبه المنزلة، ثم أخبر بأنه بعد هذا الوعد الصادق لا بد من حصول الموعود به فإنه لا أحد أوفى بعده من الله سبحانه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد».

ثم زادهم سبحانه سروراً وحبوراً فقال: [فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ] أي: أظهروا السرور بذلك، والبشارة: هي إظهار السرور، ثم أشار بقوله: [وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] أي: الجنة، ووصف الفوز وهو الظفر بالمطلوب بـ[الْعَظِيمُ] يدل على أنه فوز لا فوز مثله[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي قراءة حمزة والكسائي وعلل ذلك بقوله: «كان حسناً؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى: وإن كان مؤخراً في اللفظ، وليس العطف بها كالعطف بالفاء»[٢] وقال ابن زنجلة: «قال أحمد بن يحيى: هذه القراءة أبلغ في المدح؛ لأنهم يقاتلون بعد أن يقتل منهم»[٣].

(١٢/١٨٧) الاختلاف في [يَزِيغُ] من قوله عز وجل: [لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ] الآية (١١٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٨٢.٤٨١/٦)، فتح القدير، (٤٠٩.٤٠٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٩.٢٦٧/٨)، تفسير أبي السعود، (١٠٦.١٠٤/٤)، التفسير الكبير، (٢٠٢.١٩٨/١٥).

(٢) الحجة: أبو علي الفارسي، (٥٩/٢).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص (١٨٧).

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَزِيغُ]، فقرأ حمزة وحفص: [يَزِيغُ] بالياء، وقرأ الباقون: [تَزِيغُ] بالتاء[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يَزِيغُ عَلَى فصلٍ وَءَنْ مَنْ خاطَب فَشَوَاهِ عَي فِيهِ الْيَاءَيْنِ حُمِّلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الزَّيْغُ: المَيْل، يقال: زَاغَ يَزِيغُ زَيْغاً وزَيَغَاناً وزُيُوغاً وزَيْغُوغة وأَزَغْتُه أنا إزاغةً، وهو زائغ، من قومٍ زاغةٍ؛ إذا مال، وفي حديث الدعاء: [لا تُزِغْ قَلْبِي][3] أي: لا تُمِلْه عن الإيمان[4].

الوجه في قراءة من قرأ: [يَزِيغُ] بالياء؛ أنه حمله على تذكير [كَادَ]، كما قال: [وَقَالَ نِسْوَةٌ][5]، وفي [كَادَ] إضمار الحديث، فارتفعت (القلوب) بـ [يَزِيغُ]، ولأجل هذا الإضمار جاز أن يلي [يَزِيغُ] [كَادَ]، كأن ذلك المضمر حال بينهما، ويصير [قُلُوبُ] خبر [كَادَ]، وأضاف ابن خالويه قائلا: أو «لأنه جمعٌ ليس لتأنيثه حقيقه»[6].

والوجه في قراءة من قرأ: [تَزِيغُ] بالتاء؛ أنه أراد تقديم [الْقُلُوبُ] قبل الفعل فدل بالتاء على التأنيث؛ لأنه جمع، وقال مكي: «أنث لتأنيث الجماعة، كما قال: [قَالَتِ الأَعْرَابُ][7]» وقال ابن زنجلة: «حجة التاء قوله: [وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا][8] ولم يقرأ أحد بالياء في هذا الموضع»[9].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما استقصى سبحانه في شرح أحوال غزوة تبوك، وبين أحوال المتخلفين عنها، وأطال القول في ذلك، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها، ومن بقية تلك الأحكام ما صدر

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص (١٢٠)، كتاب السبعة، ص (٣١٩)، النشر، (٢٨١/٢)، الإتحاف، ص (٢٤٥).

(٢) أشار الناظم بحرف (العين) من (علي) إلى حفص، وبحرف (الفاء) من قوله: «فصل» إلى حمزة. انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي، ص (٢٨٤).

(٣) نص الحديث عن عائشة رضي الله عنها: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] أخرجه أبو داود كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، حديث رقم (٤٤٠٢).

(٤) انظر: لسان العرب، (٤٣٢/٨)، مختار الصحاح، ص (٢٨٠)، المصباح المنير، (٢٦١/١).

(٥) يوسف، الآية (٣٠).

(٦) انظر: الكشف، (٥١٠/١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٤٥/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٨).

(٧) الحجرات، الآية (١٤).

(٨) المائدة، الآية (١١٣).

(٩) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٨)، الكشف، (٥١٠/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٦).

عن النبي ρ نوع زلة جارية مجرى ترك الأولى، وصدر أيضاً عن المؤمنين نوع زلة، فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم في تلك الزلات فقال: [لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ] أي: لقد تاب عن النبي ρ فيما وقع منه من الإذن في التخلف، وكذلك تاب سبحانه عن المهاجرين والأنصار فيما قد اقترفوه من الذنوب.

ثم وصف سبحانه المهاجرين والأنصار بأنهم [اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ] ولم يتخلفوا عنه، وساعة العسرة هي غزوة تبوك، فإنهم كانوا في عسرة شديدة، فالمراد بالساعة، جميع أوقات تلك الغزوة ولم يرد ساعة بعينها، والعسرة: صعوبة الأمر، قوله: [كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ] معنى [يَزِيغُ]؛ أي: تميل وتعدل عن الحق وتترك المناصرة والممانعة[1]. وقال الشوكاني: «[يَزِيغُ] تعلق بالجهد والمشقة والشدة»، وقرأ حمزة والكسائي [يَزِيغُ] بالياء لتقدم الفعل، وقرأ الجمهور [تَزِيغُ] لتأنيث القلوب.

وفي تكرير التوبة عليهم بقوله: [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ]؛ تأكيد ظاهر واعتناء بشأنها، والمراد أنه تاب عليهم لكيدهم، [إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ] وهما صفتان لله تعالى، وهو استئناف تعليلي فإن الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو[2].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة [تَزِيغُ] بالتاء، قائلا: «هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»[3].

(١٣/١٨٨) الاختلاف في [يَرَوْنَ] من قوله عز وجل: [أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ] الآية (١٢٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [يَرَوْنَ]، فقرأ حمزة وحده: [تَرَوْنَ] بالتاء، وقرأ الباقون [يَرَوْنَ] بالياء[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يَزِيغُ عَلَى فَصْلٍ يَرَوْنَ مُخَاطَبٌ ... فَشَا وَعَلَيْهِمْ فِيهِمَا الْيَاءَ بَيْنَ حُمِّلاَ[5]

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) غريب القرآن، ص (٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥٠٢.٥٠١/٦)، فتح القدير، (٤١٣.٤١٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨١.٢٧٧/٨)، تفسير أبي السعود، (١٠٩.١٠٨/٤)، التفسير الكبير، (٢١٦.٢١٣/١٥).

(٣) الكشف، (٥١١.٥١٠/١).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص (١٢٠)، كتاب السبعة، ص (٣١٩)، النشر، (٢٨١/٢)، الإتحاف، ص (٢٤٥).

(٥) أشار الناظم بحرف (الفاء) في قوله: «فشاء» إلى حمزة، انظر: المتن، ص (٥٨)، الوافي ص (٢٨٤).

الرُّؤية بالعين: تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم: تتعدى إلى مفعولين، يقال: رأى زيداً عالماً، ورأى رأياً ورُؤْيةً وراءةً مثل راعةً، وقال ابن سيدة: «الرُّؤْية: النظر بالعين والقلب»(١).

الوجه في قراءة من قرأ [أَوَلَا تَرَوْنَ] بالتاء؛ أنه جعل الخطاب للنبي ρ فدلّ بالتاء على ذلك، وأدخل أمته معه في الرؤية، أي: أنتم معشر المؤمنين؛ أنهم يفتنون؛ يعني المنافقين، فنبَّه المسلمون على قلة اعتبارهم واتعاظهم(٢).

والوجه في قراءة من قرأ [أَوَلَا يَرَوْنَ] بالياء؛ أنه أراد أن يجعل الفعل لهم، ودلّ بالياء على الغيبة؛ أي: أو لا يرى المنافقون أنهم يُمتحنون؛ أي: يمتحنون بالمرض كل عام مرة أو مرتين، قال مكي: «في الكلام معنى التوبيخ لهم، والتقريع على تماديهم في نفقاتهم مع ما يرون من الفتن والمحق في أنفسهم، فلا يتوبون من نفاقهم»(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما بين سبحانه أن الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون، وذلك دليل على عذاب الآخرة، بين أنهم لا يتخلصون في كل عام مرة أو مرتين عن عذاب الدنيا، فقال: [أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ] الهمزة للإنكار والتوبيخ، والواو للعطف على مقدر؛ أي: لا ينظرون و لا يرون، وقرأ الجمهور [يَرَوْنَ] بالياء، خبراً عن المنافقين، وقرأ حمزة [تَرَوْنَ] بالتاء؛ خبراً عنهم وخطاباً للمؤمنين، قال الرازي: «فعلى قراءة المخاطبة؛ كان المعنى: أن المؤمنين نبهوا على إعراض المنافقين عن النظر والتدبر، ومن قرأ على المغايبة؛ كان المعنى: تفريع المنافقين بالإعراض عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الأمور الموجبة للاعتبار» ومعنى [يُفْتَنُونَ] يختبرون، قوله: [ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ] بسبب ذلك [وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ] وهذا تعجيب منه سبحانه للمؤمنين من حال المنافقين، وتصلبهم في النفاق وإهمالهم للنظر والاعتبار.

قال أبو السعود: «في قوله: [مَرَّتَيْنِ] المراد مجرد التكثير، لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور»(٤).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور الأزهري كلتا القراءتين, قائلا: «والمعنيان متقاربان»(١)، بينما رجح مكي قراءة من قرأ بالياء، معللا ذلك بقوله: «لأن الجماعة عليه، ولأن رؤيتهم لما يحلّ بهم أعظم

---

(١) انظر: لسان العرب، (٢٩١/١٤)، مختار الصحاح، ص (٢٦٦)، المصباح المنير، (٢٤٧/١).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص (١٧٨)، كتاب معاني القراءات، ص (٢١٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص (٣٢٦).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، (١٧٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣٤٣/٢)، الكشف، (٥٠٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٥١٩/٦ ، ٥٢١)، فتح القدير، (٤١٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٩٩/٨)، تفسير، أبي السعود، (١١٣/٤)، التفسير الكبير، (٢٣٣.٢٣٢/١٥).

في الحجة عليهم من رؤية غيرهم لما يحل بهم»[٢]، ويوافقه الطبري قائلا: «والصواب عندنا من القراءة في ذلك، الياء ، وعلى وجه التوبيخ من الله لهم؛ لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه، وصحة معناه»[٣].

(١) كتاب معاني القراءات، ص (٢١٦).

(٢) الكشف، (٥١٠،٥٠٩/١).

(٣) تفسير الطبري، (٥١٩/١).

الفصل السابع

أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة يونس υ

مقدمة تعريفية للسورة:

نزلت سورة يونس υ بعد سورة الإسراء، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، فتكون سورة يونس من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة، فهي سورة مكية من أواخر ما نزل من القرآن بمكة، وقد سميت بهذا الاسم؛ لذكر قصة يونس υ فيها، وتبلغ آياتها (١٠٩)، أو(١١٠) آية(١).

أوجه مناسبتها **بسورة** التوبة:

مناسبتها لما قبلها من وجهين: أحدهما: أن الله أمتن على المؤمنين . في آخر التوبة . مجيء رسول إليهم من أنفسهم، وعزيز عليه عنتهم(٢)، حريص عليهم، أي على هدايتهم، رءوف رحيم بهم، فذكر في مفتتح هذه السورة عَجَب الكفار من أن يوحى الله إلى رسوله ρ لينذر ويبشر [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ](٣)، والاستفهام إنكاري؛ لإنكار تعجبهم من إرسال رسول الله منهم؛ أي: لا يليق ولا ينبغي أن يتعجبوا من إرسال بشر؛ لأن البشر أهل لتحمل الرسالة خصوصا محمدا ρ في كمال صفاته وقوته.

ثانيها: أنه قال في ختام السورة السابقة [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ أي: الناس جميعا عن الإيمان [فَقُلْ ... إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ](٤)، فبين هنا الأوصاف التي أوجبت التوكل عليه والالتجاء إليه [إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ](٥)، فلأجل أنه خالق السماوات والأرض ومدبر الأمر فيهما، ومربي الخلق، بما يصلح شئونهم، وجب إفراده بالعبادة، ومن أعلى مقاماتها التوكل عليه، والاكتفاء به عن سائر مخلوقاته سبحانه وتعالى(٦).

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن ص(٢٠٣).

(٢) العَنَتُ: دخول المشقة على الإنسان، والشقاء والشدة. انظر: لسان العرب، (٦١/٢).

(٣) يونس، الآية (٢).

(٤) التوبة، الآية (١٢٩).

(٥) يونس، الآية (٣).

(٦) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٣.٣٤).

(١٨٩/١) الاختلاف في [لَسَاحِرٌ] من قوله تعالى: [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] الآية (٢).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف وحذفها من قوله عز وجل: [لَسَاحِرٌ]، فقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: [لَسَاحِرٌ] بالألف، وقرأ الباقون: [لَسِحْرٌ] بغير الألف[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نُفَصِّلُ يا حَقٌّ عَلا سَاحِرٌ ظُبًى وحَيْثُ ضِيَاءً وافَقَ الهَمْزَ قُنْبُلا[٢].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [لَسَاحِرٌ] لغويا في النص رقم (٢٤/٦٠) [٣]، الحجة لمن أثبت الألف فهو نعت على (فاعل)؛ والمراد النبي ρ، واستدلوا بقوله تعالى في الآية السابقة: [أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ] وقال: [قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا]؛ يعني النبي ρ، [لَسَاحِرٌ مُبِينٌ]، وكذلك استدلوا بإجماع الجميع على قوله: [سَاحِرٌ كَذَّابٌ][٤][٥].

والحجة لمن قرأ: [لَسِحْرٌ] من غير الألف على المصدر؛ أي ما هذا الخارق إلا سحر، أو بمعنى ذو سحر، وحجتهم أن السحر يدل على الساحر؛ لأن الفعل لا يكون إلا من فاعل، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، واستدلوا بقوله: [إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ][٦]، وقوله: [سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ][٧][٨].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٠)، كتاب السبعة ص(٢٢٣)، النشر (٢٥٦/٢)، الإتحاف ص(٢٤٦).

(٢) أشار الشاطبي رحمه الله بحرف (الظاء) إلى الكوفيين وابن كثير، وقال: «وعلمت هذه القراءات من الشهرة».انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٥.٢٨٦).

(٣) انظر ذلك في ص( ).

(٤) غافر، الآية (٢٤).

(٥)انظر: الإتحاف ص(٢٠٣)، كتاب معاني القراءات، ص(١٤٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥)، وص(١٧٩). الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٤٠) وص(٣٢٧)

(٦) المدثر، الآية (٢٤).

(٧) القمر، الآية (٢).

(٨) انظر: الإتحاف، ص(٢٠٤) الحجة: ابن خالويه، ص(١٣٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٧).

ثالثا: المعنى العام للآية:

يقول الله تعالى منكرا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر، كما أخبر تعالى عن القرون الماضية في قولهم: [أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا][1]، وقال هود وصالح عليهما السلام: [أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ][2]، قال تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا: [أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ][3].

وسبب النزول كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما: أن الكفار قالوا لما بعث محمد ρ: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب فنزلت: [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا]؛ يعني أهل مكة[4].

وأما قوله: [قَدَمَ صِدْقٍ] اختلفوا فيه، فقال ابن عباس: «قدم صدق: منزل صدق، ودليله قوله تعالى: [رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ][5]»، وعنه أيضاً: «أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم»، وهو الذي اختاره الطبري، وقال الزجاج: «درجة عالية»[6]. قوله: [إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ]، أي: مع أنَّا بعثنا إليهم رسولا منهم، رجلا من جنسهم، بشيرا ونذيرا، [مُّبِينٌ]؛ أي ظاهراً، وهم الكاذبون في ذلك[7].

رابعا: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص (٢٣/٦٠)[8].

---

(١) التغابن، الآية (٦).

(٢) الأعراف، الآية (٦٣).

(٣) ص، الآية (٥).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٦/٨).

(٥) الإسراء، الآية (٨٠).

(٦) قال الزمخشري: «فإن قلت لم سميت السابقة قدما؟ قلت: لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما، كما سميت النعمة يدا؛ لأنها تُعطى باليد، وباعاً؛ لأن صاحبها يبوع فيها، فقيل: لفلان قدم في الخير، وأضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة». انظر: الكشاف، (٤٥٦/١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٨٣.٨٠/٧)، فتح القدير، (٤٢٣.٤٢٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٧.٣٠٦/١)، تفسير أبي السعود، (١١٨.١١٦/٤)، التفسير الكبير، (٨.٤/١٧).

(٨) انظر ذلك في ص(   ).

(٢/١٩٠) الاختلاف في [يُفَصِّلُ] من قوله عز وجل: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] الآية (٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله تعالى: [يُفَصِّلُ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: [يُفَصِّلُ] بالياء، وقرأ الباقون: [نُفَصِّلُ] بالنون[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

نُفَصِّلُ يا حَقٌّ علا سَاحِرٌ ظُبىً وحَيْثُ ضياءً وافَقَ الهمْزُ قُنْبُلا[٢].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [يُفَصِّلُ] لغويا في النص رقم (٣٦/٩٩)[٣]. قوله تعالى: [يُفَصِّلُ] يقرأ بالياء والنون، فمن قرأ بالياء؛ أراد الإخبار عن الله؛ لتقدم اسمه تعالى قبل ذلك في قوله: [مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ]، فجعلوا الفعل مسندا إليه بلفظ التوحيد، فكأنه قال: يفصل الله الآيات[٤].

ومن قرأ بالنون [نُفَصِّلُ]؛ فإنه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون الملكوت؛ لأنه ملك الأملاك، وزاد بن زنجلة قائلا: « حجتهم: أن ما جاء في القرآن من قوله: [فَصَّلْنَا][٥] و [يُفَصِّلُ] بلفظ الجمع كثير، فألحق به ما كان له نظيراً ؛ ليكون على سياق واحد» [٦].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدَّالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جِرْم الشمس ضياء، وشعاع القمر نورا[٧].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، ص(٣٢٣)، النشر، (٢٨٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٧).

(٢) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبو عمرو، وبحرف العين من كلمة (علا) إلى حفص. انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٥).

(٣) انظر ذلك في ص( ).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٩).

(٥) الأعراف، الآية (٩٧).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢١٩). الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٨).

(٧) قال القرطبي: «الضياء ما يضئ الأشياء، والنور ما يبين فيخفي؛ لأنه من النار من أصل واحد»، وقال ابن كثير: هذا فنٌّ وهذا فنٌّ آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرا ثم يتزايد نوره وجِرمه، حتى يستوثق ويكتمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع

قوله: [مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ]؛ أي: ما أراد الله بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، وا ظهارا لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتجزى كل نفس بما كسبت فهذا هو الحق، ثم قال سبحانه: [يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ]؛ أي: يبين الحجج والأدلة، فيكون هذا لهم دليلا على أن ذلك بإرادة الله المريد سبحانه[1].

رابعا: ترجيح القراءات:

اختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحفص [يُفَصِّلُ] بالياء، قال الشوكاني: «ولعل وجه هذا الاختيار، أن قبله [مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ] وبعده [وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ][2]»، وأضاف القرطبي قائلا: «فيكون متبعا له»[3]، وقال ابن أبي طالب: «هو إجماع؛ ويقويه أن قبله [يُدَبِّرُ الأَمْرَ][4] على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه»، ثم يقول: «وهو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه»[5].

(٣/١٩١) اختلاف في قوله: [لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ] من قوله تعالى: [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] الآية (١١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

إلى حالة الأولى في تمام الشهر؛ كقوله تعالى: [وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] يس الآية (٣٩-٤٠)، وقوله: [فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] الأنعام الآية (٩٦)، وقال في هذه الآية الكريمة: [وَقَدَّرَهُ]؛ أي: القمر [لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام».

انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٩/٨)، تفسير ابن كثير (٤٧٣/٣).

(١) انظر: تفسير الطبري، (٨٦/٧)، فتح القدير، (٤٢٥.٤٢٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣١١.٣٠٩/٨)، تفسير أبي السعود، (١٢١.١٢٠/٤)، التفسير الكبير، (٣٧.٣٢/١٧).

(٢) الآية (٦).

(٣) انظر فتح القدير (٤٢٥/٢).

(٤) الآية (٢).

(٥) انظر: الكشف، (٥١٤/١).

اختلفوا في فتح القاف ونصب اللام، وضم القاف ورفع اللام من قوله عز وجل: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، فقرأ ابن عامر وحده: ﴿لَقَضَى﴾ بفتح القاف والضاد ﴿أَجَلَهُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأ الباقون: ﴿لَقُضِيَ﴾ بضم القاف وكسر الضاد ﴿أَجَلُهُمْ﴾ برفع اللام[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي قُضِيَ الفَتْحَانِ مع ألِفٍ هُنا   وقُلْ أَجَلُهُمْ بالنَّصْبِ والرَّفْعُ كُمِّلا[2].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ﴾ لغويا في النص رقم (١٣/٧٦)[3]. الحجة لمن قرأ: ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ بفتح القاف والضاد واللام؛ أنه أتى بالفعل على بناء ما سمي فاعله،و أضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه؛ أي قضي الله إليهم أجلهم، وزاد ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «وحجة ابن عامر قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾»[4].

والحجة لمن قرأ: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بضم القاف وكسر الضاد؛ أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله، فرفع به المفعول، ولذلك رفع ﴿أَجَلُهُمْ﴾[5].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دَعَوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم لطفا ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم بالخير والبركة والنماء، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: لو استجاب لهم كل ما دعوا به في ذلك لأهلكهم، وقال الزمخشري: «وضع تعجيله لهم الخير؛ إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم، والمراد أهل مكة».

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾؛ أي: لا يعجل لهم الشر فربما يتوب منهم تائب، أو يخرج من أصلابهم مؤمن، وقوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يتحيرون، والطُّغيان: العلو والارتفاع[1].

---

(١) انظر: كتاب التيسير ص(١٢١)، كتاب السبعة ص(٣٢٤.٣٢٣)، النشر (٢٨٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٧).

(٢) أشار الناظم بحرف (الكافي) في قوله: «كملا» إلى ابن عامر، ثم قال: «وعلمت قراءة غيره من اللفظ». انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٧).

(٣) انظر ذلك ( ).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٨).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٧٩) كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٠).

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح القرطبي و الشوكاني قراءة ابن عامر: [لَقُضِيَ] على البناء للفاعل، وعللا ذلك بقولهما: «لأنه متصل بقوله: [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ]»[2]. وقال ابن أبي طالب: «لولا الجماعة لكانت القراءة الأولى . يعني قراءة ابن عامر . أولى بالإتباع؛ لصحة معناها»[3]. وقال الزمخشري: «وتنصره قراءة عبد الله: [لَقَضَيْنَا إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ]»[4].

(٤/١٩٢) الاختلاف في [يُشْرِكُونَ] من قوله عز وجل: [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الآية (١٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله تعالى: [يُشْرِكُونَ]، فقرأ الأخوان: [تُشْرِكُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يُشْرِكُونَ] بالياء[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَخَاطَبَ عما يُشْرِكُونَ هُنَا شَذَا　　　　وفي الرُّومِ والحرفَيْنِ في النَّحْلِ أَوَّلا[6].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [يُشْرِكُونَ] لغويا في النص رقم (٣٨/١٥٩)[7]. حجة الأخوين في قراءتهما: [تُشْرِكُونَ] بالتاء؛ أن ذلك أتي عقيب المخاطبة، فأجرى الكلام على لفظ ما تقدمه، وذلك قوله تعالى: [أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ]. وقال ابن خالويه: «حجتهما: أنه أراد: قل لهم محمد: تعالى الله عما تشركون يا كفرة»[8].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٩٢.٩١/٧)، فتح القدير، (٤٢٩.٤٢٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣١٦.٣١٥/٨)، تفسير أبي السعود، (١٢٦.١٢٤/٤)، التفسير الكبير، (٤٩.٤٧/١٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣١٦/٨)، فتح القدير (٤٢٨/٢).

(٣) الكشف عن وجوه القراءات، (٥١٥/١).

(٤) انظر: الكشاف (٤٥٨/١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، ص(٣٢٤)، كتاب النشر، (٢٨٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٧).

(٦) أشار الناظم بحرف السين من قوله: «شذا» إلى حمزة والكسائي، ثم أشار إلى المواضع الأخرى. وهي قوله: [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الروم الآية (٤٠)، وفي النحل قوله: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الآية، (٣) فقرأ حمزة والكساء بتاء الخطاب. انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٧.٢٨٦).

(٧) انظر ذلك في ص(　).

(٨) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٩)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٠).

وأما من قرأ [يُشْرِكُونَ] بالياء؛ فحجته أنه استأنف فنزه نفسه عن إشراكهم، وذلك في قوله تعالى: [وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ]، وأضاف ابن خلويه قائلاً: «حجة من قرأ بالياء أنه أخبر بها عن المشركين في حالة الغيبة»، وقال ابن مكي: «ويجوز أن يكون على الأمر لنبيه ρ أن يقول: سبحانه وتعالى عما يشركون»[1].

ثالثا: المعنى العام الآية:

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً، لذلك قال الله تعالى: [أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ]. قال القرطبي في قوله تعالى: [وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ] «هذه غاية الجهالة منهم؛ حيث ينتظرون الشفاعة في المال ممن لا يوجد معه نفع ولا خير في الحال».

ثم أمر سبحانه رسوله ρ بأن يجيب عنهم فقال: [قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ] والمعنى: أتخبرون الله أن له شركاء في ملكه يعبدون كما يُعبد، أو أتخبرونه أن لكم شفعاء بغير إذنه، قال الشوكاني: «وهذا الكلام حصله: عدم وجود من هو كذلك أصلا، وفي هذا من التَّهكم بالكفار لا يخفى».

ثم نزه سبحانه نفسه وقدسها عن إشراكهم فقال: [تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] أي هو أعظم من أن يكون له شريك[2].

رابعاً: توجيه القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة قائلا: «هو الاختيار؛ لصحة معناه، ولأن الجماعة عليه»، وقال ابن زنجلة: «لم يقل: وتعبدون ما لا يضركم، ولأن القرآن هو مخاطبة للنبي ρ»[3]. بينما يرجح أبو عبيد قراءة الأخوين: [تُشْرِكُونَ] بالتاء[4].

(٥/١٩٣) اختلف القراء في قوله: [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ

---

(١) انظر: الإتحاف، ص(٢٤٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٠) كتاب معاني القراءات، ص(٢٢١).

(٢)انظر: تفسير الطبري (٩٨/٧)، فتح القدير، (٤٣٣،٤٣٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٢/٨)، تفسير أبي السعود، (١٣٢/٤)، التفسير الكبير، (٦١،٥٩/١٧).

(٣) انظر: الكشف، (٥١٥/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٢/٨)، فتح القدير، (٤٣٣/٢).

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] الآية (٢٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله تعالى: [يُسَيِّرُكُمْ]، فقرأ ابن عامر: [يَنشُرُكُمْ] بالنون والشين، وقرأ الباقون: [يُسَيِّرُكُمْ] بالياء والسين(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يُسَيِّرُكُمْ قُلْ فِيهِ يَنْشُرُكُمْ كَفَى مَتَاعَ سِوَى حَفْصٍ بِرَفْعٍ تَحَمَّلاَ(٢).

ثانيا: توجيه القراءات:

السَّيرُ: المُضي في الأرض، والتسيير ضربان: أحدهما: بالأمر والاختيار والإرادة من السائر، نحو: [يُسَيِّرُكُمْ](٣)، والثاني: بالقهر والتسخير، كتسخير الجبال: [وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ](٤).

والنَّشْر: من نَشَرَ الثوب والصحيفة والسِّحاب والنعمة والحديث: أي بسطها(٥). حجة ابن عامر في قراءته: [يَنشُرُكُمْ] بالنون والشين؛ قول تعالى: [فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ](٦)، ووجه قراءة الباقين: [يُسَيِّرُكُمْ] هو (تفعيل) من سارَ، وسيَّره وغيره(٧).

ثالثا: المعنى العام للآية:

أخبر سبحانه في هذه الآية كفار مكة أنه هو الذي يحملهم في البر على الدواب، وفي البحر عل الفلك، والآية تتضمن تعديد النعم فيما هي الحال بسبيله من ركوب الناس الدواب والبحر، ومعنى تسييرهم في البر؛ أنهم يمشون على أقدامهم التي خلقها لهم، لينتفعوا بها، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب، ومعنى تسييرهم في البحر؛ أنه ألهمهم لعمل السَّفائن التي يركبون فيها لجج

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، ص(٣٢٥)، النشر، (٢٨٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٨).

(٢) أشار الناظم بحرف الكاف في (كفى) إلى ابن عامر، وقد نطق الناظم بالقراءتين. انظر: المتن، ص(٥٩). الوافي، ص(٢٨٧).

(٣) يونس، الآية (٢٢).

(٤) التكوير، الآية (٣).

(٥) انظر: لسان العرب، (٣٩٠.٣٨٨/٤) و(٢٠٧.٢٠٦/٥)، مختار الصحاح، ص(١٦٤) وص(٣١٩) المفردات، ص(٢٢٣)، ص(٤٩٥.٤٩٤).

(٦) الجمعة، الآية (١٠).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٢٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٢)، الإتحاف، ص(٢٤٨).

البحر، ويسر ذلك لهم، ودفع عنهم أسباب الهلاك، وفي قراءة ابن عامر: [يَنشُرُكُمْ] بالنون والشين المعجمة؛ من النشر، كما في قوله تعالى: [فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ][1]؛ أي: ينشرهم سبحانه في البحر، فينجي من يشاء ويغرق من يشاء.

قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ] الفُلك: يقع على الواحد والجمع، يذكر ويؤنث، قوله: [وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا] خروج من الغيبة إلى الخطاب[2].

قال الشوكاني: «[حَتَّى]؛ لإنهاء الغاية، والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها، فالقيود المعتبرة في الشرط ثلاثة: أولها: الكون في الفلك، والثاني: جريها بهم بالريح الطيبة التي ليست بعاصفة. وثالثها: فرحهم. والقيود المعتبرة في الجزاء ثلاثة: الأول: [جَاءَتْهَا]؛ أي: جاءت الفلك ريح عاصفة، أو جاءت الريح الطيبة؛ أي: تلقتها ريح عاصف، والعُصُوف: شدة هبوب الريح، والثاني: [وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ]؛ أي: من جميع الجوانب للفلك، والمراد جاء الراكبين فيها. والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر. والثالث: [وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ]؛ أي: غلب على ظنونهم الهلاك، وأصله من إحاطة العدو بقوم أو ببلد، فجعل هذه الإحاطة مثلا في الهلاك وإن كان بغير العدو كما هنا».

قوله: [دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]؛ أي: دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون[3]، قوله: [لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ]؛ أي: من هذه الشدائد والأهوال [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]؛ أي: من العاملين بطاعتك على نعمة الخلاص[4].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة من قرأ: [يُسَيِّرُكُمْ] بالياء والسين، قائلا: «هو الاختيار؛ للإجماع عليه»[5].

---

(1) الجمعة، الآية (10).

(2) قال ابن الأنباري: «وجائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال تعالى: [وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا] الإنسان الآية (21). فأبدل الكاف في الهاء»، وقال الرازي: «الانتقال من مقام الخطاب، إلى مقام الغيبة في هذا المقام؛ دليل المقت والتبعيد، كما أن عكس ذلك في قوله: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] الفاتحة الآية (5)، دليل الرضا والتقريب». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (325/8)، التفسير الكبير، (69/17).

(3) قال القرطبي: «في هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يُجاب دعاؤه، وإن كان كافراً؛ لانقطاع أسباب النجاة، ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب». انظر: الجامع لأحكام القرآن (325/8).

(4) انظر: تفسير الطبري، (99/7-100)، فتح القدير، (432/2-433)، الجامع لأحكام القرآن، (324/8-326)، تفسير أبي السعود، (134/4-135)، التفسير الكبير، (67/17-71).

(5) الكشف، (516/1).

(٦/١٩٤) الاختلاف في [مَتَاعَ] من قوله عز وجل: [فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] الآية(٢٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله عز وجل: [مَتَاعَ]، فقرأ حفص عن عاصم: [مَتَاعَ] بالنصب، وقرأ الباقون: [مَتَاعُ] بالرفع[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

يُسَيِّرُكُمْ قُلْ فِيهِ يَنْشُرُكُمْ كَفَى مَتَاعَ سِوَى حَفْصٍ بِرَفْعٍ تَحَمَّلا[٢].

ثانيا: توجيه القراءات:

المتاع: السِّلعة: وهو أيضا المنفعة وما تمتعت به[٣]. الحجة في قراءة حفص: [مَتَاعَ] بالنصب: على المصدر، والمعنى: تُمتَّعون متاع الحياة الدنيا. وقال ابن خالويه: «حجته أنه أراد: الحال، ونوى بالإضافة الانفصال، أو القطع من تمام الكلام»[٤].

وأما من قرأ: [مَتَاعُ] بالرفع؛ فحجته من جهتين: الوجه الأول: أن يكون: [مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] خبراً لقوله تعالى: [بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم]. والوجه الثاني: أن يتم الوقف على قوله: [بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم] ثم يبتدأ: [مَّتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ على تقدير (هو متاع)، فيكون خبر الابتداء، والمعنى: إن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا ثم إلينا مرجعكم[٥].

ثانيا: المعنى العام للآية:

بعد أن حكى سبحانه حال الكفار عند ما يحيط بهم الهلاك في البحر، وكيفية إنجائه سبحانه لهم، قال: [فَلَمَّا أَنجَاهُمْ]؛ أي: من هذه الشدائد والأهوال: [إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ]؛ أي: يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي، والبَغي: والفساد والشرك. ثم قال سبحانه: [إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم]؛ أي: وَبَاله عائد عليكم.

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، (٣٢٥)، النشر، (٢/٢٨٣)، الإتحاف، ص(٢٤٨).

(٢) انظر: المتن، ص(٥٩).

(٣) انظر: لسان العرب، (٨/٣٣٣).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١).

(٥) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٠)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١).

وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: [مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ أي: هو متاع الحياة الدنيا ولا بقاء له، قوله: [إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ]؛ أي: مصيركم ومآلكم [فَنُنَبِّئُكُم]؛ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم، ويوفيكم إيَّاها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يوفي إلا نفسه[1].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة [مَتَاعُ] بالرفع، قائلا: «والرفع الاختيار؛ لصحته في الإعراب، ولأن الجماعة عليه»[2].

(١٩٥/٧) الاختلاف في [قِطَعًا] من قوله تعالى: [وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] الآية (٢٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إسكان الطاء وفتحها من قوله عز وجل: [قِطَعًا]، فقرأ الكسائي وابن كثير: [قِطْعًا] ساكنة الطاء، وقرأ الباقون: [قِطَعًا] بفتح الطاء[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَإِسْكَانُ قِطْعًا دُونَ رَيْبٍ وُرُودُهُ ... وَفِي بَاءِ تَبْلُو التَّاءُ شَاعَ تَنَزُّلًا[4].

ثانيا: توجيه القراءات:

القِطْعُ: فصل الشيء مُدْركا بالبصر كالأجسام، أو مُدركا بالبصيرة؛ كالأشياء المعقولة[5].

حجة من قرأ: [قِطْعًا] بإسكان الطاء؛ أنه أراد: ساعةً من الليل، ودليله قوله تعالى: [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ][6]، أو أراد الفتح فأسكن تخفيفا، وأضاف ابن زنجلة وجها ثالثا قائلا: «وإن شئت أن تجمع قِطْعة: قطْعاً، كما تقول في سدرْة، وسِدْر»[7].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٠١/٧)، فتح القدير، (٤٣٦.٤٣٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٢٦/٨)، تفسير أبي السعود، (١٣٦.١٣٥/٤)، التفسير الكبير، (٧٢.٧١/١٧).

(٢) الكشف، (٥١٧/١).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، ص(٣٢٥)، النشر (٢٨٣/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٨).

(٤) أشار الناظم بحرف الدال في قوله: «دون» إلى ابن كثير، وبحرف الراء من قوله: «ريب» إلى الكسائي. انظر: المتن، ص(٥٩). الوافي، ص(٢٨٧).

(٥) انظر: لسان العرب، (٢٧٦/٨)، مختار الصحاح، ص(٢٦٥)، المفردات في غريب القرآن، ص(٤٠٨).

(٦) هود، الآية (٨١).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٠).

وحجة من قرأ [قِطَعاً] بفتح الطاء: جمع قِطْعة على التكسير، ويعلل ابن زنجلة قائلا: «إنما اختاروا الجمع؛ لأن معنى الكلام كأنما أُغشي وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل، ثم جمع ذلك؛ لأن الوجوه جماعة، وجعلوا [مُظْلِماً] حالا من الليل»[١].

ثالثا: المعنى العام للآية:

لما أخبر سبحانه عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، عطف بذكر حال الأشقياء، فذكر عدله تعالى فيهم، وأنه يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك[٢].

وقوله: [وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ]؛ أي: يغشاهم هوان وخزي، وقوله: [مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ]؛ أي: من عذاب الله [مِنْ عَاصِمٍ]؛ أي: مانع يمنعهم، وقوله: [كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ] إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، والقِطْع: اسم ما قُطِع فسقط، [أُوْلَئِكَ]؛ أي: الموصوفون بهذه الصفات الذميمة [أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر في السنة من خروج عصاة الموحدين[٣].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات والتفسير القراءتين معا، وتوجيه كل واحدة منهما، ولم يرجحوا قراءة على أخرى.

(١٩٦/٨) الاختلاف في [تَبْلُواْ] من قوله تعالى: [هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ] الآية (٣٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الباء والتاء من قوله عز وجل: [تَبْلُواْ]، فقرأ الأخوان: [تَتْلُواْ] بالتاء، وقرأ الباقون: [تَبْلُواْ] بالباء[٤].

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٠).

(٢) قال القرطبي: «معنى هذه المثلية: أن ذلك الجزاء مما يعدُّ مماثلا لذنوبهم؛ أي: هم غير مظلومين، وفعل الرب جلت قدرته وتعالى شأنه غير معلل بعلة». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٣/٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١١١.١٠٩/٧)، فتح القدير، (٤٣٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٣.٣٣٢/٨)، تفسير أبي السعود، (١٣٩.١٣٨/٤)، التفسير الكبير، (٨١.٧٩/١٧).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢١)، كتاب السبعة، ص(٣٢٥)، النشر، (٢٨٣/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٩.٢٤٨).

شاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِسْكانُ قِطْعاً دُونَ رَيْبٍ وُرُودُهُ وفي بَاءِ تَبْلُو التَّاءُ شاعَ تَنَزَّلاً [١].

ثانيا: توجيه القراءات:

البَلاء: واحد، والجمع (البلايا) و(بلاه) جَرَّبه واختبره، وبابه (عدا)، وبلاه الله: اختبره. وبلوته: اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له. والتِّلاوة: من تلا القرآن يتلوه تلاوةً [٢].

حجة من قرأ [تَتْلُوا] بالتاء؛ أنه أراد به: التِّلاوة من القراءة، ومعناه: تقرؤه في صحيفتها. ودليله قوله تعالى: [وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ][٣]، وقوله: [اقْرَأْ كِتَابَكَ][٤]، وقال ابن زنجلة: «قال آخرون: [تَتْلُوا] أي: تتبع كل نفسٍ ما أسلفت»[٥].

وأما من قرأ [تَبْلُوا] بالباء؛ فحجته أنه أراد تختبر ما قدمت من عمل، فتعاين قبحه وحسنه، ودليله قوله تعالى: [يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ][٦][٧].

ثالثا: المعنى العام للآية:

قوله: [هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ]؛ أي: في موقف الحساب يوم القيامة، تختبر كل نفس، وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، وهذا على قراءة من قرأ بالتاء، أما من قرأ [تَبْلُوا] بالباء؛ فالمعنى: أن الله يَبتلي كل نفس ويختبرها، وقوله: [وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ]؛ أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصَّلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وقوله: [وَضَلَّ عَنْهُم]؛ أي: ذهب عن المشركين [مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ]؛ أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراءً عليه[٨].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة [تَبْلُوا] بالباء قائلا: «هو الاختيار»[٩].

---

(١) أشار الناظم بحرف الشين من قوله: «شاع» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب، (٨٣/١٤) و(١٠٥/١٤)، مختار الصحاح، ص(٤٢) و(٤٨)، المفردات، ص(٧١) و(٨٢).

(٣) العنكبوت، الآية (٤٨).

(٤) الإسراء، الآية (١٤).

(٥) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣١).

(٦) الطارق، الآية (١٩).

(٧) الحجة: ابن خالويه، ص(١٨١)، الإتحاف، ص(٢٤٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري، (١١٣.١١٢/٧)، فتح القدير، (٤٤٠/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٣٤/٨)، تفسير أبي السعود، (١٤١.١٤٠/٤)، التفسير الكبير، (٨٨/١٧).

(٩) الكشف، (٥١٧/١).

(٩/١٩٧) الاختلاف في ﴿كَلِمَتُ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (٣٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والإفراد من قوله: ﴿كَلِمَتُ﴾، فقرأ نافع وابن عامر: ﴿كَلِمَاتُ﴾ بالجمع، وقرأ الباقون: ﴿كَلِمَتُ﴾ بالإفراد(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَقُلْ كَلِمَاتُ دُونَ مَا أَلِفٍ ذَوَى وَفِي يُونُسٍ وَالطَّوْلِ حَامِيهِ ظَلَّلَا(٢).

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: ﴿كَلِمَتُ﴾ في النص رقم (٣٤/٩٧)(٣). الحجة في قراءة من قرأ ﴿كَلِمَاتُ﴾ بالألف؛ أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء، والحجة لمن قرأ ﴿كَلِمَتُ﴾ بالتوحيد؛ أنه ينوي الواحد في اللفظ عن الجميع، وأضاف ابن خالويه حجة أخرى قائلا: «حجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾(٤)، فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه»(٥).

ثالثا: المعنى العام للآية:

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: حكمه وقضاؤه وعلمه السابق، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾؛ أي: خرجوا عن الطاعة، وكفروا وكذبوا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يصدقون(٦).

رابعا: ترجيح القراءات:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٢)، كتاب السبعة، ص(٣٢٦) و(٥٦٦)، النشر، (٢٦٢/٢)، الإتحاف، ص(٢٤٩).

(٢) انظر: المتن، ص(٥٢)، الوافي ص(٢٦٤).

(٣) انظر ذلك ص( ).

(٤) الأنعام، الآية (١١٥).

(٥) انظر: الحجة ابن زنجلة، ص(٣٣١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٤٨)، وص(١٨١).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (١١٤/٧)، فتح القدير، (٤٤٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٠/٨) تفسير أبي السعود، (١٤٢/٤)، التفسير الكبير، (٨٨،٨٧/١٧).

صوب أبو منصور كلتا القراءتين قائلا: «الكلمة تنوب عن الكلمات، تقول العرب: قال فلان في كلمته؛ أي في قصيدته. والقرآن كله كلمة الله وكلام الله، وكلام الله، وكلمات الله، وكله صحيح في كلام العرب»[١].

(١٠/١٩٨) الاختلاف في قوله تعالى: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] الآية (٤٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [يَحْشُرُهُمْ]، فقرأ حفص: [يَحْشُرُهُمْ] بالياء، وقرأ الباقون: [نَحْشُرُهُمْ] بالنون[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ونحشُرُ مع ثانٍ بيونسَ وهو في سبا مع قل اليا في الاربع عُمِّلا[٣].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [يَحْشُرُهُمْ] لغويا في النص رقم (٤٣/١٠٦)[٤].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يقول تعالى مذكر للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عرصات[٥] القيامة، فيقول: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ]؛ أي: كأنهم يوم يحشرون، وقوله: [كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا] في الدنيا [إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ]؛ أي: قدر ساعة، يعني أنهم استقصروا طول مقامهم في القبور، لهول ما يرون من البعث، ودليله قوله تعالى: [قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ][٦].

وقوله: [يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ]؛ أي: يعرف بعضهم بعضا، كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا، وذلك عند خروجهم من القبور، ثم ينقطع التعارف بينهم؛ لشدة الأمر عليهم، وقوله: [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٣).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٢)، كتاب السبعة، ص(٣٢٧)، الإتحاف، ص(٢٥٠).

(٣) أشار الناظم رحمه الله بحرف (العين) من قوله: «عمِّلا» إلى حفص، وأشار إلى المواضع الأخرى التي قرأها حفص بالياء، وهي قوله: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ..] الأنعام الآية (١٢٨)، وقوله: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] سبأ الآية (٤٠). وقيد موضع يونس بأنه الثاني؛ للاحتراز عن الموضع الأول فيها، وهو: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا] الآية (٢٨)، فقد اتفق القراء على قراءته بالنون. انظر: المتن: ص(٥٣)، الوافي، ص(٢٦٦).

(٤) انظر ذلك في ص(   ).

(٥) العَرَصات هي: جمع عَرْصة؛ وقيل: هي كل موضع واسع لا بناء فيه. انظر: لسان العرب، (٥٣،٥٢/٧).

(٦) قال ابن كثير: «وهذا كله دليل على استقصار الحياة في الدار الآخرة، كما قال: [قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ] المؤمنون (١١٢،١١٤)». انظر: تفسير ابن كثير، (٤٩٢/٣).

اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] وكقوله تعالى: [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ][1]؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة أعظم من خسارة من فُرِّق بينه وبين أحبته، يوم الحسرة والندامة، وهو استئناف فيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: ما أخسرهم[2].

رابعا: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٤٣/١٠٦)[3].

(١١/١٩٩) الاختلاف في [سَاحِرٍ] من قوله تعالى: [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] الآية (٧٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف والتخفيف وطرحها والتشديد في: [سَاحِرٍ]، فقرأ حمزة والكسائي: [سَحَّارٍ] بالتشديد وا ثبات الألف بعد الحاء، وقرأ الباقون: [سَاحِرٍ] بإثبات الألف والتخفيف[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

عَلَيَّ عَلَى خَصُّوا وَفِي سَاحِرٍ بِهَا وَيُونُسَ سَحَّارٍ شَفَا وَتَسَلْسَلا[5].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [سَاحِرٍ] في النص رقم (٢٤/٦٠)[6].

ثالثا: المعنى العام للآية:

ذكر سبحانه قصة السَّحرة مع موسى υ في سورة الأعراف، وقد تقدم الكلام عليها هناك[7]، وفي هذه السورة وفي طه والشعراء، وذلك أن فرعون . لعنه الله . أراد أن يهرج على الناس ويُعارض ما جاء به موسى υ من العصا واليد البيضاء، بزخارف السحرة المشعبذين، فانعكس عليه النظام، ولم يحصل له من ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، لقوله: [وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ

---

(١) المرسلات، الآية (١٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٢٠/٧)، فتح القدير، (٤٤٨/٢.٤٤٩)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٧/٨.٣٤٨)، تفسير أبي السعود، (١٠٥/٤)، التفسير الكبير، (١٠٣/١٧.١٠٥).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٣)، كتاب السبعة، ص(٢٨٩)، الإتحاف، ص(٢٢٨).

(٥) سبق شرحه في النص رقم (٢٤/٦٠)، ص(   ).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(٧) انظر ذلك في ص(   ).

سَاحِرٍ عَلِيمٍ ... وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ][1]، وظن فرعون أنه يستنصر بالسُّحار على رسول عالم الأسرار، فخاب وخسر الجنة واستوجب النار.

وقوله: [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] إنما قال لهم ذلك؛ لأنهم لما اصطفوا، وقد وُعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل، وعندها قالوا: [إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا][2]، فأراد موسى υ أن تكون البدأة منهم؛ ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعدُ، فيُبطل باطلهم، فلما ألقوا [سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ][3]، [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى][4]، فعند ذلك قال موسى υ لما ألقوا: [مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ][5][6].

رابعا: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٢٤/٦٠)[7].

(١٢/٢٠٠) الاختلاف في [السِّحْرُ] من قوله تعالى: [قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] الآية (٨١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الاستفهام وتركه من قوله تعالى: [السِّحْرُ]، فقرأ أبو عمرو: [آلسِّحْرُ] على الاستفهام، وقرأ الباقون: [السِّحْرُ] على الخبر[8].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله.

مع المد قطع السحر حكم تبوءا ... بيا وقف حفص لم يصح فحملا[1].

---

(١) الأعراف، الآيات (١٢٠.١٢٢).

(٢) طه، الآيتان (٦٥.٦٦).

(٣) الأعراف، الآية (١١٦).

(٤) طه، الآيات (٦٧.٦٩).

(٥) يونس، الآيتان (٨١.٨٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري، (١٤٧/٧)، فتح القدير، (٤٦٥/٢.٤٦٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٧/٨)، تفسير أبي السعود، (١٦٩/٤)، التفسير الكبير، (١٤٣/١٧).

(٧) انظر ذلك في ص(   ).

(٨) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٣)، كتاب السبعة، ص(٣٢٨)، النشر، (٢٧٠/٢.٢٧١)، الإتحاف، ص(٢٥٣).

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق ذكر الاستفهام في النص رقم (١٧/١٣٨)[٢]. الحجة لمن استفهم؛ أنه جعل [مَا] فيه بمعنى: أي شيء جئتم به؟ آلسحر هو؟، ودليله قوله تعالى: [أَسِحْرٌ هَذَا][٣]، وهي ألف التوبيخ بلفظ الاستفهام؛ لأنهم قد علموا أنه سحر، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «فقد دخل استفهام على استفهام، فلهذا يقف على قوله: [جِئْتُم بِهِ]، ثم يبتدئ: [آلسِّحْرُ]: بالرفع، وخبره محذوف».

والحجة لمن ترك الاستفهام؛ أنه جعل [مَا] بمعنى الذي، يريد: الذي جئتم به السحر، فـ[مَا] مبتدأة، و[جِئْتُم] صلة [مَا] و[بِهِ] عائد الموصول، و[السِّحْرُ] خبر المبتدأ، كما تقول: (الذي مررت به زيد). وقال ابن خالويه: « فـ[مَا] بمعنى (الذي) هاهنا»[٤].

ثالثا: المعنى العام للآية:

إِنَّ اللّهَ: [سَيُبْطِلُهُ]؛ أي: يمحقه ويظهر بطلانه؛ بإظهار المعجزة على الشعوذة، قوله: [إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ]؛ أي: لا يثبته ولا يديمه، ولكن يسلط عليه الدَّمار[٥].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة: [السِّحْرُ] على الخبر، قائلا: «هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»، ثم يقول: «ويقوي هذا أن في حرف أبي: [مَا أَتَيْتُم بِهِ سِحْرٌ]»[٦].

(١٣/٢٠١) الاختلاف في [لِيُضِلُّواْ] من قوله عز وجل: [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ] الآية (٨٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله عز وجل: [لِيُضِلُّواْ]، فقرأ أهل الكوفة: [لِيُضِلُّواْ] بضم الياء، وقرأ الباقون: [لِيَضِلُّواْ] بفتح الياء[٧].

---

(١) أشار الناظم بحرف الحاء في قوله: «حكم» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص(٥٩)، الوافي، ص(٢٨٨).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) يونس، الآية (٨١).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (١٤٩.١٤٧/٧)، فتح القدير، (٤٦٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٩.٣٦٨/٨)، تفسير أبي السعود، (١٧٠.١٦٩/٤)، التفسير الكبير، (١٤٣/١٧).

(٦) الكشف، (٥٢٢/١).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٣)، كتاب السبعة، ص(٢٦٧)، النشر، (٢٨٦/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفُصِّلَ إذْ ثنَّى يَضلُّون ضمَّ مَعْ يضِلوا الذي في يونُسٍ ثَابتاً وِلا[١].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [لِيُضِلُّواْ] لغويا في النص رقم (٣٥/٩٨)[٢]. الحجة لمن قرأ [لِيُضِلُّواْ] بضم الياء: أنه لما تقدم من وصف فرعون بما وُصف؛ أنه بذلك ضال غير مهتد، فكان وصفه بعد ذلك بأنه مع ذلك مضل لغيره، ويقول ابن زنجلة: «ويزيد الكلام فائدة ومعرفة ما لم يكن مذكورا فيما تقدم من وصفه»، والمعنى: أي ليضلوا غيرهم.

أما من قرأ [لِيَضِلُّواْ] بفتح الياء؛ فإن حجته قوله تعالى: [أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ][٣]، والمعنى: أي ليضلوا هم[٤].

ثالثا: المعنى العام للآية:

هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى على فرعون وملئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم، معاندين جاحدين، ظلما وعلوا وتكبرا وعتوا. قال: [إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً]؛ أي: من أثاث الدنيا ومتاعها، وكان لهم فسطاط مصر إلى أرض الحبشة، جبال فيها معادن الذهب والفضة و الزبرجد والزمرد والياقوت. والملأ: هم الأشراف. [وَأَمْوَالاً]؛ أي: جزيلة كثيرة، في هذه [الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ] وفي تكرير النداء [رَبَّنَا]؛ للتأكيد، أي: أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجا منك لهم. [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ]؛ أي: أهلكها، [وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ]؛ أي: أطبع عليها، [فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ]، وهذه الدعوة كانت من موسى υ غضبا لله ولدينه على فرعون وملئه، الذين تبين له أنه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء[٥].

رابعا: الترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٣٥/٩٨)[٦].

---

(١) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثابتا» إلى الكوفيين. انظر: المتن، ص(٥٣)، الوافي، ص(١٨٢).

(٢) انظر ذلك في ص(   ).

(٣) النحل، الآية (١٢٥).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٦،٣٣٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (١٦٠،١٥٦/٧)، فتح القدير، (٤٦٩،٤٦٨/٢) الجامع لأحكام القرآن، (٣٧٥،٣٧٣/٨)، تفسير أبي السعود، (١٣٢/٤)، التفسير الكبير، (١٥٢،١٤٩/١٧).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(١٤/٢٠٢) الاختلاف في [أَنَّهُ] من قوله عز وجل: [وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ] الآية (٩٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في كسر الهمزة وفتحها من قوله عز وجل: [أَنَّهُ]، فقرأ حمزة والكسائي: [إِنَّهُ] بكسر الألف، وقرأ الباقون: [أَنَّهُ] بالفتح[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي أَنَّهُ اكْسِرْ شَافِيًا وَبِنُونِهِ ونجعل صِفْ وَالْخِفُّ نُنْجِ رضى علا[٢].

ثانيا: توجيه القراءات:

حجة من قرأ [إِنَّهُ] بكسر الألف: أن الكلام متناهٍ عند قوله: [آمَنْتُ]، وأن الإيمان وقع على كلام محذوف، نظير قوله: [آمَنَّا فَاكْتُبْنَا]"[٣]، ولم يذكر ما وقع الإيمان عليه، تقديره: آمنت بما كنت به قبل اليوم مكذبا، ثم استأنف: [إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ].

وأما من قرأ [أَنَّهُ] بالفتح؛ فحجته أنه وصل آخر الكلام بأوله؛ وهو يريد: آمنت بأنه، فلما اسقط الباء، وصل الفعل إلى (أنْ) فعمل فيها[٤].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يذكر تعالى كيفية إغراقه فرعون وجنوده، فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى υ وهم . فيما قيل . ستمائة ألف مقاتل سوى الذرية، وقد كانوا استعاروا من القبط حليًّا كثيرا، فخرجوا به معهم، فاشتد حنق فرعون عليهم، فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه، فركب ورائهم في أبهُة عظيمة، وجيوش عظيمة لما يريده الله تعالى بهم، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته، فلحقوهم وقت شروق الشمس، فأمر الله تعالى موسى υ أن يضرب البحر بعصاه، فضربه فانفلق البحر، وأمر الله الريح فنشفت أرضه، وجازت بنوا إسرائيل

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٣)، كتاب السبعة، ص(٣٣٠)، النشر، (٢٨٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٤).

(٢) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شافيا» إلى الأخوين: حمزة والكسائي: انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٨٩).

(٣) المائدة، الآية (٨٧).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٦)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٤).

البحر، وانتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى، فلما استوثقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخروج منه، أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم، فارتطم عليهم، فلم ينج أحد منهم، وتراكمت الأمواج فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت، فقال وهو كذلك: [آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ].

قال الزمخشري: «كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات؛ حرصا على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبق له اختيار قط، وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار، وعند بقاء التكليف»(١).

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح مكي ابن أبي طالب قراءة الجماعة [أَنَّهُ] بالفتح، قائلا: «الفتح هو الاختيار؛ لأن أكثر القراء عليه»(٢).

(١٥/٢٠٣) الاختلاف في [وَيَجْعَلُ] من قوله عز وجل: [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ] الآية (١٠٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في النون والياء من قوله عز وجل: [وَيَجْعَلُ]، فقرأ أبو بكر [وَنَجْعَلُ] بالنون، وقرأ الباقون [وَيَجْعَلُ] بالياء(٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي أنَّه اكْسِرْ شَافِياً وبنُونِهِ ونجعلُ صِفْ والْخفُّ نُنْجِ رضى علا (٤).

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [وَيَجْعَلُ] لغويا في النص رقم (٢١/٨٤)(٥). حجة أبو بكر في [وَنَجْعَلُ] بالنون؛ على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك؛ لأن قبله إخباراً من الله عز وجل عن نفسه كثيرا في قوله: [كَشَفْنَا عَنْهُمْ] وقوله: [وَمَتَّعْنَاهُمْ](٦)، فرده على ما قبله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٦٤.١٦٢/٧)، فتح القدير، (٤٧٠.٤٦٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٧٩.٣٧٧/٨)، تفسير أبي السعود، (١٧٣/٤)، التفسير الكبير، (١٥٥.١٥٤/١٧).

(٢) الكشف، (٥٢٣/١).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٣)، كتاب السبعة، (٣٣٠)، النشر، (٢٨٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٤).

(٤) الكشف، (٥٢٣/١).

(٥) انظر ذلك في ص(   ).

(٦) الآية (٩٨).

أما من قرأ [يَجْعَلُ] بالياء؛ فحجته أنه رده على لفظ الغيبة التي قبله في قوله: [إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ] فذلك أقرب إليه من غيره، فرده على ما هو أقرب إليه[1].

ثالثا: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن الإيمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره، فقال: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا][2]، ولما كان النبي ρ حريصا على إيمان جميع الناس أخبره الله بأن ذلك لا يكون؛ لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضي ذلك، فقال: [أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] وفي هذا تسلية له ρ، ودفع لما يضيق به صدره من طلب صلاح الكل، ثم بين سبحانه ما تقدم بقوله: [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ] [وَمَا] نفي؛ أي: ما ينبغي أن تؤمن نفس إلا بقضائه وقدره، ومشيئته وإرادته، وقوله: [وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ] الرُّجس: العذاب، بضم الراء وكسرها لغتان[3]، والمعنى: يجعل العذاب أو الكفر أو الخذلان؛ الذي هو سبب العذاب، والمراد بـ[الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ] هم الكفار الذين لا يتعقلون حجج الله، ولا يتفكرون في آياته، ولا يتدبرون فيما نصبه لهم من الأدلة[4].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح مكي قراءة الجماعة [يَجْعَلُ] بالياء، قائلا: «هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه»[5].

---

(١) انظر: الكشف، (٥٢٣/١).

(٢) يونس، الآية (٩٩).

(٣) انظر: لسان العرب، (٩٥/٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (١٧٤/٧)، فتح القدير، (٤٧٥.٤٧٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٧.٣٨٦/٨)، تفسير أبي السعود، (١٧٧/٤)، التفسير الكبير، (١٦٩.١٦٨/١٧).

(٥) الكشف، (٥٢٣/١).

الفصل الثامن:

أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة هود υ

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة هود υمن السور المكية، شأنها كسائر القرآن المكي: هو تقدير أصول الدين، وا إقامة الأدلة عليها، ورد الشبه التي كان يثيرها المعارضون حول الدعوة وصاحبها، والحديث عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وهي نفس الموضوعات التي تحدثت عنها السورة السابقة، سورة يونس.

وهود υ هو أول رسول إلى قوم عاد، وعاد أول أمة من نسل سام بن نوح υ، وقد تحدث القرآن كثيرا عن هود υ فيمن تحدث عنهم من رسل الله الكرام عليهم السلام، وقد ذكر باسمه خمس مرات في هذه السورة التي سميت به[1].

وقد نزلت بعد سورة يونس υ وترتيبها المصحفي (١١)، وآياتها (١٢٣) آية[2]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[3].

وجوه مناسبتها لما قبلها:

سورة يونس υذُكر فيها قصة نوح υ مختصرة جدا، مجملة[4]، فشرحت في هذه السورة، وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور، ولا في سورة الأعراف على طولها، ولا في سورة [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا][5]، التي أفردت لقصته. فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس υ، فإن قوله في خاتمة يونس: [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ][6]، هو عين قوله في مطلع هذه: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ][7]، فكان أو هود تفصيلا لخاتمة يونس[8].

وأضاف الغماري مناسبة أخرى قائلا: «مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم السورة السابقة بقوله تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٣١٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥١٨/٣)، تفسير الجلالين، ص(٢٨٣).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في تفسير سورة النساء، (٩٥/٥).

(٤) وذلك في قوله تعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ] الآيات (٧٣،٧١).

(٥) نوح، الآية(١).

(٦) يونس، الآية (١٠٩).

(٧) هود الآية (١).

(٨) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص (١٠٩،١٠٨).

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا][1]، ثم أمر نبيه بإتباع القرآن، والصبر على الكفار الذين لا يؤمنون به حتى يحكم الله، [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ][2]، فذكر في مفتتح هذه السورة بيان حقيقة القرآن: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ][3]، ثم عاد إلى الاستدلال على حقيقة القرآن؛ ليتأكد وجوب إتباعه، والاهتداء به، فتحدى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ][4]، وهذه مناسبة ظاهرة»[5].

(١/٢٠٤) الاختلاف في [إِنِّي] من قوله عز وجل: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ] الآية (٢٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الألف وكسرها من قوله عز وجل: [إِنِّي]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: [أَنِّي] بفتح الألف، وقرأ الباقون: [إِنِّي] بالكسر[6].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وإِنِّي لَكُم بالفَتْحِ حَقُّ رُوَاتِهِ ... وبَادِئَ بَعْدَ الدَّالِ بالهَمْزِ حُلِّلا[7].

ثانيا: توجيه القراءات:

حجة من قرأ: [أَنِّي] بفتح الألف؛ أنه أراد: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بأني لكم، فلما حذف الباء وصل الفعل فعمل.

وأما من قرأ: [إِنِّي] بكسر الألف؛ فحجته: أنه جعل الكلام تاما عند قوله: [إِلَى قَوْمِهِ]، ثم ابتدأ مستأنفا، فكسر، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة من قرأ [إِنِّي] بالكسر أنه قال: [إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ

---

(١) يونس، الآية (١٠٨).

(٢) يونس، الآية (١٠٩).

(٣) هود، الآية (١).

(٤) هود، الآية (١٣).

(٥) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٦.٣٧).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٤)، كتاب السبعة، ص(٣٣٢)، النشر، (٢/٢٨٨)، الإتحاف، ص(٢٥٥).

(٧) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى ابن كثير وأبي عمرو، وبحرف الراء من قوله: «رواته» إلى الكسائي. انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٨٩).

[أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ][1]، لما أظهر القول هاهنا كان إضماره هناك أولى؛ لأن القصة واحدة»[2].

ثالثا: المعنى العام للآية:

لما أورد تعالى على الكفار المعاصرين لمحمد ρ أنواع الدلائل التي هي أوضح من الشمس، أكد ذلك بذكر القصص[3]، على طريقة التفنن في الكلام، ونقله من أسلوب إلى أسلوب لتكون الموعظة أظهر، والحجة أبين، والقبول أمكن، فقال: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ]؛ أي: ظاهر النذاره لكم من عذاب الله، إن أنتم عبدتم غير الله، قال الشوكاني: «واقتصر على النذارة دون البشارة؛ لأن دعوته كانت لمجرد الإنذار، أو لكونهم لم يعملوا بما بشرهم به»[4].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح بن أبي طالب قراءة الجماعة [إِنِّي] بكسر الألف، على إضمار القول، وعلل ذلك بقوله: «لأن الأكثر عليه، ولأن [إِنِّي] في الإخبار جرى على الأصل في وقوعه بعد القول المضاف إلى القائل، لأنه مخبر عن نفسه، تقول: قال زيد أني نذيركم، ولا تقول: إنه نذير»[5].

(٢/٢٠٥) الاختلاف في [بَادِيَ] من قوله عز وجل: [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] الآية (٢٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الهمز والياء من قوله عز وجل: [بَادِيَ]، فقرأ أبو عمرو: [بَادِئَ] بالهمز، وقرأ الباقون: [بَادِيَ] بالياء[6].

وشاهد ذلك في قول الشاطبي رحمه الله:

وَإِنِّي لَكُمْ بِالْفَتْحِ حَقٌّ رُوَاتُهُ وَبَادِئَ بَعْدَ الدَّالِ بِالهَمْزِ حُلِّلا[1].

---

(١) نوح، الآيتان (٣.٢).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٦)، الإتحاف، ص(٢٥٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٧).

(٣) قال القرطبي: «ذكر سبحانه قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ρ؛ تنبيها له، على ملازمة الصبر على أذى الكفار، إلى أن يكفيه الله أمرهم». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٢/٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٦/٨)، فتح القدير، (٤٩٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٢/٩)، تفسير أبي السعود، (١٩٩/٤)، التفسير الكبير، (٢١٠/١٧).

(٥) الكشف، (٥٢٦/١).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٤)، كتاب السبعة، (٣٣٢)، النشر، (٢٨٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٥).

ثانيا: توجيه القراءات:

البدْ والابتداء: تقديم الشّيء على غيره، ضربا من التقديم، قال تعالى: [وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ][2]، وبادئ الرأيّ: أي ما يبدأ من الرأي، وهو الرأي الفطير، وقرئ بادي، بغير همز؛ أي: الذي يظهر من الرأي ولم يُرَوَّ فيه[3].

الحجة لمن قرأ [بَادِئَ] بالهمز؛ أي: ابتدأ الرأي؛ أي: اتبعوك ابتداء الرأي، ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه، ولو تفكروا وتدبروا لم يتبعوك، كأنه رأيٌ ظهر لهم، ولم يتعقبوه بنظر وتفكر.

وأما من قرأ [بَادِيَ] بالياء؛ فحجته أنه أخذه من بدأ يبدأ، إذا أخذ في فعل الشيء، وأضاف مكي وجها آخر قائلا: «ويجوز أن يكون من قرأه بالياء أراد الهمز، ثم خفف الهمزة بالبدل لانفتاحها، وانكسار ما قبلها»[4].

ثالثا: المعنى العام للآية:

الملأ: هم السادة والكبراء من الكافرين منهم[5]، قولهم: [مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا] هذه الجهة الأولى من جهات طعنهم في نبوته؛ أي: نحن وأنت مشتركون في البشرية، فلم يكن لك علينا مزية تستحق بها النبوة دوننا، والجهة الثانية: [وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا] والرذل: النَّذل، أرادوا: اتبعك أخلاؤنا وسقطنا وسفلتنا، بقوله: [بَادِيَ الرَّأْيِ] أي: ظاهر الرأي، وباطنهم على خلاف ذلك.

والوجه الثالث من جهات قدحهم في نبوته: [وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ] خاطبوه في الوجهين الأولين منفردا، وفي هذا الوجه خاطبوه مع متبعيه؛ أي: ما نرى لك ولمن اتبعك من الأراذل علينا من فضل يتميزون به وتستحقون ما تدعونه.

ثم أضربوا عن الثلاثة مطاعن، وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن البرهان، الذي لا مستند به إلى مجرد العصبية، واستبقاء ما هم فيه من الرياسة الدنيوية فقالوا: [بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها[6].

---

(1) أشار الناظم بحرف (الحاء) من قوله: «حللا» إلى أبي عمرو. انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٨٩).

(2) السجدة، الآية (٧).

(3) انظر: لسان العرب، (١٤/٦٥) مختار الصحاح، ص(٣٢)، المفردات، ص(٤٩).

(4) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٨)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٦)، الكشف، (١/٥٢٦).

(5) قال الشوكاني: «في وصفهم بالكفر؛ ذماً لهم، وفيه دليل على أن بعض أشراف قومه، لم يكونوا كفرة». انظر: فتح القدير، (٢/٤٩٣).

(6) انظر: تفسير الطبري، (٨/٢٦-٢٨)، فتح القدير، (٢/٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢٣-٢٤)، تفسير أبي السعود، (٤/٢٠٠-٢٠١)، التفسير الكبير، (١٧/٢١١-٢١٣).

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب مكي كلتا القراءتين، باعتبار أن المعنى فيهما واحد، ويقول بعد أن وضح معنى [بَادِئَ] بالهمز، ومعنى [بَادِيَ] من دون همز: «فتكون القراءتان بمعنىً من الابتداء، والعامل في [بَادِيَ] في القراءتين [اتَّبَعَكَ]»[(١)].

ويوافقه البناء في الرأي، قائلا: «ويحتمل . أي معنى القراءة بالياء . كما ذكر . أي في المعنى بالهمز . أو أن يكون من بدأ ظهر؛ أي: ظاهر الرأي دون باطنه؛ أي: لو تأمل لظهر»، ثم يقول: «وهو في المعنى كالأول»[(٢)].

ويقول ابن زنجلة معلقا على قراءة الجماعة [بَادِيَ] بالياء: «ويكون التفسير على نوعين في هذه القراءة؛ أحدهما: أن يكون: اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك؛ أي: أنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، ويجوز أن يكون: اتبعوك في ظاهر الرأي ولم يتدبروا ما قلت، ولم يفكروا فيه»[(٣)].

(٣/٢٠٦) الاختلاف في [فَعُمِّيَتْ] من قوله: [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] الآية (٢٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في ضم العين والتشديد، وفتحها والتخفيف من قوله: [فَعُمِّيَتْ]، فقرأ الأخوان وحفص: [فَعُمِّيَتْ] بضم العين وتشديد الميم، وقرأ الباقون [فَعَمِيَتْ] بفتح العين وتخفيف الميم[(٤)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَمِنْ كُلٍّ نُوِّنْ مَعْ قَدْ أَفْلَحَ عَالِمًا فَعُمِّيَتِ اضْمُمْهُ وَثَقِّلْ شَذًا عَلا[(٥)].

ثانيا: توجيه القراءات:

العَمَى: يقال في افتقاد البصر والبصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: أعمى وعمٍ[(٦)]. الحجة لمن قرأ: [فَعُمِّيَتْ] بضم العين وتشديد الميم؛ أنه دل بذلك على بناء الفعل لما لم يسم فاعله، ودليله أنها في حرف عبد الله وأبي: [فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمْ]، وحجة أخرى أضافها ابن زنجلة قائلا: « وهي أن ذلك أتى عقيب قوله: [وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ]، وذلك خبر من نوح υ أن الله

---

(١) الكشف، (٥٢٦/١).

(٢) الإتحاف، ص(٢٥٥).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٨).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٤)، كتاب السبعة، ص(٣٣٢)، النشر، (٢٨٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٥).

(٥) أشار الناظم بحرف الشين من قوله: «شذا» إلى الأخوين، وبحرف العين من قوله: «علا» إلى حفص. انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٩٠).

(٦) انظر: لسان العرب، (٩٥/١٥)، مختار الصحاح، ص(٢٢٦)، المفردات، ص(٣٥١.٣٥٢).

تعالى خصه بالرحمة التي آتاه إياه، فكذلك قوله: [فَعُمِّيَتْ] خبر عن الله أنه هو الذي خذل من كفر به».

وأما من قرأ: [فَعَمِيَتْ] بالفتح والتخفيف؛ فحجته أنه جعل الفعل للرحمة، ويضيف ابن زنجلة قائلا: «حجتهم أن التي في القصص لم يختلف فيها مفتوحة العين، قال الله تعالى: [فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ][1]، فهذه مثلها فكما يقال: خفي علينا الخبر، يقال: عمي علي الأمر»، ويقول: «وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وهو لغيره؛ كقولهم: دخل الخاتم في إصبعي، والخف في رجلي، ولا شك أن الرِّجل هي التي تدخل في الخف، والإصبع في الخاتم»، ويقول مكي: «ويجوز أن يكون معنى [فَعَمِيَتْ] خفيف، فلا يكون فيه قلب»[2].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يقول تعالى مخبرا عما رد به نوح υ على قومه: [أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ]؛ أي: على يقين وأمرٍ جلي، ونبوة صادقة؛ وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، [فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ] أي: خفت عليكم فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردِّها، والاستفهام في: [أَنُلْزِمُكُمُوهَا] للإنكار؛ أي: لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها، والحال أنكم لها كارهون، والمعنى: أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي، إلا أنها خافية عليكم، أيمكننا أن نضطركم إلى العلم بها، والحال أنكم لها كارهون، غير متدبرين فيها، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله عز وجل[3].

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب ابن خالويه كلتا القراءتين قائلا: «معناها قريب، يريد: فخفيت»[4]. ويقول ابن زنجلة: «المعنى واحد»، ثم يقول معلقا على القراءة الأولى: [فَعُمِّيَتْ] بضم العين وتشديد الميم، «والعرب تقول: عُمِّي علي الخبر، وهي مع ذلك ليس الفعل لها في الحقيقة، وإنما استجازوها على مجاز كلام العرب، فإذا ضمت العين كانت مفعولا بها غير مسمى فاعلها، فاستوى حينئذ الكلام فلم يحتج إلى

---

(١) القصص، الآية (٦٦).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٦)، الحجة: ابن زنحلة، ص(٣٣٨.٣٣٩)، الإتحاف، ص(٢٥٥.٢٥٦)، الكشف، (٥٢٧/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٢٨/٨.٢٩)، فتح القدير، (٤٩٣/٢.٤٩٤)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥/٩.٢٦)، تفسير أبي السعود، (٢٠١/٤.٢٠٢)، التفسير الكبير، (٢١٣/١٧.٢١٤).

(٤) الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٦).

مجاز كلام العرب»، ثم يقول: «وترك المجاز إذا أمكن تركه أحسن وأولى»[1]، وهو بذلك كأنه يرجح قراءة الجماعة [عَمِيَتْ] بفتح العين وتخفيف الميم.

(٤/٢٠٧) الاختلاف في [عَمَلٌ غَيْرُ] من قوله تعالى: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] الآية (٤٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في نصب اللام والراء، وفتح الميم وضم اللام والراء من قوله تعالى: [عَمَلٌ غَيْرُ]، فقرأ الكسائي: [عَمِلَ غَيْرَ] بنصب اللام والراء، وقرأ الباقون: [عَمَلٌ غَيْرُ] بفتح الميم وضم اللام والراء[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي عَمَلٌ فَتْحٌ ورَفْعٌ ونَوِّنوا وغَيْرَ ارفَعُوا إلا الكسائيَّ ذا المَلا[3].

ثانيا: توجيه القراءات:

العَمَل: كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعلٌ بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما يُنسب إلى ذلك، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ][4]، وقال تعالى: [مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ][5][6].

أما قوله تعالى: [غَيْرُ] فقد سبق توجيهه لغويا في النص رقم (٢٦/٢٦)[7]. الحجة لمن قرأ [عَمِلَ غَيْرَ] بنصب اللام والراء؛ أنه جعله فعلا ماضيا، وفاعله مستتر فيه، و[غَيْرَ] منصوب؛ لأنه وصفٌ قام مقام الموصوف، ومعناه: أنه عَمِلَ عملا غير صالح. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «من قرأ بنصب اللام والراء؛ فحجته حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ يقرؤها

---

(١) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٣٨).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٥)، كتاب السبعة، ص(٣٣٤)، النشر، (٢٨٩/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٦.٢٥٧).

(٣) انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٩٠.٢٩١).

(٤) البقرة، الآية (٢٧٧).

(٥) النساء، الآية (١٢٣).

(٦) البقرة، الآية (٢٧٧).

(٧) انظر ذلك في ص(   ).

(إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ))[1]، بالنصب. فالهاء في هذه القراءة عائدة على ابن نوح υ؛ لأنه جرى ذكره قبل ذلك فكنى عنه»[2].

وأما من قرأ [عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] بضم الميم وضم اللام والراء؛ فحجته ما روي في التفسير: جاء في قوله: [غَيْرُ صَالِحٍ]؛أي: إن سؤالك إياي أن أنجي كافراً عمل غير صالح؛ لأن نوحاً υ قال: [رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] فقال: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] الذين وعدتك أن أنجيهم، إن سؤالك إياي عَمَلٌ [غَيْرُ صَالِحٍ].

وقال البناء: «حجة من قرأ بفتح الميم ورفع اللام منونة؛ أنه خبر (أن) و(غير) بالرفع صفته على معنى أنه ذو عملٌ، أو جعل ذاته ذات العمل مبالغة في الذم على جد رجل عدل، فالضمير حينئذ لابن نوح، ويحتمل عوده لترك الركوب؛ أي: أن تركه لذلك وكونه مع الكافرين عمل غير صالح»[3].

ثالثا: المعنى العام للآية:

بعد أن صنع نوح عليه السلام الفلك بأمر من الله سبحانه، وأخذ فيها من كل زوجين اثنين وأهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله، فقد كان منهم ابنه (سام) الذي انعزل وحده، وامرأة نوح، وكانت كافرة بالله ورسوله، وكان ما أراد الله عز وجل، وجرت السفينة بنوح υ ومن معه على وجه الماء الذي قد طبَّق جميع الأرض، حتى طغت على رؤوس الجبال، ودعا نوح υ ابنه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم، ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، فرفض وكان من المغرقين.

ثم وبعد أن استقرت السفينة على الجودي[4]، استعلم نوح υ من حال ولده الذي غرق، قائلا: [رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] أي: قد وعدتني بنجاة أهلي، وعدك الحق لا يُخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين، فرد عليه سبحانه: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ]؛ أي: الذين وعدت بإنجاءهم؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ثم صرح سبحانه بالعلة الموجبة لخروجه من عموم الأهل، المبينة له بأن المراد بالقرابة قرابة الدين، لا قرابة النسب وحده فقال: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]؛ أي: أن ابنك

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القراءات، باب من سورة هود، (٥/٣٢).

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٧)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤١).

(٣) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤١.٣٤٢)، الإتحاف، ص(٢٥٧).

(٤) هو: جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق، هذا قول مجاهد، وقال الضحاك:«جبل بالموصل»، وقال بعضهم: هو الطور. انظر: تفسير ابن كثير، (٣/٥٣٦.٥٣٧).

ذو عمل غير صالح، هذا على قراءة الجمهور، أما على قراءة الكسائي [عَمِلَ] بالنصب؛ أي: من الكفر والتكذيب.

ثم نهاه سبحانه عن مثل هذا السؤال قائلا: [فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] وهو إن كان نهيا عاما بحيث يشمل كل سؤال، لا يعلم صاحبه أن حصول مطلوبه صواب، فهو يدخل تحته سؤاله هنا دخولا أوليا[1]، ثم قال: [إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ]؛ أي: أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين؛ أي: الآثمين. قال ابن العربي: «وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا υ عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين»[2].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح أبو عبيد قراءة الكسائي [عَمِلَ] و[غَيْرَ] بالنصب، وقال ابن زنجلة مدافعا عن قراءة الكسائي: «وكان بعض أهل البصرة ينكر هذه القراءة. أي قراءة الكسائي فأحتج لذلك، بأن العرب لا تقول: عملَ غيرَ حسن، حتى تقول: عملَ عملاً غيرَ حسن، وقد ذهب عنه وجه الصواب فيما حكاه؛ لأن القرآن نزل بخلافه، وهو قوله: قال الله: [وَعَمِلَ صَالِحًا][3]، معناه: ومن تاب وعمل عملاً صالحاً. وقال: [وَاعْمَلُوا صَالِحًا][4]، ولم يقل (عملاً) وقال في موضع آخر: [إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا][5]، وقال: [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ][6]، ولم يقل: سبيلا غير سبيل المؤمنين، فكذلك قوله: [إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ] معناه: إنه عملَ عملاً غيرَ صالح»[7].

(٥/٢٠٨) الاختلاف في [سَلَامٌ] من قوله عز وجل: [وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ] الآية (٦٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) قال الشوكاني: «وفيه عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع، وسمي دعاؤه سؤالا؛ لتضمنه معنى السؤال». انظر: فتح القدير، (٥٠٣/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٤،٤٩/٨)، فتح القدير، (٥٠٣،٥٠٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٤٨،٤٦/٨)، تفسير أبي أبي السعود، (٢١٣،٢١٢/٤)، التفسير الكبير، (٤،٢/١٨).

(٣) الفرقان، الآية (٧١).

(٤) المؤمنون، الآية (٥١).

(٥) الفرقان، الآية (٧٠).

(٦) النساء، الآية (١١٥).

(٧) انظر: فتح القدير، (٢٠٥/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤١).

اختلفوا في إثبات الألف وفتح السين، وحذف الألف وكسر السين، من قوله تعالى: [سَلَامًا]، فقرأ الأخوان: [سِلْمٌ] بكسر السين، وقرأ الباقون: [سَلَامًا] بإثبات الألف وفتح السين[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

هنا قال سِلْمٌ كَسْرُهُ وسكونُهُ وقَصْرٌ وفوقَ الطُّورِ شاعَ تَنَزُّلا[2].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله تعالى: [سَلَامًا] في النص رقم (٢٥/٢٥)[3]. الحجة لمن قرأ [سِلْمٌ] بكسر السين؛ جعله من (السِّلْم) وهو الصالح؛ أي: أمري سِلْمٌ لست مريدا غير السلامة والصُّلح، وأضاف الفراء قائلا: «المعنى: نحن سِلْمٌ؛ لأن التسليم لا يكون من عدو»[4].

وأما من قرأ [سَلَامًا] بإثبات الألف وفتح السين؛ أنه جعله: من التحية والسلام، ومعناه: تسلُّما تسلُّمٌ ما. أو يريد: تركناكم تركا، فكأنه قال: قالوا: تركا، فرد عليهم: تركٌ. وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: « حجتهم في ذلك أنهم مجمعون على الأول، أنه بألف، وهو تسليم الملائكة، فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، الأول نصب على المصدر، على معنى: سلمنا سلاما. والثاني: رفع على إضمار: عليكم سلامٌ »[5].

ثالثا: المعنى العام للآية:

هذه قصة لوط υ وقومه، وهو ابن عم إبراهيم υ، وكانت قرى لوط بنواحي الشام، وإبراهيم υ ببلاد فلسطين، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط، مروا بإبراهيم υ ونزلوا عنده، وكان كل من نزل عنده يحسن قراه، وكان مرورهم عليه لتبشيره بالولد، فظنهم أضيافا، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قالوا: سَلَامًا [قَالَ سَلَامٌ] أي: عليكم[6].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٥)، كتاب السبعة، ص(٣٣٨.٣٣٧)، النشر، (٢٩٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٨).

(٢) أشار الناظم إلى الأخوين بحرف (الشين) من قوله: «شاع»، والسورة التي فوق الطور؛ هي الذاريات، قرأ فيها بكسر السين وسكون اللام والقصر؛ أي حذف الألف بعد اللام. انظر: المتن، ص(٦٠)، الوافي، ص(٢٦٢).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤٦)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٨٩).

(٥) انظر: الكشف، (٥٣٤/١)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤٦).

(٦) قال القرطبي: «قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيُّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦٣/٩).

فمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ] أي: ذهب سريعا فأتى بالضيافة، وهو عجل فتيّ البقر(١). حنيذ: أي: مشوي على الرضف: وهي الحجارة المُحماة(٢).

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب البناء كلتا القراءتين قائلا: «هما لغتان، كحِرْم وحَرام»(٣)، وقال مكي بعد توجيهه لكلتا القراءتين: «هما لغتان؛ بمعنى التحية، كقولهم: هو حِلٌّ وحلال، وحِرْمٌ وحرام»(٤).

(٢٠٩/٦) الاختلاف في قوله تعالى: [امْرَأَتَكَ] من قوله تعالى: [قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ] الآية (٨١).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الرفع والنصب من قوله تعالى: [امْرَأَتَكَ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [امْرَأَتُكَ] بالرفع، وقرأ الباقون: [امْرَأَتَكَ] بالنصب(٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وفاسرِ أنِ اسرِ الوصلُ أصلٌ دَنَا وها هنا حَقٌّ إلا امرأتَك ارفعْ وأبدِلا(٦).

ثانيا: توجيه القراءات:

الحجة لمن قرأ: [امْرَأَتُكَ] بالضم؛ أنه استثناها من قوله تعالى: [وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ] على معنى: ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتُك فإنها ستلتفت، فقوله: [امْرَأَتَكَ] بدل من قوله: [أَحَدٌ]، كقولك: ما قام أحدٌ إلا أبوك، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجة من قرأ بالرفع؛ ما روي عن ابن عباسτ أنه قال: إنها سمعت الوجبة(٧)، فالتفتت، فأصابها العذاب»(١).

---

(١) قال الشوكاني: «إنما جاءهم بعجلٍ ؛ لأن البقر كانت أكثر أمواله». فتح القدير، (٥١٠/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٧٠.٦٨/٨)، فتح القدير، (٥١٠.٥٠٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٦٥.٦٢/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٢٤/٤)، التفسير الكبير، (٢٥.٢٢/١٨).

(٣) الإتحاف، ص(٢٥٨).

(٤) الكشف، (٥٣٤/١).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٥)، كتاب السبعة، (٣٣٨)، النشر، (٢٩٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٩).

(٦) أشار الناظم بكلمة (حق) إلى أبي عمرو وابن كثير، وتقيد بقوله: «هنا»؛ للاحتراز عن موضع العنكبوت: [إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ] الآية (٣٣)، فلا خلاف بين السبعة في نصب تائه. انظر: المتن، ص(٦١)، الوافي، ص(٢٩٢).

(٧) الوجبة: هي السقوط مع الهدَّة: انظر: لسان العرب (٧٩٤/١).

وأما من قرأ: [إِلَّا امْرَأَتُكَ] بالنصب؛ فحجته أنه استثناها من قوله: [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ]؛ أي: جعله استثناءً من الإسراء، وقال ابن زنجلة: «حجتهم ما روي عن ابن مسعود τ أنه قرأ: [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ]، فدل ذلك أن الاستثناء كان من [أَهْلِكَ]، الذين أمر بالإسراء بهم، لا من [أَحَدٌ]» (٢).

ثالثا: المعنى العام للآية:

لمآ خرجت الملائكة من عند إبراهيم υ ، بصرت بهم بنتا لوط υ ، ورأتا هيئة حسنة، فقالتا: ما شأنكم؟ ومن أين أقبلتم؟ فقالوا: في موضع كذا نريد هذه القرية، قالتا: فإن أهلها أصحاب الفواحش، فقالوا: أيها من يضيفنا؟، قالتا: نعم! هذا الشيخ؟، وأشارتا إلى لوط υ، فلما رأى لوط υ هيئتهم خاف قومه عليهم وساءه مجيئهم، وضاق صدره بمجيئهم وكرهه، وقال: «هذا يومٌ شديد في الشر»، وكان قومه نهوه أن يضيف رجلا.

وخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاءوا يهرعون إليه، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، آمرا إياهم أن يتزوجوا النساء، ولم يعرض عليهم سفاحا، فردوا عليه قائلين: إنك تعلم أن نساءنا لا أَرَبَ (٣) لنا فيهن، ولا نشتهيهن، وليس لنا غرضٌ إلا في الذكور.

ثم أنه υ لما علم تصميمهم على الفاحشة، وأنهم لا يتركون ما قد طلبوه، قال: [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً]؛ أي: أنصاراً وأعواناً [أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ]؛ أي: ألجأ وأنضوي. ولما سمعته الملائكة يقول هذه المقالة ووجدوا قومه قد غلبوه، وعجز عن مدافعتهم، قالوا: [إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ] وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يتَّبع أدبارهم؛ أي: يكون ساقةً لأهله، قوله: [وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ]؛ أي: لا ينظر إلى ما وراءه، أو يشتغل بما خلفه من مال أو غيره(٤).

وقوله: [إِلَّا امْرَأَتَكَ] المعنى على قراءة الجمهور بالنصب، أسر بأهلك جميعا إلا امرأتك فلا تسر بها، [إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ] من العذاب؛ وهو رميهم بالحجارة؛ لكونها كانت كافرة، والمعنى على قراءة أبو عمرو وابن كثير: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإنها تلتفت وتهلك، ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرا له؛ لأنه قال لهم: أهلكوهم الساعة، فقالوا: [إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٠)، الإتحاف، ص(٢٥٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤٨).

(٣) الإرْبُ والإرْبَة: الحاجة. انظر: لسان العرب، (٢٨٠/١).

(٤) قال الشوكاني: «قيل وجه النهي عن الإلتفات أن لا يروا عذاب قومهم، وهو ما نزل بهم، فيرحموهم ويرقُّوا لهم، أو لئلا ينقطعوا عن السير المطلوب بما يقع من الإلتفات، فإنه لابد للملتفت من فترة في سيره». انظر: فتح القدير، (٥١٥/٢).

بِقَرِيبٍ]؛ أي: أن موعد عذابهم الصبح المسفر عن تلك الليلة، والاستفهام في [أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ]؛ للإنكار التقريري، والجملة تأكيد للتعليل(١).

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب مكي قراءة الرفع [امْرَأَتُكَ] قائلا: «الأول أحسن»(٢)، بينما أنكرها جماعة منهم أبو عبيد قال: «لا يصح ذلك إلا برفع [يَلْتَفِتْ]، ويكون نعتا؛ لأن المعنى يصير إذا أبدلت وجزمت أن المرأة أبيح لها الإلتفات، والسبب المعنى كذلك».

ودافع عنها النحاس قائلا: «وهذا العمل من أبو عبيد وغيره على مثل أبي عمرو مع جلالته، ومحله من العربية لا يجب أن يكون؛ والرفع على البدل له معنى صحيح،و هو أن يكون استثناء من النهي عن الالتفات؛ أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإنها تلتفت وتهلك»(٣).

(٧/٢١٠) الاختلاف في [أَصَلَاتُكَ] من قوله عز وجل: [قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ] الآية (٨٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله عز وجل: [أَصَلَوَاتُكَ]، فقرأ الأخوان وحفص: [أَصَلَاتُكَ] على الإفراد، وقرأ الباقون: [أَصَلَوَاتُكَ] على الجمع(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَمِنْ تَحْتِهَا الْمَكِّيُّ وَزَادَ مِنْ صَلَاتَكَ وَحِّدْ وَافْتَحِ التَّا شَذاً عَلَا(٥).

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قول تعالى: [أَصَلَاتُكَ] لغويا في النص رقم (٥/١٦٧)(١). الوجه في قراءة [أَصَلَاتُكَ] بالإفراد؛ إجماع الجميع على التوحيد، في قوله: [إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي](٢). والوجه في قراءة [أَصَلَوَاتُكَ] على الجمع؛ أنها مكتوبة في المصحف بواو(٣)، وكذلك في سورة براءة(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٧٠.٦٨/٨)، فتح القدير، (٥١٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨١.٧٩/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٣٠.٢٢٩/٤)، التفسير الكبير، (٣٧.٣٥/١٨).

(٢) الكشف، (٥٣٦/١).

(٣) فتح القدير، (٥١٥/٢).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٦)، كتاب السبعة، ص(٣١٧)، النشر، (٢٩٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٥٩).

(٥) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شذاً» إلى حمزة والكسائي، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص، وهم الذين قرءوا على الإفراد. انظر: المتن، ص(٥٨)، الوافي، ص(١٩٥).

ثالثا: المعنى العام للآية:

هذه قصة شعيب υ مع قومه (مدين)؛ وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، فأرسل الله إليهم شعيباً υ، وكان من أشرفهم نسبا، ولهذا قال: [وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا]، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط، آخذين ومعطين، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وكانوا يقطعون الطريق، فقالوا له على سبيل التهكم: [أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا]؛ والاستفهام للإنكار عليه والاستهزاء به؛ لأن الصلوات عندهم ليست من الخير الذي يقال لفاعله عند إرادة تليين قلبه، وتذليل صعوبته، كما يقال لمن كان كثير الصدقة إذا فعل ما لا يناسب الصواب: أصدقتك أمرتك بهذا، وهذا جواب منهم لشعيب عن أمره لهم بعبادة الله وحده، وقولهم: [أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ] جواب له عن أمرهم بإيفاء الكيل والوزن، ونهيهم عن نقصها، وعن بخس الناس، وعن العيث في الأرض.

ثم وصفوه بوصفين عظيمين فقالوا: [إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ] على طريقة التهكم به؛ لأنهم يعتقدون أنه على خلافهما[5].

رابعا: ترجيح القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٥/١٦٧)[6].

(٨/٢١١) اختلاف في [سُعِدُوا] من قوله تعالى عز وجل: [وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ] الآية (١٠٨).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح السن وضمها من قوله عز وجل: [سُعِدُوا]، فقرأ الأخوان وحفص: [سُعِدُوا] بضم السين على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: [سَعِدُوا] بفتح السين[7].

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) الأنعام، الآية (١٦٢).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤٨).

(٤) في قوله: [وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ] التوبة، الآية (٩٩)، انظر ذلك في ص(   ).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (١٠٣.١٠١/٨)، فتح القدير، (٥١٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٨٧.٨٦/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٣٣.٢٣٢/٤)، التفسير الكبير، (٤٤.٤٣/١٨).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٦)، كتاب السبعة، ص(٣٣٩)، النشر، (٢٩٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٦٠).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي سَعِدُوا فَاضْمُمْ صِحَابٌ وَسَلْ بِهِ   وَخِفُّ وَإِنْ كُلاًّ إِلَى صَفْوِهِ دَلاَ[1].

ثانيا: توجيه القراءات:

السَّعادة: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل لخير، ويضاده الشَّقاوة، والسَّعادة ضد الشقاوة، ومنه قوله تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ][2].

الحجة لمن قرأ: [سُعِدُوا] بضم السين؛ أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله. والحجة لمن قرأ [سَعِدُوا] بالفتح؛ أنه بنى الفعل لهم فرفعه به، وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «حجة من قرأ [سَعِدُوا] بالفتح، قولهم: ما سَعِدَ زيد حتى أسعده الله» [3].

ثالثا: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه خبر هؤلاء الأنبياء، وما جرى لهم مع أممهم، وكيف أهلك الكافرين، ونجى المؤمنين وضح أن ذلك ما هو إلا عظة واعتبار على صدق موعده بالدار الآخرة، ذلك اليوم العظيم الذي يشهده الملائكة كلهم، ويجتمع فيه الرسل جميعهم، وتحشر فيه الخلائق بأسرهم، ويحكم فيه العادل سبحانه، ولا يتكلم فيه أحداً إلا بإذن الله، كما قال تعالى.

ثم وضح سبحانه أن في ذلك اليوم شقي وسعيد، فالشقي . والعياذ بالله . في النار، والسعيد في الجنة، ثم فصّل فقال: [فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الزَّفير: في الحلق، والشَّهيق: في الصدر؛ أي: تنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب [خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ]»، ثم استثنى سبحانه قائلا: [إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ]، ولقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة، واختار ابن جرير الطبري ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حتى يتشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتُخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجَب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها».

---

(١) أشار الناظم إلى الأخوين وحفص بقوله: «أصحاب». المتن، ص(٦١)، وص(٢٩٢).

(٢) انظر: مختار الصحاح، ص(١٥٣)، مفردات القرآن، ص(٢٣٨).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٠)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٤٩).

ثم وصف سبحانه حال الذين سعدوا فقال: [وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا] والذين سعدوا هم أتباع الرسل [مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ] الاستثناء هاهنا أن دوامهم بما هم في من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة سبحانه، فله المنة عليهم، ولهذا يُلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس.

ثم عقب ذلك سبحانه بقوله: [عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ]؛ أي: غير مقطوع، ولكنه ممتد إلى غير نهاية، قال ابن كثير: «وذلك لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثمَّ انقطاعا، أو لبسا أو شيئا، بل ختم الله له بالدوام وعدم الانقطاع»[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو عبيد وأبو حاتم قراءة الجمهور بفتح السين [سَعِدُوا]، في حين تعجب علي بن سليمان[٢] من قراءة حمزة والكسائي، قال النحاس: «ورأيت علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي بضم السين مع علمه بالعربية»، ثم يقول: هذا لحنٌ لا يجوز»[٣].

(٩/٢١٢) الاختلاف في [يُرْجَعُ] من قوله تعالى: [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] الآية (١٢٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وكسر الجيم، وضم الياء وفتح الجيم من قوله تعالى: [يُرْجَعُ]، قرأ نافع وحفص [يُرْجَعُ] بضم الياء وفتح الجيم، وقرأ الباقون [يَرْجِعُ] بفتح الياء وكسر الجيم[٤]. وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي زخرفٍ في نصِّ لُسْنٍ بخلفِهِ ويَرْجِعُ فيه الضمُّ والفتحُ إذ عَلا[٥].

ثانيا: توجيه القراءات:

رَجَعَ يَرْجِعُ رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعَةً: انصرف، وفي التنزيل: [إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى][١] الرُّجوع والمَرْجِع، مصدر على (فُعْلى)[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٨/١١٥.١٢٢)، فتح القدير، (٢/٥٢٥.٥٢٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/١٠٢.١٠٣)، تفسير أبي السعود، (٤/٢٤٢.٢٤٣)، التفسير الكبير، (١٨/٦٧)، تفسير ابن كثير، (٣/٥٥٥.٥٥٨).

(٢) علي بن سليمان بن أحمد، أبو الحسن الأنصاري، مقرئ فاس، روى الشاطبية والتيسير عن الحسين بن عبد العزيز، ألف كتاباً في كيفية جمع القراءات. غاية النهاية، (١/٥٤٤).

(٣) انظر: فتح القدير، (٢/٥٢٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٦)، كتاب السبعة، ص(٣٤٠)، النشر، (٢/٢٠٨)، الإتحاف، ص(٢٦١).

(٥) أشار الناظم بحرف (الألف) من قوله: «إذا» إلى نافع، وبحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص، انظر: المتن، ص(٦١)، الوافي، ص(٢٩٣).

الحجة لمن قرأ [يُرْجَعُ] بضم الياء وفتح الجيم؛ على ما لم يسم فاعله؛ أي: يُرد الأمر كله إليه.
والحجة لمن قرأ [يَرْجِعُ] بفتح الياء وكسر الجيم قوله: [أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ](3) ولم يقل: تُصَار(4).

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآل؛ وسيوفى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه قائلاً: [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ] فإنه كافٍ من توكل عليه وأناب إليه، والفاء لترتيب الأمر بالعبادة، والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله.

وختم سبحانه الآية بقوله: [وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]؛ أي: ليس يخفى ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليمٌ بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين(5).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب ابن خالويه كلتا القراءتين قائلا: «معناهما قريب»(6).

(10/213) الاختلاف في [تَعْمَلُونَ] من قوله عز وجل: [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] الآية (123).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله: [تَعْمَلُونَ]، فقرأ نافع وابن عامر وحفص: [تَعْمَلُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَعْمَلُونَ] بالياء(7).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وخاطب عَمَّا يَعْمَلُون هنا عُلاً ... وَآخِرِ النَّمْلِ عِلماً عَمَّ وَارْتَادَ مَنْزِلا(8).

---

(1) العلق، الآية (8).
(2) انظر: لسان العرب، (114/8)، مختار الصحاح، ص(234).
(3) الشورى، الآية (53).
(4) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(191)، الحجة: ابن زنجلة، ص(353).
(5) انظر: تفسير الطبري، (148/8)، فتح القدير، (532/2)، الجامع لأحكام القرآن، (117/9)، تفسير أبي السعود، (249/4)، التفسير الكبير، (82.81/18).
(6) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(191).
(7) انظر: كتاب التيسير، ص(126)، كتاب السبعة، ص(340)، النشر، (292/2)، الإتحاف، ص(261).
(8) أشار الناظم بحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص، وبكلمة (عم) إلى نافع وابن عامر ، ويقصد بآخر النمل قوله تعالى: [سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا] الآية (93). وا رشاد الشيء: طلبه: انظر: المتن، ص(61)، الوافي، ص(293).

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله [لُون َ] لغويا في النص رقم (٤٤/١٠٧)[١]. الحجة لمن قرأ [لُون َ] بالتاء؛ على الخطاب. ومن قرأ [لُون َ] بالياء؛ فهو على معنى: وما ربُّك بغافل كما يعمل هؤلاء المشركون، أسند الفعل إلى المشركين[٢].

ثالثا: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[٣].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات والتفسير كلتا القرائتين، ولم ترجح قراءة على أخرى.

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٣).

(٣) انظر ذلك في ص(   ).

الفصل التاسع:

أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة يوسف υ

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة يوسف υ مكية كلها، وآياتها (١١١) آية فقط، نزلت بعد سورة هود υ، وترتيبها المصحفي (١٢)، قال القرطبي: «قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة، على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف υ ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل»(١).

وجوه مناسبتها لما قبلها:

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، هذه من محاسن قصص الأنبياء، وأيضا ليتسلى النبي ρ بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، وعما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، ولهذا قال في ختام السورة السابقة: [وَكُلاًّ ... صٌّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ](٢)، وقال هنا: [... كَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا ... هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ](٣).

وهناك مناسبة أخرى: وهي أن هذه السور الست: سورة يونس υ، وسورة هود υ، سورة يوسف υ، وسورة الرعد، وسورة إبراهيم υ، وسورة الحجر، وكل سورة منها بدأت بحرف [ألر]، يليه الحديث عن القرآن(٤)، إلا سورة الرعد فبدئت بحرف [ألمر] وكلها مكية(٥).

ويقول السيوطي: «وقد روينا عن ابن عباس في ترتيب النزول: أن يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف»(٦)، ثم يقول: «وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث، لترتيبها في النزول هكذا»(٧).

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٣٧)، تفسير الجلالين، (٣٠٢)، تفسير ابن كثير، (٥١٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٧/٩).

(٢) هود الآية (١٢٠).

(٣) يوسف الآية (٣).

(٤) إلا سورة العنكبوت والروم والقلم، لم يذكر في فاتحتها شيء عن القرآن. انظر: جواهر البيان، ص(٣٨).

(٥) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٨.٣٧).

(٦) انظر: الإتقان، (٩٧/١).

(٧) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٩).

(١/٢١٤) الاختلاف في [آيَاتٌ] من قوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ] الآية(٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد من قوله تعالى [آيَاتٌ]، فقرأ ابن كثير: [آيَةٌ] على التوحيد، وقرأ الباقون [آيَاتٌ] على الجمع(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وياءٍ بفتح حيثُ جا لابنِ عامرٍ ووَحَّدَ لِلْمَكِّي آياتٌ الوِلا(٢).

ثانيا: توجيه القراءات:

الآية: العلامة، والجمع (آيٌ) و(آيايٌ) و(آياتٌ)، ومعنى (الآية) من كتاب الله جماعة حروف(٣). الحجة في قراءة ابن كثير [آيَةٌ] على الإفراد، قوله: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ](٤)، ولم يقل (عِبر)؛ كأنه ρ شأنه كل آية، كما قال: [وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً](٥)، فأفرد كل واحد منهما آية، وكقوله: [الطِّفْلِ](٦)(٧).

والحجة لمن قرأ [آيَاتٌ] بالجمع، أنه جعل كل فعل من أفعاله آية فجمع لذلك، وأضاف ابن زنجلة حجة أخرى قائلا: «حجتهم في ذلك؛ أنها كتبت في المصحف بالتاء»(٨).

ثالثا: المعنى العام للآية:

يقول تعالى: لقد كان في قصة يوسف υ وخبره مع إخوته آيات؛ أي: عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه، والمعنى: أي لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف υ آية فيما خبَّروا به؛ لأنهم سألوا النبي ρ، وهو بمكة، فقالوا: أخبرنا عن رجل

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٧)، السبعة، ص(٣٤٤)، النشر (٢/٢٩٣)، الإتحاف، ص(٢٦٢).

(٢) معنى قول الناظم: «الوِلا» بكسر الواو؛ أي: ذات الولاء، وهو القرب أي القريبة من [لِلسَّائِلِينَ] الآية (٤)، وهذا القيد للاحتراز عن البعيدة في آخر يوسف [وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ] الآية (١٠٥) فلا خلاف في إفرادها لجميع القراء. انظر: المتن، ص(٦١)، الوافي، ص(٢٩٣.٢٩٤).

(٣) انظر: لسان العرب، (٦٢/٤)، مختار الصحاح، ص(٣٧).

(٤) يوسف، الآية (١١١).

(٥) المؤمنون، الآية (٥٠).

(٦) النور، الآية (٣١).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٢.١٩٣).

(٨) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٥).

من الأنبياء كان بالشام، أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتى عمي؟ أولم يكن بمكة أحدٌ من أهل الكتاب، ولا من يعرف خبر الأنبياء، وإنما وجه اليهود إليهم من المدينة يسألونهم عن هذا، فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة فيها كل ما في التوراة من خبر وزيادة[1]، فكان ذلك آية للنبي ρ بمنزلة إحياء عيسى υ الميت.

قال القرطبي: «وأسماؤهم . يعني إخوة يوسف . روبيل؛ وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوى ويهوذا، وريالون، ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنت خال يعقوب عليه السلام، وولد له من سريتين أربعه وهم: دان، ونفتالي، وجاد، واشر، ثم ماتت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف، وبنيامين، فكان بني يعقوب اثني عشر رجلاً»[2].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح قراءة الجماعة أبو عبيد، وقال: «لأنها خبر كثير»، بينما حسَّن النحاس قراءة أهل مكة [آيَةٌ] بالإفراد، قائلا: «[آيَةٌ] هاهنا قراءة حسنة»[3].

(٢/٢١٥) اختلاف في [غَيَابَتِ] من قوله: [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] الآية (١٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الإفراد والجمع من قوله: [غَيَابَتِ]، فقرأ نافع وحده: [غَيَابَاتِ] بالجمع، وقرأ الباقون: [غَيَابَةِ] بالإفراد[4].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

غيَابَاتِ فِي الحرفَيْنِ بِالجَمْعِ نَافِعٌ ... وَنُونَ لَنَا يَاءٌ لِكُلٍّ تَخَيَّلا[5]

ثانيا: توجيه القراءات:

الغَيَابة: منهبط من الأرض، ومنه الغابة للأَجَمة[6]، الحجة لمن قرأ: [غَيَابَاتِ] بالجمع؛ أراد ظُلَم البئر ونواحيها؛ لأن البئر لها غيابات، فجعل كل جزء منها غيابة، فجمع على ذلك. ومن قرأ

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (١٣٠/٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٥٤/٨)، فتح القدير، (٧/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٠.١٢٩/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٥٥/٤)، التفسير الكبير، (٩٢.٩١/١٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٢٩/٩)، فتح القدير، (٧/٣).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٨)، الإتحاف، ص(٢٦٢).

(٥) انظر: المتن، ص(٦١)، الوافي، ص(٢٩٤).

(٦) لسان العرب، (٦٥٥/١)، مختار الصحاح، ص(٤٨٥).

غ َ ي َ[اب َ ةِ] بالإفراد؛ لأنه أراد موضع وقوعه فيه، وما غيَّبت منه؛ لأنه جسم واحد، شغل مكانا واحدا.

وقال ابن زنجلة: «حجتهم أنهم ألقوه في بئر واحدة في مكان واحد، لا في أمكنة»(١).

ثالثا: المعنى العام للآية:

يذكر سبحانه في هذه الآية كيفية كيد إخوة يوسف بيوسف υ، وكيفية اتفاقهم على قتله، إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا]؛ أي: حلفوا فيما يظنهم: والله ليوسف وأخوه بنيامين(٢) أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا]، وإنما قالوا هذا؛ لأنه بلغهم خبر الرؤيا، فأجمع رأيهم على كيده.

[وَنَحْنُ عُصْبَةٌ]: العصبة: الجماعة، وقد كانوا عشرة، قوله: [إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]؛ أي: لفي ذهاب عن وجه التدبير بالترجيح لهما علينا، وإيثارهما دوننا مع استوائنا في الانتساب إليه.

قال الشوكاني: «ولا يصح مرادهم: أنه في دينه في ضلال مبين»، ثم احتاروا فيما يفعلون به، فقالوا: [اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا] إما القتل، أو الطرح في أرض، قال الشوكاني: «والتنكير في [أَرْضًا]؛ للإبهام أي: أرضا مجهولة»، وبالتالي تستريحون منه، وتختلوا أنتم بأبيكم، تكونوا من بعده قوما صالحين، عندها قال قائل منهم: [لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ] والغيَابة: كل شيء غيب عنك شيئا. والجبُّ : البئر التي لم تطو، وسميت جباً ؛ لأنها قطعت في الأرض قطعا. قال الشوكاني: «وجمع بين الغيابة والجب؛ مبالغة في أن يلقوه في مكان من الجب، شديد الظلمة، حتى لا يدركه نظر الناظرين».

قوله: [يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ] السَّيارة: الجمع الذين يسيرون وفي الطريق، والإلتقاط: هو أخذ شيء مشرف على الضياع، وكأنهم أرادوا أن بعض السيارة إذا التقطه حملة إلى مكان بعيد، بحيث يخفى عن أبيه ومن يعرفه، ولا يحتاجون إلى الحركة بأنفسهم إلى المكان البعيد، فربما أن والدهم لا يأذن لهم بذلك، [إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ]؛ أي: إن كنتم عاملين بما أشير به عليكم في أمره، وفي هذا دليل على أن أخوة يوسف υ ما كانوا أنبياء، فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلما وبغيا(٣).

---

(١) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٥)، الإتحاف، (٢٦٢).

(٢) قال الشوكاني: «خصوه بكونه أخاه مع أنهم جميعا إخوته؛ لأنه أخوه لأبويه كما تقدم». فتح القدير، (٧/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٥٥/٨)، فتح القدير، (٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٨.١٣٢/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٥٧.٢٥٦/٤)، التفسير الكبير، (٩٦.٩٥/١٨).

رابعا: ترجيح القراءات:

اختار أبو عبيد الإفراد [غَيَابَةِ] وأنكر الجمع، معللا ذلك بقوله: «لأن الموضع الذي ألقوه فيه واحد» وقال النحاس مصوبا هذه القراءة: «هذا تضييق في اللغة، و[غَيَابَاتِ] على الجمع يجوز من وجهين: حكى سيبويه: سِيرَ عليه عشيانات وأصيلانات؛ يريد عشية وأصيلا، فجعل كل وقت منها عشية وأصيلا، فكذا جعل كل موضع مما يُغيِّب غيابة.

والآخر: أن يكون في الجب غيابات جماعة، ويقال: غَابَ يغيب غيباً وغيابة وغيابا»[1].

(٣/٢١٦) الاختلاف في [يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ] من قوله تعالى: [يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] الآية (١٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في النون والتاء من قوله تعالى: [يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: [نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ] بالنون، وقرأ الباقون: [يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ] بالياء[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ودَعْ مَعْ إِشْمَامِ الْبَعْضِ عَنْهُمُ وَنَرْتَعْ وَنَلْعَبْ يَاءُ حِصْنٍ تَطَوَّلا[3].

ثانيا: توجيه القراءات:

الرَّتْعُ: أصله أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، وعلى طريق التشبيه. واللَّعِب: معروف، واللِّعْب مثله، يقال: لَعِب فلان: إذا كان فعله غير قاصداً به مقصداً صحيحا، يَلْعَبُ لَعِباً[4].

الحجة لمن قرأ: [نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ] بالنون؛ أنه أخبر بذلك عن جماعتهم. وأضاف ابن زنجلة قائلا: «حجتهم ذكرها اليزيدي قائلا: وتصديقها قوله بعدها: [إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ]»، فكأن اليزيدي ذهب إلى أنهم اسندوا جميع ذلك إلى جماعاتهم إذ اسندوا الاستباق» ثم يقول: «قيل لأبي عمرو: فكيف يلعبون وهم أنبياء الله؛ فقال إذ ذاك لم يكونوا أنبياء الله»[5].

---

(١) انظر: فتح القدير (٣/٨).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٨)، الإتحاف، ص(٣٦٢).

(٣) أشار الناظم بكلمة (حصن) إلى الكوفيين ونافع؛ وهم الذين قرأو بالياء. انظر: المتن، ص(٦١)، الوافي، ص(٢٩٤).

(٤) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٢) و(١٩٣).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٥.٣٥٦).

والحجة لمن قرأ: [نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ] بالياء؛ فهو إخبارا عن يوسف υ وبذلك جاء تأويل أهل التأويل في ذلك، قال ابن زنجلة: «حجتهم في ذلك أن القوم إنما كان قولهم ذلك ليعقوب υ اختراعا منهم إياه عن يوسف υ، إذ سألوه أن يرسله معهم لينشط يوسف لخروجه إلى الصحراء ويلعب هناك؛ لأنهم أرادوا إعلامه بما لهم من الرفق والفائدة لخروجه»(١).

ثالثا: المعنى العام للآية:

لما أجمع إخوة يوسف υ على إلقاء يوسف في غيابات الجب جاءوا إلى أبيهم، وخاطبوه بلفظ الأخوة، استعطافا له وتحريكا للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء، وتوسلا بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه،واستفهموه استفهام المنكر؛ لأمر ينبغي أن يكون الواقع على خلافه [قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ]؛ أي: أي شيء لك لا تجعلنا أُمناء عليه.

قال ابن كثير: «وهذه توطئةٌ وسلف ودعوى، وهم يريدون خلاف ذلك، لما له في قلوبهم من الحسد لحب الخروج إليها»، قوله: [نَرْتَعْ] نتع في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرَّتعة: الخصب والسَّعة، وقرئ: [نَرْتَعْ] من أرتع ماشيته، وقوله: [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] يقولون: ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك(٢).

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات والتفسير القرائتين معا، ولم ترجح قراءة على الأخرى، واكتفى الشوكاني بتوجيه القرائتين قائلا: «القراءة بالنون وا إسكان العين مأخوذة من قول العرب: رَتَعَ الإنسان أو البعير: إذا أكل كيف شاء، أو المعنى: نتسع في الخصب، وكل مخصب راتع. والقراءة الثانية: مأخوذة من رعي الغنم»(٣).

(٤/٢١٧) الاختلاف في [يَا بُشْرَى] من قوله عز وجل: [وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ... يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] الآية (١٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: مختار الصحاح، ص(٢٣٨)و(٢٩٠)، ومفردات القرآن، ص(٣٧٠) وص(٤٥٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٥٩.١٥٨/٨)، فتح القدير، (١٠.٩/٣)، الجامع، (١٤٠.١٣٨/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٥٧/٤)، التفسير الكبير، (٩٧.٩٦/١٨).

(٣) انظر: فتح القدير، (١٠.٩/٣).

اختلفوا في الإضافة وتركها من قوله: [بُشْرَى]، فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: [بُشْرَى] بترك الإضافة، وقرأ الباقون: [بُشْرَايَ] بإثبات ياء الإضافة وفتحها[1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَمَثْوَايَ عَنْهُ لِابْنِ أَبِي ... وبُشْرَايَ حَذْفُ اليَاءِ ثَبْتٌ مُمَيِّلا[2].

ثانيا: توجيه القراءات:

من البشرى: والبُشارة، بالكسر والضم، يقال: بَشَرْتُهُ بمولودٍ فأَبْشَرَ إبشاراً؛ أي: سُرَّ، وتقول: أَبْشِرْ بخيرٍ وبَشِرْتُ بكذا، وبَشَرْتُ؛ أي: استبشرت به[3].

من قرأ: [بُشْرَى] بترك الإضافة؛ فله في ذلك وجهين: أحدهما: أنه جعله اسم غلام مأخوذ من البشارة، مبني على وزن(فُعْلى)، وحجتهم في هذا ما قد روي عن جماعة من المفسرين أنهم قالوا: كان اسمه (بشرى)، فدعاه المستقي باسمه، كما يقال: يا زيد، فيكون: [بُشْرَى] في موضع رفع بالنداء.

والوجه الآخر: أن يكون إضافة البشرى إلى نفسه ثم حذف الياء، وهو يريدها، كما تقول: يا غلامُ لا تفعل، يكون مفردا، بمعنى الإضافة[4].

والوجه في قراءة من قرأ: [بُشْرَايَ] بإثبات ياء الإضافة فيها وفتحها؛ أنه أراد: الإضافة إلى نفسه، كقوله: يا حسرتي ويا ويلتي وإنما فتحوا الياء على أصلها لئلا يلتقي ساكنان، فجرت مجرى [عَصَايَ][5][6].

ثالثا: المعنى العام للآية:

هذا شروع في حكاية خلاص يوسف u، وما كان بعد ذلك من خبره، والسَّيارة: المارة من المسافرين والمراد بها هنا: رفقه مارة تسير من الشام إلى مصر، فاخطئوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبا من الجب، وكان في قفر بعيدة من العمران، والوارِد: الذي يرِد الماء ليستقي للقوم، وكان اسمه فيما ذكر المفسرون: مالك بن ذعر الخزاعي، من العرب العاربة، وقوله: [فَأَدْلَى دَلْوَهُ]؛ أي: أرسله،

---

(1) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٨)، الإتحاف، (٢٦٣).

(2) أشار الناظم بحرف (الثاء) من قوله: «ثبت» إلى الكوفيين؛ (عاصم وحمزة والكسائي). انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٩٤٢).

(3) انظر: لسان العرب، (٦١/٤)، مختار الصحاح، ص(٥٣).

(4) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٧)، الإتحاف، ص(٢٦٣).

(5) طه، الآية (١٨).

(6) انظر: الحجة: ابن خالويه ص(١٩٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٧).

فتعلق يوسف υ بالحبل، فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوراد، فقال: [يَا بُشْرَى]، ومعنى مناداته للبشرى؛ أنه أراد حضورها في ذلك الوقت، فكأنه قال: هذا وقت مجيئك وأوان حضورك.

قال النحاس: «والمعنى من نداء البشرى التبشير لمن حضر، وهو أوكد من قولك: بشرته، كما تقول: يا عجباً ؛ أي: يا عجب هذا من أيامك فأحضر»، وقوله: [وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً]؛ أي: وأسروه الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء، مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره، وقوله: [وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ]؛ أي: يعلم ما يفعله أخوة يوسف υ ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه، قال الشوكاني: «هذا فيه وعيد شديد لما كان فعله سببا لما وقع فيه يوسف υ من المحن، وما صار فيه من الابتذال، يجري البيع والشراء فيه، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، كما قال ρ في وصفه بذلك»، ولعل الفائدة في ذلك كما ذكرها ابن كثير قائلا: «وفي هذا تعريض لرسوله ρ، وإعلام له بأني الحاكم بأذى قومك لك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكن سأُملي لهم، ثم أجعل لك العاقبة، والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته»[1].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات والتفسير كلتا القراءتين، ولم ترجح قراءة على أخرى.

(٥/٢١٨) الاختلاف في: [الْمُخْلَصِينَ] من قوله عز وجل: [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] الآية (٢٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح اللام وكسرها من قوله: [الْمُخْلَصِينَ]، فقرأ الابنان وأبو عمرو: [الْمُخْلِصِينَ] بكسر اللام، في جميع القرآن، وقرأ أهل المدينة والكوفة: [الْمُخْلَصِينَ] بفتح اللام[2].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَفِي كافَ فَتْحُ اللَّامِ فِي مخْلصاً ثَوى ... وفِي المخلِصين الكلُّ حِصْنٌ تَجَمَّلا[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٠.١٦٦/٨)، فتح القدير (١٣.١٢/٢)، تفسير ابن كثير، (٥٨٥.٥٧٥/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٥٤.١٥٢/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٦١.٢٦٠/٤)، التفسير الكبير، (١٠٧.١٠٥/١٨).

(٢) كتاب التيسير، ص(١٢٨) الإتحاف، ص(٢٦٤).

ثانيا: توجيه القراءات:

الإخلاص في الطاعة: ترك الرياء، وقد (أخْلَص) لله الدين، قال ثعلب: «يعني بالمُخْلَصِين [ ] الذين أخلصهم الله عز وجل»، وقال الزجاج: «المخلَص: الذي أخلصه الله جعله مختاراً خالصا من الدنس، والمخلِص: الذي وحد الله تعالى خالصا، ولذلك قيل لسورة [اللَّهُ أَحَدٌ][2] الإخلاص»[3].

حجة من قرأ [المُخْلَصِينَ] بفتح اللام؛ أنه أراد اسم المفعول به من قولك: أخلصهم الله فهو مخلَصون. وقال ابن زنجلة: «حجتهم قوله تعالى: [إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ][4]، فصاروا مُخْلَصِينَ [ ] بإخلاص الله إياهم»[5].

وحجة من قرأ [المُخْلِصِينَ] بكسر اللام؛ أنه أراد اسم الفاعل من أخلص فهو مخلِص. ومنه قوله: [وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ][6]، وقوله: [مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي][7][8].

ثالثا: المعنى العام للآية:

في الآية السابقة ذكر سبحانه مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، قال: [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] والمُراودة: الإرادة والطلب برفقٍ ولين، وامتنع يوسف υ من ذلك أشد الامتناع، وقال [مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي]، وكانوا يطلقون (الرّب) على السيد الكبير؛ أي: أن بعلك ربي، وعلل ذلك بقوله: [أَحْسَنَ مَثْوَايَ]حيث أمرك بقوله: [أَكْرِمِي مَثْوَاهُ] فكيف أخونه في أهله، وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك؟!

---

(١) أشار الناظم إلى الكوفيين ونافع بكلمة (حصن) وهم الذين قرءوا بفتح اللام. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٥٩٥).

(٢) الإخلاص، الآية (١).

(٣) انظر: لسان العرب، (٢٦/٧)، مختار الصحاح، ص(١٩٤).

(٤) ص، الآية (٣٦).

(٥) انظر: الكشف، (٩/٢). الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٩.٣٥٨).

(٦) النساء، الآية (١٤٦).

(٧) الزمر، الآية (١٤).

(٨) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٤)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٥٩).

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها، والفلاح: الظفر، والمعنى: إنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، قوله تعالى: [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا]، يقال: همَّ بالأمر؛ إذا قصده وعزم عليه، والمعنى: أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته، ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجبلةَّ الخُلقية، ولم يكن من يوسف υ القصد إلى ذلك اختياراً، كما يفيده ما تقدم من استعاذته بالله، وإن ذلك نوع من الظلم.

قال الشوكاني: «ومجرد الهم لا ينافي العصمة، فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية، وذلك المطلوب»، وجواب لولا في قوله: [لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ] محذوف؛ أي: لولا أن رأى برهان ربه لفعل ما هم به، وقد اختلف في هذا البرهان الذي رآه ما هو؟ على عدة أقوال؛ والحاصل: أنه رأى شيئا حال بينه وبين ما هم به، قوله: [كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ]، والإشارة بـ [كَذَلِكَ] إلى الإرادة المدلول عليها بقوله: [لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ]، قوله: [لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ]؛ أي: كل ما يسوءه، والفحشاء: كل أمر مفرط القبح، قوله: [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] تعليل لما قبله، أي: المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليهم[1].

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب الشوكاني كلتا القراءتين قائلا: «ولقد كان يوسف υ مخلَصا مُستخلِصا»، وقال القرطبي: «وقد كان يوسف υ بهاتين الصفتين؛ لأنه كان مخلِصا في طاعة الله تعالى، مستخلَصا لرسالة الله تعالى»، وقال أبو السعود: «وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من أول أمره»[2].

(٦/٢١٩) الاختلاف في [يَعْصِرُونَ] من قوله تعالى: [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ] الآية (٤٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

الاختلاف في التاء والياء من قوله: [يَعْصِرُونَ]، فقرأ الأخوان: [تَعْصِرُونَ] بالتاء، وقرأ الباقون: [يَعْصِرُونَ] بالياء[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩١.١٨٣/٨)، فتح القدير، (١٨.١٧/٣)، ابن كثير، (٥٨٢.٥٧٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٧٠.١٦٦/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٦٧.٢٦٥/٤)، التفسير الكبير، (١٢١.١١٤/١٨).

(٢) انظر: فتح القدير، (١٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٧٠/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٦٧/٤).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٩)، الإتحاف، ص(٢٦٥).

مَ عواصِلُ حاشَا دَ جِّ أباً لا حفْهُمْ خرك وخاطب يعصِرُ وَنَشَرَ دَ لا[1].

ثانيا: توجيه القراءات:

العَاصِر : الذي يُصيب من الشيء ويأخذ منه، فقال أبو عبيدة: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يعني: يَنْجون من العُصْرة، بوزن النُّصْرة؛ وهي المنجاة»[2]، الحجة لمن قرأ ﴿تَعْصِرُونَ﴾ بالتاء؛ قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، وقوله: ﴿تَأْكُلُونَ﴾، وقوله: ﴿تُحْصِنُونَ﴾، كأنما وجه الخطاب إلى المستفتين الذين قالوا: أفتنا في كذا. والحجة لمن قرأ ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بالياء؛ أنه رده على قوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ﴾. وقال ابن زنجلة: «قال اليزيدي: يعني الناس»، ثم قال: «ذهب اليزيدي إلى أنه لما قرب الفعل من الناس، جعله لهم»[3].

ثالثا: المعنى العام للآية:

هذا من بقية تأويل يوسف υ لرؤيا الملك، وهو خبر من يوسف υ عما لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله، يقول: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة، وأكل الغلال المدخرة ﴿عَامٌ﴾ لم يعبر عنه بالسنة؛ تحاشيا عن المدلول الأصلي لها من عام القحط، وتنبيها من أول الأمر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق، قال الرازي: «قال المفسرون: السبعة المتقدمة سنين الخصب وكثرة النعم، والسبعة الثانية سنين القحط والقلة، وهي معلومة من حال الرؤيا، وأما حال هذه السنة مما حصل في ذلك المنام شيء يدل عليه، بل حصل ذلك من الوحي، فكأنه υ ذكر أنه يحصل بعد السنة المخصبة، والسنة المجدبة، سنة مباركة كثيرة الخير والنعم»[4].

فقوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ من الإغاثة أو الغوث؛ والمعنى: يُمْطرون، وينقذون من كرب الجدب، وقوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾؛ أي: يعصرون السمسم دهنا والعنب خمرا والزيتون زيتا، وهذا يدل

---

(١) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «وَ دَلا» إلى حمزة والكسائي. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٥.٢٩٦).

(٢) انظر: لسان العرب، (٤/٥٧٧.٥٧٨)، مختار الصحاح، ص(٤٣٦).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦).

(٤) قال قتادة: «زاده الله علم سَنَة، لم يسألوه عنها؛ إظهاراً لفضله، وإعلاماً لمكانه من العلم وبمعرفته». انظر: التفسير الكبير، (١٨/٢٠٤.٢٠٥).

على ذهاب الجدب، وحصول الخصب والخير، قال الشوكاني: «وقيل: أراد حلب الألبان، وقيل معنى يعصرون: ينجون؛ مأخوذة من العَصْرة؛ وهي المنجاة»[1].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح أبو السعود قراءة من قرأ [يُعْصَرُونَ] على البناء للمفعول، ويعلل ذلك بقوله: «هو من عَصَرَه؛ إذا أنجاه»، ثم يقول: «وهو المناسب للإغاثة، ويجوز أن يكون المبني للفاعل أيضاً منه، كأنه قيل: فيه يغاث الناس، وفيه يُغيثون؛ أي: يغيثهم الله، ويغيث بعضهم بعضاً»[2].

(٧/٢٢٠) الاختلاف في [يَشَاءُ] من قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] الآية (٥٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في النون والتاء من قوله: [يَشَاءُ]، فقرأ المكي: [نَشَاءُ] بالنون، وقرأ الباقون: [يَشَاءُ] بالياء[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَنُكْتَلْ بِيَا شَافٍ وَحَيْثُ يَشَاءُ نُونُ دَارٍ وَحِفْظاً حَافِظاً شَاعَ عُقَّلا[4].

ثانيا: توجيه القراءات:

المشيئة: الإرادة، تقول منه: شَاءَ يَشَاءُ مشيئة، قال الرازي: «المشيئة أخصُّ من الإرادة»[5].

الحجة: لمن قرأ [نَشَاءُ] بالنون؛ أنه جعل الإخبار بالفعل لله تعالى؛ لأن المشيئة له، لا ليوسف υ إلا بعد مشيئته عز وجل. ومن قرأ [يَشَاءُ] بالياء؛ أنه جعل الفعل ليوسف υ كأنه قال: يتبوأ يوسف[6].

ثالثا: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٧.٦/٩)، فتح القدير، (٣٢.٣١/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٥.٢٠٤/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٨٤.٢٨٣/٤)، التفسير الكبير، (١٥١.١٥٠/١٨).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، (٢٨٣/٤).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٩)، الإتحاف، ص(٢٦٦).

(٤) أشار الناظم رحمه الله بحرف (الدال) من قوله: «دار» إلى ابن كثير، وقيد: «يشاء» بوقوعه بعد: «حيث»؛ للاحتراز عن قوله: [بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ]، فأنه بالنون للجميع.انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٦).

(٥) انظر: مختار الصحاح، ص(٣٥٢).

(٦) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٦٩)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٠).

أخبر سبحانه في الآيتين السابقتين عن الملك حيث تحقق براءة يوسف υ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه، وكيف أنه جعله من خاصته وأهل مشورته، ولما علم ما هو عليه من خَلْق وخُلُق، وكمال، قال له الملك: [إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ][1]، فقال يوسف υ: [اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ][2]، أي: ولي أمري[3].

وقوله: [وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ]؛ أي: ومثل ذلك التمكين العجيب مكنا ليوسف في الأرض؛ أي: جعلنا له مكانا [يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ]؛ أي: ينزل منها حيث أراد، ويتخذه مباءة، قوله: [نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ] من العباد فنرحمه في الدنيا بالإحسان إليه، والإنعام عليه، وفي الآخرة بإدخاله الجنة، وإنجائه من النار، وقوله: [وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] في أعمالهم الحسنة، التي هي مطلوب الله منهم؛ أي: لا نضيع ثوابهم فيها، ومجازاتهم عليها[4].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات وأئمة التفسير كلتا القراءتين، ولم يرجحوا قراءة على أخرى.

(٨/٢٢١) الاختلاف في: [نَكْتَلْ] من قوله تعالى: [فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] الآية (٦٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله تعالى: [نَكْتَلْ]، فقرأ حمزة والكسائي: [يَكْتَلْ] بالياء، وقرأ الباقون: [نَكْتَلْ] بالنون[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ونَكْتَلْ بِيَا شَافٍ وحَيْثُ يَشَاءُ نُونُ دَارٍ وحِفْظاً حافِظاً شاع عُقَّلا [1].

---

(١) الآية (٥٤).

(٢) الآية (٥٥).

(٣) قال الشوكاني: «طلب يوسف υ منه ذلك؛ ليتوصل به إلى نشر العدل، ورفع الظلم، ويتوصل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان»، ثم يقول:«وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق، ويهدم ما أمكنه من الباطل، طلب ذلك بنفسه، ولكنه يعارض في هذا الجواز ما ورد عن نبينا ρ، من النهي عن طلب الإمارة والمنع من تولية من طلبها وحرص عليها». انظر: فتح القدير، (٣/٣٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٩/٩.١٠)، فتح القدير، (٣/٣٥.٣٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢١٧.٢١٩)، تفسير أبي السعود، (٤/٢٨٧)، التفسير الكبير، (١٨/١٦٢.١٦٤).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٩)، الإتحاف، ص(٢٦٦).

ثانيا: توجيه القراءات:

الكَيْلُ: المِكْيال؛ أي: كيل البُرِّ ونحوه، وهو مصدر: كَالَ الطعام ونحوه يَكِيلُ كَيْلاً ومَكَالاً ومَكِيلاً أيضاً، وهو شاذ؛ لأن المصدر من فَعَلَ يَفْعِلُ مَفْعَل، بكسر العين[2].

الحجة: لمن قرأ [يَكْتَلْ] بالياء؛ أنه أراد: انفراد كل واحد منهم بكيله، وقال ابن زنجلة: «قال الفراء: من قال [يَكْتَلْ] بالياء، قال: يصيبه كيل لنفسه، وجعل الفعل له خاصة؛ لأنهم يزدادون بحضوره كيل بعير»، ثم يقول: «وحجتها أنه قرب من الفعل فاسند إليه»[3].

والحجة لمن قرأ [نَكْتَلْ] بالنون؛ قوله: [مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ]؛ أي: لغيبة أخيه فأرسله معنا نكتل ما منعنا بغيبته، فإذا كان معنا اكتلنا نحن وهو، قال ابن خالويه: «فهو بذلك أخبر عن جماعتهم، وأدخل أخاهم في الكيل معهم»[4].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى عن أخوة يوسف υ أنهم لما رجعوا إلي أبيهم قالوا: [مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ]؛ يعنون بعد هذه المرة، إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، فلن نكتال، [فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ]؛ أي: بسبب إرساله معنا نكتل ما نريده من الطعام، [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] من أن يصيبه سوء أو مكروه[5].

رابعا: ترجيح القراءات:

اختار أبو عبيد قراءة عاصم [نَكْتَلْ] بالنون وقال: «ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال»، وهو ما قاله ابن زنجلة أيضا، وقال الشوكاني: «وزعم . أبي عبيد . أنه لو كان بالياء، كان للأخ وحده»، واعترضه النحاس مما حاصله أن إسناد الكيل إلى الأخ لا ينافي كونه للجميع، والمعنى: يكتال بنيامين لنا جميعا[6].

(٩/٢٢٢) الاختلاف في [حَافِظًا] من قوله عز وجل: [قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] الآية (٦٤).

---

(١) أشار الناظم بحرف (الشين) من قوله: «شاف» إلى الأخوين. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٦).

(٢) انظر: لسان العرب، (٦٠٤/١١)، مختار الصحاح، ص(٥٨٦.٥٨٥).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٦)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦١).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٢.٣٦١)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (١١/٩)، فتح القدير، (٣٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٢٤.٢٢٣/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٩٠.٢٨٩/٤)، التفسير الكبير، (١٦٩/١٨).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٢)، فتح القدير، (٣٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٢٤/٩).

أولا: توجيه القراءات:

اختلفوا في إثبات الألف بعد الحاء، وبحذفها من قوله: [حَافِظًا]؛ فقرأ الأخوان وحفص: [حَافِظًا] بالألف، وقرأ الباقون: [حِفْظًا] [1].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَذَكِّرْ يُنَادِي شَاف وحَيْثُ يَشَاءُ نُونُ دَارٍ وحِفْظًا حافِظاً شاع عُقَّلا [2].

ثانيا: توجيه القراءات:

حَفِظَ الشيء بالكسر حِفْظاً: حَرَسه وحفظه أيضاً: استظهره، والحَفَظة: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، والمُحَافظة: المُرَاقبة، والحفيظ: من صفات الله عز وجل[3].

حجة من قرأ: [حَافِظًا] بالألف؛ قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ][4]، فقال يعقوب u: [فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا]، وحجة أخرى هي أن في حرف ابن مسعود: [فَاللَّهُ خَيْرٌ الحافِظين]، جمع حافظ.

ومن قرأ: [حِفْظًا]؛ حجته قولهم: [وَنَحْفَظُ أَخَانَا] فلما أضافوا إلى أنفسهم قال يعقوب u: [فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا] من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم، وقال الفراء: «[حِفْظًا] بجعل ما بعد [خَيْرٌ] مصدراً، وتنصب على التمييز، وتضمر بعد [خَيْرٌ] اسم المخاطبين، فكأن تقديره: فالله خير كم حفظاً وجرى مجرى القوم: فَاللَّهُ [خَيْرٌ حِفْظًا]، ثم تحذف الكاف والميم»[5].

وقال الزجاج موضحا الفرق بين القراءتين: «[حِفْظًا] منصوب على التمييز، و[حَافِظًا] منصوب على الحال»، ثم يقول: «ويجوز أن يكون [حَافِظًا] على التمييز أيضا»، ويقول أبو منصور الأزهري: «من قرأ [حِفْظًا] و[حَافِظًا] فانتصابه على التمييز، وحفظاً: مصدر، والحافظ: على فاعل»[6].

ثالثا: المعنى العام لأية:

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٢٩)، الإتحاف، ص(٢٦٦).

(٢) أشار الناظم بحرف الشين من قوله: «شاع» إلى الأخوين حمزة والكسائي، وبحرف العين من قوله: «عقلا» إلى حفص، وقد نطق الناظم بالقراءتين معا، فاستغنى بالنطق عن القيد، وعُقَّلا بضم العين وفتح القاف مشددة: جمع عاقل. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٦).

(٣) انظر: لسان العرب، (٤٤١/٧.٤٤٢)، مختار الصحاح، ص(١٤٤).

(٤) يوسف، الآية (١٢).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٢.٣٦٣)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٧).

(٦) انظر: كتاب معاني القرآن وإعرابه، (١١٨/٣)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٥).

يحكي سبحانه في هذه الآية عن رد يعقوب υ لأبنائه عندما طلبوا منه أن يرسل معهم أخوهم بنيامين ليكتالوا بسببه، فقال لهم يعقوب: [هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ]؛ أي: أنه لا يأمنهم على بنيامين إلا كما آمنهم على يوسف أخيه، وقد قالوا له في يوسف υ: [إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]، كما قالوا هنا: [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] ثم خانوه في يوسف υ، فهو إن أمنهم في بنيامين، خاف أن يخونوه فيه كما خانوه في يوسف υ.

فقال: [فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا] والمعنى: أن حفظه الله إياه خير من حفظكم له، قال الشوكاني: «لما وكل يعقوب υ حفظه إلى الله سبحانه حفظه، وأرجعه إليه، ولما قال في يوسف: [وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ][1]، وقع له من الامتحان ما وقع»[2].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات وأئمة التفسير كلتا القراءتين ولم ترجح قراءة على أخرى.

(١٠/٢٢٣) الاختلاف في [دَرَجَاتٍ] من قوله تعالى: [فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ] الآية (٧٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التنوين وعدمه من قوله تعالى: [دَرَجَاتٍ]، فقرأ الكوفيون: [دَرَجَاتٍ] بالتنوين، وقرأ الباقون: [دَرَجَاتِ] بغير تنوين[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي درجات النون مع يوسف ثوى ... وياليسع الحرفان حرك مثقلا[4].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق ذكره في النص رقم (٢٠/٨٣)[1].

---

(١) يوسف، الآية (١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١١/٩)، فتح القدير، (٣٩.٣٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٢٤/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٩٠/٤)، التفسير الكبير، (١٦٩/١٨).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٠٤)، الإتحاف، ص(٢٦٦).

(٤) سبق شرحه في النص السابق، انظر ص(   ).

ثالثا: المعنى العام للآية:

لما اتهم فتيان يوسف أخوة يوسف υ بالسرقة، دافعوا عن أنفسهم قائلين: [لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ](٢)، وقد شاهدتم منَّا سيرة حسنة، وأنا ما جئنا للفساد في الأرض وليست هذه صفتنا، فقال لهم الفتيان: [فَمَا جَزَآؤُهُ]؛ أي: السارق [إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ](٣)، قالوا: [جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ](٤)، وهكذا كانت شريعة إبراهيم υ؛ أن السارق يدفع إلى المسروق منه، وهذا هو الذي أراده يوسف υ، ولهذا [فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ] فتشها قبلهم تورية، ثم [اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ] فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم، وإلزاما لهم بما يعتقدونه، ولهذا قال تعالى: [كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ]؛ أي: علمناه إياه وأوحيناه إليه.

قال ابن كثير: «وهذا من الكيد المحبوب الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة»، وقوله: [مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ]؛ أي: ما كان يوسف υ ليأخذ أخاه بنيامين في حكم ملك مصر، وإنما قيض الله له أن التزم إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم، ولهذا مدحه الله تعالى قائلا: [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء] أي بضروب العلم والمعارف والعطايا والكرامات، كما رفعنا درجة يوسف υ. وقوله: [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ] ممن رفعه الله بالعلم [عَلِيمٌ] أرفع رتبةً منهم، وأعلى درجة، لا يبلغون مداه، ولا يرتقون شأوه(٥).

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح القرطبي قرأءة أهل الحرمين وأبو عمرو: [دَرَجَاتِ مَن نَّشَاء] بغير تنوين على الإضافة، قائلا: «ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: [رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ](٦)، وقوله: [رَفِيعُ دَرَجَاتِهِ](٧) فأضاف الرفع إلى الدرجات، وهو لا إله إلا هو الرفيع المتعالي في شرفه وفضله»، ثم يقول: «فالقراءتان متقاربتان؛ لأن من رفعت درجته فقد رفع، ومن رفع فقد رفعت درجاته»(٨).

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) الآية (٧٣).

(٣) الآية (٧٤).

(٤) الآية (٧٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٨.٢٣/٩)، فتح القدير، (٤٣/٢)، تفسير ابن كثير، (٥٩٧.٥٩٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٨.٢٣٥/٩)، تفسير أبي السعود، (٢٩٧.٢٩٦/٤)، التفسير الكبير، (١٨٣.١٨١/١٨).

(٦) غافر،الآية (١٥).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣١.٣٠/٧).

(١١/٢٢٤) الاختلاف في الاستفهام والإخبار من [أَئِنَّكَ] في قوله تعالى: [قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] الآية (٩٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الاستفهام والإخبار من قوله تعالى: [أَئِنَّكَ]، فقرأ ابن كثير وورش: [إِنَّكَ] بكسر الألف على الخبر، وقرأ نافع وأبو عمرو: [آئِنَّكَ] بالاستفهام بهمزة مطولة، وقر أ قالون: [أَيِنَّكَ] بهمزة واحدة من غير مد، وقرأ أهل الشام والكوفة: [أَئِنَّكَ] بهمزتين على الأصل، جميعهم على الاستفهام[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفِي تَدَّعونَ الحْذفِ إِنَّكَ عن شَذًا وَرَدَّ الأخْبارِ في قالُوا أَئِنَّكَ دَغْفَلا[٢].

ثانيا: توجيه القر اءات:

سبق ذكر الاستفهام في النص رقم (١٧/١٣٨)[٣]. حجة من قرأ [إِنَّكَ] بكسر الألف على الخبر؛ فهو إيجاب؛ لأنه يوسف u، عرفوه فحققوا أنه أخوهم، وقال ابن خالويه: «الحجة لم أخبر ولم يستفهم: إجابته لهم بقوله: [أَنَاْ يُوسُفُ]، ولو كانوا مستفهمين لأجابهم بنعم أو لا، ولكنهم أنكروه، فأجابهم محققا»[٤].

ومن قرأ [آئِنَّكَ] بالاستفهام بهمزة مطولة؛ حجته قوله: [أَنَاْ يُوسُفُ] فإنما أجابهم عما استفهموا عنه، الأصل (أإنك) بهمزتين، ثم أدخلوا بينهما ألفا؛ ليبعد المثل عن المثل، ثم لينوا الثانية فصارت [آيِنَّكَ] بهمزة واحدة مطولة، وكذلك من قرأ [أَيِنَّكَ] بهمزة واحدة من غير مد؛ لين الثانية ولم يدخل بينهما ألفا[٥].

وأما من قرأ [أَئِنَّكَ] بهمزتين على الأصل؛ فهو استفهام، وذلك أنهم ظنوا ذلك ظنا فاستفهموه أهو هو؟ وقال ابن خالويه: «الحجة لمن خفف أن الأولى للاستفهام، والثانية همزة (إِنَّ)، فأتى بهما على أصلهما»[٦].

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٠)، الإتحاف، ص(٢٦٧).

(٢) أشار الناظم بحرف (الدال) من قوله:«دغفلا» إلى ابن كثير، وقوله: «رد»بضم الراء؛ فعل أمر من راد الشيء يروده إذا طلبه، والدَّغفل: العيش الواسع. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٦).

(٣) انظر ذلك في ص( ).

(٤) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٧٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٢٨).

(٥) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٣).

(٦) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٧)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٨).

ثالثا: المعنى العام للآية:

يقول تعالى مخبرا عن يوسف υ أنه لما ذكر له أخوته ما أصابهم من الجهد والضيق قلة الطعام، وعموم الجدب، وتذكر أباه وما هو من الحزن لفقد ولديه، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة وشفقة على أبيه وإخوته، وبدره البكاء، فتعرف إليهم، وقال: [هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ][1]؛ أي: أنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه، فعند ذلك قالوا على سبيل الاستفهام: [أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ]، فرد عليهم قائلا: [أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي] أجابهم بالاعتراف بما سألوه عنه[2].

قوله: [قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا]؛ أي: بالخلاص من ما ابتلينا به، ثم قال: [إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ]؛ أي: من يفعل التقوى أو يفعل ما يقيه عن الذنوب، ويصبر على المصائب، [فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] على العموم، قال الشوكاني: «جاء بالظاهر، وكان المقام مقام المضمر، أي أجرهم، للدلالة على أن الموصوفين بالتقوى موصوفين بصفة الإحسان»[3].

رابعا: ترجيح القراءات:

رجح ابن كثير قراءة الاستفهام قائلا: «القراءة المشهورة هي [أَئِنَّكَ]؛ لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفون، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم في نفسه، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام: [أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ]»[4].

(١٢/٢٢٥) الاختلاف في [نُّوحِي] من قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ] الآية (١٠٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في النون والياء من قوله: [نُّوحِي]، فقرأ حفص عن عاصم: [نُّوحِي] بالنون وكسر الحاء، وقرأ الباقون: [يُوحَى] بالياء وفتح الحاء[1].

---

(١) الآية (٨٩).

(٢) قال ابن الأنباري: «أظهر الاسم، فقال: أنا يوسف، ولم يقل أنا هو؛ تعظيما لما وقع به من ظلم إخوته، كأنه قال: أنا هو المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله، فاكتفى بإظهار الاسم عن هذه المعاني، وقال: وهذا أخي، مع كونهم يعرفونه ولا ينكرونه؛ لأن قصده: وهذا أخي المظلوم كظلمي». انظر: فتح القدير، (٥٢/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٥٥/٩)، فتح القدير، (٦٠/٣)، تفسير ابن كثير، (٦٠٢.٦٠١/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٧٥.٢٧٤/٩)، تفسير أبي السعود، (٣١٠/٤)، التفسير الكبير، (٢٢٦.٢٢٥/١٨).

(٤) تفسير ابن كثير، (٦٠٢/٣).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويُوحَى إليهمْ كسْرُ حاءٍ جميعُهم ... ونونٌ عُلاً يُوحَى إليه شذاً علا[٢].

ثالثا: توجيه القراءات:

الوَحْيُ: الكتاب، وجمعه (وُحِيٌّ) مثل: حَلْيٍ وحُلِيٍّ، وهو أيضاً الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وحَى إليه الكلام يَحِيه وَحْياً وأَوْحَى أيضاً، وهو أن يكلمه بكلام يخفيه[٣].

من قرأ [نُوحِي] بالنون وكسر الحاء؛ فهو بمعنى أن الله يخبر عن نفسه، لأنه قال: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ] فكذلك [نُوحِي]، وحجته قوله: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ][٤].

ومن قرأ [يُوحَى] بالياء وفتح الحاء؛ فهو على ما لم يسم فاعله، وحجته قوله: [وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ][٥]، وقوله: [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ][٦]، وقال أبو منصور: «من قرأ [يُوحَى]؛ فمعناه التكرير، كأنه قال: كذلك يوحى إليك، وأضمر: يوحيه الله إليك»[٧].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى لم يوحي إلى امرأة من بنات بني آدم وَحْيَ تشريع.

[مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى]؛ المراد بالقرى: المدن؛ لا أنهم من أهل البوادي، الذين هم من أجفى الناس طباعا واخلاقا، قال ابن كثير: «وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرقّ طباعا،

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣)، الإتحاف، ص(٢٦٨).

(٢) أشار الناظم بحرف (العين) من قوله: «علا» إلى حفص وهو الذي قرأ: [نُوحِي] الذي بعده [إِلَيْهِمْ] بالنون وكسر الحاء في جميع مواطنه في القرآن الكريم، وهو الأنبياء: [رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم]. ومثله في النحل: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ] الآية (٤٣)، وفي الموضع الأول في الأنبياء: [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ] الآية (٧). انظر المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٧).

(٣) انظر: لسان العرب، (٣٨٢/١٥)، مختار الصحاح، ص(٧١٣).

(٤) النساء، الآية (١٦٣).

(٥) هود، الآية (٣٦).

(٦) الجن، الآية (١).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٥)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٨.٢٢٩).

وألطف من أهل سوادهم، وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادي، ولهذا قال: [الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا..][1]».

قوله: [فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ] يعني هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] أي: من الأمم المكذبة للرسل، كيف دمّر الله عليهم والكافرين أمثالها، فإذا استمعوا خبر ذلك، وأن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين، وهذه كانت سنته تعالى في خلقه، ولهذا قال: [وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا]؛ أي: وكما أنجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة أيضا وهي خيرٌ لهم في الدنيا بكثير[2].

رابعا: ترجيح القراءات:

ذكر علماء القراءات وأئمة التفسير كلتا القراءتين، ولم ترجح قراءة على أخرى.

(١٣/٢٢٦) الاختلاف في [كُذِبُوا] من قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] الآية (١١٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في التشديد وعدمه من قوله: [كُذِبُوا]، فقرأ الكوفيون: [كُذِبُوا] بالتخفيف، وقرأ الباقون: [كُذِّبُوا] بالتشديد[3].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وثاني نُنْجِي احذِفْ وشدِّد وحرِّكَ كذا نَلْ وخَفِّفْ كُذِّبوا ثَابِتاً تَلا[4].

ثانيا: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [كُذِبُوا] لغويا في النص رقم (٨/٧١)[5]. الحجة لمن قرأ: [كُذِبُوا] بالتخفيف؛ أنه جعل الظن للكفرة بمعنى الشك، وتقديره: وظن الكفرة أن الرسل قد كذبوا فيما وُعِدوا به من

---

(١) التوبة، الآية (٩٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٨٩.٨٢/٩)، فتح القدير، (٦١.٦٠/٣)، تفسير ابن كثير، (٦١٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٧٥.٢٧٤/٩)، تفسير أبي السعود، (٣١٠/٤)، التفسير الكبير، (٢٢٦.٢٢٥/١٨).

(٣) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٠)، الإتحاف، ص(٢٦٨).

(٤) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كذا» إلى ابن عامر، وبحرف (النون) من قوله: «نل» إلى عاصم. انظر: المتن، ص(٦٥)، الوافي، ص(٢٩٧).

(٥) انظر ذلك في ص(   ).

النصر. ومن قرأ: [كُذِّبُوا] بالتشديد؛ أنه جعل الظن للأنبياء، بمعنى العلم، يريد ولما علموا أن قومهم قد كذبوهم جاء الرسل لنصرنا[١].

ثالثا: المعنى العام للآية:

يخبر تعالى أن نصره ينزل على رسله عند ضيق الحال، وانتظار الفرج من الله تعالى، في أحوج الأوقات إلى ذلك، كما قال تعالى: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ] ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك، وقوله تعالى: [وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا]؛ أي: كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق ورجاء كاذب[٢].

وفي قوله: [جَاءَهُمْ نَصْرُنَا] قولان: أحدهما: جاء الرسل نصر الله، قاله مجاهد. والثاني: جاء قومهم عذاب الله، قاله ابن عباس. وقوله: [فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ] قيل: الأنبياء ومن آمن معهم، وقوله: [وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا]؛ أي: عذابنا، [عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ]؛ أي: الكافرين المشركين[٣].

رابعا: ترجيح القراءات:

صوب أبو منصور كلتا القراءتين قائلا: «كل جائز». بينما يرجح القرطبي والشوكاني القراءة الأولى: [كُذِّبُوا] بالتشديد، يقول القرطبي: «والقراءة الأولى أولى»، وقال الرازي: «من قرأ بالتشديد فالظن هنا بمعنى الحسبان، والتقدير: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، فظن الرسل أن اللذين آمنوا بهم كذبوهم»، ثم يقول: «وهذا التأويل منقول عن عائشة رضي الله عنها، وهو أحسن الوجوه المذكورة في الآية»[٤].

(١٤/٢٢٧) الاختلاف في: [فَنُجِّيَ] من قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] الآية (١١٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(١٩٩)، معاني القراءات، ص(٢٢٩).

(٢) قال الشوكاني: «والمعنى: أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار، وانتظار النصر من الله وتأجيله، قد تطاولت عليهم، وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب»، فتح القدير، (٥٢/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٠٠.٩٩/٩)، فتح القدير، (٥٢/٣)، تفسير ابن كثير، (٦١٦.٦١٥/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٧.٢٥٦/٩)، تفسير أبي السعود (٣٠٥.٣٠٤/٤)، التفسير الكبير، (٢٠٤.٢٠٣/١٨).

(٤) كتاب معاني القراءات، ص(٢٢٩).

قرأ عاصم وابن عامر: [نُجِّيَ] بنون واحدة وتشديد الجيم، وقرأ الباقون: [فَنُنْجِيْ] بنونين وسكون الياء(1).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وثاني نُنْجِي احْذِفْ وشدِّ وحرِّكا ... كَذَا نَلْ وخَفِّفْ كُذِّبُوا ثابتاً تلا(2).

ثانيا: توجيه القراءات:

نَجَا من كذا يَنْجُو نجاءً بالمدّ، ونجاةً بالقصر؛ وهو الخلاص من الشيء، والصدق (مَنْجَاةٌ)، وأَنْجى غيره ونجّاه(3). الحجة لمن قرأ: [فَنُجِّيَ] بنون واحدة؛ أنه جعله فعلا ماضيا بني لما لم يسم فاعله، وسهل ذلك عليه كتابته في السواد بنون واحدة؛ لأنها خفيت للغنة لفظاً، فحذفت خطاً، وقال ابن زنجلة: «ويقوي هذا أنه قد عطف عليه فعل لم يسم فاعله، وهو قوله: [وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا]»، ثم يقول: «ولو كان [فَنُنْجِيْ] مسندا إلى الفاعل، كقول من خالفه لكان (لا نرد)، ليكون المعطوف عليه»(4).

وحجة من قرأ: [فَنُنْجِيْ] بنونين؛ أنه دل بالأولى على الاستقبال، وبالثانية على الأصل، وأسكن الياء؛ لأنه علامة للرفع، واستدلوا بقوله: [الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا](5)، وهو فعل الله، وقال ابن زنجلة: «قوله: [فَنُنْجِيْ] حكاية حال الأمر من القصة فيما مضى، كما أن قوله: [هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ](6)، إشارة إلى الحاضر، القصة ماضية؛ لأنه حكى الحال»(7).

ثالثا: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق(8).

رابعا: ترجيح القراءات:

---

(1) انظر: كتاب التيسير، ص(130)، الإتحاف، ص(268).

(2) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كذا» إلى ابن عامر وبحرف النون من قوله مكي إلى عاصم. انظر: المتن، ص(62)، الوافي، (297).

(3) انظر: لسان العرب، (15/304،305)، مختار الصحاح، ص(648).

(4) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(199)، الحجة: ابن زنجلة، ص(367).

(5) غافر، الآية (51).

(6) القصص، الآية (15).

(7) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(199)، كتاب معاني القراءات، ص(229)، الحجة: ابن زنجلة، ص(368).

(8) انظر ذلك ص( ).

اختار أبو عبيد: [يُنَجِّي] بنون واحدة مفتوحة الياء؛ لأنها في مصحف عثمان τ وسائر مصاحف البلدان بنون واحدة[1].

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢٧٧)، فتح القدير، (٣/٦١).

الفصل العاشر
أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة الرعد

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الرعد من السور التي اختلف في مكيتها ومدنيتها، فقال قوم: إنها مكية؛ لأنها شبيهة بالسور المكية في قصتها وموضوعاتها. وقال آخرون: إنها مدنية، ولكن موضوعاتها تشبه السور المكية.

وترتيبها المصحفي رقم (١٣)، وآياتها (٤٣) آية، نزلت بعد سورة محمد ρ، وتسمى سورة الرعد؛ لقوله تعالى فيها: [وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ](١).

وهي من أعاجب السور القرآنية التي تستولي على النفس وتثير الوجدان، وتزحم الحس بالصور والمشاهد، وموضوعها الرئيسي هو العقيدة، وقضاياها هي التوحيد والبعث(٢).

وجوه مناسبتها لما قبلها:

أنه سبحانه وتعالى قال: [وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..](٣)، فذكر الآيات السماوية والأرضية مجملة، ثم فصل في مطلع هذه السورة بذكر الآيات الأرضية. هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب، ووصفه بالحق، وافتتاح هذه بمثل ذلك(٤)، وهو من تشابه

وأضاف الغماري وجها آخر قائلا: «نفى في السورة السابقة الافتراء عن القرآن: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ](٦)، وأثبت هنا حقيقته؛ أي: أنه حق منزل من الله: [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ](٧)، سماه هناك: هدى ورحمة، وسماه هنا: الحق»(٨).

(١/٢٢٨) الاختلاف في (يُغْشِي) من قوله عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] الآية (٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) الرعد، الآية (١٣).

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٥٦.٢٥٥)، تفسير ابن كثير، (٦١٨/٣).

(٣) يوسف، الآية (١٠٥).

(٤) خاتمة يوسف: [مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى] الآية (١١١)، وافتتاح هذه: [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ] الآية (١).

(٥) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١١٠.١٠٩).

(٦) يوسف، الآية (١١١).

(٧) الرعد، الآية (١).

(٨) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٤٢.٤١).

اختلفوا في تخفيف الشين وتشديدها من قوله عز وجل: [يُغْشِي]، فقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: [يُغَشِّي] بالتشديد، وقرأ الباقون: [يُغْشِي] بالتخفيف(1).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيُغْشِي بها والرعد ثَقَّلَ صُحْبَةٌ ... وَالشَّمْسُ مَعْ عَطْفِ الثَّلاثَة كَمَّلا(2)

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [يُغْشِي] لغوياً في النص (10/131)(3). الحجة في قراءة: [يُغَشِّي] بالتشديد؛ أن هذا الفعل يتردد ويتكرر، وذلك أن كل يوم وكل ليلة غير اليوم الآخر، وغير الليلة الأخرى، فالتغشية مكلاة مردودة لمجيئها يوماً بعد يوم، وليلة بعد ليلة، وفي التنزيل: [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى](4).

ومن قرأ: [يُغْشِي] بالتخفيف؛ فحجته أنه أخذه من (أَغْشَى يُغْشِي) ودليله قوله: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ](5)، [كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا](6) ولم يقل (غُشِّيتْ)(7).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن قدر سبحانه الدلائل السماوية في الآيات السابقة، أردفها بتقرير الدلائل الأرضية فقال: [مَدَّ الْأَرْضَ]؛ أي: بسط الأرض(8) طولاً وعرضاً، قال الأصم(9): «إن المد هو البسط إلى ما لايدرك منتهاه، وهو المدّ الظاهر للبصر، لا ينافى كرويتها في نفسها، لتباعد أطرافها».

وقال القرطبي: «في هذه الآية ردٌّ على من زعم أن الأرض كالكرة، وردٌّ على من زعم أن الأرض تهوي أبوابها عليها»، ثم يقول: «الذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول: بوجدوا في الأرض وسكونها ومدّها، أن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها»، ثم قال سبحانه: [وَجَعَلَ

---

(1) انظر: كتاب التيسر، ص(110)، كتاب السبعة، ص(356)، النشر، (269/2)، الإتحاف، ص(269).

(2) عنى الناظم بلفظ (صحبه) شعبة وحمزة والكسائي؛ أي: أنهم قرءوا هنا وفي سورة الأعراف في قوله: [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] الآية (54)، بتثقيل الشين، وفي ضرورته فتح العين، انظر: المتن، ص(54)، الوافي، ص(272).

(3) انظر ذلك في ص( ).

(4) النجم، الآية (54).

(5) يس، الآية (9).

(6) يونس، الآية (27).

(7) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(156)، الحجة: أبو علي الفارسي، (3/3)، الكشف، (464/1)، الحجة: ابن زنجلة، ص(368).

(8) غريب القرآن وتفسيره، ص(87).

(9) يوسف بن يعقوب بن الحسين، يعرف بالأصم، إمام جليل ثقة مقرئ كبير القدر، أعلا الناس إسناداً في قراءة عاصم، توفي بواسط سنة (313هـ). انظر: غاية النهاية (405.04/2).

فِيهَا رَوَاسِيَ]؛ أي: جبالا ثوابت، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، والإرساء: الثبوت، وقوله: [وَأَنْهَارًا]؛ أي: مياه جارية في الأرض فيها منافع للخلق.

قال أبو السعود: «وفي نظمها مع الجبال في معمولية (فعل) واحد، إشارة إلى أن الجبال منشأ للأنهار، وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب المخل بثبات الأقدام وتقلب الحيوان، تفرعه على تمكنه وتقلبه؛ وهي تعيُّشه بالماء والكلأ».

قال سبحانه: [وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] بمعنى صنفين؛ أي: جعل من كل الثمرات حلواً وحامضاً، قال الشوكاني: «والمراد هنا الزوج الواحد، ولهذا أكد الزوجين بالاثنين؛ لدفع توهم أنه أريد بالزوج هنا الاثنين، أي جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين، إما في اللونية: كالبياض والسواد ونحوهما، أو في الطعمية: كالحلو والحامض ونحوهما، أو في القدر: كالصغر والكبر، أو في الكيفية: كالحر والبرد».

قوله: [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ]؛ أي: يلبسه مكانه، فيصير أسوداً مظلماً بعد ما كان أبيضاً منيراً، وهي استعارة تبعية تمثيلية، مبينة على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية التي تستردها، قوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]؛ أي: ما وضعت في العجائب لدلالات وحججاً وعظات، لقوم يتفكرون فيها فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبّرها دون غيره من الآلة والأصنام التي لا تقدر على ضرٍّ ونفع[(١)].

قال أبو زكريا الأنصاري: «ختم سبحانه هذه الآية هنا بقوله: [يَتَفَكَّرُونَ] وختم ما بعدها بقوله: [يَعْقِلُونَ]؛ لأن التفكُّر في الشيء بسبب لتعقله، والسبب مقدم على المسبب، فناسب تقدم التفكُّر على التعقل»[(٢)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، قائلا: «وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل»[(٣)] ووافقه ابن أبي طالب قائلا: «هما لغتان، أغشى، وغشّي»، ثم قال: «وقد أجمعوا على قوله: [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى][(٤)] وأجمعوا على قوله: [فَأَغْشَيْنَاهُمْ][(٥)]، فالقراءتان متساويتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/٩٦)، فتح القدير، (٣/٦٤ـ٦٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢٨٠ـ٢٨١)، تفسير أبي السعود، (٥/٤ـ٣)، التفسير الكبير، (١٩/٢ـ٦).

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(٢٨٦).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/٣).

(٤) النجم، الآية (٥٤).

(٥) يس، الآية (٩).

(٦) الكشف، (١/٤٦٤ـ٤٦٥).

(٢/٢٢٩) الاختلاف في: [وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ] من قوله عز وجل: [وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] الآية (٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات

اختلفوا في الخفض والرفع من قوله عز وجل: [وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: [وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ] بالرفع، وقرأ الباقون: [وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ] بالجر كلها[١].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَزَرْعٌ نَخِيلٌ غَيْرُ صِنْوَانٍ اَوَّلاً ... لَدَى خَفْضِهَا رَفْعٌ عَلَى حَقِّهِ طُلاَ[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

أولاً: الزَّرع: ما استنبت بالبذر، مصدر مسمى به، ومنه يقال: حَصَدْتُ الزَّرْعَ؛ أي: النَّبات والزَّرع أيضاً: الإنبات، يقال: زرعه الله؛ أي: أنبته. ومنه قوله تعالى: [أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ][٣]، وتقول للصبي زرعه الله؛ أي: جبره الله وأنبته. والزَّرِّيعة: ما يُبذر. قال ابن بَرِّي: الزَّرِيعة: بتخفيف الراء: الحبُّ الذي يُزرع، ولا تقل زرِّيعة، بالتشديد، فإنه خطأ[٤]»[٥].

ثانياً: النَّخْلة: شجرة التمر، والجمع: نَخْلٌ ونَخِيل وثلاث نخلات. قال ابن السِّكِّيت[٦]: «فأهل الحجاز يؤنثون أكثره؛ فيقولون: هي التَّمر، وهي البُرُّ، وهي النَّخل، وأهل نجد يذكرون؛ فيقولون: نَخْلٌ كريمٌ وكريمةٌ وكرائمُ. وفي التنزيل: [أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ][٧] و[أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ][٨] وأما النخيل بالياء فمؤنثه، لا اختلاف في ذلك».

---

(١) انظر: كتاب التسيير، ص(١٣١)، كتاب السبعة، ص(٣٥٦)، النشر، (٢/٢٩٧)، الإتحاف، ص(٢٦٩).

(٢) عنى الناظم رحمه الله بحرف (العين) من قوله: «على» حفص، وبكلمة (حق) من قوله: «حقه» ابن كثير وأبو عمرو، وقيد: [صِنْوَانٌ] بالموضع الأول ليخرج: [صِنْوَانٍ] الثاني بعد كلمة: [غَيْرُ]، فإنه متفق على خفضه بالإضافة، وقوله: «طلا» جمع طلية، وهي الأعناق. انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٨).

(٣) الواقعة، الآية (٦٤).

(٤) قال الزبيدي: يقولون: (زَرِّيعة) بشدِّ الراء، ويجمعون على (زَرارع)، والصواب: (زَرِيعة) بالتخفيف، والجمع (زَراريع)، وهي فعيلة في معنى مفعولة، من زرعت، فإن التشديد في ذلك أصل، فهي (زِرِّيعة) بكسر الأول، على مثال فِعِّيلة»، ويرى أبي مكي الصِّقلي: أن الصواب في الجمع هي (الزرائع). انظر: لحن العوام ص(٣٧٤)، تثقيف اللسان، ص(١٦٢.١٦١).

(٥) انظر: لسان العرب، (٨/١٤١)، مختار الصحاح، ص(٢٧٠)، المصباح المنير، (١/٢٥٢).

(٦) يعقوب بن إسحاق أبو يوسف، من أئمة اللغة والأدب، أدَّب أولاد المتوكل، وضع كتباً منها (إصلاح المنطق)، و(الأضداد)، وشرح عدداً من دواوين الشعر، توفي سنة (٢٤٤هـ). انظر: الأعلام، (٨/١٩٥).

(٧) القمر، الآية (٢٠).

(٨) الحاقة، الآية (٧)

قال ابن منظور: «وقد يشبه غير النخل في النبتة النخل ولا يسمى شيء منه نخلا؛ كالدوم، والنارجيل. وقد استعار أبو حنيفة النّخل لشجر النارجيل، كبائس فيها (القَوْفل) مثل التمر»[1].

وجه من قرأ بالرفع؛ قال ابن زنجلة: «قال العباس[2]: «سألت أبا عمرو كيف لا تقرأ [وَزَرْعٍ]؟»، قال: «الجنات لا تكون من زرع»»، فذهب أبو عمرو إلى أن الزرع ما بعده مردود على قوله: [قِطَعٌ]؛ كأنه قال: في الأرض قطع متجاورات وفيها جنات وفيها زروع ونخل.

وجحة من قرأ بالجر؛ أنهم حملوا الزرع والنخل على الأعناب؛ كأنه قال: جَنّاتٌ من أعناب، وغير ذلك من زرع ونخل. واستدلوا على ذلك بأن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سُمّيت جَنّة، بدلالة قوله: [وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا][3]، كما سُمّيت الأرض ذات النخل والأعناب جنّة، وكذلك يكون في قراءة من قرأ: [وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ] أن يكون الزّرع والنخل محمولين على الأعناب[4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ] جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات؛ أي: بقاع كثيرة مختلفة في الأرض فمن طيبة سبخة، وكريمة إلى زهيدة، وصلبة إلى رخوة، وغير ذلك، [مُتَجَاوِرَاتٌ]؛ أي: متلاصقات متدانيات، وقوله: [وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ]؛ أي: بساتين كثيرة منها، فيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في ثمار، والثمر يكون بعضه حلواً والبعض الآخر حامضاً، والصنف الواحد من الشجرة، قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم، وإن أنبسط الشمس والقمر على الجمع على نسق واحد، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته تعالى، وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته، فإنه نبه سبحانه بقوله: [بِمَاءٍ وَاحِدٍ] على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته.

قال الشوكاني: «وذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل؛ لأنه يكون في الخارج كثيراً كذلك، ومثله قوله: [جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا][5]»، وقوله: [صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ] جمع صنو، واحدها صنو، والاثنان صِنْوان، وهي النخلة التي لها

---

(١) انظر: لسان العرب، (٦٥٢/١١)، مختار الصحاح، ص(٦٥١)، المصباح المنير، (٥٩٣.٥٩٦/٢).

(٢) العباس بن الفضل بن عمرو الأنصاري، قاضي الموصل، أستاذ حاذق، كان من أكابر أصحاب أبو عمرو في القراءة، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعا، وناظر الكسائي في الإمالة. غاية النهاية، (٤٥٤.٤٥٣/١).

(٣) الكهف، الآية (٣٢).

(٤) انظر: الحجة، ابن نجلة، ص(٣٦٩)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٤٠٣/٣)، الكشف، (١٩/٢)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٣١).

(٥) الكهف، الآية (٣٢).

رأسان، وأصلها واحد، ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلاً، وقوله: [صِنْوَانٍ]؛ أي: متفرق الأصول، وهي جمع بلفظ التثنية، مثل قنوان[١].

قوله تعالى: [وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ] وذلك مع أخذ أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا، ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]؛ أي: لعلامات لمن كان له قلب يفهم عن الله تعالى[٢].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب الطبري القراءتين معاً، قائلا: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتان المعنى، وقرأ بكل واحد منهما قراء مشهورين، فأبيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا في البساتين فهما في الأرض، وإذا كانا في الأرض، فالأرض التي هما فيها جنة، فسواء وصفا بأنهما في بُستان أو في أرض»[٣].

(٣/٢٣٠) الاختلاف في [صِنْوَانٌ] من قوله عز وجل: [وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] الآية (٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في خفض الصاد ورفعها من قوله عز وجل: [صِنْوَانٌ] فقرأ عاصم: [صُنْوَانٌ] بضم الصاد والتنوين، وقرأ الباقون: [صِنْوَانٌ] بكسر الصاد والتنوين أيضاً[٤].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وزَرْعٌ نَخِيلٌ غَيْرُ صِنْوانٍ أوَّلاً ... لدى خَفْضِها رَفْعٌ عَلَى حَقِّهِ طُلا[٥]

ثانياً: توجيه القراءات:

صِنْوانٌ وأصنياء: والجمع الصِّنو، والأنثى صِنْوة. والصِّنْو: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان أو ثلاث أو أكثر من عرق واحد، وللزجاج: صُنْو بضم الصّاد .. قال ابن منظور: «وقد يقال لسائر الشجر إذا تشابه، والجمع كالجمع»[١].

---

(١) انظر: تفسير المشكل، ص(٢٠٩)، غريب القرآن، ص(٨٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٣.٩٧/٩)، فتح القدير، (٦٥/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٣.٢٨١/٩)، تفسير أبي السعود، (٥/٤)، التفسير الكبير، (٨.٦/١٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير، (٩٩.٩٨/١٣).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣١)، النشر، (٢٩٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٦٩).

(٥) سبق شرحه في النص السابق، انظر ص(   ).

قال أبو علي الفارسي: «حجة من ضم الصاد أنه جعله مثل: ذِئْب وذُؤْبان، وربما تعاقب فِعلان وفُعلان، على البناء الواحد، مثل حُشّ وحُشان وحِشّان[2]، فكذلك صنوان»[3].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[4].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوب القرطبي القراءتين معاً، قائلا: «هما لغتان، هما جمع صِنْو، وهي النخلات والنخلتان يجمعهن أصل واحد، وتتشعب من رؤوس فتصير نخلا، نظيرها قِنْوان، واحدها قِنْو»[5]، ويوافقه الرازي ويقول: «وهما لغتان والصِّنْوان جمع صنو، مثل قِنْوان وقِنْو، ويجمع على أصله، مثل اسم و أسماء، فإذا كثرت فهي الصِّنى والصَّنى بكسر الصاد وفتحها، والصَّنو أن يكون الأصل واحد، وتثبت به النخلتان والثلاثة فأكثر، فكل واحدة صنو»[6].

بينما يختار سيبويه قراءة الضم، قال أبو علي الفارسي: «وأظن أن سيبويه قد حكى فيه»، ثم يقول أبو علي: «والكسر فيه أكثر في الاستعمال»[7]، وقال أبو السعود: «قرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس[8]»[9].

(٤/٢٣١) الاختلاف في [يُسْقَى] من قوله عز وجل: [وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] الآية (٤).

أولا: أوجه اختلاف القراءات

اختلفوا في الياء و التاء من قوله عز وجل: [يُسْقَى]، فقرأ عاصم وابن عامر: [يُسْقَى] بالياء، وقرأ الباقون: [تُسْقَى] بالتاء[1].

---

(١) انظر: لسان العرب، (٤٧١،٤٧٠/١٤)، مختار الصحاح، ص(٣٧١)

(٢) الحُشُّ: البستان، والفتح أكثر من الضم، والجمع حُشَّان، وحِشّان. وقال أبو حاتم: يقال لبستان النخل: حُشٌّ». المصباح المنير، (١٣٧/١).

(٣) الحجة: أبو علي الفارسي، (٥/٣).

(٤) انظر ذلك ص(   ).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٢/٩).

(٦) التفسير الكبير، (٧/١٩).

(٧) الحجة: أبو علي الفارسي، (٦،٥/٣).

(٨) قيس بن ثعلبة: بطن عظيم من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم: بنو قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب، كانوا من أشعر قبائل العرب، وقد شهد بذلك حسان بن ثابت والأخطل. انظر: معجم قبائل العرب، (٩٧١/٣).

(٩) تفسير أبي السعود، (٥/٥).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَ يُسْقَى عَاصِمٌ وابْنُ عَامِرٍ وَقُلْ بَعْدَهُ بِاليَاءِ يُفَضِّلُ شُلْشُلا[٢]

ثانياً: توجيه القراءات:

السَّقي: معروف، والاسم؛ السُّقيا بالضم، ويقال: سَقَاهُ سَقْياً وسقاه وأسقاه. ويقال: سَقَيْتُهُ: دَعَوْتُ له، فقلت: سَقْياً لك؛ وفي الدعاء: (سُقْيَا رَحْمَة لا سُقْيَا عَذَابٍ)[٣] على فُعلى بالضمِّ أي: أسقنا غيثا فيه نفع بلا ضرر ولا تخريب[٤].

حجة من قرأ: [يُسْقَى] من قرأ بالياء؛ على معنى: يُسقى المذكور بماءٍ واحد، والحجة في ذلك قوله تعالى: [وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ][٥]، على معنى في ثمر المذكور، وقال الأخفش: «من قرأ بالياء، جعله على الأعناب، كما ذكر في الأنعام، فقال: [مِمَّا فِي بُطُونِهَا]، ثم أتى بعد فقال: [وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ][٦]، فمن قال: [يُسْقَى] بالياء؛ جعل الأعناب مما يؤنث ويذكر كالأنعام».

ومن قرأ بالتاء فقال: [تُسْقَى] فالمعنى تسقى هذه الأشياء بماءٍ واحد، وقالوا: لا يكون التذكير، لأنك إن حملته على الزرع فقد تركت غيره، وإن حملته على الجنات مع حمله على الزرع فقد ذكّرت المؤنث، وحجتهم قوله: [بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ]، فقال: [بَعْضَهَا]، فكما حمل هذا على التأنيث، كذلك يحمل [يُسْقَى]، وأضاف ابن خالويه على ذلك بقوله: «الحجة لمن قرأ بالتاء؛ أنه ردّه على لفظ الجنات ولفظها مؤنث»، ويضيف الأخفش قائلاً: «من أنث فقال: [تُسْقَى] فهذا التأنيث على [جَنَّاتٌ] وإن شئت على [أَعْنَابٍ]؛ لأن [أَعْنَابٍ] جماعة من غير الأنس فهي مؤنثة»[٧].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص السابق[٨].

رابعاً: ترجيح القراءات:

---

(١) أنظر كتاب التيسير، ص(١٣١)، كتاب السبعة، ص(٣٥٦)، النشر (٢/٢٩٧)، الإتحاف، ص(٢٦٩).

(٢) انظر: المتن، ص(٦٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: لسان العرب، (١٤/٣٩٠.٣٩١)، مختار الصحاح، ص(٣٠٥)، المصباح المنير، (١/٢٨١).

(٥) يس، الآيتان (٣٤.٣٥).

(٦) المؤمنون، الآية (٢٢).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٦٩ـ٣٧٠)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٠)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/٦)، الكشف، (٢/١٩)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٣١.٢٣٢).

(٨) انظر ذلك في ص( ).

رجح أبو علي الفارسي قراءة التأنيث، ويعلل ذلك بقوله: «ويقوي التأنيث، قوله: [وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ]، فكما يحمل هذا التأنيث كذلك يحمل [تُسْقَى]»[1]، ويوافقه الطبري، قائلا: «وأعجب القراءتين التي أقرأ بها، قرأ من قرأ ذلك بالتاء: [تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ] على أن معناه: نسقي الجنات والنخل والزرع بماء واحد، فمجيء [تُسْقَى] بعدها قد جرى ذكرها، وهي جماعة من غير بني آدم»، ثم يقول: «وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد، أي جميع ذلك يسقي بماء واحد عذب دون المالح»[2]،وهو بقوله هذا كأنه يصوب القراءتين معاً، وقال القرطبي الشوكاني: «القراءة بالتاء اختيار أبو حاتم وأبو عبيدة، وقال أبو عبيدة: «والتأنيث أحسن لقوله: [وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ] ولم يقل بعضه»»[3].

بينما يرجح أبو السعود القراءة بالياء، قائلا: «والأول أوفق؛ أي (بالياء)؛ لأنه بمقام بيان إتحاد الكل في حالة السقي»[4].

(٥/٢٣٢) الاختلاف في [وَنُفَضِّلُ] من قوله عز وجل: [وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] الآية (٤).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل: [وَنُفَضِّلُ]، فقرأ حمزة والكسائي: [وَيُفَضِّلُ] بالياء، وقرأ الباقون: [وَنُفَضِّلُ] بالنون[5].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَذَكِّرْ تُسْقَى عَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ ... وَقُلْ بَعْدَهُ بِالْيَاءِ نُفَضِّلُ شُلْشُلا[6]

ثانياً: توجيه القراءات:

الفضل والفضيلة، معروفان: ضدُّ النقص والنقيصة، والجمع فُضُول. والفَضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، والفاضل: الاسم من ذلك. والفِضَال والتَّفَاضُل: التمازي في الفضل، يقال: فضَّله: أي مَزَّاه. والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض[7].

---

(١) الحجة: أبو علي الفارسي، (٦/٣).

(٢) تفسير الطبري، (١٠٢/٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٣/٣)، فتح القدير، (٦٥/٢).

(٤) تفسير أبي السعود، (٥/٥).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص (١٣١)، كتاب السبعة، ص (٣٥٦)، الإتحاف، ص(٢٦٩).

(٦) عني الناظم رحمه الله بحرف (الشين) من قوله: «شلشلا» حمزة والكسائي، وقوله: «بعده» معناه أن لفظ [نُفَضِّل] وقع في التلاوة بعد لفظ [تُسْقَى]. والشُّلشل: هو الخفيف السائل. وشلشلت الماء؛ أي قطَّرته، فهو مشلشل. انظر: لسان العرب، (٣٦٣/١١)، المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٢٩٨).

(٧) انظر: لسان العرب، (٥٢٤/١١)، مختار الصحاح، ص(٥٠٦)، المصباح المنير، (٤٧٥/٢-٤٧٦).

من قرأ: [يُفَضِّلُ] بالياء؛ إخبار عن الله جل ذكره بذلك الكلام جرى بلفظ الغائب؛ لأنه هو فاعل الأفاعيل كلها، أي: يفضل الله بعضها على بعض، والحجة في ذلك: أنه ابتداء الكلام جرى من أول السورة، وهو قوله: [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ](1)، ومفعل وفعل، فردوا قوله: [يُفَضِّلُ] على لفظ ما تقدمه إذ كان في سياقه؛ ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد(2).

ومن قرأ بالنون فقال: [وَنُفَضِّلُ]؛ على أنه إخبار من الله عز وجل عن نفسه، والحجة في ذلك قوله: [تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ](3)، وقال: [وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ](4) بلفظ الجمع(5).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

سبق توضيحه في النص رقم (٤/١٣١)(6).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً، قائلاً: «وهما قراءتان مستفيضتان بمعنىً واحد، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب»، ثم يقول مرجحاً قراءة الياء: «غير أن الياء أعجبهما إليّ في القراءة؛ لأنه في سياق كلام ابتدئ بالخبر عن الله، وذلك قوله: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ] فقراءته بالياء إذا كان كذلك أولى»(7)، وقال أبو السعود: «قرئ بالياء على بناء الفاعل رداً على [يُدَبِّرُ الأَمْرَ](8)، و[يُفَصِّلُ] و[يُغْشِي](9) وعلى بناء المفعول فيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم احتمال اسناد الفعل إلى فاعل آخر مغنٍ عن بناء الفعل للفاعل»(10).

(٦/٢٣٣) الاختلاف في [أَئِذَا] و[أَئِنَّا] من قوله عز وجل: [وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] الآية (٥).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

---

(١) الآية (٣).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٠)، الكشف، (١٩/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠).

(٣) البقرة، الآية (٢٥٣).

(٤) التوبة، الآية (١١).

(٥) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٠)، الكشف، (١٩/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٠).

(٦) انظر ذلك في ص( ).

(٧) تفسيرالطبري، (١٠٢/١٣).

(٨) الآية (٢).

(٩) الآية (٣).

(١٠) تفسير أبي السعود، (٥/٥) .

اختلفوا في الاستفهام وتركه من قوله: [أَئِذَا] و[أَئِنَّا]، فقرأ ابن عامر: [إِذَا] و[أَئِنَّا] بالخبر في الأول والاستفهام في الثاني، وقرأ نافع والكسائي: [أَئِذَا] بالاستفهام في الأول، و[إِنَّا] على الخبر، وقرأ الباقون: [أَئِذَا] و[أَئِنَّا] بالاستفهام في الكلمتين(١).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وما كُرِّرَ استِفْهامُهُ نَحْوُ أَئِذا أَئِنَّا فَذُو استِفْهامٍ الْكُلُّ أوَّلاً(٢)

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق ذكر الاستفهام في النص رقم (١٧/١٣٨)(٣).

وجه قراءة ابن عامر [إِذَا] على الخبر و[أَئِنَّا] مرتين على الاستفهام؛ أن الاستفهام منهم على إحيائهم بعد الممات، ولم يستفهموا في كونهم تراباً، لأنهم كانوا يعلمون أنهم يصيرون تراباً وما كانوا ينكرون، وإنما أنكروا البعث والنشور، فيجب على هذا أن يكون موضع الاستفهام في الكلمة الثانية في قوله: [أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] لا الأولى(٤).

وأما قراءة نافع والكسائي بالاستفهام في الأولى، والخبر على الثانية؛ فالحجة في ذلك أن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره، والذي يدل على هذا قوله تعالى: [أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ](٥) ألا ترى أنه لم يعد الاستفهام في قوله: [فَهُمُ الْخَالِدُونَ]، وحجة أخرى: لما كان أحد الاستفهامين علة للآخر، كان المعنى في أحدهما دون الآخر، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه ويرتفع بارتفاعه، والدليل عليه [أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ]، ولم يعد الاستفهام في قوله: [فَهُمُ] وهو موضعه وهناك معقد الاستفهام؛ لأن معنى الكلام: أفهم الخالدون إن مت، فالموت علة للخلود. وكذلك كونهم تراباً، وحجتهم علة لإحيائهم ورجوعهم خلقاً جيداً، فلما كان ذلك كذلك جعل الاستفهام كما هو سبب للإحياء، وهو الموت والتراب. وقال أبو علي: «من لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية، كان موضع (إذا) موضع نصب بفعل مضمر يدل عليه، قوله: [أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] كأنه قال: أنبعث إذا كنا تراباً؟»(٦).

والحجة لمن قرأ [أَئِذَا] و[أَئِنَّا] بالاستفهام في الكلمتين؛ أن موضع الاستفهام في الكلمة الثانية لأن المعنى: أئنا لفي خلق جديد إذا كنا تراباً؟، فإنما كان الاستفهام منهم. وحجة أخرى: أن

---

(١) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣١ـ١٣٢)، كتاب السبعة، ص(٣٥٧)، النشر، (٢/٢٩٧)، الإتحاف، ص(٢٦٩.٢٧٠).

(٢) انظر: المتن، ص(٦٢.٦٣)، الوافي، ص(٢٠٧.٢٠٨).

(٣) انظر ذلك ص( ).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، (٣٧٠).

(٥) الأنبياء، الآية (٣٤).

(٦) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٠.٣٧١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/٧).

الاستفهام في الأولى رد كلام محذوف، كأنهم قالوا لهم: إنكم مبعوثين بعد الموت، فردوا بالاستفهام وقالوا: [أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا]؟.

وأضاف أبو علي: «من قرأ جميعاً بالاستفهام؛ فموضع [إِذَا] نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله: [أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ]؛ لأن هذا الكلام يدل على: نُبعث ونُحشر، فكأنه قال: أنبعث إذا كنا ترابا؟»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ، ذكر بعده مسألة المعاد، فقال: [وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ]؛ أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث، والله تعالى لا يتعجّب، و لا يجوز عليه التعجّب؛ لأنه يُغيُّر النفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذُكر ليتعجب منه نبيه ρ والمؤمنين.

قال الزجاج: «أي: هذا موضوع عجب أيضاً، أنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم في خلق السماوات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة»، فقوله: [أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا]؛ أي: أنبعث إذ كنا تراباً، [أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ]؛ وهو أن نبعث أو نعاد، والاستفهام منهم؛ للإنكار المفيد لكمال الاستبعاد، وتقديم الظرف في قوله: [لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ]؛ لتأكيد الإنكار بالبعث، وكذلك تكرر الهمز في قوله: [أَئِنَّا].

ثم لما حكى سبحانه ذلك عنهم حكم عليهم بأمور ثلاثة: الأول: قوله: [أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ]؛ أي: أولئك المنكرون لقدرته سبحانه على البعث هم المتمادون في الكفر الكاملون فيه.

الثاني: قوله: [وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ] الأغلال جمع غلّ، وهو طوق تشدّ به اليد إلى العنق؛ أي: يُغلُّون يوم القيامة، بدليل قوله: [إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ](٢).

الثالث: قوله: [وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] لا ينفكون عنها بحال من الأحوال، والمراد منه التهديد بالعذاب المخلد المؤبد(٣).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن زنجلة قراءة الاستفهام في الكلمتين، وهي قراءة الجمهور، قائلا «وقد نزل بذلك القرآن إذ قال الله عز وجل: [أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ](٤)وإنما موضع

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٢.٣٧١)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٧.٦/٣).

(٢) غافر، الآية (٧٢.٧١).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٠٣ـ١٠٤)، فتح القدير، (٦٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢٨٣ـ٢٨٤)، أبي السعود، (٦/٥).

(٤) المؤمنون، الآية (٣٥).

الفائدة في الكلام: الإخراج، فلما بدئ بـ[إِنْ] قبل الإخراج أيدن مع الإخراج»، ثم يقول: «وقد قيل: أن الاستفهام الأول ردٌّ على كلام محذوف، كأنهم قالوا لهم: إنكم مبعوثون بعد الموت، فردوا الاستفهام وقالوا: أئذا كنا تراباً»[١].

(٧/٢٣٤) الاختلاف في قوله: [تَسْتَوِي] من قوله عز وجل: [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ] الآية (١٦).

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل: [تَسْتَوِي]، فقرأ الأخوان وأبو بكر: [تَسْتَوِي] بالياء، وقرأ الباقون: [تَسْتَوِي] بالتاء[٢].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَهَادٍ وَوَالٍ قِفْ وَوَاقٍ بِيَائِهِ وَبَاقٍ دَنَا هَلْ يَسْتَوِي صُحْبَةٌ تَلا[٣].

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [تَسْتَوِي] لغوياً في النص رقم (١٩/١٩)[٤]. وجه من قرأ بالياء فقال: [يَسْتَوِي]؛ أن تأنيث الظلمات غير حقيقي، فجاز تذكيره، مثل قوله: [فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ][٥] ذهب إلى الوعظ، كذلك ذهبوا بـ[الظُّلُمَاتُ] إلى معنى المصدر، فيكون بمعنى الإظلام والظلام، و قوله: [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ][٦] يعني: الصياح، وجاء في الكشف: أن الجمع بالتاء والألف؛ يراد به القلة، والعرب تذكر الجمع إذا قل عدده[٧].

ومن قرأ بالتاء فقال: [تَسْتَوِي]؛ حجته أنه أنَّث على ظهر تأنيث لفظ [الظُّلُمَاتُ]، قال ابن زنجلة: «ذهبوا إلى اللفظ لا إلى المعنى»[٨].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

---

(١) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٢.٣٧١).

(٢) أنظر: كتاب التيسير، ص(١٣٣)، كتاب السبعة، ص(٣٥٨)، النشر، (٢٩٧/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٠).

(٣) عنى الناظم رحمه الله بقوله: «صحبه» حمزة والكسائي وشعبة، والتقييد بـ(أم)؛ للاحتراز عن قوله: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ] الأنعام الآية (٥٠)، فقد اتفقوا على قراءتها بياء التذكير انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٣٠١).

(٤) انظر ذلك في ص(   ).

(٥) البقرة، الآية (٢٧٥).

(٦) هود، الآية (٩٧).

(٧) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٣)، الكشف، (٢٠.١٩/٢).

(٨) انظر: الحجة ابن زنجلة، ص(٣٧٣)، الكشف، (٢٠/٢).

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السابقة أن كل من في السماوات والأرض ساجد له، بمعنى كونه خاضعاً له، عاد إلى الرد على عبدة الأصنام، فقال: [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ] أمر سبحانه نبيه ρ أن يسأل الكفار من رب السماوات والأرض؟ ثم لما كانوا يعترفون به، أمر رسوله ρ أن يجيب عليهم فقال: [قُلِ اللَّهُ]، كأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه، أنهم ربما تلعثموا في الجواب تحرزاً مما يلزمهم.

وقد حكى سبحانه مثله في قوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ](١)، وفي قوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ](٢).

ثم أمر سبحانه رسوله ρ بأن يلزمهم الحجة ويبكتهم، فقال: [قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ] والاستفهام؛ للإنكار، أي: إذا كان رب السماوات والأرض هو الله، كما تعرفون بذلك وتعترفون به، فما بالكم اتخذتم لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين [لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا] ينفعونها به [وَلا ضَرًّا] يضرون به غيرهم أو يدفعونه عن أنفسهم، فكيف ترجون منهم النفع والضر، وهم لا يملكونهما لأنفسهم.

ثم ضرب سبحانه لهم مثلا وأمر رسوله ρ أن يقوله لهم، فقال: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ]؛ أي: هل يستوي الأعمى في دينه وهو كافر، والبصير فيه وهو الموحد، فإن الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه، والثاني عالم بذلك، ثم قال: [أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ]؛ أي: الشرك والإيمان، والاستفهام؛ للتقريع والتوبيخ؛ أي: كيف يكونان مستويان وبينهما من التفاوت ما بين الأعمى والبصير، وما بين الظلمات والنور.

قال الشوكاني: «ووحد النور وجمع الظلمة؛ لأن طرق الحق واحدة، لا تختلف، وطرائق الباطل كثيرة غير محصورة» ولما دلّ الناظم الكريم على أن الكفر فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله، وفي الضلالة المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد، وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ لغلطهم وخطئهم، وفصلا عن الحجج، لأجل ذلك قال: [أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ] وهذا من تمام الإحتجاج، فالاستفهام؛ لإنكار الوقوع.

قال ابن الأنباري(١): «ومعناه أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؛ أي: ليس الأمر على هذا حتى يثبته الأمر عليهم، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق، وسائر الشركاء لايخلقون شيئاً »

---

(١) الزخرف، الآية (٩).

(٢) لقمان، الآية (٢٥).

ثم أمره سبحانه بأن يوضح لهم الحق ويرشدهم إلى الصواب، فقال: [قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] كائناً ما كان، ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه، ثم قال: [وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ]؛ أي: المتفرد بالربوبية، [الْقَهَّارُ] الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مراده كل مريد(٢).

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح أبو علي الفارسي قراءة التاء، قائلا: «والتأنيث حسنٌ؛ لأنه فعل مؤنث، لم يفصل بينه وبين فاعله شيء، وعلى هذا جاء: [وَقَالَتِ الْيَهُودُ](٣)(٤) [وَقَالَتِ النَّصَارَى](٥) و [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ](٦)»، ثم يقول: «والتذكير سائغ؛ لأنه تأنيث غير حقيقي، والفعل مقدم»(٧)، وهو بذلك كأنه يصوب القراءتين معاً، ويوافقه ابن أبي طالب، ويقول معللا: «لحمله على الظاهر، ولأن الجماعة عليه»(٨).

ويسوق القرطبي والشوكاني، اختيار أبو عبيدة، ويقولان: «القراءة بالتاء اختيار أبو عبيدة؛ و لأنه لم يحل بين المؤنث والفعل حائل»(٩).

(٨/٢٣٥) الاختلاف في [يُوقِدُونَ] من قوله عز وجل: [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ] الآية (١٧).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الياء والتاء من قوله: [يُوقِدُونَ]، فقرأ الأخوان وحفص: [يُوقِدُونَ] بالياء، وقرأ الباقون: [تُوقِدُونَ] بالتاء(١).

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللّغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، ولد في الأنبار على الفرات، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٨هـ). الأعلام (٣٣٤/٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٣٢/١٣-١٣٤)، فتح القدير، (٧٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٣/٩-٣٠٤)، أبي السعود، (١٢/٥-١٣)، التفسير الكبير، (٣١/١٩-٣٤).

(٣) الحجرات، الآية (١٤).

(٤) البقرة، الآية (١١٣).

(٥) التوبة، الآية (٣٠).

(٦) يوسف، الآية (٣٠).

(٧) الحجة: أبو علي الفارسي، (٩/٣).

(٨) الكشف، (٢٠/٢).

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٣/٩)، وفتح القدير، (٧٤/٢).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبعدُ صحابٌ يُوقِدُونَ وضمُّهم   وصدُّوا ثوى مع حذف في الطَّول نجلا[2]

ثانياً: توجيه القراءات:

الوَقود بالفتح: الحطب، والوُقود بالضم: الانقياد وقال الليث: «الوقود بالفتح؛ ما ترى من لهبها، لأنه اسم، والوُقود بالضم؛ المصدر»، ومنها على سبيل الاستعارة قوله: [كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ][3]؛ أي: كلما دبروا مكيدة وخديعة أبطلها[4]، والموقد: موضع الوقود، مثل المجلس، موضع الجلوس[5].

حجة من قرأ بالياء فقال: [يُوقِدُونَ]؛ أن الكلام خبر لا خطاب فيه، بدلالة قوله: [وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ] فأخبر عنهم، فكذلك قوله: [يُوقِدُونَ] جرى بلفظ الخبر نظيراً لما أتى عقيبه من الخبر،

وقال أبو علي الفارسي: «من قرأ بالياء؛ فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: [جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ][6] ويجوز أن يراد به جمع الناس، ويقوّي ذلك قوله: [مَا يَنفَعُ النَّاسَ] فكما أن لفظ الناس يضمُّ المؤمن والكافر، كذلك الضمير في [يُوقِدُونَ] وقوله: [عَلَيْهِ فِي النَّارِ] فجعل الظرف متعلقاً بـ[يُوقِدُونَ]، لأنه قد يوقد على ما ليس من النار، كقوله: [فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ][7]، فهذا الإيقاد على ما ليس من النار، وإن كان يلحقه وهجاً ولهباً».

وأضاف ابن أبي طالب قائلاً: أن من قرأ بالياء، فلأنه قد ردّ على ذكر الناس بعده، ولما قبله من لفظ الغيبة في قوله: [لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ][8]، وقوله: [وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ][9]، وقوله: [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ][10] فردوه في الغيبة على ما قبله وما بعده»[11].

---

(1) انظر: كتاب التيسير، ص(133)، كتاب السبعة، ص(358).

(2) عنى الناظم بلفظ (صحاب) حمزة والكسائي وحفص، وقوله: «بعد» يعنى لفظ [يُوقِدُونَ] الذي بعد [هَلْ تَسْتَوِي]. انظر: المتن، ص(63)، الوافي، ص(301).

(3) المائدة، الآية (64).

(4) انظر: فتح القدير، (58/2).

(5) انظر: لسان العرب، (465/3.466)، مختار الصحاح، ص(731)، المصباح المنير، (667/2.668).

(6) الرعد، الآية (16).

(7) القصص، الآية (38).

(8) الرعد، الآية (6).

(9) الرعد، الآية (13).

(10) الرعد، الآية (14).

(11) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(373)، الحجة: أبو علي الفارسي، (9/3)، الكشف، (22/2).

وأما من قرأ [تُوقِدُونَ] بالتاء؛ فحجته أنها للمخاطبة؛ أي: هو خطاب للنبي ρ ولأمته، قال أبو علي الفارسي: «من قرأ بالتاء؛ فلما قبله من الخطاب في قوله: [أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا]، ويجوز أن يكون خطاباً عاماً، يراد به الكافة، كأن المعنى: مما توقدون عليه أيها الموقدون زبدٌ مثل زبد الماء الذي يحمله السيل، فأما الزبد فيذهب جفاء لا ينتفع به، كما لا ينتفع الكافر بما يتخذه من الآلهة، مثل الزبد الذي لا ينتفع بما يخلصُ منه الزبد من الماء، والذهب والصُّفر والفضة»(١).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

في الآية السابقة شبه سبحانه المؤمن والكافر، والإيمان والكفر، بالأعمى والبصير، والظلمات والنور، عاد هنا وضرب للإيمان والكفر مثلاً آخر فقال: [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً]؛ أي: من جهتها، والتنكير للتكثير والتنويع، وقوله: [فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا] والقدر: مبلغ الشيء، والمعنى: لقدرها من الماء، فإن صغر الوادي قلّ الماء، وإن اتسع كثر، وقوله: [فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا] الزبد: هو الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل، ويقال له: الغثاء والرغوة والرابي: العالي المرتفع فوق الماء، قال مجاهد: «أي: عالياً مرتفعاً فوق الماء، والمراد من هذا تشبيه الكفر بالزبد الذي يعلوا الماء، فإنه يضمحلّ ويعلق بجنبات الوادي، وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل، وقد تمَّ المثل الأول».

ثم شرع الله في ذكر المثل الثاني، فقال: [وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ] يقول سبحانه: ومثل آخر للحق والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار، طلب حلية يتخذونها، أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاعٌ ينتفع به. وقوله: [زَبَدٌ مِثْلُهُ]؛ أي: يعلو هذه الأشياء زبدٌ، كما يعلو السيل.

قال القرطبي مبيناً وجه المماثلة بين الزبدين: «وإنما السيل الزبد؛ لأن الماء خالطه تراب الأرض، فصار ذلك زبداً، كذلك ما يوقد عليه في النار من الجواهر والفضة، مما ينبت في الأرض من المعادن، فقد خالطه التراب، فإنما يوقد عليه ليذوب فيزايله تراب الأرض».

ثم قال سبحانه: [كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ]؛ أي: مثل ذلك الضرب البديع، يضرب الله مثل الباطل، ثم شرع سبحانه في تقسيم المثل فقال: [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً]؛ أي: مرمياً به، قوله: [وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ]؛ أي: ما ينفع الناس من الماء الصافي والذائب الخالص من الخبيث فيمكث في الأرض، أما الماء فإنه يسلك في عروق الأرض فتنتفع الناس به، وأما ما أذيب من تلك الأجسام فإنه يُصاغ حلية وأمتعة، وهذان مثلان ضربهما الله سبحانه للحق

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٣٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٩/٣)، الكشف، (٢٢/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٣).

والباطل، يقول: إن الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإن الله سبحانه سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله؛ كالزبد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل، وبخبث هذه الأجسام فإنه وإن علا عليها فإن الكبر تقذفه ويدفعه، فهذا مثل الباطل، وأما الماء الذي ينفع الناس وينبت المراعي فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من هذه الأجسام فإنه يبقى خالصاً لا شوب فيه، وهو مثل الحق.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: [كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ]؛ أي: لما بين لكم هذه الأمثال فكذلك يضربها بينات في كل باب؛ لكمال العناية بعباده واللطف بهم، وهذا تأكيد لقوله: [كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ][(١)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

قال الشوكاني: «اختار أبو عبيدة قراءة [يُوقِدُونَ] التحتية، والمعنى: مما توقدون عليه في النار، فيذوب من الأجسام المتطرفة الذائبة»[(٢)]، وقال الرازي معلقاً على اختيار أبو عبيدة: «اختيار أبو عبيدة؛ لقوله: [يَنْفَعُ النَّاسَ] وأيضاً فليس ههنا مخاطب»، ثم يقول موجها القراءة الثانية: «وعلى هذا التقدير، ففيه وجهان: الأول: أنه خطاب للمذكورين في قوله: [أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ]، والثاني: أنه يجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة، كأنه قال: ومما توقدون عليه في النار أيها الموقدون»[(٣)].

(٩/٢٣٦) الاختلاف في [وَصُدُّوا] من قوله عز وجل: [أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] الآية (٣٣).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الصاد في فتحها وضمها في قوله عز وجل: [وَصَدُّوا]، فقرأ الكوفيين: [وَصُدُّوا] بضم الصاد، وقرأ الباقون: [وَصَدُّوا] بفتح الصاد[(٤)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وبعدُ صِحابٌ يُوقِدُونَ وَضَمُّهمْ وَصَدُّوا ثَوى مَعْ صَدَّ فِي الطَّوْلِ وَانْجَلا[(٥)]

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٣٤-١٣٨)، فتح القدير، (٣/٧٤-٧٦)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٣٠٤-٣٠٦)، تفسير أبي السعود، (٥/١٤-١٥)، التفسير الكبير (١٩/٣٤-٣٧).

(٢) فتح القدير، (٣/٧٥).

(٣) التفسير الكبير، (١٩/٣٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٣)، كتاب السبعة، ص(٣٥٩)، النشر، (٢/٢٩٨)، الإتحاف، ص(٢٧٠).

(٥) أشار الناظم رحمه الله بحرف (الثاء) من قوله: «ثوى» إلى الكوفيين، حيث قرءوا هنا في وقوله: [وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ] غافر الآية (٣٧) بضم الصاد. انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، (٣٠١).

ثانياً: توجيه القراءات:

الصَّدُّ: الإعراض والصُّدُودُ، يقال: صَدَّ عنه يَصُدُّ ويَصِدُّ صَدّاً وصُدوداً: أعرض: ويقال: رجل صادٌّ من قوم صُدّادٍ، وامرأة صَادَّة من نسوة صوادّ وصُدَّادٍ أيضاً. ويقال: صدّه عن الأمر يصُدُّه صَدّاً: منعه وصرفه عنه[1].

الحجة للكوفين في قراءتهم بضمّ الصّاد؛ أن الكلام أتى عقب الخبر من الله بلفظ ما لم يُسمَّ فاعله وهو قوله: [زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا]، فجرى الكلام بعده بترك تسمية الفاعل ليأتلف الكلام على نظام واحد، وقال أبو علي الفارسي: «أن من بنى الفعل للمفعول به، فقال: [وَصُدُّوا عَنْ السَّبِيلِ]، فإنّ فاعل الصّدّ غُواتهم والعُتاة منهم في كفرهم، وقد يكون على نحو ما يقولون: [صُدُّوا] صُدَّ فلانٌ عن الخير وصُدَّ عنه؛ يريد أنه: لم يفعل خيراً، و لايريد أن مانعاً منعه منه»[2].

وأما من قرأ بفتح الصاد فحجته أنه بناه على الإخبار عن الصّادين الناس عن سبيل الله، وذلك كقوله: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ][3]، وقوله: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ][4]، وقوله: [هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ][5]، فأسند الفعل في جميع ذلك إلى الصادين فكما أسند الفعل في جميع هذه الآي، كذلك يكون مسنداً إليهم في قوله: [وَصَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ].

وهناك وجه آخر ذكره الأزهري، قائلاً: «من قرأ [وَصَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ] بالفتح؛ فمعناه أنهم صدّوا غيرهم عن السّبيل فأضلُّوهم، ومستقبلُهُ يَصُدُّون»[6].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

لما طلب المشركون سائر المعجزات من الرسول ρ، على سبيل الاستهزاء والسخرية، وكان ذلك يشق على رسول الله ρ، وكان يتأذى من تلك الكلمات، أنزل سبحانه قوله: [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ]، وهذا كان بمثابة تسلية له وتصبير، على سفاهة قومه، فقال له: فإن أقوام سائر الأنبياء استهزؤوا بهم، كما أن قومك يستهزئون بك، فأطلت لهم المدة بتأخير العقوبة، ثم أخذتهم فكيف كان عقابي لهم.

---

(١) انظر: لسان العرب، (٢٤٥/٣)، مختار الصحاح، ص(٣٥٨.٣٥٧).

(٢) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٣-٣٧٤)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١١/٣)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠١).

(٣) الحج، الآية (٢٥).

(٤) النساء، الآية (١٦٧).

(٥) الفتح، الآية (٢٥).

(٦) انظر: الكشف، (٢٣/٢)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١١/٣)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٣٢-٢٣٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٤).

ثم أنه سبحانه أجرى على المشركين ما يجري مجرى الحجاج، وما يكون توبيخاً لهم، وتعجيباً منهم، فقال: [أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ] والاستفهام؛ للتوبيخ والتقريع، فالقائم: الحفيظ والمتولي للأمور، وأراد سبحانه نفسه، فإنه المتولي لأمور خلقه، المدبر لأحوالهم بالآجال والأرزاق، وإحصاء الأعمال على كل نفس من الأنفس، كائنة ما كانت، والجواب محذوف، والمراد من الآية إنكار المماثلة بينهما، وقوله: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ] جملة مستقلة، جئ بها للدلالة على الخبر، أو حالته؛ أي: أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك، وقد جعلوا له شركاء، لا شريكاً واحد.

وبعد أن قرر سبحانه هذه الحجة زاد في الحجاج فقال: [قُلْ سَمُّوهُمْ] أي: قل يا محمد جعلتم له شركاء، فسموهم من هم؟ وفي هذا تثبيت لهم وتوبيخ؛ لأنه إنما يقال هكذا في الشيء المستحق أن يلتفت إليه، فيقال: سمِّه إن شئت يعني؛ أنه أحقر من أن يُسمى.

ثم زاد سبحانه في الحجاج، فقال: [أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ] [أَمْ] استفهام توبيخ، أي أتقدرون على أن تجدوه، وتعلموا بأمر تعلمونه وهو لا يعلمه. قال الرازي: «إنما خص الأرض بنفي الشريك عنها، وإن لم يكن شريك البتة؛ لأنهم أدعوا أن له شركاء في الأرض لا في غيرها»، وقوله: [أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ]؛ أي: بل تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن تكون له حقيقة، كقوله: [ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ][(1)].

ثم أنه سبحانه بين بعد هذا الحجاج سوء طريقتهم، فقال على وجه التحقير لما هم عليه [بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ]، يعلق الواحدي على [بَلْ] في هذه الآية فيقول: «معنى [بَلْ] هنا كأنه يقول: دع ذكر ما كنا فيه!! بل زين للذين كفروا مكرهم؛ أي: تمويههم الأباطيل، أو كيدهم للإسلام بشركهم»

وقوله: [وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ]؛ أي: صدهم الله، وهي على قراءة الأخوان، أما على قراءة الباقين بالفتح فالمعنى: أنهم صدوا غيرهم، وقوله: [وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]. أي: من ضلّه الله عن إصابة الحق والهدى إيّاه، فماله أحدٌ يهديه لإصابتهما، لأن ذلك لا ينال إلا بتوفيق الله ومعونته، وذلك بيد الله، وإليه دون كل أحد سواه[(2)].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً: قائلا: «والصواب من القول في ذلك عندي أنه يقال: أنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فهما متقاربتا المعنى، وذلك أن

---

(1) التوبة، الآية (٣٠).

(2) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٥٨-١٦١)، فتح القدير، (٣/٨٤-٨٥)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٣٢٢-٣٢٤)، تفسير أبي السعود، (٥/٢٤-٢٥)، التفسير الكبير، (١٩/٥٥-٥٨).

المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك يصدُّون غيرهم، كما وصفهم الله بقوله: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ][1]»[2].

وساق القرطبي اختيار أبو عبيدة فيقول: «اختيار أبو عبيدة الفتح؛ اعتباراً بقوله: [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ][3]، وقوله: [هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ][4]»، ثم يقول: «وقراءة الضم أيضاً حسنة، لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة، ففيه إثبات القدر، وهو اختيار أبو عبيدة أيضاً»[5]، وهو بذلك كأنه يصوب القراءتين معاً.

قال الشوكاني: «من قرأ بالفتح؛ أي: البناء للفاعل، أي صدّوا غير هم، واختار هذه القراءة أبو حاتم»[6].

(١٠/٢٣٧) الاختلاف في [وَيُثْبِتُ] من قوله عز وجل: [يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ] الآية (٣٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الباء وتخفيفها من قوله عز وجل: [وَيُثْبِتُ]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: [وَيُثْبِتُ] بالتخفيف، وقرأ الباقون: [وَيُثَبِّتُ] بالتشديد[7].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَيُثْبِتُ فِي تَخْفِيفِهِ حَقُّ نَاصِرٍ وَفِي الْكَافِرُ الْكُفَّارُ بِالْجَمْعِ ذُلِّلَا[8]

ثانياً: توجيه القراءات:

(ثَبَتَ) الشَّيء (يَثْبُتُ ثُبُوتاً): دام واستقر، فهو ثَابِت، وبه سُمِّي، وثَبَتَ الأمر: صَحَّ. ويتعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أَثْبَتَه وثبَّتَه، والاسم: كتبه عنده[9].

حجة من قرأ [وَيُثْبِتُ] بالتخفيف؛ أنه جعله مستقبل (أَثْبَتَ) والمفعول محذوف، (هاء) من الصلة؛ أي: ويثبته، قال أبو علي الفارسي: «من قرأ بالتخفيف؛ حجته ما روى عن عائشة رضي

(١) الأنفال، الآية (٣٦).

(٢) تفسير الطبري، (١٦١/١٣).

(٣) التوبة، الآية (٣٤).

(٤) الفتح، الآية (٢٥).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٢٣/٩).

(٦) فتح القدير، (٨٥/٢).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٤)، كتاب السبعة، ص(٣٥٩)، النشر، (٢٩٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٠).

(٨) أشار الناظم بلفظ (حتى) إلى ابن كثير وأبو عمرو، وبحرف (النون) في كلمة (ناصر) إلى عاصم. انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٣٠١).

(٩) انظر: لسان العرب، (٢٠.١٩/٢)، مختار الصحاح، ص(٨١)، المصباح المنير، (٨٠/١).

الله عنها أنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ)[1]، وقولهم: ثابت، من قوله: [بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ][2]؛ لأن (ثبت) مطاوع أثبت، كما أن تثبّت مطاوع ثبّت».

وأما من قرأ: [وَيُثَبِّتُ] بالتشديد؛ فحجته أنه جعله مستقبل (ثبّت)، ودليله قوله: [وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا][3]، وقوله: [فَثَبِّتُوا][4]، و (تثبت) مصدر (ثبَّت) مسدداً[5].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن قرر سبحانه في الآية السابقة أن: [لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ] أتى بما يقرر هذا القول فقال: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ] أي: أنه سبحانه يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء أن يوقعه بأهله ويأتي به، و[يُثْبِتُ] ما يشاء، أي: يؤخره إلى وقته.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى المراد، فقال مجاهد: «قالت قريش: حين أنزل: [وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ][6]، ما نراك يا محمد تملك من شيء»، ولقد فرغ الأمر، فنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم؛ أي: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، وتحدث في كل رمضان، فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم، وما نعطيهم وما نقسم لهم، وهذا القول اختاره شيخ المفسرين، الإمام الطبري.

وقوله: [وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ]؛ أي: أصله وهو اللوح المحفوظ، إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو، قال الرازي: «العرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أُماً له، ومنه أم الرأس؛ للدماغ، وأم القرى لمكة، وكل مدينة فهي أم لما حولها من القرى، فكذلك أم الكتاب هو الذي يكون أصلا لجميع الكتب»[7].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً قائلا: «فالقراءتان لغتان، كما أن (ثبت وأثبت) لغتان بمعنى»، ثم يقول: «لكن التشديد معنى التأكيد والتكرير، وهو الاختيار؛ لأن أكثر القراءة عليه»، واختار أبو عبيدة: [يُثَبِّتُ] بالتشديد، على معنى يقرُّ ما كتبه فلا يمحوه، ثم يقول مستعرضاً اختيار ابن قتيبة فيقول: «وتعقَّب عليه ابن قتيبة، فأختار التخفيف، لأن المعروف مع المحو الإثبات،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، (١/١٧١).

(٢) إبراهيم، الآية (٢٧).

(٣) النساء، الآية (٦٦).

(٤) الأنفال، الآية (١٢).

(٥)انظر: الكشف، (٢/٢٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/١٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٢).

(٦) الرعد، الآية (٣٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٦٥-١٧٢)، فتح القدير، (٣/٨٨)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٣٢٩-٣٣٣)، أبي السعود، (٣/٢٧)، التفسير الكبير، (١٩/٦٣.٦٦).

فالمعنى: يمحو الله ما يشاء، ويكتب ما يشاء، أو على معنى: يمحو الله ما يشاء، ويُقرُّ ما يشاء، فلا يمحوه، والتخفيف يحتمل المعنيين اللذين ذكر هما أهل التأويل في الآية»(١)، وهو بذلك كأنه يرجح قراءة التخفيف، موافقاً ابن قتيبة.

ويوافقهما الطبري قائلا : «القراءة بالتشديد بمعنى: ويتركه ويقرّه على حاله فلا يمحوه، والقراءة بالتخفيف بمعنى يكتب، وقد بينا أنّ معنى ذلك عندنا: إقراره مكتوباً وترك محوه، على ما قد كان كذلك فأثبته به أولى، والتشديد أصوب من التخفيف، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى؛ أي: التشديد، والتشديد إلى التخفيف، لتقارب معنيهما»(٢). وقال ابن زنجلة: «قال قوم: هما لغتان، مثل (وفّيت وأوفيته)، و(عظّمته وأعظمته)(٣)»

(١١/٢٣٨) الاختلاف في [الْكُفَّارُ] من قوله عز وجل: [وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ] الآية (٤٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في الجمع والتوحيد في قوله عز وجل: [الْكُفَّارُ]، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: [الْكَافِرُ] على التوحيد، وقرأ الباقون: [الْكُفَّارُ] على الجمع(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

ويَثْبُتُ في تخفيفه حقُّ ناصرٍ   وفي الكافرُ الكفّارُ بالجمعِ ذُلِّلا (٥)

ثانياً: توجيه القراءات:

سبق توجيه قوله: [الْكُفَّارُ] لغوياً في النص رقم (١٣/٤٩)(٦). قوله عز وجل: [الْكُفَّارُ] قرئ بالجمع والتوحيد، فمن قرأ على التوحيد؛ فحجته أنه جعل الكافر اسماً للجنس شائعاً، كقوله: [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ](٧) فهو يدلّ على الجمع بلفظه، وهو حصر، وأيضاً فإنه لا ألف في الخط، والألف إنما تحذف من الخط يدل على أنه (فاعل) وليس بـ(فعّال).

---

(١) انظر: الكشف، (٢٣/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٧٢/١٣).

(٣) الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٤).

(٤) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٤)، كتاب السبعة، ص(٣٥٩)، النشر، (٢٩٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٠).

(٥) أشار الناظم بحرف (الذال) من قوله: «ذللا» إلى الكوفيين وابن عامر، وهم الذين قرءوا على الجمع، وقرأ غيرهم بالإفراد، وقد أشار الناظم إلى القراءتين معاً، انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٣٠).

(٦) انظر ذلك في ص(   ).

(٧) العصر، الآية (٢).

وأضاف ابن زنجلة قائلا: «إن من قرأ بالتوحيد؛ فحجته قوله: [وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا][1]، وقال آخرون: الكافر واحد والمعنى جمع، ولم يرد كافراً واحداً، وإنما أراد الجنس كما تقول: أهلك الناس الدرهم والدينار؛ تريد الجنس، المعنى: سيعلم كل من كفر من الناس»، في حين يرى ابن خالويه أن الحجة: أنه أراد أبا جهل[2] فقط[3].

وأما من قرأ على الجمع؛ فحجته أن الكلام أتى عقيب قوله: [الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ]، ثم قال: [وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ] بلفظ ما تقدمه ليأتلف الكلام على سياق واحد، وجاء في الكشف أن الحجة عن الجمع؛ أن التهديد لم يقع لكافر واحد، بل لجميع الكفار، فأتوا به على المعنى، فوافق اللفظ المعنى، ودليله أنه في حرف أُبيّ τ: [وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا]، وفي حرف ابن مسعود τ: [وَسَيَعْلَمُ الكافِرُونَ]، وقال ابن خالويه: «وإنما وقع الخُلف في هذا الحرف؛ لأنه في خط الإمام بغير ألف وإنما هو الكفر»[4].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن وعد سبحانه رسوله ρ بأن يُريه بعض ما وعده أو يتوفاهم قبل ذلك قائلا: [وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ][5]، ثم بين في الآية التي تليها أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ][6] والمراد: أنا نأتي أرض الكفرة ننقصها من أطرافها؛ وذلك لأن المسلمين يستولون أطراف مكة ويأخذونها من الكفرة قهراً وجبراً، ما تنقص أحوال الكفرة، وازدياد قوة المسلمين من قوى العلامات والإمارات على أن الله تعالى ينجز وعده، ونظيره قوله: [أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ][7]، وقوله: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ][8].

---

(١) النبأ، الآية (٤٠).

(٢) عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي ρ في صدر الإسلام، وأحد سادات وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، توفي سنة (٢هـ). الأعلام، (٨٧/٥).

(٣) انظر: الكشف، (٢٤.٢٣/٢)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٥)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٢)، كتاب معاني القراءات، ص(٢٣٣)، الحجة: أبو علي الفارسي، (١٢/٢).

(٤) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٥)، الكشف، (٢٣/٢)، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٢).

(٥) الرعد، الآية: (٤٠).

(٦) الرعد، الآية (٤١).

(٧) الأنبياء، الآية (٤٤).

(٨) فصلت، الآية (٥٣).

قال سبحانه: [وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ]؛ أي: من قبل مشركي قريش، مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم، وهذه تسلية من الله سبحانه لرسوله ρ حيث أخبره أن هذا ديدن الكفار من قديم الزمان مع رسل الله سبحانه، ثم أخبره بأن مكرهم هذا كان كالعدم، وأن المكر كله لله، فقال: [فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا]، لا اعتداد بمكر غيره.

وقد فسَّر سبحانه هذا المكر الثابت له دون غيره، فقال: [يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ] من خير وشر فيجازيها على ذلك، ومن علم ما تكسب كل نفس، واعدّ لها جزاءها كان المكر له، لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون، ثم قال: [وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ]؛ أي: حين يقضي سبحانه بمقتضى علمه، فيوصي كل نفس جزاء ما كسبت، حينها سيعلم الكافر أو الكفار على القراءتين، لمن عاقبة الدار الدنيا،وثواباً وعقاباً، أو لمن الثواب والعقاب في الدار الآخرة، وهذا تهديد ووعيد[1].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب ابن أبي طالب القراءتين معاً، قائلا: «والقراءتين ترجع إلى معنى واحد؛ لأن الجمع يدلُّ بلفظه على الكثرة، والواحد الذي للجنس يدل بلفظهعلى الكثرة، فهما سواء»[2].

ويوافقه الطبري في الاختيار، ويعلل ذلك بقوله: «لأن الخبر جرى قبل ذلك لمن جماعتهم، وأتبع بعده الخبر عنهم، وذلك قوله: [وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ][3]، وبعده قوله: [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا][4]»، ويقول: «وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود τ: [وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ]، وفي قراءة أبي τ: [وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا]، وهذا كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك»[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٧٥)، فتح القدير، (٣/٩٠-٩١)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٣٣٥)، تفسير أبي السعود، (٥/٢٨)، التفسير الكبير، (١٩/٦٧-٦٩).

(٢) الكشف، (٢/٢٤).

(٣) الرعد، الآية (٤٠).

(٤) الرعد، الآية (٤٣).

(٥) تفسير الطبري، (١٣/١٧٥).

الفصل الحادي عشر

أثر اختلاف القراءات في تفسير سورة إبراهيم υ

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة إبراهيم υ من السور المكية، وآياتها (٥٢) آية، وترتيبها المصحفي رقم (١٤)، وموضوعها الأساسي؛ هو موضوع السور المكية الغالب؛ وهو العقيدة في أصولها الكبيرة، وتشمل الرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء[(١)].

أوجه مناسبتها لما قبلها:

وجه وضعها بعد سورة الرعد أن قوله في مطلعها: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ][(٢)]، مناسب لقوله في مقطع تلك: [وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ][(٣)].

المناسبة الثانية: وأيضاً في الرعد: [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ][(٤)]، وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ، وقد فصلت الأربعة في قوله: [أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ..][(٥)(٦)].

(١/٢٣٩) الاختلاف في [اللَّهِ] من قوله عز وجل: [اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] الآية (٢).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قراءة لفظ الجلالة [اللَّهِ]، فقرأ نافع وبان عامر [اللَّهُ] بالرفع على الاستئناف، وقرأ الباقون: [اللَّهِ] بالخفض[(٧)].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي الخفض في الله الذي الرفع عم خذ ... مدا ودُ واكسر وافتح القاف شلشلا[(٨)]

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٧٥)، تفسير الجلالين، ص(١٢٩)، تفسير ابن كثير، ص(٦٥٩).

(٢) إبراهيم، الآية (١).

(٣) الرعد، الآية (٤٣).

(٤) الرعد، الآية (٣٢).

(٥) إبراهيم، الآيات (٩.١٦).

(٦) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٤٢)، وأسرار ترتيب القرآن، ص(١١٠).

(٧) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٤)، كتاب السبعة، ص(٣٦٢)، النشر، (٢٩٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٧١).

(٨) قصد الناظم رحمه الله بلفظ (عم) نافع وابن عامر، فقراءتهما بالرفع، سواء ابتدأ به أم وصلاه بما قبله. انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٣٠٢.٣٠١).

من رفع لفظ الجلالة [اللَّهِ]؛ فهو على الاستئناف، ورفعه بالابتداء، والخبر [الَّذِي] وما بعده، أو جعل [الَّذِي] وصلته صفة [اللَّهِ] وأضمر الخبر، فيكون (هو الله الذي)(١).

قال ابن خالويه: «وحجة من قرأ بالخفض؛ فلأنه بدل(٢) من [الْحَمِيدِ]، ولا يجوز أن يقال: نعت للحميد، وإنما هو كقولك: مررت بزيد الظريف، فإن بالظريف زيد بدلا، ولم يكن نعتاً»، وأضاف أبو علي الفارسي على ذلك بقوله: «لم يكن صفة؛ لأن الاسم وإن كان في الأصل مصدراً، صفة، والمصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين، وكذلك كان هذا الاسم في الأصل (الإله)، ومعناه: ذو العبادة، أي: العبادة تجب له»(٣).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

قوله: [الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] أي: ملكاً وعبيداً واختراعاً وخلقاً، وقد قرأ لفظ الجلالة بالرفع على أنه خبر المبتدأ محذوف، أي: هو الله المتصف بملك ما في السماوات وما في الأرض وقرأ الجمهور بالجر؛ على أنه المتصف ببيان، لكونه في الأعلام الغلبة، فربما يصح وصف ما قبله به؛ لأن العلم لا يوصف به.

قال الرازي: «وأعلم أن قوله: [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] يفيد الحصر، والمعنى: أن ما في السماوات وما في الأرض له لا لغيره، وذلك يدل على أنه لا ملك إلا الله ولا حاكم إلا الله»

ثم أنه سبحانه وتعالى: بعد أن ذكر عطف على الكفار بالوعيد فقال: [وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] والمعنى: أنهم لما تركوا عبادة الله تعالى، الذي هو المالك للسماوات والأرض ولكل ما فيهما، إلى عبادة ما لا يملك ضراً ولا نفعاً ويخلُق ولا يخلق ولا إدراك لها ولا فعل، فالويل ثم الويل لمن كان كذلك، وإنما صف هؤلاء بالويل؛ لأن المعنى يولون من عزاب شديد ويصيحون منه ويقولون يا ويلاه، ونظيره قوله: [دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا](٤).

---

(١) انظر: كتاب معاني القراءات، ص(٢٣٤)، الحجة، ص(٣٧٦)، الكشف، (٢/٢٥).

(٢) قال ابن خالويه: «البصريون يفرقون بين البدل والنعت، فما كان حِلْيَةً للإنسان جاءت بعد اسمه، ليفرق بذلك بينه وبين غيره ممن له هذا الاسم، فهو النعت. كقولك: مررت بزيدٍ الظريف، وما بدأت فيه بالحلْية، ثم أتيت بعدها بالاسم، فهو البدل كقولك: مررت بالظريف زيد، فاعرف الفرق في ذلك»، الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٢.٢٠٣).

(٣) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٢)، الكشف، (٢/٢٥)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٦) الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/١٤).

(٤) الفرقان، الآية (١٣).

قال الزجاج: «الويل هي كلمة تقال للعذاب والهلكة»، وقال أبو السعود: «الويل: نقيض الوال وهو النجاة، وأصله النصب، كسائر المصادر، ثم رفع، وفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك»[١].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً قائلا: «والصواب من القول في ذلك عندي؛ أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة القراء ومعناهما واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع، وأراد معنى من خفض في إتباع الكلام بعضه بعضاً، ولكنه رفع لانفصاله في الآية التي قبله، كما قال جل ثناؤه: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ] إلى آخر الآية، ثم قال: [التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ][٢]»[٣].

ويسوق الرازي اختيار أبو عبيدة فيقول: «اختار أبو عبيدة الخفض، ليتصل بعض الكلام ببعض»، ثم يقول: «وتعقب عليه ابن قتيبة، فاختار الرفع؛ لأن الآية الأولى قد انقضت، ثم استؤنف بآية أخرى فحقّه الابتداء، لأن الآية الأولى تتابعت بتمامها»، ثم يعلق قائلا: «إذا ثبت هذا فتقول: الذين قرءوا [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ] بالرفع؛ أرادوا أن يجعلوا قوله: [اللَّهُ] مبتدأ ويجعلوا ما بعده خبراً عنه، وهذا هو الحق الصحيح، فأما الذين قرءوا [اللَّهِ] بالخفض؛ عطفاً على العزيز الحميد فهو شكل لما بينا أن الترتيب الحسن أن يقال: الله الخالق، وأما أن يقال: الخالق الله فهذا لا يحسن»[٤]، وهو بذلك يوافق ابن قتيبة في الاختيار.

(٢/٢٤٠) الاختلاف في [خَلَقَ الْأَرْضَ] من قوله عز وجل: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ] الآية (١٩).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله عز وجل: [خَلَقَ الْأَرْضَ]، فقرأ حمزة والكسائي: [خَالِقُ] على فاعل و[الْأَرْضِ] بالخفض، وقرأ الباقون: [خَلَقَ] على فعل ونصبوا [الْأَرْضَ][٥].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفِي الخفْضِ في الله الذي الرفْعُ عَمَّ خَالِقُ مُدَّهُ واكْسِرْ وارْفَعِ القافَ شُلْشُلا
وفِي النُّورِ واخْفِضْ كلَّ فِيها والارض هاهنا مُصْرِخِيَّ اكْسِرْ لِحَمْزَةَ مُجْمِلا[٦]

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/١٧٩.١٨٠)، فتح القدير، (٣/٩٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٣٣٩)، تفسير أبي السعود، (٥/٣٠.٣١)، التفسير الكبير، (١٩/٧٥.٧٧).

(٢) التوبة، الآيات (١١١.١١٢).

(٣) تفسير الطبري، (١٣/١٨٠).

(٤) التفسير الكبير، (١٩/٧٦).

(٥) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٤)، كتاب السبعة، ص(٣٦٢)، النشر، (٢/٢٩٨)، الإتحاف، ص(٢٧٢).

(٦) عنى الناظم رحمه الله بحرف (الشين) في قوله: «شلشلا» حمزة والكسائي، انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٣٠١.٣٠٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

الخَلْق: التّقدير، يقال: خلق الأديم إذا قَدّره قبل القَطْع وبابه (نصر) والخَلْق في كلام العرب: ابتداع الشَّيء على مثالٍ لم يسبق إليه، وكل شيء خلق الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إليه.

قال الأزهري: «ومن صفات الله تعالى: الخالق والخلاق، و لا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، فهو اعتبار تقدير ما منه وجُودُها، والاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق»(١).

حجة حمزة والكسائي في إثبات الألف في [خَالِقَ]؛ أنهما جعلاه اسماً للفاعل، ورفعه بخبر [أَنَّ] وإضافه إلى [السَّمَاوَاتِ]، فكان بالإضافة في معنى ما قد مضى وثبت، وقال ابن زنجلة: «فحجتهما: أنه إذا قرئ على (فاعل)، وأضافه معنى الماضي، قلَّ فيه معنى المدح، يكسبه لفظ فاعل، ومما يقوي ذلك قوله: [فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ](٢)»، ألا ترى أن [فَاطِرِ] بمعنى خالق، وكذلك [فَالِقُ الْإِصْبَاحِ](٣) على فاعل دون فَعَل؛ وهما مما قد فُعِل فيما مضى».

ومن قرأ [خَلَقَ] على وزن (فعل) فحجته أنه جعله ماضياً وعدّاه إلى [السَّمَاوَاتِ] فخفضها، وإن كان النصب فيها كالخفض؛ لأن الكسرة في جمع المؤنث السالم كالياء في جمع المذكر السالم وأضاف ابن زنجلة: أن الحجة في ذلك أن أكثر ما جاء في القرآن على هذا اللفظ خلق، كقوله: [خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ](٤) وقوله: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ](٥) ونظائر ذلك(٦).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بين سبحانه في الآية السابقة أن أعمال الكفار تصير باطلة ضائعة، وبين أن ذلك البطلان والإحباط إنما جاء بسبب ما صدر منهم،وهو الكفر بالله وإعراضهم عن العبودية، فقال: [مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ]، وبعد أن تم سبحانه هذا المثال، قال: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] والرؤية هنا؛ هي الغلبة، لأن المعنى: ألم ينته علمك إليه؟، والخطاب

---

(١) لسان العرب، (١/٨٥،٨٦)، مختار الصحاح، ص(١٨٧)، المصباح المنير، (١/١٨٠).

(٢) الأنعام، الآية (١٤).

(٣) الأنعام، الآية (٩٦).

(٤) إبراهيم، الآية (١٩).

(٥) لقمان، الآية (١٠).

(٦) الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٣)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٢٧٧).

لرسول الله ρ تعريضاً لأمته، أو خطاب لكل من يصلح له، وقرئ: [خَلَقَ]؛ أي: خلقهما ولم يكونا شيئاً، ومعنى: [خَلَقَ]؛ أي: ليستدل بها على قدرته سبحانه.

ثم بين سبحانه كمال قدرته واستغناؤه عن كل واحد من خلقه، فقال: [يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ]؛ أي: يعدم الموجدين ويوجد المعدومين، ويهلك العصاة ويأتي بمن يطيعه من خلقه، قال الشوكاني: «والمقام يحتمل أن يكون هذا الخلق الجديد من نوع الإنسان، ويحتمل أن يكون من نوع آخر»، وقال القرطبي: «أفضل وأطوع منكم إذ لو كانوا مثل الأولين فلا فائدة في الإبدال»(١).

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب الطبري القراءتين معاً قائلا: «هما قراءتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب» (٢).

بينما يرجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ: [خَلَقَ]، ويعلل ذلك بقوله: «لأن الأمر يشترك فيه لفظ الماضي والمستقبل والحال، وإنما يخلص للماضي بالدلائل، والفعل بلفظ يدل على الماضي، وانتصب الاسمان بعده بالفعل»، ثم يقول: «وهو الاختيار»(٣).

(٣/٢٤١) الاختلاف في: [يُضِلُّوا] من قوله عز وجل: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ] الآية (٣٠).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله عز وجل: [لِيُضِلُّوا]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [لِيَضِلُّوا] بفتح الياء، وقرأ الباقون: [لِيُضِلُّوا] بضم الياء(٤).

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وَضُمَّ لِيُضِلُّوا يَضِلَّ عَنْ حِصْنٍ كَفَا وَأَفْئِدَةً بِاليَا بِخُلْفٍ لَهُ وَلَا(٥).

ثانياً: توجيه القراءات:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٩٨/٩)، فتح القدير، (١٠٢/٣،١٠٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٥٤/٩)، تفسير أبي السعود، (٤٠/٥،٤١)، التفسير الكبير، (١٠٦/١٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (١٩٨/٩).

(٣) انظر: الكشف، (٢٥/٢،٢٦).

(٤) انظر: كتاب التيسير، (١٣٤)، كتاب السبعة، (٢٦٠)، النشر، (٢٩٨/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٢).

(٥) أشار الناظم بحرف (الكاف) من قوله: «كفا» إلى ابن عامر، وبكلمة (حصن) إلى الكوفيين ونافع؛ وهم الذين قرءوا بضم الياء هنا وفي قوله: [لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] الحج الآية (٩)، وقوله: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ] لقمان الآية (٦)، وقوله: [وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ] الزمر الآية (٨). انظر: المتن، ص(٦٣)، الوافي، ص(٢٠٩،٢١٠).

سبق توجيه قوله: [لِيُضِلُّوا] لغوياً في النص رقم (٣٥/٩٨)[١]، الوجه في قراءة ابن كثير وأبو عمرو: [لِيَضِلُّوا] بفتح الياء؛ أي ليضلوا هم، أي: يصيرون هم ضلالا، وحجتهم قوله عز وجل: [هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ][٢]، وقد وصفهم بالضلالة.

والمعنى في قراءة الباقين: [لِيُضِلُّوا] بالضم؛ أي: ليضلوا غيرهم، وحجتهم في وصف الكفار بالإضلال؛ أن الذي أخبر الله به عز وجل عنهم بما تقدم من قوله: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا]، فثبت أنهم ضالون بجعلهم لله أنداد ولم يكن لإعادة الوصف لهم بالضلالة معنى لاستقرار ضلالهم بفعلهم ذلك عند السامعين، بل وصفهم بإضلال الناس عن السبيل بفعلهم ذلك، ويزيد الكلام فائدة؛ لأنهم لم يكونوا وُصفوا بها، فكان ذلك أبلغ في ذمهم مما تقدم من كفرهم.

وقال البناء: «من قرأ: [لِيُضِلُّوا] بالضم؛ من أضل رباعياً، واللام للجر مضمرة (أن) بعدها، وهي للعاقبة حيث كان ما لهم أي ذلك، أو للتعليل»[٣].

ثالثاً: المعنى العام للآية:

خاطب الله سبحانه رسوله ρ معدداً أوصاف الكفار، فقال: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ][٤]، وهو تعجيب من حال الكفار، حيث جعلوا بدل نعمة الله عليهم كفرعه؛ أي: بدل شكرها الكفر بها، وذلك بتكذيبهم محمد ρ حين بعثه الله منهم وأنعم عليهم به، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنهم كفار مكة، وأن الآية نزلت فيهم[٥].

والوصف الثاني: أنهم أنزلوا قومهم بسبب ما زينوه لهم من الكفر دار البوار: وهي جهنم[٦]، والبوار: الهلاك.

والوصف الثالث: جعلهم في قوله: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا]؛ أي: جعلوا لله شركاء في الربوبية، أو في التسمية، وهي الأصنام، لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ]؛ أي: عن دينه.

ثم هددهم سبحانه فقال لنبيه ρ: [قُلْ تَمَتَّعُوا] بما أنتم فيه من الشهوات، وما زينته لكم أنفسكم من كفر النعم وإضلال الناس، ثم قال: «فإن مصيركم إلى النار»؛أي: مردكم و اجلكم إليها ليس إلا، وهذا الأمر يسمى أمر التهديد، ونظيره قوله: [اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ][٧].

---

(١) انظر ذلك في ص(   ).

(٢) النحل، الآية (١٢٥).

(٣) انظر: الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٧٩.٣٧٨)، الإتحاف، ص(٢٧٢).

(٤) الآية (٢٨).

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٤/٩).

(٦) وهي بلغة عُمان، انظر: كتاب اللغات في القرآن، ص(٣٠)، غريب القرآن، ص(٩١).

(٧) فصلت، الآية(٤٠).

قال الطبري: «وهذا وعيد من الله عز وجل لهم، لإباحة التمتع بها، و لا أمر لهم على وجه العبادة، ولكن توبيخاً وتهديداً ووعيداً، وقد بين سبحانه ذلك بقوله: [فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ]»(١).

(٤/٢٤٢) الاختلاف في [يُؤَخِّرُهُمْ] من قوله عز وجل: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ] الآية **(٤٢)**.

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في قوله: [يُؤَخِّرُهُمْ]، فقرأ أبو عمرو وحده: [نُؤَخِّرُهُمْ] بالنون، وقرأ الباقون: [يُؤَخِّرُهُمْ] بالياء(٢).

ثانياً: توجيه القراءات:

التأخيرُ: ضد التَّقديم. يُقال: أخَّر فتأخر، واْستأخر أيضاً(٣). وجه من قرأ قوله: [يُؤَخِّرُهُمْ] بالياء؛ أن لفظ الغيبة المفرد قد تقدم، فيكون التقدير: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ].

ومن قرأ: [نُؤَخِّرُهُمْ] بالنون؛ فالوجه في قراءاته أنه قرأ في المعنى بنون العظمة مثل الياء(٤).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن حكى سبحانه عن إبراهيم υ أنه طلب من الله تعالى أن يضله عن الشرك، وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة، وأن يخصه بالرحمة، والمغفرة في يوم القيامة، ذكر بعد ذلك ما يدل على وجود القيامة، وما يدل على صفة القيامة.

فالذي يدل على وجود القيامة قوله: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ]؛ وفي هذا تسلية للنبي ρ، بعد أن أعجبه من أفعال المشركين، ومخالفتهم دين إبراهيم υ؛ أي: وأصبر كما صبر إبراهيم، وأعْلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم، بل سنّة الله إمهال العصاة مدة، قال ميمون بن مهران(٥): «هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم». والمراد تنبيه النبي

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٢٤،٢٢٣/١٣)، فتح القدير، (١٠٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٥/٩)، تفسير أبي السعود، (٤٦،٤٥/٥)، التفسير الكبير، (١٢٤،١٢٢/١٩).

(٢) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٤)، كتاب السبعة، ص(٣٦٣) النشر، (٣٠٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٣).

(٣) لسان العرب، (١٤/٤)، مختار الصحاح، ص(١٠،٩)، المصباح المنير، (٨،٧/١).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٧/٣).

(٥) ميمون بن مهران الرَّقي، أبو ايوب، فقيه من القضاة، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الرَّقة وقضائها، كان ثقة في الحديث، كثير العبادة، توفي سنة (١١٧هـ). الأعلام، (٣٤٢/٧) .

ρ على ما كان عليه، من عدم حسبانه عز وجل كذلك، كقوله تعالى: [وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ][1] ونظائره[2].

ثم بين تعالى أنه إنما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم موصوف بصفات، فقال: [إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ]؛ أي: أمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنياوية ليوم لا تغمض فيه الأبصار، بل تبقى مفتوحة، لا تتحرك أجفانهم، من هول ما يرونه.

والصفة الثانية: قوله: [مُهْطِعِينَ]؛ أي: مسرعين إلى الداعي، مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع، أو مقبلين بأبصارهم عليه لا عنه، ولا يطرفون، هيبة وخوفاً، وقد بين سبحانه مواضع أخرى أنهم يوم القيامة يأتون مسرعين إذا دعوا إلى الحساب، كقوله تعالى: [يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي][3]، وقوله: [يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ][4].

الصفة الثالثة: قوله: [مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ]؛ أي: رافعي رؤوسهم[5]، ينظرون في زل وفزع، ولا ينظرون إلى بعض.

الصفة الرابعة: قوله: [لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ]؛ أي: لا ترجع أبصارهم من شدة النظر فهي شاخصة النظر[6]، والمراد من هذه الصفة دوام ذلك الشخوص، فقوله: [تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ] لا يفيد كون هذا الشخوص دائماً، وقوله: [لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ] يفيد دوام هذا الشخوص، وذلك يدل على دوام تلك الحيرة والدهشة في قلوبهم.

الصفة الخامسة: قوله: [وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ] الهواء في اللغة: الجوف الخالي الذي لم تشغله الأجرام، والمعنى: أن قلوبهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدَّهشة[7].

وأضاف أبو زكريا الأنصاري قائلا: «إن قلت: كيف يحسبه النبي ρ غافلا، وهو أعلم الخلق بالله؟، قلت: المراد دوام نهيه عن ذلك، كقوله: [وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ][8]، وقوله: [لا

---

(١) الأنعام، الآية(١٤).

(٢) قال الشيخ محمد علي الصلبوني: «هذا أسلوب التنبيه والتحذير، يخاطب به القائد والرئيس، والمراد به الأتباع والأعوان»، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(٢٩٥).

(٣) القمر، الآية (٨.٧).

(٤) المعارج، الآية (٤٣).

(٥) كتاب مشكل القرآن، ص(٢١٥)، غريب القرآن، ص(٩١).

(٦) مشكل القرآن، ص(٢١٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري، (٢٤١.٢٣٦/١٣)، فتح القدير، (١١٥.١١٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٣٧٨.٣٧٦/٩)، تفسير أبي السعود، (٥٦.٥٤/٥)، التفسير الكبير، (١٤٢.١٤٠/١٩).

(٨) الأنعام، الآية (١٤).

تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ][1]، وقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ][2]، أو هو نهي لغير النبي ρ ممن يحسبه غافلا، لجهله بصفات الله».[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

صوّب أبو علي الفارسي القراءتين معاً، قائلا في توجيه قراءة النون: «أنه قرأ في المعنى، بنون العظمة مثل الياء»[4].

وساق القرطبي اختيار أبو عبيدة وأبو حاتم: «قراءة العامة: [تُؤَخِّرُهُمْ]بالياء، و اختاره أبو عبيدة وأبو حاتم، لقوله: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ][5]».

(٥/٢٤٣) الاختلاف في: [لِتَزُولَ] من قوله عز وجل: [وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] الآية (٤٦).

أولا: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في فتح اللام الأولى وضم الثانية وكسر اللام وفتح الثانية من قوله: [لِتَزُولَ]، فقرأ الكسائي وحده: [لَتَزُولُ] بفتح اللام الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون: [لِتَزُولَ] بكسر الأولى وفتح الثانية[6].

وشاهد ذلك قول الشاطبي رحمه الله:

وفي لِتَزُولَ الفتحُ وارفعْهُ راشِداً		وما كان لي إلّا لي الذي خُذْ مُ لا[7].

ثانياً: توجيه القراءات:

الزوال: الذّهاب والاستحالة والاضمحلال، يقال: زال يَزُول زَوالاً وزَوِيلاً وزُؤولاً[8]. وجه قراءة الكسائي: [لَتَزُولُ]؛ أنه جعل [إِنْ] في قوله: [وَإِنْ كَانَ] مخففة من الثقيلة، وجعل اللام لا توكيد، دخلت لتوكيد الخبر، كما دخلت (أن) لتوكيد الجملة، والفعل لام التوكيد مرفوع على أصله، إذ لا ناصب معه و لا جازم، والهاء مضمرة مع (أن) وتقديره: وإن كان مكرهم، لتزول منه الجبال، يعنى أمر النبي ρ، والتقدير: مثل الجبال في القوى والتباين، فمعنى هذه القراءة أن الله

---

(١) القصص، الآية (٨٨).

(٢) النساء، الآية (١٣٦).

(٣) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(٢٩٥).

(٤) الحجة: أبو علي الفارسي، (١٧/٣).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٧٦/٩)، فتح القدير، (١١٥/٣).

(٦) انظر: كتاب التيسير، ص(١٣٥)، كتاب السبعة، ص(٣٦٣)، النشر (٣٠٠/٢)، الإتحاف، ص(٢٧٣).

(٧) أشار الناظم رحمه اله بحرف (الراء) من قوله: «راشداً» إلى الكسائي، انظر: المتن، ص(٦٢)، الوافي، ص(٣٠٣).

(٨) لسان العرب، (٣١٦،١١٣/١١)، مختار الصحاح، (٢٦١/١).

جلّ ذكره عظّم مكرهم، كما قال: [وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا](١)، وقال: [تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا](٢).

وفي مصحف أبي ما يدل على هذه القراءة، روي أنه يقرؤها: [وَمَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةُ اللَّهِ لَزَالَ مِنْ مَكْرِهِمُ الْجِبَالُ], وروي عن عمر وعلي وابن مسعود أنهم قرؤوها: [وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ] بالدال، فهذا دليل على تعظيم مكرهم، لأن [كَادَ] في كلام العرب تكون لمقاربة الفعل، وربما وقعت لوجوبه(٣).

ووجه قراءة الباقين: [لِتَزُولَ] بكسر اللام الأولى وفتح الثانية؛ أنهم جعلوها لام كي، وهي في الحقيقة لا الجحد(٤)، و(إِنْ) هاهنا بمعنى: (ما)، والتقدير: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، ومثله قوله تعالى: [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ](٥)، ومعنى هذه القراءة تصغير مكرهم وتحقيره، قال أبو علي الفارسي: «ومعنى: وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم: أي جزاء مكرهم، فحذف المضاف كما حذف في قوله: [تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ](٦)؛ أي: جزاؤه»، وأضاف ابن زنجلة قائلا: «إن حجتهما رو ي عن الحسن أنه قال: «كان مكرهم أوهن وأضعف من أن يزول منه الجبال»»(٧).

ثالثاً: المعنى العام للآية:

بعد أن ذكر سبحانه صفة عقاب الكافرين بقوله: [وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ] أتبعها سبحانه بذكر كيفية مكرهم فقال: [وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ]؛ أي: بالشرك بالله وتكذيب الرسل والمعاندة [وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ]؛ أي: وعند الله جزاء مكرهم الذي فعلوه. والجملة حال من الضمير في مكروا؛ أي مكرو ا مكرهم وعند الله جزاؤه، أو هو أعظم منه، والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقيق ما يوجب تركه.

---

(١) نوح، الآية (٢٢).

(٢) مريم، الآية (٩٠.٩١).

(٣) انظر: الكشف، (٢/٢٨)، الحجة: أبو علي الفارسي، (٣/١٨.١٩) الحجة: ابن خالويه، (٢٠٣.٢٠٤).

(٤) لام الجحد: هي لام إحدى معاني اللام الجارة، وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقة بما كان، أو بلم يكن ناقصة، مستندين لما أسند إليه الفعل المفروق باللام، قال النحاس: « والصواب تسميتها لا النفي؛ لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار». انظر: مغني اللبيب، ص(٣١٨).

(٥) البقرة، الآية (١٤٣).

(٦) الشورى، الآية (٢٢).

(٧) انظر: الحجة: ابن خالويه، ص(٢٠٣.٢٠٤) الكشف، (٢/٢٨)، الحجة، أبو علي الفرسي، (٣/١٨)، الحجة: ابن زنجلة، ص(٣٨٠).

قوله: [وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] [إِنْ] بمعنى (ما)[1]؛ أي: ما كان مكرهم لتزول منه الجبل أي تحركه لضعفه ووهنه، والجبال لا تزول, ولكنّ العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون، قال الرازي: «والجبال هنا مثلٌ لأمر النبي ρ، إظهار دينه على كل الأديان، ويدل على صحة هذا المعنى قوله بعد هذه الآية: [فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ][2]؛ أي: وقد وعدك الله الظهور عليهم، والتعلية عليهم»، والمعنى أي: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي: أن مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال الراسيات، التي هي دين محمد ρ ودلائل شريعته[3].

رابعاً: ترجيح القراءات:

رجح ابن أبي طالب قراءة من قرأ بكسر اللام، قائلا: «والاختيار كسر اللام، لأنه أبين في المعنى، ولأن الجماعة عليه»[4]، ويوافقه شيخ المفسرين الإمام الطبري قائلا: «والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأ: [لِتَزُولَ] بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزول، وأخرى إجماع الحجة في القراءة على ذلك، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها، وفساد غيرها بغيره»، ثم يقول: «فإن ظن ظان أن ذلك ليس بإجماع في الحجة، إذ كان من الصحابة والتابعين في قراءة ذلك كذلك فإن الأمر بخلاف ما ظن في ذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرءوا: [وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ] بالدال، وهي إذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع [وَإِنْ كَادَ] فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ما قرءوا، وغير جائز عندنا القراءة كذلك؛ لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خط مصاحفنا [وَإِنْ كَانَ] بالنون لا بالدال، وإذا كانت كذلك، فغير جائز لأحد تغيير مصاحف المسلمين، وإذا لم يجز ذلك لم يكن من الصحاح من القراءة إلا ما عليه قراء الأمصار دون ما شذّ بقراءته عنهم»[5].

---

(1) قال القرطبي: «جاءت (إن) بمعنى (ما) في القرآن في مواضع خمسة: أحدها هذا، الثاني: قوله تعالى: [فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ] يونس الآية (94) والثالث: قوله تعالى: [لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَّخِذَ لَهْوًا] الأنبياء الآية (17)؛ أي: ما كنا. الرابع: قوله تعالى: [قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ] الزخرف الآية (81) الخامس: قوله: [وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ] الأحقاف الآية (26)». انظر: الجامع لأحكام القرآن، (9/380).

(2) الآية (47).

(3) انظر: تفسير الطبري، (31/244.248)، فتح القدير، (3/116.117)، الجامع لأحكام القرآن (9/380.382)، تفسير أبي السعود، (5/58.59)، التفسير الكبير، (19/143.145).

(4) الكشف، (2/28).

(5) انظر: تفسير الطبري، (13/246.247).

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والحمد لله الذي أنعم علي بإكمال هذا البحث المتواضع، والذي توصلت من خلاله إلى هذه النتائج:

(١) الاختلاف في القراءات ينقسم إلى قسمين: (أ) **اختلاف في الأصول:** وهو ما كثر دورانه ويرجع إلى أصل مطرد، والاختلاف فيه اختلاف وجوه النطق بالحروف والحركات؛ كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل بين الهمز والواو، وبين الهمز والياء، وبين الهمز والألف، والإبدال واواً أو ياءً أو ألفاً، والتحقيق في الهمزتين أو إسقاط إحداهما، وإثبات الياءات وحذفها. وهذا الاختلاف لا يؤدي إلى تأثير في المعنى، إلا ما ذكر عند قوله تعالى: [كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى][1]، لاختلاف عمى الدنيا عن عمى الآخرة.

وهذا الاختلاف حفظ على العربية ما لم يحفظ في غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف من مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف لهجات العرب في النطق، وهذا غرض مهم، لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في المعنى.

(ب) **الاختلاف في الفرش:** وهو ما قل دورانه، ولا يرجع إلى أصل مطرد، وهو كاختلاف القراء في حروف الكلمات، واختلافهم في الحركات الذي يختلف معه المعنى، والاختلاف من هذه الجهة له مزيد تعلق بالتفسير.

(٢) الاختلاف في ألفاظ القرآن يُكَثِّر المعاني في الآية الواحدة.

(٣) أن الوحي كان ينزل بالوجهين وأكثر؛ تكثيرا للمعاني.

(٤) جميع الوجوه في القراءات السبعية مأثورة عن النبي ρ.

(٥) اختلاف القراءات يدل على بلاغة القرآن.

(٦) اختلاف القراءات فيه تخفيف لهذه الأمة، واستجابة لرغبة نبيها ρ في التخفيف عن أمته.

(٧) الاختلاف في القراءات مع كثرته لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به، ρ.

(٨) من خصائص القراءات أنها تعضد فن التفسير بحيث لا يستغني عنها مفسر، حتى عدّ العلماء من شروط المفسر العلم بالقراءات.

(٩) اختلاف القراءات تساعد في استنباط الأحكام الفقهية وما يتفرع عليها من خلاف.

---

[1] الإسراء، الآية (٧٢).

هذا غيض من فيض، فله الحمد والمنة أن أنعم علينا بالقرآن الكريم. فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله اسأله القبول وأن يجعله خالصا له، ويفيد به كل من وقف عليه، وصلى الله على سيدنا المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالبة.

أولا
فهارس الآيات القرآنية

الكلمة	النص القرآني	ص
[ِ ام َ]	و َ اتَّقُوا اللَّه َ الَّذ ِي[.تَس َاءلُون َ بِه ِ و َ الأَر ْ ح َام َ ..] الآية(١)	
[َاما ً]	[َ الكُم ُ الَّتِي ج َع َل َ اللَّه ُ لَكُم ْ ق ِي َاما ً] الآية(٥)	
[ي َ ْن َ]	[.. ن َ س َع ِير ً ا] الآية(١٠)	
[د َة ً]	[.. اح ِد َة ً فَلَه َا النِّص ْف ُ ..] الآية(١١)	
[ص ِي]	[..َص ِيَّة ٍ ي ُوص ِي بِه َا..] الآية(١١.١٢)	
[ِلْه ُ]	[.. َر َس ُولَه ُ ي ُد ْخ ِلْه ُ ج َنَّ ٍ ..] الآية(١٣.١٤)	
[ه ً ا]	[.، ْ تَر ِثُوا النِّس َاء َ كَر ْه ً ا..] الآية (١٩)	
[نَة ٍ]	[.. بِفَاح ِشَة ٍ م ُ ب َيِّنَة ٍ ..] الآية (١٩)	
[ِل َّ]	[..و َ ر َاء َ ذَلِكُم ْ ..] الآية (٢٤)	
[ْص َت ِ]	[..س َنَات ِ الْم ُؤ ْم ِنَات ِ ..] الآية (٢٥)	
[ص ِن َّ]	[..فَإِن ْ أَتَي ْن َ بِفَاح ِشَة ٍ ..] الآية (٢٥)	
[َة ً]	[.. َة ً ع َن ْ تَر َاض ٍ م ِنْكُم ْ ..] الآية (٢٩)	
[ُو ْ ...... خ ِلَك َ]	نُكَفِّر ْ ع َنْكُم ْ س َيِّئَاتِكُم ْ و َ نُد ْخ ِلْكُم ْ م ُ د ْخ َلا كَر ِيم ً ا] الآية (٣١)	
[ْخ َلا]	[.. م ُد ْخ َلا كَر ِيم ً ا] الآية (٣١)	
[َت ْ]	[..نْكُم ْ فَآتُوه ُم ْ نَص ِيبَه ُم ْ ..] الآية (٣٣)	
[ْب ِ]	[.. و َ الصَّاح ِب ِ بِالْج َنْب ِ ..] الآية (٣٦)	
[َنَة ً]	[.. س َنَة ً ي ُض َاع ِفْه َا..] الآية (٤٠)	
[ع ِفْه َا]	[..س َنَة ً ي ُض َاع ِفْه َا..] الآية (٤٠)	
[َو َّى]	[..الأَر ْض ُ و َ لا ي َكْتُم ُون َ اللَّه َ ح َد ِيثًا] الآية (٤٢)	
[ْتُم ْ]	[.. فَلَم ْ تَج ِد ُوا م َاء ً فَتَي َمَّم ُوا..] الآية (٤٣)	
[يل ٌ]	[..لا قَلِيل ٌ م ِنْه ُم ْ ..] الآية (٦٦)	
[ن ْ]	[.كُن ْ ب َي ْنَكُم ْ و َ ب َي ْ ... َدَّة ٌ ..] الآية (٧٣)	
[ُون َ]	[.. َن ْ اتَّقَى و َ لا تُظْلَم ُون َ فَتِيلا] الآية (٧٧)	

[َيّنُوا]	[َا ضرَ َ بْتُمْ فِي سَبيلِ اللّهِ فَتَبَيّنُوا]الآية(٩٤)	
[َلامَ]	[..ْ َتقَ ْكُمْ السّلامَ َلسْتَ مؤْمِنًا] الآية (٩٤)	
[ِ ُ]	[لا ْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضّرَرِ] الآية(٩٥)	
[تِيهِ]	[..ِه أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (١١٤)	
[ُونَ]	[..ََُّنّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا] الآية (١٢٤)	
[ْلِحَا]	[.. ْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا..] الآية (١٢٨)	
[ُوا]	[ا فَإِنّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] الآية(١٣٥)	
ذَ[ّلَ]أَنزَ[َلَ]	[وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّذِي نَزّلَ عَلَى رَسُولِهِ ِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ..] الآية (١٣٦)	
ذَ[ّلَ]	[َلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَاللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ ُدُوا مَعَهُمْ ..] الآية (١٤٠)	
[ِهِمْ]	[..ُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ..] الآية (١٥٢)	
[َعْدُوا]	[.. لا تَعْدُوا فِي السّبْتِ ..] الآية (١٥٤)	
[تِيهِمْ]	[..ِمْ أَجْرًا عَظِيمًا] الآية (١٦٢)	
[رًا]	[..ُودَ زَبُورًا]. الآية (١٦٣)	
شَذَ[َآنُ]	[ِدُوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا] الآية (٢)	
أَن[ْ]	[ِدُوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا] الآية (٢)	
الْمُحْ[َصَنَاتُ]	[وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ ْمْ إِذَا َنّ أُجُورَهُنّ] الآية (٥)	
[َلَكُمْ]	[.. َأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ..] الآية (٦).	
[ْتُمْ]	[.. فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمّمُوا..] الآية (٦)	
[َآنُ]	[..َجْرِمَنّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا..] الآية (٨)	
[ِيَةً]	[ّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً..] الآية (١٣)	
[ُنْكَ]	[َا ُنْكَ الّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ..] الآية (٤١)	
[ِسَ] الْعَوُ[نَ] وَ[أنفَ]	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنّ النّفْسَ بِالنّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ..] الآية (٤٥)	

و[.ُن َ] وا[لسِّنَّ] و[ُ وح َ]		
[كُم ْ]	[إ نجيل ِ بِم َ ا أَنز َل َ اللَّه ُ ف يه ِ ..] الآية (٤٧)	
[ُون َ]	[الْج َ اه ِل يَّة ِ ..] الآية (٥٠)	
و[يَقُول ُ]	[ه َ ؤ ُلاء ِ الَّذ ِين َ أَقْس َم ُوا بِاللَّه ِ ج َه ْد َ ْ إِنَّه ُ م ْ ..] الآية (٥٣)	
[ًار َ]	[..ُوا اللَّه َ إِن ْ كُنتُم ْ م ُؤ ْ م ِن ِين َ] الآية (٥٧)	
و َ ج َ ع َ ل َ م ِن ْه ُم ُ الْقِر َ د َة َ [ب ْ د َ اغُ وت َ]	[..الْخ َن َاز ِير َ و َ ع َب َد َ الطَّاغ ُوت َ ..] الآية (٦٠)	
[ُ ه ُ]	[..م َ ا ب َلَّغْت َ ر ِس َالَت َه ُ ..] الآية (٦٧)	
[ُون َ]	[ن َ ف ِت ْن َة ٌ فَع َم ُوا و َ ص َم ُّوا..] الآية (٧١)	
ع َقَّد[ْتُم ْ]	[أَي ْم َان ِكُم ْ و َ لَكِن ْ ي ُؤ َاخ ِذُكُم ْ بِم َ ا ع َ لأَي ْم َان َ ..] الآية (٨٩)	
و َ م َن ْ قَتَلَه ُ م ِنْكُم ْ م ُت َع َم ِّد ًا [ء ٌ م ِثْل ُ َ ا]	[..ًا فَج َز َاء ٌ م ِثْل ُ م َ ا قَتَل َ م ِن ْ النَّع َم ِ ..] الآية (٩٥)	
[طَع َام ُ]	[.. ْ كَفَّار َة ٌ طَع َام ُ م َس َاكِين َ ..] الآية (٩٥)	
[ْل ِ]	[..ِنْكُم ْ ه َد ْي ًا ب َال ِغ َ الْكَع ْب َة ِ ..] الآية (٩٥)	
[م ً ا]	[.ي ْت َ الْح َر َام َ ق ِي َام ً ا ل ِلنَّاس ِ ..] الآية (٩٧)	
ع َلَي ْه ِم ْ لَي َان ِ]	[..ين َ اس ْت َح َ ق ْس ِم َان ِ بِاللَّه ِ لَشَه َاد َتُن َا أَح َق ُّ م ِن ْ َت ِه ِم َا..] الآية (١٠٧)	
طَي ْر[ً ا]	[..ي ْئَة ِ الطَّي ْر ِ بِإِذْن ِي فَتَنفُخ ُ ف ِيه َا فَتَكُون ُ طَي ْر ً ا ذْن ِي..] الآية (١١٠)	
[ٌر ٌ]	[.. وا م ِن ْه ُم ْ إِن ْ ه َذَا إِلاَّ م ُب ِين ٌ] الآية(١١٠)	
ي َس ْت َط ِيع ُ]	[ر ْ ي َم َ ه َل ْ ي َس ْت َطِيع ُ ر َب ُّك َ أَن ْ ي ُن َز ِّل َ ع َلَي ْن َا .ن ْ السَّم َاء ِ ..] الآية (١١٢)	
[ز ِّ َ ا]	[ُ ن َز ِّلُه َ ا ع َلَي ْكُم ْ ..] الآية (١١٥)	
[ُ]	[ي َنفَع ُ الصَّاد ِق ِين َ ص ِد ْقُه ُم ْ ..] الآية (١١٩)	

[َ ف ْ]	[و ْ م َ ئ ذ ٍ فَقَد ْ ر َ ح ِ م َ ه ُ ..] الآية (١٦)	
[ن ْ ُ] فتْنَتُه ُم ْ ثُمَّ لَم ْ تَكُن ْ َو[ن م]	إلا أَن[ْ قَالُوا و َ اللَّه ِ ر َ بِّنَا م َا كُنَّا م ُشْر ِك ِين َ] الآية (٢٣)	
[ر َ بِّنَا]	[ْ قَالُوا و َ اللَّه ِ ر َ بِّنَا م َا كُنَّا م ُشْر ِك ِين َ] الآية (٢٣)	
[نُكَذِّب َ] و[:ُون َ]	[.. بِآيَات ِ ر َ بِّنَا و َ نَكُون َ م ِن ْ الْم ُ ؤ ْ م ِن ِين َ] الآية (٢٧)	
[الاخِر َ ة ُ]	[.. لِلَّذِين َ ي َتَّقُون َ أَفَلا تَع ْ ق ِلُون َ] الآية (٣٢)	
[لُون َ]	[.. لِلَّذِين َ ي َتَّقُون َ أَفَلا تَع ْ ق ِلُون َ] الآية (٣٢)	
[ُ نُكَ]	[الَّذ ِي ي َقُولُون َ فَإِنَّه ُم ْ لا ي ُكَذِّب ُونَك َ] الآية (٣٣)	
[ذِّب ُونَك َ]	[ُ لَي َح ْز ُنُك َ الَّ َإِنَّه ُم ْ لا ي ُكَذِّب ُونَك َ] الآية (٣٣)	
[ْ نَا]	[تَح ْنَا ع َلَي ْهِم ْ أَب ْو َ اب َ كُل ِّ شَي ْ ء ٍ] الآية (٤٤)	
[َاة ِ]	[َ ر َ بَّه ُم ْ بِالْغَد َاة ِ و َ الْع َش ِي ِّ ..] الآية (٥٢)	
أَنَّه ُ]	[.: أَنَّه ُ م َن ْ ع َم ِل َ م ِنْكُم ْ س ُوء ً ا بِج َه َالَة ٍ ثُمَّ تَاب َ ح َ فَأَنَّه ُ غَفُور ٌ ر َ ح ِيم ٌ] الآية (٥٤)	
[تَبِين َ]	[الاي َات ِ و َ لِتَس ْتَبِين َ س َ ج ْر ِم ِين َ] الآية (٥٥)	
[ٌ الْح َ ق َّ]	[.: الْح َق َّ و َ ه ُو َ خ َي ْر ُ الْفَاص ِلِين َ] الآية (٥٧)	
[تْه ُ]	[.. الْم َ و ْ ت ُ تَو َفَّتْه ُ ر ُس ُلُنَا..] الآية (٦١)	
[يكُم ْ]	[ْ ظُلُم َات ِ الْب َر ِّ و َ الْب َح ْر ِ ..] الآيتان (٦٤.٦٣)	
و َ خُفْي َة ً]	[.. ن ْ أَنج َانَا م ِن ْ ه َذِه ِ لَنَكُونَن َّ م ِن ْ الشَّاكِر ِين َ] الآية (٦٣)	
أَنج َانَا]	[..ر ُع ً ا و َ خ ُفْي َة ً لَئِن ْ لَنَكُونَن َّ م ِن ْ الشَّاكِر ِين َ] الآية (٦٣)	
ي ُنس ِي َنَّك َ]	[..قْع ُد ْ ب َع ْد َ الذِّكْر َى م َع َ الْقَو ْ م ِ الظَّالِم ِين َ] الآية (٦٨)	
[َ تْه ُ]	[..ه ْو َ تْه ُ الشَّي َاطِيض ح َي ْر َان َ ..] الآية (٧١)	
[َات ٍ]	[..شَاء ُ إِن َّ ر َبَّك َ ح َكِيم ٌ ع َلِيم ٌ] الآية (٨٣)	
[لُونَه ُ] تَج ْع َلُونَه ُ قَر َاطِيس َ تُبْدُونَه َا و[:ُون َ]	[تُب ْد ُونَه َا و َ تُخْفُون َ كَثِير ً ا..] الآية (٩١)	

	[..ى و َ م َ ن ْ ح َ و ْ ل َه َ ا..] الآية (٩٢)	[ِر َ]
	[..ٌ َ ع َ نكُم ْ م َ ا كُنتُم ْ تَز ْ ع ُ م ُ ون َ] الآية (٩٤)	[ُم ْ]
	[و َ ج َ ع َ ل َ اللَّي ْل َ س َ كَن ًا..] الآية (٩٦)	[َل َ]
	[ن ْ ن َفْس ٍ و َ اح ِ د َ ة ٍ فَم ُ س ْ ت َق َر ٌّ ..] الآية (٩٨)	[ْ ت َق َ ٌّ]
	[.. ٍ و َ الز َّي ْ ت ُون َ و َ الر ُّ مَّان َ ..] الآية (٩٩)	[َات ٍ]
	[..، إِذَا أَثْم َ ر َ و َ ي َ ن ْع ِ ه ِ ..] الآية (٩٩)	[ِر ه ِ]
	[و َ خ َ لَقَه ُ م ْ و َ خ َ ر َ قُوا لَه ُ ب َ ن ِين َ .] الآية (١٠٠)	[َ قُوا]
	[لآي َ ات ِ و َ لِي َ قُولُوا د َ ر َ س ْ ت َ ..] الآية (١٠٥)	[ْ ت َ]
	[..َا إِذَا ج َ اء َ ت ْ لا ي ُؤ ْ م ِن ُون َ] الآية (١٠٩)	[َه َ ا]
	[..َا إِذَا ج َ اء َ ت ْ لا ي ُؤ ْ م ِن ُون َ] الآية (١٠٩)	[م ِن ُون َ]
	[.. شَي ْ ء ٍ قُب ُلا م َ ا كَانُوا لِي ُؤ ْ م ِن ُوا..] الآية (١١١)	[ُبلا]
	[..ه ُم ْ الْكِت َاب َ ي َع ْ .َز ٌّل م ِن ْ ر َ بِّك َ] الآية (١١٤)	[ٌّل َ]
	[َبِّك َ ص ِ د ْقًا و َ ع َ د ْ لا..] الآية (١١٥)	[ُة َ]
	[م َ ن ْ ي َض ِ ل ُّ ع َ ن ْ س َ بِيلِه ِ ..] الآية (١١٧)	[ٌل ِ]
	م َ اوح َ َرَّمَقَد [فَصَّلَ لَكُم ْ إِلا م َ ا اض ْ طُر ِ ر ْ تُم ْ إِلَي ْه ِ ..] الآية (١١٩)	[ل َّ َ] و[م َ]
	[.. بِأَه ْ و َ ائِهِم ْ بِغَي ْر ِ ع ِ لْم ٍ ..] الآية (١١٩)	[ُّلون َ]
	[ي ْ ت ًا فَأَح ْ ي َ ي ْن َ اه ُ ..] الآية (١٢٢)	[ْ ت ًا]
	[..الي َ ج ْ ع َ ل ُ ر ِس َ الَت َه ُ ..] الآية (١٢٤)	[لَت َه ُ]
	[..ج ْ ع َ ل ْ ص َ د ْ ر َ ه ُ ض َ يِّقًا ح َ ر َ ج ًا..] الآية (١٢٥)	[َ يِّقًا]
	[.َل ْ ص َ د ْ ر َ ه ُ ض َ يِّقًا ح َ ر َ ج ًا كَأَنَّم َ ا] الآية (١٢٥)	[َج ًا]
	[د ْ ر َ ه ُ ض َ يِّقًا ح َ ر َ ج ًا كَأَنَّم َ ا ي َصَّعَّد ُ فِي السَّم َ اء ِ ..] الآية (١٢٥)	ي َصَّعَّد ُ]
	[ُه ُم ْ ج َ م ِ يع ًا..] الآية (١٢٨)	[ُه ُم ْ]
	[..ٍل ع َ مَّا ي َع ْ م َ لُون َ] الآية (١٣٢)	[لُون َ]
	[ع َ لَى م َ كَانَتِكُم ْ إِنِّي ع َ ام ِ ل ٌ..] الآية (١٣٥)	[تِكُم ْ]
	[.. م َ ن ْ تَكُون ُ لَه ُ ع َ اقِب َ ة ُ..] الآية (١٣٥)	[ون ُ]
	[..ز َ ع ْ م ِهِم ْ و َ ه َذَا لِشُ َائِن َا..] الآية (١٣٦)	[ِهِم ْ]
	[ْر ِكِين َ قَت ْل َ أَو ْلادِهِم ْ شُر َكَاؤ ُه ُم ْ ..]الآية (١٣٧)	[ن َ] و[ل َ]

و[هِم ْ] و[ُهُم ْ]		
[نْ]و[تَةً]	[..فَهُم ْ فِيهِ شُرَكَاءُ ..] الآية (١٣٩)	
[:لُوا]	[أَو ْلادَهُم ْ سَفَهً ا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..] الآية (١٤٠)	
[َادِهِ]	[..وَم َ حَصَادِهِ ..] الآية (١٤١)	
[دْزِ]	[دَّأْن اثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعْزِ اثْنَ ..] الآية (١٤٣)	
[يْن ْ] إِلاأَن يَكُونَ و[تَةً]	مَ[.يْتَةً أَوْ دَمً ا مَسْفُوحًا..] الآية (١٤٥)	
[ُونَ]	[..ِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الآية (١٥٢)	
[نَّ]	[.ِي مُسْتَقِيمً ا فَاتَّبِعُوهُ ..] الآية (١٥٣)	
[ُم ْ]	[نظُرُونَ إِلا َم ْ الْمَلائِكَةُ ..] الآية (١٥٨)	
[َّقُوا]	[يِنَهُم ْ وَكَانُوا شِيَعًا..] الآية (١٥٩)	
[مً ا]	[ِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينً مًا.] الآية (١٦١)	
[ُونَ]	[.. تَذَكَّرُونَ] الآية (٣)	
[جُونَ]	[تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ] الآية (٢٥)	
[ُ التَّقْوَى]	[..ِ ى ذَلِكَ خَيْرٌ ..] الآية (٢٦)	
[صَةً]	[..فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الآية (٣٢)مَ ةِ ..]	
[ُونَ]	[..ٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ] الآية (٣٨)	
[َّحُ]	[..ْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَ نَ الْجَنَّةَ ..] الآية (٤٠)	
وَمَ[ا كُنَّا]	[..هَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ..] الآية (٤٣)	
[نَعَم ْ]	[.. عَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَ ْ ..] الآية (٤٤)	
[ْ]	[.. أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] الآية (٤٤)	
[ْشِي]	[.. الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ ..] الآية (٥٤)	
[ْس َ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ تٍ بِأَمْرِهِ]	[.النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ..] الآية (٥٤)	
[يَةً]	[خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] الآية (٥٥)	

[ـِ ًا]	[بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ..] الآية (٥٧)	
[ُهُ]	[هِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] الآية (٥٩)	
[كُمْ]	[سَالاتِ رَبِّي..] الآية (٦٢)	
[لَ]	[سْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ..] الآية (٧٥)	
[مْ]	[َ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ..] الآية (٨١)	
[لَفَتَحْنَا]	[اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ ـِ ْضِ ..] الآية (٩٦)	
[َ]	[نَ أَهْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى..] الآية (٩٨)	
[َلَى]	[أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ..] الآية (١٠٥)	
[حِرٍ]	[ّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] الآية (١١٢)	
[نَّ]	[ُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لأَجْرًا..] الآية (١١٣)	
[ُمْ]	[مْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ..] الآية (١٢٣)	
[قَتِّلُ]	[.. وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ..] الآية (٢٧)	
[ثُهَا]	[.. لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ عِبَادِهِ ..] الآية (١٢٨)	
[ُونَ]	[..يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ..] الآية (١٤١)	
[كًّا]	[.. لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا..] الآية (١٤٣)	
[دَالاتِي]	[َامُوسَى إِنِّتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي] الآية (١٤٤)	
[شْدِ]	[..لَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا..] الآية (١٤٦)	
[َا رَبُّنَا ـِ لَنَا] قَالُوا لَئِنْ	لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] الآية(١٤٩)	
[هُمْ]	[.مْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ..] الآية (١٥٧)	
[رْ] و[.اتِكُمْ] وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا	[ا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ..] الآية (١٦١)	
[قِنَ]	[.. لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ] الآية (١٦٩)	
[ِكُونَ]	[بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ..] الآية (١٧٠)	
[ُمْ]	[نْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..] الآية (١٧٢)	
[تَقُولُوا] و[تَقُولُوا]	[ا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * ْ كَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ..] الآية (١٧٢ . ١٧٣)	
[كَ]	[جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا..] الآية (١٩٠)	

[عـُوكُم ْ]	[إِلَى الْهـُ دَ ى لا يَ تَّبِعـُوكُم ْ ..] الآية (١٩٧)	
[ئِف ٌ]	[ذَا مَ سَّهُ م ْ طَائِف ٌ مِ ن ْ الشَّيْطَا.ذَكَّر ُ وا] الآية (٢٠١)	
[هُ م ْ]	[م ْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِر ُ ون َ] الآية (٢٠٢)	
[فِين َ]	[..مِ ن ْ الْمَ لائِكَةِ مُ ر ْ دِفِين َ] الآية (٩)	
[ـِّيكُم ْ اس]	[إِذ ْ يُغَشِّيكُم ُ النُّعَاس َ أَمَ نَةً مِّن ْهُ ..] الآية (١١)	
[ـِن ُ ـَ] و[دِ]	[ذَلِكُم ْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِن ُ كَيْدِ الْكَافِرِين َ] الآية (١٨)	
[أَ ـَّ]	[..مَ ع َ الْمُ ؤْ مِنِين َ] الآية (١٩)	
[ـُهُ م ْ] و [ـْدِيَةً]	[كَانَ صَلاتُهُ م ْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُ كَاءً و َ تَصْدِيَةً ..] الآية (٣٥)	
[يز َ]	[الْخَبِيثَ مِ ن ْ الطَّيِّبِ ..] الآية (٣٧)	
[َ فَّى]	[فَّى الَّذِين َ كَفَر ُ وا الْمَ لائِكَةُ ..] الآية (٥٠)	
[. بَنَّ]	[ِ ُ وا سَ بَقُوا إِنَّهُ م ْ لا يُعْجِز ُ ون َ] الآية (٥٩)	
[م ْ]	[ِ ُ وا سَ بَقُوا إِنَّهُ م ْ لا يُعْجِز ُ ون َ] الآية (٥٩)	
[ن ْ]	[..ن َ صَ ابِر ُ ون َ يَ غْلِبُوا مِائَتَيْ ِ] الآيتان (٦٥.٦٦)	
[ن َ]	[َكُون َ لَهُ أَسْ ر َ ى حَ تَّى يُثْخِن َ ..] الآية (٦٧)	
[الأَسْر َ ى]	[َالَيَّن ْ الأَسْ ر َ ى إِن ْ يَعْ لَم ْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُم ْ خَ يْر ًا خَيْر ًا..] الآية (٧٠)	
[ِهِم ْ]	[.. مِ ن ْ شَيْ ءٍ حَ تَّى يُهَ اجِر ُ وا..] الآية (٧٢)	
[ان َ]	[لا أَيْمَ ان َ لَهُ م ْ لَعَلَّهُ م ْ يَنتَهُ ون َ] الآية (١٢)	
[اجِد َ]	[َ لِلْمُشْرِ ُ وا مَ سَ اجِد َ اللَّه ِ] الآيتان (١٧.١٨)	
[تُكُم ْ]	[..و َ ال ٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا..] الآية (٢٤)	
[ـدَ لُّ]	[فِي الْكُفْرِ يُضَ لُّ بِهِ الَّذِين َ كَفَر ُ وا] الآية (٣٧)	
[ل َ]	[ُم ْ نَفَقَاتُهُ م ْ إِلا أَنَّهُ م ْ كَفَر ُ وا بِاللَّهِ ..] الآية (٥٤)	
[مَ ةٌ]	[ن َ آمَ نُوا مِنْكُم ْ ..] الآية (٦١)	

[ف ُ] إنْ نَعْفُ عَنْ] ع َن ْ و[ِفَة ٍ]	[طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ..] الآية (٦٦)	
[ْ ء ِ]	[..ءِ و َ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] الآية (٩٨)	
[لاتَكَ]	[..نَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ..] الآية (١٠٣)	
[ن َ]	[نَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ ..] الآية (١٠٩)	
[لُونَ] و[لُونَ]	[ِنَّ اللَّهَ و َ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي تُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ..] الآية (١١١)	
[يغُ]	[.. دِ مَ ا كَ بُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ..] الآية (١١٧)	
[ن َ]	[ِتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ..] الآية (١٢٦)	
[ِرٌ]	[.. إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] الآية (٢)	
[صِّلُ]	[..صِّلُ الآ يَعْلَمُونَ] الآية (٥)	
⌘[ي َ] و[ُمْ]	[ِ تَعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ..] الآية (١١)	
[كُونَ]	[..َ الَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الآية (١٨)	
[كُمْ]	[ُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ..] الآية (٢٢)	
[اعَ]	[ِ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..] الآية(٢٣)	
[ِعًا]	[هُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا..] الآية (٢٧)	
[لُوْ]	[ِ تَبْلُو مَّا أَسْلَفَتْ ..] الآية (٣٠)	
[تُ]	[تُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ..] الآية (٣٣)	
[هُمْ]	[مْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ مِّنَ النَّهَارِ ..] الآية (٤٥)	
[حِرٍ]	[ِتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] الآية (٧٩)	
[.ْ رُ]	[م بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ] الآية (٨١)	
[ِلُّواْ]	[..ِضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ..] الآية (٨٨)	
[أَنَّهُ]	[..قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو مِنَ الْمُسْلِمِينَ] الآية (٩٠)	
[عَلُ]	[.. عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُ] الآية (١٠٠)	

[نِّي]	[ى قَو ْم ِه ِ إِنِّي لَكُم ْ ن َذ ِير ٌ م ُّبِين ٌ] الآية (٢٥)	
[ي َ]	[ِين َ ه ُم ْ أَر َ اذ ِلُنَا ب َاد ِي َ الر َّأْي ِ] الآية (٢٧)	
[ي َت ْ]	[ر َح ْم َ ، ْ ع َلَي ْكُم ْ أَنُلْز ِم ُكُم ُوه َا] الآية (٢٨)	
قَال َ ي َا ن ُوح ُ إِنَّه ُ لَي ْس َ [ل ٌ] و[ِ]	م ِن ْ أَه ْلِك َ إِنَّه ُ ع َم َل ٌ غ َي ْر ُ ص َالِح ٍ] الآية (٤٦)	
[لَام ً ا]	[إِب ْر َاه ِيم َ بِالْب ُشْر َى قَالُواْ س َم ً ا] الآية (٦٩)	
[أَت َك َ]	[ْ ر َأَت َك َ إِنَّه ُ م ُص ِيب ُه َا م َا أَص َاب َه ُم ْ] الآية (٨١)	
[ت َلِك َ]	[شُع َي ْب ُ أَص َلا ُك َ م َا ي َع ْب ُد ُ آب َاؤ ُنَا] الآية (٨٧)	
س ُع ِد ُوا]	[ال ِد ِين َ ف ِيه َا م َا د َام َت ِ السَّم َاو َات ُ و َالأَر ْض ُ] الآية (١٠٨)	
[ع ُ]	[ض ِ و َإِلَي ْه ِ ي ُر ْج َع ُ الأَم ْر ُ كُلُّه ُ] الآية (١٢٣)	
[لُون َ]	[..ر َبُّك َ ع َمَّا ت َع ْم َلُون َ] الآية (١٢٣)	
[ات ٌ]	[و َإِخْو َت ِه ِ آي َات ٌ لِّلسَّائِلِين َ] الآية(٧)	
[اب َ ِ]	[فِي غ َي َاب َ ِ ه ُ ب َع ْض ُ السَّيَّار َ ة ِ] الآية (١٠)	
ر ْس ِلْه ُ م َع َن َا غ َد ًا ي َر ْت َع [ع ْ] و[ب ْ]	[أَو َي َلْع َب ْ و َإِنَّا لَه ُ لَح َافِظُون َ] الآية (١٢)	
[ش ْر َى]	[أ َر َى ه َذَا غ ُلَام ٌ ..] الآية (١٩)	
[َص ِين َ]	[..ن َا الْم ُخْلَص ِين َ] الآية (٢٤)	
[ر ُون َ]	[..ع ْص ِر ُو َ] الآية (٤٩)	
[شَاء]	[..ا ح َي ْث ُ ي َشَاء..] الآية (٥٦)	
[ت َل ْ]	[ن َكْت َل ْ و َإِنَّا لَه ُ لَح َافِظُون َ] الآية (٦٣)	
[افِظًا]	[ه ُو َ أَر ْح َم ُ الر َّاح ِم ِين َ] الآية (٦٤)	
[ج َ ِ]	[َا و َفَو ْق َ كُلِّ ذ ِي ع ِلْم ٍ ع َلِيم ٌ] الآية (٧٦)	
[ح ِي]	[إِلاَّ ر ِج َالاً نُّوح ِي إِلَي ْه ِم م ِّن ْ أَه ْلِ الْقُر َى] الآية(١٠٩)	
كُذ ِب ُوا ْ]	[ي َأَس َ الر ُّس ُل ُ و َظَنُّواْ ْ ج َاءه ُم ْ ن َص ْر ُن َا] الآية (١١٠)	
فَن ُجِّي َ]	[ْ أَنَّه ُم ْ قَد ْ كُذ ِب ُوا ج َاءه ُم ْ ن َص ْر ُنَا فَن ُجِّي َ م َن شَاء] الآية (١١٠)	

[ْشـ ِي]	[َ النَّهـ َار َ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٍ يَتَفَكَّر ُون َ] الآية (٣)	
[ِ َ ذَخِيلٌ]	[ْ ر ُ صـ ِ نْو َ ان ٍ يُسـ ْقَى بِمـ َ اءٍ و َ احـ ِد ٍ] الآية (٤)	
[َ ان ٌ]	[ْ ر ُ صـ ِ نْو َ ان ٍ يُسـ ْقَى بِمـ َ اءٍ و َ احـ ِد ٍ] الآية (٤)	
[ـ ْ َى]	[ْ ر ُ صـ ِ نْو َ ان ٍ يُسـ ْقَى بِمـ َ اءٍ و َ احـ ِد ٍ] الآية (٤)	
[َضـِّل]	[َ هـ َا ع َلَى بـ َعـ ْضٍ فِي الأُكُل ِ] الآية (٤)	
[ذَا] و[ِنَّا]	[قَو ْلُهـ ُم ْ أَئِذَا كُنَّا تُر َابـًا أَئِنَّا لَفِي خ َلْق ٍ جـ َدِيدٍ] الآية (٥)	
[تَو ِي]	[ي الظُّلُمـ َات ُ و َ النُّور ُ] الآية (١٦)	
[ُون َ]	[ون َ ع َلَيـ ْهـ ِ فِي النَّار ِ] الآية (١٧)	
[صـ ُدُّوا]	[ِا مـ َكْر ُهـ ُم ْ و َ صـ ُدُّوا ع َن ْ السَّبِيل ِ] الآية (٣٣)	
[ِت ُ]	[و َ يُثْبِت ُ و َ ع ِنْد َه ُ أُمُّ الْكِتَاب ِ] الآية (٣٩)	
[َار ُ]	[ُ لِمـ َن ْ ع ُقْبَى الدَّار ِ] الآية (٤٢)	
[َه]	[ا فِي السَّمـ َاو َات ِ و َ مـ َا فِي الأَض ِ] الآية (٢)	
[ـَق] و[ض]	أَلَم ْ تَر َ أَنَّ اللَّهـ َ خ َلَق َ السَّمـ َاو َات ِ و َ الأَر ْض َ بِالْحـ َقِّ] الآية (١٩)	
[ِضـ ُلُّوا]	[دًا لِيُضـ ُلُّوا ع َن ْ سـ َبِيلِهـ ِ] الآية (٣٠)	
[هـ ُم ْ]	[هـ ُم ْ لِيَو ْ ٍ فِيهِ الأَبـ ْصـ َار ُ] الآية (٤٢)	
[ُول َ]	[ْ لِتَز ُول َ مِنْه ُ الْجِبـ َال ُ] الآية (٤٦)	

ثانياً
فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	نص الحديث	رقم الصفحة
١.	(يـُقْرِئُك السَّلاَ مَ)	
٢.	(، هِشَامَ يقْرَ أُسُورَةَ الْفُرْقَانِ)	
٣.	(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)	
٤.	(ِ الْقُرْآنَ)	
٥.	(نَ مِنْ أَرْبَعَةٍ)	
٦.	(رَسُولَ اللَّهِ ρ دَ سَرِيَّةٍ)	
٧.	(ْ وَاجَ النَّبِيِّ ρ جَمِيعًا)	
٨.	(أنا جيلهم في صدورهم)	
٩.	(النَّبِيُّ ρ جُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ)	
١٠.	(، رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ)	
١١.	{ أَحَقَّ ْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ }	
١٢.	(عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ)	
١٣.	{نَّ لنَّبي ρ أ [عَلَى رَفْارٍ وَعَبْاحِسَانٍ }]	
١٤.	{نَّ ρ أ [لِعَ ٍ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ يُنٍ }]	
١٥.	{، عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ }	
١٦.	(ِ سُولُ اللَّهِ ρ غَيْرَ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ)	
١٧.	(إِنَّ الله تعالى أَ ا القُ نَ بِ حَ ٍ أَ ءِ ب)	
١٨.	هِ السَّلام عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ	
١٩.	(النَّبِيَّ ρ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ)	
٢٠.	(الَيْلَةَ مَعَ النَّبِيِّ ρ إِلَى الْقَمَ عَ عَشْرَةَ)	
٢١.	(ةِ وَ النِّسَاءِ إلاو أَنَا عِنْدَهُ)	
٢٢.	(مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ρ أُحُدٍ)	
٢٣.	(لَّقَةٌ بِالْعَرْشِ)	
٢٤.	(مْ لِي أُمَّكِ)	

.٢٥	:(ْ كَانَ َ حَ ْلِفْ بِاللَّهِ)	
.٢٦	(ْ طَعنْت فَخذَها لأَجْزأَتك)	
.٢٧	(َسُولُ اللَّهِ ρ ثْدبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ)	
.٢٨	(ِأيت قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل)	
.٢٩	(سْلِمُ الْكَافِرَ)	
.٣٠	(اتِلُ ِرثُ)	
.٣١	(نْ دِيَةِ زَوْجِهَا)	
.٣٢	(بُ فَلأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)	
.٣٣	(.ْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ)	
.٣٤	(ُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ)	
.٣٥	(نَ َ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ)	
.٣٦	(سُولَ اللَّهِ ρ ثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ)	
.٣٧	(لَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا)	
.٣٨	(دَّةُ بَعْدُ فِي الْمُتَلارَّقَ بَيْنَهُمَا)	
.٣٩	(ْ النَّبِيُّ ρ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ)	
.٤٠	(.َا ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا)	
.٤١	(دَّث أنَّ التَّاجِر فَاجِرْ)	
.٤٢	(.ذُونَ كَوَاحِدٍ)	
.٤٣	(بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ)	
.٤٤	(ارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا)	
.٤٥	(وَ الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ)	
.٤٦	(النِّفاق اختلاف المَدْخل والمَخْرج)	
.٤٧	(الْمُهَدِينَةَ يَرِثُ الأَنْصَارِيُّ الْمُهَاجِرِيَّ)	
.٤٨	(َقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا)	
.٤٩	(مُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً)	
.٥٠	(لا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ)	
.٥١	(لاثَةُ رَهْطٍ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ρ)	

.٥٢	(أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ)	
.٥٣	(عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ)	
.٥٤	(ْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ)	
.٥٥	(ةُ مِنَ . لَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ)	
.٥٦	(ُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ)	
.٥٧	(مْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا)	
.٥٨	(اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْ عَمَدَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا)	
.٥٩	(نِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ)	
.٦٠	(َةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ρ)	
.٦١	(ِ ْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا)	
.٦٢	(نَّ ابَرَ زَ يَمْشِي الْقُدَمِيَّةَ)	
.٦٣	(ِ الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا)	
.٦٤	(ـجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا)	
.٦٥	(ا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلالٍ فَحِلُّوهُ)	
.٦٦	(ـنْذَوُه من طول)	
.٦٧	(نَّ النَّبِيَّ ρ هِ فَأَشْعَرَهَا)	
.٦٨	(َسُولُ اللَّهِ ρ تِ غَنَمًا فَقَلَّدَهَا)	
.٦٩	(ِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلاثَةٌ)	
.٧٠	(. ُوءِ غِمَسْحَتَانِ)	
.٧١	(ْ النَّبِيَّ ρ . مَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ)	
.٧٢	(وَبُطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ)	
.٧٣	(وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)	
.٧٤	(ْ المَ ُ عِ مَ ْدِيَة)	
.٧٥	(رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ)	
.٧٦	(كَ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ)	
.٧٧	(نْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ)	
.٧٨	(فِي قُرَيْشٍ ، فِي الأَنْصَارِ)	

٧٩.	(باغٍ هادٍ)	
٨٠.	(؛رِهَ لَكُمْ ثَلاثًا)	
٨١.	(إِنَّ الله عز وجل أَ َ يِ بِ َ َ وأَ ِي أَ أُ ا)	
٨٢.	(دَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ρ الْوَ حْيِ فَلا تُصَدِّقْهُ)	
٨٣.	(َرِفُوا فَقَدْ عَصَمَ نِي اللَّهُ)	
٨٤.	(ؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ))	
٨٥.	(ُ يَوْمَ أُحُدٍ)	
٨٦.	(؛طٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ)	
٨٧.	(َاعًا مِنْ سَمْرَاءَ)	
٨٨.	(؛رَّمَهَا اللَّهُ)	
٨٩.	(إِذْنِ مَوَالِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ)	
٩٠.	(يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ)	
٩١.	(كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك)	
٩٢.	(النَّبِيَّ ρ تَطِيعُ رَبَّكَ))	
٩٣.	(إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون)	
٩٤.	(صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ)	
٩٥.	(؛دًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ)	
٩٦.	(ُسْلِمٍ يَسَعُهُمَ الشَّجَرُ)	
٩٧.	(. َرْأَةٌ رَبَّتَهَا)	
٩٨.	(ارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)	
٩٩.	(ؤْمِنٍ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)	
١٠٠.	(؛نْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ)	
١٠١.	(.نْعَ النَّبِيِّ ρ نَفَرٍ)	
١٠٢.	(حمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)	
١٠٣.	(دَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ)	
١٠٤.	(تُ آيَةً كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ)	
١٠٥.	(متعني بنفسك)	

١٠٦.	(ر َسُولَ اللَّهِ ρ ، َ الْقِيَامَ َةِ حُفَاةً عُر َاةً غُر ْلا)	
١٠٧.	(ُلرباح بن المُ غْ ، غ َنَّذ َا أهل القَر َار)	
١٠٨.	(مَ ات اللَّه التَّامَّة)	
١٠٩.	(بِه خَ يْر ً ا يُفَقِّهْ فِي الدِّينِ)	
١١٠.	(جة الشجرة تكون بين الأشجار، لا تصل إليه راعية ولا و َ ْ . ِية)	
١١١.	(نَّه أَ َ أْ الي َ ٰدَّر ْكَ)	
١١٢.	(ى النَّبِيُّ ρ ي ذ َاب ٍ مِن َ السِّبَ اعِ)	
١١٣.	(ْ ت َذ َانِ و َ د َمَ ان ِ)	
١١٤.	(قُوم ُ ، َ الشَّمْس ُ مِنْ مَ غْر ِبِهَ ا)	
١١٥.	(َا فَلَيْس َ مِنَّا)	
١١٦.	(َ لِسَ انُكَ صَ ادِقٌ)	
١١٧.	(ى يَسْمَ عَهُ مِن َ اللَّهِ عَزَّ و َ جَلَّ)	
١١٨.	(َ ا كَأَنْتَن ِ ريحِ جِيفَ َلَى و َجْهِ الأرْضِ)	
١١٩.	(الغل على باب الجنة كمبارك الإبل)	
١٢٠.	(.لَ اللَّهُ مَ كَانَهُ النَّار َ يَهُودِيًّا أو ْ ن َصْر َ انِيًّا)	
١٢١.	(أَ، َ ّي ي َ ٰ َ م أَّ ن َ ,ٌ؟)	
١٢٢.	(قل [مِ]النّ َعَ م ُ الإِ ل)	
١٢٣.	(و َ خَ يْر ُ الرِّزْقِ مَ ا يَكْفِي)	
١٢٤.	(َا النَّبِيُّ ρ أَيْتُ بَيَاض َ إِبْطَيْهِ)	
١٢٥.	(َعُوا فُسِكُمْ)	
١٢٦.	(يَعْتَدُون َ فِي الدُّعَ اءِ)	
١٢٧.	(ْ ر ُو ْحِ ي بِالرَّحْمَ َةِ)	
١٢٨.	(و َ أُهْلِكَتْ عَ ادٌ بِالدَّبُورِ)	
١٢٩.	(مَ طَر ً ا كَأَنَّهُ الطَّلُّ)	
١٣٠.	(لْ بَ لَّغْتُ)	
١٣١.	(بٌ عَ ارِمٌ مَ ذيعٌ فِي ر َهْطِهِ)	
١٣٢.	(ِ َجَدْ دَ ر َبُّكُمْ)	

١٣٣.	(اف ُ ع َلَى أُمَّتِي ع َم َل ُ قَو ْ م ِ لُوطٍ)	
١٣٤.	(قَو ْ م ِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِل َ و َ الْم َ فْع ُول َ بِه ِ)	
١٣٥.	(َهِيم َ ةً فَاقْتُلُوه ُ)	
١٣٦.	(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)	
١٣٧.	(ُ النَّبِيَّ ρ ؛ لَّى ر َ بُّه ُ لِلْج َب َل ِ ج َع َلَه ُ د َكًّا))	
١٣٨.	(الْخ ُلَفَاء ِ الرَّاشِ دِين َ الْم َه ْدِيِّين َ)	
١٣٩.	(ِ َ شْقَاء َ ه ُ م ِن ْ قَبْل ِ أَ ْخ ِلَه ُ)	
١٤٠.	(ج ُب ٌّ م َا كَان َ قَبْلَه ُ)	
١٤١.	(َلا ضِر َ ار َ)	
١٤٢.	(َنِيفِيَّة ِ السَّم ْح َ ة ِ)	
١٤٣.	(َد ُور ِ أَقْو َام ٍ كَم َا ي َبْلَى الثَّو ْب ُ)	
١٤٤.	(.يِذَاق َ م ِن ْ ظَه ْر ِ آد َي َع ْنِي ع َر َ فَة َ)	
١٤٥.	(ي ُولَد ُ ع َلَى الْفِطْر َ ة ِ)	
١٤٦.	(ِ َ تَابِع ٌ لِلأَوَّل ِ)	
١٤٧.	(ح َ م َلَكُم ْ ع َلَى أَن ْ ع َم َد ْتُم ْ إِلَى الأَنْفَال ِ)	
١٤٨.	(ْ لِي م َ ا و َع َد ْتَنِي...)	
١٤٩.	(م ْ ح ُمَّى ي َثْرِ ب َ)	
١٥٠.	(ِ َ ء َ فِ ع ً)	
١٥١.	(ِّ ع َلَى آل ِ أَبِي أَو ْ فَى)	
١٥٢.	(م ِين َ ح ِين َ فَر َض َ اللَّه ُ ع َلَيْهِم ْ)	
١٥٣.	(لإِس ْلامِ س ُنَّةً ح َس َنَةً فَ ر ُه َا)	
١٥٤.	(آخِر ُ س ُور َ ة ٍ نَزَلَت ْ خَاتِم َ ةُ س ُور َ ةِ النِّس َاء ِ)	
١٥٥.	(ص ُ دِّقُك َ ع َلَيْه ِ ص َاحِبُك َ)	
١٥٦.	(ه ُد ُ الْم َس ْجِد َ فَاشْه َد ُوا لَه ُ بِالإِيم َ ن ِ)	
١٥٧.	(كُم ْ تَد ْخ ُلُوا ج َنَّةَ ر َبِّكُم ْ ع َز َّ و َ ج َل َّ)	
١٥٨.	(فِي ة َ و َ الْي َقِين َ فِي الآخِر َ ة ِ و َ الأُولَى)	
١٥٩.	(َّه َ الْم ُع َافَاة َ)	

١٦٠.	(ُ طَائِفَةٌ مِن ْ أُ ِر ِين َ ع َ لَى الْح َ قِّ)	
١٦١.	(، ب َع ْ د َ إِذْ ه َد َ ي ْ ت َ ن ِي)	
١٦٢.	(ُ و َ ع َ م َّ ي َ ت َس َ ا ء َ لُون َ و َ ا ِذَا الشَّم ْ س ُ ك ُو ِّر َ ت ْ)	
١٦٣.	(ُ النَّبِي َّ ρ نِ َّه ُ ع َ م ِل َ غ َ ي ْ ر َ ص َ ٍ ح))	
١٦٤.	(إنها سمعت الوجبة، فالتفتت، فأصابها العذاب)	
١٦٥.	(ة لا س ُ ق ْ ي َ ا ع َ ذَا ٍب)	
١٦٦.	(َس ُول ُ اللَّه ِ ρ ع َ م َ لا أَثْب َ ت َ ه ُ)	

ثالثا

فهارس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اسم العلم المترجم	الصفحة
١.	أحمد بن فارس بن زكرياء، القزويني، أبو الحسن(ت٢٩٥هـ).	
٢.	الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٧٩٤هـ).	
٣.	ابن الجزري: محمد بن محمد بن علي بن يوسف(ت٨٣٣هـ); .	
٤.	البناء: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي(ت١١١٧هـ).	
٥.	'لجعبري: إبراهيم بن عمر بن خليل بن أبي العباس(ت٧٣٢هـ).	
٦.	أبو نشيط: محمد بن هارون أبو جعفر لربعي(ت٢٥٨هـ) .	
٧.	ابن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي(ت٣٢هـ).	
٨.	عمر بن نفيل العدوي(ت٢٣هـ);	
٩.	خباب بن الأرت التميمي(ت٣٧هـ);	
١٠.	فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية.;	
١١.	ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، (ت٧٣هـ).	
١٢.	سالم بن معقل، أبو عبد الله.	
١٣.	أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي.	
١٤.	أبي بن كعب بن مالك الأنصاري ، (ت١٩هـ).	
١٥.	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، (ت١٨هـ).	
١٦.	الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قليماز ، (ت٧٤٨هـ).	
١٧.	أبو الدرداء: عويمر بن زيد الخزرجي، (ت٣٢هـ).	
١٨.	عثمان بن عفان بن أبي العاص، (ت٣٥هـ).	
١٩.	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، (ت٤٠هـ).	
٢٠.	أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن مسلم، (ت٥٠هـ).	
٢١.	زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، (ت٤٨هـ).	
٢٢.	عبد الله بن السائب، (ت٦٠هـ).	
٢٣.	أبو عبد الرحمن السلمي: عبد الله بن حبيب بن ربيعة، (ت٧٠هـ).	
٢٤.	عامر بن قيس، (ت٥٥هـ).	

٢٥.	المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عبد الله بن عمرو بن المغيرة، (ت٩١هـ).	
٢٦.	يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المخزومي، (ت١٠٣هـ).	
٢٧.	شيبة بن نصاح، (ت١٣٠هـ).	
٢٨.	حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي، (ت١٣٠هـ).	
٢٩.	محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، (ت١٢٣هـ).	
٣٠.	يحيى بن وثاب الأسدي، (ت١٠٣هـ).	
٣١.	سليمان الأعمش: سليمان بن مهيان الأعمش، أبو محمد، (ت١٤٨هـ).	
٣٢.	عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري، (ت١٣٩هـ).	
٣٣.	عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النحوي البصري، (ت).;	
٣٤.	عاصم الجحدري: عاصم بن أبي الصباح العجاج، (ت١٢٨هـ).	
٣٥.	يعقوب الحضرمي: يعقوب بن إسحاق بن زيد، أبو محمد، (ت٢٠٥هـ).	
٣٦.	عطية بن قيس، أبو يحيى الكلابي الحمصي الدمشقي، (ت١٢١هـ).	
٣٧.	يحيى بن الحارث بن عمرو بن سليمان الزماري، (ت١٤٥هـ).	
٣٨.	شريح بن يزيد، أبو حيوة الحضرمي، (ت٢٠٣هـ).	
٣٩.	القاسم بن سلام، أبو عبيد البغدادي، (ت٢٢٤هـ).	
٤٠.	أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد.	
٤١.	طاهر الجزائري.	
٤٢.	ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المجازي.	
٤٣.	يحيى بن يعمر، أبو سليمان العدواني البصري.	
٤٤.	ابن مجاهد: أحمد بن موسى العباس التميمي، أبو بكر.	
٤٥.	ابن أبي طالب: مكي بن أبي طالب حموش بن مختار الأندلسي، (ت٤٣٧هـ).	
٤٦.	ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه، (ت٣٧٠هـ).	
٤٧.	محمد بن السَّدي بن سهل، أبو بكر، ابن السراج، (ت٣١٦هـ).	
٤٨.	أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (ت٣٧٧هـ).	
٤٩.	; أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عمر،;	
٥٠.	الشاطبي: القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد، أبو القاسم .	
٥١.	علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، أبو الحسن.	
٥٢.	أبو الفضل الرازي: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن (ت٤٥٤هـ).	

٥٣.	; الكواشي: أحمد بن يوسف بن حسن، أبو العباس.	
٥٤.	أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت٦٦٥هـ).	
٥٥.	أبو الفرج الشنبوذي: محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت٣٨٨هـ).	
٥٦.	ابن الحاج: محمد بن محمد: أبو عبد الله العبدري المالكي، (ت٧٣٧هـ).	
٥٧.	ابن شنبوذ: محمد بن أحمد بن أيوب، أبو الحسن البغدادي، (ت٣٢٨هـ).	
٥٨.	ابن زنجلة: عبد الرحمن بن محمد: أبو زرعة.	
٥٩.	النيسابوري: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت٤٦٨هـ).	
٦٠.	المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري.	
٦١.	مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف	
٦٢.	سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس الأوسي، أبو يزيد، (ت١٦هـ).	
٦٣.	عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، (ت٣٤هـ).	
٦٤.	خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البزار الأسدي، (ت٢٢٩هـ).	
٦٥.	جعونة بن شعوب الليثي.	
٦٦.	مسلم بن جندب، أبو عبد الله الهذلي، (ت٦٦٠هـ).	
٦٧.	يزيد بن رومان المدني، (ت٣٠هـ).	
٦٨.	محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر، الزهري المدني، (ت٢٤هـ).	
٦٩.	عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، (ت١١٧هـ).	
٧٠.	عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، (ت٧٨هـ).	
٧١.	ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس، (ت٦٨هـ).	
٧٢.	أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر، (ت٥٨هـ).	
٧٣.	سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أبو محمد، (ت٩٤هـ).	
٧٤.	مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، أبو عبد الله، (ت١٧٩هـ).	
٧٥.	الشيباني: سعيد بن إياس أبو عمرو، (ت٩٦هـ).	
٧٦.	محمد بن إسحاق بن محمد، أبو عبد الله، (ت٣٩٥هـ).	
٧٧.	يونس بن محمد، أبو محمد البغدادي، (ت٢٠٨هـ).	
٧٨.	ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، أبو محمد، (ت٣٢٧هـ).	
٧٩.	الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله، (ت٣٦هـ).	
٨٠.	المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد، أبو جعفر المنصور، (ت١٩٨هـ).	
٨١.	عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر، (ت٧٣هـ).	

٨٢.	أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، (ت٩٣هـ).	
٨٣.	أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، (ت٥٠هـ).	
٨٤.	مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المخزومي، (ت١٠٤هـ).	
٨٥.	درباس المكي، مولى ابن عباس،	
٨٦.	الأصمعي: عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي، (ت٢١٦هـ).	
٨٧.	الشافي: محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي، (ت٢٠٤هـ).	
٨٨.	سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، (ت١٩٨هـ).	
٨٩.	عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر، أبو القاسم المكي، (ت١٩٩هـ).	
٩٠.	إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، أبو إسحاق المخزومي، (ت١٧٠هـ).	
٩١.	شبل بن عباد، أبو داود المكي، (ت١٦٠هـ).	
٩٢.	أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع، أبو الحسن النبال، (ت٢٤٠هـ).	
٩٣.	أبو الأخريط: وهب بن واضح، (ت١٩٠هـ).	
٩٤.	معروف بن مشكان، أبو الوليد المكي، (ت١٦٥هـ).	
٩٥.	القصاع: محمد بن إسرائيل بن أبي بكر، أبو عبد الله، (ت٦٧١هـ).	
٩٦.	الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، (ت٩٥هـ).	
٩٧.	لحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، (ت١١٠هـ).	
٩٨.	أبو العالية: رفيع بن مهران، الرياحي، (ت٩٦هـ).	
٩٩.	عطاء بن أبي رباح بن أسلم، أبو محمد القرشي، (ت١٥هـ).	
١٠٠.	عكرمة بن خالد بن العاص، أبو خالد المخزومي، (ت١٥هـ).	
١٠١.	عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله، (ت١٠٦هـ).	
١٠٢.	نصر بن عاصم الليثي، البصري، (ت٩٠هـ).	
١٠٣.	سعيد بن جبير الأسدي، (ت٩٥هـ).	
١٠٤.	ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت٧٧٤هـ).	
١٠٥.	ونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن الضّبي، (ت١٨٥هـ).	
١٠٦.	سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، (ت١٨٠هـ).	
١٠٧.	معمر بن المثنى التميمي، أبو عبيدة النحوي، (ت٢٠٩هـ).	
١٠٨.	إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، أبو إسحاق، (ت١٨٠هـ).	
١٠٩.	يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.	
١١٠.	ابن جماز: سليمان بن مسلم بن جماز، أبو الربيع الزهري، (ت١٧١هـ).	

١١١.	ُليم بن منصور بن عمار البصري،	
١١٢.	محمد بن سعدان، أبو جعفر، (ت٢٣١هـ).	
١١٣.	اليزيدي يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي، (ت٢٠٢هـ).	
١١٤.	ابن ماجة: محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله.	
١١٥.	محمد بن صالح بن زياد، أبو المعصوم بن أبي شعيب السوسي.	
١١٦.	النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان، أبو عبد الرحمن، (ت٣٠٣هـ).	
١١٧.	النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، (ت٦٥هـ).	
١١٨.	فضالة بن عبيد بن ناقد، ابن قيس الأنصاري، ت(٥٨هـ).	
١١٩.	بلال بن أبي الدرداء الأنصاري، (ت٩٣هـ).	
١٢٠.	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموي، (ت١٠١هـ).	
١٢١.	عراك بن خالد بن يزيد بن صالح، أبو الضحاك، (ت٢٠٠هـ).	
١٢٢.	أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب، أبو سليمان، (ت١٩٨هـ).	
١٢٣.	'لبخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله، (ت٥٦هـ).	
١٢٤.	أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، (ت٧٥هـ).	
١٢٥.	أبو زرعة الدمشقي: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله، (ت٨١هـ).	
١٢٦.	أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بشر، أبو عبيدة.	
١٢٧.	و رٍمثة: رفاعة بن يثرب.	
١٢٨.	الحارث بن حسان البكري.	
١٢٩.	زر بن حبيش بن حباشة، أبو مريم الأسدي الكوفي، (ت٨٢هـ).	
١٣٠.	أبو إسحاق السبيعي، عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد، (ت١٣٢هـ).	
١٣١.	عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن البغدادي،(ت٢٩٠هـ).	
١٣٢.	أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشبياني، (ت٢٤١هـ).	
١٣٣.	'لخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي، (ت١٧٠هـ).	
١٣٤.	عطاء بن السائب، أبو يزيد الثقفي الكوفي، (ت١٣٠هـ).	
١٣٥.	أسلم بن المنقري، أبو سعيد، (ت٤٢هـ).	
١٣٦.	يعقوب بن محمد بن خليفة، أبو يوسف الأعشى، (ت٢٠٠هـ).	
١٣٧.	سهل بن شعيب الكوفي.	

١٣٨.	أبو هشام الرفاعي: محمد بن يزيد بن رفاعة، (ت٢٤٨هـ).	
١٣٩.	أبو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطا، (ت١٥٠هـ).	
١٤٠.	ُمران بن أعين، أبو حمزة الكوفي، (ت١٣٠هـ).	
١٤١.	محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عبد الرحمن الأنصاري، (ت١٤٨هـ).	
١٤٢.	طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب، أبو محمد، (ت١١٢هـ).	
١٤٣.	جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، أبو عبد الله، (ت١٤٨هـ).	
١٤٤.	سليم بن عيسى بن سليم بن عامر، أبو عيسى الحنفي، (ت١٨٩هـ).	
١٤٥.	حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل البصري، (ت١٧٩هـ).	
١٤٦.	سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الأنصاري النحوي، (ت٢١٥هـ).	
١٤٧.	المفضل بن محمد بن يعلى، أبو محمد الضبي.	
١٤٨.	الحسين بن علي بن فتح، أبو عبد الله الجعفي، (ت٢٠٣هـ).	
١٤٩.	أبو جعفر الرؤاسي: محمد بن الحسين بن أبي سارة.	
١٥٠.	عيسى بن عمر، أبو عمر الهمداني، (ت١٥٦هـ).	
١٥١.	إئدة بن قدامة، أبو الصَّلت الثقفي، (ت١٦١هـ).	
١٥٢.	أبو بكر بن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، (ت٣٢٨هـ).	
١٥٣.	أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر، أبو جعفر الكوفي، (ت٢٥٨هـ).	
١٥٤.	هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن محمد المنصوري العباسي، (ت١٩٣هـ).	
١٥٥.	محمد بن الحسين بن فرقد، أبو عبد الله، (ت١٨٩هـ).	
١٥٦.	حمزة بن القاسم، أبو عمارة الأحول الأزدي الكوفي.	
١٥٧.	حفصة بنت عمر بن الخطاب، (ت٤٥هـ).	
١٥٨.	سعيد بن العاص بن أمية الأموي، (ت٥٨هـ).	
١٥٩.	عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، (ت٤٣هـ).	
١٦٠.	ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، الدمشقي، (ت١٢٥٢هـ).	
١٦١.	الحاكم: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، (ت٤٠٥هـ).	
١٦٢.	أبي بكرة: عبد الرحمن بن أبي بكرة: نفيع بن الحارث الثقفي، (ت٩٦هـ).	
١٦٣.	محمد بن جعفر بن عبد الكريم، أبو الفضل الخزاعي الجرجاني، (ت٤٠٨هـ).	
١٦٤.	سعد بن أبي وقاص: مالك بن وهيب بن عبد مناف، أبو إسحاق، (ت٥٥هـ).	

١٦٥.	عائشة بنت أبي بكر الصديق، (ت٥٣هـ).	
١٦٦.	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، (ت٧١هـ).	
١٦٧.	النووي: يحيى بن شرف بن مسدي بن حسن، أبو زكريا، (ت٦٧٦هـ).	
١٦٨.	أبو معشر الطبري: عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد، (ت٤٧٨هـ).	
١٦٩.	أبو القاسم الهذلي: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد، (ت٤٦٥هـ).	
١٧٠.	هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي.	
١٧١.	أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير بن يزيد، (ت٣١٠هـ).	
١٧٢.	ابن وهب: فضل الله بن محمد بن وهب، أبو القاسم الأنصاري، (ت٢٤هـ).	
١٧٣.	عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، (ت٦٦٠هـ).	
١٧٤.	الطحاوي:أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي، أبو جعفر، (ت٣٢١هـ).	
١٧٥.	ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، (ت٢٧٦هـ).	
١٧٦.	أبو بكر الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، (ت٤٠٣هـ).	
١٧٧.	أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، (ت٦٥هـ).	
١٧٨.	ابن أبي هاشم: عبد الواحد بن عمر بن محمد، أبو طاهر البغدادي، (ت٣٤٩هـ).	
١٧٩.	الزرقاني: محمد بن عبد العظيم، (ت١٣٦٧هـ).	
١٨٠.	الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، (ت١٠٢هـ).	
١٨١.	بو رجاء العطاردي، عمران بن ملحان التميمي البصري، (ت١٠٥هـ).	
١٨٢.	ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت٣٩٢هـ).	
١٨٣.	العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، (٩٠٥هـ).	
١٨٤.	الدامغاني: محمد بن علي بن محمد بن حسن، أبو عبد الله، (ت٤٧٨هـ).	
١٨٥.	المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، أبو العباس، (ت٢٨ ٦هـ).	
١٨٦.	الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، (ت٥٣٨هـ).	
١٨٧.	أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، (ت٧٤٥هـ).	
١٨٨.	الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري، (ت٦٠٦هـ).	
١٨٩.	أبو نصر القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، (ت٥١٤هـ).	
١٩٠.	و العشراء الدار مي: أسامة بن مالك بن قهطم.	

١٩١.	القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، (ت٦٧١هـ).	
١٩٢.	ابن الدهان: سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري، (٥٦٩هـ).	
١٩٣.	أبو منصور: محمد بن أحمد بن الأزهر الهدوي، (ت٣٧٠هـ).	
١٩٤.	لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، (ت٤١هـ).	
١٩٥.	أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (ت٩٨٢هـ).	
١٩٦.	ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، (ت١٥٠هـ).;	
١٩٧.	مرثد بن زيد القطفاني.	
١٩٨.	أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت، (ت٢١٥هـ).	
١٩٩.	سعد بن الربيع بن عمرو.	
٢٠٠.	ابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري، (ت٣١٩هـ).	
٢٠١.	ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني، (ت٢٩٠هـ).	
٢٠٢.	زيد بن خالد الجهني المدني، (ت٦٨هـ).	
٢٠٣.	عمرو بن العاص بن وائل السهمي، (ت٤٠هـ).	
٢٠٤.	السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (٩١١هـ).	
٢٠٥.	الصقلي: عمر بن خلف بن مكي الصقلي، (ت٥٠١هـ).	
٢٠٦.	أبو يحيى الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، (ت٩٢٦هـ).	
٢٠٧.	ابن الأعرابي: محمد بن زياد، أبو عبد الله، (ت٢٣١هـ).	
٢٠٨.	عبد الرحمن بن عوف بن عبد مناف، القرشي، (ت٣٢هـ).	
٢٠٩.	عكرمة: أبو عبد الله القرشي، (ت١٠٥هـ).	
٢١٠.	إبن الأثير: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد، (ت١٣٧هـ).	
٢١١.	المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، (ت٣٣هـ).	
٢١٢.	ثابت بن قيس بن شماس.	
٢١٣.	قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي، (ت٣٦هـ).	
٢١٤.	أبان بن ثعلب الربعي، أبو سعد الكوفي، (ت١٤١هـ).	
٢١٥.	، بر ّي: عبد الله بن بري بن عبد الله الجبار المقدسي، (ت٥٨٢هـ).	
٢١٦.	الأخفش: هارون بن موسى بن شريك أبو عبد الله، (ت٢٩٢هـ).	
٢١٧.	البخاري: محمد إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت٢٥٦هـ).	

٢١٨.	ابن أم مكتوم: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم.		
٢١٩.	أبو الحسن: روح بن عبد المؤمن الهذلي، (ت٣٣هـ).		
٢٢٠.	أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم الأنصاري.		
٢٢١.	رفاعة بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب.		
٢٢٢.	قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري، (ت٢٣هـ).		
٢٢٣.	اليزيدي: محمد بن يحيى بن المبارك، (ت٢٠٢هـ).		
٢٢٤.	بشر بن أبي حازم: عمرو بن عوف الأسدي، (ت٢٢ق.هـ).		
٢٢٥.	سودة بن زمعة بن قيس بن عبد شمس، (ت٢٥٤هـ).		
٢٢٦.	ابن أبي العاص: عبد الملك بن مروان بن الحكم، (٦٥هـ).		
٢٢٧.	عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الحجي، (ت٤٢هـ).		
٢٢٨.	ابن رومان.		
٢٢٩.	عبد الله بن سلام الإسرائيلي، أبو يوسف، (ت٤٣هـ).		
٢٣٠.	أسد بن سعية القرظي.		
٢٣١.	شعبة بن سعية القرظي.		
٢٣٢.	الأعرج: عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود، (ت١١٧هـ).;		
٢٣٣.	الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن، (ت٤٥٠هـ).		
٢٣٤.	الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، (ت١١٠هـ).		
٢٣٥.	الشعبي: عامر بن شراحبيل بن عبد أبو عمرو الشعبي، (ت١٠٥هـ).		
٢٣٦.	يزيد بن الحصيب، أبو سهل الأسلمي، (ت٦٣هـ).		
٢٣٧.	عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، (ت٥٢هـ).		
٢٣٨.	قتادة بن دعامة بن عزيز: أبو الخطاب السدوسي، (ت١١٨هـ).		
٢٣٩.	الليث بن سعد بن عبد الرحمن، (ت١٧٥هـ).		
٢٤٠.	الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري.		
٢٤١.	ُ ُ يبة بن هبيرة الأسدي، (ت٥٠٠هـ).		
٢٤٢.	كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، (ت١٠٥هـ).		
٢٤٣.	أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي.		
٢٤٤.	ابن القاسم: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة، (ت١٩١هـ).		
٢٤٥.	الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، (ت٢٤هـ).		
٢٤٦.	أبا اليسر: كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري، (ت٥٥هـ).		

٢٤٧.	النقاش: محمد بن الحسن، أبو بكر، (ت٣٥١هـ).	
٢٤٨.	تميم الداري: تميم بن أوس بن خارجة الداري، (ت٤٠هـ).	
٢٤٩.	عدي بن نداء.	
٢٥٠.	عمرو بن العاص بن وائل السهمي، (ت٤٩هـ).	
٢٥١.	المهدوي: أحمد بن عمار بن أبي العباس، (ت٤٣١هـ).	
٢٥٢.	نصير بن أبي نصير الرازي النحوي.;	
٢٥٣.	العكبري: عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي، (ت٦١٦هـ).	
٢٥٤.	أبو ميسرة: عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمزاني.	
٢٥٥.	ابن مقسم: محمد ين الحسن بن يعقوب، (ت٣٥٤هـ).	
٢٥٦.	مالك بن الصيف.	
٢٥٧.	ابن سيدة: علي بن إسماعيل، (ت٤٥٨٨هـ).	
٢٥٨.	النضر بن الحارث بن علقمة.	
٢٥٩.	نائل مولى العباس.	
٢٦٠.	رباح بن المعترف.	
٢٦١.	أبو الهيثم: العباس بن محمد، (ت٣٠٢هـ).	
٢٦٢.	عدي بن الرعلاء الغساني.	
٢٦٣.	حمزة بن عبد المطلب بن هاشم.	
٢٦٤.	عمرو بن هشام بن المعبرة.	
٢٦٥.	الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي.	
٢٦٦.	الليث بن سعد بن عبد الرحمن، (ت١٧٥هـ).	
٢٦٧.	الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، (ت٤٥٠هـ).	
٢٦٨.	عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان.	
٢٦٩.	البراء بن عازب. بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة، (ت٧١هـ).	
٢٧٠.	النيلي: هو سعد بن عبد العزيز بن عبد الله النيلي ، (ت٤٢٠هـ).	
٢٧١.	عبد الله بن زمعة البلوي، (ت٣٤هـ).	
٢٧٢.	عمر بن أبي ربيعة. (ت٩٣هـ).	
٢٧٣.	الكميت بن زيد الأسدي.	
٢٧٤.	ابن ماجة: محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت٢٧٣هـ).	
٢٧٥.	محمد بن سيرين البصري، (ت١١٠هـ).	

٢٧٦.	الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الصغير (ت١٦١هـ).	
٢٧٧.	حميد بن ثور بن حزن الهلالي، (ت٣٠هـ).	
٢٧٨.	القحيف بن حمير بن سليم الصقلي، (ت١٢٦هـ).	
٢٧٩.	هبيرة بن محمد الثمار.	
٢٨٠.	ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، (ت١٩٨هـ).	
٢٨١.	ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، (ت١٥٠هـ).	
٢٨٢.	كعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، (ت٢٦هـ).	
٢٨٣.	ابن إسحاق: محمد بن إسحاق، (ت١٥١هـ).	
٢٨٤.	عدي بن الرقاع بن الحصار.	
٢٨٥.	عبد الله بن أبي أوفى، (ت٣٧هـ).	
٢٨٦.	سليمان بن مهران، (ت١٤٨هـ).	
٢٨٧.	زفر بن الحرث الكلابي، (ت٧٥هـ).	
٢٨٨.	العباس بن عبد المطلب بن هاشم، (ت٣٢هـ).	
٢٨٩.	نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، (ت١٥هـ).	
٢٩٠.	عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، (ت٦٠هـ).	
٢٩١.	الجلاس بن سويد.	
٢٩٢.	أبو الحسن الأنصاري: علي بن سليمان بن أحمد	
٢٩٣.	الأصم: يوسف بن يعقوب، (ت٣١٣هـ).	
٢٩٤.	يعقوب بن أسحاق أبو يوسف، (ت٢٤٤هـ).	
٢٩٥.	العباس بن الفضل بن عمرو.	
٢٩٦.	ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن بشار، (ت٣٢٨هـ).	
٢٩٧.	أبو جهل: عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، (ت٢هـ).	
٢٩٨.	ميمون بن مهران.	

رابعاً
فهرس الأبيات الشعرية:

الرقم	صدر البيت	الصفحة
١.	ى الكَتيبةْ ِ لا أُبَالي ْ	
٢.	حـ ْشـ يَّةٌ مـ َ سـ ْبوعـ َةٌ	
٣.	زَ ان ٌ ماتـ ُز َن ٌ بريبةٍ	
٤.	ٌ إن ْ بـ َ ذ ُوا أحـ ْسنذ ُوا البـ َا	
٥.	لـعـ ْ ناً بـ يـ َ ْنهـ ُم وعِناقاً	
٦.	سِ الأَفْعى يداك َ تـ ذ ُوشـ ُها	
٧.	َ ى والأَجـ ْرال ُ مافي غـ ُروضـ ِها	
٨.	سـِّلم َ زائدةٌ ذ َوالاً	
٩.	ون الصـِّلاح بذات ِ كهفٍ	
١٠.	ي د َ ي ْذ ِي النَّهار وأَقْتضي	
١١.	وه كريمةٌ أحـ ْسـ َابـ ُهـ ُم ْ	
١٢.	وِي َ إ ٌ فاسـ ْجـ َح ْ	
١٣.	كَذب الواشـ ُون ما بـ ُحـ ْت عندهم	
١٤.	شـ ْهد أَنـّك عبد المليك	
١٥.	ر لا يـ َعـ ْ د َم جـ َو َاز َيه ُ	
١٦.	عـ َاتـ َبت ُ المـ َشـ ِيب ُ على الصِّبا	
١٧.	ثـ لـ ُغـ َاءِ العـ َضِ طـ ِلةٌ	
١٨.	عـ َبـ َاءةٍ وتـ َقـ َّ عيني	
١٩.	ـ َات َ فاستـ َراح بـ َميـ ْتٍ	
٢٠.	أَذ ْ في يوم الر َّخاء سألتـ ذِي	
٢١.	ربيع ٌ وغيث ٌ مريع ٌ	
٢٢.	سم ُ أن لو التقينا وأنتـ ُم	
٢٣.	الله أن ْ لو كنت حر ّ اً	
٢٤.	وماً تـ ُفينا بوجهٍ سـَّمٍ	

٢٥.	لَه ُ حتى إذا أَن ْ نه ُ	
٢٦.	ا لي منها معصم حين ج َ مَّرت	
٢٧.	الله ما أدري وا ِن كنت دارياً	
٢٨.	ت ُ وما شوقاً إلى البيض أطرب ُ	
٢٩.	َح من الحيِّ أَ ْ تَ كَ ِر	
٣٠.	َضـ ِي َ ع َ لَيَّ نُشْدَ ِي ْ ر ٍ	
٣١.	ع َ لَيْه ِ بعد ما تمَّ ظ ِ م ْ ؤ ُ ها	
٣٢.	ا تَ مسدَّك ُ با َ ِي زعمت ْ	
٣٣.	ألا بِالَ ِ يف الخيال	
٣٤.	َ قَ مَّص ُ بالر ّ دافَى	
٣٥.	امِ ت ُ الم ُ غ َ يِّر بالدَّه ْ ر	
٣٦.	على ام ْ رِ يء ٍ و َ دَّع ْ تُ ه	
٣٧.	َبيت َه من بيت ر َ أْس ٍ	
٣٨.	حسـ ِ ب ْ ن َ ا كل َّ َ شَ ح ْ م َ ة ٌ	
٣٩.	ى والج ُ ود َ خ َ ي ْ ر َ ت ِ جارة ً	
٤٠.	ْ ست بِ ِ داءٍ ْ اء م ُ ظْ لَ ة ٌ	

خامساً

فهرس المفردات الغريبة:

الرقم	المفردة	الصفحة	المفردة	الصفحة
١.	عزا.		استقرئوا.	
٢.	عرضاً .		كريم السرً .	
٣.	الورشان.		مقامه.	
٤.	الداري.		الشهلة.	
٥.	ماز ني.		الصريح.	
٦.	الإفاضة.		السيب.	
٧.	الفرات.		المعلل.	
٨.	الدوري.		السوسي.	
٩.	الغراء.		لسَّجية.	
١٠.	البزي.		ما أزكاه.	
١١.	التورع.		الزيات.	
١٢.	جعد الشعر.		الكسائي.	
١٣.	رنبويه.		للِّخاف.	
١٤.	العسب.		الزقية.	
١٥.	الأصول.		الفرائض.	
١٦.	الإيجاز.		الكنانيس.	
١٧.	الغمر.		الخيم.	
١٨.	الديمة.		مشافر.	
١٩.	العوض.		جلا.	
٢٠.	العصبة.		الحجب.	
٢١.	الأضداد.		بين.	
٢٢.	الأدمة.		العنت.	
٢٣.	الغرر.		الظهار.	
٢٤.	القتل الخطأ.		ناقة سجح.	

٢٥.	الفسل.		القتار.	
٢٦.	أن المصدرية.		اللمس.	
٢٧.	السفى.		الرهط.	
٢٨.	الشرجة.		ر ّ ة.	
٢٩.	الحدر.		المتشدق.	
٣٠.	الأجرال.		الأجرار.	
٣١.	الجراشع.		المرزئة والرزيئة.	
٣٢.	الحيد.		رياضة.	
٣٣.	الهواع.		الاستعارة.	
٣٤.	السلم.		المشروبة.	
٣٥.	الوهق.		الورسان.	
٣٦.	الذحل.		النزوان.	
٣٧.	الأرش.		ـَة والدُّو ْ لة.	
٣٨.	المعاذر.		المكاذب.	
٣٩.	أم حبين.		ْج ّ .	
٤٠.	المزجة.		لدِّياس.	
٤١.	التنقية.		التذرية.	
٤٢.	الإهتبال.		أربعوا.	
٤٣.	التصور.		التصديق.	
٤٤.	التجميز.		لصدَّريح.	
٤٥.	الظهر.		السبخة.	
٤٦.	وجست.		المكاء.	
٤٧.	ثاقلاً.		النكث.	
٤٨.	الآراب.		النسيء.	
٤٩.	الكبيسة.		العرصات.	
٥٠.	الوجبة.		الإرب.	
٥١.	الخش.			

سادساً

فهرس القبائل

الرقم	القبيلة	الصفحة
١.	زهرة بن كلاب.	
٢.	الهذلي.	
٣.	الأسدي.	
٤.	التميمي.	
٥.	غطفان بن سعيد.	
٦.	ناجية.	
٧.	كنانة بن خزيمة.	
٨.	حزام.	
٩.	حمير.	
١٠.	قيس.	
١١.	بني أبيرق.	
١٢.	عبد قيس.	
١٣.	بني النضير.	
١٤.	بني قريظة.	

سابعاً

فهرس البلدان والأماكن

الرقم	البلد أو المكان	الصفحة
١.	الكوفة.	
٢.	البصرة.	
٣.	الشام.	
٤.	القيروان.	
٥.	خراسان.	
٦.	أحجار المراء.	
٧.	أضاءة بني غفار.	
٨.	أوطاس.	
٩.	منى.	
١٠.	الجودي.	
١١.	كراع الغميم.	

ثامناً
فهرس الأمثال

الرقم	المثل	الصفحة
١.	ألقم فاه الحجر.	
٢.	لا تمش برجل من أبى.	
٣.	ذا جحر ضبٌّ خرب.	
٤.	مع الخواطئ سهم صائب.	
٥.	الصقوا الحس بالأس.	

تاسعاً
فهرس الغزوات

الرقم	اسم الغزوة	الصفحة
١.	غزوة بئر معونة.	
٢.	بدر.	
٣.	أحد.	
٤.	حنين (أوطاس).	
٥.	يوم اليمامة.	
٦.	فتح مكة.	
٧.	خيبر.	
٨.	غزوة ذات السلاسل.	

عاشراً
فهرس المذاهب الفكرية

الرقم	المذهب الفكري	الصفحة
١.	الشافعية.	
٢.	الحنفية.	
٣.	القدرية.	

الحادي عشر
المصادر والمراجع

١. لإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب حمُّوش القيسي، (د/ط)، (١٩٦٠م)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني: أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، (د/ط)، (١٣٤٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومكتبة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، العالم: أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: علي محمد الضباع، ملتزم الطبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي.

٤. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، (د/ط)، (د/ت)، دار ومكتبة الهلال: بيروت لبنان.

٥. اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط: د/بدر الدين ناصر البدر، (د/ط)، (د/ت)، مكتبة الرشد، الرياض.

٦. أساس البلاغة: الزمخشري، (د/ط)، (د/ت) كتاب الشعب، دار ومطابع الشعب، مصر.

٧. أساليب الاستفهام في القرآن: عبد العليم السيد فودة، (د/ط)، (د/ت).

٨. اسباب النزول: للواحدي، (ط/٤)، (١٩٩٨م)، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة.

٩. الإستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف عبد الله محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة ومطبعة نهضة مصر.

١٠ أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير ابو الحسن علي محمد الجزري، (د/ط)، (د/ت)، كتاب الشعب، القاهرة.

١١ أشهر الأمثال: طاهر بن العلامة صالح الجزائري، (د/ط)، (١٩١٩م).

١٢ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

١٣ أضواء البيان في إيضاح القرآن: محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي، (د/ط)، (١٩٨٣م)، طبع على نفقة الأمير: أحمد بن عبد العزيز.

١٤ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

١٥ ملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: محب الدين أبي البقاء العكبري، (د/ط)، (د/ت).
١٦ الأنساب: أبي سعد عبد الكريم محمد بن منصور السمعاني، (ط/١)، (١٤١٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن: د/عبد الله شحاتة، (ط/٤)، (١٩٨٨م).
١٨ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: د/أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة.
١٩ البداية والنهاية: أبي الفداء الحافظ بن كثير، (ط/١)، (١٩٦٦م)، تحقيق: د/ أحمد ملجم، د/ علي نجيب، دار الريان للتراث.
٢٠ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
٢١ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ط/١)، (١٩٦٥م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٢٢ البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات بن الأنباري، (د/ط)، (١٩٨٠م)، تحقيق: د/طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣ تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة من طريق الشاطبية والدرة للإمامين الشاطبي وابن الجزري: عبد الفتاح القاضي، (ط/١)، (٢٠٠٢م)، تحقيق: السيد منصور أحمد، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث مصر.
٢٤ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، (ط/٢)، (١٩٥٣م).
٢٥ تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ط/٣)، (١٩٨١م)، تحقيق: السيد أحمد صفر، المكتبة العلمية: محمد سلطان التمنكاني، المدينة المنورة.
٢٦ التبيان لبعض مباحث المتعلقة بالقرآن: طاهر الجزائري، (د/ط)، (١٩٣٤م).
٢٧ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان: ابن مكي الصقلي، (د/ط)، (١٩٦٦م)، تحقيق: عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤن، دار لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.
٢٨ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: محمد بن محمد الجزري، (ط/١)، (١٩٨٣م)، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، (د/ط)، (د/ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠ تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، (ط/٢)، (١٩٨٣م)، دار الفكر

للنشر والتوزيع، بيروت.
٣١ تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (د/ط)، (ط/ت).
٣٢ تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ط/١)، (١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٣٣ لتفسير الكبير: الفخر الرازي، (د/ط)، (د/ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤ تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار: أبي محمد مكي بن أبي طالب، (ط/١)، (١٩٨٨م)، تحقيق: هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت.
٣٥ تقريب التهذيب خاتمة الحفاظ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط/٢)، (١٩٧٥م)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة للطباعة والنشر.
٣٦ التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي: محمد عبد الرؤوف المناوي، (ط/١)، (١٩٩٠م)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت.
٣٧ التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها: صابر حسن أبو سليمان، (ط/١)، (١٩٩٤م)، دار عالم الكتب، الرياض.
٣٨ جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (د/ط)، (د/ت).
٣٩ الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم): أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، (د/ط)، (د/ت)، دار المعرفة، بيروت.
٤٠ الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (د/ط)، (١٩٦٥م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، (ط/٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٢ جواهر البيان في تناسب سور القرآن: لأبي الفضل عبد الله محمد صديق الغماري الحسيني، (د/ط)، (د/ت).
٤٣ حاشية رد المختار على الدر المختار؛ شرح تنوير الأبصار: محمد أمين الشهير بابن عابدين، (ط/٢)، (١٩٦٦م).
٤٤ حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، (ط/٤)، (١٩٨٤م)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة بيروت.
٤٥ الحجة في القراءات السبع: الإمام ابن خالويه، (ط/٥)، (١٩٩٠م)، تحقيق: د/ عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت.
٤٦ الحجة للقراء السبعة: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، (ط/١)، (٢٠٠١م)، تحقيق: كامل

مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
٤٧ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة: د. يوسف خليف، (د/ط)، (١٩٦٨م).
٤٨ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سعد جاد الحق، (ط/٢)، (١٩٦٦م) دار الكتب الحديثة القاهرة مصر.
٤٩ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الجكني الشنقيطي، (د/ط)، (د/ت)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٥٠ زاد المعاد في هدي خير العباد: أبي عبد الله بن القيم الجوزي، تحقيق: حسن محمد المسعودي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
٥١ سنن أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢ سنن الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (ط/١)، (١٩٩٩م)، تحقيق: محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة.
٥٣ سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، (د/ط)، (د/ت)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٤ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ط/٧)، (١٩٩٠م)، مؤسسة الرسالة بيروت.
٥٥ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للشيخ: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (د/ط)، (١٩٧٩م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، توزيع الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، بيروت.
٥٦ صحيح البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (د/ط)، (د/ت)، عالم الكتب بيروت.
٥٧ طبقات الشافعية: للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٥٨
٥٩ طلبة الطلبة في الإصلاحات الفقهية: نجم الدين حفص النسفي، (ط/١)، (١٩٨٦م)، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت.
٦٠ طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن الجزري، (ط/٣)، (١٩٥٠م)، الهيئة العامة للنشر والطبع، القاهرة.
٦١ غاية النهاية في طبقات القراء: لمحمد بن محمد بن الجزري، (ط/١)، (١٩٣٢م)، عنى بنشره ج.برجستراسر. دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن الحسين، النيسبوري، (ط/١)، (١٩٦٢م)، تحقيق، إبراهيم عطوة، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
٦٣ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري، (ط/١)، (١٩٨٣م)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
٦٤ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد علي الشوكاني، (د/ط)، (١٩٨٣م)، دار الفكر، بيروت.
٦٥ فضائل القرآن: ابن كثير الدمشقي، (د/ط)، (د/ت).
٦٦ الفقه الإسلامي وأدلته: الدكتور وهبة الزحيلي، (ط/٤)، (١٩٩٧م).
٦٧ في أصول النحو: سعيد الأفغاني؛ (ط/٣)، (١٩٦٤م).
٦٨ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، (ط/٢)، (١٩٥٢م)، دار الجيل، بيروت لبنان.
٦٩ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة القرآن: عبد الفتاح القاضي، (د/ط)، (د/ت)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٧٠ القراءات القرآنية: تأريخ وتعريف: الدكتور: عبد الهادي الفضلي، (ط/٢)، (١٩٨٠م)، الناشر دار المجمع العلمي بجدة.
٧١ القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة، (د/ط)، (١٩٨٤م).
٧٢ كتاب الإقناع في القراءات السبع: أبي جعفر أحمد بن علي بن خلف الأنصاري بن الباذش، (ط/١)، (١٤٠٣هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٧٣
٧٤ كتاب التيسير في القراءات السبع: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ط/٢)، (١٩٨٤م)، تحقيق: أوتوبرتزل، استنبول، مطبعة الدولة.
٧٥ كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، (ط/٢)، (١٤٠٠هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف للنشر، القاهرة.
٧٦ كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ط/٤)، (١٩٨٧م)، تحقيق: د/محي الدين رمضان.
٧٧ كتاب المجموع شرح المهذب: زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (د/ط)، (د/ت).
٧٨ كتاب مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، (ط/٢)، (د/ت)، تحقيق: يس محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.
٧٩ كتاب معاني القراءات: أبو منصور محمد بن الأزهري، (ط/١)، (١٩٩٩م).

٨٠ كشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجو ه التأويل: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (الطبعة الأخيرة)، (١٩٦٦م).
٨١ لحن العوام: أبي بكر محمد حسن الزبيدي، (ط/١)، (١٩٦٤م)، تحقيق: د/رمضان عبد التواب، مكتبة دار العروبة، مصر.
٨٢ لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (د/ط)، (د/ت).
٨٣ لطائف القراءات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني، (د/ط)، (١٩٧٢م).
٨٤ مباحث في علوم القرآن: د. مناع القطان، (ط/٣)، (٢٠٠٠م) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٨٥ متن الشاطبية المسمى (حرز الأماني ووجه التهاني): أبي القاسم بن فيرة الشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة.
٨٦ مجاز القرآن، صنعه: أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، (د/ط)، (د/ت).
٨٧ مجمع الأمثال: أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (د/ط)، (١٩٦١م)، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
٨٨ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني، (د/ط)، (١٩٦٦م)، تحقيق: علي النجدي ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/ عبد الفتاح إسماعيل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٨٩ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (د/ط)، (د/ت)، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩٠ مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، (د/ط)، (د/ت)، دار صادر بيروت.
٩١ معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، تحقيق: محمد أمين الخانجي، (ط/١)، (١٩٠٦م) مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
٩٢ معجم ألفاظ العقيدة: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، (ط/٢)، (٢٠٠٠م) مكتبة العبيكان، الرياض.
٩٣ معجم القواعد العربية في النحو والصرف: عبد الغني الدقر، (ط/١)، (١٩٨٦م).
٩٤ المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية: د/ إميل بديع يعقوب، (ط/٢)، (١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية بيروت.
٩٥ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، مطبعة بريل في مدينة ليدن.
٩٦ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

٩٧ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ط/١)، (١٩٨٤م)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت.
٩٨ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري، (ط/٥)، (١٩٧٩م)، تحقيق: د/مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت.
٩٩ مقدمتان في علوم القرآن، (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية)، (ط/٢)، (١٩٧٢م).
٠٠ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني، (ط/٣)، (١٣٧٢هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٠١ منجد المقرئين ومرشد الطالبين: محمد بن محمد بن الجزري، (د/ط)، (١٩٨٠م).
٠٢ المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق بيروت، المطبعة الكاثوليكية، (د/ط)، (١٩٧٣م).
٠٣ الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ط/٢)، (١٩٨٦م)، طبعة ذات السلاسل الكويت.
٠٤ موسوعة أمثال العرب: د/ إميل بديع يعقوب، (ط/١)، (١٩٩٥م)، دار الجيل بيروت.
٠٥ النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
٠٦ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، (د/ط)، (د/ت)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، دار الفكر، بيروت.
٠٧ الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبعة: عبد الفتاح الضبعي، (د/ط)، (١٩٨٢م).
٠٨ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، تحقيق: د/ يوسف علي الطويل ود/ مريم قاسم طويل، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة النساء؛ وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق. وجاء في تفسير الجلالين أن سورة النساء مدنية، وآياتها (١٧٦) أو (١٧٧)[١]، وهي نزلت بعد سورة الممتحنة[٢]. وترتيبها في المصحف الرابعة. وعدد كلماتها (٣٧٤٥) كلمة.

وقال القرطبي[٣]: «سورة النساء مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، في عثمان بن طلحة الحجبي[٤] وهي قوله: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا][٥]، وفي الصحيح عن عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: (مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ)[٦]، تعني قد بنا بها، ولا خلاف بين العلماء أن النبي ρ إنما بنا بعائشة رضي الله عنها بالمدينة، ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية، لاشك فيها»[٧].

وجوه مناسبتها بسورة آل عمران:

ختمت السورة السابقة بالأمر بالتقوى: [اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] وهو خطاب للمؤمنين، فناسب أن يوجه الخطاب في مفتتح هذه السورة لجميع الناس: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً]؛ ليتناسب مع قوله في أواخر السورة السابقة: [فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] فكأنه يقول: أثبتكم على أعمالكم

---

(١)

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، د. عبد الله شحاته، (٧٣/١)، (ط٤/١٩٨٨م). تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلّى،وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (د/ط)، (د/ت)، ص(٩٧).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب، وتوفي فيها سنة (٦٧١هـ)، كان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف. الأعلام (٣٢٢/٥).

(٤) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار، العبدري الحجبي، صحابي شهير، توفي سنة (٤٢هـ). انظر: تقريب التهذيب، (١٠/٢).

(٥) الآية (٥٨).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تفسير سورة النساء، (٣١٩.٣١٨/٦).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/٥).

الصالحة جميعا ذكورا وإناثا؛ لأنكم جميعكم مأمورون بالتقوى، وترجعون في أصل نشأتكم إلى آدم وحواء[1].

قال السيوطي[2]، رحمه الله: «وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: تشابه الأطراف»[3].

على أن هناك أوجه أخرى لاعتلاقها بآل عمران، من ذلك: أن آل عمران ذُكر فيها قصة غزوة أحد، مستوفاة، وذُكر في هذه السورة ذيلها، وهو قوله تعالى: [فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ][4]، فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أحد، كما في الحديث[5]، ومن ذلك: أن في آل عمران ذُكرت الغزوة التي بعد أحد، بقوله: [الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ][6]، وأشير إليها هنا بقوله: [وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ][7].

وبهذين الوجهين عُرف أن تأخير النساء عن آل عمران، أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود؛ لأن المذكور هنا ذَيَّل ما في آل عمران، ولاحقه وتابعه، فكانت بالتأخير أنسب.

ومن الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء: اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بإنزال الكتاب، وفي الافتتاح بـ[الم] وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة، كيونس وتواليها، ومريم وطه، والطواسين، و[الم] العنكبوت وتواليها، والحواميم، وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور[8].

---

(1) جواهر البيان في تناسب سور القرآن: لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، (د/ط)، (د/ت)، ص(٢٩.٢٨).

(2) السيوطي

(3) انظر: أسرار ترتيب القرآن: للمحافظ جلال الدين السيوطي، (ط/٢)، (١٩٧٨م) ص(٩٠).

(4) النساء، الآية (٨٨).

(5) نص الحديث عن زيد بن ثابت: (رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد وكان الناس فيهم فرقتين فريق يقول اقتلهم وفريق يقول لا فنزلت: [فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ] وقال: إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة)، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء ().

(6) آل عمران، الآية (١٧٢).

(7) آل عمران، الآية (١٠٤).

(8) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٣.٩٠).

وقد عنيت سورة النساء ببيان أحكام النساء واليتامى والأموال والمواريث والقتال، وتحدثت عن أهل الكتاب وعن المنافقين وعن فضل الهجرة ووزر المتأخرين عنها، وحثت على التضامن والتكامل والتراحم، وبينت حكم المحرمات من النساء، كما حثت على التوبة ودعت إليها كوسيلة للتطهر، ودليل إلى تكامل الشخصية، واستعادة الثقة بالنفس، والشعور بالأمن والاطمئنان[١].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة المائدة ترتيبها في المصحف (٥)، وآياتها (١٢٠) وعدد كلماتها (٢٨٠٤) [٢]. من أواخر ما نزل من السور بالمدينة، فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)[٣].

وقد نزلت بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية[٤]، في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك[٥].

والمتأمل يرى أن السورة قد امتد نزول آياتها خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياة الرسول ρ بالمدينة، فقد ابتدأ نزولها في السنة السابعة للهجرة، وفيها آية نزلت في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة قبل وفاة النبي ρ بثمانين يوما وهي قوله تعالى: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا][٦]، وبذلك تكون هذه الآية نزلت بعرفة.

قال القرطبي: «وفي هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما أنزل عام الفتح، وهو قوله: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى][٧]، وكل ما أنزل من القرآن بعد هجرة النبي ρ فهو مدني سواء نزل بالمدينة، أو في سفر من الأسفار، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة»[٨].

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٧٣).

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٩٩).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار، ().

(٤)

(٥)

(٦) الآية (٣).

(٧) الآية (٨).

(٨) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، (٩٨/١). الجامع لأحكام القرآن، (/).

قال الشعبي*: «لم ينسخ في هذه السورة إلا قوله: [لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ] الآية (٢)[١]، وقال أبو ميسرة[٢]: «المائدة من آخر ما نزل، ليس فيها منسوخ، وفيها ثمان عشرة فريضة وهي: [الْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ]، وقوله: [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ]، وقوله: [وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ]، وقوله: [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ]، وقوله: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ]، وتمام الطهارة [إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ]، وقوله: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ]، وقوله: [لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ]، وقوله: [مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ]، وقوله: [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ]، هذه ثمان عشرة فريضة».

وأضاف القرطبي قائلا: «وفريضة تاسعة عشرة وهي قوله: [وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا] ليس للآذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة، أما ما جاء في سورة الجمعة، فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات»[٣].

وقد سميت سورة المائدة بهذا الاسم؛ لأنها السورة الوحيدة التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يسألها ربه، وذلك في قوله تعالى: [إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ][٤]»[٥].

وجوه مناسبتها بسورة النساء:

جاء في حاشية تفسير الجلالين: «وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها؛ أنه حيث وعدنا الله بالبيان، كراهة وقوع الضلال منا، تمم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكاما لم تكن في غيرها»[٦]، وهي الأحكام التي ذكرها أبو ميسرة . سابقا . وغير ذلك من الداخل في عموم قوله: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا][٧]، فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة الأمر بالوفاء بالعقود،

---

(١) انظر: فتح القدير، ()، تفسير القرآن العظيم، (٥/٢٦.٢٧).

(٢) ترجمة أبو ميسرة:

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (/). * الشعبي

(٤) الآيتان (١٢.١٣).

(٥) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٩٩).

(٦) تفسير الجلالين، (/).

(٧) النساء، الآية (٥٨).

فكأنه قيل في هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1]،التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت، فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط.

وأضاف السيوطي وجهاً آخر قائلا: «ثم إن هاتين السورتين في التقديم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران، فتلكما في تقرير الأصول من الوحدانية، والكتاب، والنبوة، وهاتان في تقرير الفروع الحكمية».

وقد ختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك[2]، وافتتحت النساء ببدء الخلق وختمت المائدة بالبعث والجزاء[3]، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المتبدأ إلى المنتهى[4].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأنعام سورة مكية ترتيبها (٦)، وعدد آياتها (١٦٥) آية وعدد كلماتها (٣٠٥٣)[5]. وهي أول سورة مكية في ترتيب المصحف، فسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة كلها سور مدنية، أما سورة الأنعام فهي أول سورة مكية توضع في السبع الطِّوال من سورة القرآن الكريم.

وقد نزلت في السنة الرابعة من البعثة المحمدية؛ أي عقب أمر الله للنبي ρ أن يصدع بالدعوة، ويعلنها للناس بعد أن أسر بها ثلاثة سنين[6].

وذكر العلماء عدة روايات تذكر فضل السورة، وتبين أنها نزلت جملة واحدة مُشيعة بالملائكة، قال الإمام الرازي في تفسيره: «أن هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة؛ أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها ألف من الملائكة، والسبب في ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وا إبطال مذاهب المبطلين والملحدين»[7].

---

(١) الآية (١).

(٢) ختام المائدة قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (١٢٠) وأول النساء قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الآية (١)، وهو دليل القدرة.

(٣) بدء الخلق في أول النساء قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الآية (١)، والمنتهى في ختام المائدة قوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ الآية (١١٩).

(٤) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٥.٩٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ().

(٦) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٢٣.١٢٥).

(٧) انظر: التفسير الكبير، ().

ويقول القرطبي: «قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وأن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين»[1].

وقد سميت هذه السورة بسورة الأنعام، والأنعام: ذوات الخف والظلف؛ وهي الإبل، والبقر والغنم بجميع أنواعها؛ لأنها هي السورة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر الأنعام في مواضع كثيرة من القرآن عرضا، أما سورة الأنعام فقد جاءت بحديث طويل عن الأنعام، استغرق خمس عشر آية، من أول الآية (١٣٦)..الخ الآية (١٥٠)، وقد تناول الحديث عن الأنعام في هذه السورة جوانب متعددة بعقائد المشركين.

وجوه مناسبتها بسورة المائدة:

قال السيوطي: «جمعت هذه السورة جميع الخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها، فظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها، وتقديمها على ما تقدم نزوله منها، وهي في جمعها الأصول والعلوم والمصالح الدنيوية نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية، وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها»[2].

وقد ذكر هذه الأطعمة مفصلة من قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ ..] إلى قوله: [إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ][3].

ويضيف الغماري[4]، رحمه الله أوجها أخرى لاعتلاقها بسورة المائدة، فيقول: «ختمت السورة السابقة بقوله تعالى: [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][5]، فناسب أن يبين سبب تلك الملكية ومنشأها، فافتتح هنا بالجملة [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ][6]، فسبب ملكية الله للسماوات والأرض: أنه خالقهما وما فيهما، وتلك ملكية حقيقية، لا كملكية الناس لما يملكونه بشراء أو هبة أو توريث، فإنها ملكية مجازية، والحقيقة فيها لله تعالى».

ثم يقول: «ومناسبة أخرى بين السورتين، فإن سورة المائدة اشتملت على أحكام لم تذكر في غيرها، وكذلك سورة الأنعام اشتملت على آية [... إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، ().

(2) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(٩٨،٩٧).

(3) الآيات (١٤٨،١٤١).

(4) ترجمة الغماري.

(5) المائدة، الآية (١٢٠).

(6) الأنعام، الآية (١).

نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ](1)، على ثمانية عشر رسولا لم تجمعهم سورة أخرى، وفيها من الأحكام الأكل مما ذكي، وترك ما ذكي لغيره، كقوله: [فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ]، وقوله: [وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ]، وقوله: [وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ](2)، وهو غير الزكاة، بل المراد إعطاء ما سقط من الزرع والثمار ساعة الحصاد، لمن حضر من الفقراء، ولهذا قيل: [يَوْمَ حَصَادِهِ]»(3).

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأعراف هي السورة السابعة في الترتيب المصحفي، وهي إحدى السور التي بدئت ببعض حروف التهجي(4)[المص]، ولم يتقدم عليها في هذا النوع سوى ثلاث سور سبقتها في تاريخ النزول وهي: سورة (ن)،و(ق)، و(ص).

وهي السورة المكية الثانية في ترتيب المصحف، وعدد آياتها (٢٠٥) أو (٢٠٦)، نزلت بعد سورة (ص)(5). قال القرطبي: «مكية إلا ثمان آيات وهي قوله: [وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ] إلى قوله: [وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ](6)»(7).

وموضوع السورة الرئيسي هو الإنذار؛ إنذار من يتولون غير الله، ومن يكذبون بآيات الله ومن يستكبرون عن طاعة الله، ومن ينسون الله ومن لا يشكرون نعمته، إنذارهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة، ذلك فوق الخزي والهوان والنسيان(8).

أوجه مناسبتها سورة آل عمران:

قال السيوطي: «وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام؛ هو: أنه قد تقدم هناك: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ](9)، وقوله: [وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ](10)، فافتتح هذه السورة أيضا

---

(1) الأنعام، الآية (٨٣).

(2) الأنعام، الآيات (١١٨) و(١٢١) و(١٤١).

(3) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣١.٣٠).

(4) ويبلغ عدد السور التي بدئت بحروف التهجي تسعا وعشرون سورة، وكلها سور مكية ما عدا البقرة وآل عمران، انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٥٣).

(5) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٥٣).

(6) الأعراف، الآيات (١٧١.١٦٣).

(7) الجامع لأحكام القرآن، (١٣١/٧).

(8) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها، ص(١٥٥).

(9) الأنعام، الآية (١٥٣).

(10) الأنعام، الآية (١٥٥).

بإتباع الكتاب في قوله: [أُنزِلَ إِلَيْكَ] إلى قوله: [ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ][1]»[2]، ويعلق الغماري على هذه المناسبة بقوله: «المناسبة ظاهرة والحمد لله»[3].

ويضيف السيوطي وجهان آخران قائلا: «وأيضا لما تقدم في الأنعام: [إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ][4]، [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ][5]، قال في مفتتح هذه السورة [فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ][6]، وذلك شرح التنبئة المذكورة».

وأيضا فلما قال في الأنعام: [مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا][7]، وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح هذه السورة بذكر الوزن، فقال: [وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ][8]، ثم ذكر من ثقلت موازينه، ثم من خفت موازينه، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف؛ وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»[9].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الأنفال مدنية بدرية، قال ابن عباس: «هي مدنية إلا سبع آيات من قوله تعالى: [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ][10]، آخر السبع آيات»[11].

نزلت بعد سورة البقرة، وترتيبها المصحفي الثامنة، وآياتها (٧٥) آية، وكلماتها (١٦٣١) كلمة[12]، وافتتح الله السورة بالحديث عن الأنفال؛ وهي الغنائم التي يغنمها المسلمون في جهادهم لإعلاء كلمة الله، وقد كان السبب المباشر لنزولها هو مُعالجة شئون حدثت بين المسلمين في غزوة بدر، منها كراهتهم للخروج إلى بدر حين دعاهم الرسول ρ إلى الخروج، وكراهتهم للقتال حين وصلوا إلى بدر، وتحتم عليهم أن يقاتلوا، وغيرها[13]، ويقول السيوطي: «أعلم أن وضع هذه السورة براءة

---

(1) الأعراف، الآيتان (٣.٢).

(2) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٢).

(3) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٢).

(4) الأنعام، الآية (١٥٩).

(5) الأنعام، الآية (١٦٤).

(6) الأعراف، الآيتان (٧.٦).

(7) الأنعام، الآية (١٦٠).

(8) الأعراف، الآية (٨).

(9) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٢).

(10) الأنفال، الآية (٣٠).

(11) الجامع لأحكام القرآن، (٢٩٠/٧).

(12) انظر: تفسير الجلالين، ص(٢٦٦)، تفسير ابن كثير، (٢٦٤/٣).

(13) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٧٥.١٧١).

هنا، ليس بتوقيف من الرسول ρ والصحابة، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان بن عفان رضي الله عنه»

عن ابن عباس قال: (قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني[1] وإلى براءة وهي من المئين[2] فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال[3]، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان رضي الله عنه: إن رسول الله ρ كان مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ρ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال[4])[5].

وجوه مناسبتها بسورة الأعراف:

مناسبتها لما قبلها أن الله ختم السورة السابقة بالأمر بذكره في جميع الحالات فقال: [وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ][6]، فذكر في مفتتح هذه السورة ما يحدثه ذكر الله عند المؤمنين من الآثار الحسية [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ][7]، وفي هذه الآية إشارة إلى مناسبة أخرى، وهي ما يحدثه سماع القرآن

(١) المثاني: إما أنها من الثناء، أو فيها الثناء والدعاء، أو لأنها تثني بغيرها. الإتقان، (١/١٩٠).

(٢) المئين: ما زادت آياتها على المائة أو قاربتها، وهي ما وليت الطوال. الإتقان، (١/٢٢٠).

(٣) عن ابن عباس قال: «السبع الطوال البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف، قال الراوي: ذكر السابعة فنسيتها»، وأورد السيوطي عن سعيد بن جبير: «أن السابعة يونس». انظر: كتاب الإتقان، (١/٢٢٠).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، (١/٥٧).

(٥) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٣،١٠٤).

(٦) الأعراف، الآية (٢٠٥).

(٧) الأنفال، الآية (٢).

قال في الآية السابقة: [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ][1]، فهاتان مناسبتان واضحتان[2].

مقدمة تعريفية للسورة:

عرفت سورة التوبة من العهد الأول للإسلام بجملة أسماء[3]، تدل بمجموعها على ما اشتملت عليه من المبادئ والمعاني التي تجب مراعاتها في معاملة الطوائف كلها: مؤمنهم ومنافقهم وكتابيهم ومشركهم.

وأشهر هذه الأسماء (سورة التوبة)، إشارة إلى ما تضمنته السورة من تسجيل توبة الله، وتمام رضوانه على المؤمنين الصادقين الذين اخلصوا في مناصرة الدعوة، وصدقوا في الجهاد مع النبي ρ حتى وصل بهم الغاية المرجوة، وذلك في قوله تعالى: [لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ][4]، وهي مدنية بإتفاق، وترتيبها المصحفي التاسعة، وآياتها (١٢٩) آية، نزلت بعد المائدة.

وهذا السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ρ، فعن البراء قال: ((آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةٌ وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ))[5].

وا إنما لم يبسمل في أولها؛ لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام، والإقتداء في ذلك بعثمان بن عفان رضي الله عنه كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما[6][7].

وجوه مناسبتها بسورة الأنفال:

---

(1) الآية (٢٠٤).

(2) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٣.٣٢).

(3) وهي: التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق؛ أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين؛ فتبحث عنها وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم، وعن حذيفة: «إنكم تسمونها سورة التوبة، وا إنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه». انظر: الجامع لأحكام القرآن، ().

(4) التوبة، الآيتان (١١٨.١١٧).

(5) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب، ().

(6) انظر نصه في ص()

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥٨.٥٦/٧)، تفسير الجلالين، ص(٢٣٩)، تفسير ابن كثير، (٣٤٧.٣٤٦/٣)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(١٩٠.١٨٧).

مناسبتها للأنفال أن موضعهما الحض على قتال الكفار، وترك مهادنتهم، وحكم المغانم، وما إلى ذلك، وقد تقدم عن عثمان رضي الله عنه أنه ظن التوبة مع الأنفال سورة واحدة، لأن قصتها تشبه قصتها[1].

وأضاف السيوطي وجهين آخرين لاعتلاقها بسورة الأنفال، قال: «أن صدرها تفصيل لإجمال قوله في الأنفال: [وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ][2]، وآيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هناك: [وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ][3]، ولذا قال هنا في قصة المنافقين: [وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً][4]»، ثم يقول: «ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر، وهو: أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم، وجعل خُمسها خمسة أخماس[5]، وفي براءة تولى قسمة الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف»[6][7].

مقدمة تعريفية للسورة:

نزلت سورة يونس بعد سورة الإسراء، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، فتكون سورة يونس من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة، فهي سورة مكية من أواخر ما نزل من القرآن بمكة، وقد سميت بهذا الاسم؛ لذكر قصة يونس عليه السلام فيها، وتبلغ آياتها (١٠٩)، أو(١١٠) آية[8].

أوجه مناسبتها بسورة التوبة:

مناسبتها لما قبلها من وجهين: أحدهما: أن الله أمتن على المؤمنين . في آخر التوبة . مجيء رسول إليهم من أنفسهم، وعزيز عليه عنتهم، حريص عليهم، أي على هدايتهم، رءوف رحيم بهم، فذكر في مفتتح هذه السورة عجَب الكفار من أن يوحى الله إلى رسوله ρ لينذر ويبشر: [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ][9]، والاستفهام إنكاري؛ لإنكار تعجبهم من إرسال رسول الله منهم؛

---

(1) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٣).

(2) الأنفال، الآية (٥٨).

(3) الأنفال، الآية (٦٠).

(4) التوبة الآية (٤٦).

(5) وذلك قوله: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ] الآيات، (٥.٣).

(6) وذلك قوله: [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ] الآية (٦٠).

(7) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٧).

(8) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن ص(٢٠٣).

(9) يونس الآية (٢).

أي: لا يليق ولا ينبغي أن يتعجبوا من إرسال بشر؛ لأن البشر أهل لتحمل الرسالة خصوصا محمدا ρ في كمال صفاته وقوته.

ثانيها: أنه قال في ختام السورة السابقة: [فَإِن تَوَلَّوْا]؛ أي: الناس جميعا عن الإيمان [فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ][1]، فبين هنا الأوصاف التي أوجبت التوكل عليه والالتجاء إليه: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ][2]، فلأجل أنه خالق السماوات والأرض ومدبر الأمر فيهما، ومربي الخلق، بما يصلح شئونهم، وجب إفراده بالعبادة، ومن أعلى مقاماتها التوكل عليه، والاكتفاء به عن سائر مخلوقاته سبحانه وتعالى[3].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة هود من السور المكية، شأنها كسائر القرآن المكي: هوتقدير أصول الدين، وا إقامة الأدلة عليها، ورد الشبه التي كان يثيرها المعارضون حول الدعوة وصاحبها، والحديث عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وهي نفس الموضوعات التي تحدثت عنها السورة السابقة، سورة يونس.

وهود υ هو أول رسول إلى قوم عاد، وعاد أول أمة من نسل سام بن نوح υ، وقد تحدث القرآن كثيرا عن هود عليه السلام فيمن تحدث عنهم من رسل الله الكرام عليهم السلام، وقد ذكر باسمه خمس مرات في هذه السورة التي سميت به[4].

وقد نزلت بعد سورة يونس υ وترتيبها المصحفي (١١)، وآياتها (١٢٣) آية[5]، عن ابن عباس قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[6].

وجوه مناسبتها لما قبلها:

سورة يونس υ ذُكر فيها قصة نوح υ مختصرة جدا، مجملة[1]، فشرحت في هذه السورة، وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور، ولا في سورة الأعراف على طولها، ولا في سورة [إِنَّا

([1]) التوبة الآية (١٢٩).

([2]) يونس الاية (٣).

([3]) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٤.٣٣).

([4]) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٣١٧).

([5]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥١٨/٣)، تفسير الجلالين، ص(٢٨٣).

([6]) أخرجه الترمزي في كتاب تفسير القرآن، باب، ().

أَرْسَلْنَا نُوحًا](٢)، التي أفردت لقصته. فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس عليه السلام، فإن قوله هناك: [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ](٣)، هو عين قوله هنا: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ](٤)، فكان أو هود تفصيلا لخاتمة يونس(٥).

وأضاف الغماري مناسبة أخرى قائلا: «مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم السورة السابقة بأمر الناس جميعا بإتباع القرآن، قال: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا](٦)، ثم أمر نبيه بإتباع القرآن، والصبر على الكفار الذين لم يؤمنوا به حتى يحكم الله: [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ](٧)، فذكر في مفتتح هذه السورة بيان حقيقة القرآن: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ](٨)، ثم عاد إلى الاستدلال على حقيقة القرآن؛ ليتأكد وجوب إتباعه، والاهتداء به، فتحدى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، قال: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ](٩)، وهذه مناسبة ظاهرة»(١٠).

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة يوسف υ مكية كلها، وآياتها (١١١) آية فقط، نزلت بعد سورة هود υ، وترتيبها المصحفي (١٢)، قال القرطبي: «قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة، على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف υ ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل»(١١).

وجوه مناسبتها لما قبلها:

---

(١) وذلك في قوله: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ..... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ] الآيات (٧٣.٧١).

(٢) نوح، الآية(١).

(٣) يونس، الآية (١٠٩).

(٤) هود الآية (١).

(٥) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص (١٠٩.١٠٨).

(٦) يونس، الآية (١٠٨).

(٧) يونس، الآية (١٠٩).

(٨) هود، الآية (١).

(٩) هود، الآية (١٣).

(١٠) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٧.٣٦).

(١١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٣٧)، تفسير الجلالين، ()، تفسير ابن كثير، (٥١٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٩٧/٩).

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، هذه من محاسن قصص الأنبياء، وأيضا ليتسلى النبي ρ بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، وعما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، ولهذا قال في ختام السورة السابقة: [وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ][1]، وقال هنا: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ][2].

وهناك مناسبة أخرى: وهي أن هذه السور الست: سورة يونس υ، وسورة هود υ، سورة يوسف υ، وسورة الرعد، وسورة إبراهيم υ، وسورة الحجر، وكل سورة منها بدأت بحرف [ألر]، يليه الحديث عن القرآن[3]، إلا سورة الرعد فبدئت بحرف [ألمر] وكلها مكية[4].

ويقول السيوطي: «وقد روينا عن ابن عباس في ترتيب النزول: أن يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف»[5]، ثم يقول: «وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث، لترتيبها في النزول هكذا»[6].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة الرعد من السور التي اختلف في مكيتها ومدنيتها، فقال قوم: إنها مكية؛ لأنها شبيهة بالسور المكية في قصتها وموضوعاتها. وقال آخرون: إنها مدنية، ولكن موضوعاتها تشبه السور المكية.

وترتيبها المصحفي رقم (١٣)، وآياتها (٤٣) آية، نزلت بعد سورة محمد ρ، وتسمى سورة الرعد؛ لقوله تعالى فيها: [وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ][7].

وهي من أعاجب السور القرآنية التي تستولي على النفس وتثير الوجدان، وتزحم الحس بالصور والمشاهد، وموضوعها الرئيسي هو العقيدة، وقضاياها هي التوحيد والبعث[8].

وجوه مناسبتها لما قبلها:

---

(١) هود الآية (١٢٠).

(٢) يوسف الآية (٣).

(٣) إلا سورة العنكبوت والروم والقلم، لم يذكر في فاتحتها شيء عن القرآن. انظر: جواهر البيان، ص(٣٨).

(٤) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٣٨.٣٧).

(٥) انظر: الإتقان، (٩٧/١).

(٦) أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٩).

(٧) الرعد، الآية (١٣).

(٨) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٥٦.٢٥٥)، تفسير ابن كثير، (٦١٨/٣).

أنه سبحانه قال في آخر تلك: [وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ..][1]، فذكر الآيات السماوية والأرضية مجملة، ثم فصل في مطلع هذه السورة بذكر الآيات الأرضية. هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب، ووصفه بالحق، وافتتاح هذه بمثل ذلك[2]، وهو من تشابه الأطراف[3].

وأضاف الغماري وجها آخر قائلا: «نفى في السورة السابقة الافتراء عن القرآن: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][4]، وأثبت هنا حقيقته؛ أي: أنه حق منزل من الله: [المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ][5]، سماه هناك: هدى ورحمة، وسماه هنا: الحق»[6].

مقدمة تعريفية للسورة:

سورة إبراهيم υ من السور المكية، وآياتها (٥٢) آية، وترتيبها المصحفي رقم (١٤)، وموضوعها الأساسي؛ هو موضوع السور المكية الغالب؛ وهو العقيدة في أصولها الكبيرة، وتشمل الرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء[7].

أوجه مناسبتها لما قبلها:

وجه وضعها بعد سورة الرعد أن قوله في مطلعها: [الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ][8]، مناسب لقوله في مقطع الرعد: [وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ][9].

المناسبة الثانية: قوله أيضاً في الرعد: [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ][10]، وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ، وقد

---

(1) يوسف، الآية (١٠٥).

(2) ختام يوسف: [مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى] الآية (١١١)، وافتتاح الرعد: [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ] الآية (١).

(3) انظر: أسرار ترتيب القرآن، ص(١٠٩-١١٠).

(4) يوسف، الآية (١١١).

(5) الرعد، الآية (١).

(6) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٤١-٤٢).

(7) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ص(٢٧٥)، تفسير الجلالين، ص(١٢٩)، تفسير ابن كثير، ص(٦٥٩).

(8) إبراهيم، الآية (١).

(9) الرعد، الآية (٤٣).

(10) الرعد، الآية (٣٢).

الأربعة في قوله [... أْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ
مُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ..][1][2].

---

(1) إبراهيم، الآيات (٩.٦١).

(2) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص(٤٢)، وأسرار ترتيب القرآن، ص(١١٠).